الحدائق الوردية

في

حقائق أجلاء النقشبندية

عبد المجيد بن محمد الخاني

دار ئاراس للطباعة والنشر



السلسلة الثقافية

*

صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين

رئيس التحرير: بدران أحمد حبيب

***

العنوان: دار ئاراس للطباعة والنشر – حي خانزاد – اربيل- كُردستان العراق
ص.ب رقم: ١

الحدائق الوردية
في
حقائق أجلاء النقشبندية

تأليف
عبد المجيد بن محمد الخاني
رحمه الله تعالى

اسم الكتاب: الحدائق الوردية في حقائق أجلاّء النقشبندية
تأليف: عبدالمجيد بن محمد الخاني
من منشورات ئاراس رقم: ١٦٦
التصميم والإخراج الفني: شاخوان كركوكي
الغلاف: شكار عفان النقشبندي
خطوط الغلاف: الخطاط محمد زاده
تنضيد وتصحيح: عبدالرزاق عبدالله
الإشراف على الطبع: عبدالرحمن محمود
الطبعة الثانية: مطبعة وزارة التربية - أربيل ٢٠٠٢
رقم الإيداع في مكتبة المديرية العامة للثقافة والفنون في أربيل: ٢٠٠٢/٣٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أظهر من بطون الشؤون الى أعيان الثبوت ماكان ويكون من عالم الملكوت ثم أنشأه خلقاً آخر في مراتب التكوين ، فتبارك الله أحسن الخالقين والصلاة والسلام على نبي الصلاة والسلام مرآة شمس الذات جامع الأسماء والصفات والدِ العالم في دولة الكيان والظهور وسيد ولد آدم يُخرجهم من الظلمات الى النور :

ومـــامـــصـــدر الأشـــيـــاء إلاّ مـــحـــمـــد	وناهيك طول المدم فــيـــه قـــصــورُ
بـدائـرةِ الـتـكـويـن قـطـبُ جـــمـــــالـهِ	عـلـيـــه جـــمـــيم الـكـائـنـــات تـدورُ

وعلى أول التمكين في التلوين من آل عبائه وأحبائه المؤدِّين حق الدين قياماً بأعبائه ماسبَّح لله مَلَك أو سبّح نجمٌ في فلك .

وبعد :

فيقول ذنوب الذنوب وعيبة العيوب الحقير الفاني عبدالمجيد إبن محمد بن عبدالله الخاني الخالدي النقشبندي ؛ إني منذ تشرّفت قبل بلوغ السنّ بسنين بتلقي الطريقة العلية الخالدية النقشبندية عن قبلة العلماء العاملين وقلب الأولياء الكاملين المتمكّن في مقام الفرق الثاني سيدي الجدّ الأمجد الشيخ محمد الخاني قدّس الله تعالى سرّه ورفعه عنده على أعلى الأسرّة ، وسمعت أسماء سادات سلسلة الطريقة الجليلة جعلتُ أتشوّف للوقوف على تراجم أحوالهم المقدسة مدةً غير قليلة . وإذ لم أرَها مجتمعةً باللغة العربية في كتاب واحد لأن أكثرهم من بلاد الفرس والهند وتلك المعاهد ، عزمتُ وما أنا للعزم بألف سنة ثلاث وثلاثمائة وألف على أن أجمع أحوال مَن ترجموه وأخدم بالترجمة مَن لم يخدموه بادئاً بالمبدأ الفيّاض وخاتماً بسيدي الوالد ، راجياً منه تعالى في ذلك تقدير التيسير وهو على جمعهم إذ يشاء قدير . فإستحضرت تلك الخدمة كتباً مهمة جمة مثل "طبقات الأولياء" للعارفَين الشيخ عبدالوهاب الشعراوي والشيخ عبدالرؤوف المناوي و"مُجمِّم الأحباب مختصر الحلية" لشمس الدين محمد بن الحسن الحسيني النقشبندي و"النفحات" للعارف الكبير ملا عبدالرحمن الجامي النقشبندي ، وهو فارسي ترجمه الشيخ محمود البروسوي الى التركية وعرّبهُ الشيخ تاج الدين زكريا العثماني النقشبندي ، و"رشحات عين الحياة" للشيخ علي بن حسين الواعظ المشهور بالصفّي وهو فارسي أيضاً ترجمه للتركية المولى المعروف الشريف العباسي وعرّبه الشيخ تاج الدين المُشار اليه ، و"مقامات سيدنا الشاه النقشبندي" التي جمعها أحد أجلاّء أصحابه الشيخ صلاح بن المبارك بالفارسية وعرّبها الشيخ أحمد بن علان الصديقي المكّي ، ومكتوبات الإمام الربّاني بالفارسية ، ومعرّبات بعضها للشيخ يونس بن عبدالرحمن الإيراني النقشبندي وترجمتها التركية بقلم المولى سعدالدين سليمان بن محمد القسطنطيني المشهور بمستقيم زاده وتعريب بعضها ، وبعضها مكتوبات والده المسمى بـ"كنز الهدايات" للمولى محمد ابن ولي الدين الحفظي أحد أصحابه الكرام ، وتاريخ العلاّمتين إبن خلكان والمحبّي و"شرح مفتاح المعية" للعارف الشيخ عبدالغني النابلسي ، و"مقامات الشيخ حبيب جان جانان" مظهر تأليف العارف العلوي الشيخ عبدالله الدهلوي ،

و"خلاصة الجواهر العلوية" في ترجمة الشيخ عبدالله المومى اليه للشيخ عبدالغني المعصومي ، و"البهجة السنية" لسيدي الجد الأمجد ، و"الحديقة النديّة" للشيخ محمد بن سليمان البغدادي أحد أجلاّء أصحاب مولانا خالد ، و"الأساور العسجدية" للشيخ حسين الدوسري أحد خلفائه ، و"أصفى الموارد من سلسال أحوال مولانا خالد" للشيخ عثمان بن سند النجدي البغدادي ، و"سَلُّ الحسام الهندي" للعلامة الشيخ السيد محمد بن عابدين ، و"المجدُ التالد" للشيخ ابراهيم فصيح البغدادي الحيدري ، و"المقامات السعيدية" للشيخ مظهر المعصومي مستعيناً في ترجمة الفارسي والتركي بمَن له تمام الوقوف على اللغتين غير معوّل على الإقتداء بعبارة المتعرّبين ، لأن أكثرهم من الفرس المتعرّبين .

والتزمتُ عند ذكر كلّ ذات منهم رضي الله عنهم سرد خلفائه قدر الإمكان ولم أترجم أحوالهم لعدم وجود المواد الموصلة الى المراد . ومع ذلك فقد شذّ عني من رجال السلسلة إثنان ؛ وهما سيدنا الدرويش محمد ونجله الشيخ محمد الخوجكي الأمكَنَكي ، فإني لم أقف لهما على ترجمة في مكان . فأرجو ممن ألمَّ بترجمتهما أن يلحقها تحت إسمهما . فجاء ولله الحمد كتاباً موفياً بالعهد في عهد أمير المؤمنين وظل الله على العالمين فخر ملوك السرير العثماني (السلطان الغازي عبدالحميد خان الثاني) أنامَ الله الأنام في ظل أمانه وسَلَّم تعالى عَلَمَ الإسلام بنفوذ شوكة سلطانه وأدام إنبساط بساط عدالته على كافة رعيّة جلالته آمين :

ربُّ السموات العظيم الشان ... بالمصطفى المبعوث بالقرآن

أيِّد بأيدي الأولياء المُجتَبى ... سلطاننا عبدالحميد الثاني

واحفظ على عرش السعادة ذاته ... ذات السعادة مَظهر الرحمن

واجعل مواضيه على هام العدا ... مشحوذةً بالساعد العثماني

والحظ بأرواح الملائكة العُلا ... توفيقهُ في السرِّ والإعلان

وأدمْ لواء الدين منشوراً بما ... يرضاه منصوراً على الأقران

ترعى رعيته بظلِّ أمانه ... في روض صولة دولة الإيمان

ماأشرقت شمس العدالة من حمى ... أعتابه في كامل الإكوان

وسمّيته "الحدائق الوردية في حقائق أجلاّء النقشبندية" وهو بحساب الجمل تاريخ العام الذي به تكمّل ، والله أسألُ وإليه أتوسّل بالنبيّ وبنيه أن يُدنيه من كلّ نبيل نبيه ويعيذ مافيه من شرِّ كلّ سفيلٍ سفيه ، إنه وليُّ الهداية في البداية والنهاية .

(طليعة)

(إعلَمْ) أن الطريقة العلية النقشبندية قدّس الله أسرار سُراتها النديّة هي طريقة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على أصلها لم يزيدوا فيها ولم يُنقِصوا منها . وهي عبارة عن دوام العبودية ظاهراً وباطناً بكمال إلتزام السُنّة السنية والعزيمة العظيمة وتمام إجتناب البدعة والرُخصة في جميع الحركات والسكنات ومن عادات ومعاملات مع دوام الحضور مع الله تعالى عن طريق الذهول والإستهلاك . فهي طريق الإنصباغ والإنعكاس بكمال إرتباطهم حباً مع هذه المُجاهَدة الزكيّة المستورة يستوي في إستفاضتها الشيوخ والشبّان وفي إفاضتها الأحياء والأموات . ونهايتها مندرجة في بدايتها وبدايتها نهاية غيرها ، لما فيها من إنجذاب المحبّة الذاتية مما فضّل به واسطتها الصدّيق الأكبر رضي الله تعالى عنه . ولها أصلان أصيلان من أُعطيهما أُعطيَ كلّ شيء : كمال إتّباع النبي صلى الله عليه وسلم ، ومحبّة الشيخ الكامل . لكنها ليست توجد بالتكلُف ، بل التكلُف فيها زندقة . وإنما هي من أعطاء الله تعالى يَمُنُّ بها على مَن يشاء من عباده . فالصُحبة بشروطها مع هذين الأصلين كافية للإنعكاس والإنصباغ .

(قال) بعض أكابر علماء الظاهر والباطن من شُرّام الحِكَم العطائية عند قول المتن : "لاتترك الذكر لعدم حضورك مع الله تعالى . إن حقيقة الذكر هو طرد الغفلة وله مراتب : الأولى ذِكر اللسان وله شواهد في الكتاب والسُنّة . فالزم ياأخي ذكر اللسان حتى تتصل وتتشرّف بذكر الجنان وهو المرتبة الثانية من مراتب الذكر في بعض الطرق . وهذه المرتبة هي أوّل مراتب السادة النقشبندية رضي الله تعالى عنهم أجمعين . فأوّل قدم يضعونه في الذكر القلبي ، ولكن لايُعرف ذلك إلاّ منهم ولايتمكن السالك من الرسوخ في هذه القدم إلاّ بهم . أه" . فاقصدهُمْ واستنشق عُرف الطيب لعلّك تظفر بواحدٍ منهم ، فتفوز بهذا الجوهر النفيس تشمُّ من أنفاس الطريق ما لايخطُر ببال ويزول عنك التلبيس ، فإن طريقتهم أسهل الطرق الموصلة الى الله تعالى وليس فيها كثرةُ جوع ولا كثرة سهر ، بل إعتدال يصحبها . وخلوتهم في جلوتهم ، فكلُّ مجمَع لهم زاوية . يحضرون في المجالس وقلوبهم مع مولاهم حاضرة ومن السِّوى خالية . فهم ممن قال تعالى في شأنهم (رجال لاتُلهيهم تجارةٌ ولابيع عن ذكرِ الله) وماأحسن ماكانت تنشده السيدة رابعة العدويّة رضي الله تعالى عنها في هذا المعنى :

ولقد جعلتك في الفؤاد مُحَدِّثي ... وأبَحتُ جسمي من أراد جلوسي
فالجِسمُ منّي للجليسِ مؤانسٌ ... وحبيب قلبي في الفؤادِ أنيسي

ومَنْ لم يصلْ فعليه بالتصديق والإيمان لتحصُلَ له الولاية الصُغرى ، كما قال سيّدنا الجُنيد رضي الله عنه : "التصديق بطريقتنا هذه ولاية صُغرى" ، وكما قيل :

وإذا لم تَرَ الهلالَ فسلِّمْ ... لأُناس رأوه بالأبصارِ

(ثمَّ) السالكون على قسمين ؛ سالكٌ مجذوب ومجذوبٌ سالك :

فالأول ؛ يشهدُ الآثار ثم يستدلُّ بها على الأسماء ويستدلُّ بالأسماء على ثبوت الأوصاف ، وبثبوت الأوصاف على وجود الذات . لأنه مُحالٌ أن يقوم الوصف بنفسهِ . وهذا شأن العموم ، وأكثر ما في الكتاب والسُنّةِ

يشير الى ذلك كقوله تعالى (إنّ في خلق السموات والأرض وإختلاف الليل والنهار لآيات) .
والثاني ؛ يشهدُ الذات أولاً وينكشفُ له مايليقُ بإستعداده ثم يُرَدُّ الى شهود الصفات ثم يرجع الى التعلُّق بالأسماء ثم الى شهود الآثار ، عكس ماكان السالك الأول عليه . فنهاية السالك المجذوب بداية المجذوب السالك لابمعنى واحد . فإن مُراد السالك المجذوب شهود الأشياء لله تعالى ومُراد المجذوب السالك شهود الأشياء بالله تعالى .

فالأول عامل بتحقُّق الفناء والمحور الثاني مسلوك بطريق البقاء والصحو . ولما كان شأن الفريقين النزول في تلك المنازل المذكورة لزِمَ منه إلتقاؤهما في السير هذا في الترقّي وهذا في التدلّي . ومن هنا نعلم أن المجذوب السالك أعلى من السالك المجذوب لإشتراكهما في العبور في المنازل ، وزيادة المجذوب بأنه يشهدُ الأشياء بالله تعالى . وهذا أعلى ممن يشهدها لله تعالى كما لايخفى . وأيضاً إن السالك المجذوب ينتهي الى الفناء وهذا ينتهي الى البقاء والصحو بعد الفناء ، وهذا أكملُ من الأول لأنه مقام الأنبياء وورثيهم من المرشدين المكمّلين ، إذ مقام الإرشاد لايصحُّ إلاّ لمن تحقق بالبقاء بعد الفناء . فلابُدَّ للقسم الأول من الرجوع الى هذا المقام حتى يصحَّ منه الإرشاد . وغالب طريقة السادة النقشبندية تُقدِّم الجذبة على السلوك وهذا يعرفه مَن ذاق طريقهم . فاجتهد أيها الإخ في تحصيلها تكُنْ من الملوك .

والطرائق وإن إستوت كلها بالدلالة على الله تعالى ، لكنها لم تختلف وتتفاوت بالنسبة لأقربيّة الدلالة والوصول الى الله تعالى . فأقرب الطرائق وأسهلها على المريد للوصول الى أعلى درجات التوحيد هذه الطريقة العلية النقشبندية قدّس الله أسرار سُراتها النديّة . لأن مبناها على التصرف وإلقاء الجذبة المقدَّمة على السلوك من المرشد الداخل تحت وراثته صلى الله عليه وسلم في قوله : "ماصَبَّ الله في صدري شيئاً إلاّ وصببتُهُ في صدر أبي بكر" ، الذي هو واسطة هذا العقد ومؤسس هذا المجد رضي الله تعالى عنه وعلى إتباع السُنّة وإجتناب البدعة والأخذ بالعزائم والتخلّي عن الرذائل والتحلّي بمحاسن الأخلاق والفضائل . وهذا معنى قول إمامنا بهاءالدين الشيخ محمد الأويسي النجاري المعروف بشاه نقشبند قدّس الله سرّه العزيز المعرض على طريقتنا على خطر من دينه ، وقوله رضي الله عنه : "طريقنا أقرب الطرق الى الله تعالى" ، وبه تعلم أن مانقله بعض أهل العصر عن السويدي وأقرّهُ من إعتراضه على السادة النقشبندية بأن قولهم طريقنا أقرب الطرق الى الله تعالى مُشعرٌ بالمكان ساقطٌ من أصله وناشيء من عدم الوقوف على حقيقة طريقة أهله ، فلا يُعَوَّلُ عليه . ولله درّ مولانا العارف الجليل الشيخ ملا عبدالرحمن الجامي النقشبندي حيث يقول من أبيات له فارسية في مدح هذه الطريقة العلية :

نقشبندية عجب قافلة سالا رانند	كه برندازه پنهان بحرم قافله را
أز دل سالك ره جاذبهء صحبتشان	ميبرد وسوسهء خلوت وفكر وچله را
همة شيران جهان بستةء اين سلسلة اند	روبة از حيلة چة سان بكسلد اين سلسلةرا
قاصري كرزند إين طائفة را طعن قصورا	حاش لله كه برارم بزبان إين كله را

وقد عرّبتُها فقلتُ :

للنقشبندية العلم العجيب بما	يحلّ ركب الهُدى بالسرّ في الحرمِ
تمحو بصحبتها عن قلب سالكها	همَّ الرياضات والخلوات بالهممِ
لها سلاسلُ من نظم الأسود فهل	يحتال ثعلبة في حلِّ نَظمهم
ينسُب القاصر الفهم القصور لها	فحاشَ لله أن يجري بذاك فمي

تخلّص

قال العارف الربّاني الشيخ عبدالوهاب الشعراني قدّس الله سرّه العزيز في كتابه "مدارج السالكين":

"إعلم أيها الطالب المريد وفّقنا الله وإيّاك لمرضاته أن مَن لم يَعلَم آباءه وأجداده في الطريق فهو أعمى وربما إنتسب لغير أبيه ، فيدخل في قوله صلى الله عليه وسلم – لعن الله من إنتسب لغير أبيه . وقال سيدي عمر بن الفارض رحمه الله تعالى :

نسبٌ أقربُ في شرع الهوى　　　بيننا من نسبٍ من أبَوَيَّ

وذلك لأن الروح ألصقُ بك من حقيقتك . فأبو الروح يليك وأبو الجسم بعده . فكان بذلك أحقَّ بأن يُنتسب اليه دون أبي الجسم . وقد درَجَ السلفُ الصالح كلّهم على تعليم المريدين آداب آبائهم ومعرفة أنسابهم ، وأجمعوا كلّهم على أنّ مَن لم يصحَّ له نسبٌ الى القوم فهو لقيط في الطريق لا أب له ولايجوز له التصدُّر والجلوس لإرشاد المريدين إلاّ بعد أخذ آداب الطريقة عن شيخ كامل مُجمَعٍ على جلالته وخبرته في الطريق ، ثم يُؤذن له صريحاً بأن يرشد ويُلقّن ويلبسَ الخِرقة على شروط ماكان عليه السلفُ رضي الله عنهم ."

الى أن قال :

"وإعلم ياأخي أنّ السرَّ في التلقين إنما هو لإرتباط القلوب بعضها الى بعض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حضرة الله عزّ وجلّ . وأقلُّ مايحصل للمريد إذا دخل في سلسلة القوم بالتلقين أن يكون إذا حرّكَ السلسلة تُجاوبهُ أرواح الأولياء من شيخه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حضرة الله عزّ وجلّ . فمن لم يدخل في طريقهم بذلك فهو غير معدود منهم ولايجيبه أحد إذا حرّكَ السلسلة . إنتهى" .

فهذا أعظم باعثٍ لي على جمع هذه التراجم من ألسنة سادات العرب والأعاجم ليكون الولد الروحي على بصيرة من أمر والده وجدّه ، فيزداد نشاط همّته وجِدّه .

تمهيد

(إعلم) أن للطريقة العلية الخالدية ثلاث سلاسل أذكرها على طريق التدلّي موافقة لمزاجها العالي .

السلسلة الأولى

هي السلسلة المتصلة من مدينة العلم صلى الله تعالى عليه وسلم الى بابها الأعظم سيّدنا الإمام علي بن أبي طالب الى سيّد الشهداء أبي عبدالله الإمام الحسين الى سيّدنا الإمام زين العابدين عليّ الأصغر الى سيّدنا الإمام محمد الباقر الى سيّدنا الإمام جعفر الصادق الى سيّدنا الإمام موسى الكاظم الى سيّدنا الإمام علي الرضا الى سيّدنا معروف الكرخي الى سيّدنا السري السقطي الى سيّدنا أبي القاسم الجُنَيد البغدادي الى سيّدنا أبي القاسم الكَرَكاني الى سيدنا أبي علي الفارمدي شيخ السلسلة الثالثة . وهذه هي المسمّاة بسلسلة الذهب لإتصالها بآل البيت الأطهار رضوان الله عليهم أجمعين .

السلسلة الثانية

وهي السلسلة المتصلة من روح العالم صلى الله عليه وسلم الى صنوه المكرّم سيدنا علي المرتضى الى سيدنا حسن البصري الى سيدنا حبيب العجمي الى سيدنا داؤد الطائي الى سيدنا معروف الكرخي شيخ السلسلة الأولى ، وعنده تجتمع السلسلتان رضوان الله عليهم أجمعين .

السلسلة الثالثة

وهي السلسلة المتصلة من أبي الأرواح الأكبر الرؤوف الرحيم الأبَرّ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حضرة الصدّيق الأعظم الى سيدنا سلمان الفارسي الى سيدنا القاسم حفيد أبي بكر الصدّيق الى سيدنا جعفر الصادق الى سيدنا أبي يزيد البسطامي الى سيدنا أبي الحسن الخرقاني الى سيدنا أبي علي الفارمدي الى سيدنا يوسف الهمداني الى سيدنا عبدالخالق الغجدواني الى سيدنا عارف الريوكري الى سيدنا محمود الانجيرفَغنوي الى سيدنا الراميتني الى سيدنا الميركلال الى سيدنا محمد بابا السماسي الى سيدنا محمد بهاءالدين شاه نقشبند الى سيدنا علاءالدين العطّار الى سيدنا يعقوب الجرخي الى سيدنا عبيدالله أحرار الى سيدنا محمد الزاهد الى سيدنا الدرويش محمد الى سيدنا محمد المعصوم الى سيدنا سيف الدين الى سيدنا نورمحمد البداوني الى سيدنا الجدّ محمد الخاني الى سيدنا الوالد محمد الخاني رضوان الله عليهم أجمعين . وقد نظمت أسماءهم في قصيدة نبوية تسهيلاً لحفظهم فقلت :

مافام من أرج الفيحاء عاطره	إلاّ ليُظهرَ مايُخفيه خاطرهُ
وكيف يظهرُ أسرار الغرام فتى	يهوى الجياد ولو شُقّت مرائرهُ
صَبٌّ له كبَدٌ حرا لفي كَبد	من نار هجر قد إشتدّت هواجرهُ
يشكو الهوى قلبُهُ شوقاً ويشكرهُ	ذوقاً فما هو شاك منه شاكرهُ
هوى سوى جيرة البيتِ الحرامِ على	قلب المُحبِّ حرامٌ لايجاورهُ

يحلو الحديث عن البيت العتيق له ... كما حَلا البُرءُ من سَقَمٍ تُحاذرهُ
في سفح رامة رامت سفح أدمعه ... نهراً ومَدمَعُهُ ناهيه ناهِرُهُ
أنفُسٌ بهم جادّة جادت بأنفسها ... عشاقهم وإستقلّت ماتؤاثرهُ
غرامٌ أرامهم أقصى المرام له ... مهما به غدروه لايغادرهُ
لاينتهي عنهم أو ينتهي لهم ... قُرباً وإن خاطرت فيه خواطرهُ
أسواق أشواقه راجت تجارتها ... والحبُّ كم أنفق الأرواح تاجرهُ
ياناظم الدُرِّ في شمس وفي قمرٍ ... أقصِر فإنّكَ قاصي الفَهم قاصِرُهُ
لعمر طيبة مافي العمر أطيب من ... شعَر به أمتدحُ المختار شاعرهُ
محمدٌ أحمد الرسل الكرام على ... عرش السيادة ناهي الكون آمرهُ
روح الوجود الذي لولاه لامَلَكٌ ... بدا ولا فلكٌ دارت دوائرهُ
لولاه مابرز الغيب المُغَيّبُ من ... كنز الخفاء ولاإمتازت حظائرُهُ
فالخلق ظاهِرهُ والحقُّ باطنهُ ... والخلق باطنهُ والحقّ ظاهِرهُ
خيرٌ طاعته شرٌّ ضاعته ... نورٌ أوامره نارٌ زواجرَهُ
إذ كل الخير فخيرٌ موردهُ ... وعنه يصدُرُ في الكونين صادرهُ
سرّ الطرائق مابين الخلائق من ... إحسانه سار للأصحاب سائرهُ
فالنقشبندي أقواها وأقومُها ... لأنه عن أبي بكرٍ مصادرهُ
قطبُ الخلافة خيرُ الخلق قاطبةً ... بعد النبيين في الصدقِ وافرهُ
ثم الصحابيُّ شَمسُ الفُرسِ سيّدنا ... سلمان باتكُ هامِ الكفرةِ باترهُ
وقاسم الفقهاء السبعِ أعظمُهُم ... علِماً حفيد أبي بكرَ مؤازرهُ
وأشرف العلماء بل أعظمُ الشُرفا ... الجَعفر الصادق الميمون طائرهُ
والفرد سلطان ملك العارفين أبو ... يزيد طيفور بحر العلم زاخرهُ
وبدر خرقانَ مولانا أبو الحسن ... روح المعارف بادي السرّ بادرهُ
والفارمديُّ إمام الفضل سيّدنا ... أبو عليّ بهيُّ الفضلِ باهرهُ
ويوسف الهمدانيُّ الغوث الأعظمُ مَن ... به إهتدى الكون باديه وحاضرهُ
والغجدوانيُّ عبد الخالق العَلَم ... العالي الذي ترشدُ الأعمى بصائرهُ
وعارفُ الريوكري صبح المعارف مَن ... في نصرة الحقّ لم تُؤمَن بوادرهُ
وصفوةُ الصفوة الراميتنيُّ علي ... وهو العزيز إن إذ عزّت نظائرهُ
والسيد الميركَلال مَن بهمّتهِ ... سَرَت الى الملأ الأعلى أوامرهُ
وقدوة الأولياء بابا محمد ... السماسي حاجب باب العلم ناظرهُ
والنقشبند البهاء الغوث الأعظم مَنْ ... تفنى الدهور ولاتفنى مفاخرهُ
ثمّ الولي علاءالدين سيدنا ... العطّار من عَطّرَ الدنيا عباهرهُ
والحَبرُ يعقوب الچرخيُّ الذي عَقدت ... على ولايته الكبرى خناصرهُ
والمستغاثُ عبيدالله سيدنا ... أحرار ناصحُ هذا الدين ناصرهُ
والزاهد العابد القاضي محمد مَنْ ... في حلبة المجدِ لم تُدرَك ضَوامرهُ
وقبلة الأتقيا الدرويش سيدنا ... محمد طيبَ الأمداد طاهرهُ
والخواجكي كعبة الإرشاد الامكنكي ... مُحيي الطريقة زاهي المجد زاهرهُ

والمفردُ العَلَم الباقي محمد — عالي الشان عالم باقي العصر نادرهُ
وأكبر الأوليا الفاروقي أحمد — مولانا مجدد هذا الألف عامرهُ
ونجله العُروة الوثقى محمد — المعصوم من فازَ باللهث معاصرهُ
وشبلَهُ الغوث سيف الدين وارثهُ — الحَبر حاسم ليل الجهل حاسرهُ
وسيد العلما بالله نور محمد — البداؤني مَن طابت سرائرهُ
والمستجارُ حبيب الله مظهرُ مَن — بالجان جانان تدعوه معاشرهُ
وقبلة القصد عبدالله شاه — غلام الدهلوي عليُّ القَدر فاخَرهُ
وعالم الدهر قطب العصر سيدنا — أبو البَها خالد دامت مآثرهُ
ونخبة الأصفياء الخانيُّ مرشدنا — محمد باهر الإرشاد ماهرهُ
ونجلهُ العالم الصوفيُّ والدُنا — محمد مُظهرُ العرفان ناشرهُ
فهؤلاء همُ السادات قد نظمت — أسماؤهم ضمن سلك هم جواهرهُ
عقدٌ من اللؤلؤ الرطب المنضّد أو — مخلّق تملأ الدنيا بشائرهُ
تضوعت نفحات القوم منه هدىً — كما تضوع من روض أزاهرهُ
وهم كبار الطريق الخالديه إن — عدت أكابره يوماً أصاغرهُ
وهم ملاذُ المسيء المستجير بهم — معاذةً حينما تُلقى معاذرهُ
تحيى القلوب كما تفنى النفوس بما — أوتوا من الذكر نعم العبد ذاكرهُ
فمن توسّل لله بحرمتهم — والقلب منكسرٌ فالله جابرهُ
أمدَّنا الله طول العمر من بركات — لتختم بالحسنى أواخرهُ

وقد تفرّع عن كلّ من هؤلاء السادات العظام فروع عديدة لم آلُ جهداً بحصرها عند ترجمة كلّ منهم على حسب ما بلغَ اليه إطّلاعي مع التدقيق التام ، كما ستجد ذلك في محله إن شاء الله .

إيقاظ

لايخفى أن السلسلة الثالثة هي المشهورة بين مشايخ الطريق الأطهر وهي التي كان يمليها حضرة مولانا خالد قدّس الله سرّه العزيز على الإخوان ويذكر رجالها في دعاء ذكر الخواجكان ، لكن لما كان الكلام على رجال السلسلة الأولى والثانية قليلاً والتقاؤهما بالسلسلة الثالثة قريباً وكانت الأولى مشتملة على آل البيت الكرام ، قدّمتها في الذكر وترجمت رجالها قبلُ حتى أتفرّغ للكلام على رجال السلسلة الثالثة مبسوطاً . كما ستراه بحوله تعالى في هذا السفر .

وصل في فصل

قال في "البهجة السنية" إنّ ألقاب السلسلة تختلف باختلاف القرون . فمن حضرة الصدّيق رضي الله عنه الى حضرة أبي يزيد البسطامي قدّس الله سرّه العزيز تسمّى صدّيقيّة . ومنه الى حضرة رئيس الخواجكان الشيخ عبدالخالق الغجدواني قدّس الله سرّه العزيز تسمى طيفورية . ومنه الى حضرة إمام الطريق الفيض الجاري والنور الساري الشيخ بهاءالدين محمد الأويسي النجاري المعروف بشاه نقشبند قدّس الله سرّه العزيز تسمى خواجكانية . ومنه الى حضرة الغوث الأعظم الشيخ عبيدالله أحرار قدّس الله سرّه العزيز تسمى نقشبندية ، أي منسوبة الى نقشبند ومعناها (ربط النقش) وهو صورة الكمال

الحقيقي بقلب المريد . وكان ذكرهم في الأول الى زمان الشيخ بهاءالدين الملقب بهذا اللقب قدّس الله سرّه العزيز في الإنفراد خفيةً وفي الجمع جهراً . فأمرهم الشيخ المُشار اليه بالخفية بأمرٍ له من روحانية الشيخ عبدالخالق الغجدواني شيخ مشايخه في عالم السَير . فكان يُسرُّ في الذكر إنفراداً وجمعاً هو وجماعته فيصير من ذكرهم كذلك في قلب المريد تأثير بليغ . فكان يُقال لذلك التأثير نقش وذلك الذكر (بند) أي ربط والنقش هو صورة الطابع إذا طُبع به على شمعة ونحوه وربطه بقاؤه من غير محو .

(وقلت) ويؤيد ذلك ماذكره صاحب "مفتاح المعيّة" من أن صفات الله تعالى هي المتوجهة على خلق أدم عليه السلام وبنيه بتوجيه من الذات العلية الأزلية ، حيث لا كيف ولا أين . فظهر أدم عليه السلام وظهر بنوه بعده على صورة مخصوصة مسماة بأسماء المتوجِّه تعالى موصوفة بأوصافه ، لها ذاتٌ يصحّ نسبة ذلك إليها ولها أفعال كما له أفعال ولها أحكام منها على غيرها كما له أحكام كذلك .

فكذلك نقش الذات والصفات والأسماء والأفعال والأحكام ظهر بظهور أدم وبنيه ، ولكن من بنيه مَن محا بعض ذلك النقش بغلبة الحيوانية عليه وضعف الإنسانية الكاملة فيه ، ومنهم من كمل نقشه فيسمى نقشبند أي لازم النقش ومربوط النقش وهذه الكلمة صالحة لغير ذلك أيضاً أه . ومنه الى حضرة مجمع الأسرار والمعاني وقطب الطرائق وغوث الخلائق الإمام الرباني مجدد الألف الثاني الشيخ أحمد الفاروقي السهرندي قدّس الله سرّه العزيز تسمى نقشبندية وأحرارية . ومنه الى جناب المعلى المذكى المصفى المطهر شمس الدين حبيب الله جان جانان المظهر تسمى مجددية . ومنه الى شيخنا -يعني حضرة مولانا خالد قدّس الله سرّه العزيز-تسمى مجددية ومظهرية . ووقع الإصطلاح بين إخوان الطريقة والفلاح على تسميتها منه خالدية الى أن تتصل من محض فضل الله وكرمه وجزيل إحسانه ونعَمه بتوفيقه النجيح على حسب مابَشّر وبُشّر به بعض مشايخ هذه السلسلة بالكشف الصحيح بحضرة المهدي صاحب الزمان عليه الرحمة والرضوان ، لأن هذه الطريقة هي الملايمة المناسبة لما سيكون عليه من الصحو الصدّيقي والرجوع الى البقاء الأتمّ الحقيقي بدعوة الخلق وهدايتهم الى الحق برياستيَ الظاهر والباطن وفتح القلاع والمواطن ، وهي متصلة بحبل الله المتين الى يوم الدين حشرنا الله وإخواننا وأحبابنا تحت لوائهم المنشور الى يوم النشور أمين .

فصل في وصل

إعلم أنّ الإمام بهاءالدين الشاه نقشبند أخذ الذكر الخفي عن روحانية الشيخ عبدالخالق الغجدواني ولم يجتمع معه في عالم الإحساس لأن بين الإمام بهاءالدين والإمام عبدالخالق الغجدواني قدّس الله سرّهما العزيز خمس وسائط من رجال السلسلة العلية كما مرّ أنفاً . وكذلك الشيخ أبو الحسن الخرقاني المتقدم ذكره أخذ الطريقة المَرضية عن روحانية الإمام أبي يزيد طيفور بن عيسى البسطامي قدّس الله سرّه العزيز وذلك في ظهوره له في عالم السَير الى الله تعالى ، فإن الروحانيات تجتمع في ذلك كإجتماعهم في المنام وبعد الممات وهو عالم اللاهوت الخارج عن عالم الأجسام والأرواح ، الخلق كلهم والأحياء والأموات في ذلك العالم منهم يدبّر له الله جسماً في عالم الأجسام وهم الأحياء . ومنهم من لايدبّر له الله شيئاً من الأجسام وهم الأموات ومَن لم ينفخ فيه الروح مما لم يسوَّ جسمه .

ولما كان هذا الأخذ عن الروحانيات نَبهنا عليه ، لأن أبا الحسن الخرقاني لم يجتمع بجسمانية أبي يزيد البسطامي قدّس الله سرّهما العزيز لأن بينه وبينه زماناً بعيداً . فإن أبا يزيد توفي سنة إحدى وستين

ومائتين وقيل أربع وستين ومائتين وأبو الحسن ولد بعده بكثير ، وأبو يزيد قدّس الله سرّه العزيز أيضاً لبس خرقة الطريق ظاهراً وباطناً من روحانية الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه كما تقدم في الشيخ أبي الحسن . وما أشتُهر بين بعض أهل الطريق من خدمة الشيخ أبي يزيد قدّس الله سرّه العزيز للإمام جعفر عليه السلام وصحبته له غير صحيح ، لأن وفاة الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه قبل ولادة الشيخ أبي يزيد قدّس الله سرّه العزيز . وكل مَن أخذ عن الروحانيات يسمى أويسياً في إصطلاح ساداتنا النقشبندية قدّس الله أسرارهم العلية .

(ثم إعلم) أن هذه النسبة الروحانية عند العارفين بالله تعالى أقوى إتصالاً من الجسمانية ، إذ هي من علامة كرامة الحق عزّ وجلّ لعبده . فإن من اصطنعه لنفسه تعالى أذنَ لروحانية أحد أحبابه بتربيته كما وقع لأكابر أهل الله تعالى ، فإن ختم الاولياء المحمديين الشيخ الأكبر محي الدين والعارف الكبير الشيخ عبيدالله أحرار ممن ربته روحانية عيسى عليه السلام والغوث النقشبندية ربّته روحانية الإمام عبدالخالق الغجدواني ، والإمام الرباني ربّته روحانية أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه . فإتصال يدهم بهم إتصال روحاني وهو أقوى من الجسماني ، ولذلك كانت السادة النقشبندية تخصّ هذه السلسلة بالذكر في التلقين دون بقية السلاسل . علماً بأن إتصال الأرواح أشد من إتصال الأشباح وعليه يدندن كل عارف ذائق .

وكما أن للسادة النقشبندية اتصالاً روحانياً بواسطة قطب الأولياء أبي الحسن الخرقاني بسلطان العارفين أبي يزيد البسطامي وبواسطة أبي يزيد به شرف الأئمة جعفر الصادق ، كذلك لهم إتصالات جسمانيات بالسلسلتين السالفتين ويد نسبتهم ولله الحمد متصلة وعروة سلسلتهم لاإنفصام لها روحاً وجسماً وحساً ومعنى ولقدسها . وإن قال بعض المؤلفين أن سلسلة النقشبندية منفصلة ويد نسبتهم غير متسلسلة فإنه منه غرور بقصوره من عدم الاطلاع على سلاسلهم المنظمة ولو وقف على مافي "الفتوحات المكية" و"طبقات الأولياء" للعارفين الشعراني والمناوي في كثرة من رّبتهم روحانية الأولياء الكرام بل الأنبياء العظام من كبار أهل الله لتوقف وماتعسّف . وسأتلو عليك عند ترجمة كل منهم ما فيه زيادة تفصيل لذلك إن شاء الله تعالى وقد آنَ أنُ الشروع في المرام والله المستعان في البدء والختام .

السلسلة الأولى

وهي المسماة بسلسلة الذهب لإتصالها بآل بيت النبوة الطاهري النسب الظاهري الحسب ومعدنها الأصفى حضرة المصطفى المعظم صلى الله عليه وسلم التعين الأول والإنسان الأكمل محمد خاتم الرسل الكرام عليه أفضل الصلاة وأتمّ السلام . ماذا يقول هذا العبد في مقام سيد المرسلين الذي لولاه لما عُرف رب العالمين ولا نُسجت نسخة عن العالم على منوال التكوين :

وإنْ قميصاً خيطَ من نسج تسعة وعشرين حرفاً عن علاه قصير

ولكن تيّمناً بذكر نبذة من سيرته الشريفة وأحواله وأقواله المنيفة التي هي أكبر من أن تحصى أو تُحصر في كتاب أوردت ما قاله العارف المناوي في ذلك مرتّباً على ثمانية أبواب .

الباب الأول:

في نسبه الأقدس وسيرته من ولادته
الى وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم

هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب إبن فهر بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وهذا مُجمَعٌ عليه ورفع نسبه الى أدم كرههُ الإمام مالك وغيره لعدم ثبوته .

(ولد) صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة في شهر ربيع الأول يوم الإثنين عام الفيل ورأت أمه السيدة أمنة إذ وضعته نوراً خرج منها أضاءت له قصور بصرى . ووقع وبصره مرتفع الى السماء وتوفي والده المكرّم وعمره الشريف عامان وثلث ، وقيل كان حملاً . وأرضعته ثويبة جارية عمه أبي لهب وبعدها حليمة السعدية فأقام عندها في بني سعد أربعة أعوام . فأتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام فشقّ صدره فخافت عليه فردّتهُ الى أمه . فخرجت به الى المدينة المنورة لزيارة أخواله فمرضت وهي راجعة به فتوفيت ودُفنت بالأبواء وعمره نحو ست سنين .

فحملته أم أيمن الى جده عبدالمطلب في مكة المكرّمة زادها الله شرفاً . فكفله الى تمام ثمان سنين ثم توفي وقد أوصى به الى عمه أبي طالب فافتخر بشرف كفالته وتربيته . وأمر الله سبحانه وتعالى إسرافيل عليه السلام بملازمته بطريق المرافقة والمقارنة والحفظ ، ولكن لم يظهر له ولم يكلّمهُ . وسافر مع عمّه الى الشام حتى وصل بصرى فرأى (بَحيرا) الراهب منه علامات النبوّة . فقال لعمّه إرجعْ به لئلا يقتله اليهود وكان سنّهُ الشريف إثنتي عشرة سنة . ثم سافر الى الشام مع ميسرة غلام السيدة خديجة الكبرى رضي الله عنها في تجارةٍ لها فباع وإشترى . فرأى ميسرةَ منه العجائب وماخُصَّ به من المواهب . فأخبر السيدة خديجة فخطبته فتزوجها وهو إبن خمس وعشرين وهي بنت أربعين وصار يُدعى بالأمين . فلما تمَّ له خمسٌ وثلاثون سنة بَنَتْ قريش الكعبة المطهّرة فاختلفوا فيمن يضع الحجر الأسود محلّه ، وتنازعوا ثم رضوا بأنه هو الذي يضعه ، فوضعه بيده المباركة . وصار من يومئذ يسمع صوتاً ولايرى شخصاً ، ثم صار يرى نوراً . ولما قرُبَت أيام الوحي أحبَّ الخَلوةَ والإنفراد . فكان يختلي في جبل حِرا بالذِكر وزَعْم انه بالفكر لا إلتفات اليه ، لأن خلوة طلاّب طريق الحقّ على أنواع :

الأول : أن تكون لطلب مزيد علمٍ من الحق لا بطريق النظر والفكر وهذا غاية مقاصد أهل الحقّ ، لأن مَن خاطبَ في خلوته كوناً من الأكوان أو فكّرَ فيه فليس في خلوة . قال رجل لبعض الأكابر أذكرني عند ربّك في خلوتك ، قال إذا ذكرتك فلست معه في خلوة . وشرط هذه الخلوة أن يذكر بنفسه وروحه لا بنفسه ولسانه .

الثاني : أن تكون خلوتهم لصفاء الفكر ليصحّ نظرهم في طلب المعلومات . وهذه لقوم يطلبون العلم من ميزان العقل ، وذلك الميزان في غاية اللطافة وهو بأدنى هوى يخرج عن الإستقامة . وطلاّب طريق الحقّ لايدخلون هذه الخلوة بل خلوتهم بالذِكر وليس للفكر عليهم سلطان ، ومهما وجد الفكر طريقاً الى صاحب هذه الخلوة فليعلم أنه ليس من أهلها . إذ لو كان من أهلها حالت العناية الإلهية بينه وبين دوران رأسه بالفكر .

الثالث : خلوة لدفع الوحشة من مخالطة غير الجنس والشغل بما لايعني .
الرابع : خلوة تطلب زيادة توجد فيها .

وخلوة حضرة صاحب الرسالة من النوع الأول . فكان بعيداً من المخالطات حتى من الأهل والمال وإستغرق في بحر الأذكار القلبية . فإنقطع عن الأضداد بالكلّية وظهر الأنس والجلوة بتذكّر مَن له الخَلوة . ولم يزل في ذلك الأنس ومرآة الوحي تزداد من الصفا والصقال حتى بلغ أقصى درجات الكمال والمُراد . فظهرت تباشير صبح الدُجا وأشرقت بروق السعادة وتألقت فصار لايمرُ بشجر ولاحجر إلاّ قال بلسان فصيح "السلام عليك يارسول الله" فينظر يميناً وشمالاً فلايرى شبحاً ولا خيالاً . فبينما هو كذلك وذلك عند مضيّ أربعين عاماً من عمره قائم على جبل حرا إذا ظهر له شخص قال أبشر يامحمد أنا جبريل وأنت رسول الله لهذه الأمة ، ثم أخرج له قطعة عطاً من حرير مرصّعة بجوهر . فوضعها في يده وقال له إقرأ . فقال ماأنا بقاريء . فضمّهُ وغطّهُ حتى بلغ منه الجهد ثم قال له إقرأ . فقال ماأنا بقاريء . فغطّهُ كذلك ثلاثاً ثم قال له "إقرأ بإسم ربّكَ الذي خلق" الى قوله "... ما لم يعلم" . ثم قال إنزل من على الجبل . فنزل معه الى الأرض فأجلسه على درنوك أبيض وعليه ثوبان أخضران ، ثم ضرب برجله الأرض فنبعت عين ماء . فتوضأ جبريل وأمره أن يفعل كفعله . ثم أخذ كفاً من ماء فرشَّ به وجه الرسول ثم صلّى به ركعتين وقال الصلاة هكذا وغاب .

فرجع محد صلى الله عليه وسلم الى مكة وقصّ على خديجة ذلك وقال قد خشيت على نفسي ، فثبّتتهُ وصدّقته فكانت أول من آمن به ، ثم أتت به ورقة بن نوفل فقصّ عليه ما رأى . فصدّقه فكان أول رجل آمن وقال : هذا الناموس الذي أُنزل على موسى ليتني أكون حياً إذ يُخرجُكَ قومكَ .
قال : أوَمُخرجيَّ هم ؟
قال : ماجاء أحد بمثل ما جئتَ به إلاّ عوديَ .

ثم أسلم سيدنا أبو بكر وسيدنا عليّ رضي الله عنه ، ثم أقام بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس الى الدين . وكان يستقبل في صلاته بيت المقدس ثم بعد الهجرة حُوِّلَت القبلة للكعبة .

ولما كثُرَ المسلمون أتُّخذَ دار الأرقم فإختفوا فيه ثلاث سنين ، ثم أُمر بإظهار الدين فدعا الى الإسلام جهراً وأنزل الله القرآن فتحدّاهم بسورةٍ منه فلم يقدروا . فمن قائل هذا سحر ومن قائل في أذني وقر . وأقرَّ الوليد بن المغيرة وعُقبة والأخنس وأبو جهل بأنه غير مُفترى وانه ليس من كلام البشر لكن غلبت عليهم الشقوة . وإستهزأ به جماعة فأهلكوا وكفاه الله شرّهم . ولما فشا الإسلام مشى كفار قريش الى عمه أبي طالب وشكوا ما سمعوا منه من سبٍّ آلهتهم وذمٍّ دينهم وتكرر ذلك وهو يذُبُّ عنه . وفي آخر المرار قالوا أعطنا محمداً نقتله وخُذ بدلهُ عمارة بن الوليد فتبنّه . فقال أكفل إبنكم وأعطيكم إبني ليُقتل هذا لايكون . فمضى يجهر بالتوحيد فأجمعت قريش أن يقولوا ساحر وقعدوا بالطريق أمام الموسم يحذّرون منه الناس فإفترقوا وقد شاع أمره وسار ذكرهُ . فأخذوا في إيذائه وتعذيب مَن أسلم وطلبوا منه آية . فأراهم إنشقاق القمر فزاد الذين آمنوا إيماناً والكفار طغياناً .

ولما إشتدَّ على المسلمين البلاء هاجر جمع منهم للحبشة فأقاموا بها خمس سنين ثم بلغهم إسلام قريش ، فعادوا فوجدوه باطلاً فرجعوا فعظُمت معاداة قريش له ولصحبه . فكتبوا كتاباً أن لايُناكحوا بني هاشم ولايوالوهم ولايبايعوهم ولا ولا... وعلّقوه بالكعبة وحصروهم بالشعب ثلاث سنين حتى إشتدّ بهم البلاء وسُمعت أصوات صبيانهم يتضورون من الجوع . وأطلع الله نبيّه على أنّ الأرضة أكلت ما في الصحيفة

من جور وظلم وبقي ذكر الله . فأخبرهم فأخرجوها فوُجدت كذلك وشُلَّت يد كاتبها .

فقام رجال من الكفار في نقضها فلبسوا السلاح وأخرجوهم . ثم مات عمه أبو طالب ثم خديجة فحزن لذلك . ثم بعد عام ونصف سُريَ به من مكة للقدس على ظهر البُراق ثم علا الى السماء ومعه جبريل . فأتى الأنبياء كلاً واحد في سماء ففرحوا به ، ثم علا الى مستوى سمع فيه صريف الأقلام بالأقدار . ثم دنا فتدلّى ففرض الله عليه وعلى أصحابه خمسين صلاة فلم يزل يراجعه ويسأله التخفيف بإشارة من موسى عليهما الصلاة والسلام حتى جعلها خمساً . فلما رجع أخبرهم فصدّقه الصدّيق وكذّبه الكفار وسألوه عن صفة بيت المقدس ولم يكن رآه من قبل ، فرفعه اليه جبريل حتى وصفه لهم فلم يمكنهم تكذيبه لكن جحدوا عناداً .

ولما إشتدّ الأذى للمصطفى صلى الله عليه وسلم عرض نفسه على القبائل يطلب من يؤويه ويحميه ليبلّغ رسالة ربّه فكل منهم يُعرض ويهزأ به حتى أتاح الله له الأنصار فصار الواحد منهم يسلم فتُسلِم معه جميع عشيرته . ففشا الإسلام بالمدينة فهاجر اليها المسلمون وأراد أبو بكر أن يهاجر فمنعه حتى هاجرا معاً . فخرجا الى غار ثور ومعهما عامر بن فُهيرة يخدمهما وابن أُريقط يدلّ على الطريق . فسلكوا طريق الساحل وأعمى الله عنهم العدو فرآهم سُراقة فتبعهم يريد قتلهم . فدعا عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم فساخَت فرسه في الأرض فناداه "الأمان يامحمد" فدعا له فخلص وحلف أن لايدلّ عليه . فرجع فلقيهُ الكفّار يطلبونه ، فقال إرجعوا فقد إستبرأتُ لكم . ثم مرّوا بخيمة أم معبد فإستسقوها لبناً فقالت ماعندي . فنظر النبيّ صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة ، فقال ما هذه ؟ قالت أضرّ بها الجهد وما بها لبن . فمسح ضرعها فحلبت وشربوا .

وسافروا حتى وصلوا الى قِباء يوم الإثنين من ربيع الأول فأقام بها أربعاً وعشرين ليلة ثم رحل يوم الجمعة ، فأدركته صلاتها في الطريق فصلاها بالمسجد المشهور وهي أول جمعة صلاها . ثم إرتحل للمدينة فبركت ناقته بمحل مسجده الآن . فنزل بدار أبي أيوب حتى بنى مسجده ومنازل زوجاته وبنى صحبه حوله . وكانت المدينة كثيرة الوباء فزال بدعائه ونقل الله منها الحمى الجحفة . فأقام بها شهراً ثم نزل عليه إتمام الصلاة أربعاً وأقام من ربيع الأول الى صفر يبني مسجده .

وفي هذا العام كان إبتداء الأمر بالأذان وفي الثاني فرض الصوم وزكاة الفطر والمال وحُوّلت القبلة للكعبة وغزا بدراً ، وفي الثالث أُحُداً ، وفي الرابع بني النضير وقُصِّرت الصلاة وحُرِّم الخمر وشُرع التيمم وصلاة الخوف ، والخامس الخندق وبني قُريظة والمصطلق ، والسادس عُمرة الحديبية وبيعة الرضوان وفرض الحج ، والسابع خيبر وعمرة القضاء ، والثامن وقعة مؤتة وفتح مكة وحُنين ، والتاسع تبوك وحجة الصدّيق ويسمى عام الوفود ، والعاشر حجة الوداع والحادي عشر وفاته صلى الله عليه وسلم .

الباب الثاني

في صفاته الظاهرة

كان صلى الله عليه وسلم رَبعَةٍ لا بالطويل ولا بالقصير لكنه الى الطول أقرب . بعيد ما بين المنكبين أزهر اللون عظيم الهامة واسع الجبين أزجُّ الحاجبين أبلج ما بينهما كأن ما بينهما الفضة المخلّصة ، أدعج العينين فيهما تموج من حُمرة مفلَّج الأسنان يفتُرُ عن مثل حبِّ الغَمام ، شَعرهُ غير جَعد ولاقَطط بل وسط . أحسنُ الناس عُنُقاً لايُنسب الى طول ولا قِصر ما ظهر من عنقه للشمس والريح كأنه بريق فضة مشرّبٌ ذهباً ، عريض الصدر لايعدو لحم بعض بدنه بعضاً كالقمر في بياضه موصول ما بين لبته وسرّته بشعر كالقضيب ليس في صدره ولا بطنه غيره وله عكَنٌ ثلاث يغطي الإزار منها واحدة وتظهر إثنتان .

(وكان) عظيم المنكبين أشعرهما ضخم رؤوس العظام واسع الظهر بين كتفيه خاتم النبوّة مما يلي منكبه الأيمن فيه شامة سوداء تضربُ الى صُفرة وحولها شعرات متوالية كأنها عُرفُ فرس ، عَبلُ العضُدين والذراعين طويل الزندين رحب الراحة سايل الأطراف كأن أصابعه قضبان فضّة ، كفّه أليَنُ من الحرير كأنه كفُّ عطّار يضع يده على رأس الصبيّ فيُعرَفُ من بين الصبيان بريحها على رأسه ، عَبلُ ما تحت الإزار من الفخذ والساق معتدل الخلق في السمن بَدنَ في آخر عمره . وكان لحمه متماسكاً يكاد يكون على الخلق الأول يضرّه السن .

(كان) يمشي كأنما يتعلّق من صخر وينحط من صبب يخطو تكفياً ويمشي هوناً بغير تبختر ، إذا إلتفتْ إلتفتَ جميعاً ولايلوي . عنقهُ كاللؤلؤ في البياض والمِسك في الريح يقول ناعِته لم أرَ قبله ولا بعده مثله .

الباب الثالث

في صفاته الباطنه وأخلاقه

الطاهرة وآدابه الباهرة

قد زيّنه الله تعالى بالخُلُق الكريم ثم أضاف اليه ذلك فقال سبحانه وتعالى (وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم) .
(فمن مكارم أخلاقه ومحاسن آدابه) أنه كان أحلَم الناس وأشجعهم وأعدلَهم وأعفَّهُم وأجودَهم لايبيت عنده درهم ولا دينار وإن فضُلَ ولم يجد من يعطيه ولجأهُ الليل لايأوي الى منزله حتى يبرأ منه الى مَن يحتاجه . وماسُئل قط فقال لا . وأصدقهم لهجة وأشدّهم تواضعاً وأليَنهم عريكة وأكرمهم عشيرة وأعظمهم حياء ولايثبت بصره في وجه أحد . أسكَتُ الناس في غير كِبَر وأفصحهم وأبلغهم في غير تطويل ، يقبل الهدية ولو جرعة لبن ويكافيء عليها بأكثر ويأكلها ولايأكل الصدقة . يغضبُ لربِّه لا لنفسه ، ينفّذ الحق وإن عاد بالضرّ عليه ، نظرهُ الى الأرض أكثر من نظره الى السماء ، خافض الطرف مَن رآه بديهة هابَهُ ومَن خالطه معرفةً أحبّهُ . رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يُعرف في وجهه غضبه ورضاه ، وإذا أهمل أمراً أكثَرَ من مَسّ لحيته ، يتكلم بكلام بيّن فصلٍ يحفظه مَن سمعه ويعيد الكلمة ثلاثاً أحياناً ليُعقلَ عنه .

(وكان) متواصل الأحزان دائم الفكر ليست له راحة لايتكلم في غير حاجة ، كثير البكاء والضراعة يمشي مع المسكين والأرملة لقضاء حوائجهما ويخصف نصف نعله ويرقّع ثوبه ويحلب شاتهُ ويخدم أهله ويمشي منتعلاً وحافياً ، ويعود المرضى حتى بعض الكفار وأهل النفاق ويشهد الجنائز ، ويزور قبور المؤمنين ويسلم عليهم ويستغفر لهم ، ويركب الفرس والبعير والحمار بأكاف وعرياً لكن أكثر ركوبه للأوَّلَين ، وأما البغل فكان قليلاً في بلاد العرب لكن أُهدي له فركبه . ويركب منفرداً ويُردف أحياناً خلفه عبده وزوجته وغيرهما . ويجالس الفقير ويؤاكل المسكين ويُكرِم أهل الفضل ويتألف أهل الشرف ، فكان يتواضع لأكابر الكفّار للتألف ولكونهم مظاهر العزّة الإلهية ، ويقول إذا أتاكم كريم فأكرموه . ولايواجه أحداً بما يكرهه ويمزح ولايقول إلاّ حقاً ويوري ولايقول في توريته إلاّ صدقاً ، ويجلس للأكل مع العبيد ويأتي الى بساتين إخوانه إكراماً . ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس لايهوّله شيء من أمر الدنيا ، لايحقّر مسكيناً لفقره ولايهابُ ملكاً لمُلكه يدعو هذا وهذا الى الله دعاءً واحداً . وقيل له أدع على الكفّار فقال إنما بُعثتُ رحمة ، اللّهم إهدِ قومي فإنهم لايعلمون . لم يكن فَحّاشاً ولا لَعّاناً ولا بخيلاً ولا جباناً ولا صخّاباً في الأسواق . يختار أيسر الأمور ولايضحك إلاّ تبسماً يعجَبُ مما يعجبُ له جلساؤه ويضحك مما يضحكون ، ويذكرون ما كان منهم في الجاهلية فيتبسّم . وقد وسع الناس خلقهُ فهم في الحق عنده سواء . وما إنتهر خادماً ولا قال له في شيء لم صنعته ولا في شيء تركه لمَ تركتهُ ، بل يقول لو قُدِّرَ كان . ولا ضربَ بيده أحداً إلاّ في الجهاد ، مجلسه مجلسُ حُلُم وصبر وحياء ، مَن فاوضهُ لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف ، وما أخذ أحد بيده فيرسلها حتى يرسلها الآخر ، ولايجلس إلاّ على ذكر الله وكان أكثر جلوسه مستقبلاً محتبياً بيديه .

(وكان) حسن العشرة لأزواجه ويسوّي بينهن في الإيواء والنفقة وأما المحبة فيقول اللّهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما لاأملك يعني المحبة والجماع . وكان يبدأ من لَقيهُ السلام حتى الصبيان ويؤثر الداخل بوسادته ويبسط له ثوبه فإن أبى عزم عليه حتى يفعل ، ولايقول في الرضا والغضب إلاّ الحق . وإذا وعظَ إحمرّت عيناه وعلا صوته كأنه منذر جيش وإذا سُرَّ إستنار وجهه كأنه قطعة قمر .

(وكان) يقدّم أصحابه أمامه ويمنع أن يمشي أحد خلفه ويقول خلّوا ظهري للملائكة ، ولايجزي سيئة بمثلها بل يعفو ويصفح . جمعَ الله له السيرة الفاضلة والسياسة التامة الكاملة ، وهو أميّ لايكتب ولا يقرأ ، نشأ ببلاد الجهل فعلمه الله مكارم الأخلاق وأدّبه فأحسن تأديبه .

فصل

وكان خُلُقُهُ في الطعام أنه يأكل ما وجد ولايتكلّف ما فقد ، وإذا حضر طعام لايردّهُ ، وما عاب طعاماً قط بل إن أعجبه أكله وإلاّ تركهُ . وأكلَ لحم الإبل والغنم والدجاج والسمك والرطب والتمر ، وشرب اللبن حليباً وممزوجاً ، وأكل الخبز بتمر والخبر بخلٍّ والخبز بشحم وكبد الغنم شوياً والقديد والدبا وكان يحبّها ويتتبعها من جوانب القصعة ، والجبن والثريد والخبز بزيتٍ والخبز بزبد ، وإذا لم يجد شيئاً صبر حتى شدّ الحجر على بطنه . وكان أحياناً لايجد مايملأ بطنه من الدقل . وكان يأكل لحم الطير الذي يصادفه ولايتبعه ولايصيده .

(وكان) إذا أتى طعامه بسطَ السفرة على الأرض ووضعه عليها ، ولم يأكل على خوان ولا في سكرجة . ويأكل في ثلاث أصابع وربما إستعان بالرابعة ، وينهى عن الأكل بإصبع وقال أكل الشيطان وبإثنين وقال أكل الجبابرة . ويأكل اللقمة الساقطة ويقول لاندعها للشيطان ، ويتبع ماسقط من السُفرة ويقول مَن فعل غُفر له . وكان يسمي الله أول طعامه وإذا فرَغَ حمده ولايأكل متكئاً بل مقعياً ويقول : "أكلُ كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد" . وكان يحب اللحم ويعجبه الذراع وسُمَّ فيه ، والعجوة والعسل والحلوى وأحبّ الفاكهة اليه العنب والبطيخ .

(قال الغزالي) وكان يأكل البطيخ بخبزٍ ويستعين بيديه جميعاً وربما أكل العنب خرطاً . وكان أكثر طعامه التمر والماء . وكان يحُب الهندباء والبقلة الحمقا وهي الرجله وكان يعافُ الضبّ والطحال ولا يحرّمهما . وأُتيَ بلبن وعسل في إناءٍ فردّهُ ، وقال :"أدَمان في إناء لاآكله ولاأحرّمه لكني أكره الفخر" . وكان في بيته يقوم ويأخذ ما يأكل بنفسه وما إشتهى على أهل بيته طعاماً ولا إقترحه . وكان لايأكل وحده ، ولايجمع بين سمك ولبن ولا بين لبن وشيء من الحوامض ، ولا بين غذاءين حارّين ولا باردين ولا قابضين ولا مُسهلَين ولا غليظين ولا بين لحم مشوي ومطبوخ وقديد ، ورطب وحليب ولحم . ولا يأكل طعاماً حاراً ولايابساً ولا ما فيه عفونة كالملوحات . وكان يدفع ضرر بعض الأطعمة ببعض كتمرٍ بزبد أو بطيخ أو قثّاء برطب وينقع التمر ويشرب ماءه لهضم الطعام . وأمر أن يؤكل ما تيسر قبل النوم وأن لايُؤكل الخبز وحده . ونهى عن النوم عقب الأكل وقال : "أذيبوا طعامكم بذكرٍ ولاتناموا عليه فتقسوَ قلوبكم" . وكان يشرب في ثلاث أنفاس ويمصُّ الماء مصّاً ولايعبُّ ويقول : "الكباد من العَبّ" ولايتنفس في الإناء ويشرب قاعداً غالباً ويشرب قائماً لعذر ويكره الحار وإذا شرب دفع البقية لمن عن يمينه وإن كان مَن على يساره أشرف أو أسَنّ قال لصاحب اليمين : "الشَربةَ لك فإن شئتَ آثرتهُ" .

فصل

وأما خُلقُهُ في اللباس فكان يلبس ما وجد كتاناً أو صوفاً أو قطناً ، والغالب القطن قميصاً أو رداءً أو إزاراً أو غيرهما ، وكان يحب الثياب الخضر . ولبس البُردة والحبرة والجُبّة والحلة الحمراء والقبا والثوب الساذج والأسود والفرو المعلّم على أطرافه بسندس . وكان أحبَّ الثياب اليه القميص وفي خبرٍ ضعيف انه لبس السرواك ولبس جبة خسروانية مفرجة عليها سجفٌ من ديباج والطيلسان حال الحر كما في اليوم الذي أُمر

فيه بالهجرة . وكان له ثوبان للجمعة ، وبُرد أخضر للعيد ، ويلبس العمامة البيضاء والسوداء والأكثر البيضاء بغير قلنسوة وبها وبقلنسوة بغير عمامة ويجعل لها غالباً عذبةً بين كتفيه ولم تكن عمامة كبيرة تؤذي الرأس ولاصغيرة تقصر عن وقاية الحرّ والبرد ولم يتحرر في طولها وعرضها شيء ، وما وقع للطبري من أن طولها سبعة أذرع وأنها من صوف لم يثبُتْ . وكان له عمامة تسمى السحاب فوهبها لعليّ ، فكان إذا قدم فيها يقول أتاكم عليّ في السحاب . وكانت ثيابه كلّها فوق الكعبين وربما جعلها لنصف الساق ، ويلبس ثوبه من ميامنه وينزعه بالعكس ، ويقول عند لبسه الحمد لله الذي كساني ماأ ستر به عورتي وأتجمّل به ، وإذا لبس جديداً أعطى الخلقَ مسكيناً . وكان له ملحفة مصبوغة بزعفران أو ورس .

وكان له خاتم من فضة وفصّهُ منه ونَقشهُ محمد رسول الله . وكان يتختّم في خنصر يمينه ويساره لكن اليمين أكثر ، ويلبس النعال والسبتيّة والتاسومة والخُف . وكان فرشهُ من أدم حَشوهُ ليف طوله ذراعان وشيء وعرضهُ ذراع ونحو شبر . وكان له عباءة تُفرش له حيثما إنتقل يثني طاقة تحته ، وربما نام على حصير وعلى الأرض جرداً ، وما عاب مُضطَجَعاً قط إن فُرش له إضطجع وإلاّ نام على الأرض . وكان يحبُّ الطيب وإذا عُرض عليه لايردّهُ . ويكره الريح الكريه ويتطيب بغالية ومسك وسك ويتبخّر بكافور وعود ويكتحل بالإثمد ثلاثاً في كلّ عين . وكان له جوارٍ وعبيد وعتقاؤهم من الغلمان أكثر . وكان يبيع ويشتري لكن الشراء بعد البعث أغلب ، وبعد الهجرة لم يحفظ البيع إلاّ في ثلاث صور والشراء كثير ، وأجر وإستأجر والإستئجار أغلب . وأجرَ نفسه قبل النبوّة لرعي الغنم ولخديجة للإتجار ، وشارك ووكّل والتوكيل أكثر ، وأُهديَ له وقبل وعُوّض ووُهب له وقبل ، وإستعار وإشترى بنقدٍ وبنسيئة ، ضمن عن الله ضماناً خاصاً وعاماً ، وشفع وشُفع اليه وشفع لعبدٍ عند إمرأة فلم تقبل ولم يغضب .

وكان يُكثر القَسَم بالله والثابت منه يزيد على ثمانين موضعاً . وكان أكثر دعائه "يامقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك" . وكان يسمع الشعر من الشعراء ويعطيهم ويهبهم الخلَعْ لأن كلّ ما قالوه ويقولونه الى يوم القيامة قطرة من بحر كماله ، فعطاؤه لهم على قول حق وأما مدح غيره فغالباً زور وبهتان وكذبٌ صُراح ولا جرم ، قال احثوا في وجوه المدّاحين التراب ، فزعم التدافع غلط . وسابَقَ على قدميه وصارعَ وطلّق وآلى وزعمُ انّهُ ظاهَرَ قبيح ، وضاف وأضاف وداوى وتداوى بأدوية مفردة ومركّبة ورَقَى وإسترقى وحذّر من التخمة وكثرة الأكل وعالج الأمراض بالأدوية الطبيعية والإلهية .

في معجزاته وهي كثيرة

منها أنه إنشقَّ له القمر ، ونبعَ الماء من بين أصابعه فشرب العسكر كلّهم وتوضأوا من قدح صغير ضاق عن بسط يده فيه . وحَنَّ اليه الجذع الذي كان يخطب اليه لمّا فارقه للمنبر حتى سمع منه الناس كصوت الإبل فضمّه اليه فسكن . وزويت له الأرض ، وسبّح الحصى في كفّه والطعام بحضرته ، وكلّمه الذراع ، وشكا اليه البعير ، وسلّمت عليه الغزالة ، وشهد الذئب بالنبوّة . وسعت اليه الشجر من مغارسها ، وندرت عين قتادة فردّها فكانت أحسن عينيه . وتفل في عين عليّ وهو أرمد فبرئت ولم يرمد بعد . ومسح رجل إبن أبي عتيك لما إنكسرت فصحّت ، وأخبر أنه يقتل أُبَيّ بن خلف فخدشه يوم أُحُد خدشاً يسيراً جداً فمات . وعَدَ يوم بدر مَصارعَ الكفّار قبل الوقعة فقُتل كلّ منهم فيما عيّنهُ . وقال في عثمان تصيبه بلوى عظيمة فكان ما كان . وأخبر بمقتل الأسود العنسي في صنعاء ليلة قتلهِ وبأن كسرى قُتل بفارس في يوم قتله . ودعا لعليّ بذهاب الحرّ والبرد فلم يحسّ بهما بعد ، ولإبن عباس بالفقه في الدين وعلم التأويل فصار بحراً ولأنس بكثرة المال والولد وطول العمر فرُزق مائة ولد وعاش مائة سنة وصارت نخله تحمل في العام مرتين .

ودعا على عُتبة بن أبي لهب فقال : "اللّهم سلّط عليه كلباً" من كلابك فأكله الأسد . وأطعم ألفاً في غزوة الخندق من أقل من صاع . ورمى الكفّار يوم حُنَين بقبضة من تراب فإمتلأت أعينهم منها وإنهزموا . وأخبر أن عماراً تقتله الفئة الباغية فقتله جيش معاوية . وخرج على مائة من قريش ينتظرونه ووضع على رؤوسهم تراباً فلم يروه . وقال لنفرٍ من صحبه مجتمعين أحدكم في النار فأتوا كلّهم مسلمين إلاّ واحد إرتد وأُطعمَ السُمّ فمات الذي أكل معه وعاش هو أربع سنين . وأنذر بأن طوائف من أمته يغزون البحر فوقع . وأخبر بأن فاطمة أول أهله لحوقاً به فكان ، وبأن أطول نسائه يداً أسرعهن لحوقاً به فكانت زينب أطولهن بالصدقة وأولهن لحوقاً به . ومسح ضرع شاة حامل فدَرَّت . وجاءه الحَكَم بن العاصي مستهزئاً فقال كذلك كُنْ فلم يزل يرتعش حتى مات . وخطب إمرأة فقال أبوها بها برص إمتناعاً عن إجابته ولم يكن بها ، فقال فلتكن كذلك فبرُصَت حالاً .

الباب الخامس

في خصائصه

وهي أنواع:

الأول : الواجبات عليه وهي الضحى والوتر وراتبة الصبح والأُضحية والسواك ومشاورة العُقلاء وتغيير منكرٍ مطلقاً ومُصابَرة العدو في الحرب وإن كَثُر وقضاء دَين ميت مسلم مُعسراً وطلاقُ كارهَتِه وتخيير زوجاته بين الطلاق والمُقام والتهجّد ثم نُسخ .

الثاني : المحرّمات وهي الصدقة ولو نفلاً والكفّارة وتعلّم الخط والقراءة والشعر وروايته ، ونزع لامّته إذا لبسها قبل القتال ومدُّ عينيه لمتاع غيره والإيماء الى فعل مُباح كقتل وضرب مع إظهار خلافه وتزوّج الكتابية والأَمَة والمَنّ ليستكثر .

الثالث : المباحات وهي التزوّج فوق تسع وتزوّجه مُحرِماً ولو بلا وليّ وشهود بلفظ الهبة إيجاباً لا قبولاً ، ووجوب إجابته على إمرأة خليّة رغب فيها وتزوّجه مَن شاء بماشاء ومن نفسه متولّياً الطرفين . ومكثه بالمسجد جُنُباً وإدامة قضاء نافلة وقت الكراهة والوصال . وأخذ صفي المغنَم والغنيمة وخُمس خُمسها مع سهمه كغانم . وشهادته لنفسه ولفرعه وحكمه لهما وجواز الشهادة له بما إدّعاه مع عدم علم الشاهد . وشهادته كإثنين وحمى الموات لنفسه وأخذ طعام وشراب إحتاجه المحتاج اليه . ولاينتَقِض طُهرُهُ بالنوم وكذا الأنبياء .

الرابع : الإكرام فمن ذلك تحريم زوجاته على غيره وسرائره وأنه خاتم الأنبياء وأفضلهم وأنه أول من تنشَقُّ عنه الأرض ومَن يقرع باب الجنّة ومَن يدخلها ثم يدخلها الأنبياء ، وأول شافع ومشفع وأُرسل الى الثقلين وأقسم الله بحياته . وكان لاينام قلبه ويرى مَن خلفهُ ويبصر في الظلمة كما يُبصِر في الضوء ولا فَيء له في شمس ولا قمر ولايقع الذباب على جسده وأجر تنفُّله بالصلاة كقائم ويخاطبه المصلّي في تشهّده . وتلزمه إجابته ولاتبطُل ويُحرّم رفع الصوت عنده ونداؤه باسمه من وراء الحُجُرات والتكنّي بكنيته ولايُورَث .

في كلامه

وهو لايحصيه إلاّ الله تعالى لكن نتبرّك بمائة حديث منه بعضها صحيح وبعضها حسن وبعضها ضعيف يُعمل به في الفضائل :

(قال عليه الصلاة والسلام) الأجر على قدر النصب . (وقال) مَن عادى لي ولياً فقد أذنته بالحرب . (وقال) إتخذوا عند الفقراء أيادي فإن لهم الدولة يوم القيامة . (وقال) كُن في الدينا كأنك غريب أو عابر سبيل وعُدَّ نفسك من أهل القبور . (وقال) كونوا في الدنيا أضيافاً وإتخذوا المساجد بيوتاً عوّدوا قلوبكم الرِّقة وأكثروا التفكّر والبكاء . (وقال) كم من مُستقبلٍ يوماً لايستكمله ومنتظرٍ غداً لايبلغه . (وقال) كما تُدينُ تُدان . (وقال) إبن آدم لك ما نويت وعليكَ ما إكتسبت وأنتَ مع مَن أحببت . (وقال) قُل الحق وإن كان مُراً . (وقال) يسّروا ولاتُعسّروا وبشِّروا ولاتنفّروا . (وقال) كلٌّ مُيسَّرٌ لما خُلق له . (وقال) حُسنُ الجوار عمارة الدنيا وزيادة الإعمار ومَن آذى جاره أورثه الله داره . (وقال) لاتُظهر الشماتة بأخيك فيرحمهُ الله ويبتليك . (وقال) لايُغني حذَرٌ من قَدَر . (وقال) إحفظ الله يحفظك إحفظ الله تجده أمامك ، إذا سألت فاسئل الله وإذا إستعنت فاستعن بالله . وإعلم أن الأمّة لو إجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء كتبهُ الله لك ، وإن إجتمعوا على أن يضرّوك لم يضرّوك إلاّ بشيء كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام وجَفّت الصُحُف . (وقال) تعرّف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدّة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليُصيبَك وما أصابك لم يكن ليُخطئك . واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العُسر يُسراً . (وقال) إزهَدْ في الدنيا يحبك الله وازهَد فيما بأيدي الناس يحبك الناس . (وقال) أتمّكم عقلاً أشدّكمُ اللهَ خوفاً . (وقال) أجملوا في طلب الدنيا فإن كلاً مُيَسَّرٌ لما خُلقَ له . (وقال) إحذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت . (وقال) اخزن لسانَك إلاّ من الخير . (وقال) أخلص العمل يُجزئُك منه القليل . (وقال) أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لايستجيب الدعاء من قلبٍ لاهٍ . (وقال) أدِّ الأمانة الى من إئتمنك ولاتخُن من خانك . (وقال) إذا أحبّ الله عبداً صبّ عليه العذاب صبّاً . (وقال) إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره سلبَ ذوي العقول عقولهم حتى ينفذ فيهم قضاؤه وقدره . (وقال) إذا أراد الله بعبدٍ خيراً جعل له واعظاً من نفسه وفقّهَهُ في الدين . (وقال) إذا أصبحت فلا تحدّث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدّث نفسك بالصباح . (وقال) إذا ترك العبد الدعاء للوالدين ينقطع عنه الرزق في الدنيا . (وقال) إذا تواضع العبد رفعهُ الله الى السماء السابعة . (وقال) إذا حدّثتم العباد عن ربّهم فلاتحدّثوهم بما يعزُب عنهم ويشُقُّ عليهم . (وقال) إذا رأيت الفقر مقبلاً فقُل أهلاً بشعار الصالحين وإذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنبٌ عجلت عقوبتهُ . (وقال) إذا رأيتم مَن يزهد في الدنيا فادنوا منه فإنه يُلقّى الحكمة . (وقال) إذا رأيتم الرجل يعطيه الله مايحبّه وهو مقيم على معاصيه فاعلموا أنه إستدراج . (وقال) إذا سبّب الله لأحدكم رزقاً بوجهٍ فلا يدعه حتى يتغيّر أو يتنكّر . (وقال) إذا غضبتَ فاسكُتْ . (وقال) إذا كثرت ذنوب العبد إبتلاه الله بالحزن حتى يكفّرها . (وقال) إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت . (وقال) إذا مُدحَ الفاسق غضبَ الربُّ وإهتزّ العرش . (وقال) إذا وقع القضا عَميَ البصر . (وقال) ازدد عقلاً تزدد من الله قُرباً . (وقال) سلِ الله العفوَ

والعافية . (وقال) إستعينوا على أموركم بالكتمان فإن كلّ ذي نعمةٍ محسود . (وقال) إستعينوا على كلّ صنعةٍ بأهلها . (وقال) إستفتِ قلبك وإن أفتَوك . (وقال) إسمع يُسمع لك . (وقال) أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة إمامٌ جائر . (وقال) أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة عالمٌ لم ينفعه الله بعلمه . (وقال) أشدُّكم مَن ملكَ نفسه عند الغضب وأحلَمُكُم مَن عفا عند المقدرة . (وقال) أصِبْ بطعامك مَن تحب في الله . (وقال) أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك . (وقال) أعظم الناس خطايا اللَسّان الكَذوب . (وقال) أعظم الناس خطايا أكثرهم خوضاً في الباطل . (وقال) مفاتيح أرزاق العباد بإزاء العرش فمن كَثَّرَ كُثِّرَ له ومن قَلَّلَ قُلِّلَ له . (وقال) إرحموا تُرحَموا . (وقال) الخلق كلهم عيال الله وأحبَّهُم إليه أنفعُهُم لعيالِه . (وقال) أفضلُ الأعمال أن يسلمَ الناسُ من لسانك ويدك ، وماعظُمت نعمة الله على عبدٍ إلاّ عظمت مؤنة الله عليك . (وقال) ماتُنزعُ الرحمة إلاّ من شقيّ . (وقال) ما من كلمةٍ أفضل من كلمة عدلٍ عند إمامٍ جائر . (وقال) مَطلُ الغنيّ ظُلم . (وقال) مداراة الناس صدقة . (وقال) ملاك الدين الوَرَع . (وقال) من سعادة المرء حُسنُ الخُلُق . (وقال) نومة الصبح تمنعُ الرزق . (وقال) ويل لمن لبسَ الصوف فخالَفَ فعله قوله . (وقال) لاتحدّثوا أمتي من أحاديثي إلاّ بما تحتمله عقولهم . (وقال) لاتزال لا إله إلاّ الله ترفع عن الخَلْق سُخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على أخراهم . (وقال) لاتكثُر همّك ما قُدّر يكُن وما تُرزق يأتكَ . (وقال) لايكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لابأس به حذراً مما به بأس . (وقال) لاينبغي للمؤمن ان يُذلّ نفسه . (وقال) أيها الناس لاتستحيون تجمعون ما لاتأكلون وتبنون ما لاتسكنون . (وقال) يا إبن أدم إرضَ من الدنيا بالقوت فإن القوت لمن يموت كثير . (وقال) لا عقل كالتدبير ولاحسَبَ كحُسن الخُلُق . (وقال) أحذّركَ الدنيا وحلاوة رضاعها ومرارة فطامها . (وقال) ياعجباً كلّ العجب للمصدِّق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور . (وقال) يامعشر مَن آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لاتغتابوا المسلمين ولاتتبعوا عوراتهم . (وقال) يُحشَر الجبّارون يوم القيامة في صورة الذرّ . (وقال) يقول الله إشتدَّ غضبي على مَن ظَلَمَ مَن لايجدُ له ناصراً غيري . (وقال) اليُسر يمنٌ والعُسر شُؤم . (وقال) اليوم الرهان وغداً السباق والغاية الجنة والهالك مَن دخلَ النار . (وقال) ما إمتلأت دار حَبرة إلاّ إمتلأت عَبرة وماكانت فرحة إلاّ تبعتها تَرحة . (وقال) ما أوحى الله اليّ أن اجمع المال وكُنْ من المتاجرين ولكن أوحى اليّ أن سبّح بحمد ربّك وكُنْ من الساجدين . (وقال) إنك لن تدع لله شيئاً إلاّ عوّضك الله خيراً منه . (وقال) ما جعل الله ولياً إلاّ على السخا وحُسن الخُلُق . (وقال) حقّ على الله أن لايرفع شيئاً من الدنيا إلاّ وضعه . (وقال) ما من أحد ذي غنى ولا فقر إلا ودَّ يوم القيامة أنه كان أوتيَ من الدنيا قوتاً . (وقال) ما هو بمؤمنٍ مَن لايأمن جاره بَوائقه . (وقال) ما من يوم يصبح فيه العباد إلاّ ومَلَكان ينزلان ، فيقول أحدهما اللّهم إعطِ مُنفقاً خلفاً ويقول الآخر اللّهم إعطِ ممسكاً تلفاً . (وقال) مُتْ فقيراً ولاتمُتْ غنياً . (وقال) مايسّرَ الله على عبدٍ في الدنيا إلاّ يسّرَ عليه في الآخرة . (وقال) من التواضع أن يشرب الرجل من سؤر أخيه . (وقال) من سعادة المرء حُسنُ الخُلُق . (وقال) من حُسن إسلام المرءِ تركهُ ما لايعنيه . (وقال) من الذنوب ذنوبٌ لايكفّرها إلا الهمّ في طلب المعيشة . (وقال) مَن آذى جاره فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله . (وقال) مَن آذى مسلماً بغير حق فكأنما هدَمَ بيت الله . (وقال) مَن إتقى الله عاش قوياً وسار في بلاد عدوه آمناً . (وقال) مَن أحبَّ أن يعلم منزلته عند الله فلينظر منزلة الله عنده . (وقال) مَن أحبَّ

قوماً حُشِرَ معهم . (وقال) مَن أحبَّ شيئاً أكثَرَ من ذكره . (وقال) مَن أحبَّ دنياه أضرَّ بآخرته ومن أحب آخرته أضرَّ بدنياه ، فآثِروا مايبقى على مايفنى . (وقال) مَن إتقى ربَّهُ كَلَّ لسانُه ولم يُشفِ غيظه . (وقال) مَن أحبَّ ان تيسّره صحيفته فليُكثِر من الإستغفار . (وقال) مَن أراد ان تُستَجابَ دعوتهُ وتُكشَفَ كُربَتهُ فليُفرِّج عن مُعسِر . (وقال) مَن أرضى سلطاناً بما يُسخط ربَّهُ خرجَ من دين الله . (وقال) تفرَّغوا من هموم الدنيا ما إستطعتم ، فإن مَن كانت الدنيا أكبر همّه أفشى الله تعالى ضيعته وجعل فقره بين عينيه ، ومَن كانت الآخرة أكبر همّه جمع الله تعالى أمرهُ وجعل غناه في قلبه ، وما أقبل عبدً في قلبه على الله إلاّ جعل قلوب المؤمنين تفدُ اليه بالودِّ والرحمة .

الباب السابع

في ذكر شيءٍ من أدعيته
وهي أحدٌ وأربعون

(الأول) اللّهم إني أعوذ بك من علمٍ لاينفع وعملٍ لايَرفَع وقلبٍ لايخشَع ودعاءٍ لايُسمَع .

(الثاني) اللّهم لا سهلَ إلاّ ماجعلته سهلاً وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً .

(الثالث) اللّهم توفني فقيراً ولاتتوفني غنياً وأحشرني في زمرة المساكين ، وإن أشقى الأشقياء مَن إجتمع عليه فقرُ الدنيا وعذاب الآخرة .

(الرابع) اللّهم إني أعوذ بك من نفسٍ لاتشبع ومن صلاةٍ لاتنفع ومن دعاءٍ لايُسمَع ومن قلبٍ لايخشَع .

(الخامس) اللّهم إجعلني شكوراً وإجعلني صبوراً وإجعلني في عيني صغيراً وفي أعين الناس كبيراً .

(السادس) اللّهم إني أسألك من الخير كلّه ما علمتُ منه وما لم أعلمْ وأعوذ بك من الشرِّ كلّه ماعَلِمتُ منه وما لم أعلمْ .

(السابع) اللّهم أستُر عورتي وآمن رَوعَتي واقضِ دَيني .

(الثامن) اللّهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلّها وأجِرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة . مَن كان ذلك دعاؤه مات قبل أن يصيبه البلاء .

(التاسع) اللّهم لاتُخزِنا يوم القيامة ولاتفضَحنا يوم اللقاء .

(العاشر) اللّهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهَواني على الناس ، الى مَنْ تكلُني الى عدوٍّ يتجهّمني أو الى صديق ملَّكتَهُ أمري ، إن لم يكنْ بك من سَخَطٍ عليَّ فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أضاءَت له السموات وأشرَقَت الظلمات وصلُحَ له أمرُ الدنيا والآخرة أن تُحلَّ عليَّ غضبَك وتُنزِل عليَّ سخطَك ، لكَ الحمدُ حتى ترضى ولا حولَ ولا قوةَ إلاّ بكَ .

(الحادي عشر) اللّهم طهِّر قلبيَ من النفاق وعملي من الريا ولساني من الكذب وعيني من الخيانة ، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور .

(الثاني عشر) اللّهم أغنني بالعلم وزيّني بالحُلم وأكرمني بالتقوى وجَمِّلني بالعافية .

(الثالث عشر) اللّهم عافني في قدرتك وأدخلني في رحمتك وأقضِ أجَلي في طاعتك واختم لي بخير عملي وأجعل ثوابهُ الجنّة .

(الرابع عشر) اللّهم إني أعوذ بك من شرِّ الريح ومن ريح الشمال فإنها الريح العقيم .

(الخامس عشر) اللّهم آمن رَوعتي وإحفظ أمانتي واقض دَيني .

(السادس عشر) اللّهم إنكَ سألتنا من أنفسنا ما لانملكه إلاّ بك ، فاعطنا منّا ما يُرضيكَ عنّا .

(السابع عشر) اللّهم إني أعوذ بك من جار السوءِ في دار المُقامة فإن جار البادية يتحوّل .

(الثامن عشر) اللّهم إجعلني من الذين اذا أحسنوا إستبشروا وإذا أساؤا إستغفروا .

(التاسع عشر) اللّهم متّعني بسمعي وبصري وإجعلهما الوارث مني .

(العشرون) اللّهم إغفر ذنبي ووسع لي في داري وبارك لي في رزقي ، فسُئل عنهن فقال وهل تركنَ من شيء .

(الحادي والعشرون) اللّهم لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مُباركاً فيه .
(الثاني والعشرون) اللّهم إجعل لي لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً .
(الثالث والعشرون) اللّهم إغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به منّي .
(الرابع والعشرون) اللّهم إغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى .
(الخامس والعشرون) اللّهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وبك خاصمت ، اللّهم إني أعوذ بعزّتك لا إله إلاّ أنت أن تُضلّني أنت الحيّ الذي لايموت والجن والإنس يموتون .
(السادس والعشرون) اللّهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحوّل عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك .
(السابع والعشرون) اللّهم إني أعوذ بك من الهمّ والكسل وعذاب القبر .
(الثامن والعشرون) اللّهم أقسم لنا من خشيتك ماتحولُ به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ماتُبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما يهوّن علينا مصائب الدنيا ، ومتّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوّتنا ما أحييتنا وإجعل ثأرنا على من ظلَمَنا وأنصرنا على من عادانا ، ولاتجعل مصيبتنا في ديننا ولاتجعل الدنيا أكبر همّنا ولا مبلَغَ علمنا ولاتسلّط علينا مَن لايرحمنا .
(التاسع والعشرون) اللّهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء .
(الثلاثون) اللّهم إنفعني بما علّمتني وعلّمني ماينفعني وزدني علماً ، الحمد للّه على كلّ حال .
(الحادي والثلاثون) اللّهم إجعلني أُعظِم شُكرَك وأُكثِر ذِكرَك وأسمعُ نصيحتك وأحفظُ وصيّتك .
(الثاني والثلاثون) اللّهم متّعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني وأنصرني على من ظلمني وخُذ منه بثأري .
(الثالث والثلاثون) اللّهم إني أعوذ بك من غلَبَة الدَين وغَلَبَة العدوّ وشماتة الأعداء .
(الرابع والثلاثون) اللّهم ربّ جبريل وميكائيل وإسرافيل أعوذ بك من النار .
(الخامس والثلاثون) اللّهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه .
(السادس والثلاثون) اللّهم إني أسألك الصحة والعفّة والأمانة وحُسنَ الخُلُقَ والرضا بالقَدَر .
(السابع والثلاثون) اللّهم إني أعوذ بك من الكُفر والضَلالة والفَقر الذي يصيب بني آدم .
(الثامن والثلاثون) اللّهم إغفر لنا وإرحمنا وتقبّل منا وأدخلنا الجنّة ونجّنا من النار وأصلح لنا شأننا كله . قالوا زدنا قال أوَلَسْنَ قد جمعتَ الخير .
(التاسع والثلاثون) اللّهم اغفر لي ذنبي وخطئي وعمدي ، اللّهم اني أستهديك لأرشد أمري وأعوذ بك من شرّ نفسي .
(الأربعون) اللّهم أنصرني على مَن بغى عليَّ وأرني ثاري على مَن ظَلَمَني وعافني في جسدي ومتِّعني بسمعي وبصري وإجعلهما الوارث منّي .
(الحادي والأربعون) اللّهم أعنّي على الموت وهوّنه عليّ .

في وفاته

لما كمّلَ الله تعالى له ولأمته الدين وأتمَّ عليهم النعمة نقله الى دار كرامته شهيداً من أكل الذراع المسموم الذي أُهديَ له بخيبر ليجمع الله له بين شرف النبوّة والشهادة . فابتدأه المرض في العُشر الأخير من صفر سنة إحدى عشر في بيت أم المؤمنين سيدتنا ميمونة رضي الله عنها . فلما إشتدَّ وجعهُ تحوّل الى بيت عائشة وأقام مريضاً نحو إثني عشر يوماً . وتوفيَ في يوم الإثنين ثاني عشر من شهر ربيع الأول عند الجمهور .

وغسله سيّدنا عليّ وسيّدنا العباس وإبناه القثم والفَضل يعيناهما أسامة بن زيد وشقران يصبّان الماء وأوس بن خولي الخزرجي ينقل الماء من بئر غرس . ولم يُجرّد من قميصه وجعل عليّ عليه السلام على يده خِرقة وأدخلها تحت قميصه فغسله ودلّكهُ بماء وسدر ثلاث غسلات ، ثم كُفّن في ثلاثة ثياب ليس فيها قميص ولا عمامة ، ثم صلّى الرجال عليه فرادى فوجاً بعد فوج يدخل فوج فيصلّون ثم يخرجون ويدخل غيرهم ، ثم صلّى النساء والصبيان .

ثم دُفنَ في البقعة التي قُبضَ فيها لكونه كان قال علية الصلاة والسلام ما قُبض نبيٌّ إلاّ دُفنَ حيث يُقبض . فرُفع فراشه وحُفر له تحته ودخل القبر الجماعة المذكورة وقيل إلاّ أسامة وأوس . وفُرشَ له في قبره قطيفة كان يلبسها ويفترشُها فقالوا لايلبسها أحدٌ بعده ، وهو كِساء له خُمل بجوانبه وقيل أُخرجت قبل الإهالة . وإتخذوا له لحداً أي شقّوه في جانب القبر ونُصبت عليه تسعُ لَبِنات ، ثم أُطبقت . وجعلوا القبر مسطحاً لا مسنّماً ولا لاطئاً بالأرض ورشّوا عليه ماءً بارداً . وإشترك الناس كلّهم في العزاء وطاشت العقول وخرُست الألسُن وأظلمت الدنيا . ودُفن ليلة الأربعاء وقيل ليلة الثلاثاء ، وكانت ليلةً ليلاء أي مُظلمة لفَقد الرسول وإنقطاع الوحي . قال أنس رضي الله عنه ما نفضنا أيدينا من ترابه حتى أنكرنا قلوبنا ، وكانت وفاته أعظم المصائب وأفظع الدواهي ، وإرتدَّ كثيرٌ من الناس بل قالوا ما بقي مسجدٌ إلاّ إرتدَّ بعضُ أهله إلاّ ثلاثة مساجد . ثم أدركَ الله تعالى الأنام بلطفه وخذل أهل الردّة ونصرَ الإسلام وأهله والحمد لله . وهذه النبذة يتعيّن على كلّ مسلم الإحاطة بها علماً ، وهي خلاصة عدّة أسفار وشرحها يحتمل مجلدات وهي جديرة بأن تُفرد وتُحفَظ . إنتهى .

(وقد أحببتُ) أن أنهي الكلام على هذا المقام بقصيدة نبوية تكون له مسك الختام ، فقلت متوسّلاً به عليه الصلاة والسلام :

ياشفيع الخلق في اليوم العسير ... ومُجير الناس من نار السعير
أستميل النظر الى كسير لي ... بالتفات يُجيرُ القلبَ الكسير
أنت رمزُ الكنز غيبُ الغيب من ... لم يُحط خبراً به كلّ خبير
أنت ذو المنزلة الزُلفى التي ... ما لها في حضرة القدس نظير
أنت روح الكون لولاك لما ... خَلَقَ الأفلاك مولاكَ القدير
أنت مقصودُ الوجود المصطفى ... أنت بين الرسل البدرُ المنير
أنت تلك النعمة الكُبرى التي ... شَمِلَت كلَّ قليل وكثير

أنت فخر العالم المُختار من — أدمَ المبعوث بالدين اليسير
رحمةً للعالمين المُرتضى — للورى خيرَ بشيرٍ ونذيرِ
ياأجَلَّ الرُسلِ إني قد — دهاني الدهر بالخطب الخطيرِ
وعَراني ما عَراني من عناء — عسيرٍ زاد عن صبريَ اليسيرِ
وأنا عبدٌ ضعيفٌ مذنبٌ — مستجيرٌ بحِماكَ المستنيرِ
وحِماكَ الملجأُ المقصود في — كلّ حالٍ من صغيرٍ وكبيرِ
فأغثني ياغياث الأنبيا — ليس لي غيركَ والله من نصيرِ
وأعِذني من بلاءٍ مُخطرٍ — خاطري من خوفه غيرُ قريرِ
واستجبْ لي وقِني ما أشتكي — وأجرني منه ياخيرَ مُجيرِ
يانبيَّ الرحمة العظمى التي — وسعَت كلَّ غنيٍ وفقيرِ
لاتُخيّبني فإني سائلٌ — واقفٌ بالباب مضطرٌ حقيرِ
ياأبا الزهراء كُنْ لي منقذاً — يوم لايُغني كبيرٌ عن صغيرِ
يوم لا مال ملكا — فيه أو يرفع وزراً عن وَزيرِ
مَن لهذا المذنب العاصي إذا — لم يُجِرهُ أحمد الهادي البشيرِ
جارت البلوى على جسمي وهل — غير مغني فضله المُغني يُجيرِ
حاشَ خيرِ الخلق أن يمنعني — رشفةً من بحره البَرِّ النميرِ
وهو ذُخرُ العالمين المُرتجى — عصم العاصي من الهول المُبيرِ
وهو كافٍ للبَرايا كافلٌ — للعطايا ظاهر المجد ظهيرِ
ذو يمينٍ وهبت كلّ يسار — لمن في قبضة العُسر أسيرِ
كيف لاأُثني على حضرته — بثناءٍ يُبهر العقل نضيرِ
كيف لا والقمر إنشقَّ لهُ — وإليه قد شكا الضُرَّ البعيرِ
والحصى سبَّحَ في راحته — وارتوى من فيضها الجمُّ الغفيرِ
وبكفٍّ من ترابٍ يوم حُنين — وحدهُ الجيش الكثيرِ
وإغتذى من سرِّ الجمع الكبير — بما لا يُشبِعُ الطفل الصغيرِ
أي سيفٍ أو يراعٍ قبله — راع كسرى بصليلٍ أو صريرِ
بشَّرَ القيصر إذ قصَّرَ في — بيعة الإسلام بالعمر القصيرِ
معجزاتٌ ان أحاول وصفها — صار فكري حيرة كلّ مصيرِ
أو أقلّب بصري في حصرها — ينقلبُ لي خاسئاً وهو حسيرِ
قدست عن حيطة العدّ فمن — أين يحصيها نظمٌ أو نثيرِ
حسبهُ القرآن منه فلكم — أعجَزَتْ آياته الحَبرَ الخبيرِ
عمَّ عامُ الفيل خيراً وافراً — مولد المختار جارُ المستجيرِ
وغدَتْ آمنةٌ آمنة — مايضرُ الأم حملاً أو يُضيرِ
ورأت إذ وضعتهُ أنها — أبرزت نوراً به الكون استُنيرِ
وقصور الشام منه ظهرت — ودَنا النجم سروراً للسريرِ
ليلة الإثنين ثاني عشر — من ربيع الأول الشهر الشهيرِ
ليلةَ أنطَقَت البشرى به — كلَّ وحشٍ أخرَسَت كلّ أميرِ

أخمدَتْ للفُرسِ ناراً هي من ... ألف عام في شهيق وزفير
بارك الله بها من ليلةٍ ... صبحُها أسفَرَ عن خيرِ سفيرِ
إذ تجلَّى رافعاً نحو السما ... رأسهُ للعزِّ في ذاك بشيرِ
النبيُّ العربيُّ المدني ... أحمد الأخلاق محمود العشير
خاتم الرسل الكرام المُجتبى ... سيِّد الأكوان ذو الفضل الغزير
لم يشمَّ الكون لولا فضله ... نفَسَ الرحمن ذا الرَّوح العطير
خلَقَ الله لهُ الخَلقَ وما ... زاد في الزاد على قُرصِ شعير
وسرى ليلاً من البيت الحرام ... الى الأقصى وجبريلُ السمير
ثم للسبع السموات الى ... حضرة السدرة والقرب الخطير
ودنا من طورٍ أو أدنى ونالَ ... المُنى من ذلك الفوز الكبير
جاء بالدين الحنيفيِّ مُظهراً ... للتُقى بالحقِّ للحقِّ ظهير
فمن انقاد له الحُسنى ومَن ... حادَ عنهُ فله بئسَ المصير
لمَ لاأقصدهُ وهو لهُ ... فيضُ جودٍ أخجلَ الغيثَ المطير
أنَا عبدٌ من عبيد الباب بل ... أنا في الأعتاب كلبٌ يستمير
بل أنا عبدُ كلابٍ سكَنَتْ ... طيبة الطيبة النشر العبير
عطفَ اللهُ علينا قلبهُ ... وجزاهُ كلَّ خيرٍ من نذير
وعليه ثابرت أزكى صلاةٍ ... من الرحمن مادامَ ثبير
مع تسليمٍ عظيمٍ كلّماً ... قرعَ السمعَ هديلٌ أو هدير
حين قلَّتْ حيلتي قلتُ له ... ياعريضَ الجاه إني مستجير
فهو عوني وهو غوثي وبه ... أتَّقي اليوم العبوس القمطرير
رضي الله عن القوم الأولي ... تبعوه ساعة العيش المرير
سادة لما رأوا شمسَ الهُدى ... جاء بالحقِّ وبالصدق جدير
نَفروا من ظُلمة الشرك الى ... نور التوحيد يانِعمَ النفير
سيَّما الصدّيق والفاروق مع ... خَتَنَيه مَنهَل الخير الوفير
ثم باقي العشرةُ السادة والآل ... والصحب فهم خير عشير
والى أعتابه جاءت على ... غاية التقصير بالمدح تسير
كلمة تسخر بالأنجُم في ... في نَظمها أو تسحَرُ الروح النَضير
إن غَدَت من فضله مقبولة ... جرَّت الذيلَ على نظمٍ جرير
كيف أُحصي وصف من لولاه ... ماكان هذا الكون إلاّ في الضمير
وتعالى قدره الأعظم أن ... يصلَ الفكر اليه أو يصير
غيرَ أني طامعٌ في عفوه ... عن قصوري فهو من باعي القصير
فعسى إحسانهُ ينظمُني ... مع حسّان وإن كنتُ الأخير

وقلتُ أيضاً من القافية لا البحر مستغيثاً بجاه هذا النبيِّ البَرِّ والسيد المعظّم صلى الله عليه وسلّم :

رسول الله لي خطبٌ خطير   أنا منه بجاهك مُستجير
رسول الله بصري كَليل   وأنت بكلِّ أحوالِي بصير
رسول الله مالي من نصير   سواك الدَهر يانعمَ النّصير
وفضلك لي به أملٌ قَضيٌّ   لساني عن إفادتِه قصير
وأنت غياث كل الخلق طُرّاً   وجاهُكَ ذلك الجاهُ الكبير
لعَمرِكَ ياأجَلَّ الرُسل إني   لما أنزلتَ من خيرٍ فقير
فأنعم بالحُنُوِّ عليَّ مالي   الى غير الحِمى الأسمى مصير
فإن أدركتني بخَفيِّ لُطفٍ   فدهري لايَضُرُّ ولايُضير
وإن لم ينجَبِر برضاك كَسري   فكيفَ مآل آمالي يصير
رسول الله إنّا قد تولّى   علينا ذلك الخطب الخطير
إذا ماكان منك لنا نصير   وقد عظُمَ البلاء فلمَن نَصير
على كلّ الأنام لك الأيادي   وفي رُتب العُلا القدم الشهير
فما في الكونِ إلّا مُستَميرٌ   بفضلكَ أو بنوركَ مُستَنير
من البيت الحرامِ سَرَيتَ ليلاً   الى الأقصى وجبريل السمير
الى السبعِ الطِباقِ الى مقام   به قد خصَّكَ المولى الخبير
مقام منار أو أدنى المعلّيٍ   بكوكب مجدك الأسنى مُنير
الى نظرٍ تباركَ في دنوٍّ   تعالى أن يكون له نظير
مُحالٌ أن تُحيط به عقولٌ   ويعلمَ قدرهَ إلاّ القدير
إذا عطفَ النبيُّ فكلُّ أمر   عسير من عواطفه يسير
بَسَطتُ يَدَيَّ مُفتقراً إليه   وقلبي بالإجابة لي قرير
فحاشا أن يَرُدَّ يدي صِفراً   ومن أخلاقه الجُود الغزير
وهل أرضٌ أقَلَّت أو سَماء   أظَلَّت مثله أين النظير
هو الداعِي الى الدين الحنيفيُّ   هو الحقُّ المُبين هو النذير
فطالعُ مَن يصدّقهُ سعيد   ومَهبِطُ من يُكذّبهُ سَعير
قصَرتُ مدائحهُ على لساني   وفكري قَصراً فرادَ يُنير
يطيبُ بذِكرهِ عَيشي وقلبي   يكادُ لمدحهِ شوقاً يطير
فثابر ياعُبيدُ على ثناءٍ   له مادام فِي الدَنيا ثَبير
يراعُك لايراع إذا تغالى   بمدحته نَظمٌ أو نَظير
ولاتمدح سواه فكلّ شخص   له فضل فمنه مُستعير
وكلُّ عظيم فخرٍ أو ثناءٍ   فما غير النبيّ به جدير
ومَن يمدح سوى الله تعالى   وطه فاتهُ الخيرُ الكثير
فصَلّى ثم سَلَّمَ كلّ حينٍ   عليه الله والملأ الكبير
وآل ثم أصحاب كرام   بهم يتيسّر الأمر العَسير
مدى الأيام ماالأقمار تمَّت   ووالى أولاً منها أخير

وقلت مستغيثاً بحضرته المحمدية عليه أفضل الصلاة وأتمَّ التحية :

ياإلهى إليك محضُ إلتجائي ... فأجِرني ولاتُخَيّب رجائي
وأعنّى ولاتكلني لنفسي ... إنني من عبيدك الضعفاء
ربِّ إني قد مسّنَيَ الضُرُّ فاكشفْ ... عني الضرّ أرحم الرحماء
وأغثني بجاهِ خير البراَيا ... خاتم الرُسل أول الأنبياء
الوجود الساري بكلّ الذراري ... نقطة الباء حيطة الأنبياء
مفخر الكائنات ذو معجزات ... معجزات الأنام بالإحصاء
كيف تحصي عدوّاً وتحصر حدّاً ... بلسان الإنشاد والإنشاء
وعقول الفحول قد عقِلت عن ... فِهمَ أسرار ليلة الإسراء
ليلة من نور النبيِّ تجَلّت ... عَن صباح ماَمسّهُ من مساء
النبيّ الذي هدى الخَلقَ للحقِّ ... بإهداءِ المِلّة السمحاءِ
والرسول الذي حصل به السؤل ... لنا مَن لآلَي الآلاءَ
أظهَرَ الدين بين أظهَرَ قومٍ ... قاوموا بالذكاء نور ذكاءِ
فرأوا أنّهُ الحقّ فانقادوا ... إليه بمقلة الزرقاء
رضيَ اللهُ عنهم ورَضوا عنه ... وأعظم بذلك الإرتضاء
فعليه صلى وسلم ربّي ... وعلى آله بغير إنتهاء

وههنا أقول طمعاً بالقول :

قصدتُكَ ياخير الورى بقصائد ... ثلاث الى أعتاب فضلك جائزة
فإن تُجزها بالإلتفات فحظها ... عظيم وأعظم بإلتفاتك جائزه
ولاريب عندي في القبول فأنه ... لديك سواه حالهُ غير جائزه

ثم تلقى عنه عليه الصلاة والسلام سرّ هذه النسبة المعظّمة سيد هذه السلسلة المنظمة الإمام الجليل سيدنا عليّ بن أبي طالب نضر الله تعالى وجهه وكرّمه .

حضرة أمير المؤمنين سيدنا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه

هو ، كما جمع به الإمام أبو حنيفة النعمان جميع الروايات الواردة في بيان مَن سبق بالإيمان ، أول جوهرة من جواهر الصبيان قد إنتظمت في سلك الإيمان بأشرف الأديان وآخر الخلفاء الأربعة الراشدين خَتَمَ الله به الخلافة كما ختمَ النبوّة بسيد المرسلين .

هو باب مدينة العلم وعباب القضاء والحكم بالعدل والفضل بالقول الفصل صلى إلى القبلتين وجمع في ولاية الظاهر والباطن بين الدولتين . فهو إمام العادلين المتّقين ووليُّ العاملين المتَّقين ذو اللسان السؤول والقلب العَقول والأذن الواعية والعهود الوافية . هو الأُخَيشنُ في دين الله والممسوس في ذات الله ، المُنبيء عن جوامع حقائق التوحيد المُشير الى لوامع بوارق التفريد .

هو أحدُ مَن جمع القرآن وعرضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليه أبو الأسود الدؤلي وأبو عبدالرحمن بن أبي ليلى . وهو أوّل خليفة من بني هاشم وأبو السبطين .

(أخرَجَ) أبو يعلي عن عليّ رضي الله عنه قال ، بُعثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين وأسلمتُ يوم الثلاثاء . وكان عمره عشر سنين وقيل دون ذلك . قال الحسن بن زيد بن الحسن ولم يعبد الأوثان قط لصغره . وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم بَدراً وأُحُداً وسائر المشاهد إلاّ تَبوك ، فإن النبيّ صلى الله عليه وسلم إستخلفه على المدينة وقال له : "ألَم تَرضَ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبيّ بعدي" .

وله في جميع المشاهد آثار مشهورة وأعطاه النبيّ صلى الله عليه وسلم اللواء في مواطن كثيرة . وقال سعيد بن المسيّب أصابت علياً يوم أُحُد ستَّ عشرة ضربة . وثبتَ في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه الراية يوم خيبر وأخبرَ أن الفتح يكون على يديه . وأحواله في الشجاعة وآثاره في الحروب شهيرة .

(وكان رضي الله عنه) شيخاً سميناً أصلع كثير الشعر رَبعَة الى القِصَر عظيم البطن عظيم اللحية جداً قد ملأت ما بين منكبيه بيضاء كأنها قطن أدمْ شديد الأدمة . روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة حديث وستة وثمانون حديثاً . وروى بنوه الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفيّة وابن مسعود وابن عمر وابن الزبير وأبو موسى وأبو سعيد وزيد بن أرقم وجابر بن عبدالله وأبو أُمامة وأبو هُريرة وخلائق من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين . وورد في فضله أحاديث لم تُروَ لأحدٍ من الصحابة .

(أخرج) الترمذي والحاكم عن عليّ قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : "أنا مدينة العلم وعليٌّ بابُها" . هذا حديث حَسَنٌ على الصواب لا صحيح كما قال الحاكم ، ولا موضوع كما قال جماعة منهم إبن الجوزي والنووي . وأخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية "ندعُ أبناءنا وأبناءكم" دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال اللّهم هؤلاء أهلي .

(وقال حُذيفة رضي الله عنه) قالوا يارسول الله ألا تستخلفُ علينا ؟ قال إن تُوَلّوا علياً وما أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً . وسُئل صلى الله عليه وسلم عنه ، فقال : "قُسِّمت الحكمة عشرة أجزاء فأُعطيَ عليٌّ

تسعة والناس واحداً" . وقدمَ عليه يوماً فقال :"مرحباً بسيّد المسلمين وإمام المتّقين" . (وقال) إن الله أمرني أن أُدنيك وأُعلِّمَك ، وقال : "مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه اللّهم والِ من والاه وعادِ من عاداه" ، وقال عليٌّ منّي وأنا منه . وقال : "لايحبُّهُ إلاّ مؤمن ولايُبغضهُ إلاّ منافق" .

(وقال) رضي الله عنه : "دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقال -إنّ فيك مثلاً من عيسى أبغضهُ اليهود حتى بَهَتوا أُمَّهُ وأحبّتهُ النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به - ألا وإنه يهلك فيَّ إثنان محبٌّ مُفرط يفرطني بما ليس فيَّ ومُبغضٌ يحمله شنآني على أن يبهَتَني" . (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلّم : "من آذى عليّاً فقد آذاني ومن سبّهُ فقد سبّني ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أحبّهُ فقد أحبَّني" . (وقال) عليه الصلاة والسلام : "عليٌّ مع القرآن والقرآن مع عليّ" . وقال إبن عباس ما نزلَ في أحد من كتاب الله مانزَلَ في عليّ .

(وكان) إذا غضب المصطفى لم يجترىء أحد أن يكلّمه غيرُهُ . (وقال) لعليٍّ ثمان عشرة مَنقَبة ماكانت لأحد في هذه الأمة . قال الإمام أحمد ما ورَدَ لأحد من الصحابة من الفضائل ما ورَدَ لعليّ ، رواه الحاكم وغيره . (وكان) رضي الله عنه الإستسلام والإنقياد شأنه والتبرّي من الحَول والقوّة مكانه وإذا أردتَ أن تعلَمَ منزلته من المصطفى صلى الله عليه وسلم فتأمّل صنيعه في المؤاخاة بين الصحابة ، جعل يضمُّ الشكل الى الشكل والمِثلَ الى المِثل فيؤلف بينهما الى أن آخى بين أبي بكر وعمر وادَّخر عليّاً لنفسه وإختصّهُ بأُخوّته ، وناهيك بها من فضيلة وأعظِم بها من شرف .

لقد قيل في التصوف الإرتقاء في الأسباب الى المقدورات من الأبواب . (وكان) رضي الله عنه مزيناً بزينة العُبّاد متحققاً بحلية الأبرار والزُّهاد ، بل في "الأحياء" عن إبن عُيينة أنه كان أزهد الصحابة . وقد شهدَ له بكمال الزُّهد الإمام الشافعي لما قيل له نفر نفرٌ من الناس عن عليّ إلاّ أنه كان لايبالي بأحد ، فقال الشافعي : "كان عظيماً في الزُّهد والزاهد لايبالي بأحد" . (وكان) بذات الله عليماً وعرفانُ الله في صدره عظيماً وقد قيل التصوف البروز من الإحتجاب الى دفع الحجاب .

(ومما حُفظ من رشيق عباراته ورقيق إشاراته) :

كونوا لقبول العمل أشد إهتماماً منكم بالعمل فإنه لن يقلَّ عملٌ مع التقوى .

(وقال) ليس الخير أن يكثر مالك وولدك بل أن يكثر عملك ويعظمَ حملُك . (وقال) إحفظوا عنّي لايرجو عبدٌ إلاّ ربّهُ ولايخافُ إلاّ ذنبه ولايستحي جاهل إذا سئلَ عمّا لايعلم أن يقول الله أعلم . (وقال) الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب . (وقال العارف الشعراني قدّس الله سرّه) قلتُ والمُرادُ بالدنيا ما زاد على الحاجة الشرعية بخلاف ما دعت الضرورة اليه ، وذلك أنّ فضول الدنيا شهوات وأهل الشهوات كثير ولذلك ماروِيَ زاهد قطُّ في محل مزاحمة على الدنيا كما هو مُشاهَدٌ ، وإنما سُمّيَ طالب الفضول كلباً للدنيا لتعلّق قلبه بها لأن الكلب مأخوذ من التكليب وكلّ من عسَرَ عليه فراق شهوة فهو كلبها فافهم . وما توسع مَن توسّع في مأكل ولا مَلبَس إلاّ لقلّة ورعه والشارع لم يأمر بالتوسّع في الشهوات والله أعلم . إنتهى . (وقال) مَن رضيَ عن نفسه كثُر الساخط عليه ومَن ضيّعه الأقرب أُتيح له الأبعد ، ومَن بالغ في الخصومة أثمَ ، ومن قصَّرَ فيها ظَلَم ، ومن كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته . (وقال) من عظَّمَ صغار المصائب إبتلاه الله بكبارها . (وقال) إذا كان في رجل خلّةٌ رائعة فلينتظر أخواتها . (وقال) الغيبة جهد العاجز وربّ مفتون بحُسن

القول فيه . (وقال) مالإبن آدم والفخر ؟ أوله نطفة وآخره جيفة لايرزقُ نفسه ولايدفعُ حتفهُ . (وقيل له) ألا نحرسك ؟ فقال حارس كلّ إمريءٍ أجَلُهُ . (وقال) مَن ترك اللحم أربعين يوماً ساء خُلُقُه ومَن داوَمَهُ أربعين يوماً قسا قلبه . وإشترى لحماً بدرهم وحمله فقيل نحمل عنك فقال أبو العيال أحقّ بحمله . (وقال) الدنيا تَغرُّ وتَضُرُّ وتَمرُّ ، إن الله لم يرها ثواباً لأوليائه ولا عقاباً لأعدائه . (وقال) مَن صارع الحقّ صرعَهُ . (وقال) القلبُ مُصحَفُ مُبصر . (وقال) كلّ مُقتَصر عليه كافٍ ومَن لم يُعط قاعداً لم يُعط قائماً . (وقال) الدهر يومان يوم لك ويومٌ عليك ، فإذا كان لك فلاتبطُر وإذا كان عليك فلاتضجُر . (وقال) مَن طلب شيئاً نالَهُ أو بعضَهُ . (وقال) الركون الى الدنيا ومايُعانى فيها من الجهل . والتقصير في حسن العمل إذا وثقت بالثواب عليه غُبن . والطمأنينة الى كلّ أحد قبل الإختيار عجز والبخل جامع لمساويء الأخلاق ، مَن كثرت نِعَمُ الله عليه كثرت حوائج الناس اليه . (وقال) الرغبة مفتاحُ النَصَب والحسد مَطيّةُ التعب . (وقال) إذا أقبلَت الدنيا فأنفق منها فإنها لاتُفني ، وإذا أدبرت عنك فانفق منها فإنها لاتبقى . (وقيل له) مابال العقلاء فقراء ؟ فقال عقل الرجل محسوب عليه من رزقه . (وقال) لبعض المُلحدين المُنكرين للمَعاد : إن كان الذي تظُنُّ أنتَ نجونا نحن وأنت وإلاّ نجونا وهلكتَ أنتَ . (وقال لعمر) إن أردتَ اللحوق بصاحبيك فارفع القميص وقصّر الإزار واخصِف النعل وكُلْ دون الشَبَع ، فمن تزيّا بزي قومٍ فهو منهم .

وكان له سويق في إناءٍ مختوم يشرب منه ، فقيل له تفعل ذا بالعراق مع كثرة طعامهم ؟ فقال أما اني لاأختمه بُخلاً بل أنا أكرهُ أن يُجعل فيه ما ليس منه فيدخل بطني غيرُ طيّب .

(وقال) القبر صندوق العمل وبعد الموت يأتيك الخبر . (وقال) العجب ممن يهلك ومعه النجاة . قيل ما هي ؟ قال الإستغفار . (وقال) السفر ميزان الرجال والحلمُ والأناة توأمان نتيجتهما علوُّ الهمّة . (وقال) ذهبَ المتّقون بعاجل الدنيا وآجل الآخرة فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهلُها في آخراهم . (وقال) إتّقِ الله بعض التُقى وإن قَلّ ، واجعل بينك وبين الحرام ستراً وإن رَقّ ، واتّق المعاصي في الخلوات فإن الشاهد هو الحاكم . (وقال) القناعة سيفٌ لاينبو والصبرُ مَطيّةٌ لاتَكبو وأفضل عُدّةٍ صبرٌ على شدّة . (وقال) ماهَلَكَ امرؤٌ عرفَ قَدرَه ، وقيمة كلّ إمريءٍ مايُحسنهُ ، ومَن عَذُبَ لسانه كثرت إخوانهُ . وبالبِرِّ يُستعبَدُ الحُرُّ ، وبَشِّر مال البخيل بحادث أو وارث . (وقال) الجَزَع عند البلاء تمامُ المحنة . (وقال) لا ظَفَرَ مع بَغي ولا ثناءَ مع كِبر ولا صحة مع نَهَم وتَخَمْ ولا شرفَ مع سوء أدب ولا راحة مع حسَد ولا سؤدد مع إنتقام ولا صواب مع ترك مشورة ولا مروءة لكذوب ولا شفيعَ أنجع من التوبة ولا لباس أجمل من العافية ولا داءَ أعيا من الجهل والمرءُ عدوُّ ماجهل ، رحمَ الله امرؤاً عرف قَدرَه ولم يتعدَّ طَورَه . (وقال) إعادة الإعتذار تذكرة بالذنب والنصح بين الملأ تقريع وأكبرُ الأعداء أخفاهم مكيدة والبخلُ جامعٌ لمساويء العيوب . (وقال) إذا حلَّت المقادير ضاعت التدابير ، وعبدُ الشهوة أذَلُّ من عبد الرِّق والحاسد مغتاظٌ على مَن لا ذنبَ له والإحسان يقطع اللسان وأفقرُ الفقر الحُمق وأغنى الغنى العقل . (وقال) إحذروا نفار النعم فما شاردٌ بمردود ، وأكثُر مَصارع العقول تحت بروق الأطماع ، وإذا قدرتَ على عدوّك فاجعل العفو عنه شكر القدرة عليه . (وقال) ماأضمرَ أحدٌ شيئاً إلاّ ظهر في فَلَتات لسانه وعلى صفحات وجهه . (وقال) مَن نظرَ في عيوبِ الناسِ وأنكرَها ثم رضيها لنفسه فذلك الأحمق بعينه . (وقال) العفاف زينة الفقر

والشكر زينة الغنى . (وقال) رُدَّ الحجَرَ من حيث جاء فـإن الشرّ لايدفعه إلاّ الشرّ . (وقال) أعظمُ الذنوب ما إستـخفَّ به صاحبه . (وقـال) كانت العلماء والأتقـياء والحكماء والأولياء يتكاتبـون بثلاث ليس لهنَّ رابعة : مَن أحسنَ سريرته أحسنَ الله علانيـتهُ ، ومَن أحسنَ فيـما بينه وبين الله أحسنَ الله فيـما بينه وبين الناس ، ومَن كانت الآخرة همّهُ كفاهُ الله دنـياه . (وقـال) رأس الدين صحبـة اليقين . (وقـال) الصبر يناضلُ الحدثان والجَزَع من أعوان الشيطان . (وقـال) لاتعمل الخيـرَ رياءً ولاتتركهُ حياءً وإن لم تكن حليماً فتـحلّم فإنه قَلَّ مَن يتشبّه بقومٍ إلاّ أوشك أن يكون منهم . (وقال) رسـولُك تُرجُمانُ عقلك وكـتابك أبـلغُ ماينطـقُ عنك . (وقال) الأمـاني تُعمي أعين البـصـائر . (وقال) لو حَـنَنتُم حنين الوالد الثكلان وجأرتُم جؤار الرُهبـان ثم خرجتُم من أموالكُم وأولادكُم في طلب القرب من الله وإبتـغاء رضوانه ورفع درجـة أو غفـر سـيّئـة كـان قليلاً . (وقال) قـصَمَ ظهـري رجلان عالمٌ مـتـهتّك وجاهلٌ مـتنسِّك . (وقال) رَوِّحوا القلوب فإنها إن كرهَت عَميَت . (وقـال) ويلٌ لقاضي الأرض من قاضي السـماء إلاّ مَنْ عَدَلَ وحَكَمَ بالحقَ . (وقـال) من أشدِّ الأعمـال مواساة الأخ في المال . (وقال) خـالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم وزايلوهم بقلوبكم وأعـمالكم فإن للمرء ما إكتسب وهو يوم القـيامة مع مَن أحبَّ . (وقال) التوفيق خيـرُ قائد وحُسنُ الخُلُق خيـرُ قرين والعقل خير صـاحب والأدب خير ميراث ولا وحشة أشدّ من العجـب . (وقال) إنَّ للنكبـات نهايات لابدّ لأحد إذا نُكبَ أن ينتهي إليـها . فـينبغي للعـاقل إذا نُكبَ أن ينام لها حتى تنقضي مُدَّتُها . (وقال) جزاءُ المعصيةَ الوَهَنُ في العبادة والضيقُ في المعيشة .

(ولما) ضـربه إبن مُلجِم ودخل عليـه الحسن يبكي . (فـقال) إحفظ عنّي أربعاً وأربعاً إنّ أغنى الغنى العـقل ، وأكبـرَ الفَـقـر الحُمق ، وأوحشَ الوحشـة العُجب ، وأكرمَ الكرم حُسنُ الخُلُق . والأربعُ الأُخَر إيّاك ومصـاحبـة الأحمق فإنـه يريد أن ينفعك يضُرُّك ، ومصادقـة الكذّاب فإنه يقـرِّبُ عليك البعـيد ويبـعِّدُ القريب ، ومصادقة البخيل فإنه يقعدك عن أحوج ماتكون اليه ، والتاجر فإنه يبيعك بالتافه .

(وجاءه يهودي) فقـال : متى كان ربنا ؟ فقال : لم يكن فكان هو ولا كينونة كـان بلا كيف كان ليس له قبل ولاغاية إنقطعت الغايات دونه فهو غاية كلّ غاية . فأسلَمَ اليهودي .

(وقال) القريب من قرّبته المودّة وإن بَعُدَ نسَبهُ والبعيد من بعّدتهُ العداوة وإن قَرُبَ نَسَبُهُ . ولا شيء أقـرب من يدٍ الى جسـد وإذا فـسدت قُطعت وإذا قُطعت حُسِمَت . (وقـال) الفـقـيـه كلّ الفـقـيـه مَن لم يُقنط الناس من رحمـة الله ولم يُرخِّص لهم فـي المعاصي ولـم يؤمنهُم عـذابَهُ . (وقال) لا خيـرَ في عبادةٍ لا علم فيها ولا علمٍ لا فَهمَ فيه ولا قـراءة لاتدبّرَ فيها . (وقال) الدنيا قد ترحّلت مُدبرة والآخرة قد ترحّلت مُقبلة ولكلٍّ منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة لا الدنيا ، فـإن اليوم عملٌ ولا حساب وغداً حسابٌ ولا عمل . (وقـال) كونوا ينابيعَ العلم مصابيح الليل خُلقانَ الثيـاب جُدَد القلوب تُعرفوا به في السـماء وتُذكَروا به فـي الأرض . (وقـال) طوبى للزاهدين في الدنـيـا الراغـبين في الآخرة . (وقـال) للمُـرائي ثلاث عـلامـات ، يكسَلُ إذا إنفـرد ، وينشَطُ عـند الناس ، ويزيدُ فـي العـمـل إذا أُثنيَ عليـه وينقصُ إذا ذُمَّ .

وسُمع صوت ناقوس فقال : تدرون مـايقول ؟ قالوا : لا . قـال : يقول سبحان الله حقاً حقا إن المولى الصمد يبقى .

(وقـال) إن دين الله بين الغالـي والمقصّر فعليكم بالفرقـة الوسطى فـإن بها يلحـقُ المقصّر واليهـا

يرجع الغالي . وقال (العسكري) لم يردْ في التوسط أحسن من هذا .

وخرج يوماً فإذا بقوم جلوس قال : مَن أنتم ؟ قالوا : شيعتُك . فقال : سبحان الله ما لي لاأرى عليكم سيما الشيعة عَمشُ العيون من البكاء خُمصُ البطون من الصوم ذُبلُ الشفاه من الدعاء صُفر الألوان من السهر على وجوههم طِيَرةُ الخاشعين .

(وقال) أوحى الله الى عيسى مُرْ بني إسرائيل أن لايدخلوا بيوتي إلاّ بقلوبٍ طاهرة وأبصار خاشعة وأيدٍ نقيّة ، فإني لاأستجيب لأحد منهم ولأحد عندهُ مَظلَمة . (وقال) القلوب أوعيةٌ فخيرُها أوعاها .

(وقال) الناس على ثلاثة ؛ فعالمٌ ربّاني ، ومتعلّمٌ على سبيل نجاة ، وهَمَجٌ رعاع أتباع كلّ ناعقٍ يميلون مع كلّ ريح .

(وقال) لماقَتَلَ إبن آدم أخاه بكى آدم وقال :

تغـيّـرت البـلاد ومَنْ عليـهـا فـوجـهُ الأرض مـغـبَـرٌّ قـبـيـح

تـغـيّـرَ كلُّ ذي طعمٍ ولـونٍ وقلّ بـشـاشـة الـوجـهُ المليـح

أخرجَ عنه الطَبَرانيّ لكن نوزعَ بما رواه الثعلبي عن إبن عباس عن سيّدنا محمد والأنبياء كلّهم صلى الله عليهم وسلّم في النهي عن الشعرِ سواء .

(وأخرج) تاج الإسلام بسَنَده عن شُرَيحْ قال إشتريت داراً بالكوفة فبلغَ أمير المؤمنين علياً فقال : ياشُرَيحْ إشتريتَ داراً ؟ قلت نعم . قال : أشْهَدتَ عدولاً ؟ قلتُ نعم . قال : إتَّقِ الله فإنه سيأتيكَ مَن لاينظرُ في كتابكَ ولايسألُ عن بيّنتكَ أنظر أن لاتكون إشتريت داراً من غير مالك ووزنتَ مالاً من غير حلٍّ ، فتخسر الدارين ولو كنتَ حين إشتريت صرتَ اليَّ كنت كتبتُ لك الصكَّ على هذه النسخة إذن ماكنت تشتريها بدرهم . قلتُ : وماكنتَ تكتبْ ؟ قال : أكتب هذا ما إشترى العبدُ الذليل من ميتٍ أُزعِجَ بالرحيل . إشترى هذا المفتونُ بالأمل من المُزعَجِ بالأجَل داراً بمحلّة الغرور من الجانب الفاني في عسكر الهالكين لها حدودٌ أربعة . فحدٌّ منها ينتهي الى دواعي الآفات والثاني الى دواعي العاهات والثالث الى دواعي المصيبات والرابع الى الهوى المُردي والشيطان المُغوي . وفي هذا الحدّ يُشرَعُ باب هذه الدار بالخروج عن عزّ القُنوع والدخول في دار الحرص والفضول . فما أدركَ هذا المشتري من دَرَكٍ فعلى مَبلى أجساد الملوك مناكبُ نفوس الجبابرة ككسرى والقياصرة وتُبَّعْ وحميَر ومَن بَنى وشيَّدَ ، شَهدَ على ذلك العقل إذا خرجَ مَن أسر الهوى والمعرفة إذا خلت من قيد المين والسلام .

(وكان رضي الله عنه) يقول أعلمُ العلماء بالله أشدُّهم حبّاً لله وتعظيماً لأهل لاإله إلاّ الله . قال العارف الشعراني قدّس الله سرّه : "لأن أقلّ ماهناك أن العبد يجالسُ ربّهُ في الجنة بقدر ماعَمِلَ من العبادات والله أعلم . إنتهى" .

(وقال) إذا كان يوم القيامة أتت الدنيا بأحسن زينتها قالت ياربّ هبني لبعض أوليائك ، فيقول الله عزّ وجلّ لها إذهبي بما لاشيء فَلَأنت أهونُ من أن أهبَك لبعض أوليائي ، فتُطوى كما يُطوى الثوبُ الخَلق فتُلقى في النار . (وقال) إن أخوفُ ما أخافُ عليكم إتّباع الهوى وطول الأمل ، فأما إتّباع الهوى فيُضلُّ عن الحق ، وأما طول الأمل فيُنسي الآخرة . (وقال) هاه ، هاه ، إن ههنا علماً – وهو يشير الى صدره – ولو أصبتَ له حمله .

(وكان) يخاطبُ الدنيا ويقول قد طلّقتك ثلاثاً عمرُكِ قصير ومجلسكِ حقير وخطَرُكِ كثير آه ، آه من قلّة الزاد وبُعدِ السفر ووحشة الطريق .

(وقال) لم يرضَ الحقّ من أهل القرآن الإدهان في دينه والسكوتُ عن معاصيه . (وقال) ما نلتَ من دنياك فلاتكترث فيه فرحاً وما فاتك منها فلاتبتئس عليه حزناً وليكن همُّكَ فيما الموت . (وقال) أشدُّ الأعمال ثلاث : إعطاء الحقّ من نفسك وذكرُ الله على كلّ حال ومواساة الإخوان من المال .
(وقال أبو عبيدة في كتاب الأمثال) إرتجل عليَ كرّمَ الله وجهه تسع كلمات : قطع الأطماع عن اللحاق بواحدة منهنّ ثلاث في المناجاة وثلاثاً في العلم وثلاثاً في الأدب . فأمّا التي في المناجاة فقوله "كفانيَ عزّاً أن تكونَ لي ربّاً وكفاني فخراً أن أكونَ لكَ عبداً أنت لي كما أحبُّ فوفّقني لما تُحبّ" . وأما التي في العلم فقوله "المرء مخبوء تحت لسانه تكلّموا تُعرَفوا ، ماضاع امرؤٌ عرفَ قَدره" . وأما التي في الأدب فقوله "أنعم على مَن شئتَ تكُنْ أميرهُ ، وإستغن عمّن شئت تكن نظيره ، واحتَجْ الى مَن شئت تكن أسيره" . وخُطبهُ وكلامهُ أفرد بعدة أسفار كبار .
(وأما ما نُقلَ عنه) من التقلُّل والتزهُّد وأُشتُهر به من الترهُّب والتعبُّد فكثير . وقد قيل التصوّف السلوُّ عن الإعراض بالسموِّ الى الأغراض . (جاءه إبن التيّام) فقال : ياأمير المؤمنين إمتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء . فقال : الله أكبر– فنادى في الناس ففرّق جميع ما فيه وهو يقول – ياصفرا ويا بيضا غُرّي غيري هاء وهاء... حتى مابقيَ فيه دينار ولا درهم ، ثم أمر بنضحه وصلّى فيه ركعتين .
ومابنى لبنة على لَبنة ولا قصبة على قصبة . وكان يلبسُ إزاراً غليظاً أسود بخمسة دراهم . وكان يرقع قميصه فقيل : ياأمير المؤمنين لمَ هذا ؟ فقال : يُخشعُ القلب ويقتدي به المؤمن .
ودخلَ يوماً السوق فقال مَن عنده قميص بثلاثة دراهم ؟ فقال له رجل عندي . فأتاه فأعطاه فلبسه فإذا به يفصل عن أطراف أصابعه فأمرَ به فقُطع . وباعَ سيفه في ثمن أزار وقال والله لو كان عندي مابعته فطالما كشفتُ به الكربَ عن المصطفى صلى الله عليه وسلم . ودخل سيدنا ضرار على سيّدنا معاوية رضي الله عنهما فقال : صفْ لي علياً . فقال : أوَتعفيني ؟ قال : لا . قال : أما إذا كان ولابُدّ ، فكان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلاً ويحكمُ عدلاً يتفجّرُ العلم من جوانبه وتنطقُ الحكمة من نواحيه يستوحشُ من الدنيا وزهرتها ويأنسُ بالليل وظُلمته غزير العَبرَة طويل الفكرة ، يقلّب كفّهُ ويخاطب نفسهُ ، يعجبهُ من اللباس ما قصُر ومن الطعام ما خَشَن ، يُعظّمُ أهل الدين ويحبُّ المساكين . لايطمعُ القويُّ في باطله ولاييأسُ الضعيف من عَدله .
(وكان) أُتيَ رضي الله عنه بفالوذج فوُضعَ بين يديه ، فقال : إنك طيّب الرائحة حسن اللون طيّب الطعم غير إنّي لاأعوّدُ نفسي ما لم تعتدهُ وردّهُ ولم يأكل منه شيئاً . ولم يأكل طعاماً منذ قُتلَ عثمان ونُهبَتِ الدار إلاّ مختوماً حذراً من الشُبُهة . (وكان) قوتُهُ وكسوتهُ مما يؤتى به من المدينة ولم يأكل من طعام العراق إلاّ قليلاً . (وكان) يَبرَدُ في الشتاء ترتعدُ أعضاؤه ، فقيل له ألا تأخذ لك من كساء بيت المال فإنه واسع ؟ فقال لاأُنقصُ المسلمين من بيت مالهم شيئاً ، وكان يحاسب نفسه على كلّ شيء .

ونختم ترجمة هذا الإمام بخبر رواه بعض الأعلام وهو ما خرّجهُ الحافظ أبو نعيم بسند قويٍّ جداً عن حُذيفة مرفوعاً "من سرّهُ أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويتمسّك بالقصبة الياقوتية التي خلقها الله بيده ثم قال لها كوني فكانت فليتولَّ علي بن أبي طالب . إنتهى" .
(أقول) ورأيت من شرح رسالة سلسلة الذهب للشيخ محمد مراد الأزبكي في الطريقة العلية

النقشبندية أنه : وُلِدَ في جوف بيت اللّه الحرام ، وقيل لم يتيسّر ذلك لأحد قبله ولا بعده ، وذلك ليلة الأحد في الثالث والعشرين من شهر رجب بعد ثلاثين سنة من عام الفيل ، إنتهى . وقد علَمَ السنة والشهر والليلة التي قُتلَ فيها ، ولمّا خرج لصلاة الصبح صاحَ الإوزُّ في وجهه فطُردنَ عنه . فقال :
- دعوهنَّ فإنهنَّ نوائح .

(قتَلَهُ رضي الله عنه) عبدالرحمن بن مُلجم في رمضان سنة أربعين وقد نيَّفَ على الستين . وقد ذكروا لقتله أسباباً منها أن ابن مُلجم عشقَ إمرأةً من الخوارج يُقال لها (قطام) فأصدقَها ثلاثة آلاف وقَتل عليّ وفي ذلك قال الفرزدَق شعراً :

فلَمْ أرَ مَهراً ساقَهُ ذو سماحة ... كمَهرِ قطامَ بين غيرِ مُعجَمِ
ثلاثةُ آلافٍ وعبدٌ وقينةٌ ... وضربُ عليٍّ بالحُسامِ المُصمَمِ
فلا مَهرٌ أغلى من عليّ وإن غَلا ... ولا فَتكٌ إلاّ دون فَتكِ إبنِ مُلجمِ

(خرج) عليٌّ ينادي لصلاة الصبح أيها الناس فإعترضهُ إبن مُلجم فضربهُ بسيفٍ فأصاب جبهته الى قَرنه ووصلَ الى دماغه ، فشدَّ عليه الناس فأُمسكَ وأوثقَ وذلك في صبح الجمعة . فأقام عليّ الجمعة والسبت ومات ليلة الأحد ودُفن بقصرِ الإمارة بالكوفة ليلاً على أحد الأقوال ثم قُطعت أطراف إبن مُلجم وجُعلَ في قوصرة وأُحرقَ بالنار .

(وأقول) ونقلَ العلاّمة الشيخ محمد بن الحسن بن عبدالله الحسيني في "مجمع الأحباب" عن ابن سعد :
"قال أهل السيَر أنتُدبَ ثلاثة من الخوارج عبدالرحمن بن ملجم المُرادي وهو من حميَرْ وعداده في بني مُراد وهو حليف إبن صلّة من كنده ، والبرك بن عبدالله التميمي ، وعمرو بن بكر التميمي . فاجتمعوا بمكة وتعاقدوا لَيَقتُلُنَّ عليّ بن أبي طالب ومعاوية وعمرو بن العاص . فقال إبن ملجم أنا لعليّ وقال البرك أنا لمعاوية وقال الآخر أنا لعمرو . وتعاهدوا أن لايرجع أحدٌ منهم حتى يقتله أو يموتَ دونه وتواعدوا ليلة سابع عشر من رمضان ، فتوجّه كلّ واحد الى المصر الذي فيه صاحبه الذي يريدُ قتله . فضرب إبن مُلجم علياً رضي الله عنه بسيفٍ مسموم في جبهته فأوصله دماغهُ في الليلة المذكورة ليلة الجمعة ، ثم توفيّ عليّ رضي الله عنه في الكوفة ليلة الأحد تاسع عشر رمضان سنة أربعين . إنتهى" .

ونُقلَ في "العقد الفريد" عن التميمي باسناد له قال :
"لمّا تواعد إبن ملجم وصاحباه بقتل عليٍّ ومعاوية وعمرو بن العاص دخل إبن ملجم المسجد في فروغ الفجر الأول ، فدخل في الصلاة تطوعاً ثم إفتتح في القراءة وجعل يكرر هذه الآية (ومن الناس من يشري نفسه إبتغاء مرضات الله) . فأقبلَ عليّ رضيَ الله عنه بيده مخففة وهو يوقظُ الناس للصلاة ويقول أيها الناس الصلاة الصلاة . فمرَّ بإبنِ ملجم وهو يردد هذه الآية . فظنَّ عليّ أنه ينسى فيها ففتح عليّ فقال (والله رؤوف بالعباد) ، ثم إنصرف عليّ وهو يريد أن يدخل الدار ، فأتبعهُ فضَربَهُ على قَرنه ووقع السيف في الجدار فأطار قدرةٍ من آخره . فإبتدرهُ الناس فأخذوه فوقع السيف منه فجعل يقول أيها الناس إحذروا السيف فإنه مسموم . قال فأُتي به عليّ ، فقال : "إحبسوه ثلاثاً وأطعموه واسقوه فإن أعشْ أرى فيه رأيي وإن متُّ فاقتلوه ولاتمثّلوا به" .

فمات من تلك الضربة ، فأخذه عبدالله بن جعفر فقطع يديه ورجليه فلم يفزع ثم أراد قطع لسانه ففزع ، فقيل له : لِمَ لمْ تفزَع لقطع يديك ورجليك وفَزعتَ لقطع لسانك ؟ قال : إني أكرهُ أن تمرّ

بي ساعة لاأذكرُ الله فيها . ثم قطعوا لسانه وضربوا عنقهُ .

وتوجّه الخارجيُّ الآخر الى معاوية فلم يجد اليه سبيلاً وتوجّه الثالث الى عمرو بن العاص فوجده قد أغفل تلك الليلة فلم يخرج الى الصلاة وقدَّمَ مكانهُ رجلاً يُقال له خارجة . فضربه الخارجيُّ بالسيف وهو يظنّهُ عمرو بن العاص فقتلهُ . فأخذه الناس فقالوا : قتلت خارجة . قال : أوَليسَ عمراً ؟ قالوا له لا . قال : أردتُ عمرواً وأراد الله خارجة .

قال في "مجمع الأحباب" رأيت في بعض التصانيف أن أحد الفضلاء نظم قصيدة ذكرَ فيها جماعة من الإسلام فمنها :

وخضّبَتْ شَيبَ عُثمانَ دماً وخطَت	الى الزبير ولم تستحي من عمرِ
وليتَها إذ فَدَت عمراً بخارجة	فدَت علياً بمن شاءت من البرِ

(وروينا) أنه لمّا ضربه إبن ملجم قال فُزتُ وربِّ الكعبة . قالوا ولمّا فرغ عليٌ من وصيته قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم لم يتكلم إلاّ كلمة الشهادة لاإله إلاّ الله حتى توفي ودُفن بالكوفة . (قال أبو بكر بن عياش) عُمّيَ قبر عليّ لئلا تنبشهُ الخوارج . (وقال شُرَيك) نقله إبنه الحسن الى المدينة . (وقال المبرّد) عن محمد بن حبيب : "أول من حُوِّلَ من قبرٍ الى قبر عليّ رضي الله عنه حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينما هم في مسيرهم ليلاً إذ ندَّ البعير الذي هو عليه فلم يُدرَ أين ذهب ولم يُقدَر عليه" . قال : "فلذلك يقول أهل العراق هو في السحاب" . وقال غيره إن البعير وقع في بلاد طيء فأخذوه فدفنوه . وكان له حين قُتلَ ثلاث أو أربع أو خمس وستون وقيل سبع أو ثمان وخمسون سنة وكان له تسع عشر سَريّة .

قال إبن قتيبة : "ولعليّ من الأولاد الحسن والحسين ومحمد وأم كُلثوم وزينب الكبرى من فاطمة . وله من غيرها أولاد كثيرون . إنتهى" . وله رضي الله عنه نظمٌ كلّهُ حِكَم وعلم ، فمن ذلك ماأ خرج عن حمزة بن حبيب الزيّات قال : كان عليّ رضي الله عنه يقول :

لاتُفشِ سِرّكَ إلاّ إليك	فإن لكل نصيحٍ نصيحا
فإني رأيت غواة الرجال	لايدعون أديماً صحيحا

وأُخرج عن نبيط الأشجعي عنه رضي الله عنه أنه كان يقول :

إذا إشتملت على اليأس القلوب	وضاق بها الصدر الرحيبُ
وأوطئت المكارهُ وإطمأنّت	وأرسَت في أماكنها الخطوبُ
ولم يُرَ لإنكشاف الضُرِّ وجهٌ	ولاأغنى بحيلته الأريبُ
أتاك على قنوط منك غوثٌ	يجيء به القريب المستجيبُ
وكلُّ الحادثات إذا تناهَت	فموصول به الفرجُ قريبُ

وأخرج عن المبرّد كان مكتوباً على سيف عليّ بن أبي طالب :

للناس حرصٌ على الدنيا وتدبيرِ	وصَفوها لكَ ممزوج بتكديرِ
لم يُرزقوها بعقلٍ بعدما قُسِّمَتْ	لكنهم رُزقوها بالمقاديرِ
كم من أديبٍ لبيبٍ لاتساعدهُ	وأحمق نال دنياه بتقصيرِ
لو كان عن قوةٍ أو عن مُغالبةٍ	طار البُزاة بأرزاق العصافيرِ

وقال رضي الله عنه :

إن أخـــاك الحقَّ مَن كـــان مـــعـك ومَنْ يضُرُّ نفـسـه لينـفـعكْ
ومَن إذا رَيـبُ الزمـان صَـدَعَـك شـتَّتَ فـيك شـملهُ ليـجـمـعَكْ

ومما يُعزى له أيضاً من قصيدة طويلة :

دواؤك فـيك ولاتشـعـرُ وداؤك منـك وتَسـتَـخـبـرُ
وأنت الكـتـاب المُبـينُ الذي بأحـرفـه قـد طـوى المضـمَـرُ
وتزعُمُ أنّكَ جـرمٌ صـغـيرٌ وفـيك إنـطوى العـالـم الأكـبـرُ

ومنه أيضاً :

حـقـيـقٌ بالتـواضـع من يموتُ ويكفي المرءَ من دنيـاهُ قـوتُ
فـمـا للمـرءِ يـصـبح ذا همـوم وحـرص ليس تـدركـهُ النُعـوتُ
فـيـاهذا سـتـرحل عـمّـا قـريبٍ الى قـومٍ كـلامُـهم السـكـوتُ

ولمّا إنتقل الى الفردوس الأعلى رثاه أبو الأسود الدؤلي فقال رضي الله عنه :

ألا يـاعـينُ ويحَك أسـعـدينـا ألاّ تـبكي أمـيـر المؤمنـيـنـا
وتبـكي أمُ كُـلثـومَ عليـه بعَـبـرَتهـا وقـد رأت اليـقـينـا
ألا قُلْ للخـوارج حـيـث كـانـوا فـلا قَـرَّت عـيـون الحـاسـدينـا
أفـي شـهـر الصـيـامِ فـجـعـتـمـونا بخـيـر النـاس طُرّاً أجـمـعـيـنـا
قـتـلـتُـمْ خـيـر مَن ركب المَطايا وذَلّـلَهـا ومَن رَكبَ السَـفـيـنا
ومـن لَبِـسَ النـعـال وحـذاها ومَنْ قـرأ المثـانـي والمئـيـنـا
وكـلّ مـناقـب الخـيـر فـيـه وحـبُّ رسـول ربِّ العـالمينـا
لقـد علمَت قـريش حـيثُ كـانت بأنـك خـيـرهم حَـسَـبـاً ودينـا
إذا إسـتـقـبلت وجـه أبي حـسين رأيـت البـدرَ فـوقَ النـاظرينـا
وكـنّا قـبل مـقـتله بخـيـر نرى مـولى رسـول الله فـيـنـا
يُقـيمُ الحقَ ولايـرتاب فـيـه ويَعـدلُ فـي العـدا والأقـربينـا
وليسَ بكاتمٍ عـلمـاً لديـه ولم يُخلَـق من المتكبّـرينـا
كـأن النـاس إذ فـقـدوا عـليّـاً نعـام حـار فـي بلـد سنـيناً
فـلاتشـمَت مـعـاوية بن صـخـر

ثم تلّقى سرَ هذه النسبة الشريفة عنه جمٌّ غفير من الصحابة والتابعين أعظمهم سيّد هذه السلسلة الجليلة شِبلُهُ سيدنا الحسين رضي الله عنهم أجمعين .

سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب
رضي الله تعالى عنهما

حسبُ اليراعة في مقام البراعة بالثناء على هذا السيد الجليل والسبط السليل الإمام أن جدّه فخر العالم صلى الله عليه وسلّم قال في حقّه : "حسينٌ منّي وأنا منه اللّهم أحبّ من أحبَّ حسيناً ، حسين سبطٌ من الأسباط" رواه الحاكم عن يعلي العامريّ وصححهُ . (وجلس) صلى الله عليه وسلم يوماً في المسجد وإحتبى ثم قال لأبي هُريرة أُدعُ لي (لُكاع) فأتى بحسين يشتد حتى وقع في حجره ثم أدخل يده في لحيته فجعل المصطفى صلى الله عليه وسلم يفتح فم الحسين ويُدخل فاه في فيه ويقول : "اللّهم إنّي أُحبُّهُ فأحِبَّه" رواه الحاكم .

وُلِدَ الحسين رضي الله عنه سنة أربع أو ست أو سبع وقيل لم يكن بين الحمل بالحسين بعد ولادة الحسن إلاّ طُهرٌ واحد ، وكان شجاعاً مقداماً من حين كان طفلاً . أتى عمر وهو يخطب على المنبَر ، فصعد اليه ، فقال : إنزل عن منبر أبي وإذهب الى منبر أبيك .

فقال عمر : لم يكن لأبي منبَر .

وأخذه فأجلسهُ معه وقال له : مَنْ علّمكَ ؟

فقال : والله ماعلّمني أحد .

(وكان) إبن عمر جالساً في ظل الكعبة إذ رأى الحسين مُقبلاً فقال : "هذا أحبُّ أهل الأرض الى أهل السماء اليوم" . وكانت إقامته بالمدينة الى أن خرج مع أبيه الى الكوفة فشَهِدَ معه مشاهِدَهُ وبقي معه الى أن قُتلَ ثُمَّ مع أخيه حتى إنفصل فرجع للمدينة وإستمرّ بها حتى توفي معاوية . فأخرج يزيد إليه يريد مَن يأخذ بيعته فإمتنع وخرج الى مكة فأتته كتب أهل العراق بأنهم بايعوه بعد موت معاوية . فأشار عليه إبن الزبير بالخروج وإبن عباس وإبن عمه بعدمه . فأرسل إبن عمه مسلم بن عقيل فأخذ بيعتهم وأرسل اليه يستقدمه . فخرج الحسين من مكة قاصداً العراق ولم يعلم بخروجه إبن عمر ، فخرج خلفه فأدركه على ميلين من مكة ، فقال :

– إني محدّثك حديثاً إن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخيّره بين الدنيا والآخرة ، فإختار الآخرة وإنّك بضعةٌ منه والله لايليها أحدٌ منك .

فقال : إنّ معي حملين من كتب أهل العراق ببيعتهم .

فقال : ماتصنعُ بقومٍ قتلوا أباك وخذلوا أخاك .

فأبى إلاّ المُضيَّ فإعتنقهُ وبكى ، وقال : أستودعُكَ الله من قتيل .

ثم سافر فكان إبن عمر يقول : " غَلَبَنا حسينُ بالخروج ولَعَمري لقد رأى في أخيه والله عبرة" . وكلّمهُ في ذلك وجوه الصحابة جابر بن عبدالله وأبو سعيد وأبو واقد وغيرهم . فلم يطع أحداً منهم وصمّمَ على المسير . فقال له إبن عباس : والله إني لأظنّكَ ستُقتَل بين نسائك وأبنائك وبناتكَ كما قُتلَ عثمان .

فلم يقبل . فبكى إبن عباس وقال : أقرَرْتَ عين إبن الزبير .

فلمّا رأى إبن عباس إبن الزبير قال له : قد جاء ماأ حببتَ هذا الحسين خرجَ وتركَكَ والحجاز .

فعلمَ يزيد بخروجه فأرسل الى عبيدالله بن زياد واليه على الكوفة يأمره بطلب مسلم وقَتلِه . فظفرَ به وقـتَلَهُ . ولم يبلُغ ذلك حسيناً حتى صار بينه وبين القادسية ثلاثة أميال ، فلـقيَـهُ الحُرّ بن زيد التميمي فقال له : إرجِعْ فإني لم أدَعْ لك خلفي خيراً .

وأخبره الخبر . ولقيَ الفرزدَق فسأله فقال : قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني اُميّة والقضاء ينزل من السماء .

فهَمَّ أن يرجع وكان معه أخوه مسلم فقالوا لانرجع حتى نصيبَ بثأره أو نُقتَل . فساروا وكان إبن زياد جهّز جيشاً قوامه أربعة آلاف وقيل عشرون ألفاً لملاقاته . فوافوه بكربلاء فنزل ومعه خمسة وأربعون فارساً ونحو مائة راجل ولقيهُ الجيش وأميرهم عمرو بن سعد بن أبي وقاص . وكان إبن زياد ولاّه الري وكتب له بعهده عليها إن حارب الحسين . ورجع فلما إلتقيا وأرهقهُ السلام قال له الحسين إختر منّي ثلاثاً إما أن اُلحَقَ بثغرٍ من الثغور وإما أن أرجع الى المدينة واما أن أضع يدي في يد إبن معاوية . فقبل ذلك عمرو منه وكتب به الى إبن زياد . فكتب هذا إليه لاأقبل منه حتى يضع يده في يدي فامتنع الحسين . فتأهبوا لقتاله وكان أكثر مقاتلَتهِ الكاتبين إليه والمبايعين له . فلما أيقن أنهم قاتلوه قام في أصحابه خطيباً . فحمدَ الله وأثنى عليه ثم قال :

"قد نزل من الأمر ما ترون وإن الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت وأدبرَ معروفها وإنشمرت حتى لم يبق منها إلاّ كصبابة الإناء وإلاّ خسيس عيش كالمرعى الوبيل . ألا ترون الحق لايُعمل به والباطل لايُتناهى عنه ، ليرغب المرءُ في لقاء الله فإني لاأرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ حراماً" .

فقاتلوه فكان آخر الأمر أن قُتلَ وقُتلَ معه سبعة عشر شاباً من أهل بيته وذلك بكربلاء كما في خبر رواه الطبراني . (فإن قلت) ينافيه ماورد عن الطبراني أيضاً عن عائشة أنه عليه الصلاة والسلام قال : "أخبرني جبريل أن الحسين يُقتل بعدي بأرض الطفّ وجاءني جبريل بهذه التربة وأخبرني أن فيها مضجعه" . وما رواه إبن سعد عن عليّ أمير المؤمنين قال : "دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وعيناه تفيضان فسألته ، فقال أخبرني جبريل أنّ حسيناً يُقتلُ بشاطيء الفرات" . (قلتُ) لاتَعارُضْ لأن الفرات يخرج من آخر حدود الروم ثم يمرُّ بأرض الطفّ وهي من بلاد كربلاء ، فإلتأم الكلام وإستقام على أحسن نظام .

ولمّا قتلوه حزّوا رأسه ثم أتوا به إبن زياد فأرسله ومن بقيَ من أهل بيته الى يزيد ومنهم عليّ بن الحسين كان مريضاً وعمّته زينب . فلما قدموا على يزيد سُرَّ سروراً كبيراً وأوقفهم موقف السبي بباب المسجد وأهانهم وبالغ . ولما وضعوا الرأس الشريف بين يديه صار يضرب على ثناياه بقضيب كان معه ويقول : "لقد لقيتَ بغيك ياحسين" وبالغ في الفرح ثم ندمَ لمّا مقَتهُ المسلمون على ذلك وأبغضه العالم . (قال جلال السيوطي) وحَقٌ لهم أن يبغضوه .

(وقد أخرج) أبو يعلى عن أبي عبيدة مرفوعاً : "لايزال أمر أمتي قائماً بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أميه يُقال له يزيد" . (وأخرج الروياني) عن أبي الدرداء مرفوعاً : "أول من يبدّل سنّتي رجل من بني أمية يُقال له يزيد" .

(وقد صنّف) جماعة من القدماء في مقتله تصانيف فيها الغثُّ والسمين والصحيح والسقيم وفي هذه القصة المُساقة غنى ، وقد صحّ عن إبراهيم النخعي أنه كان يقول : "لو كنتُ ممن قاتل الحسين ثم اُدخلتُ

الجنة لأستحييتُ أن أنظر الى وجه المصطفى صلى الله عليه وسلم" . (وقال) إبن عبّاس : "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم نصف النهار أشعثَ أغبرَ بيده قارورة فيها دم . فقلتُ يارسول الله ماهذا ؟ قال دم الحسين وصحبه ولم أزل ألتقطهُ منذ اليوم . فكان ذلك اليوم الذي قُتلَ فيه" رواه البيهقي . (وسُمعت) الجنُّ تنوح عليه كما أخرجه أبو نعيم وغيره .

وقُتلَ يوم عاشوراء يوم الجمعة سنة إحدى وستين وكُسفت الشمس وقت قتله كسفةً أبدت الكواكب نصف النهار وإحمرّت آفاق السماء ستة أشهر يُرى فيها كالدم ، ومكثت الدنيا سبعة أيام كأنها علقة والشمس على الحيطان كالملاحف المُعصفَرة والكواكب يضرب بعضها بعضاً . وقيل أنه لم يُقلب حجر ببيت المقدس إلاّ وُجِدَ تحته دم عبيط . وصار الورس الذي في عسكرهم رماداً ، ونحروا ناقة في عسكرهم فصاروا يرون فيها النيران وطبخوها فصارت كالعلقم . ولما ساروا الى إبن معاوية قعدوا في أول مرحلة يشربون الخمر فخرج عليهم قلم حديد من حائط وكتب بدم :

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب

ثم أن إبن معاوية أمر بردِّ أهل الحسين الى المدينة وأن يُطاف برأسه الشريف في البلاد . (وروى) إبن خالويه عن الأعمش عن منهال بن عمرو الأسدي قال : "والله رأيت رأس الحسين حين حُمل وأنا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ سورة الكهف حتى بلغ (أم حسبتَ أن أصحاب الكهف والرّقيم كانوا من آياتنا عجباً) فنطقَ الرأس بلسان عربيّ فصيح فقال جهاراً "أعجبُ من أصحاب الكهف قتلي وحملي" . (وأخرج) الحاكم في "المستدرك" عن إبن عباس : "أوحى الله الى محمد صلى الله عليه وسلم إني قتلتُ بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً وإني قاتلٌ بإبن إبنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً" صححه الحاكم وقال الذهبي في "التلخيص على شرط مسلم" . وقال الحافظ إبن حجر وورد من طريق واه عن عليّ عن المصطفى صلى الله عليه وسلم قال : "قاتل الحسين في تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا" .

(وإعلَم) أنهم إختلفوا في رأس الحسين بعد مصيره الى الشام الى أين صار وفي أي موضع إستقرّ . فذهب طائفة الى أنه طيفَ به في البلاد الى أن إنتهى الى عسقلان فدفنهُ أميره بها . فلما غلب الفرنج على عسقلان إفتداها منهم الصالح طلايع وزير الفاطميين بمال جزيل ومشى الى لقائها من عدة مراحل ثم بنى عليها المشهد المعروف بالقاهرة . والى ذلك أشار القاضي الفاضل في قصيدة مدح بها الصالح وصار آخرون منهم كالزبير بن بكار والعلاء الهمداني الى أنه حُملَ الى المدينة مع أصله فكُفّن ودُفنَ بالبقيع عند قبر أمه وأخيه الحسن . وذهبت الإمامية الى أنه أُعيد الى الجثة ودُفن بكربلاء بعد أربعين يوماً من المقتل . ورجّحَ القرطبي القول الثاني قائلاً : "ما ذُكر من أنه في عسقلان في مشهد هناك أو بالقاهرة باطلٌ لاأساس له . إنتهى" .

والذي عليه طائفة من الصوفية أنه بالمشهد القاهريّ . يقول العارف المناوي قدّس الله سرّهُ : "لكن ذكر لي بعض أهل الكشف والشهود أنه حصل له إطلاع على أنه دُفن مع الرأس بكربلاء ثم ظهر الرأس بعد ذلك بالمشهد القاهري ، لأن حكم باب البرزخ حكم الإنسان الذي تدلّى في تيار جارٍ فيطفو بعد ذلك في مكان آخر . فلما كان الرأس منفصلاً طفا في هذا المحل من المشهد الحسيني المصري" . وذكر أنه خاطبه منه (وذكر بعضهم) أن القطب يزوره كلّ يوم .

(ومن كلام الحسين رضي الله عنه) إن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملّوا من تلك النعم فتعودَ عليك نِقماً .

(وقال) من جادَ سادَ ومن بخَلَ رذل ومن تعجّل لأخيه خيراً وجده إذا قدم على ربه رغداً .

(والتزم) يوماً الركن الأسود وقال "إلهي نعّمتني فلم تجدني شاكراً وأبليتني فلم تجدني صابراً فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر ولاأدمتَ الشدّة بترك الصبر إلهي لايكون من الكريم إلاّ الكرم" .

(وأخرج) إبن عساكر أن إبن عباس بينما يحدّث الناس قام اليه نافع الأزرق وقال : تُفتي الناس في النملة والقملة صف إلهك الذي تعبُد .

فأطرق إعظاماً لقوله وكان الحسين جالساً ناحية فقال :

إليَ ياإبن الأزرق . قال : لست إيّاك بسائل . فقال إبن عباس : إنه من بيت النبوّة وهم ورثة العلم .

فأقبل نافع نحو الحسين . فقال الحسين :

– يانافع مَن وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في إلتباس سائلاً ناكباً عن المنهاج طاغياً بالإعوجاج ضالاً عن السبيل قائلاً غير الجميل . أصفُ لك إلهي بما وصفَ به نفسه وأعرِّفهُ بما عرّفَ به نفسه : لايُدركُ بالحواس ولايُقاسُ بالناس قريبٌ غير ملتصق بعيد غير منتقص يوحّد ولايبعّض معروف بالآيات موصوف بالعلامات لا إله إلاّ هو الكبير المتعال . إنتهى .

(وحجّ رضي الله عنه) خمساً وعشرين حَجةً ماشياً والجنائب تُقاد بين يديه . وفي "العقد الفريد" عن جعفر بن محمد عن أبيه رضي الله عنهما قال بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر وهم صغار ولم يبايع قط صغيراً إلاّ هم . (وقيل لعليّ بن الحسين) "ماكان أقلّ ولد أبيك ، قال العجب كيف وُلدتُ له ، كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة فمتى كان يتفرّغ للنساء" . وقُتل وهو إبن ست وخمسين سنة وهو صابغ بالسواد قتلهُ سنان بن أبي أنس وأجهزَ عليه خولة بن يزيد الأصبحي من حميَر وحزّ رأسه وأتى به عبيد بن زياد وهو يقول :

إمـلأ ركـابي فـضـةً وذهـبـا ... إنـي قـتـلتُ الملك المُحـبّـبـا
قـتلتُ خـيـر الـناس أمـاً وأباً ... وخـيـرهم إذ يُذكـرون نَسَـبـاً

فقال عبدالله بن زياد :

– إذا كان خير الناس أماً وأباً وخير عباد الله فلمَ قتلتهُ ؟ قدّموه فاضربوا عُنُقَه . فضُرِبَت عنقه .

(قال أبو عبيد) حدّثنا حجّاج عن أبي معشر قال : "قُتل الحسين بن عليّ ومعه عثمان إبن عليّ وأبو بكر إبن عليّ وجعفر بن عليّ وعليّ والعباس وكانت أمهم أمُّ البنين بنت حرام الكاذبية وابراهيم بن علي لأم ولد له وعبدالله بن حسن وخمسة من بني عقيل بن أبي طالب وعون ومحمد إبنا عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وثلاثة من بني هاشم . فجميعهم سبعة عشر رجلاً وأُسر إثنا عشر غلاماً من بني هاشم فيهم محمد بن الحسين وفاطمة بنت الحسين فلم تقم لبني حرب قائمة حتى سلبهم الله ملكهم . وقالت بنت عقيل بن أبي طالب ترثي الحسين يوم أصيب معه :

عـينـي إبكي بعَـبـرة وعـويـل ... وأندبـي إن ندبـت آل الرسـول
سـتـةٌ كلّهم لصُـلب عليّ ... قـد أصـيـبـوا وخـمـسـة لـعـقـيـل

وأنشدت أخته زينب المدفونة في قناطر السباع من مصر العتيق ورأسها خارجة من الخباء :

مـاذا تقـولون إن قـال النـبيّ لكم ... مـاذا فـعلـتم وأنتـم آخـر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد مُـفتَقَـدي ... منهم أُسارى ومنهم ضُـمّـخ بدمِ
مـاكـان هذا جـزائـي إذ نصـحـتكم ... أن تـخلفـوني بـسـوءٍ في ذوي رحِـمي

(قلتُ) وقوله "المدفونة في قناطر السباع" نقل هذه القصة العارف الشعراني وأمر الإمام المناوي قدّس الله سرّهما بأن تُحررَ فلتُحرَر . ورُزق من الأولاد خمسة عليّ الأكبر وعليّ الأصغر وله العقب وجعفر وفاطمة وسكينة المدفونة بالمراغة بقرب سيدتنا نفيسة رضي الله عنهم ، ثم سرى هذه النسبة الشريفة عنه الى ولده سيّدنا زين العابدين عليّ الأصغر رضي الله عنه .

سيدنا زين العابدين
رضي الله عنه

مُظهِر شمس النبوّة الخاتمية ومُظهِر أسرار الصفة العلية وكوثر زلال المكارم الهاشمية سيدنا علي زين العابدين المعروف بالأصغر للفرق بينه وبين أخيه الأكبر الذي سقاه أهل المكر والبلاء كأس الشهادة مع أبيه في كربلاء . ولم يُقتل والحمد لله يومها هذا الإمام الجليل إذ كان عمره ثلاثة عشر عاماً وهو عليل وكنيته رضي الله عنه أبو الحسن وأبو محمد وأبو عبدالله . وكان كبير القدر رحب الساحة مُهاباً كريماً عالماً عظيماً ثقةً ثبتاً قوياً .

(قال الزهري وابن عُيينة) ماراأينا قرشياً أفضل منه وروى عن أبيه وعن عائشة وأبي هُريرة وجمع ، وعنه بنوه محمد وزيد وعمر والزهري وأبو الزناد وغيرهم . قال الزهري مارأينا أحداً أفقه منه . وقال إبن المسيب مارأيت أورعَ منه ، وقد جاء عنه مناقب من خشوعه في وضوئه وصلاته ونُسُكه مايدهشُ السامع . (وكان) يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة حتى مات . وقال مالك : "وسُمّيَ زين العابدين لكثرة عبادته" . (وكان) إذا هاجتِ الريح سقط مغمىً عليه ، ووقع حريقٌ في بيته وهو ساجد فجعلوا يقولون له النار فما رفع رأسه حتى طفئت . فقيل له أشعرت ؟ قال ألهتني عنها النار الكُبرى .

(وكان) إذا نقصَهُ أحد قال اللّهم إن كان صادقاً فاغفر لي وإن كان كاذباً فاغفر له . ولما مات وجدوه يقوتُ أهل مائة بيت . (ودخل) على محمد بن أسامة بن زيد في مرض موته فبكى ، فقال له عليّ :

- مايُبكيك ؟

فقال : عليَّ دَينُ خمسة عشر ألف دينار .

فقال : هي عليَّ . ووفّاها .

(ومن كراماته) أن زيداً إبنه إستشاره في الخروج فنهاه ، وقال :

- أخشى أن تكون المقتول المصلوب أما علمت أنه لايخرج أحد من ولد فاطمة قبل خروج السفياني إلاّ قُتل .

فكان كما قال ، خرج زيد في خمسة عشر ألفاً فطُلب فتفرقوا عنه فقتله الحجاج وصلبه مكشوفَ العَورة ، فأكرمه الله بأن نسجت العنكبوت عليها فلم تُرَ بعد ذلك . (ومن كرامات زين العابدين رضي الله عنه) أن عبدالملك بن مروان حمله من المدينة مقيّداً مغلولاً في أثقل قيود ، فدخل عليه الزهري لوداعه فبكى وقال : وددتُ أني في مكانك .

فقال : أتظُنّ أن ذلك يُكربُني لو شئتُ لما كان وإنه ليذكّرني عذاب الله -ثم أخرج رجليه من القيود ويديه من الغلّ ورماهما ثم أعادهما .

(وكان) يُضرب به لمثل في الحُلم وله فيه حكايات عجيبة وأخبار غريبة . (وكان) شديد الخوف من الله بحيث إذا توضأ إصفرَّ لونه وإرتعد فيقال له ماهذا ؟ فيقول تدرون بين يدي مَن أقوم . (وكان) لايعينه على طهوره أحد ولايدع قيام الليل حضراً ولا سفراً . وقُرّب اليه طهوره مرّة في وقت وردّه فوضع يده في الإناء ليتوضأ ثم رفع رأسه فنظر الى السماء والقمر والكواكب ، فجعل يتفكّر في خلقها حتى أصبح وأذّن المؤذن ويده في الإناء فلم يشعر .

(ومن كلامه) إذا نصح العبد لله في سرّه أطلعه على مساوىء عمله فتشاغل بذنوبه عن معائب الناس . (وقال) فقدُ الأحبّة غُربة وعبادة الأحرار لاتكون إلاّ شكراً لله لا خوفاً ولا رغبة . (وقال) كيف يكون صاحبك مَن إذا فتحتَ كيسهُ فأخذت منه حاجتك لم ينشرح لذلك . (وقال) أقرب مايكون العبد من غضب الله إذا غضب . (وقال) إن قوماً عبدوه رهبةً فتلك عبادة العبيد وآخرون رغبة فتلك عبادة التجّار وقوماً عبدوه شكراً فتلك عبادة الأحرار . (وقال) عجِبتُ للمتكبّر الفخور الذي كان بالأمس نُطفةً وغداً جيفة ، وعجِبتُ كل العجب لمن شكَ في الله وهو يرى خلقه ولمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى الأولى ولمن عملَ لدار الفناء وترك دار البقاء . (وقال) لإبنه الباقر لاتصحبنَّ خمسة ولاترافقهم في طريقهم ، الفاسق فإنه يبيعك بأكلة فما دونها . وقيل فما دونها قال يطمع فيها ثم لاينالها ، والبخيل لأنه يطمع بك أحوج ما تكون اليه والكذّاب فإنه كالنسوان يُبعد منك القريب ويقرّب منك البعيد وقاطع الرحم فإنه ملعون في ثلاث آيات من كتاب الله ، وكان ينشد :

وما شيءٍ أحبَّ الى لئيم إذا شتمَ الكريم من الجواب

وكان عاملاً على كتمان أسرار الله في العالم كما أشار اليه بقوله :

يارُبَّ جوهر علم لو أبوح به لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولإستحلَّ رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتوونه حسَنا

(ومن مبالغات حلمه) أنه خرج يوماً من المسجد فلقيه رجل فسبّهُ وبالغ وأفرط . فبادر إليه العبيد والموالي فكفّهم وأقبل عليه فقال :

- ماسُتِرَ عنك من أمرنا أكثر ألَكَ حاجة نعينك .

فاستحى الرجل فألقى له خميصة وأمر له بخمسة آلاف درهم ، فقال الرجل : أشهد إنك من أولاد المصطفى عليه الصلاة والسلام .

(ولقيَهُ رجل) فسبّهُ ، فقال : ياهذا بيني وبين جهنّم عقبة إن أنا جزتها فما أنا اُبالي بما قلت وإن لم أجُزها فأنا أكثر مماتقول ألَكَ حاجة . فخجل الرجل .

(وسبّهُ رجل) فقال له : ماتعرفه مني أكثر مماتعرفه فإن كان لك حاجة فأذكرها .

(قال في مجمع الأحباب) وكان عنده ضيف فإستعجل الخادم في الشّواء الذي كان في التنور ، فأقبل به مسرعاً فسقط السفود من يده على إبنٍ صغيرٍ له في أسفل الدرجة فأصاب رأسه فقتله ، فقال عليّ للغلام الذي قتله أنت حرّ لوجه الله عزّ وجلّ فإنك لم تتعمّدهُ وأخذ في جهاز إبنه .

(وحجّ هشام بن عبدالملك) قبل أن يلي الخلافة فاجتهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يمكنهُ وجاء عليّ بن الحسين ، فوقف له الناس وتنحّوا حتى إستلم فقال الناس لهشام من هذا ؟ قال لاأعرفه . فقال له الفرزدق لكنّي أعرفه هذا عليّ بن الحسين وأنشد :

هذا إبن خير عباد الله كلّهمُ هذا التقيّ النقيُّ الطاهر العَلَمُ
هذا الذي تعرف البطحاء وطأتهُ والبيت يعرفه والحِلُّ والحرمُ
يكاد يُمسكهُ عرفان راحته ركن الحطيم إذا جاءَ يستلمُ
إذا رأته قريش قال قائلها الى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
إن عدّ أهل التُّقى كانوا أئمتهم أو قيل مَن خير أهل الأرض قيلَ همُ
هذا إبن فاطمة إن كنتَ جاهلهُ بجدّهِ أنبياء الله قد خُتموا

وليس قولك مَنْ هذا بضائره — العربُ تعرفُ من أنكرتَ والعجمُ
يُغضي حياءً ويُغضي مهابةً — فلا يكلم إلاّ حين يبتسمُ
من معشر حبّهم دين وبُغضُهم — كُفرٌ وقربُهم ملجأ ومُعتَصَمُ
لايستطيع جَوادٌ بعد غايتهم — ولايُدانيهم قومٌ وإن كَرَموا
مَن يعرف الدين يعرف أولوية ذا — الدين من بيت هذا نالـه الأممُ

(وكان يقول) اللّهم إني أعوذ بك أن تُحسّن في لوامع العيون علانيتي وتُقبِّحَ في خفيات الغيوب سريرتي ، اللّهم كما أساتُ وأحسَنت اليَّ فإذا عدتُ فعُد عليَّ . وفي (وفيات الأعيان لإبن خلكان) أنه كان يقال لزين العابدين إبن الخيّرتين لقوله صلى الله عليه وسلم : "لله تعالى من عباده خيّرتان فخيّرتهُ من العرب قريش ومن العجم فارس" . وذكر أبو القاسم الزمخشري في كتاب "ربيع الأبرار" أن الصحابة رضي الله عنهم لما أتوا المدينة بسبي فارس في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان فيهم ثلاث بنات ليزدجُرد فباعوا السبايا وأمر عمر ببيع بنات يَزدَجُرد أيضاً فقال له عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : إن بنات الملوك لايُعَاملنَ معاملة غيرهن من بنات السوقة . فقال : كيف الطريق الى العمل معهنّ ؟ قال : يُقَوَّمنَ ومهما بلغ ثمنهنّ قام به مَن يختارهنّ .

فقُوِّمنَ فأخذهنّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فدفع واحدة لعبدالله بن عمر وأخرى لولده الحسين وأخرى لمحمد بن أبي بكر الصديق . فأولد عبدالله أمَتَهُ سالماً وأولَدَ الحسين زين العابدين وأولَدَ محمد ولده القاسم . فهؤلاء الثلاثة بنو خالة وأمهاتهم بنات يزدَجُرد . (وذُكِر) أن أمّ زين العابدين إسمها "سلافة" قلتُ وقيلَ "غزالة" بنت يزدجرد آخر ملوك فارس . وكان أهل المدينة يكرهون إتخاذ أمهات الأولاد من السراري حتى نشأ فيهم عليّ بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبدالله ، ففاقوا أهل المدينة فقهاً وورَعاً فرغب الناس في السراري .

وفضائل الإمام زين العابدين ومناقبه أكثر من أن تُحصى . (قال الأصمعي) "لم يكن للحسين بن علي عَقب إلاّ من إبنه عليّ بن الحسين زين العابدين . ولم يكن لعليّ زين العابدين ولد إلاّ من أم عبدالله بنت عمّه الحسن بن علي إبن أبي طالب ، فهو أب الحسنيين كلّهم . قال ونسل الحسين كلّه من قبل عليّ الأصغر زين العابدين فهو أبّ الحسينيين كلّهم أيضاً" . (وكانت ولادته) يوم الجمعة في بعض شهور سنة ثمان وثلاثين للهجرة وتوفي سنة أربع وتسعين وقيل إثنين وتسعين للهجرة في المدينة المنورة ، ودُفنَ بالبقيع في قبر عمّه الحسن بن عليّ إبن أبي طالب رضي الله عنه في القبّة التي فيها قبر العباس رضي الله عنهم أجمعين ، إنتهى" .

(قال العارف المناوي قُدّس سرّه) كذا رأيته بخط جماعة أعيان منهم إبن رُسلان والمشهد الذي بالقرب من مجراة القلعة بقرب مصر القديمة بُنيَ على رأس زيد بن زين العابدين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب قدم برأسه سنة إثنين وعشرين ومائة وبنوا عليه هذا المشهد . قال بعضهم والدعاء عنده مُستجاب والأنوار تُرى عليه رضي الله عنه . (قلتُ) وزيد هذا هو الذي تقدم أنه قتله الحجّام وصلبه وما وقع للعارف الشعراني قدّس سرّه في طبقاته أنه مَن أتى برأس زين العابدين الى مصر ودُفنت بالقرب من مجراة الماء بمصر العتيقة وأنه توفي سنة تسع وتسعين سبقُ قلم والله أعلم ، ثم سرى سرّ هذه النسبة الشريفة عنه الى شبله سيد هذه السلسلة المبجّلة الإمام محمد الباقر رضي الله عنهما .

سيدنا الإمام الباقر
رضي الله عنه

الإمام التابعيّ الجليل وإمامته المعدود من فقهاء المدينة وأئمتهم سمع جابر وأنساً ، وسمع جماعات من كبار التابعين كإبن المسيّب وإبن الحنفيّة وغيرهم . وروى عنه أبو إسحق السبيعيّ وعطاء إبن أبي رباح وعمرو بن دينار والزهري وربيعة وخلائق آخرون من التابعين وكبار الأئمة وروى له البخاري ومسلم . سُمّيَ بالباقر لأنه بقرَ العلم أي شقّهُ أي عرفَ أصله وخفيّهُ وآثار مخبّآته ومكامنه القدسية . فلذلك أظهرَ من كنوز المعارف ودقائق الأحكام واللطائف ما لايخفى إلاّ على منطمس البصيرة أو فاسد الطويّة والسريرة . ومن ثم قيل فيه باقر العلم وشاهر المجد ورافعه صفا قلبه وزكى عملهُ ولبّهُ وعمرت بطاعة الله أوقاته ، وظهرت خوارقهُ وكراماتهُ وله من الرسوخ في مقام العارفين ما تكلُّ عنه ألسن الواصفين وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف .

(فمن كلامه) الصواعق تصيبُ المؤمنين وغيره لاتصيبُ ذاكر الله عزّ وجلّ . (وقال) مادخل قلبُ إمرىءٍ شيء من الكبَر إلاّ نقصَ من عقله مثل مادخلَ منه أو أكثر . (وقال) مامن عبادة أفضل من عفّة بطنٍ وفرج . (وقال) إعرف المودة في قلب أخيك بما له في قلبك . (وبلغه) عن جماعة من أهل العراق أنهم يبغضون أبا بكر وعمر ويزعمون أنهم يحبون آل البيت . فكتب إليهم إني بريءٌ ممن يبغض أبا بكر وعمر ولو أني وُلّيتُ لتقرّبت بدماء من يكرههم . (وكان) إذا ضحك قال اللهم لاتمقتُني . (وقال) لإبنه يابنيّ إياك والكسل والضجر فإنهما مفتاح كلّ شرّ ، فإنك إن كسلت لم تؤدِ حقّاً ، وإذا ضجرت لم تصبر على حقّ .

(وسأله رجل) عن تحلية السيوف فقال لابأس بها قد حلّى أبو بكر الصديق . فقيل له :

– تقول الصدّيق ؟

فغضب ووثبَ وثبةً وإستقبل القبلة ثم قال : نعم الصدّيق نعم الصدّيق نعم الصدّيق مَن لم يقلْ له الصدّيق لاصدّق الله له قولاً في الدينا والآخرة .

(وقال) الغنى والعزّ يجولان في قلب المؤمن فإذا وصلا الى مكان فيه التوكُّل جعلاه وطناً .

(وقال جابر الجعفي) : قال لي محمد بن علي إنّي لمحزون وإني لمشتغل القلب . قلتُ :

– وماشغلَ قلبك وماحزنَكَ ؟

قال : ياجابر إن مَن دخلَ قلبه صافي خالص دين الله عزّ وجلّ شغله عمّا سواه . ياجابر ماالدنيا وماعسى أن تكون هل هو إلاّ مركب ركبته أو ثوب لبسته أو إمرأة أصبتَها ؟ ياجابر إن المؤمنين أهل التقوى أيسرُ أهل الدنيا مؤنةً وأكثرهم معونة إن نسيتَ ذكّروك وإن ذكرتَ أعانوك ، قوّالين بحقّ الله تعالى قوّامين بأمر الله تعالى ، فأنزل من الدنيا منزلاً نزلت فيه وإرتحلت عنه كخيال أصبته في منامك فإستيقظت وليس معك منه شيء . فإحفظ الله فيما إسترعاك من دينه وحكمته .

(قال) مااغرورَقَت عينٌ بمائها إلاّ حرَّم الله عزّ وجلّ صاحبها على النار وإن سالت على خدّه لم يرَ وجهه قَتَرٌ ولا ذلّة وما من شيء إلا له أجر إلاّ الدمعة ، فإن الله تعالى يكفِّرُ بها بحور الخطايا ، ولو أن باكياً بكى في

أمة لحرّم الله تلك الأمة على النار . (وعن أفلَحَ مولاه) قال : "خرجت مع محمد بن عليّ حاجّاً فلما دخل المسجد الحرام نظرَ الى البيت فبكى حتى علا صوته ، فقلتُ بأبي أنت وأمي إن الناس ينظرون إليك فلو رقّقت صوتك قليلاً . فقال ويحكَ ياأفلَح ولم لاأبكي لعل الله تعالى ينظر اليَّ برحمته فأفوز بها عنده غداً . قال ثم طاف بالبيت ثم جاد حتى ركع عند المقام فرفع رأسه من سجوده فإذا موضع سجوده مبتلٌ من دموع عينيه" . (وعن عبدالله بن عطاء) قال مارأيتُ العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر محمد فقد رأيت الحكم عنده وكأنه متعلم . (وقال) كان لي أخ في عيني عظيم والذي عظمه في عيني صغر الدنيا في عينيه . (وكان يقول في جوف الليل) اللّهم إنك أمرتني فلم أئتمر وزجرتني فلم أنزَجِرْ وهذا عبدك بين يديك فبمَ أعتذر . (وقال) مامن عبادة أفضل من عفة بطن وفرج ، ومامن شيء أحبُّ الى الله تعالى من أن يُسألَ ، ومايدفع القضاء إلاّ الدعاء ، وإن أسرع الخير ثواباً البرُّ وأسرع الشرّ عقوبة البغي وكفى بالمرء عيباً أن يرى من الناس مايعمى عنه من نفسه ، وأن يأمر الناس بما لايستطيع التحوّل عنه أن يؤذي جليسه بما لايعنيه . (وعن سلمى مولاة أبي جعفر) قالت : "كان يدخل عليه إخوانه فلايخرجون من عنده حتى يطعمهم الطيّب ويكسوهم الثياب الحسنة ويهب لهم الدراهم . فأقول له بعض ماتصنع فيقول ياسلمى مايُؤمل في الدنيا بعد المعارف والإخوان ." وكلامه من هذا المنزع كثير . (وكفاه شرفاً) أن إبن المديني روى عن جابر أنه قال له وهو صغير إن رسول الله يسلم عليك ، قال كيف ، قال كنت جالساً عنده والحسين في حجره وهو يداعبه فقال ياجابر يولد له مولود إسمه عليّ إذا كان يوم القيامة يُقال ليقم العباد فيقوم ولده ، ثم يولد له ولد إسمه محمد فإذا أدركته فأقرئه منّي السلام .

ومولده بالمدينة يوم الثلاثاء ثالث صفر سنة سبع وخمسين للهجرة . وكان عمره يوم قُتلَ جدّهُ الحسين رضي الله عنه ثلاث سنين وأمهُ أم عبدالله بنت الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وتوفي في شهر ربيع الأول وقيل في صفر سنة سبع عشرة ومائة ، وقيل أقلّ وقيل أكثر بالحميمة (بحاء مهملة وميمين بينهما ياء تحتيّة مصغّرة) قرية في أطراف البلقاء من بلاد الشام كانت لعليّ بن عبدالله بن العباس وأولاده في أيام بني أميّة – وفيها ولد السفاح والمنصور وبها تربّيا ومنها إنتقلا الى الكوفة وبويع السفاح بالخلافة كما هو مشهور – ونُقل الى المدينة ودُفن بالبقيع في القبر الذي فيه أبوه وعم أبيه الحسن بن عليّ رضي الله عنهم في القبّة التي فيها قبر العباس رضي الله عنهم ، ثم مات مسموماً كأبيه وأوصى أن يُكفَنَ في القميص الذي كان يصلي فيه رضي الله عنه ، ثم سرى سرّ هذه النسبة الشريفة الى شبله سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنه .

الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه

ناهيك بإمام ورث مقام النبوّة والصدّيقيّة فازدهرت في طلعته أنوار المعارف الحقيقية لأن جدّه سيد الشهداء الإمام الحسين وأمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق وأمها أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر الصدّيق . أخذ الحديث عن أبيه وجدّه لأمه وعروة وعطاء ونافع والزهري . وعنه أخذ السفيانان ومالك والقطّان خرّج له الجماعة سوى البخاري . قال أبو حاتم : "ثقة لايُسأل عن مثله" . وله كرامات كبيرة ومكاشفات شهيرة . (منها) أنه سُعيَ به عند المنصور ، فلما حجَّ أُحضِرَ الساعي وأحضروه . فقال للساعي : أتحلف ؟ قال : نعم . فحلف ، فقال جعفر للمنصور : حلّفهُ بما أراه . فقال حلّفهُ ، فقال : قُلْ برئت من حول الله وقوّته والتجأت الى حولي وقوّتي لقد فعل جعفر كذا وكذا . فامتنع الرجل ثم حلف فما تمّ حتى مات مكانه .

(ومنها) أن أحد الطغاة قتلَ مولاه فلم يزل ليلته يصلي ثم دعا عليه عند السَحَر فسُمعت الضجة بموته .

(ومنها) أنه لما بلغه قول الحَكَم بن العباس الكلبي في عمّه زيد :

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم نرَ مهدياً على الجذع يُصلَبِ

قال : "اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك" فافترسه الأسد .

(ومنها) ما خرّجه الطبري من طريق وهب قال سمعتُ الليث بن سعد يقول : "حججتُ ثلاث عشرة ومائة حجّة فلما صلّيت العصر رقيت أبا قبيس فإذا رجل جالس يدعو فقال ياربّ ياربِّ حتى إنقطع نَفَسهُ ثم قال ياحيّ ياحيّ حتى إنقطع نفَسهُ ثم قال إلهي إنّي إشتهيت العنب فأطعمنيه وإن بُردَيَّ قد خَلَقا فاكسني . قال الليث فما تمّ كلامه حتى نظرت الى سلة مملوءة عنباً وليس على وجه الأرض يومئذٍ عنب وإذا ببُردَين لم أرَ مثلهما . فأراد الأكل فقلت : أنا شريكك لأنك دعوت وأنا أؤمّن . فقال : كُلْ ولاتخبَأ وتدّخر . ثم دفع اليَّ البُردين . فقلت : لي عنه غنى . فاتّزرَ بأحدهما وإرتدى بالآخر ثم أخذ الخلعتين ونزل . فلقيه رجل فقال ألبسني يا إبن رسول الله فدفعهما إليه . فقلت : مَن هذا ؟ فقال : جعفر الصادق . قال الليث فطلبته لأسمع منه فلم أجده . إنتهى"

(ومنها) "أن إبن عمّه عبدالله بن المُحصي كان شيخ بني هاشم وهو والد محمد وأخيه أرسلوا لجعفر ليبايعهما فامتنع وقال : ليست لي ولا لهما إنها لصاحب القباء الأصفر يلعب بها صبيانه . وكان المنصور العباسيّ حاضراً وعليه قباء أصفر فكان كذلك . إنتهى" .

وكان مُجابَ الدعوة فإذا سأل الله شيئاً لايُتمُّ قوله إلا وهو بين يديه .

(ومن كلامه) لايتمّ المعروف إلاّ بثلاث أن تُصغرهُ في عينك وتستُرَهُ وتعجّلهُ . (وقال) إذا أقبلت الدنيا على إنسان أعطته محاسن غيره وإذا أدبرت سلبته محاسن نفسه . (وقال) لا مالَ أعوز من العقل ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا مُظاهرة كالمُشاورة ألا وإن الله يقول إني كريم ولايجاورني لئيم . (وقال) مَن زعمَ أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرَك ، لأنه لو كان على شيء كان محمولاً أو في شيء كان محصوراً أو من شيء كان مُحدَثاً .

(وكان) يلبس الجُبّة الغليظة القصيرة من الصوف على جسده والحُلّة من الخزّ على ظاهره ، ويقول نلبس الجبّة لله والخزّ لكم فما كان لله أخفيناه وماكان لكم أبديناه .

(وقال) لأبي حنيفة إنك تقيس في الدين وإن أول من قاس ابليس ، قال إنما أقيس فيما لم أجد فيه نصاً . (وقال) لاتأكلوا من يد جاعت ثم شبعت . (وقال) إذا أذنبتَ فإستغفر فإنما هي خطايا مطوّقة في أعناق الرجال قبل أن يُخلقوا واياك والإصرار . (وقال) أوحى الله الى الدنيا مَن خدمني فاخدميه ومَن لم يخدمني فإستخدميه . (وقال) لا مروءة لكَذوب ولا راحة لحسود ولا خلّة لبخيل ولا إخاء لملول ولاسؤدَدَ لسيءِ الخُلُق . (وقال) كُفَّ عن محارم الله وإمتثل أوامره تكن عابداً وارضَ بما قسمَ الله تكُن مسلماً ، وإصحب الناس على ماتحبَ أن يصحبوك تكُن مؤمناً . ولاتصحب الفاجر فيعلّمك من فجوره . (وقال) من أراد عزّاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذلّ المعصية الى عزّ الطاعة . (وقال) مَن يصحب صاحب السوء لايسلَم ومَن يدخل مدخل السوء يُتهَم ومَن لايملك لسانه يندَم . (وقال) حكمة تحريم الرِّبا أن لايتمانع الناس بالمعروف . (وقال) مودّة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودّة سنة رَحمٌ ثابتة من قطعها قطعه الله . (وقال) عزّت السلامة حتى لقد خَفيَ مُطلبُها ، فإن تكُ في شيء فيوشك أن تكون في الخمول ، فإن لم توجد فيه ففي التخلّي . وليس كالخمول فإن لم تكن فيه ففي الصمت فإن لم تكن فيه ففي كلام السلف الصالح والسعيد مَن وجد نفسه في خلوة . (وقال) مَن إستبطأ رزقه فليُكثر من الإستغفار . (وقال) من أُعجبَ بشيءٍ من أمواله فليقل ماشاء الله لا قوة إلا بالله . (وقال) الفقهاء أمناء الرسل مالم يأتوا أبواب السلاطين .

ومن دعائه : اللهم أعزّني بطاعتك ولاتذلّني بمعصيتك ، اللهم ارزقني مواساة مَن قتّرتَ عليه رزقك بما وسَّعتَ عليَّ من فضلك . (وقال) لا زاد كالتقوى .

(وقال مضر بن كثير) : "دخلت أنا وسفيان الثوري على جعفر الصادق فقلت :

– إني أريد البيت الحرام فعلّمني شيئاً أدعو به .

فقال : إذا بلغت الحرم فضع يدك على الحائط وقُلْ ياسابق الفوت وياسامع الصوت وياكاسي العظام بعد الموت ثم أدعُ بما شئت . إنتهى" .

(وقال) إذا بلغك من أخيك انه قال فيك ماتكره فلا تغتمَّ لذلك إن كانت حقاً كانت عقوبة عجلَتْ وإن كان غير ذلك فحسنةٌ لم تعملها . (وقال) روي عن موسى عليه الصلاة والسلام أنه قال ياربِّ أسألك أن لايذكرني أحد إلاّ بخير ، قال الله عزّ وجلّ ما فعلت ذلك لنفسي . (وقال) أربع لاينبغي لشريف أن يأنفَ منها ، قيامه من مجلسه لأبيه ، وخدمته لضيفه ، وقيامه على دابته ولو أن له مائة عبد ، وخدمته لمن يتعلم منه . (وكان) يقول إذا بلغك عن أخيك ماتكرهه فأطلب له من عذر واحد الى سبعين عذراً فإن لم تجد له عذراً ، فقل لعل له عذراً لاأعرفه .

(وقال) لرجلٍ من قبيلة : مَن سيّد هذه القبيلة ؟ فقال الرجل : أنا . فقال : لوكنت سيدهم ماقلتَ أنا .

(ودخل) سفيان الثوري رضي الله عنه فرأى عليه جُبّةً من خزّ ، فقال له : إنكم من بيت النبوّة تلبسون هذه . فقال : ماتدري أدخل يدَك . فإذا تحته مسح من شعر خشن ، ثم قال : ياثوريَ أرني ماتحتَ جُبّتكَ . فوجد تحتها قميصاً أرقَّ من بياض البيض . فخجل سفيان . ثم قال : ياثوريَ لاتُكثرِ الدخول علينا نضُرُّكَ .

(وكان) يُطعم المساكين حتى لايبقى لعائلته شيء .

(وقال) إذا سمعتم عن مسلم كلمةً فاحملوها على أحسن ماتجدون حتى لاتجدوا لها محملاً فلوموا

أنفسكم . (وعن جعفر بن محمد عن أبيه رضي الله عنهما) قال : "لما طُعن عمر رضي الله عنه بعث الى حلقةٍ من أهل بدر كانوا يجلسون بين القبر والمنبر فقال : يقول لكم عمر أنشدتُكُم بالله أكان هذا عن رضاً منكم ؟ فقام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : لا والله وددنا أنا زدنا في عمره من أعمارنا .

وقال إبن أبي حازم كنت عند جعفر إذ جاء أذنه فقال سفيان الثوري بالباب ، فقال إئذَن له فدخل . فقال جعفر : ياسفيان إنك رجل يطلبك السلطان وإني أتّقي السلطان أخرج عني غير إيثارٍ لذلك . فقال سفيان : حدّثني حتى أسمع وأقوم . فقال : حدّثني أبي عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "مَن أنعمَ الله عليه نعمةً فليحمد الله ومَن إستبطأ رزقه فليستغفر الله ومَنْ حَزَبَهُ أمر فليقل لاحول ولاقوة إلاّ بالله" .

(وقال أرباب السيَر) وقع الذباب على وجه المنصور فذبّهُ حتى أعجزهُ وأضجره فدخل جعفر فقال له : يا أبا عبدالله ما الحكمة في خلق الذباب ؟ قال : ليُذلَّ به الجبابرة .

وكان رجلٌ من أهل السواد يؤم جعفر فغاب عنه فقال له رجل إنه يُبطيء يريد أن يضع منه عنده ، فقال جعفر أصلُ الرجل عقلهُ ، وحسبهُ دينُهُ ، وكرمُهُ تقواه ، والناس في آدم مستوون .

(وحَجَّ المنصور) سنة سبع وأربعين ومائة فقدم المدينة فقال : عَلَيَّ بجعفر بن محمد عليهما السلام قتَلَني الله إن لم أقتلهُ . فتغافلَ عنه الربيع لينساه ، ثم أعاد ذِكرَهُ فتغافل عنه فأعاد ذكرَهُ ثالثاً برسالة قبيحة للربيع . فلما جيء به قال له الربيع : العذر إليك قد شدّد في طلبك . فقال : لاحول ولاقوّة إلاّ بالله . فلما دخل عليه قال ياعدوّ الله إتخذك أهل العراق إماماً يحملون إليك زكاة أموالهم وتَلحد في سلطاني وبيعتي قتلني الله إن لم أقتُلكَ . فقال جعفر ياأمير المؤمنين : إن سليمان عليه الصلاة والسلام أُعطيَ فشَكَر وإن أيوب عليه الصلاة والسلام ابتُليَ فصَبَر وإن يوسف عليه الصلاة والسلام ظُلمَ فغَفَر وأنت من ذلك العنصر . فقال له المنصور : الى عندي يا أبا عبدالله البريء الساحة جزاك الله من ذي رحم أفضل ما جزى به ذوي الأرحام عن أرحامهم . ثم تناول يده وأجلسهُ معه على فراشه وطيّبهُ بيده حتى جعلَ لحيته قاطرةً طيباً ثم أمر له بجائزة وكسوة وقال : إنصرف في حفظ الله وكنفه . فإنصرف ، فقال له الربيع : إني رأيت عجباً فما قلت ياأبا عبدالله حين دخلت ؟ قال : قلت اللهم أحرسني بعينك التي لاتنام واكنفني بركنك الذي لايُرام واحفظني بقدرتك عليّ لاأهلَكُ وأنت رجائي ، اللهم إنك أعظم وأجلُّ مما أخاف وأحذرُ اللهم بك أدفع في نحره وبك أستعيذ من شرّه .

(وقال) عجبتُ لمن أُعجِبَ بأمر نفسه لايقول ماشاء الله لاقوة إلاّ بالله والله تعالى يقول "ولولا إذ دخلت جنّتك قلت ماشاء الله لاقوّة إلاّ بالله" . (وعجبتُ) لمن خاف قوماً لايقول حسبيَ الله ونعمَ الوكيل والله تعالى يقول "الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وإتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم" . (وعجبتُ) لمن مُكِرَ به كيف لايقول وأفوّضُ أمري الى الله إن الله بصيرٌ بالعباد الى قوله تعالى "فوقاه الله سيّئات مامكروا . (وعجبتُ) لمن أصابه غمٌّ كيف لايقول لاإله إلاّ أنت سبحانك إني كنتُ من الظالمين الى قوله "فنجّيناه من الغمِّ" .

(وحكى كُشاجم في كتاب المصائد والمطارد) أن جعفر سأل أبا حنيفة رضي الله عنهما فقال: ماتقول في محرم كسر رباعية ظبي؟ فقال: يا إبن رسول الله ماأعلم مافيه. فقال له: أنت تتداهى ولاتعلم أن الظبي لايكون له رباعية وهو ثني أبداً.

وله كلام في صنعة الكيمياء والزجر والفال وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفيَ الطرسوسي قد ألّفَ كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة.

(كانت ولادته) سنة ثمانين للهجرة وهي سنة سيل الجحاف وقيل بل ولد يوم الثلاثاء قبل طلوع الشمس ثامن من شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وتوفي في شوّال سنة ثمان وأربعين ومائة بالمدينة ودُفنَ بالبقيع في قبرٍ فيه أبوه محمد الباقر وجدّهُ عليّ زين العابدين وعمّ جدّه الحسن بن عليّ رضي الله عنهم أجمعين. فلله درّهُ من قبرٍ ماأكرمهُ وأشرفهُ. ثم وُلد له ولدٌ إسمه القاسم وللقاسم بنت إسمها أم كلثوم وهما المدفونان بالقرافة بقرب الإمام الليث بن سعد على يسار الداخل من الدرب المتوصل منه إليه.

ثم إنتقل سرّ هذه النسبة الشريفة الى شبله سيد هذه السلسلة المبجّلة الإمام موسى الكاظم رضي الله عنهما

الإمام موسى الكاظم رضي الله عنه

تبارك مَن أنتج هذه الثمرة من تلك الشجرة النبوية المطهّرة ماأقدرهُ فهو إمام الصبر على التقوى والعبادة الحائز لقصب السبق في ميدان سيادة الولاية وولاية السيادة . سُمّيَ بالكاظم لكثرة تجاوزه وحُلمه وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله وبالعبد الصالح من كثر عبادته وإجتهاده وقيامه الليل . فإنه كان أعبدَ أهلَ زمانه .

(روي) أنه دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجد سَجدةً في أول الليل وسُمع وهو يقول في سجوده "عظُمَ الذنب عندي فليحسن العفو من عندك ياأهل التقوى وأهل المغفرة" فجعل يرددها حتى أصبح . وكان من أكابر العلماء الأسخياء وكان يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث اليه بصرّة فيها ألف دينار . وكان يصرُّ الصُرَر ثلاثمائة دينار وأربعمائة دينار ومائتي دينار ثم يقسّمها بالمدينة .

وكان يسكن المدينة فأقدمه المهدي بغداد فحبسهُ فرأى في النوم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول "يامحمد فهل عسيتم إن توليتم أن تُفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم" . قال الربيع : "فأرسل اليَّ ليلاً فراعني ذلك فإذا هو يقرأ هذه الآية وكان أحسن الناس صوتاً وقال عليَّ بموسى بن جعفر فجئتهُ به فعانقهُ وأجلسه الى جنبه وقال :

– يا أبا الحسن إني رأيت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في النوم يقرأ عليَّ كذا فتؤمنني أن تخرج عليَّ أو على أحد من أولادي .

فقال : والله لا فعلتُ ذلك ولا هو من شأني .

قال : صدقت اعطه ثلاثة آلاف دينار وردَّهُ الى أهله بالمدينة .

قال الربيع فأحكَمت أمره ليلاً فما أصبح إلاّ وهو في الطريق خوف العوائق ، إنتهى" .

وأقام بالمدينة الى أيام هارون الرشيد . فلما حجَّ الرشيد سُعيَ به اليه فقال له الرشيد حين رآه جالساً عند الكعبة : أنت الذي يبايعك الناس سراً .

قال : أنا إمام القلوب وأنت إمام الجسوم .

وسأله الرشيد : كيف تقولون نحن أبناء المصطفى وأنتم أبناء عليّ ؟

فقرأ جعفر ومن ذريته داود وسليمان الى أن قال وعيسى وليس له أب .

(ومن كلامه) إذا صحبتَ رجلاً وكان موافقاً لك ثم غاب عنكَ فلقيته فاضطرب قلبك عليه فارجع الى نفسك فانظر فإن كنت إعوَجَجت فتُب وإن كنتَ مستقيماً فاعلم أنه ترك الطريق وقفْ عند ذلك ولاتقطع منه حتى يستبين لك إن شاء الله تعالى .

(ومن بديع كراماته) ماحكاه إبن الجوزي والرامهرمزي عن شقيق البلخي : انه خرج فرآه بالقادسية منفرداً عن الناس فقال في نفسه هذا فتى من الصوفية يريد أن يكون كَلاً على الناس لأوبِّخَنَّهُ . فمضى اليه فقال :

– ياشقيق إجتنبوا كثيراً من الظنّ إن بعض الظنّ إثمٌ .

فأراد البلخي ان يعانقه فغاب عن عينه ، ثم رآه على بئر فسقطت ركوته فيها فدعا فطفا الماء حتى

أخذها فتوضأ وصلّى ثم مالَ الى كثيب من الرمل فطرح منه فيها وشرب ، فقلتُ :

– أطعمني مما رزقكَ الله .

فقال : ياشقيق لم تزَل أنعُمُ الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنّكَ بربّك .

فناوَلَنيها فشربتُ فإذا هو سويق وسكر فأقمت أياماً لاأشتهي شراباً ولا طعاماً ثم لم أرهُ إلاّ بمكة وهو بغلمانه وغاشيته" .

(ولما) أتى هارون الرشيد قبر النبيّ صلى الله عليه وسلم زائراً وحوله قريش وأفناء القبائل ومعه موسى بن جعفر ، فقال :

– السلام عليك يارسول الله ياابن عمٍّ . (إفتخاراً على من حوله)

قال موسى : السلام عليك ياأبتِ .

فتغيّر وجه هارون الرشيد وقال : هذا هو الفخر ياأبا الحسن حقّاً .

ولم يحتملها وحمله الى بغداد مقيّداً وحبسهُ فلم يخرج من حبسه إلاّ مُقيَّداً مسموماً . (وذُكر) أنه بعث الى الرشيد برسالة من الحبس كان منها أنه "لم ينقضِ عنّي يوم من البلاء إلاّ إنقضى عنك معه يوم من الرخاء ثم نمضي جميعاً الى يوم ليس فيه إنقضاء يخسر فيه المُبطلون" .

(وُلدَ رضي الله عنه) بالمدينة يوم الثلاثاء قبل طلوع الفجر سنة ثمان وعشرين ومائة وتوفي لخمسٍ بقينَ من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة ببغداد في الحبس . ودُفن في مقابر الشونيزية خارج القبّة وقبره هناك مشهور يُزار وعليه مشهدٌ عظيم فيه قناديل من الذهب والفضّة وأنواع الآلات والفُرش ما لايُحدُّ ، وهو في الجانب الغربيّ رضي الله عنه . ثم تلقّى عنه سيد هذه السلسلة المبجّلة ولده الإمام عليّ الرضا رضي الله عنهما .

الإمام عليّ الرضا رضي الله عنه

عقدُ جيد الرسالة ووشاح عطف سلالة الشرف وشرف السلالة ، جعل الله تعالى وجوده العزيز على قدرته أعظم دلالة . فلايسع ساعياً في إطرائه براعة عبارة ولايدرك مدارك عرفانه إلاّ بلسان الإشارة . كان عظيم الشأن والقدر مشهور الفضل حميد الذكر أحلّهُ المأمون محل مهجته وأشركه في مملكته وعقد له على إبنته وعهدَ اليه بالخلافة من بعده بعدما أراد أن يخلع نفسه ويفوّضها في حياته اليه فمنعهُ بنو العباس ، فمات قبلهُ فأسف كلّ الأسف عليه .

وله كرامات كثيرة (منها) أنه أخبر أنه يأكل عنباً ورماناً فيموت فكان كذلك . (ومنها) أنه قال لرجل صحيح سليم إستعدَ لما لابُدَّ منه فمات بعد ثلاثة أيام ، رواه الحاكم .

(ومنها) ماروله الحاكم أيضاً عن محمد بن عيسى عن أبي حبيب قال :

"رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم في النوم في المنزل الذي ينزله الحاجُّ ببلدنا . فوجدت عنده طبقاً من خوص فيه تمر صيحانيّ . فناولني ثمان عشرة تمرة . فبعد عشرين يوماً قدم عليّ الرضا من المدينة ونزلَ في ذلك المنزل وهُرعَ الناس للسلام عليه ، ومضيتُ نحوه فإذا هو جالس بالموضع الذي رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلّم قاعداً فيه وبين يديه تمر صيحاني ، فناولني قبضة فإذا عدّتها بعدد ماناولني المصطفى صلى الله عليه وسلّم ، فقلت : زدني . فقال : لو زادكَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لزدناك .

(وقال المأمون لعليّ بن موسى الرضى) : مايقول بنو أبيك في جدّنا العباس بن عبدالمطلب ؟

فقال : مايقولون في رجلٍ فرض الله طاعة بنيه على خلقه وفرض طاعته على بنيه .

فأمر له بألف ألف درهم ."وكان قد خرج أخوه زيد بن موسى بالبصرة على المأمون وفتكَ بأهلها . فأرسل اليه المأمون أخاه علياً المنوّه به بردُّهُ عن ذلك . فجاءه وقال له :

– ويلك يازيد فعلت بالمسلمين بالبصرة مافعلت وتزعُم أنك إبن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . والله لأشدَ الناس عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم . يازيد ينبغي لمن أخذَ برسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُعطيَ به . فبلغ كلامه المأمون فبكى وقال : "هكذا ينبغي أن يكون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم" .

(قال إبن خلكان) وآخر هذا الكلام مأخوذ من كلام عليّ زين العابدين المقدم ذكرهُ . فقد قيل انه كان إذا سافر كتَمَ نفسه فقيل له في ذلك فقال أنا أكره أن آخذ برسول الله صلى الله عليه وسلم ما لاأعطي . (وقال بعض أصحاب أبي نواس) مارأيت أوقحَ منك ، ماتركتَ خمراً ولا طرباً ولا مغنى إلا وقلت فيه شيئاً وهذا عليّ بن موسى الرضا في عصرك لم تقلْ فيه شيئاً . فقال والله ماتركتُ ذلك إلاّ إعظاماً له وليس قدر مثلي أن يقول في مثله ، ثم أنشد بعد ساعة :

قيل لي أنت أحسن الناس طُراً	في فنون من الكلام النبيه
لك من جيّد القريض مديم	يثمر الدُرَّ في يدي مجتبيه
فعلام تركت مدح إبن موسى	والخصال التي تجمّعنَ فيه
قلت لاأستطيع مدح إمام	كان جبريل خادماً لأبيه

وقال فيه أيضاً :

مطهَرون نقيّاتٌ جيوبهم ... تجري الصلاة عليهم أينما ذُكروا
مَن لم يكن علوياً حين تنسَبه ... فماله في قديم الدهر مُفتخر
الله لما برا خلقاً فأتقنه ... صفاكم واصطفاكم أيها البشر
فأنتم الملأ الأعلى وعندكم ... علم الكتاب وماجاءت به السُوَرُ

(قلتُ) ومن هذا يُلتمس العُذر لأبي نوّاس وأمثاله من كبار الشعراء المُجيدين عن عدم جرأتهم على مدح الحضرة المحمّدية ، لا كما يتوهمهُ بعض القاصرين لايُقال كيف مدحهُ المتأخرون إذاً لأنّا نقول إنما قصد المتأخرون بذلك مجرد التبرّك لا أداء حقّه . والمتقدمون علموا أن أداء حقّه للبشر مستحيل فتوقفوا ولكلٍّ وجهة .

(وكانت) ولادته رضي الله عنه يوم الجمعة سنة ثلاث وخمسين ومائة بالمدينة وتوفي آخر يوم من صفر سنة إثنتين ومائتين بمدينة (طوس) وصلى عليه المأمون ودفنه ملاصق قبر أبيه الرشيد . قيل سبب موته أنه أكل عنباً فأكْثَرَ منه ، وقيل بل كان مسموماً فإعتلَّ منه فمات رضي الله عنه . ثم تلقى سرّ هذه النسبة الشريفة عنه شيخ هذه السلسلة المبجّلة مولاه أبو محفوظ سيدنا معروف بن فيروز الكرخي رضي الله تعالى عنه .

سيدنا معروف الكرخي رضي الله عنه

المولى الذي مَلَكَ ما ملكَ من خيار الأحرار بما سلَكَ من أحوال الأبرار وأدركَ من غوامض الأسرار . أنطَقَهُ الله تعالى بالحكمة وعلّمه من المعارف الجمّة ما لم يعلّم أحد علمه وجعلهُ حياً وميتاً للعباد رحمة وطهّر سرّه من الدنيا وجهره مع ما أنعم به عليه من الولاية العظمى وتلك الشهرة . وقد قيل التصوّف التوقّي من الأكدار والتنقّي من الأقذار .

(وكان) شيخ السلسلة وهو أستاذ السري السقطي ولم يكن في العراق في زمنه مَن يربّي المريدين مثله حتى كان جميع المشايخ يعترفون له بذلك . (قال الغزالي) كان أحمد بن حنبل وإبن مَعين يختلفان اليه ويسألانه . ولم يكن في علم الظاهر مثلهما فيقال لهما مثلكما يفعل ذلك فيقولان كيف نفعل إذا جاءنا أمرٌ لم نجده في كتاب الله ولا سنّة رسوله وقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم "سَلوا الصالحين" .

(وكان) مُجاب الدعوة ويقول أهل بغداد قبر معروف ترياقٌ مجرَّب . (وكان) أبواه نصرانيين فسلّماه للمعلم طفلاً فصار يقول له قل ثالث ثلاثة فيقول بل إله واحد ، فضربه ضرباً مبرّحاً . فهرب منه فكان أبواه يقولان ليته يرجع إلينا على أي دينٍ شاء فنوافقه عليه . ثم إنه أسلم على يد عليّ بن موسى ورجع الى أبويه فدقّ الباب فقيل له مَن بالباب ، فقال معروف فقيل على أي دين ، فقال الإسلام . فأسلمَ أبواه .

(ومن كراماته) ماقال خليل الصياد : "غاب أبي فتألمت فجئت الى معروف فقلت غاب أبي . فقال ما تريد ؟ قلت رجوعه . فقال اللهم إن السماء سماؤك والأرض أرضُك وما بينهما لك ائتِ بمحمد . فأتيت باب الشام فإذا هو واقف قلت أين كنت ، قال كنت الساعة بالأنبار ولأعلم ماصار" .

(ومن كلامه) كلام الرجل فيما لايعنيه مقتٌ من الله . (وقال) حقيقة الوفاء إفاقة السرّ من رقدة الغفلات وفراغ الهمّ من فضول الآفات . (وقال) إذا أراد الله بعبدٍ خيراً فتح عليه باب العمل بما علم وأغلق عنه باب الجدل وإذا أراد به شراً فعكسهُ . (وقال) توكّل على الله حتى يكون هو معلّمك ومؤنسك وموضع شكواك ، وليكن ذكر الموت جليسك لايُفارقك .

(وكان) من دعائه اللهم لاتجعلنا بثناء الناس مغرورين ولابالستر مفتونين .

(وقال) طول الأمل يمنع خير العمل . (وقال) كيف يكون تقيّاً مَن لايعرف ما يتّقي . (وقال) مَن قال كلّ يوم عشر مرات اللّهم أصلح أمة محمد ، اللهم فرّج عن أمة محمد ، اللهم إرحم أمة محمد ، كُتبَ من الأبدال . (وقال) طلب الجنّة بلا عمل ذنبٌ من الذنوب ، وإنتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور ، ورجاء رحمة مَن لايُطاع جهلٌ وحُمقٌ . (وقال) السخاء إيثار ماتحتاج إليه عند الإعسار . (وقال) ماأكثر الصالحين وماأقلّ الصادقين منهم . (وقال) لولا خروج الدنيا من قلوب العارفين ماقدروا على فعل الطاعات ولو بقي من حبها ذرة في قلوبهم ماسَلِمَتْ لهم سَجدةٌ واحدة . (وقال) إذا عمل العالم بعلمه إستوت له قلوب المؤمنين فلايكرهه إلا من بقلبه مرض . (وقال) إذا أراد الله بعبدٍ خيراً زوى عنه الخذلان وأسكنه بين الفقراء الصادقين وإذا أراد به شراً عطّله عن العمل الصالح وأسكنه بين الأغنياء . (وقال) شفاء كلّ بلاء نزل بالعبد كتمانه فإن الناس لاينفعونه ولايضرّونه ولايعطونه ولايمنعونه . (وقال) ليست المحبة من تعليم الخَلق بل من مواهب الله . (وقال) إنما

الدنيا قدرٌ تغلي وكثيف يُملي . (وقال) إحفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذمّ . (وقال) التصوّف : الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق . ومَرَّ بسقّاء يقول "رحمَ الله من شَرِب" فشرب فقيل ألم تكن صائماً ؟ قال نعم لكن رجوت دعاءه . (ونزل) دجلة ليتوضأ ووضع مصحفه وملحفته فأخذتهما إمرأة فتبعها فقال : ياأختي لابأس عليك ألكِ إبن يقرأ أو زوج يقرأ ؟ قالت : لا . قال : هاتِ المصحف وخذي الثوب .

ولما مرض قال "تصدّقوا بقميصي فإني أريد أن أخرج من الدينا عُرياناً .

(صحب) داود الطائي وقال لتلميذه السري السقطي يوماً إذا كانت لك حاجة الى الله تعالى فأقسِم عليه بي .

(وقال السري السقطي) رأيت معروفاً الكرخي في النوم كأنه تحت العرش والباري جلّت قدرته يقول لملائكته مَن هذا وهم يقولون أنت أعلم ربّنا منا ، فقال هذا معروف الكرخي سَكَرَ من فرط حبّه فلا يفيق إلاّ بلقائي .

(وقال معروف) "قال لي بعض أصحاب داود الطائي إياك أن تترك العمل فإن ذلك الذي يقرّبك الى رضا مولاك . فقلت : وماذاك العمل ؟ قال : دوام الطاعة لمولاك وحرمة المسلمين والنصيحة لهم" .

(وقال محمد بن الحسن) سمعت أبي يقول رأيت معروفاً الكرخي في النوم بعد موته فقلت : مافعل الله بك فقال غفر لي ، فقلت بزهدك وورعك فقال لا بل بقبول موعظة إبن السمّاك ولزومي الفقر ومحبّة الفقراء . وكانت موعظة إبن السمّاك مارواه معروف قال : "كنت ماراً بالكوفة فوقفت على رجل يُقال له إبن السمّاك وهو يعظُ الناس فقال في خلال كلامه مَن أعرض عن الله بكلّيته أعرض عنه جملة ، مَن أقبل على الله بكلّيته أقبل الله تعالى برحمته عليه وأقبل بوجوه الخلق اليه . ومَن كان مرة ومرة فإن الله تعالى يرحمه وقتاً ما . فوقع كلامه في قلبي وأقبلت على الله تعالى وتركت جميع ماكنتُ عليه إلاّ خدمة مولاي علي بن موسى الرضا وذكرتُ هذا الكلام لمولاي فقال يكفيك هذا موعظةً إن إتعظت" .

(وكان) يُهدى اليه طيبات الطعام فيأكل فيقال له إن أخاك بشر ألا يأكله فيقول أخي قبضه الورع وأنا بسطتني المعرفة إنما أنا ضيف في دار مولاي مهما أطعمني أكلت . (وقيل له) كلّ مَن دعاك يمرُ إليه . قال إنما أنا ضيف أنزل حيثما ينزلوني .

(وكان يقول) يانفسُ اخلصي وتخلّصي . ولم يزل على حاله حتى دنا من قبره فتدلّى وأعرض عن الدنيا وولّى سنة إحدى ومائتين ببغداد وقبره مشهور بها يُزار رضي الله عنه . ثم تلقى سرّ هذه النسبة الشريفة عنه شيخ هذه السلسلة المبجّلة السري السقطي إبن المغلّس رضي الله عنه .

الإمام الحسن السري السقطي إبن المغلّس

خال الجُنيد وأستاذه ، أمامٌ أزهرَت رياض رياسته وإشتهرت أخبار تربيته وسياسته وإنتهت اليه مَشيخة الصوفية وتفجّرت عيون موارده في المعارف الإلهية . ومع ذلك كان وجيهاً عند الملوك والأكابر معظَماً بين أرباب السيوف والمحابر . أخذ عن الكرخي وغيره وأسند الحديث عن الفضيل والهشيم وأبي بكر بن عياش وعلي بن غراب ويزيد بن هارون وروى عنه الجُنيد وأبو العباس بن مسروق وابراهيم المخزومي وغيرهم .

(قال السلمي) وهو أول مَن أظهرَ ببغداد لسان التوحيد وتكلّم في الحقائق والإشارات وكان أوحد أهل زمانه ورَعاً وزهداً وذا أحوال ومقامات . وسبب توبته أنه مرّ بجارية سقط منها شيء فانكسر فارتابت فأعطاها بدله والكرخي مارٌ ، فنظر اليه فأعجبه صنعه فقال : بغَضَ الله إليك الدنيا وأراحك مما أنت فيه . فترك حانوته وقام وهام .

(وقال للجُنيد) ياغلام إحفظ عنّي المعرفة ترفرف على القلب فإن كان فيه حياء وإلاّ إرتجلت .

(وقال) القلوب ثلاثة : قلب كالجبل لايزعزعه شيء . وقلب كالنخلة أصلها ثابت والريح تُميلها . وقلب كالريشة يميلها الريح يميناً وشمالاً . (وقال) علامة الإستدراج العمى عن عيوب النفس والإطلاع على عيوب الناس . (وقال) مَن أحب أن يسلم له دينه ويقلّ غمّهُ فليعتزل الناس . (وقال) أقوى القوة أن يغلب النفس على شهواتها ومَن عجز عن أدب نفسه فهو عن أدب غيره أعجز . (وقال) مَن تزّين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله . (وقال) اللّهم مهما عذّبتني فلاتعذّبني بذلّ الحجاب . (وقال) لي منذ أربعين سنة تطالبني نفسي بغمس جزرة في دبس فما أطعتها . (وقال) آه على لقمة ليس لله فيها تبعة ولا لمخلوق فيها مِنّة . (وقال) إنتهيت الى حشيش في جبل وماء يخرج منه فتناولت من الحشيش وشربت من الماء وقلت لنفسي إن أكلت يوماً حلالاً فهذا ، فهتفَ بي هاتف القوة التي أوصلتك الى هذا الموضع من أين هي ؟ فرجعت فندمتُ .

(وذُكِر) عنده الوجد فقال "أن يُضرب وجهه بالسيف وهو لايدري" فروجع فيه واستُبعد فلم يرجع . (وقال) عجباً لضعيف كيف يعصي قوياً . (وقال) أهل الحقائق مَن أكلُهُ أكل المرضى ونومُهُ نوم الغرقى . (وقال) لو دخل الرجل بستاناً فيه كلّ ما خلق الله من الأشجار وعليه كلّ ما خلق الله من الأطيار فخاطبه كلّ طائر منها بلغته السلام عليك ياولّيَ الله فسكنت نفسه لذلك كان في يديها أسيراً . (وقال) إن في النفس لشغلاً عن الناس . (وقال) المغبون مَن فَنيت أيامه بالتسويف والمغبوط مَن تمنّى الصالحون مقامه . (وقال) سُئل حكيم متى يكون الحاكم مسيئاً ، قال إن كثُرَتْ بقبقتهُ وإنتشرت كتبهُ وغضبَ أن يُردَّ عليه شيءٌ من كلامه . (وقال) إحذر أن تكون ثناءً منشوراً وعيباً مستوراً . (وقال) جاءني أبو جعفر السمّاك وكان شديد الولَه فوجد حولي جمعاً فوقف ولم يقعد ثم نظر اليَّ فقال : "صرتَ مناجياً للطالبين" فكرهَ إجتماعهم حولي . (وقال) الشكر أن لايُعصى الله في نعمة . (وقال) مَن ذكرني بسوء فهو في حلّ إلاّ رجلاً تعمّد بشيء يعلم منّي خلافه . (وقال) ومن الناس مَن لو مات نصف أحدهم ماإنزجر والنصف الآخر ولاأحسبني إلاّ منهم . (وقال) يبلغ العبد من الهيبة والأُنس الى حدٍّ لو ضُربَ وجهه بالسيف لم يشعر به . (وقال) الشوق والأُنس يرفرفان على

القلب ، فإن وجدا فيه هيبة وإجلالاً أقاما وإلاّ إرتحلا . (وقال) لولا الجمعة والجماعات سددتُ على نفسي الباب . (وقال) كيف يستنير قلب فقير يأكل من طعام قاض ومَن غشَّ في معاملته . (وقال) مَن أصغى الى قول الناس عنه أنه ولّي فهو أسير في يد نفسه مابَرِم . (وقال) ثلاثة من علامات سخط الله على العبد كثرة الغفلة والإستهزاء بالناس والغيبة .

و(قيل له) كيف الطريق الى الله ؟ فقال إن أردت العبادة فعليك بالصيام والقيام وإن أردته فاترك كلّ ماسواه تصل اليه وليس إلاّ المساجد والخراب .

(وقال) لاتكملُ محبةٌ بين إثنين حتى يقول كلٌّ للآخر ياأنا . (وقال) مارأيت أحبَطَ للعمل وأفسَدَ للقلب ولا أسَرعَ لهلاك العبد ولا أدوَمَ للأضرار ولا أقرب للمقت ولا ألزمَ لطريق الريا والعُجب والرياسة من قلّة معرفة العبد لنفسه ونظره في عيوب الناس . (وقال) الدنيا أفاعي العلماء وسحارة قلوب الفقراء والقرّاء . (وقال) كم مَن أطبق أهل بلده على إعتقاده وهو من الهالكين . (وقال) قد توعَّرَتْ طريق الصالحين وقلّ فيها السالكون وهُجرت فيها الأعمال وقلَّ فيها الراغبون ورُفضَ الحق ودُرِسَ هذا الأمر ، فلا أراه إلاّ في لسان كل بطّال ينطق بالحكمة ويفارق الأعمال قد إفترش الرّخص وتمهّد التأويلات وإقتدى بذلك الهالكون . (وقال) مَن قام بين يديّ الله في الظلام نُشرت له يوم القيامة الأعلام .

(وقال الغزالي) وأرسل السري الى أحمد بن حنبل شيئاً فردَّهُ فقال له إحذر آفة الردّ فإنها أشدُّ من آفة الأخذ . فقال أعد عليَّ ما قلت فأعاده . فقال ماردَدتُ إلاّ لأنّ عندي قوت شهر فاحبسهُ عندك وأرسله بعد شهر .

(ودخل عليه الجُنيد) فقال ياجنيد عصفور يجيء كلّ يوم أفتُّ له الخبز فيأكل من يدي فنزل الساعة ولم يسقط على يدي ، فذكرت أني أكلت ملحاً بابزار فآليتُ أن لاآكلهُ بعدها فعاد كما كان .

(وقال) قلوب المقرّبين معلّقة بالسوابق وقلوب الأبرار بالخواتيم ، هؤلاء يقولون بماذا يُختم لنا وأولئك بما سبق من الله لنا . (وقال) مَن إشتغل بمناجاة الله أورثه حلاوة ذكره ومرارة مايأتي من الشيطان . (وقال) مَن إستعمل التسويف طالت حسرته يوم القيامة . (وقال) الأدب ترجمان العقل واللسان ترجمان القلب والوجه مرآة القلب ليتبين الوجه وماتضمره القلوب . (وقال) مَن أطاع مَن فوقه أطاعه مَنْ دونه .

(وقال له الجُنيد وهو محتضر) أوصني فقال لاتصحب الأشرار ولاتشتغل عن الله بمجالسة الأخيار .

(وقال) التوكُّل الإنخلاع عن الحول والقوة . (وقال) رأس الأعمال الرضا عن الله وعمود الدين الوَرَع ومخُّ العبادة الجوع . وضبط اللسان حصن حصين . ومَن شكر الله جرى في ميدان الزيادة . (وقال) صحبتُ شيخاً فأقمت سنة لاأسأله عن شيء ثم قلت : ماالمعرفة ؟ قال : أن تجد الله أقرب إليك من كل شيء وأن ينمحي من سرّك كلّ شيء . قلت : ومايوصل الى هذا الشيء ؟ قال : زهدُك فيك ورغبتك فيه . فكان كلامه سبب نفعي .

(وقال) سمعتُ برجل مُجاب الدعوة فطلبته فإذا بخلقٍ كثير من المرضى والعميان ينتظرون خروجه كلّ سنة مرّة ليدعو لهم فيشفون فخرج فدعا لهم ورجع . فتعلّقت به وقلت : بي علّة باطنة . فقال : خَلِّ عنّي ياسري فإنه غيور لايراك تسأل غيره فتسقط من عينه .

(وقال) أطلب حياة قلبك بمجالسة أهل الفكر وإستجلب نور القلب بدوام الحزن وألحّ في المسألة عند وجل القلوب وإياك والتسويف .

(ولما مَرض) لم يُرَ عليه تغيّر فأخذ الجُنيد بوله لطبيب نصراني . فتأمله وقال بول عاشق . فصُعقَ الجُنيد وأُغميَ عليه . ثم أخبر السري فقال قاتله الله ماأخبره ماكنت أظنّ أن الحبَّ يظهر في هذا .

وكان رضي الله عنه ينشد كثيراً ويقول :

لا في النهار ولا في الليل لي فرحٌ ... فما أُبالي أطالَ الليل أم قَصُرَ
لأنني طول ليلي هائمٌ دنفٌ ... وبالنهار أعاني الهمّ والفكرا

(وقال) خصلتان يبعدان العبد من الله تعالى أداء نافلة بتضييع فريضة وعمل بالجوارح من غير صدق بالقلب .

(وقال علي بن الحسين بن حرب) بعثني أبي الى السري السقطي رضي الله عنه بشيء من حب السعال لسعال كان به فقال : كم ثمنه ؟ فقلت له لم يخبرني بشيء . فقال : إقرأ عليه السلام وقل له نحن نعلّم الناس منذ خمسين سنة أن لايأكلوا بأديانهم أفَتَراني اليوم آكُلُ بديني ؟ ثم ردَّهُ ولم يأخذ منه شيئاً .

(وقال رضي الله عنه) "أرِقتُ ذات ليلة فلم أطق القميص مع خدمته من التهجّد وكثرة التفكُّر فلما صلّيت الفجر خرجت لايقرّ ليَ قرار . فقلتُ أمضي لبعض الوعّاظ لعلي أجد لقلبي راحة . فلما وقفت عليه وجدت قلبي لايزداد إلاّ قساوة . فقلتُ أذهب للشرطة لعلّي أعتبر بمن يُعاقب في الدنيا فلما مضيت وجدت قلبي على حاله . فقلت أمضي الى المارستان لعلي أعتبر بمن قد ابتُليَ . فلما دخلت المارستان وجدت قلبي قد إنفتح وارتاح فرأيت جارية جالسة على سرير من أحسن الناس وجهاً وعليها أطمار حسنة وشممتُ منها رائحة طيّبة وهي غضيضة النظر مقيّدة الرجلين مغلولة اليدين . فلما رأتني إغرورقت عيناها بالدموع وأنشدت :

أُعيذك أن تغلّ يدي ... بغير جريمةٍ سبقت
تُغَلُّ يدي الى عنقي ... ولاخانتْ ولاسرَقَتْ
وبين جوانحي كبدٌ ... أحسُّ بها قد إحترقت
فلو قطّعتها قطعاً ... وحقّك عنك ما بَرِحَت

قال السري فلما سمعت كلامها قلت للقيّم : ماهذه الجارية ؟ فقال : جاريةٌ مجنونة حبسها مولاها لكي تصحو . قال فأردت الدنو منها فقال لي القيّم : لاتقترب منها فإن الذي بها عظيم . فلما سمعَتْ كلام القيّم تغرغرت عيناها بالدموع وأنشدت :

معشر الناس ماجُننتُ ولكن ... أنا سكرانة وقلبي صاحي
أنا مجنونةٌ بحبِّ حبيب ... لست أبغي من بابه بَراحِ
وصلاحي الذي رأيتم فسادي ... وفسادي الذي رأيتم صلاحي
ماعلى من أحبَّ مولى الموالي ... وإرتضاه لنفسه من جناحِ

فلما سمعتُ ذلك منها أقلقني وأبكاني . فلما رأتني على تلك الحالة قالت : ياسري هذا بكاؤك على ذكر صفته فكيف لو عرفته حقّ معرفته ؟ ثم بكت وأنشدت :

ألبستني ثوب وجدٍ طابَ ملبَسهُ ... فأنت مولى الورى حقّاً ومولائي
كانت بقلبي أهواء مفرّقة ... فإستجمعت مذ رأتك العين أهوائي

فصار يحسدني مَن كـنت أحسدهُ   وصرتُ مولى الورى إذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم   شغلاً بحبّك يادينـي ودنيائي
من غُصٍّ داوى بشرب الماء غصّته   فكيف يصنعُ مَن قد غصَ بالماء
والشوق في خاطري مني وفي كَبَدي   والحبُّ منّي مقيم بين أحشائي

قلت ياجارية ، قالت لبّيك ياسري ، قلت : من أين عرفت إسمي ومارأيتك قبل هذا ؟ فقالت : عرّفَ بيني وبينك علاّم الغيوب . قلت لها : ومَن حبسَك وماسببُ حبسك وأنت على هذه المعرفة والإخلاص في الحب ؟ قالت : ياسري زعموا أني مجنونة وهم أولى بإسم الجنون منّي . ثم بكت طويلاً ثم قلت لها ماإسمك قالت "تحفة" . فقلت لقيّم المارستان حلّ عنها وإنزع قيدها وإنزع الغلّ من عنقها . فتحادثنا ساعة وإذا مولاها قد أقبل فلما رآني سلّم عليّ وأعظمني فقلت له : يافتى إنها بالإعظام أولى مني فما الذي تُنكرُ من هذه الجارية ؟ قال : كثرة بكائها وأنينها وهي ذاهلة العقل طول ليلها قائمة لاتنام ولاتدعنا ننام وهي والله بضاعتي إشتريتها بخمسمائة دينار لحسن صنعتها . قلت : ماصنعَتُها ؟ قال : عوّادة تضرب بالعود . قلت : سبب ذلك ؟ قال : بينا هي تغني وعودها في حجرها وهي تقول :

مـلأتَ جـوانحي والقلب وجـدا   فكيف أقرُّ وأسلى وأهدا
وحـقِّكَ لانقضتُ الدهر عهداً   ولا كدّرتُ بعد الصفو وداً
فيامَن ليس لي مولى سواه   تراك رضيتني في الناس عبداً

إذ رمَت العود فكسرتهُ . فهذا كان سبب جنونها . فلما سمعت الجارية ذلك أنشدت :

خاطبني الحقُّ من جَناني   فكان وعظي على لساني
قرَّبَني منه بعدَ بُعد   وخصَّني منه واصطفاني
أجبتُ لما دُعيتُ طوعاً   ملبّياً داعياً دعاني

فقلت لمولاها : أطلق سبيلها وعليّ خمسمائة دينار أدفعها لك في غدٍ إن شاء الله . فقال : تكون مقيمة في موضعها هذا حتى تُحضر المال أو تُفيقَ من الجنون . قال السري فإنصرفت وأنا باكي العين حزين القلب على الجارية فلما كان جوف الليل وإذا بالباب يُطرق . فخرجت فوجدت خمسة من الرجال ، فقلت : ماحاجتكم ؟ فقال أحدهم : أخٌ في الله تعالى جاء لسبب من الأسباب بإذن الملك الوهّاب . ففتحتُ فقال : أتأذن في الدخول فقلت نعم . فدخل ومَن معه وعلى أكتافهم أربع بِدَرٍ دنانير وبيد الغلام شمعة . فقال : أتعرفني ؟ قلت : لا . قال : أنا أحمد بن المثنى بينا أنا نائم إذا هاتف يقول ياإبن المثنى هل لكَ في معاملة المولى جلّ جلاله فقلت يافرحي إن كنتُ للرقّ أصلح ، فقال إحمل من مالك أربع بِدَر الى سري السقطي يشتري بها "تحفة" فإن لنا بها عناية وقد جعلناها من أهل الولاية واعلم مولاها أن الله سيفتح عليه من حيث لايحتسب . فقمت وسارعت الى ما أُمرتُ وهذا المال قد جئت به . قال السري فسجدتُ لله شكراً على هذه النعمة الجديدة ولم يزل الى أن طلع الفجر . فلما صلينا الفجر أتينا المارستان وإذا قيّم المارستان على الباب فلما رآني قال : جئتَ من أجل تُحفة ؟ قلت : نعم . وحكيت له ماقال إبن المثنى من كلام الهاتف ، ثم دخلنا المارستان ومعنا القيّم . فلما رأتنا تغرغرت عيناها بالدموع وأنشدت تقول :

قد صبرتُ الى أن   عيلَ في حبّك صبري
ليس يخفى عنك أمري   يا مُنى قصدي وذُخري
أترى تعتقُ رقّي   أو تفُكَّ اليوم أسري

فبينا نحن جلوس وأنا أقول لها قد أُجيبت الدعوة إذ دخل مولاها حزيناً متغيّر اللون باكياً . فقلت : لاتبكي قد فرّج الله عزّ وجلّ وقد حصل المال مثل ما أردت وإذا طلبت ربحاً أعطيناك ولو أنه خمسة آلاف دينار . فقال : والله لافعلت ولو كان ملء الأرض ذهباً وفضّة . فقلت : يافتى ماهكذا كان كلامك بالأمس . فقال : هيهات ياسيدي لو تعلم ماجرى عليّ من التوبيخ البارحة وماهتف بي الهاتف اعلموا أن هذه الجارية حرّة لوجه الله تعالى وجميع ماأملكه صدقة لله تعالى . فإلتفَتُّ فإذا ابن المثنى يبكي بكاءً شديداً . فقلت له : مايبكيك ؟ فقال : إن الله عزّ وجلّ لم يرضني . فقلت له : قد وقع الأجر وحصلت النيّة ونية المرء خير من عمله . ولم أزل أسكّنهُ حتى سكنَ مابه ، ثم قال : ياسري هذا المال خرجت عنه لله عزّ وجلّ ولاسبيل الى الرجوع به وإنما هو وباقي مالي صدقة وكل ريع لي فهو حبسٌ في سبيل الله تعالى وكلّ مملوك لي فهو حرّ لله تعالى وأنا هاربٌ الى الله تعالى تائب اليه من جميع ذنوبي . فقامت الجارية فنزعت ماكان عليها ولبست مدرّعة من الشعر وخماراً من الصوف وقامت تمشي معنا وهي تبكي وتقول :

ياسرور القلوب أنت سروري ... هربتُ منهُ اليه
وحقّه وهو سؤلي ... لازلت بين يديه
حتى أنال وأحظى ... بما إتّكلتُ عليه

ثم قالت وا طول حزناه ، ثم فارقتنا ومضت وهي تقول :

بكيتُ منه عليه ... هربتُ منه اليه
وحقّه وهو سؤلي ... لازلت بين يديه
حتى أنال وأحظى ... بما إتكلتُ عليه

قال السري ثم غابت عنا فلما كان في بعض السنين حججتُ أنا ومولاها فبينا نحن في الطواف مع جماعة إذ سمعت صوتاً حزيناً من إمرأة تنادي بالبكاء يا سيدي . فلما رأتنا أنشدت :

مُحبُّ الله في الدنيا سقيم ... تطاوَلَ سقَمهُ فدَواه داهُ
يهيم بحبه شوقاً اليه ... فليس يريدُ محبوباً سواه
كذلك كلّ من يدعي محبّاً ... يهيم بحبّه حتى يراه

ثم سقطت مغشياً عليها ، فلما أفاقت أنشدت :

أموت وما ماتت لديك صبابتي ... ولارَويتُ من فرط حبّكَ أوطاري
مناي المنى كلّ المُنى أنت لي المنى ... وموضع أشواقي ومكنون أسراري
ألست دليل القوم إن هم تحيّروا ... ومُنقذُ مَن أشفى على جُرفٍ هارِ

فتقدّمت اليها فإذا هي تُحفة . فقلت لها : ماوهبك الله بإنقطاعك عن الخلق ؟ فقالت : أنسني بقربه وأوحشني من خلقه . فقلت : ياتحفة إبن المثنى قد مات . فقالت : رحمَهُ الله وغَفَر له إني لأرجو له من الله تعالى كلّ خير ونعيم وسيجزيه الله عزّ وجلّ بكل درهم أنفقه في سبيل الله سبعمائة ضعف الى أضعاف مضاعفة . ثم قالت : إلهي وسيدي ومولاي أسألك بنور وجهك الذي أشرقت به الظُلُمات وصلح عليه أمرُ الدنيا والآخرة أن تقبضني اليك . الى كم أبقى في دار الدنيا المحزونة ، إلهي قد طال شوقي اليك فعجّل ربي قبضَ روحي اليك ياأرحم الراحمين ومجيب دعوة المضطرّين . ثم إستقبلَتْ القبلة وتشهّدت فماتت رحمها الله تعالى فما أعظم بركة هذه الجارية على الجميع" .

(وقال ر ضي الله عنه) لو أحسستُ بإنسان يريد أن يدخل عليَّ فـقلت بلحيتي كذا وكذا وأمَرَّ يده على لحيته كـأنه يريد تسويتها من أجل دخول ذلك الداخل لخفتُ أن يعذّبني الله عزّ وجلّ على ذلك بالنار .
(وكان يقول) إني لأنظر الى أنفي مراراً مخافة أن يكون وجهي قد إسودّ .
(وقال) ماأحبُّ أن أموت حيث أعرف ، فقيل له ولم ذاك قال أخاف أن لايقبلني قبري فأُفتَضَح .
(وقال رجل) له رضي الله عنه كيف أنت ؟ فأنشد يقول :

مَن لم يَبتْ والحبُّ حـشـــوَ فـــؤاده ... لم يَدرِ كــيف تفــتـت الأكــبـــاد

(وقال الجُنيد رضي الله عنه) رفع السري اليَّ يوماً رقعة قال أنظر مافيها :

إذا مــاشكوتُ الحبُّ قــال كــذَبتَني ... فــمــالي أرى الأعــضـاء مـنـك كـواسـيـا
فـلا حبَّ حتى يـلصق الجلد بـالحشـا ... وتذبل حـتى لاتُجيـبُ المُنـــــاديا

(وقال) معنى الصبر أن تكون مثل الأرض تحمل الجبال وبني آدم وكلّ ماعليها لاتأبى ذلك ، كالصابر يحتمل ماكرهتهُ النفوس لايأبى ذلك ولايسمّيه بلاء بل يسميه نعمة وموهبة من الله سبحانه وتعالى . (وقال) صلّيت وردي ليلة ومددت رجلي في المحراب فنوديت ياسري كذا تجالس الملوك ، فـقـبـضت رجلي ثم قلت وعـزّتك وجلالـك لامـددتُ رجلي أبداً . وكـان يقـول إذا فـاتني جزء من وردي لايمكنني أن أقضيه أبداً . قال الجُنيد لأن السري كان متصل التنَفُل . (وقال) أصفى مايكون ذكري إذا كنت مشغول القلب بالله تعالى . (وقال) مَن لم يعرف قدر النِعَمْ سُلِبَها من حيث لايعلم ، ومَن هانت عليه المصائب أحرز ثوابها .
(وسُئل عن الصبر) فجعل يتكلم فيه فـدبَّت على رجله عقرب وهي تضرب بابرتها وهو ساكن فقيل له لم تُنَحّها عنك ، فقال إني إستحييت من الله تعالى أن أتكلم في الصبر ولاأصبر .
(وقال) التوكُّل والتعفُّف يمنعان من الذلّة ، والإحسان والكرم يمنعان من دناءة الأخلاق ، والزهد يمنع من التعب .
(وقال الجُنيد) دخلتُ يوماً على السري فقال : ماأحوال الصدّيقين . قلت : لاأدري . قال : ثلاثة يكونوا بما في أيديهم مع إخوانهم سواء ويطالبون نفوسهم بما للناس عليهم وإذا عرضَ أمران لله عزّ وجلّ فيهما رضا حملوا نفوسهم على أصعبهما وأشدّهما وإن كان فيه تلفُ نفوسهم .
(وقال الجُنيد) سمعتُ سرياً يقول كنت ماراً في البرّية فآواني الليل الى جبل لاأنفُس فيه . فبينا أنا في جوف الليل ناداني مناد فقال لاتدور القلوب في الغيوب حتى تذوب النفوس مخافةً فَوت المحبوب . فتعجّبت فقلتُ : أجنّيٌّ يناديني أم إنسٌ ؟ فقال : بل جنّيٌّ مؤمن بالله سبحانه وتعالى ومعي إخوان . فقلت : وهل عندهم ماعندك ؟ فقال : نعم وزيادة . فناداني الثاني منهم : لاتذهب من البدن القوّة إلاّ بدوام الفتوّة . فقلت في نفسي ماأبلغ كلامهم .
فناداني الثالث : مَن أُنِسَ بـه في الظلام نُشِرَ له غداً الأعلام . قال فصعقتُ فما أفقت إلاّ برائحة الطيب وإذا نرجسة على صدري فشممتها فأفقتُ . فقلتُ وصيّة وحكم لله . فقالوا جميعاً : أبى الله عزّ وجلّ أن تحيى به إلاّ قلوب المتّقين فمن طمع في غير ذلك فقد طمعَ في غير مَطمَعٍ وفّقنا الله وإياك . وودَّعوني ومضوا وقد أتى عليَّ حين ولاأزال أرى بركةً من كلامهم موجودة في خاطري .
(وقال رضي الله عنه) لايطيب عيش الزاهد إلاّ إذا إشتغل عن نفسه ولاعيش العارف إلاّ إذا إشتغل بنفسه . (وقال) لن يَكمُل الرجل حتى يؤثر دينه على شهوته ويهلك حتى يؤثِر شهوته على دينه .

(وقال) للمريد عشر مقامات التحبّب الى الله عزّ وجلّ والتزيّن عنده بالصدق ونصيحة الأمة والأُنسُ بكلام الله عزّ وجلّ والصبر على أحكامه والإثرة لأمره والحياء من نظره وبذل المجهود في مرضاته والرضا بالقلّة والقناعة بالخمول . (وقال) رأيت الفوائد تردُ في ظلام الليل . (وقال) تخليص العمل حتى يخلُص أشدّ من العمل والإبقاء على العمل بعدما يخلُص أشدُّ من تخليص العمل . (وقال) لو شفقت هذه النفوس على أبدانها شفقتها على أولادها للاقت السرور في معادها . (وقال) وددتُ أن أحزان الخلق كلّهم عليَّ .

(قال الجُنيد) بعثني السري يوماً في حاجة فأبطأت عليه فقال "إذا بعثك رجل يتكلم في موارد القلوب في حاجة فلاتُبطيء عليه لأنك تشغل قلبه" .

(وقال السري) إني أعرف طريقاً يؤدي الى الجنة قصداً ، فقيل وماهي ؟ فقال أن تشتغل بالعبادة وتُقبل عليها وحدها حتى لايكون فيك فضل . (وقال) أعرف طريقاً مختصراً يؤدي الى الله سبحانه وتعالى . فقيل وماهو ؟ قال لاتأخذ من أحد شيئاً ولاتسأل أحداً شيئاً ولايكن معك ماتعطي أحد شيئاً .

(وقال) لايقدر على ترك الشهوات إلاّ من ترك الشُبُهات .

(وقال الجُنيد) كان السري يقول لنا ونحن حوله "أما لكم غيرة يامعشر الشباب إعملوا فإن العمل في الشبيبة" .

(وحكى) أنه لما ترك التجارة كانت أخته تنفق عليه من غزلها فأبطأت عليه يوماً فسألها عن ذلك فقالت : لأن غَزليَ لم يُشتَرَ اليوم وذكروا أنه مختلط وإن ماظهر منه جيّد وماخُفيَ منه رديء . فإمتنع السري من طعامها ونودي أن لايأكل من عندها شيئاً . ثم أنّ أخته دخلت عليه ذات يوم فإذا عنده عجوز تكنس بيته وكانت تأتيه كلّ يوم بقرصين فاغتمّت أخته وأتت أحمد بن حنبل ، فشكت اليه أخاها ، فقال له أحمد بن حنبل في ذلك ، فقال : إني لما إمتنعت من طعامها قيَّضَ الله عزّ وجلّ اليَّ الدنيا تخدمني وتأتيني بقوتي . وقال إبن أبي الورد دخلتُ يوماً على السري وهو يبكي ودورقه مكسور فقلت له : مالَك ؟ فقال : إنكسر الدورق . فقلت : أنا أشتري لك بَدَلَهُ . فقال : من أين تشتري بدله وأنا أعرف الدانق الذي اشتُريَ به الدورق ومَن عَملهُ ومن أين أخذ طينه ومن أي شيء أكل عامله حتى فرغ من عمله ؟

وقال حسن اليرخي دفع اليّ السري قطعة وقال إشترِ بها باقلاء من رجل قدره داخل الحانوت ، فطُفتُ الكرخ كلّه فلم أجد إلاّ من قدره خارج الحانوت .

(وقال) ثلاثٌ مَن لم يكنَّ فيه فقد إستكمل الإيمان ، مَن إذا غضبَ لم يُخرجه غضبه عن الحقّ ، ومَن إذا رضيَ لم يخرجه رضاه الى الباطل ، ومَن إذا قَدرَ لم يتناول ما ليس له . (وقال) كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يكن له وقت ينام فيه وكان ينعس وهو قاعد فقيل له ياأمير المؤمنين ألا تنام ؟ فقال كيف أنام ؟ إن نمتُ بالنهار ضيّعتُ أمور الناس وإن نمتُ بالليل ضيّعتُ حظي مع الله عزّ وجلّ .

(وقال الجُنيد) مارأيت أعبدَ من السري أتت عليه ثمان وثلاثون سنة مارُؤيَ مضطجعاً إلاّ في علّة الموت .

(وقال الجُنيد) كنت نائماً عند السري فنبّهني وقال لي ياجُنيد الساعة رأيت كأني وقفت بين يدي الله عزّ وجلّ فقال لي ياسري فقلتُ لبّيكَ ربَّنا وسَعدَيك فقال لي خلقتُ الخَلقَ فكلّهم إدّعوا بمحبتي ، فخلقت

الدنيا فهرب مني تسعة أعشارهم وبقي معي العُشر وخلقت الجنّة فهرب منّي تسعة أعشار العُشر وبقي معي عُشرُ العُشر فسلّطتُ عليهم ذرّة من البلاء فهرب منهم تسعة أعشار عُشر العُشر ، فقلتُ للباقين معي لا الدنيا أردتم ولا الجنّة أخذتم ولا من البلاء هربتم فماذا تريدون ، فقالوا إنك لتعلم ما نريد فقلت إني سلّطت عليكم من البلاء بعدد أنفساكم ما لاتقوم له الجبال الرّواسي أتصبرون ، قالوا إذا كنت أنت المُبتَلي لنا فافعل ماشئت . فهؤلاء عبادي حقّا .

(أقول) وهذا داخل تحت قوله صلى الله عليه وسلّم" أول من يُدعى يوم القيامة آدم فيقول الله له أخرِج بعث النار ، فيقول ربِّ ومابعثُ النار . فيقول من كلِّ ألف تسعمائة وتسعة وتسعون" .

(وقال مظفر بن سهل) سمعت إبن علان الخياط وكان قد جرى بيني وبينه ذكر مناقبُ السري يقول : "كنت يوماً جالساً مع السري فجاءته إمرأة وقالت ياأبا الحسن أنا من جيرانك وأخذ إبني الطائف وأخشى أن يؤذيه ، فإن أردت أن تجيء معي أو تبعث اليه . قال علان فتوقعت أن يبعث اليه فقام وكبّر وطوّلَ صلاته فقالت له المرأة ياأبا الحسن الله الله فيَّ أخشى أن يؤذى ولدي . فسلّم وقال لها أنا في حاجتك فلم يكن إلاّ أن جاءت إمرأة أخرى وقالت لها لقد أُفرج عن ولدك إذهبي اليه . فتعجّب رجل من سرعة إستجابة دعائه فقال له علان لأي شيء تتعجّب إشترى كَرَّ لوزٍ بستين ديناراً وكتب على العدل الذي هو فيه ربحُهُ ثلاثة دنانير فإرتفع السعر حتى صار الكَرُّ بتسعين ديناراً فأتاه الدلال وقال : أريد ذلك اللوز . فقال : خُذهُ . فقال : بكَمْ ؟ فقال : بثلاثة وستين ديناراً . فقال له الدلال : إن اللوز قد صار بتسعين ديناراً . فقال : قد عقدتُ بيني وبين الله تعالى عزّ وجلّ عقداً لاأحلّهُ لست أبيعه إلاّ بثلاثة وستين ديناراً . فقال له الدلاّل : إني عقدت بيني وبين الله تعالى عقداً أن لاأغشَّ مسلماً لست آخذه منك إلاّ بتسعين . فلا الدلال إشتراه منه ولاهو باعه فكيف لايُستجاب دعاء من هذا فعلهُ ؟" .

(وقال أحمد بن خلف) دخلتُ يوماً على السري فرأيت في غرفته كوزاً جديداً مكسوراً ، فقال لي : أردت ماءً بارداً في كوز جديد فوضعته على هذا الرواق ونمتُ فرأيت في منامي جارية مدنيّة فقالت لي ياسري مَن يخطب مثلي ببرد الماء ثم رمتهُ برجلها فإنكسر . فإستيقظت من نومي فإذا هو مطروح مكسور" . قال الجُنيد فرأيت الخزف المكسور ولم يمسسه ولم يرفعه حتى عفا عليه التراب وعلمت أن مخالفة النفس وقمع الشهوات واللذات من دواعي الوصول وشواهد المشاهد .

(وقال السري) لاتركن الى الدنيا فتقطع من الله حبلك ولاتمشِ في الأرض مرحاً فإنها عن قريب قبرك . (وقال) لو علمتُ أن جلوسي في البيت أفضل من خروجي الى المجلس ماخرجت ولو علمتُ أن إنفرادي عن الناس أفضل ماجالستهم . (وقال) كنت مريضاً بطرسوس فدخل عليَّ ثقلاء يعودونني وأطالوا ثم قالوا إن رأيت أن تدعو لنا فقلت اللهم علّمنا أدب العيادة . (وقال) العارف هو الذي لايطفيء نور معرفته نور ورعه ولايتكلم في باطن علمٍ ينقضهُ عليه ظاهر الكتاب والسنّة ولاتحملهُ الكرامات على هتك أستار محارم الله عزّ وجلّ . (وقال) ثلاثة أشياء لايسكن معها في القلب غيرها ؛ الخوف من الله تعالى وحده ، والحياء من الله وحده ، والأُنسُ بالله وحده . (وقال) أربعٌ من أخلاق الأبدال إستقصاء الورَع وتصحيح الإرادة وسلامة الصدر للخَلقِ والنصيحة لهم . وأربعٌ يرفع الله بها العبد العلم والأدب والدين والأمانة . وثلاث من أخلاق المؤمنين القيام بالفرائض وإجتناب المحارم وتركُ الغفلة . وثلاثٌ من أخلاق الأبرار كثرة الإستغفار وخفض الجناح ومداومة الصدق . وثلاث من أبواب سخط الله

عزّ وجلّ اللعب والإستهزاء والغيبة . وأما عمود الدين وذروة سنامه فحُسنُ الظنّ بالله تعالى . (وقال) أطلب حياة قلبك بمجالسة أهل الذكر وإستجلب نور القلب بدوام الحزن والتمس وجود الفكر في مواطن الخوف وألِحَّ في المسألة عند وجل القلوب وتزيّن لله تعالى بالصدق وتحبّب اليه بمحبّة تعجيل الإنتقال وإيّاك والتسويف . ونافس الأبرار في إقامة الفَرض ونافس المقرّبين في إخلاص النوافل وترك فضول الحلال . واطلب حلاوة المناجاة بفراغ القلب وجمع الهمّ وإستجلب زيادة النعَم بكثرة الشكر . (وقال رضي الله عنه) إستوصيت بِشر بن الحرث بوصيّة فقال : أخاف أن أوصيك بوصيّة فيكون وبالها عليَّ وعليك . فقلت : على ذلك . فقال : أنظر بأي بدن توافي القيامة وأنظر مَن يحاسبك وبين يدي مَن تقف واعلم أنك مسؤول لامحالة فأعدّ للسؤال جواباً وللجواب صواباً . والزمْ بيتك وحاسب نفسك فإذا قدمت يوم القيامة تقول ربِّ مازلت ملازماً لبيتي ومحاسباً لنفسي . فيقول الله عزّ وجلّ صدقت . (ثم قال هيهات أنّى يقول صدقت إلاّ للصدّيقين) . وانظُر كل خطرة تخطُر ببالك تستحيي منها أن يعلم بها جليسك فالله عزّ وجلّ أحقُّ وأحرى أن يُستَحيا منه .

(وقال الجُنيد) كنت أسمع السري يقول يبلغ العبد من الهيبة والأُنس الى حدٍّ لو ضُرب وجهه بالسيف لم يشعر وكان في قلبي منه شيء حتى بان لي الأمر كذلك ، وذلك لأن الهيبة والأُنس حالتان فوق القبض والبسط ، والقبض والبسط فوق الخوف والرجا . فالهيبة مقتضاها الغَيبة والدهشة . فكل هائب غائب حتى لو قُطِّعَ قِطعاً لم يحضُر من غيبته إلاّ بزوال الهيبة عنه والأنس عنه . والأُنس مقتضاه الصحو والإفاقة ثم إنهم يتفاوتون في الهيبة والأُنس . وقيل أدنى مرتبة في الانس أنه لو أُلقيَ في النار ماتكدّر انسهُ ، ألا ترى الى قول السري يبلغ العبد من الهيبة والانس الى حدٍّ لو ضُربَ وجهه بالسيف لم يشعر . وذلك لأن الانس يتولد من السرور بالله ومن صحَّ له الانس بالله تعالى إستوحشَ مما سواه .

(وقيل لبعضهم) يذوق العبد حلاوة الانس ؟ فقال نعم إذا قطع العلائق ورفض الخلائق وغاص في الحقائق مطّلعاً على الدقائق . (وقال الشبلي) من إستأنس بالله عزّ وجلّ إستوحش من خَلقه ومن إستوحش من خَلقه صار فرداً بين يديه جلَّ جلاله . وحالتا الهيبة والانس وإن جلّتا فأهل الحقيقة يعدونها نقصاً لتضمينها تَغيّر العبد فإنّ أهل التمكين سمت أحوالهم عن التغيّر فلهم كمال في المحو ووجود في العين فلاهيبة لهم ولا أُنس ولا علم ولا حس .

(وقال السري رضي الله عنه) عملٌ قليل في سُنّة خير من كثير في بدعة فكيف بعملٍ مع هوى .

(وقال) مَن عرفَ ما يطلب هان عليه ما يبذل . (وقال) كنت يوماً أتكلم بجامع بغداد فوقف عليَّ شاب حسن الشباب فاخر الثياب ومعه أصحابه فسمعني أقول في وعظي عجباً كيف لضعيفٍ يعصي قوياً ، فتغيّرَ لونه فإنصرف . ولما كان من الغد جلست في مجلسي وإذا بالفتى قد أقبل فسلّمَ وصلّى ركعتين وقال : ياسري سمعتك بالأمس تقول عجباً لضعيف يعصى قوياً فما معناه ؟ قلتُ : لا أقوى من الله عزّ وجلّ ولا أضعفَ من العبد وهو يعصيه . فنهض وخرج ثم أقبل عليَّ من الغد وعليه ثوبان أبيضان وليس معه أحد ، فقال : ياسري كيف السبيل الى الله تعالى . فقلت : إن أردتَ العبادة فعليك بصيام النهار وقيام الليل وإن أردتَ الله عزّ وجلّ فأترك كلّما سواه تصل اليه وليس إلاّ المساجد والخراب . فقام وهو يقول والله لاسلكتُ إلاّ أصعب الطرق وولّى خارجاً . فلما كان بعد أيام جاءني غلمان جماعته فقالوا مافعل أحمد بن يزيد الكاتب . فقلت : لاأعرفه . إلاّ أن رجلاً جاءني صفتهُ

كذا وكذا . وأخبرتهم بما جرى لي معه ولاأعلم حاله .
فقالوا نقسم عليك بالله متى عرفت خبره عرّفنا ودلّونا على داره . فبقيت سنة لاأعرف خبره فبينا أنا ذات ليلة بعد العشاء الآخرة في بيتي إذا بطارقٍ يطرق الباب فأذنتُ له بالدخول فإذا بالفتى عليه قطعة من كساء في وسطه وأخرى على عاتقه ومعه زنبيل فيه نوى . فقبّلني بين عينيّ وقال : ياسري أعتقكَ الله عزّ وجلّ من النار كما أعتقتني من الدنيا . فأومأت الى صاحبي أن امضِ الى أهله فأخبرهم ، فمضى فإذا بزوجته قد جاءت ومعها ولده وغلمانه فدخلت وألقت ولده في حجره وعليه حلَيٌ وحُلَلٌ وقالت له : ياسيدي أرمَلتَني وأنت حيّ وأيتَمتَ ولدكَ وأنت حيّ . فنظر اليّ وقال : ياسري ماهذا ؟ ثم أقبل عليها وقال : والله إنّك لثمرة فؤادي وحبيبة قلبي وإنّ هذا ولدي لأعزُّ الخلق عليّ غير أن هذا السري أخبرني أن من أراد الله سبحانه وتعالى قطع كلّ ماسواه . ثم نزعَ ماعلى الصبيّ وقال : ينبغي أن يكون هذا في الأكباد الجياع والأجساد العارية . وخَرَقَ قطعة من كسائه فلفَّ فيها الصبي ، فقالت المرأة : لاأرى ولدي في هذه الحالة . وانتزعتهُ منه ، فحين رآها قد إشتغلت به نهض وقال : ضيّعتم عليّ ليلتي بيني وبينكم الله . وولّى خارجاً فضجّت الدار بالبكاء . فلما كان بعد مدّة أتت عجوز فقالت : ياسري بالشونيزية غلام يسألك الحضور .
فقمتُ معها فإذا به مطروح تحت رأسه لَبِنَة فسلّمت عليه ففتح عينيه فقال : ياسري وعليك السلام أترى يغفر الله لي تلك الجنايات ؟ فقلت : نعم . فقال : يغفر لمثلي أنا غريق ؟ قلت : هو سبحانه مُنجّي الغرقى . فقال : عليَّ مظالم . فقلت : في الخبر أنه يُؤتى بالتائب يوم القيامة ومعه خصومهُ فيُقال لهم خلّوا عنه فإن الله تعالى يعوّضكم . فقال : ياسري معي دراهم من لُقطة النوى إذا أنا متُّ فجهّزني بها ولاتُعلِم أهلي لئلا يغيّروا كَفَني بغيره من مالهم .
فجلست عنده قليلاً ففتح عينيه وقال لمثل هذا فليعمل العاملون ثم مات رحمه الله . فجهّزته بتلك الدراهم . فرأيت الناس يُهرعون فقلت ما الخبر ؟ قالوا مات وليّ من أولياء الله نريد أن نصلّي عليه . فصلّينا عليه ودفنّاه . فلما كان بعد مدة أرسل أهله يستعلمون خبره فأخبرتهم بموته فأقبلت إمرأته باكية فأخبرتها بحاله فسألتني أن أُريَها قبره . فقلت : أخاف أن تغيّروا أكفانه . قالت : لا والله . فأريتها القبر فبكت وأمرت بإحضار شاهدين وأعتقت جميع الرقيق من الرجال والنساء ووقفت جميع عقارها تصدّقت بمالٍ كثير . ولزمت عبادة الله تعالى الى أن ماتت رحمها الله .
(وقال رضي الله عنه) إتّقِ الإخوان ولاتأمنهم على سرّك واحذر إخوان السوء واتّهم صديقك كما تتّهم عدوّك . (قلت) وماأحسن ماقيل من هذا القبيل :

إحذر عـــدوّك مـــــرّة   واحذر صديقك ألف مرّة
فلربما إنقلب الصديق   فكان أعرف بالمضـــرّة

(وقال رضي الله عنه) خرجنا يوماً من مكة نريد بعض المواطن ، فلما أصحَرنا رأيت في مجرى السيل باقة بقل فمددتُ يدي فأخذتها وقلت "الحمد لله ربّ العالمين" ورجوت أن تكون حلالاً ليس لمخلوقٍ فيها منّة . فقال لي بعض مَن رآني "ياأبا الحسن إلتفت" فإلتفتُّ فإذا مثل الباقة كثير . فقال خذ هذا فقلت الباقة الأولى ليس لأحدٍ فيها منّة وهذا بدلالتك فيه منّة .
(وقال علي بن عبدالحميد الغضافير) دقَقتُ الباب على السري فسمعته من وراء الباب وهو يقول "اللهم أشغل من شغلني عنك بك" ، فكان من بركة دعائه أني حَجَجتُ أربعين حَجَةٍ من حلب ماشياً ذاهباً وآيباً .

(وقال) خير الرزق ماسلِمَ من الآثام في الإكتساب والمذلّة والخضوع وكان سليماً من الغِشّ في الصناعة ومعاملة الظلمة . (وقال) أقوى الناس مَن مَلَكَ غضبَهُ .

(ويُحكى) أنه قال منذ ثلاثين سنة وأنا في الإستغفار من قولي مرّة الحمد لله . قيل وكيف ذلك ؟ قال وقع ببغداد حريق فإستقبلني واحد وقال نجا حانوتك فقلتُ الحمد لله ، فأنا نادم من ذلك الوقت على ماقلتُ حيث أردتُ لنفسي خيراً من الناس .

(ونُقل) عن أحمد بن عمرو أنه قال خرجت مع السري يوم العيد من المسجد فلقي رجلاً جليلاً فسلّم عليه سلاماً ناقصاً . فقلتُ هذا فلان . قال قد عرفته . قلت فلم تنقصهُ السلام ؟ قال لأنه يُروى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إذا إلتقى المسلمان قُسّمت بينهما مائة رحمة تسعون لأبشّهما بصاحبه" فأردتُ أن يكون معه الأكثر .

(قال) في "مُجمع الأحباب" إعلمْ إن هذا فضلٌ جليل جميل منشؤه الورع وقد تضمّن القُربة ومطلق الإيثار بها ولابأس بينهما . أما القُربة فهي كلّ عبادة لايُراد بها إلاّ الله عزّ وجلّ وإبتغاء رضوانه ، وأما مطلق الإيثار بالقُربة فتارة تكون للنفس وتارة تكون للغير وكلّ منهما يقع على أنواع :

الأول : الإيثار بالأنفس والأرواح والأموال كما فعل الصحابة من المهاجرين والأنصار في بذلهم أنفسهم وأرواحهم في الجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ لتكون كلمة الله هي العليا ، فأقام الله بهم هذا الدين وإختارهم لصحبة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وقد تضمّنت أقوالهم مع قصدهم كلّ القصد أيضاً فداء النبي صلى الله عليه وسلم ونصره . فياحبّذا الفداء وما أعظم هذه السعادة وما أكبر هذه السيادة التي إمتازوا بها عن سائر الأمّة ، فإنها سعادة ليس فوقها سعادة بالنسبة للمؤمنين ، فإن كلّ من جاء بعدهم من المؤمنين في ميزانهم . فالسعادة التي حصلت لهم برسول الله صلى الله عليه وسلم مانالها غيرهم ، فهنيئاً لهم رضي الله عنهم وكانوا أحقّ بها وأهلها وجميع ما فعلوه هو نيّة كل مؤمن وسبيله لو وجد الى ذلك سبيلاً .

وقال تعالى (إن الله إشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) وقال تعالى (النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ... الآية) ، وقال تعالى (ماكان لأهل المدينة ومَن حولهم من الأعراب أن يتخلّفوا عن رسول الله ولايرغبوا بأنفسهم ... الآية) وقال تعالى (هو الذي أيّدكَ بنصره وبالمؤمنين ...الآية) . ومَن نظر الى الآيات الكريمة وفي سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم عَلِمَ أنهم قد أخذوا من ذلك بالحظّ الأوفى وأن إستيفاء ذلك يستدعي مجلدات كثيرة . فمن ذلك خبر الغار وهو مشهور ومبيتُ عليّ على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر الى المدينة وما صنعهُ طلحة بن عبدالله أحد العشرة رضوان الله عليهم يوم أُحُد حتى أن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكرٍ الصدّيق رضي الله عنه كان إذا ذُكِرَ عنده يوم أُحُد قال : "ذاك يومٌ كان كلّهُ لطلحة" . وماكان يفعله أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه حين كان ينسلُ كنانته ويقول : "وجهي لوجهك يارسول الله الفداء ونفسي لنفسك يارسول الله الفداء" . وماقاله حبيب بن عَدي لما أخذه المشركون وهم يقطّعون لحمه ويقولون له : أتحبُّ أنك في أهلك ومالك وأن محمداً مكانك ؟

فقال : والله ماأحبُّ أني في أهلي ولامالي وأن محمداً صلى الله عليه وسلم يُشاكُ بشوكة .

وماقاله عبدالرحمن بن جحش رضي الله عنه على ماروواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : "قال

لي عـبدالله بن جـحش رضي الله عنه يوم أُحُد ألا تدعـو الله فخلـوا في ناحيـة فدعا عـبداللـه بن جحش فـقال يارب إذا لقيتُ العدو فلقيني رجلاً شديداً بأسه شديداً جوره أقاتله فيك ويقاتلني ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذنيّ فإذا لقـيتك غداً قلتَ ياعـبدالله مَن جدع أنفك وأذنك فـأقول فيك وفي رسـول الله فتقـول صدقت" .
قـال سعـد فلقد رأيتـه آخر النهـار وأنفه وأذنه لملعَـقـتان في خـيط والنفر الذين قـتلوا واحداً بعـد واحد وكـان آخرهم يزيداً وعماره وقد أُثخن بالجراح . فقـال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادنوه منّي فادنوه حتى وضع خدّه على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات كذلك .

وكـذلك المرأة التي مرّت على القـتلى بأُحُد لما نعـوا أهلهـا لها وصـاروا يقـولون هذا أبوك وأخـوك وزوجك وهي تقول : مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلّم ؟ قالوا خير أمّ فلان فهو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتى أنظر إليـه . فأُشيـر اليه حتى إذا رأته أسرعت إليـه وأخذت بناحيـة ثوبه وهي تقـول : بأبي أنت وأمي يارسول الله لاأبالي إذا سلمتَ عن عطب ، (زدا في رواية وكلّ مصيبة بعد جلل أي قليل) .

وأما الذين قُـتلوا وعُذّبوا في الـغزوات وغيـرها فخلائقُ كثـيرون وماسـار صلى الله عليه وسلـم في غزاة ولاغيرها إلاّ وكانوا عن يمـينه ويساره ومن بين يديه وخلفه يفدونه بآبائهم وأمهاتهم وأنـفسهم وأموالهم الى غير ذلك مما هو مـشهود معروف . والإيثـار من هذا النوع واجبٌ على كلّ مؤمن بالإجماع وقـوعه فرض عين بالنسبة الى الجهاد وفرض كفاية بالنسبة الى فداء النبي صلى الله عليه وسلم .

الثاني : من الإيـثار أيضاً بالأنفس والأمـوال الجهاد في سبيل الله من بـعد رسول الله صلى الله عـليه وسلم كـما فـعل الصـحابة والتابـعون ومَن بعـدهم من المؤمنين إدامـة الجـهاد وفـتح البـلاد . وحـالهم في ذلك ينقسم الى فرض عين وفـرض كفاية ، لأن الكفّار إن دخلوا بلاد الإسلام لأخذها كـان الجهاد فرض عينٍ وإلا فـهو فـرض كـفـاية . وقـد قام المؤمنـون والحمـد لله بالقـسـمين أتمَّ القـيام ولـن يزالوا على ذلك الى أن تقوم الساعة ذلك فضلٌ يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

الثالث : من الإيثار بالأنفس والأموال على سبيل المخاطرة مع ظنّ السلامة القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلفـاء والأمراء والسلاطين وغيـرهم . وهذا فرض كفـاية ولم تزل الأمة سلَفاً وخلفـاً قائمين بذلك مهـما وجدوا اليـه سبـيلاً كسـعيد بن المسيّب وعطاء بن أبي رباح وطاووس بن كيسان وسفـيان الثوري وعبدالرحمن بن أبي ذئب وغيرهم .

الرابع : من الإيثار بالأنفس أيضاً القيام لنصرة الدين وقد فـعل جماعات من الأئمة امتُحنوا في الدين يعني في مسألـة خلق القرآن فآثروا بأنفسـهم حفظاً له كالإمام أحـمد بن حنبل وأحمد إبن نصـر الخزاعي وأبي يعقوب البويطي وغيرهـم فبعضهم ضُرب وبعضهم قُتل وبعضهم سَلِمَ . قـال أحمد بن حنبل عن أحمد بن نصر الخزاعي رحمه الله مـاكان أسخاه لقد جاد بنفسه . وقال أبو يعقـوب البويطي لما حُملَ من مصر الى بغداد مقـيّداً بقـيدٍ فـيـه سلسلة من رجله الى عنقـه نحو أربعين رطلاً : "لـئن دخلتُ عليه لأصـدقنّهُ وأموت في حـديدي هذا حتى يأتي قـوم فيعلمـون أنه قد مـات في هذا الشأن قومٌ في حـديدهم" وهكذا وقع . فإنه رضي الله عنه لما أُدخلَ على الـواثق صَدَقَهُ ولم تأخذه لومـة لائم . فأمر بحبسـهِ الى أن مات محبوساً في حديده . وهذا من كرامات الشافعي ومناقب البويطي رضي الله عنهما .

الخامس : الإيثار الواقع بين المؤمنين بعضهم لبعض بالأنفس والأمـوال وهو كثير . فمن ذلك النفر الثلاثة الذين مـاتوا عطشاً في واقـعة اليـرموك في خلافة أمـير المؤمنـين عمـر بن الخطاب رضي الله عنه سنة

خمس عشرة وهي : أن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال إنطلقت يوم اليرموك أطلب إبن عمٍّ لي ومعي شربة ماء وأنا أقول إن كان فيه رمقٌ سقيته ومسحتُ به وجهه ، فإذا أنا به فقلت أتشرب فأشار اليَّ أن نعم . فإذا رجلٌ يقول "آه العطش آه العطش" فأشار اليَّ إبن عمّي أن "اسقهْ" فإذا هو هشام بن العاصي . فمضيت اليه وقلت أتشرب فأشار اليَّ أن نعم فسمع هشام شخصاً يقول "آه العطش آه العطش" . فأشار اليَّ أن "اسقهْ" فإنتهيت اليه لأسقيه فإذا هو قد مات ، ثم رجعت الى هشام فإذا به قد مات ثم رجعت الى إبن عمي فإذا به قد مات فتعجّبت من هذا الإيثار مع شدّة الإضطرار .

(ومن ذلك) ماحكاه الإمام أبو القاسم الكلاباذي قدّس الله سرّه قال : "سمعت بعض الفقراء يقول كنت سنة الهرير مع الناس فإنقلبت ثم رجعتُ وكنت أطوف بين الجرحى فرأيت أبا محمد الجريري رضي الله عنه وكان قد نيَّفَ على المائة فقلت : ياشيخ ألا تدعو فيُكشف ماترى ؟ فقال : قد دعوت فقال سبحانه تعالى إني فعّال لما أشاء . فأعدتُ عليه فقال : ياأخي ليس هذا وقت الدعاء هذا وقت الرضا والتسليم . فقلت : هل لك من حاجة ؟ فقال : أنا عطشان .

فجئتُ بماء فأخذه وأراد أن يشرب فنظر الى قوم ينظرون الى الماء فقال : هؤلاء عطاش وأنا أشرب لا هذا شَرَه . فردّهُ عليَّ ومات من ساعته رضي الله عنه" .

(ومن ذلك) واقعة إبراهيم التميمي رضي الله عنه مع الحجّاج لما طلب إبراهيم النخعي غَلَطَ رسولُه فظنَّ المطلوب إبراهيم التميمي . فجاء وأخذه الى الحجاج فأمر بحبسه فمات في السجن وكان قد علم إبراهيم التميمي أن المطلوب هو إبراهيم النخعي ، فلم يستجز أن يدُلّ عليه وفداه بنفسه رضي الله عنهما .

(ومن ذلك) ماحكاه في "بهجة الأسرار" قال حدثنا أبو بكر محمد بن داود قال : "سمعت أبا بكرٍ البويطي وأبا عمرو بن الأزدي يقولان وكانا متآخيين في الله عزّ وجلّ : خرجنا من بغداد نريد الكوفة فلما صرنا ببعض الطريق إذا نحن بسَبعَين رابضَيْن في الطريق ، فقال أبو بكر لأبي عمرو أنا أكبر منك سنّاً دعني حتى أتقدمك فإن كانت حادثة إشتغلا بي عنك ونجوت أنت . فقال أبو عمرو وإن نفسي ماتسامحني بهذا ولكن نكون جميعاً في مكان واحد فإن كانت حادثة كنا جميعاً" . فجازوا جميعاً وسط السَبعَين فلم يتحركا ومرّا سالمين قال الشيخ أبو بكر هذا ميراث الموافقة في المحبة لله عزّ وجلّ .

(ومن ذلك) واقعة أبي الحسن النوري رضي الله عنه لما سعي به الى الخليفة في جماعة وأمر بضرب أعناقهم فسبق نوري الى السيّاف ، فقال له هذا :

– أتدري الى ماذا تسارع ؟

قال : نعم الى القتل . قال له : وماذا دعاك الى هذا ؟ قال : أؤثِر أصحابي بحياة لحظة .

فتحيّر السيّاف من هذا الكلام وأوصلَ الخبر الى الخليفة وكان ذلك سبب نجاته ونجاة أصحابه .

(ومن ذلك) ماحكاه إبن سعد في "الطبقات" عن محمد بن عمر بن واقد الأسلي قال : "تضيّقت مرّة في يوم عيد بحيث أن الجارية قالت ليس في البيت ما نفطر عليه . فقصدت بعض أصحابي من التجار في الإستقراض منه . فقال لي : والله ماعندي غير هذا الكيس فيه ألف دينار ومائتا درهم فخذه .

قال فلما جئت الى منزلي جاءني صديق لي هاشمي وذكر حاجة وسألني القرض فدخلت الى الزوجة وأخبرتها خبر الهاشمي فقالت لي : على أي شيء عزمت ؟

قلت لها : أدفع اليه البعض وأترك البعض لحاجتنا .
فقالت : لا والله ماهذا إنصاف أنت جئت الى سُوقيّ فأعطاك جميع ماعنده وقد أتاك هاشمي إبن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم تدفع اليه بعض ما عندك ؟ إدفع اليه الكيس على حاله .

قال فدفعت اليه الكيس على حاله فلما ذهب الهاشمي الى منزله وجد ذلك التاجر الذي أقرضني جالساً على باب داره . فقام إليه وسأله القرض فأخرج له الهاشمي ذلك الكيس بعينه فعرفه فوصل الخبر اليَّ . فمضيت الى دار يحيى بن خالد البرمكي وأخبرته الخبر . فقال "ياغلام هات ذلك الكيس" فأخرج كيساً فيه عشرة آلاف دينار فقال "ألفا دينار لك وألفا دينار للهاشمي وألفا دينار للتاجر وأربعة آلاف دينار لزوجتك لأنها الأكرم" .

(ومن ذلك ماحكاه أبو الفرج الجوزي) قال : "قال عبدالله إبن أخت مسلم أردتُ الحجّ فدفع اليّ خالي مسلم عشرة آلاف درهم وقال إذا قدمت المدينة فأنظر أفقر أهل بيتها وإدفعها اليه . قال فلما دخلت المدينة سألت عن أفقر بيت بها فدُللتُ على أهل بيت . فطرقت الباب فأجابتني إمرأة : من أنت ؟

فقلتُ : رجلٌ من بغداد أُودعتُ عشرة آلاف درهم وأُمِرتُ أن أسلّمها الى أفقر أهل بيت بيت في المدينة وقد دُللتُ عليكم فخذوا هذا المال .

فقالت : ياعبدالله إن صاحبك إشترط أن تدفعها الى أفقر أهل بيت في المدينة وهؤلاء الذين جيراننا بإزائنا أفقرُ منّا .

قال فتركتهم وأتيت أولئك فطرقت الباب فأجابتني إمرأة : مَنْ أنت ؟

فقلت مثلما قلت لتلك فقالت : ياعبدالله نحن وجيراننا في الفقر سواء .

فقسّمتها بينهم .

(ومن ذلك) أن الأستاذ أبا حفص النيسابوري رضي الله عنه جاء الى منزل الجُنيد فقام اليه وعانقهُ فقال له أبو حفص : دعنا من هذا عندك شيء تطعمنا ؟

قال : أي شيء يشاء الشيخ ؟

قال : أريد بطيخاً .

فأمر الجُنيد بعض أصحابه بإحضار ماقال . فلما حضر البطيخ قال : ياأخي أحببتُ أن أؤثر الله عزّ وجلّ .

فقال : إني أحبُّ ماتُحب .

ثم قال الجُنيد لبعض أصحابه إحمل هذا مع الشيخ الى أين عزم .

فقام معه الى أن وصل داراً فدقّ الباب فإذا بشخص من داخل الباب يقول : أدخل إن كان معك بطيخ .

فدخلنا فإذا بشيخ قاعد وخيش مُرسَل على باب . فقال أبو حفص فوضعت البطيخ وصرفت الذي حمله ثم قلت للشيخ : أخبرني عن أمر هذا البطيخ . فقال :

- وراء هذه الخيشة صبيان وبنات سألوني البطيخ منذ مدّة ولم تسامحني نفسي أن أسأل الله تعالى لهم في ذلك ثم وجدت البارحة مسامحة أن أسأل الله تعالى فسألته وعلمت إجابة السؤال بوجود المسامحة بالسؤال ، فلما وقفتَ على الباب علمتُ مامعك .

السادس : الإيثار بالحقوق إذا تضمّن ذلك الإيثار مصلحة راجحة لا مانع منها خاصةً كانت أم عامة . فما تضمّن مصلحة راجحة عامة ما فعله سيدي وإبن سيدي أمير المؤمنين الحسن بن عليّ بن أبي طالب

رضي الله عنهما حيث ترك الخلافة لمعاوية حقناً لدماء المسلمين . فقد تضمّن هذا الإيثار حفظ مُهَجٍ لايحصيهم إلاّ الله تعالى . وقد صرّح بذلك الحسن رضي الله عنه . فإنه لما سأله معاوية أن يُعلِمَ الناس بتسليم الأمر اليه قام على المنبر وقال بعد أن خطب : "إن الله قد هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وظهرت المعجزة النبوية حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن إبني هذا سيد يصلح الله بينه وبين فئتين عظيمتين من المسلمين" . فأنظر الى هذا الإيثار ماأعظمه والى نفسه الكريمة ماأسخاها وأكثر تقواها فسبحان مَن أعطاها . قال تعالى (كُلاًّ نُمِدُّ هؤلاء وهؤلاءِ من عطاءِ ربِّك وماكان عطاءُ ربّك محظوراً) . وأفراد هذا النوع كثيرة وضابطهُ حصول المصلحة الراجحة حيث لامانع منها خاصةً كانت أو عامة .

السابع : الإيثار بالقرَب البدنية كمن مات وعليه صوم فإن ولّيهُ يصوم عنه على القديم الصحيح الذي يُفتى به . والإيثار بهذا النوع وأمثاله من أعظم القُرَبْ وأحسنها لما فيه من تأدية الفرض عن الغير مع تضمّنه للبرِّ وصلة الرحم ، وأفراد هذا النوع كثيرة منها الدعاء للوالدين والأقربين والمشايخ وسائر السلف الصالحين والصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة والترضّي عنهم والترحُّم عليهم والإستغفار لهم . ومنها أيضاً قراءة القرآن وإهداء الثواب لهم عند مَن يرى وصوله . وقد إختاره وأفتى به جماعة من الأئمة من أصحابنا وغير أصحابنا ، وقد تضمن هذا البَرّ وصلة الرحم والمعروف .

الثامن : الإيثار بالقُرَبِ الجامعة بين البدنية والمالية كالحج مثلاً . فقد قال الأئمة رحمة الله عليهم إذا حجّ عن أحد أبويه أو قريبه أو أجنبي تبرعاً له أفضل مما إذا حجّ عن نفسه تطوعاً ، إتفق الأصحاب على ذلك لما فيه من تأدية الفرض عن الغير مع تضمّنه البرّ أو صلة الرحم أو المعروف بسبب المحجوج عنه والإيثار بهذا النوع مستحبّ مؤكّد .

التاسع : الإيثار بالقُرَب المالية فقط وأفراد هذا النوع كثيرة ، كالصدقة عن الأموات من الوالدين والأقارب والأجانب بالطعام والشراب والفاكهة والثياب والخبز وغير ذلك . ولم يزل المؤمنون يعتادون على ذلك وهو أيضاً من أفضل أنواع القرب وأعظمها لما فيه من البرّ وصلة الرحم والمعروف وسدّ الخلّة بحسب المتصدَّق عنه ولايخفى إستحباب ذلك والله أعلم .

العاشر : من الإيثار أيضاً القُرَب المالية صدقة التطوع على الفقراء والمساكين من الأقارب والأجانب . وأقسام هذا النوع وتفصيل مسائله وتحريرها تُعرف من محالها ، وأفراد هذا النوع كثيرة منها وهو أعمُّها نفعاً الوَقفْ والعتق والتدبير والكتابة وفكُّ الأُسارى وإقراض المحتاجين وإنظار المُعسرين والوضع عنهم وإعانة المُكاتبين ووفاء دين الغارمين وتجهيز جيش المسلمين للجهاد في سبيل الله تعالى الى غير ذلك . والإيثار بهذا وأمثاله من أعظم القرب وأحسنها وأعمّها نفعاً لما فيه من الصدقة الجارية الدائمة وتفريج الكربات والبرّ وصلة الرحم وحفظ دار الإسلام وإسداء المعروف وسدّ خَلّة المسلمين وتحرير الرقاب ، ولاسيما إن كان والد أو قريباً مع أن الوالد يعتق بمجرد الشراء . وبهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : "لن يُجزي ولدٌ عن والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيُعتق عليه" الى غير ذلك" .

الحادي عشر : الإيثار بالسبق في القربة ليحوز السابق بها فضيلة السبق ، وإنما كان ذلك قصداً صالحاً لرجوعه الى النصيحة للمؤمنين والشفقة عليهم كما حكاه الإمام أبو القاسم الكلاباذي قدّس الله روحه

عن عثمان الحيري رضي الله عنه أنه إستأذن شيخه الأستاذ أبا حفص النيسابوري رضي الله عنه في الكلام على الناس . فقال له : مايدعوك الى هذا ؟

قال : النصيحة لهم والشفقة عليهم .

قال : ومابلغت من شفقتك ؟

قال : لو علمت أن الله تعالى يعذبني بدل جميع مَن آمن به ويدخلهم الجنة لوجدت من قلبي رضا بذلك .

فأذنَ له . ثم إن الأستاذ أبا حفص شهد مجلسه من حيث لايشعر فلما قضى أبو عثمان كلامه قام سائل فسبقَ أبو عثمان فأعطاه ثوباً كان عليه . فقال الأستاذ : ماوفّيت بقولك فإيّاك أن تتكلم على الناس وفيك هذا الشَرَه . فقال أبو عثمان : وماذاك ياأستاذ ؟

فقال : أما كان فيك من النصيحة لهم والشفقة عليهم أن تؤثرهم على نفسك بثواب السبق ثم تتلوهم .

فطالبهُ بتحقيق الصدق وإستواء السريرة والعلانية لتحقيق قوله بفعله . فلما لم يَرَ منه الوفاء بذلك نهاه عن الكلام على الناس . وهذا الذي قاله الأستاذ أبو حفص رضي الله عنه يرجع في الحقيقة الى ماقصده الإمام أبو الحسن السري رضي الله عنه ، حيث أراد أن يكون حظُ ذلك الرجل أكبر فقد إتفقا على مشرب واحد بين النصيحة للمسلمين والشفقة عليهم ، إذ كلّ واحد منهما أراد أن يكون حظّ أخيه المسلم من الآخر أكثر وأوفر ، وهذا بمجرّده جليل جميل كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

(واعلَم) أن مطلق السبق بالقربة لاتقتضي الرجحان على المسبوق لإحتمال أن يأتي المسبوق بمرجح آخر ينغمر فيه ذلك السبق اللهم إلاّ إذا تساوى الفعلان من كل وجه وكان أحدهما أسبق ، فمن هنا يحصل الرجحان للسابق لحيازته فضيلة السبق والله أعلم .

الثاني عشر : الإيثار بالنصف الأول من الصلاة . وهو خلاف الأوْلى وقد ينتهي الى الكراهية وإن كان المؤثَر هو المفضول ، فلايكون إيثاره خلاف الأوْلى . ويُستدلُ على ذلك بمافعله أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه مع إبن أبي مليكة . قال إبن أبي مليكة : "كنت في الصلاة في الصفّ الأول فلم أشعر إلاّ وشخص من ورائي قد إقتلعني من مكاني وأخرجني منه وثبت فيه . فلما فرغت من الصلاة نظرت فإذا هو أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه فقال :

- لايسؤك والله ياهذا ، إن هذا عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم به الينا وقال صلى الله عليه وسلم ليَلِني منكم أولو الأحلام والنُّهى" .

ومن هذا النوع الإيثار بالإمامة في الصلاة حيث صحَّ الإقتداء بها وكان المؤثَرُ أفضل فإن إيثاره بخلاف الأوْلَى ، ومسائل هذا النوع كثيرة مشهورة والتقدم فيها إنما هو بالفضائل ومنه إذا وقع تهاجُر بين إثنين وكان أحدهما أفضل فإن الأوْلَى أنّ الفاضل هو الذي يبتديء بالسلام وإزالة الوحشة . فلو أراد الفاضل إيثار المفضول بذلك كان ذلك خلاف الأوْلَى ، ألا ترى الى ما رُوي عن محمد بن الحنفيّة رضي الله عنه لما كان بينه وبين أخيه الحسين بن علي رضي الله عنهما نوع تهاجُر كيف أرسل محمد إبن الحنفيّة يقول له : "ياأخي لولا أنّك أحقُّ بالفضل مني لأتيتُك وبدأتك بالسلام" فعرف الحسين رضي الله عنه ذلك فجاء اليه وبدأه بالسلام .

وقد قال أرباب السِيَرْ أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه لما كان بالبصرة جلس على سرير وأجلس الحسن عن يمينه والحسين عن يساره وجلس محمد بن الحنفية دون السرير . فخاف عليه رضي الله عنه ان يجد ذلك الفتى ، فقال :

- يابنيَّ أنت إبني وهذان إبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الثالث عشر : طلاقة الوجه والبشُّ في وجه أخيك المسلم وزيادة الإستبشار به والإبتهاج له والزيادة في حسن التحيّة مطلوب . وكلما كان أكثر طلاقة وأحسن تحية وإستبشاراً وإبتهاجاً بأخيه المسلم كان أفضل وأجره أكثر . فلو أراد الإيثار ببعض ذلك ليكون أجر أخيه المسلم أكثر كما قصد سيدي أبو الحسن السري رضي الله عنه كان ذلك قصداً صالحاً وإيثاراً جميلاً حيث أراد لأخيه المسلم أكثر مما أراد لنفسه . فهو إيثار بمجرد حظّ نفسه لاتعلق لغير فيه مع مشاركته في الزجر وحصول الفضيلة وإنما إختصّ ذلك بزيادة الزجر . وإذا علم الله عزّ وجلّ من عبده الصدق في قصده فإنه يُثيبهُ ثواباً آخر ويضاعف أجره بحيث إنه قد يربو على ذلك الأجر الذي آثرَ به ، فيُثابان جميعاً ثواباً وافياً ذاك لزيادة الإستبشار وطلاقة الوجه وهذا لحسن قصده الصالح الجميل لأخيه المسلم . ومن هنا يظهر لك حسن قصد سيدي السري رضي الله عنه وأنه جليل جميل منشؤه الورع لرجوعه الى الشفقة والنصيحة للمسلمين ويضمّن قصده رضي الله عنه أموراً أخر يقصر فهمي عنها . وغاية ما أقول أنه غامض دقيق قد أخذ محاسن الأمور وإشتمل على الكمال والتكمّل بحصول الأجر الوافر مع المحافظة على العمل بقوله صلى الله عليه وسلم : " الدين النصيحة : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامّتهم" فرحمه الله ورضي الله عنه ماأكثر عرفانه وأغمضَ أفعاله وأحسنَ مقاصده وأظهرَ برهانهُ . وهذه الأسرار التي ذكرناها كلّها من بركة قصده الصالح أيضاً . لأن النظر فيه أوجب ذلك وهي مجامع أنواع القربات ومعظم مسائلها مع كثرتها راجعة اليها والله أعلم . أه .

(تنبيه تنبيه) إعلَمْ أن مافعل سيدي السري رضي الله عنه مع ذلك الرجل الجليل من كونه نقصه في السلام إيثار له بزيادة الأجر إنما يكون حسناً ومطلوباً بالنسبة الى مَن كان عارفاً عاملاً ، أمّا مَن ليس كذلك فلا ، ولاسيما في زماننا هذا فإنه قد يؤدي ذلك الى عكس المقصود من وقوع بغضاء أو شُحناء وموضوع السلام الألفة والمحبة . فالصواب الآن عدم إستعمال ذلك إلاّ لعارف أو لعالم والله أعلم .

(توفى رضي الله عنه) قي بغداد يوم الثلاثاء لستٍّ خلون من رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين .

(وقال) الأئمة أبو الفرج وغيره قال أبو عبيد بن خرمويه : "حضرت جنازة السري فلما كان في بعض الليالي رأيته في النوم فقلت له مافعل الله تعالى بك ؟ فقال غفر لي ولمن حضر جنازتي وصلّى عليّ . فقلت فإني ممن حضر جنازتك وصلى عليك . قال فأخرجَ دُرجاً فنظر فيه فلم ير فيه إسمي . فقلت بلى قد حضرت قال فنظر فإذا إسمي في الحاشية" .

(ودُفن) في المقبرة الشونيزية وقبرهُ ظاهر معروف والى جنبه قبر الجُنيد رضي الله عنهما . ثم تلقّى سرّ هذه النسبة عنه شيخ هذه السلسلة المبجّلة سيدنا أبو القاسم الجُنيد البغدادي نضّر الله وجههما .

أبو القاسم الجُنيد بن محمد الزجّاج البغدادي
رضي الله عنه

هو الحَبر المزيّن بفنون العلم المتوشّح بجلابيب التقوى والحلم المنوّر بخالص الأيقان المؤيّد بثابت الإيمان العالم بمودع الكتاب العامل بمحكم الخطاب الموفق للبيان والصواب . كان كلامه بالنصوص مربوطاً وبيانه بالأدلّة مبسوطاً . وهو نهاونديُّ الأصل بغدادي المنشأ الزجّاج والقواريريّ نسبة لحرفة أبيه سيد الطائفة ومقدم الجماعة وإمام أهل الخرقة وشيخ طريق التصوف بهلوان العارفين مرجع أهل السلوك في زمنه . فمَنْ بعده رُزق من القبول وصواب القول ما لم يقع لغيره بحيث إذا كان مرّ بشارع بغداد وقف له الناس صفوفاً كالملوك ولم يُرَ في عصره مَن إجتمع له علمٌ وحالٌ غيرُهُ . وكنتَ إذا رأيت علمَهُ رجّحته على حاله وإذا رأيت حالهُ رجّحته على علمه . وناهيك بإمام من العقائد الدينية والأصول الإسلامية أن تعتقد أن طريقه وصحبه طريق مقوّم .

(قال) خاتم الأولياء المحمديين الشيخ الأكبر سيّدنا محي الدين في "الفتوحات" هو سيد هذه الطائفة . (وكان) من الفقهاء المتعبّدين الشافعية تفقّه على أبي ثور صاحب الإمام الشافعي ، وكان يُفتي بحضرته وهو إبن عشرين سنة ولم تزل أعناق الفريقين له خاضعين وعلى تبجيله في كلّ عصرٍ مجتمعين . وقد نقل شيخ الشافعية الإمام النووي في "الروضة" قيل الصيام عنه إن أخذ المحتاج من صدقة التطوّع أفضل من أخذه من الزكاة . أخذ التصوّف عن خاله السري والحارث المحاسبي . (قال) "قال لي السري شيخي إذا قمت من عندي فمَنْ تجالس ، قلت المحاسبي ، قال نعم خُذْ من علمه وأدبه دعْ عنك تشقيقه للكلام وردّهُ على المتكلمين . ثم لما ولّيتُ سمعته يقول جعلك الله صاحب حديثٍ صوفياً ولا جعلك صوفياً صاحب حديث" . قال الغزالي رضي الله عنه أشار اليَّ أن مَنْ حصّل الحديث والعلمَ ثم تصوَّفْ أفلح ومَن تصوّفَ قبل العلم خاطر بنفسه ، إنتهى .

(وكان يقول) علمُنا هذا مقيّد بالكتاب والسنّة . (قال) الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه العزيز يريد أنه نتيجة عن العمل عليهما وهما الشاهدان العدلان . (وصحب) هذه الطائفة أربع طبقات كل طبقة ثلاثون رجلاً وإنتهت اليه الرياسة . (وقال) ما أخرج الله علماً الى الأرض وجعل للخلق إليه سبيلاً إلاّ وجعل لي فيه حظاً . (وأقام) عشرين سنة لايأكل إلاّ من الأسبوع ووِرده كلّ يوم ثلاثمائة ركعة ، وكان الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه والفقهاء لتقريره والفلاسفة لدقّة نظره ومعانيه والمتكلّمون لتحقيقه والصوفيّة لإشاراته وحقائقه .

ومن فوائده وحكَمه:

(قال) لو أقبل صادقٌ على الله ألف ألف سنة ثم أعرض لحظة كان ما فاته أعظم مما ناله . (وقال) مَن لم يسمع الحديث ويجالس الفقهاء ويأخذ أدبه من المتأدبين أفسد من إتّبعه . وقيل له ماالعارف ؟ قال مَن نطق عن سرّك وأنت ساكت . (وقال) ماأخذنا التصوّف عن القيل والقال بل عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوف . (وقيل له) ماالفرق بين المُريد والمُراد ؟ فقال المُريد تولية سياسة العلم والمُراد تولية رعاية الحقّ ، فإن المريد يسير والمُراد يطير وأين السائر من الطائر . (وقال) الإخلاص

بين الله وعـبـده ولايعلَمُهُ مَلَك فـيكتـبـه ولا شيطان فـيُفسـدهُ ولا هوى فـيـهلكه . (وقـال) الصـادق يـتـقلّب في اليوم أربعين مـرّة والمرائي يثبت عـلى حاله أربعين سنة . (وقـال) الإستـئناس بالناس حجاب عن الله والطمع فـيهم فـقرُ الداريـن . (وقال) لايُسـمّى عبـدٌ عاقـلاً حتى لايظهـر على جوارحـه شيء ذمّـهُ ربُّه . (وقـال) بُني الطريق على أربع لاتتكلم إلاّ عن الـوجود ولاتأكل إلاّ عن فـاقـة ولاتنَم إلا عن غلبـة ولاتسكت إلاّ عن خشـيـة . (وقـال) صـفـاء الـقلوب على حسب صـفـاء الذكـر وخلـوصـه من الشوائب . (وقال) كلام الأنبياء عن حضور وكلام الصدّيقين عن المشاهدة . (وقال) مَن زعم أنه يعرف الله وهو كـاذب إبتلاه بالمحن وحجبَ ذكرهُ عن قلبه وأجراه على لسانـه فإن تنبّـه وإنقطع إليه وحـده كـشف عنه المحن وإن دوام السكـون الى الحق نزعت من قلوبهم الـرحمـة علـيـه وألبس لـبـاس الطمع فيهم ، فـتصير حـياته عجزاً ومـوته كمداً وآخرتـه أسفـاً نعوذ بالله من الركون الى غـيره . (وسُئل) عن العارف فـقال لون الماء لـون إنائه أي هو بحكم وقتـه . (وقال) مكابدة العـزلة أيسر من مـداراة الخلطة . (وقال) التـصديق بعلمنا هذا ولاية إذا فـاتتك المؤنة في نفسـك فلاتفتك أن تصـدَّق بها في غـيرك ، فـإن لم يصبـها وابلٌ فـطلٌّ . (وقال) يجعل أحدهم بـينه وبين قلبه مـخلاة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة . (وقـال) كنت بين يدي السـري ألعب وأنا إبن سـبع والجـمـاعـة يتكلمـون في الشكر ، فـقـال يـاغلام مـاالشكر ؟ قلت ان لايُـعصى اللـه بنعمـة . فـقـال أخشى أن يكون حظّك من الله لسانك . فـلاأزال أبكي على هذه الكلمـة . (وسُئل) مابالُ أصـحابك إذا سـمعـوا القـرآن لايـتواجـدون ولايـتـحركـون بخلاف مـاإذا سـمعوا الرباعـيات . قـال القـرآن كلام اللـه وهو صعب الإدراك والرباعيـات كـلام المحـبين المخلوقين . (وقـال) أقلُّ مـا في الكلام سـقـوط هيـبـة الربّ جل جلاله من الـقلب والقلب إذا عـرى من الهيبـة عرى من الإيمان . (وقال) مادام الشـاكر يطلب المزيد بشكره فهو غريـق في حظّ نفسه ، إنما الشكر أن يرى العـبد أنه ليس بأهـل تـنـاله الرحمـة لشهـوده كثـرة معاصيـه . (وقال) إذا صـدق المريد أغناه الله عـن حـفظ المنقـول بنور يجعلـه في قلبـه يفـرّق به بين الحق والبـاطل . (وقـال) الطريـق مـسـدود إلاّ علـى المقـتفين آثـار المصطفى صلى الله عليـه وسلم . (وقـال) طريـق التـصـوّف عنوة لا صلح فـيـه . (وقـال) التـوحيـد الخـالص ان يرجع آخر العـبـد الى أوله فـيكون كـمـا كـان قـبل أن يكون . (وقال) التوحيد الذي إنفرد به الصوفية إفراد القدم من الحدوث والخروج عن كل محبوب يقطعهم عن الله وترك الإعـتماد على كل مـا علم وأن يكون الحق مكان الكلّ لايُعـوَّلُ إلاّ عليه . (وقال) قـد طُويَ علم التوحيـد منذ زمـان وإنما الناس يتكلمون في حـواشيـه . (وقال) سبب إضطراب القلـب والجوارح عند السـمـاع انه تعـالى لما خاطب الـذر في الميثـاق الأول بقوله ألستُ بـربِّكم ؟ إسـتـقرعت عـذوبة سمـاع كـلامه الأرواح فـإذا سـمعـوا نغمـاً طيبـاً حرّكـهم لذكره . (وقـال) تنزل الرحمـة علـى الفـقـراء في ثلاثة مواطن عند السمـاع والطعام ومجاراة العلم . (وقيل له) ممن إسـتـفدت هذا العلم الذي لم يُسمع من مشـايخنا ؟ قال من قعـودي تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة وأومـأ الى درجة في داره . (وقال) لايصـفـو قلبٌ لعـمل الآخـرة إلاّ إنْ تجرّدَ عن حبّ الدنيـا . (وقـال) حـقـيـقـة المشـاهدة وجـود الحقّ مع فـقـدانك . (وقـال) المشـاهدة إدراك الغـيـوب بـأنوار الأسـرار عند صـفـاء القلب من الـدنس وخلوصـه من الأضـداد والأغـيـار فـهـو في مراقـبـة الجـبـار فـيـصـير كـأنه يـنظر الى الغـيـب من وراء سـتـرٍ رقيق من صـفـاء سـتـر المعرفة وبرد اليقين . (وقـال) إنما لم يطرُبْ الفـقـراء لسماع القرآن لأنه كلّه أحكـام ومواعظ كلفوا بها

ومَن كلف بشيء لايطرب به وإنما طربوا بالقصائد لأنها كلام جنسهم ومما عملته أيديهم بخلاف القرآن فإنه حقٌ صدر من حقٍ لا مجانسة بيننا وبينه . (وقال) العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤوس الملوك . (وقال) لولا أنه روي أنه يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ماتكلمت عليكم . (وقال) إن بدت ذرة من عين الكرم والجود ألحقت المسيء بالمحسن وبقيت أعمالهم فضلاً لهم ، فقال إبن عطاء حتى تبدو فقل هي بادية قال تعالى سبقت رحمتي غضبي . (وقال) لو كان العلم الذي أتكلم به من عندي لفنيَ لكن من حقٍ بدأ والى حقٍ يعود . (وقال) من الأعمال ما لايطلع عليه الحفظة وهو ذكر الله بالقلب وماطويت عليه الضمائر من الهيبة والتعظيم وإعتقاد الخوف وإجلال أوامره ونواهيه . (قلتْ) وهذا هو الذكر الذي فازت به هذه الطائفة النقشبندية قدّس الله أسرارهم الزكية دون بقية الطرق وحسبها بذلك شرفاً وفوزاً عظيماً . (وقال) الخشوع تذلُّل القلوب لعلاّم الغيوب . (وقال) التواضع خفضُ الجناح ولين الجانب . (وقال) أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الله في ميدان فكر التوحيد . (وقال) إحفظوا ساعاتكم فإنها زائلة غير راجعة والحسرة على الغفلة وقتها واقعة وصلّوا أورادكم تجدوا نفعها في دار الإقامة ولايغلّكم عن الله قليل الدنيا فإن قليلها يُشغل عن كثير الآخرة . (وقال) حكايات الصالحين جندٌ من جنود الله يقوم بها أحوال المريدين ويحيي معالم أسرار العارفين وحجة ذلك من الكتاب العزيز قوله تعالى (وكلاً نقصُّ عليك من أنباء الرسل ما نثبّت به فؤادك) . (وقال) كُن في باطنك مع الله عزّ وجلّ وكن في ظاهرك مع الخلق لأن مَن فارق الخلق بجسمه فارق الجماعة ومَن فارق الجماعة وقع في الضلال ، ومَن خالط الناس بسرّه إفتتن وحُجبَ عن الحقّ بالطمع في الخلق . (وقال) أول مقام التوحيد قول المصطفى صلى الله عليه وسلم أن تعبد الله كأنك تراه . (وقال) مواكلة الإخوان رضاع فانظروا مَن تواكلون . (وقال) لايصلح السؤال إلاّ لمن العطاء عنده أحبّ إليه من الأخذ . (وقال) الشفقة على الناس أن تعطيهم من نفسك ما يطلبون ولاتحمّلهم إلاّ مايطيقون ولاتخاطبهم بما لايعلمون . (وقال) قد يُنقل العبد من حال الى أرفع منها وقد بقي عليه من التي تقلّ عنها بقية فيشرف عليها من الحالة الثانية فيصححها . (قلت) وهذا مأخذ ما قيل في معنى قوله صلى الله عليه وسلم : " انه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله منه في اليوم والليلة سبعين مرّة" من أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا ترقى الى مقام يرى ماقبله غيناً فيستغفر منه .

(وكان) إذا سأله سائل عن مسألةٍ يجيبه ثم يسأله آخر عنها فيجيبه بجواب آخر ويقول : "على قدر السائل يكون الجواب" .

(وقال) مَن شارك السلطان في عزّ الدنيا شاركه في ذلّ الآخرة . (وقال) إذا أراد الله عبداً للمحبّة كشف له عن قدر إنعامه عليه وبرِّه اليه وكثرة الأيادي القديمة عنده . (وقال) تنتهي عبادة أهل المعرفة الى الظفر بنفوسهم . (وقال) على العاقل أن لايفقد نفسه من ثلاثة مواطن ، موطنٌ يعرف فيه حاله أفي حالة زيادة أم نقصان ، وموطن يستحضر فيه عقله لرؤية مجاري التدبير وكيف تغلب عليه الأحكام ، وموطنٌ يخلو فيه بتأديب نفسه وإلزامها ما لزمها . (وقال) إن الله كشف لعباده معايبهم في ذكر الظن لهم وعرّفهم مقاديرهم بذكر النطفة وأشهدهم عجزهم في تقلّبهم ليعرفوا فاقتهم إليه في كل حال . (وقال) لإبن شُريح : طريقنا أقرب الى الحقّ من طريقكم ، فطالبهُ

بالبرهان فقال الجُنيد لرجل إرم حجراً في حلقة الفقراء فرماه فصاحوا كلهم الله . ثم قال ألقه في حلقة الفقهاء فألقاه فقالوا حرامٌ عليك أزعجتنا فقبّل رأسه وإعتذر . (وقال) لايرتقي الدرجات مَن لم يحكم فيما بينه وبين الله أوائل البدايات وهي الفروض الواجبة ثم الأوراد الراتبة ومطايا الفضل وعزائم الأمر ، فمن أحكمها مَنَّ الله عليه بما بعدها . (وقال) التصوّف تجنّب كل خُلُقٍ أدنى وإستعمال كلّ خُلُقٍ سنيّ وأن تعمل لله من غير رؤية العمل . (وقال) مَن سكنَ أو شكا لغير الله إبتلاه الله بحجب سرّه عنه . (وقال) أعلَمُ الناس بالآفات أكثرهم آفة . (وقال) من عرفَ اللهَ أطاعهُ ومن عرفَ نفسهُ ساء بها ظنّهُ وخاف على حسناته أن لاتُقبل .

(وزارَهُ) أبو محمد الجريري فوجده يصلّي فأطال ، فلامَهُ وقال :

– قد كبرت ووهن عظمُك ورَقَّ جلدك فلو إقتصرت على بعض صلاتك .

فقال : طريق عرفنا بها ربّنا لانقتصر على بعضها فالنفس ماحملتها والصلاة صلة والسجود قُربة ، ولهذا قال تعالى (واسجُدْ واقتربْ) ومَن ترك طريق القُرب يوشك أن يُسلَكَ به طريق البُعد .

(وقال) لاتيأس من نفسك مادمتَ تخاف من ذنبك وتندم عليه . (وقال) الورع في الكلام أشدّ منه في الكسب . (وقال) العلم يوجب لك إستعماله فإن لم تستخدمه في مراتبه كان عليك لا لك . (وقال) المرءُ لايُعابُ بما في طبعه . (وسُئل) العناية قبل أم البداية ؟ فقال العناية قبل الطين والماء . (وقال) أعلى درجة الكِبر وأشدّها أن ترى نفسك وأدناه أن تخطر نفسك في بالك . (وقال) إن الله يعطي القلوب من بِرِّه بحسب ما أخلصت له في ذِكرِه . (وقال) رأيت في النوم كأني أتكلم على الناس فجاءني مَلَك فقال ما أقرب مايتقرّب إليه المتقرّبون ؟ قلت عملٌ خفي بميزان وفيّ فتولّى وهو يقول كلام موفق والله . (وقال) لقد مشى رجال باليقين على الماء ومات بالعطش أفضل منهم يقيناً . (وقيل له) متى يستوي عند العبد حامدُهُ وذامُّهُ ، فقال إذا تحقق أنه عبد مخلوق . (وقال) الغفلة عن الله أشدّ من دخول النار . (وقال) بلغني أن يونس عليه السلام بكى حتى إبيضّت عيناه وقام حتى إنحنى وصلّى حتى أُقعد ، ثم قال وعزّتك لو كان بيني وبينك بحرٌ من نار لخُضتهُ شوقاً إليك . (وقال) لاتقوم بما عليك حتى تترك جميع ما لك وليس شيء أعزّ من الدنيا . (وقال) اليقين إستمرار العلم الذي لايحول ولايتغيّر في القلب . (وقال) إذا صدقت الله فأصدقهُ فإنه تعالى جعل لإبليس على كلّ شيء طريقاً إلاّ على صدق الأسرار . (وقال) مارأيتُ مَن عَظَمَ الدنيا فقرَّتْ عينه بها وماحقّرها أحد إلاّ أتتهُ وهي صاغرة . (وقال) التواضع عند أهل التوحيد تكبّر . قال الغزالي ولعل مراده أن المتواضع يثبت نفسه أولاً ثم يضعها والموحّد لايثبت نفسه ولايراها شيئاً حتى يضعها . (وقال) أتيت مسجد الشونيزية فوجدت جمعاً من الفقراء يتكلمون في الآيات ، فقال فقير أعرف رجلاً لو قال لهذه الإسطوانة كوني ذهباً كانت كذلك فصارت كذلك . (وقال) أحتاج الى الجماع كما أحتاج الى القوت فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب . (وسأله الشبلي) فقال له ماحسنات الأبرار ؟ قال سيئات المقرّبين ثم أنشد :

طوارق أنوار تلوح إذا بدت   فتظهر كتماناً وتُخبر عن جمع

(وسُئل) عن العشق ، فقال لأدري ماهو ولكن رأيت رجلاً أعمى عشق صبياً وكان الصبي لاينقاد له فقال له الأعمى ياحبيبي إيش تريد منّي ، قال روحك ففارق روحه حالاً .

(ومرّ) ببعض دروب بغداد فسمع قائلاً يقول :

منازل كنت تهواها وتألفها أيام كنت على الأيام منصوراً

فبكى وقال ماأطيب منازل الألفة والسرور وأوحش مقامات المخالفة لاأزال أحنّ الى بدايتي وحدّة سعيي وركوبي الأهوال طمعاً في الوصول وأنا في أيام الفترة أتأسف على أوقاتي الماضية .

(وسُئل) على ماذا يتأسف المحبُّ من أوقاته ؟ قال على زمان بسط أورث قبضاً أو زمان أنس أورث وحشة وأنشأ يقول :

قد كان لي مشرب يصفو برؤيتكم فكدّرته يد الأيام حين صفا

(وقال) مَن لم يصل عمله باليقين ويقينه بالخوف وخوفه بالعمل وعمله بالإخلاص وإخلاصه بالمُجاهدة فهو من الهالكين . (وقال) اليقين أن لاتهتم لرزقك الذي كُفيته وتُقبل على عملك الذي كُلِّفته ، فإن اليقين يسوق إليك الرزق سوقاً حثيثاً . (وقال) الزهد إستصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب . (وقال) المسير من الدنيا الى الآخرة هيّن على المؤمن وهجرُ الخلق في جنب الحق شديد والمسير من النفس الى الله شديد والصبر مع الله أشدّ . (وقال) الصبر تجرّعُ المرارة من غير تعبيس والرضا دفع الإختيار .

(وسأله جمعٌ) : أنطلبُ الرزق ؟ فقال : إن علمتم أي محل هو فاطلبوه . قالوا : فنسأل الله فيه ؟ قال : إن علمتم إنه ينساكم فذكّروه . قالوا : فندخل البيت ونتوكّل ؟ قال : التجربة شك . قالوا : فما الحيلة ؟

قال : تركُ الحيلة .

(وقال) اليقين إرتفاع الرِيَبْ في مشهد الغَيب .

(وسُئل) عن التوحيد فأجاب بكلام لايُفهم . فقيل له أعد الجواب فإنّا مافهمناه ، فقال جواباً آخر . فقيل له هذا أغمض فأمله علينا حتى ننظر فيه ونعلمه ، فقال إن كنت أجريه فأنا أمليه . (قال سيدنا الشيخ الأكبر) أشار الى أنه لاتعمل له فيه وإنما هو بحسب مايلقي الله مما يقتضيه وقته ويختلف الإلقاء بإختلاف الأوقات والقوم إنما يوردون مايعطيه الكشف ويمليه الحقّ .

(وقيل له) أبو يزيد يقول "سبحاني" فقال الرجل استُهلك فنطق بماهلك به لذهوله في الحق عن رؤيته إياه فلم يشهد في الحقّ إلاّ الحق .

(وقال) صحبتُ قوماً بالبصرة فأكرموني فقلت مرّة أين إزاري فسقطتُ من أعينهم .

(ودخل) عليه الشبلي متواجد فقال : إن كنت ترى نفسك في حضرة الله فهذا سوء أدب وإن كنت خارجها فماذا حصّلت حتى تتواجد ؟ فقال : التوبة ياإمام .

(وقال) أرِقتُ ليلة فقمتُ لوردي فلم أجد ما أجدُ من الحلاوة . فأردتُ النوم فلم أقدر فأردت القعود فلم أطِقْ ثم إرتجّ البيت للسقوط فإذا برجل مطروح بالطريق فرفع رأسه وقال : اليَّ الساعة ياأبا القاسم .

قلت : بغير موعد ياسيدي ؟ قال : بلى سألت محرّك القلوب أن يحرّك قلبك للخروج متى يصير داء النفس دواها ؟ قلت : إذا خالفت هواها ؟ فقال : إسمعي يانفس قد أجبتك بهذا سبعاً فأبيت إلاّ أن تسمعيه من الجُنيد . ثم إنصرف فلم أعرفه .

(وقال) لاأستبشع مايرد عليَّ من العالم فإني أصلت أصلاً هو أن الدار دارُ غمٍّ وبلاء وفتنة والعالم كلّه

شرّ فحكمهُ أن يلقاني بكلّ ما أكرَه ، فإن تلقّاني بما أحبُّ فهو فضل والأصل الأول . (وقال) من فتح على نفسه باب نيّة حسنة فتح الله عليه سبعين باباً من التوفيق ، ومن فتحَ على نفسه باب نيّة سيئة فتح الله عليه سبعين باباً من الخذلان . (وقال) الدنيا لحظة إن صدمتها ذهبت وإن هي صدمتكَ أعمَتْكَ .

(قال موسى بن علي رضي الله عنه) مشيتُ يوماً مع الجُنيد فلما بلغنا مسجد الشونيزي إلتفت إلينا ووقف وقال : "يامعاشر الشباب جدّوا قبل أن تعجزوا وإجتهدوا قبل أن تطلبوا أثراً بعدَ عين ، فإني تذكرت مجاهدات كانت لنا في هذا المسجد تقبم في عيني بطالتي اليوم" . قال موسى بن عليَ وكانت حالته إذ ذاك من أعظم أنواع المجاهدات وأنشدوا في المعنى :

أتهجرُ مَن تُحب وأنت جار ... وتطلبهم وقد بَعُدَ المزارُ
وتبكي بعد نأيهم إشتياقاً ... وتسأل في المنازل أين ساروا
تركت سؤالهم وهم حضور ... وترجو أن تخبرك الديارُ
فأنت كطالب أثر العين ... وقلبك بالبطالة مستعارُ
فنفسك لُمْ ولاتَلُم المطايا ... ومُتْ أسفاً فقد خان الحذارُ
سمعت بنأيهم فظللت حيّاً ... فديتُك كيف يهنيك القرارُ

(وقال) التصوّف جامعٌ لعشر خصال : التقلل من كلّ شيء في الدنيا مع القدرة عليه ، وإعتماد القلب على الله سبحانه وتعالى مع عدم السكون الى الأسباب ، والرغبة في الطاعة بما إستطاع منها ، والصبر عند فقد الدنيا على المسئلة والشكوى ، والتميّز في الشبهات والحلال ، والشغل بالله تعالى عمّن سواه ، ودوام الذكر له بالقلب واللسان ، وتحقيق الإخلاص مع الصدق ، وإستواء السريرة والعلانية ، ودوام المراقبة لله مع السكون إليه في جميع الأحوال . فإذا إجتمعت هذه الخصال كان الصوفي في أول مراتب المحبة ثم يرقى الى حالة المشاهدة فيؤخذ منه اليه ويبقى معه في ميدان المحبّة والدهشة ، إنتهى . ولم يزِدْ أحدٌ في بيان حقيقة المشاهدة على ما قاله (عمرو بن عثمان المكي رضي الله عنه) وهي : "أن تتولى أنوار التجلّي على قلب العارف من غير أن يتخللها ستر وإنقطاع كما لو فُرض إتصال البروق في الليلة المظلمة حتى تصير كالنهار لإتصال البروق بها" . فكذلك قلب العارف بإتصال أنوار التجلّي حتى يصير دائم النهار غائب الليل وأنشدوا :

ليلي بوجهك مشرقٌ ... وظلامه في الناس ساري
فالناس في سُدف الظلام ... ونحن في ضوء النهارِ

(وسُئل) متى يكمل المُحبُّ أحوال العبودية ؟ فقال إذا رأى أن الأشياء كلها لله تعالى وأنه هو المنفرد بالتدبير والخلق والملك (فسُبحانَ الذي بيَدِه مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ واليه تُرجَعُونَ) .

(وقال) إذا صحّت المودّة سقطت شروط الأدَب . قال في "مُجمع الأحباب" إن هذا يستدعي إشارة لطيفة الى أحوال فاز بها العارفون رضي الله عنهم في الصحبة وهي : مع المشايخ بالإحترام والخدمة والتوقير والقيام بأشغالهم . ومع الأقران بالبِشر والإنبساط والموافقة والإحسان والكون معهم على حكم الوقت . ومع الأصاغر بالشفقة والإرشاد والتأديب . ومع الأستاذين بإتباعهم أمرهم ونهيهم وهي في الحقيقة خدمة لا صُحبة . ومع الجهّال بتحمّل الصبر وحُسن الخُلق والمداراة والنظر إليهم بعين الرحمة ومَن كان جهلهُ أقوى كان العفو والحُلم عنه أولى . ومع الأهل والولد بالشفقة وحسن التأديب

وحثّهم على أنواع الطاعات . ومع الإخوة بكلّ مايقدر عليه من الموافقة وترك المخالفة مالم تكن معصية . ومع السلطان بالسمع والطاعة إلاّ في معصية والإمساك عمّا فيه قدم عليهم ، وأما الدخول عليهم فمَن كان عادلاً فهو من السبعة الذين في الحديث المشهور والنظر إليه عبادة وينبغي أن يدعو له بما قاله سعيد بن المسيّب رضي الله عنه لما وُلّيَ عمر بن عبدالعزيز للعلماء "إجعلوا نصف دعائكم لأمير المؤمنين ليسلم عليكم دينكم ودنياكم" ومَن كان ظالماً فالبعد عنه واجب إلاّ إذا تعيّن كإرشاد وإضطرار فيدخل عليه بحسب ذلك وإذا دخل عليه أمره ونهاه ودعا له بالتوفيق والإعانة إذا علم من حاله أنه يسلم عند القرب منه ، ومع الكلفة كصحبة أبي ضمضم رضي الله عنه كان إذا أصبح وأمسى يقول : "اللّهم إني وهبتُ نفسي وعرضي لك اللّهم إني قد تصدّقت بعرضي على عبادك فمن شتمني فلاأشتمهُ ومن ظلمني فلاأظلمه" . ثم إن على كلّ جارحة أدباً تختصُ به . قال تعالى (إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤادَ كُلُّ أولئكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤولاً) . وحقيقة هذه الآداب راجعة الى المراقبة ، قال بعض المشايخ الأدب مع الله عزّ وجلّ أن لاتتحرك جارحة من جوارحك في غير رضا الله سبحانه وتعالى .

(حُكيَ) عن بعضهم أنه قال نظرتُ الى شخص نظرة شهوة فرأيت في المنام قائلاً يقول "إن الله تعالى يقول الدنيا داري والخلائق فيها عبيدي وإمائي فمن نظر الى أحدٍ منهم بغير حق فقد خانني" ، فإنتبهت وآليت على نفسي أن لاأنظر الى شخص بعد ذلك إلاّ على حدّ الأمانة .

(وسُئل) أبو عثمان الحيري رضي الله عنه عن الصحبة فقال توسع إخوانك بمالك ولاتطعم من مالهم وتنصفهم من نفسك ولاتطلب الإنصاف منهم وتكون تبعاً لهم ولاتطلب أن يكونوا أتباعاً لك وتستكثر ماإليك منهم وتستقلّ مامنهم إليك .

(وقيل) الشرف في ثلاث إجلال الكبير ومداراة النظير ورفع النفس عن الحقير .

(وقال) أبو بكر الكتاني رضي الله عنه جرت مسئلة المحبّة بمكة في الموسم وكان الجُنيد رضي الله عنه أصغرهم سنّاً فتكلّم فيها المشايخ ثم قالوا هات ماعندك ياعراقيّ . فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال :

"عبدٌ ذاهل عن نفسه متصل بربّه قائم بأداء حقوقه ناظر اليه بقلبه قد أحرق قلبه الأنوار الإلهية وصفا شربه من كأس ودِه وإنكشف له الحقّ من أستار عينه ، فإن تكلّم فبالله وإن نطق فمن الله وإن تحرك فبأمر الله وإن سكن فمع الله فهو بالله ومع الله"

فبكى المشايخ وقالوا ماعلى هذا من مزيد جبرك الله ياتاج العارفين .

وقال أبو القاسم القشيري قدّس الله روحه : "كان الجُنيد رضي الله عنه جالساً مع رويم والجريري وإبن عطاء فقال الجنيد :

- مانجا مَن نجا إلاّ بصدق الإلتجاء ، قال الله تعالى (وعلى الثلاثة الذين خلفوا... الآية) .

وقال رويم : مانجا مَن نجا إلاّ بصدق التُّقى قال الله تعالى (ويُنجّي الله الذين إتّقوا بمفازتهم... الآية) .

وقال الجريري : مانجا مَن نجا إلاّ بمراعاة الوفا قال الله تعالى (الذين يوفون بعهد الله ولاينقضون الميثاق ... الآية) .

وقال إبن عطاء : مانجا مَن نجا إلاّ بتحقيق الحياء قال الله تعالى(ألم يعلم أن الله يرى... الآية) .

قال الأستاذ أبو القاسم القشيري : مانجا مَن نجا إلاّ بمعرفة الحكم والرضا ، قال الله تعالى (الذين سبقت لهم منا الحسنى ... الآية) .

(وسأله) أبو محمد الجريري رضي الله عنهما فقال : مابالُ الإنسان يخفُّ عليه بعض الأعمال ويثقُل عليه بعضها ؟ فقال : ربما كان ذلك إختباراً من الحقّ جلّ جلاله يهب لعبده شيئاً من الأحوال العالية عليه لينظر كيف حفظه لها وكيف تمسّكه بها ، فإن صار مُراعياً مستمسكاً بها دائم أوقاته زاده وفتح له في غيرها ونقله الى ما هو أعلى منها وإن كان مضيّعاً لها سلبهُ إيّاها إذ لايعرف قدر الموهبة .

(وكان للسري رضي الله عنه تلميذة وكان لها ولد عند المدب فبعث به معلم المكتب الى الشطّ فغرق . فجاء المعلّم الى السري وأخبره بذلك ، فقال له السري : قوموا بنا الى أمّه نعزّيها ونسلّيها . فلما جلسنا عندها أخذ السري يتكلم في الصبر ثم تكلّم في الرضا . فقالت : ياأستاذ ايش تريد ؟ فقال لها : إن إبنك غرق . فقالت : إنّ ربي عزّ وجلّ ما فعل هذا الى الآن . فأعاد السري الكلام في الصبر والرضا فقالت أمه : قوموا بنا الى الشطّ .

فقمنا معها فلما إنتهينا الى الشطّ قالت لنا : أين غرق إبني ؟ قلنا لها هاهنا . فقالت : ياإبني محمد . فأجابها : لبّيك ياأماه .

فنزلَت وأخذَت بيده ومضت الى منزلها . قال الجُنيد فإلتفت السري اليَّ وقال : كيف هذا ؟ فقلت : أقول ؟ قال "قُلْ" . فقلت : إن المرأة مراعية لما لله عليها من الحقوق وحكم من كان مراعياً لأوامر الله عزّ وجلّ ومواهبه من الإجتناب والإمتثال أن لايحدث حادثة تتعلق به إلاّ أعلمه بها . فلما لم تكن حادثة لم يعلمها فلما قيل لها إبنك غرق أنكرت ذلك وقالت إن ربي مافعل هذا الى الآن .

(وسُئل) عن الحياء فقال رؤية الآلاء ورؤية التقصير فيتولّد بينهما حالة تسمى الحياء .

(وسُئل) عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم "حبّك للشيء يعمي ويصُمُّ" فقال حبّك للدنيا يُعمي ويصمُّ عن الآخرة .

(وقال) رضي الله عنه إذا رأيت الفقير فإبتدئه بالرفق ولاتبتدئه بالعلم فإن العلم يوحشهُ والرفق يؤنسه .

(وقال) دخلت يوماً على السري فرأيت عليه هماً فسألته فقال لي : الساعة إستأذن عليَّ شاب ودخل فسألني عن التوبة وشروطها فأنبأته ثم قال لي ماحقيقة التوبة ؟ قلت هو أن لاينسى مامن أجله كانت التوبة . فقال ليس كذلك عندنا . فقلت فكيف هي عندكم ؟ قال أن لاتذكر ما من أجله التوبة . ففي هذا أنا مفكّر . فقلت له ماأحسن ما قال ، ثم قلت : ياأستاذ إذا كنت معك في حال الجفا ونقلتني الى حال الصفا فذكري للجفا في حال الصفا غفلة .

(وقال) دخلت على السري يوماً فقال لي : كنت أمشي في الجامع فقال لي شاب هل يعلم العبد أن الله عزّ وجلّ قد قبلَهُ ؟ فقلت لا ، فقال بلى إذا رأى أن الله تعالى عصَمَهُ من المعاصي ووفّقهُ لطاعته علِمَ أن الله قد قَبِلَهُ .

(وقال) دخلتُ على السري أعوده فقلت : كيف تجدك ؟ فقال :

كيف أشكو الى طبيبي ما بي | والذي قد أصابني من طبيبي

قال فأخذت المروحة أروِّحهُ ، فقال يجد روح المروحة من قلبه وجوفه يحترق من داخل ثم أنشأ يقول :

القلب منحرق والدمع مستبق | والكرب مجتمع والصبرُ مفترق
كيف القرار على مَن لا قرار له | مما جناه الهوى والشوق والقلق
يارب إن كان شيء فيه لي فرج | فامنُنْ عليَّ به مادام بي رمق

(وحكي) أنه ورد عليه في وقت السماع وارد فغيّبهُ فسقط طرف ردائه فوطئه ثم مدّ يده فرفعه فقيل له في ذلك فقال : "غبتُ ثم حضرت فإستحييتُ من الله عزّ وجلّ أن أدّعيَ الغيبة في حال الحضور" .

(وقال) الخوف يقبضني والرجا يبسطني والحقيقة تجمعني والحقّ يفرّقني .

(قال أبو بكر الرازي) القبض والبسط حالتان فوق الخوف والرجاء . فإن القبض للعارف من ثمرات الخوف والبسط له من ثمرات الرجاء ، والخوف والرجاء يتعلقان بأمر مستقبل مكروه ومحبوب والقبض والبسط بأمر حاضر في الوقت يغلب على قلب العارف من وارد غيبيّ . ثم أنّ كلاً منهما قد يكون قد يكون كاملاً وقد يكون ناقصاً ، فالقبض الكامل واردٌ غيبيّ كأنه تقصير وسوء أدب فيستغرق العارف في ذلك حتى ينسدّ عليه أبواب التنفس . والقبض الناقص واردٌ غيبيّ ضعيف كأنه يخاطب العارف بما تتحمّلهُ قوّته . أما البسط التام فهو واردٌ غيبيّ قوي كأنه يخصّهُ بتشريف وإقبال ولطف وسرور ، فيجذبه بالكلية حتى يبقى مدهوشاً في بسطه كأنه قد حلّ عنه عقال الموانع وأطلقَ في ميادين الإتصاف وكوشف في رياض الجمال والجلال لقوة الوارد . وأما البسط الناقص فهو واردٌ غيبيّ ضعيف يؤثر في العارف سروراً ونشاطاً وإرتياحاً تأثيراً يبقى معه فيه بقية يتصرف بها في نفسه وغيره فلايؤثر فيه البسط تأثيراً كلياً لنقصه ، بخلاف الأول فإنه يؤثّر فيه تأثيراً كلّياً لقوته وإستيلاء سلطان العناية الأزليّة على قلبه . وبسطُ كلّ شخص على حسب قبضه وقبضه على حسب بسطه . وقد يحدث بسطٌ لايُعرف سببهُ وعلاجه وقد يحدث قبضٌ لايُعرف سببه وعلاجه التسليم حتى يذهب ذلك الوقت ، لأن تكلّف دفعه يُخلُّ بالأدب ويزيد في ذلك القبض وبالتسليم يزول عن قريب ، قال تعالى (والله يقبض ويبسط) . وقد يحدث بسطٌ بغتة لايُعرف سببه فيهزُّ صاحبهُ ويستفزّهُ ، وسبيل صاحبه السكون والمقاربة وحفظ الأدب . فإن حالة البسط لها خطر عظيم فليحذَرْ صاحبها مكراً خفياً يحجبه عن مقامه كما قال بعض العارفين "فُتح عليَّ باب من البسط فزللتُ زلةً فحُجبتُ عن مقامي" . ولهذا قالوا قفْ على البساط وإياك والإنبساط . وقد إستعاذ أهل التحقيق من حالتَي القبض والبسط لأنهما بالنسبة الى ما فوقهما من الأحوال فقر وضرّ ، ألا ترى الى قول الجُنيد رضي الله عنه الخوف يقبضني والرجاء يبسطني والحقيقة تجمعني والحقُّ يفرّقني أه .

(وقال) رضي الله عنه كلّ مريد لايعوّد نفسه صيام النهار وقيام الليل وخدمة الإخوان فكأنه تمنى ما لايصلح له .

(وقال) الجريري دخلتُ على الجُنيد وهو مهتم فقلت : مالك ؟ فقال : فاتني شيء من أورادي . فقلت له : أعده . فقال : كيف وهي أوقات معدودة .

(وسُئل) عن قوله تعالى (لايسألون الله إلحافاً) قال تمنعهم علومهم عن رفع حوائجهم إلاّ الى مولاهم سبحانه وتعالى . وقال في قوله تعالى (وإن يمسَسْكَ بضُرٍّ ... الآية) قال إذا نزل بالعبد ضُرّ ولجأ اليه في كشف ضُرِّه قُضيَتْ حاجته وإرتفع ضُرُّهُ والله عزّ وجلّ معبوده فإن النظر في الإعطاء والمنع الى غير الله شرك وهذا والله أعلم هو معنى النفي والإثبات المذكور في الآية الكريمة .

(وقال) الليل سراج العارفين ويقظة المُريدين وهلاك الغافلين . (وقال) ليس في إجتماع الإخوان أنس لوحشة الفراق . (وقال رضي الله عنه) ماإنتفعت في بدايتي كإنتفاعي بأبيات سمعتها وأنا مارٌّ في درب القراطيس من جارية وهي :

إذا قلت أهدى الهجر لي حُلل الضنا	تقولين لولا الهجر لم يُطلَب الحُبُّ
فإن قلت هذا القلب أحرقه الهوى	تقولي بنيران الهوى شَرفَ القَلبُ

إن قلتُ مـــا أذنبتُ قلت مُـــجيبـةً   حياتك ذنبٌ لايُـقـــاسُ بـــه ذنـــبُ

(قلت) والذي في حفظي بدل هذا البيت :

وإن قلتُ ما ذنبـي تقـــولي مجيبـــة   وجــــودك ذنب لايُقـــاس بـه ذنبُ

وهو بطريقة الأبيات أليق والله أعلم فصحتُ وصُعقتُ فلم أفق إلاّ وصاحب الدار قد خرج فقال : مماذا ياسيدي ؟

قلت : مما سمعت من جاريتك .

فقال : أُشهدُكَ ياسيدي أنها هبةٌ مني إليك .

فقلت : قد قَبلتُها وهي حرّة .

ثم زوّجتُها لبعض أصحابنا فولدت له إبناً نبيلاً نشأ وحجَّ نحو ثلاثين حجّة .

(وقال رضي الله عنه) إشتدّ البلاء برجلٍ من العارفين حتى جرَّ برجلهِ الى المزبلة فرفع طرفه الى السماء وقال أنا بعينيك كما ترى فإفعل ماشئت وحسبي ماتشاء ، ثم قال :

إذا المُســتَـهـام شكى شـجـــوه   فــقــد زال عن سنن المُسـتـهـامِ

فـأيـن الكُلوم الـتي في الحـشـا   وأين تـبـرّمَـــــهُ في الكـــــلامِ

(ومَرِضَ) فوصف علّته للطبيب فقيل له أليس هذا شكوى ؟ فقال لا وإنما هذا إخبار عن قدرة القادر جلّ جلاله . (وسُئل) عن الرجل يكون له عند السلطان جاه ويقصده الضعيف المظلوم في أمر قد يجري عليه في الظلم . فقال لاأحبُّ أن أتكلم فيه بشيء وذلك إن أقواماً من السلف رضي الله عنهم كلّهم كانوا يسارعون الى مثل هذه الحالة وآخرون من السلف كانوا يتثاقلون عنها مخافة أن لايسلَموا . والذي عندي أن الرجل إذا قصدهم يرى عندهم من المنكرات أعظم ما قصد له وربما لايبلغ وسعه أن ينكر هذا فيقع فيه ما يقع وأنا لاأحبُّ أن أتكلم في الجهات كلها ، لأن الرجل ربما رغب في الأجر وحملته نيّته على السعي فيه فإن تكلّمت لاأدري كيف أسلم منه . (وجاءت) إمرأة ومعها زوجها اليه فوقفت بباب المسجد وسألت الوقوف بين يدي الجُنيد لتسأله عن مسئلة فلما علم بذلك خرج إليها ، فقالت : ياسيدي إن زوجي هذا يريد أن يتزوّج عليَّ . فقال الجُنيد : إن لم يكن لـه أربع زوجات يجوز له أن يتزوج عليك . فقالت : ياسيدي لو كان يجوز النظر الى الأجانب لكشفت لك عن وجهي لتنظر الى حُسني وجمالي فتعلم أنّ مَن كان عنده مثلي لاينبغي أن يتزوج عليها .

فلما سمع الجُنيد هذا الكلام صاح وخرّ مغشياً عليه . فلما أفاق سُئلَ عن ذلك فقال : "نظرت كأن الجبّار جلّ جلاله يقول لو كان يجوز لأحد أن يراني في الدنيا بعين بصرهِ لكشفتُ له عن حجابي حتى يراني ليعلم أن مَن كان له ربٌّ مثلي لاينبغي أن يحلّ في قلبه سواي" .

(وعن علي بن أبي منصور الدينوري) قال خرجت الى بغداد ومعي شيء من الدنيا أريد تفرقته الى أصحاب الجُنيد وسائر الفقراء ، فوافينا بغداد ونزلنا في مكان وقصدتُ الجُنيد لأقضي من حقّه . فدخلت عليه في منزله فسرّني وقرّبني بكلامه وحُسن لقيه وكنت أختلف إليه دائماً وأُذاكرهُ . فلما كان ذات ليلة رأيت في منامي كأنّ الخليفة قد جاء يدعوني الى ضيافته فإنتبهت وحدّثت صاحبي بما رأيت ، فقال لننظر ما يكون من تأويل رؤياك هذه . فلما كان بعد الفجر إذا بالباب يُطرق فـفـتحتُ الباب فإذا الجُنيد فقمنا اليه وفرحنا بقدومه . فسلّم علينا وجلس ساعة يحادثنا ويذاكرنا في العلم ثم دعانا الى دعوة في منزله ، قال فتبسّمتُ الى صاحبي . فقال الجُنيد : ممَ تتبسّم ؟

فقلت له صورة المنام الذي رأيته واني جلست أنتظر مايكون من تأويل رؤياي حتى دقَّ الشيخ الباب فلما دعوتنا الى منزلك تبسّمتُ .

فقال الجُنيد : إني رأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وأبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعليّ بين يديه فجلست بين يديه صلى الله عليه وسلم فإذا برجلين قد جلسا بين يديه وادعى أحدهما على الآخر دعوى في مطالبة بحقٍ ، فإلتفت اليَّ النبي صلى الله عليه وسلم وقال لي ياأبا القاسم احكُمْ بينهما فسكتُ إعظاماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإحتشاماً من أصحابه رضي الله عنهم . فأعاد القول ثانياً وثالثاً وأنا أسكتُ هيبةً له وإعظاماً له وإجلالاً ، فقال في الرابعة احكمْ بينهما فقد ولّيتك الحكم بين الخلق . فإنتبهتُ وأنا مذعور فجئتُ إليكم أتسلّى .

(وقال) جعفر الخلدي دفع اليَّ الجُنيد درهماً وأمرني أن أشتري له التين الوزيريَّ فإشتريته وجئت به اليه ووضعته بين يديه ، فوضع منه تينة في فمه على أن يفطر عليها ثم وقع عليه البكاء فأخرجها من فيه وأخذ الماء فغسل فمه ، فقلت : ماهذا ؟

فقال : كنت أشتهيه منذ ثلاثين سنة فما أكلته فلما كان اليوم غلبتني نفسي بشهوتها فلما وضعته في فمي إذا هاتفٌ يهتف بي ويقول أما تستحي تركت أكلةً لله تعالى ثم تعود اليها فأخرجتها من فمي ورأيت أن تركَ العهد خيانة وأن الخَؤون لايكون محبوباً .

(وقال) له أبو عمرو الزجّاج أريد الحجّ فأعطاه درهماً صحيحاً فشدّه على مئزره فما زال في سَعَةٍ حتى رجع والدرهم معه . فمدَّ الجُنيد يده وتناول منه الدرهم .

(وقال) صحبتُ أربع طبقات من هذه الطائفة كلّ طبقة ثلاثون رجلاً الحارث المحاسبيّ وطبقته والسري السقطي وطبقته وحسن المسوحي وطبقته وابن الكرنبي وطبقته فما تواخى إثنان في الله عزّ وجلّ .

(وجاء) رجلٌ للجُنيد فقال له : عرّفني في هذا الزمان أخاً لله عزّ وجلّ . فأعرض الجُنيد عنه حتى أعاد ذلك ثلاثاً . فلما أكثر قال له الجُنيد : إن رأيت أخاً يكفيك مؤنتك ويتحمّل أذاك فهذا لعَمري قليل وإن أردتَ أخاً في الله تحمل أنتَ مؤنتهُ وتصبر على أذاه فعندي جماعة أعرّفهم لك . فسكتَ الرجل .

(وسألهُ) أبو محمد الجريري عن رجل حلَّ به أمر من الأمور فهو يكتم سرّه ولايسأل ربه عزّ وجلّ كَشْفَهُ وآخر إذا وقع له شيء من ذلك لجأ الى الله عزّ وجلّ بالدعاء والتضرُّع أيهما عندك أعلى ؟ قال الذي يكتم سرّه في نفسه ولايبديه يعلم أن علاّم الغيوب والسرائر عالم بما هو فيه لايخفى عليه خافية فيوافق بذلك عمله .

(وقال رضي الله عنه) مانمت على فراش منذ أربعين سنة .

(وقال) خيرُ النسّاج رضي الله عنه كنت جالساً في بيتي فخطر لي أن أبا القاسم الجُنيد في الباب أخرج إليه ، فنفيت ذلك عن قلبي وقلت وسوسة فوقع خاطرٌ ثانٍ كذلك فنفيتُ ذلك عن سرّي فوقع خاطر ثالث كذلك فقلتُ إنه خاطر حقّ وليس بوسوسة ففتحتُ الباب فإذا الجُنيد قائم فسلّم عليَّ وقال ياخير لم لاخرجت مع الخاطر الأول .

(وقال إبن علوان) خرجت يوماً الى سوق الرحبة في حاجة فرأيت جنازة فتبعتها لأصلّي عليها ووقفتُ حتى يُدفن الميت فوقعت عيني على إمرأة مسفرة من غير تعمُّد ، فألمحتُ بالنظر اليها فإسترجعت وإستغفرت الله تعالى وعدت الى منزلي فقالت لي عجوز مالي أرى وجهك قد إسوَدَّ فأخذت المرآة فإذا

وجهي أسود فرجعت الى سري أنظر من أين دهيت . فقلت من النظرة فانفردت في موضع أستغفر الله تعالى وأسأله الإقالة أربعين يوماً . فخطر في قلبي أن أزور شيخي الجُنيد فانحدرت الى بغداد فلما جئت منزله طرقت الباب فقال لي : "أدخلْ ياعمر وتُذنبُ بالرحبة ونستغفر لك ببغداد" .

(وقال الجُنيد رضي الله عنه) دخلت على السري يوماً فوجدت بين يديه رجلاً قد غُشيَ عليه ، فقال لي : – هذا رجل سمع آية من كتاب الله فغُشيَ عليه . فقلت : إقرأ عليه تلك الآية . فقرأ فأفاق ، فقال : من أين هذا ؟ فقلت : إن نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام كان ضعفُ بصره في قميص يوسف وكان رجوع بصره في قميص يوسف . فإستحسن السري مني ذلك . (وقال أيضاً) إنك لاتصل الى صريح الحرية وعليك من حقيقة عبوديته بقيّة . (وقال) الفتوة بالشام واللسان بالعراق والصدق بخراسان . (وقال) كنت واقفاً في مسجد الشونيزية أنتظر جنازة أصلّي عليها وهناك جمع كثير ينتظرون الجنازة فرأيت فقيراً عليه أثر النُسك يسأل الناس شيئاً . فقلت في نفسي لو عمل هذا عملاً يصون نفسه كان أجمل فلما إنصرفت الى منزلي وكان لي من أوراد الليل فلم أقدر على شيء منها فسهرت قاعداً أفكّر في سبب ذلك . فغلبتني عيناي فنمتُ فرأيت ذلك الفقير كأنه على خوان ممدود وقالوا لي كل لحمه فإنك قد إغتَبتَهُ ، فكُشف لي عن الحال . فقلت إني ماإغتبتهُ وإنما قلت شيئاً في نفسي ، فقالوا هذه غيبة وإنا لانرضى منك بهذا إذهب فإستحلّ منه . فلما أصبحت قصدت ذلك الموضع مراراً حتى رأيته يلتقط من جانب النهر أوراقاً من البقل الذي يسقط ، فسلمت عليه فردّ السلام وقال لي : ياأبا القاسم تعود ؟ فقلت : لاأعود ، فقال : غفر الله لنا ولك . (وقال) كان السري يقول لي تكلّم على الناس وكنت أجد في قلبي حشمة من الكلام على الناس لأني كنت أتهم نفسي في إستحقاقي لذلك ، فرأيت ليلة جمعة في منامي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي تكلّم على الناس . فإنتبهت وأتيت السري قبل أن أصبح فدققتُ عليه الباب ، فقال" أنت لم تصدّقنا حتى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرَكَ بالكلام" . فلما كان النهار قعدت في الجامع وإنتشر الخبر في الناس أن الجُنيد جلس يتكلم . فكان أول مجلسي أن وقف عليَّ غلام نصراني متنكراً وقال : أيها الشيخ مامعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "إتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله" ؟ فأطرقت ثم رفعت رأسي وقلت له : معناه أنك تُسلِم فقد جاء وقت إسلامك . فأسلم الغلام .

(وقال الجريري) قدمت من مكة فبدأت بالجُنيد لئلا يتعنّى اليَّ فسلمت عليه ثم أتيت الى المنزل . فلما صليت الصبح إذا به خلفي في الصفّ فقلت له : إنما جئتك لئلا تتعنّى . فقال : ياأبا محمد ذاك فضلك وهذا حقّك .

(وكان يقول) التصوّف هو صفاء المعاملة مع الله عزّ وجلّ وأصلهُ العزوف عن الدنيا كما قال حارثة رضي الله عنه عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمات نهاري . (وقال) رأيت إبليس في المنام عرياناً فقلت ياملعون أما تستحي من الناس ؟ فقال ياأبا القاسم هؤلاء الناس مابقي مَن يستحي منهم قوم في مسجد الشونيزي قد أضنوا جسدي وأحرقوا كبدي . قال فلما إنتبهت جئت الى المسجد فإذا فيه جماعة منهم النوري والدقّاق والحيري وقد وضعوا رؤوسهم على رُكبِهم ، فلما رأوني قد أقبلتُ رفعوا اليَّ رؤوسهم وقالوا ياأبا القاسم لايغرّنَّكَ حديث الخبيث . (وكان يقول) إذا رأيت الصوفي يعبأ بظاهره فاعلم أن باطنه خراب .

(من دعـائه) اللهم يامَن هو كلّ يوم في شـأن إجعلنـي من بعض شـأنـك يـاأرحم الراحـمين . (ومنه أيضـاً) اللّهـم إني أسـألك أن تعطينـي عـملاً يكون لك خـالصـاً وأعـوذ بك من كل أمر يُسخطك . اللهم إجعلني ممن يذكرك ذكراً لايريد بذكره إلاّ إبتغاء مرضاتك وماهو لك . اللهم إجعلني ممن يعطي لك ويمنع لك وبك يستعين واليك يلجأ والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً دائماً لاإنقطاع له ولا زوال كما ينبغي لكرم وجهك وعزّ جلالك . اللهم واجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتّقين محد صلى الله تعالى عليه وسلم كلما ذكره الذاكرون وكلما سها الغافلون وعلى جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الى يوم الدين وصلّ على جبريل وميكائيل وإسرافيل ورضوان الله وعزرائيل وسلّم . اللهم وصل المكروبين والروحانيين وسائر الملائكة والمقرّبين والحفظة والسَفَرَة وجميع الملائكة والمؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين ، صلاةً ترضاها وتزكّيها وتحبها وكما هم أهلٌ لذلك . اللهم لاتجعل مظالمنا في تبعاتنا جوداً وفضلاً وكرماً ياأرحم الراحمين . اللهم وبارك لنا في الموت ومابعد الموت إذا نزل بنا إجعله يوم حبٍّ وكرامة وزُلفى وسرور وإغتباط وأوردنا من قبورنا على سرور وفرح وقرة أعين واجعلها رياضاً من رياض جنّتك ولقنّا فيها الحجج وآمنّا فيها من الروعات آمنين مطمئنين الى يوم تبعثنا . ياجامع الناس ليوم لارَيبَ فيه آمنّا من روعات ذلك اليوم وخلّصنا من شدائده واكشف عنا عظيم كربه واسقنا في ظمئه واحشُرنا في زمرة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم الشافع المُشَفَّعْ لأوليائك المقدَّم على جميع أصفيائك . ونسألك أن لاتحاسبنا فإن حاسبتنا فحاسبنا حساباً يسيراً بلا مناقشة . وعاملنا بجودك وكرمك ياأرحم الراحمين واجعلنا من المغبوطين واعطنا كتابنا بالأيمان وأجزنا السراط مع السرعان ، وثقّل موازيننا ولاتُسمعنا لنار جهنم حسيساً ولا زفيراً وأجِرْنا منها ومن كلّ ما قرب منها ومن كلّ ما قَرَّبَ إليها من عمل ونية . واجعلنا بجودك ومجدك وكرمك في دار كرامتك مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً . واجمع بيننا وبين آبائنا وأمهاتنا وأقاربنا في دار قدسك على أفضل حال وأسَرِّها . وضمَّ إلينا إخواننا الذين هم على أُلفَتنا من كلّ ذكر وأنثى وبلّغهم ما أمّلوه واجمع بيننا وبينهم على أفضل حال وأسَرِّها . وعم المؤمنين والمؤمنات جميعاً برأفتك ورحمتك الذين فارقوا الدنيا على توحيدك كُنْ لنا ولهم وليّاً وكالئاً ياأرحم الراحمين تقبّل من محسنهم وتُب على مسيئهم واغفر لهم وتقبّل توبتهم وتجاوز عن المسرف منهم وانصُر مظلومهم واشفِ مريضهم وتُبْ علينا وعليهم توبةً نصوحاً ترضاها فإنك الجواد الكريم على كلّ شيء قدير . وكنْ للمجاهدين ولياً وكالئاً وكافياً وناصراً وانصُرهم على عدوهم نصراً عزيزاً واجعل لهم من لدنك سلطاناً نصيراً . واجعل اللهم دائرة السَوء على أعدائك وأعدائنا واسفكْ اللهم دماءهم واجعلهم فيئاً لإخواننا المؤمنين . واصلح اللهم الراعي والرعية وكلّ من ولّيتهُ عليهم وهَب لهم العطف والرأفة والرحمة لهم وأدِمْ ذلك لنا فيهم ولهم في أنفسهم . اللهم اجعل لنا الكلمة واحقن الدماء وأزِلْ عنا الفتنة واعذنا من البلاء كلّه . وتولَّ ذلك بفضلك من حيث أعلمُ به ولاتُرنا في أهل الإسلام سيفين مختلفين ولاترنا بينهم خلافاً ، واجعلنا على طاعتك وعلى مايقرِّبُ اليكَ فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة ووليُّ الخيرات في الدنيا والآخرة . اللهم إنّا نسألك أن تُعزَّنا ولاتُذلّنا وترفعنا ولاتضعنا وتكون لنا ولاتكون علينا وتجمع لنا سبيل الخيرات كلّها أمور الدنيا التي هي بلاغ لنا الى

طاعـتك ، ومعونة لنا على موافـقتك وأمـور الآخرة التي فـيهـا أعظم رغـبتنا واليـهـا مُنقَلبنا ولاتجعل مـعـوَّلَنـا إلاّ عليك فـإن ذلك لايتمُّ لك ولايـصحُّ لنا إلاّ بتـوفـيـقك . اللـهم وهَبْ لنا هـيـبـتك وإجـلالك وتعظيمك وما وهبته لخاصتك من صفـوة خلقك من حقيقة العلم والمعرفة بك ومُنَّ علينا بما مَنَنْت به عليـهم من آلائك وكـراماتك واجـعل ذلك دائمـاً لنا يامَن لـه ملكوت كلّ شيء وهو عـلى كلّ شيء قدير . اللهم وهَبْ لنا العافـية الكاملة في جميع الأحوال وفي جمـيع الإخوان والذريات والقرابات وعُمّ بذلك جمـيع المؤمنين والمؤمنات ، اجرِ علينا من أحكامك أرضـاها وأحبّهـا وأعونها على كلّ مـقرّبٍ من قول وعـمل ونية ياسـامع الأصوات ياعـالم الخفـيات وياجابر الأرض والسمـوات صلّ على محـمد سـيد المرسلين وعلى آل محـمد أولاً وآخراً وظاهراً وبـاطناً وسلّم تسليمـاً كثـيـراً . وأَجِبنا اللهم كمـا وعـدتنا وقد دعوناك كما أمرتنا وافعل بنا ما أنت أهلهُ ياأكرم الأكرمين وياأرحم الراحمين ويـاربَّ العالمين .

(قال الحافظ أبو نعيم في "الحلية") كان الجُنيد قدّس الله سرّهما يدعو بهذا الدعاء على ممرِّ الأيام . (ومنه) :

ياذاكر الذاكرين بما به ذكَروه وياباديء العارفين بما به عرفوه ويامـوفّق العابدين بصالح ما تحملوه مَن ذا الذي يشفع عنده إلاّ بإذنه من ذا الذي يذكره إلاّ بفضله .

(وقيل) له عند النزع قل لا إله إلاّ الله قال مانسيته فأذكرَهُ .

(وقـال أبو مـحمـد الجـريري) كنت واقـفـاً عنـد رأس الجُنيد عنـد وفـاته وكـان يـوم جـمـعة وهو يقـرأ القـرآن فقلت له : ياأبا القاسم إرفِق بنفسك . فقال : ياأبا محمد ماكنتُ أحوج اليه منّي في هذا الوقت وقد قَرُبَ أن تُطوى صحيفتي .

(وفي رواية أخرى حضرتُ عنده قبل وفاته بساعتين فلم يزل تالياً وراكعاً وساجداً حتى فارق الدنيا) .

(توفي ببـغداد) يوم السبـت ثمان وتسـعين ومـائتين وصلّى عليـه ولده وحُـرز الذين صلّوا عليـه فكانوا قريباً من ستين ألفاً . (ورآه) جـعفر بن محمد في النوم فقال له مـافعل الله بك ؟ قال طاحت تلك الإشارات وغـابت تلك العـبـارات وفنيت تلك العلوم ونفـدَتْ الرسـوم ومـانفعَنا إلا ركـعات كنّا نركـعهـا فـي الأسحـار .

(قال) الإمام الرازي فكلّ أحد يظنّ أن ما معه من العلوم والأعمال وسيلة الى وجدان مُلك الجنة والوصول الى عتـبة حضرة الحق تعالى ، فـإذا جاء وقت الموت بطلت تلك الأوهـام وزالت تلك الأفكار وبقي المسكين على تراب الحرمان وموضع الذلّة والعجز ، إنتهى .

(ورؤيَ) رضي الله عنه أيضاً في المنام فقـيل له مافعل الـله عزّ وجلّ بك ؟ فقـال عاتبني على كـل كلمة سبقت مني وذلك أنّ سنة من السنين إحتبس عنا المطر فقلت مع الناس ماأحوج الناس الى المطر ، فقال الحقّ جلّ جلاله أتنبئني بأرضي وتقول محتاجة الى المطر وأنا العليم الخبير وماننزله إلاّ بقدر معلوم .

(وقـال الجـريري) كـان في جوار الجُنيـد رجل مـصـاب في خـربة فلمـا رجعنا مـن جنازة الجُنيـد تقـدم ذلك المصاب فصعد موضعاً عالياً وقال "ياأبا مـحمد تراني أرجع الى تلك الخربة وقد فقدت ذلك السيد العارف ؟" ثم أنشأ يقول :

وا أسـفـي من فـراق قـوم	هـم المصـابيح والعـيـونُ
والمدن المُزن والرواســي	والخـيــر الأمــر والسـكونُ
لم تتـغـيـر لــنا الليـالي	حـتى توفّـتـهم المنـــونُ
فكلّ جـمــرٍ لنـــا قلوب	وكلّ مــاء لـــنا عــيــــونُ

ثم غاب عنا فكان هذا آخر العهد به . ثم تلقّى سرّ هذه النسـبة الشريفة عنه شيخ هذه السلسلة المبّجلة سيدنا الشيخ أبو علي الروذباري رضي الله عنهما .

سيدنا الشيخ أبو علي أحمد الروذباري
رضي الله عنه

العارف كلّ العارف ، كان من أئمة الصوفية وعلماء الشافعية . سادَ أهل ذلك المذهب في زمنه حتى أصبح أمثلهم طوع مرامه وقوساً في يده يرمي بها الى غرضه بسهامه . وهو بغدادي الأصل من أبناء الرؤساء والوزراء ونسبهُ متصلٌ بكسرى . (وكان) عالماً محدّثاً صوفياً صحب في التصوف الجُنيد والفقه إبن شُريح والحديث إبراهيم الحربي والنحو جماعة منهم ثعلب وكان يفتخر بذلك . أقام بمصر وصار فقيهها ومحدّثها وصوفيّها يُقصد للأخذ عنه من جميع الآفاق . أتاه جمعٌ من الفقراء فإعتلّ منهم واحد فأمر أصحابه بخدمته فملّوا فحلف أن لايخدمه غيره فخدمه بنفسه حتى مات فدفنه ، فلما أراد فتح رأس كفنه ليضجعه مستوياً فتح عينيه وقال "ياأبا علي لأنصرنّك بجاهي الى يوم القيامة كما نصرتني بمخالفة نفسك" .

(وقال) دخلت مصر فرأيت الناس مجتمعين فسألتهم عن ذلك ، فقالوا في جنازة فتى سمع قائلاً يقول :

كبرت همّة عين طمعت في أن تراكا

فشهق فمات . (وقال) إتخذ رجل ضيافة فأوقد فيها ألف سراج ، فقال له رجل أسرفت قال أدخل فكلّما أوقدته لغير الله فأطفئه فدخل فلم يقدر على إطفاء واحد منها فإنقطع . (ومرّ) يوماً على الفرات فعرضت لنفسه شهوة السمك فقذف الماء سمكةً نحوه وإذا برجل يعدو ويقول أشويها لك فشواها له وأكلها . (ومن فوائده) الإشارة الإبانة عما تضمنه الوجد من المُشار إليه وفي الحقيقة الإشارة تصحبها العلل والعلل بعيدة عن الوقائع . (وقال) لم تكلّم أهل التوحيد بلسان التجريد فلم يبق محبّ إلا مات حالاً . (وقال) والاهم قبل أفعالهم وعاداهم قبل أفعالهم ثم جازاهم بأفعالهم . (وقال) المُريدُ ما لايريد لنفسه إلاّ ما أراد الله والمُريد لايريد من الكونين شيئاً غيره . (وقال) المشتاقون الى الله يجدون حلاوة الوقت حين وروده لما كُشف لهم من روح الوصول الى قربه أحلى من الشهد . (وقال) إذا قال الصوفيّ بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق وأمروه بالكسب . (وقال) دخلت الآفة في القوم من ثلاثة : سقم الطبيعة وملازمة العادة وفساد الصحبة . (وقال) إكتساب الدنيا مذلّة وإكتساب الآخرة عزّ فواعجباً لمن يختار الذلّ على العزّ . (وقال) سبحان مَن لايشهده شيء ولايغيب عنه شيء . (وقال) لما تشوّقت القلوب الى مشاهدة ذات الحقّ ألقى اليه الأسماء فسكنت وركنت إليها والذات مستترة الى التجلّي الأخروي . (وقال) المشاهدة للقلوب والمكاشفة للأسرار والمعاينة للبصائر والمرئيات للأبصار . (وقال) مَن نظر الى كمال نفسه مرّة عمي قلبهُ عن النظر الى شيء من الأكوان على وجه الإعتبار . (وقال) ماإدّعى أحد دعوى إلاّ لخلوّه عن الحقائق إذ لو تحقق بشيء نطقت عنه الحقيقة أغنته عن الدعاوى . (وقال) من علامة مَقت الله للعبد أن يضجر من طول مجالس الذكر فإنه لو أحبّ الله تعالى كانت مجالسته ألف سنة كلمحة . (وقال) لاينبغي أن يَتصدى لتربية الأحداث إلاّ الكُمَّلْ الذين إستولت عليهم هيبة الله تعالى لعظم سياستهم ، لأن الشباب شعبة من الجن وقد كان أحدهم يربي الحدث حتى تطلع لحيته لايعلم بذلك إلا من الناس .

(وسُئل) عمّن يسمع الملاهي ويقول هي لي حلال لأني وصلت الى درجة لايؤثر فيَّ الإختلاف ، فقال نعم قد وصل ولكن الى سَقَر . (قال السبكي) وقد يتوصل بهذا الى زعم أنه كان لايرى السماع والذي يظهر من كلامه أنه إنما أنكر من هذا القائل إظهاره الوصول الى هذه الدرجة ، فإن الواصل إليها لايتظاهر بذلك إلاّ بأدب وليس مراده تحريم السماع ولا إنكار أن بعض الناس لايؤثر فيه إختلاف الأحوال ، كيف ومن كلامه أيضاً السماع مكاشفة الأسرار الى مشاهدة المحبوب .

(وقال) أعظم اليقين ماعظّم الحق في عينيك وصغّرَ ما دونه عندك وأثبت الرجاء والخوف في قلبك .

(وقال) من الإغترار أن تسيء فيُحسنَ اليك فتترك الإنابة توهماً أنك تسامح من الهفوات وترى أن ذلك من أبسط الحقّ . (وقال) الصول على من دونك عنف وعلى من فوقك حجة . (وسُئل) عن التصوف فقال هو صفوة القُربْ بعد كدورة البُعد . (وكان) يقول أدركنا الناس وكانوا يجتمعون لا عن مواعدة ويفترقون لا عن مشورة . (وقال) أظهر الحقّ الأسامي وأبداها للخَلق ليسكن لها قلوب المحبين ويؤنس بها قلوب العارفين . (وقال) كيف تشهَدُهُ الأشياء وبه فنيت ذواتها عن ذواتها . أم كيف غابت الأشياء عنه وبه ظهرت صفاتها . فسبحان مَن لايشهده شيء ولايغيب عنه شيء سبحانه وتعالى . (وقال) التفكّر على أربعة أوجه : فكرة في آيات الله وعلامتها تولّد المحبة ، وفكرة في وعده بالثواب وعلامتها تولد الرغبة ، وفكرة في وعيده بالعذاب وعلامتها تولّد الحياء من الله . ومن نظمه :

روحي إليك بكلّها قد أجمعت	لو أن فيك هلاكها ما أقلعت
تبكي إليك بكلّها عن كلّها	حتى يقال من البكاء تقطّعت
فأنظر إليها نظرة فلطالما	متّعتها من نعمة فتمتعت

وقال :

إن الحقيقة غير ما يُتوهم	فانظر لنفسك أي حالٍ تغرمُ
أتكن في القوم الذين تأخّروا	عن حقهم أو في الذين تقدّموا
لاتخدعنَّ فتلوم نفسك حين لا	يُجدي إليك أسف ولا ندمُ

وقال :

ولو مضى الكلّ مني لم يكن عجب	وإنما عجبي للبعض كيف بقي
أدرك بقية روح فيك قد تلفتْ	قبل الفراق فهذا آخرُ الرمقِ

وكان ببغداد عشرة فتيان معهم عشرة أحداث وإجتمعوا بمحلٍّ فوجّهوا واحداً من أحداثهم لحاجة فأبطأ فغضبوا ، ثم أقبل وهو يضحك وبيده بطيخة يقبّلها ويشمُّها . فقالوا ماشأنك ؟ قال : جئت بفائدة ورأيت بِشراً الحافي وضع يده على هذه البطيخة ، فلم أزلْ واقفاً حتى إشتريتها بعشرين درهماً أتبرّكُ بموضع يده . فأخذ كلّ منهم البطيخة فقبّلها ووضعها على عينيه ، فقال أحدهم : مابلغ ببشر هذا ؟ قالوا التقوى والعمل الصالح . قال : إني تبتُ وأنا على طريقة بِشر . وقال كلّ منهم مثله وخرجوا فغزوا طرسوس فاستشهدوا فقال فيهم أبو علي الروذباري صاحب الترجمة :

فلاذوا به من بعد كلّ نهاية	لياذ مقرب الخضوع مع الجد
العجز والتقصير عن الواجب الذي	به عرفوه للورد مع الوردِ
فكان لهم بالغزو في غاية المنى	شكوراً لما أولاه من رُتب الحمدِ

(وكان) يُطعم الفقراء الحلواء وإتخذ مرّةً أحمالاً من السكّر الأبيض ودعا جماعة من الحلوانيين حتى عملوا

من ذلك السكر جداراً عليه شرافات ومحاريب على أعمدة منقوشة كلّها من السكر ثم دعا الصوفية فهدموها وكسروها وإنتهبوها وهو يبتسم . (وكان) أظرف المشايخ وأعلمهم بالطريقة .

(توفي) سنة عشرين أو إثنتين وعشرين وثلاثمائة ودُفن بالقرافة بقرب ضريح سيدينا ذي النون المصري والرودباري (بضمّ الراء المهملة وسكون الواو ودال مهملة وموحدة مفتوحة) وهو نسبة الى (رودبار) في "البيان النافع شرح البرهان القاطع" رودبار بلدة بين جيلان وقزوين سميت باسم نهر هنالك إسمه رودبار بالفارسية عظيم . فهو مركّب مما ذكر فما تراه في أكثر الكتب من إيرادها تارةً روزباري وآونة رودبازي أو غير ذلك فهو تصحيف . ثم تلقّى سرّ هذه النسبة الشريفة عنه شيخ هذه السلسلة المبجّلة سيدنا أبو علي الكاتب رضي الله عنه .

سيدنا أبو علي الحسن الكاتب المصري
رضي الله عنه

إمامٌ قدره عليَ وبرهان منهاجه حسنٌ واضح جليَ ، كان من كبار مشايخ مصر والشام ومن أعاظم أهل الحقائق الأعالم وافر العرفان مثمر الأفنان ، أخذ عن أبي علي الروذباري وأبي بكر المصري وغيرهما .

(ومن كلامه) إذا إنقطع العبد الى الله بكلّيته فأول مايفيده الإستغناء به عن الناس . (وقال) روائح المحبة تفوح من المحبين وإن كتموها وتظهر عليهم وإن أخفوها وتدلُّ عليهم وإن ستروها . (وقال) المعتزلة نزّهوا من الله من حيث العقل فأخطأوا والصوفية نزّهوه من حيث العلم فأصابوا . (وقال) من سمع الحكمة ولم يعمل بها فهو منافق . (وقال) صحبةُ الفُسّاق داء ودواؤها مفارقتهم . (وقال) يقول الله عزّ وجلَ مَن صبر علينا وصل الينا . (وقال) إن الله يرزق العبد حلاوة ذكره فإن فرح به وشكر آنسهُ بقربه وإن لم يشكره أجرى الذكر على لسانه وسلبهُ حلاوتهُ . (وقال) إذا سَكنَ الخوفُ القلبَ لم ينطق اللسان إلاّ بمايعنيه . (وقال) الهمّة مقدمة الأشياء فمن صحّم همته أتت عليه توابعه على الصدق والصحة فإن الفروع تتبع الأحوال ومن همّلَ همته أتت عليه توابعه مهملة ، والمُهمَلُ من الأحوال والأفعال لايصلح لبساط الحق تعالى .

(توفي) سنة نيف وأربعين وثلاثمائة ولم أرَ من ذكرَ ولادته رضي الله عنه . ثم تلقى سرّ هذه النسبة الشريفة عنه شيخ هذه السلسلة المبجلة سيدنا أبو عثمان المغربي رضي الله عنه .

سيدنا أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي الز جاجي الصوري القيرواني

رضي الله عنه

صوفي جليل كبير عارف عرف صيته أطيب من العبير له الأحوال المأثورة والكرامات المذكورة والورع الوثيق والقلب الرقيق والصفاء التام عن الكدورات والأوهام . (وقد قيل) التصوّف صفاء لا وصف له وعلامة لا نهاية لها . صحب الزجاجي والنهرجوري والدينوري وغيرهم ولم يُرَ مثله في علوّ الحال وصون الوقت وصحّة الحكم بالفراسة وعظم الهيبة وجموم الأسرار وطرم الإختيار .

(وقد قيل) التصوّف سير السرّ مع الله تعالى ، كيف وهو الإمام الذي شهدت بخوارقه أرباب العلم والأعلام ، والصوفي الذي لم تشاهد العيون مثله في اليقظة والأحلام .

ومن كلامه :

(قال) الإعتكاف حفظ الجوارح تحت الأوامر . (وقال) أبى الملك الجبّار إلاّ أن يختبر أولياءه بتسليط عدوّهم عليهم . (وقال) مَن أثر صحبة الأغنياء على الفقراء إبتلاه الله بموت القلب . (وقال) مَن إشتغل بأحوال الناس ضيّع حاله ومَن مدَّ يده الى طعام غني بشهوة لايفلح أبداً . (وقال) عاصٍ نادم خيرٌ من طائعٍ مدعٍ ، لأن العاصي يطلب طريق توبته ويعترف بنقصه والمدّعي يتخبط في خيال دعواه . (وقال) أفواه العارفين لم تزل فاغرة لمناجاة القدرة . (وقال) مَن لم يسمع من نهيق الحمار مايسمع من صوت العود ودواخل المغنين فسماعه معلول . (وقال) لايصلح لمخلص معرفة إخلاصه إلا بعد معرفته الرياء ومفارقته ، إذ لايعرفُ الشيء مَن لايعرف ضدهُ . (وقال) التقوى الوقوف مع الحدود . (وقال) الصوفيّ مَن لايملك الأشياء إختياراً ولايملكه شيء إقتهاراً . (وقال) لاتصحبْ إلاّ أميناً أو معيناً ، فإن الأمين يحملك على الصدق ، والمعين يعينك على الطاعة . (وقال) للعارف وقت تضيء له أنوار العلم فتبصره عجائب الغيب . (وقال) إذا صحَّت المحبة تأكد على المحب ملازمة الأدب . (وقال) مَنْ لم يذُق وحشة الغفلة لم يجد أُنس الذكر . (وقال) شكرُ العامة على المطعم والملبس وشكر الخواص على مايردُ على قلوبهم من المعاني . (وقال) مَن إدّعى السماع ولم يستمع من صوت الطيور وصرير الباب وتصفيق الرياح فهو مفترٍ مدّعٍ . (وقال) قلوب أهل الحقّ قلوب حاضرة وأسماعهم أسماع مفتوحة .

(وسُئل) عن الخَلق فقال قوالب وأشباح تجري عليهم أحكام القدرة .

(ودخل) عليه بعض صحبه قرب إحتضاره فقال له : كيف تجدك ؟ قال : أجد مولىً كريماً رحيماً إلاّ أن القدوم عليه شديد .

(وقال) إن الله جعل أنس عباده في رؤية أوليائه . (وقال) في معنى حديث "أكثر أهل الجنة البُله" الأبله في دنياه الفقيه في دينه .

وكان أولاً مقيماً بمكة فسُعيَ به الى العلوية فأخرجوه فعاد الى بغداد ثم نيسابور ، فمات بها سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة . ودخل رجل على الخطابي فأخبره بموت المغربي ، فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كان في الأمم ناسٌ محدّثون فإن يكن في أمتي فعمرو" وأنا أقول فإن كان في هذا العصر أحدٌ

فأبو عـثمان المغربي ، رواه الخطيب البغدادي . وأوصى بأن يصلي عليه الإمام أبو بـكر بن فورك رضي الله عنه .

(وقال) الإمـام القشـيري سـمعتُ الأستـاذ الإمام أبا بكر بن فـورك يقول : "كنت عند أبي عـثمـان المغربي حين قَرُبَ أجلهُ وعليٌّ القوّال يقـول شيئاً فلما تغـيّر عليه الحال أشرنا على عليٍّ بالسكوت ، فـفتح الشيخ أبو عثمان عينه وقال : "لِمَ لاتقول عليَّ شيئاً" فقلتُ لبعض الحاضرين سلوه وقولوا على ما يسـمع المستمع فإني أحتشمه في تلك الحالة . فسألوه فقال : "إنما يسمع من حيث يستمع" ثم توفي رضي الله عنه .

ثم تلقّى سرَّ هذه النسبـة الشريفـة عنه شـيخ هذه السلسلة المبجلة علي بن عبـدالواحد الكركاني رضي الله عنه .

سيدنا أبو القاسم علي الكركاني
رضي الله عنه

صاحب الصفات الكاملة والنفس العالمة الكاملة والهمم الجليلة والمعارف الجزيلة والطريقة المرضية المتبعة والأقوال والأفعال التي لايخشى منها تبعة . زَهَت به الدنيا براريها وبحارها وأشرق منه ليلها ونهارها وتوجّه الناس لعتبته الطاهرة لتحصيل سعادة الدنيا والآخرة . عطّرَ سيدنا الجامي قدّس سره السامي بإسمه الشريف روضة نفحاته ونضر وجه جمالها بذكر كراماته وبالغ الثناء عليه أية جليلة في معرفة أسرار التربية للمريدين والإطلاع على خواطرهم ، وله في ذلك وقائع كثيرة منها ماذكره صاحب كتاب "كشف المحجوب" ، قال :

"حدثت لي يوماً حادثة أشكل عليَّ حلُّها فقصدت زيارة الشيخ أبي القاسم قدّس الله سرّه فوجدته في مسجد أمام داره وحده ، فلما دنوت منه سمعته يخاطب إسطوانة في المسجد بكلام يحلُّ إشكالي فإستفدتُ منه الجواب قبل أن أسأله . ثم لما جلست بين يديه قلت له : ياسيدي هذا الذي تتكلم به مع الإسطوانة جواب واقعتي التي جئت أسألك عنها فكيف ذلك ؟ فقال : ياولدي إن الله أنطق هذه الإسطوانة بالسؤال عن هذه الحادثة مني فأجبتها بما سمعت .

(وإجتمع) الشيخ أبو القاسم والشيخ أبو سعيد فضل الله بن أبي الخير في محلّ ببلدة طوس وجلسا على تخت واحد وجماعة من المريدين وقوف بين أيديهما ، فوقع في سرّ أحد المريدين أنه "ليت شعري مامنزلة هذين السيدين" . فإلتفت اليه أبو سعيد وقال له : "مَن شاء أن ينظر الى مَلكين جالسين على تخت واحد في وقت واحد فلينظر الينا" . فلما سمع المريد هذا الكلام رفع الله عنه حجابه وأطلعه على صدق كلام الشيخ وشاهد علوّ منزلتهما عنده تعالى . وقال هذا المريد في نفسه أيضاً "ليت شعري هل يوجد اليوم على وجه الأرض أعظم من هذين الشيخين ؟" . فتوجّه اليه أبو سعيد وقال له : "لو لم يجيء كل يوم ويذهب سبعون ألفاً مثل أبي سعيد وأبي القاسم لما كان هذا الملك كاملاً" رضي الله عنهما .

ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة عنه شيخ هذه السلسلة المبجلة سيدنا أبو علي الفارمدي رضي الله عنه .

سيدنا أبو علي الفضل بن محمدالفارمدي الطوسي
رضي الله عنه

هو العارف الرحماني والمربّي الرباني ، كان نضّر الله وجهه عالماً شافعياً عارفاً صمدانياً متضلعاً بمذهب السلف ذا خبرة بمناهج الخلف . وأما التصوّف فذاك عشه الذي منه درج وغابه الذي ألِفهُ ليثهُ ودخل وخرج وتفقّه على الغزالي الكبير وأبي عثمان الصابوني وغيرهما .

(قال) المولى عبدالغافر رحمه الله كان شيخ عصره منفرداً بطريق في التذكير لم يُسبق إليها في عبارته وتهذيبه وحُسن تأديته وتأديبه ومليح إستعارته ودقيق إشارته ورقيق ألفاظه ووقع كلامه في القلوب .

(صحبَ) القشيري وأخذ عنه حجة الإسلام الغزالي وجدَّ وإجتهد وكان ملحوظاً من القشيري بعين العناية موفراً عليه منه طريق الهداية حتى فتح عينيه لوامع من أنوار المجاهدة وصار من مذكوري الزمان ومشهوري المشايخ .

(قال) السمعاني كان لسان خراسان وشيخها وصاحب الطريقة الحسنة في تربية المريدين . وكان مجلس وعظه روضة ذات أنواع من الأزهار . تلمذ لأبي القاسم القشيري في الموعظة والتذكير ولأبي القاسم الكركاني وأبي حسن الخرقاني الآتي في السلسلة الثالثة ترجمته في التصوف .

(ومن كلامه) كنت في حال الشبوبية مشغولاً بطلب العلم في نيسابور فسمعت أن الشيخ أبا سعيد بن أبي الخير قدّس الله سرّه جاء من بلدة (ميهنه) وعقد مجلس وعظ ، فذهبت إليه فلما وقع بصري على نور وجهه عشقته ووقع في قلبي محبة طائفة الصوفية العلية . (وقال) كنت يوماً في المدرسة فإلتهف قلبي لرؤية جمال الشيخ قدّس الله سرّه ولم يكن للشيخ عادة أن يخرج في ذلك الوقت فتربّصت وتصبّرت على ذلك فلم أقدر على الصبر لحظة . فقمت أقصد محلّ الشيخ فلما وصلت الى أول السوق رأيت الشيخ ومعه جماعة كثيرة ذاهبين فتبعتهم وأنا غائب عن شعوري حتى دخلوا محلاً فدخلت معهم وجلست في زاوية من زوايا المحل مستتراً عن عين الشيخ . فلما إشتغلوا بالسماع طرب الشيخ وتواجد وشقّ جبّته الشريفة حتى إذا فرغوا من السماع ألقى الشيخ الجبّة في الأرض فأخذها المريدون وقطّعوها إرباً إرباً ووضعوها بين يديه فحمل الشيخ كُمّاً متصلاً ببُنيقة ووضعه على حدة ونادى : ياأبا عليّ الطوسي . فما أجبتهُ . ظناً منّي أن في مريديه أبا علي الطوسي غيري لأنه لم يكن يراني ، ثم نادى ثانية وثالثة فما أجبته . فأتاني واحد من جماعته وقال : إن الشيخ يناديك . فقمت حينئذ ووقفت أمام الشيخ فأعطاني ذلك الكم مع البنيقة وقال : أنت منّا بمنزلة البنيقة من الكُم . فأخذتها وعظمتها وحفظتها في مكان عزيز وإتصلت بخدمة الشيخ وحصل لي منه فائدة فائقة وتجلّيات وأحوال وافرة صادقة .

ولما سافر الشيخ من نيسابور رجعت الى خدمة الشيخ أبي القاسم القشيري قدّس الله سرّه وكنت كلّما حصلت لي حال من الأحوال أذكرها له فيقول لي : إذهب ياولدي وإشتغل بتعلم العلم . ولم يزل ذلك الحال يزداد معي يوماً فيوماً وأنا مشتغل بتحصيل العلم مدة ثلاث سنين ، فإتفق لي أني

رفعت مرّة القلم من الدواة فخرج أبيض فقمتُ حتى وقفت أمام الإمام القشيري وذكرت له ذلك الأمر ، فقال قدّس الله سرّه : نُزع العلم منك فانزع يدك منه وإلتفت للحال الذي أنت فيه وأسلك طريق القوم . فنقلت أمتعتي من المدرسة الى الخانقاه وإشتغلت بخدمة هذا الأستاذ الإمام قدّس الله سرّه .

(وقال) ودخل الأستاذ يوماً الى الحمام فذهبت وحدي الى الحمام وأخرجت عدة دلاء من ماء البئر وملأته ، فلما خرج الأستاذ القشيري منه قال : من الذي ملأ الحمام ماءً ؟ فسكتُّ وقلتُ في نفسي إني فعلت قلّة أدب . فسأل مرةً ثانية فما أجبته أيضاً ، فلما سأل الثالثة قلت له : أنا ملأتهُ . فقال : يا أبا عليّ أبشّرك بأن ما حصّلته أنا في مدة سبعين سنة فقد حصّلته أنت بدلو واحد .

(وقال) إستولى عليَّ مدة المجاهدة عند الأستاذ القشيري يوماً حالٌ لم أكن معها شيئاً مذكوراً فذكرت له ذلك ، فقال : ياأبا عليّ ذوقي ماهو أعلى من هذا يمكن أن يكون ذلك المقام أرفع من مقامي وأنا لاأدري طريقه . فلم أزل متشوقاً الى شيخ يوصلني الى أعلى من هذا مدةً مديدة وذلك الحال يزيد وقد كنت سمعت بالشيخ أبي القاسم الكركاني ، فتوجهت الى طوس ولم أكن أعرف محلّهُ . فلما وصلت الى البلدة سألت عنه فوجدته جالساً في المسجد مع جماعة من مريديه فصلّيت تحية المسجد وجلست أمامه وكان مطرقاً رأسه وقال : تعال أبا عليَّ . فقمت وسلّمت عليه ثم قعدت فذكرت له أحوالي . فقال : نعم بارك الله لك في بدايتك فأنت الآن واصل الى أول درجة من السلوك أما إذا حصل لك تربية فإنك تصل الى درجة عالية . فقلت في نفسي هذا أستاذي ثم أقمت عنده . فبعدما أمرني بأنواع الرياضات والمجاهدات مدة مديدة عقد لي على إبنته وأذن لي بالكلام على الناس .

(وقال) قدّس الله سرّهُ كان قد حضر الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير من (ميهنه) الى طوس قبل أن يأذن لي الشيخ أبو القاسم بالكلام فذهبت الى زيارته ، فقال لي : يا أبا عليَّ إستعدَّ فإنه سيفتح عليك فتتكلّم بلسانهم كثيراً كالبلبل . فما مرَّ على هذه البشارة زمان حتى أمرني الشيخ بعقد المجلس وفتح لي باب الكلام .

(وقال) حجة الإسلام أبو حامد الغزالي قدّس الله سرّه لقد سمعت الشيخ أبي علي الفارمدي يحدّث عن شيخه أبي القاسم الكركاني أنه قال التسعة والتسعون إسماً تصير أوصافاً للسالك وهو بعد لم يصل .

(توفي) قدّس الله سرّه سنة سبع وأربعين وأربعمائة . والفارمَدي (بسكون الراء المهملة وفتح الميم ودال مهملة) نسبة الى (فارمَد) قرية من قرى طوس ، وبواسطة هذا السيد الجليل تتصل كما قدمناه هذه السلسلة العلوية الأولى المعروفة بسلسلة الذهب بالسلسلة الثالثة الصدّيقية المشهورة الآتية . وقد آن الأوان أن نلوي عنان جواد القلم الى ترجمة أحوال رجال السلسلة العلوية الثانية مستمدين من روحانيتهم المباركة العناية الكافية .

السلسلة الثانية العلوية للطريقة النقشبندية
قدّس الله سرّ ساداتها الزكيّة

تقدّم أن تقديم هذه السلسلة الثانية العلوية كالأولى على السلسلة الثالثة الصدّيقية العلية إنما هو لقرب إتصالها بها وقلّة رجالها وتفرّغاً للكلام على رجال الثالثة لإمتدادهم الى زماننا هذا فيكون الختم بها أليق . وإذ كان كلّ خير منهل فخير الكلّ له منهل وجب ترصيم الكلام بإسمه الأعلى وإن سبق تكليل السلسلة الأولى به وهو الأولى .

المبدأ الفيّاض الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم

قد سلف تشريف السلسلة الأولى العلوية بذكر نبذة من أحواله وأقواله المقدسة المصطفوية ، ولكن تتميماً لنظام هذا السلسلة المبجلة وتعميماً للبركة بإعادة بعض أوصافه مجملة كما مرّت مفصّلة زيّنت هذه الأسفار بإسفار أنوار شمس إسمه الكريم توسلاً لخدمته وتوصلاً لمدحته بهذا النظيم مؤنساً أرباب الألباب بأنس جام إنسجام ثنائه العظيم عليه أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم ، فقلت :

يمم مكاناً في الجلال مكيناً ... فيه غدا خير الأنام دفينا
فيه النبيُّ المصطفى الهادي الذي ... لولا وجود سعوده لشقينا
فيه الرسول أبو البتول وعزّ مَنْ ... أمسى له صرف الزمان مهيناً
فيه شفيع الخلق مَن بظهورهِ ... للحقّ من بعد الضلال هُدينا
فأنظر له وانثر على أعتابه ... دُرّاً من الدمع الغزير ثمينا
واخفض جناح الذُلِّ واخضع هيبةً ... منه وعفِّر بالتراب جبينا
وأطل وقوفك في رحاب جنابه ... تلقاه في كشف الكروب ضمينا
إن عَمَّ غمٌّ ليس غير قبابه ... حصناً من الدهر الخؤون حصينا
فإذا إلتجأت لبابهِ تلقى غفوراً ... للَذنوب على الخطوب مُعينا
تلقى المراحم والمكارم والهدى ... والعلم والخُلق العظيم رهينا
لو تطلب الدنيا ومافيها لما ... تلقاه من فرط السخا ضنينا
فاقبض يديك على عوطف يُمنهِ ... يبسط إليك من اليسار يمينا
واعرِضْ على أعتابه ماتشتكي ... منه تجد ماتشتهيه يقينا
واذكر له قلباً تَقلّب في العَنا ... حيناً به قعد الزمان حزينا
فهو الرؤوف بنا الرحيم لنا تعالى ... أن يصدَّ السائل المسكينا
وهو المحيطُ بكلّ شيء رحمةً ... منه وعلماً بالأمور مبينا
يامن تشرّفت السموات العلا ... بعروجه وتزيّنت تزيينا
بل ساد كل الأنبياء بالإرتقاء ... لطور أو أدنى السنى لاسينا
ارحم بربك ذِلّتي من زلَّتي ... وابدل بفضائلك خيفتي تطمينا
واعذ برأفتك المحيطة بالورى ... عبداً غريقاً بالذنوب مهينا
واغثه ياغوث الصريم فطالما ... قد لوّنت لأواؤه تلوينا
هذا مقام العائد الراجي وقد ... صعبت عليه أموره تهوينا
نفسي الفداء لمن بخدمة بابه ... كم غار إسرافيل من جبرينا
أعظِم به من مرسل أضحى على ... أسرار أعلام الغيوب أمينا
وغدا نبيّاً لَلأنام وآدم ... قد كان ماءً في العماء وطينا
وبه الوحوش تباشرت لما غدا ... في بطن آمنة الطهور جنينا
والضبُّ سلّمَ والبعير شكا له ... والجذع أظهر مِن نواه حنينا

وأفاض من بين الأصابع ماءةً ... أروت من القومِ الظماء مئينا
وإختار ربُّ الناس في الدنيا له ... من خير أديان البرية دينا
فظلام الشركِ زالَ بنورهِ ... والدين بالتوحيد صار متينا
لو لم يكن من معجزات نبيّنا ... إلاّ الكتاب كفي به تبيينا
قد جاد قراناً عظيماً لم نجد ... له في كلام العالمين قرينا
لايعرب الإيجاز عن إعجازهِ ... إذ فاق كلّ بلاغةٍ تحسينا
لافخرٌ إلاّ والنبي محمد ... قد زاد فوق سنامهِ تمكينا
هو سيد الأكوان سرّ ظهورها ... من كنزها خير الورى تَكوينا
وأعمّهم فضلاً وأطهرَهُم بصون ... الله آباء له وبنينا
ساري الوجود لكلّ موجود إمام ... الجود أول قابل تعيينا
لم تقدر البلغاء قدر مقامه ... بل كان أقصى علمهم تخمينا
حلّ المدينة فاغتذت لجنابه ... حرماً وللدين القويم عرينا
مَن سامَ سامي بِرّهِ بثنائه ... حاشا علاه أن يعود غبينا
بشرى لكل العالمين بأحمدٍ ... الصاحب الجاه العظيم نبينا
فإذا توسّلت الأنام بجاههم ... قالت ملائكة السما آمينا
هو غوث كلّ العالمين وفضلهُ ... قد فننت آلاؤه تفنينا
ولأجله المولى لقد رفع العذاب ... فلا يعذبه وأحمدٌ فينا
فإذا الشدائد أقصدتك سهامها ... فاقصد لها كهف الورى ياسينا
والجأ له متذللاً وبجاهه ... متوسلاً وعلى حماه رهينا
وانظم وقلبك واثق بقبوله ... عقداً من المديح البديع حسينا
فتعود من إحسانه الضافي على ... حسانه طلق اللسان فطينا
تؤلّف الآلاف مدحاً فيه لا ... خمسين أو ستين أو سبعينا
صلى وسلّم ذو الجلال عليه ما ... أفنى وأحيا أشهراً وسنينا
والآل والأصحاب أقمار الهداية ... كلما حينٌ تعقّب حينا

ثم سرى سرّ هذه النسبة العلية من فخر العالم عليه أفضل الصلاة وأتمّ التحية الى سيدنا الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

كنز المواهب والمطالب أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب
كرّم الله تعالى وجهه وأمدّنا بنوره من كلّ وجهه

هو لهذه السلسلة المُمِدُّ الأعظم وواسطة عقد جوهرها الأنظم . وقد تشرّف هذا السِفر في أوائله بذكر نبذة من فضائله وشمائله . وقد تلقّى هذه النسبة عنه عالم كثير من كبار التابعين وأعظم من سرى إليهم سرّها شيخ هذه السلسلة السنية سيدنا الحسن البصري رضوان الله عليهم أجمعين .

سيدنا الحسن البصري
رضي الله عنه

سيد التابعين الكبار وإمام العباد والأخيار ، أتقن كلّ فن من علم وعبادة وبلغَ أعلى مبلغ في الورع والزهادة ، فصلّى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة وكان أكثر مشيه حافياً ومع ذلك له هيبة عظيمة . وكان أشبه الناس سريرة بعلانية قولاً وفعلاً ، إن أمر بأمر كان أول عامل به أو نهى عن شيء كان أترك الناس له . وكان كثير البكاء والحزن ماراه أحد إلاّ ظنَّ أنه حديث عهدٍ بمصيبة . (قال حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه) كان أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء وأقربهم هدياً من الصحابة إتفق العلماء في حقّه على ذلك . وقال الجاحظ يستثنى من كلّ غاية فيُقال فلان أزهد الناس إلاّ الحسن وأفصحهم إلاّ الحسن .

(ونظرَ إليه راهبان) فقال أحدهما لصاحبه : ملْ الى هذا الذي سمته كسمت المسيح . فعدلا اليه فألفياه مفترشاً لذقنه ظاهر كفّه وهو يقول "ياعجباً لقومٍ أُمروا بالزاد وأذنوا بالرحيل ما الذي ينتظرون" .

(وقال) يحقَ لمن علم أن الموت مورده والساعة موعده والقيامة مشهده أن يطول حزنه . (وقال) لايؤمن أحد بهذا القرآن إلاّ حزن وذبُل . (وقال) أدركت سبعين بدرياً لباسهم الصوف لو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا أخياركم قالوا ما لهؤلاء من خَلاق ولو رأوا أشراركم قالوا مايؤمن هؤلاء بيوم الحساب . (وقال) التفكير يدعو الى الخير والعمل به ، والندم على الشرّ يدعو الى تركه وليس ما يغني وإن كثُر يعدل ما يبقى فاحذر هذه الدار الصارعة الخادعة التي قد تزّينت بخدعها وغرّت بغرورها . (وقال) عقوبة العلماء موت القلوب وموتها طلب الدنيا بعمل الآخرة . (وقال) هجران الأحمق قُربةٌ الى الله تعالى . (وقال) إبن آدم نفسك نفسك إنما هي نفس واحدة إن نجت نجوتَ وإن هلكَت هلكتَ لن ينفعك مَن نجا ، كلّ نعيم دون الجنّة حقير وكلّ بلاء دون النار يسير . (وقال) إذا أراد الله بعبدٍ سوءً ختم الله بأسوأ عمله ثم توفّاه عليه . (وقال) جرّبنا وجرّب المجرّبون فلم نرَ شيئاً أنفع وجداناً ولا أضرَ فقداً من الصبر يداوي الأمور ولايُداوى هو بغيره . (وسُئل) أينام إبليس ، فتبسّم وقال : "لو نام لوجدنا راحة" . (وقال) الدنيا دار عمل مَن صحبها بالبغض لها والزهد فيها سعد بها ونفعته صحبتها ، ومن صحبها برغبة ومحبة شقي بها وسلّمته الى ما لا صبر له عليه . (وقال) غداً كلّ إمريء بما يهمّه ومن همّ بشيء أكثر من ذكره ومن أثر دنياه على أخرته فلا دنيا له ولا آخرة . (وقال) لو كنت ممن رضي بقتل الحسين وعُرضَت عليَّ الجنة ماقبلتها حياءً من المصطفى صلى الله عليه وسلم . (وقال) عجباً أُمروا بالزاد ونودي فيهم بالرحيل وحبس أولاهم على أخراهم وهم قعود يلعبون ، إبن آدم السكين تُحدُّ والتنور يُسجَرْ والكبش يُعلَفْ ، كفى بالتجارب وبتقلّب الأيام عظة وبذكر الموت زاجراً عن المعصية ، ذهبت الأيام وبقيت الآثام قلائد في الأعناق . (وقال) ما أُعطيَ رجل شيئاً من الدنيا إلاّ قيل له خذه ومثله من الحرص . (وقال) أشدّ الناس صراخاً يوم القيامة رجلٌ سنَّ ضلالة فأتبع عليها . ورجلٌ يسيء المَلَكَة . ورجلٌ فارغ إستعان بنعم الله على معاصيه . (وقال) المؤمن كالعنيزة يكفيه كفٌّ من حشف وقبضة من سويق وجرعة من ماء والمنافق كالسبع الضاري بلعاً بلعاً وشرطاً شرطاً لايطوي بطنه لجاره ولايؤثر أخاه بفضله ، وجّهوا هذه الفضول

أمامكم . (وقال) بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الوجود . (وقال) خفق النعال حول الرجال قلّما يثبت له قلوب الحمقى . (وقال) عجباً لإبن آدم يغسل الخَرا بيده مرّة أو مرتين ثم يتكبّر ويعارض جبّار السماء وقد قال (وفي أنفسكم أفلا تُبصرون) . (وقال) لايغرّنك قول مَن يقول المرء مع مَن أحبَّ فإنك لن تلحق الأبرار إلاّ بأعمالهم فإن اليهود والنصارى يحبّون أنبياءهم وليسوا معهم . وقال الغزالي قدّس الله سرّه هذه إشارة الى أن ذلك من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلّها لاينفع . (ورأى) ناساً يوم عيد يضحكون ويلعبون فقال : إن الله جعل الصوم مضمار العبادة ليسبقوا الى طاعته ولو كشف الغطا لشغل المحسن بإحسانه والمسيء بإساءاته عن تجديد ثوب أو ترجيل شعر . (وقال) مارأيت يقيناً لاشكّ فيه أشبه بشكّ لايقين فيه من الموت . (وقال) وقد عوتب على تخويفه الناس بموعظته إن من خوّفَكَ حتى تلقى الأمن خير ممن أمَّنَكَ حتى تلحق الخوف . (وقال له رجل) : بنيتُ داراً أحبُّ أن تدخلها وتدعو . فدخل فنظرها ثم قال : "خربَتْ دارك وعمرَتْ دار غيرك غرّك مَن في الأرض ومقتَكَ مَن في السماء" . (ومرَّ) بدار المهالبة فقال "رُفع الطين ووُضع الدين" . (وقال) أدركتُ قوماً مايُطوى لأحدهم في بيته ثوب قط ولا أمرَ في أهله بصنعة طعام قطّ وماجعل بينه وبين الأرض شيئاً قطُّ . (وقال) ما الدنيا كلّها من أولها الى آخرها إلاّ كرجلٍ نام نومةً فرأى في نومه مايحبُّ ثم إنتبه . (وقال رجلٌ) الفقهاء يقولون كذا . فقال : هل رأيت فقيهاً ، إنما الفقيه الزاهد في الدنيا البصير بدينه المُداوم على عبادة ربّه . (وقال) بلغنا ان الله يقول ياإبن آدم خلَقتُكَ وتعبد غيري وأذكركَ وتنساني إن هذا لأظلَمُ ظلمٍ في الأرض . (وقال) إنما أنت أيام كلّما ذهب يوم ذهب بعضك . (وقال) فضح الموت الدنيا فلم يترك فيها لذي لبٍّ فرحاً . (وقال) والله ماأعزَّ أحدٌ الدرهم إلاّ أذلَّهُ الله . (وقال له رجل) :

– أريد سفراً فأوصني . فقال : حيثما كنت اعزَّ أمرَ الله يُعزُّكَ .

(وقال) ضحكُ المؤمن من غفلة قلبه . (وقال) الإسلام أن يُسلم قلبك لله ويَسلم منك كلّ مُسلم وكلّ ذي عهد . (وقال) إياكم وما شَغَلَ من الدنيا فإنها كثيرة الأشطان لايفتح الرجل على نفسه باب شغل إلا يوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشراً . (وقال) رحمَ الله رجلاً لايغرّهُ مايرى من كثرة مخالفات الناس ، إبن آدم تموت وحدك وتُبعثُ وحدك وتُحاسب وحدك وأنت المعنيُّ وإيّاك يُراد . (وقال) بئس الرفيقان الدنيا والدرهم لاينفعانك حتى يفارقانك . (وقال) إبن آدم طأ الأرضَ بقدمك فإنها عن قليل قبرك إنك لم تزلْ في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك . (وقال) لاتخالفوا الله عن أمره فإن خلافك عنه عمارة دار قضى الله عليها بالخراب . (وقال) هانوا على الله فعَصَوه ولو عزّوا عليه لعصمهم . (وسُئل) عن حديث الإيمان الصبر والسماحة ، فقال : الصبر عن معصية الله والسماحة بأداء فرائضه . (وقال) فضلُ الفعال على المقال مكرمة وفضل المقال على الفعال منقصة . (وقال) لو نادى منادٍ بالمسجد ليخرج أفسقُ الناس وأقلّهم حياءً من الله ماسبقني للخروج أحد . (وقال) يُستعان على دفع وسوسة إبليس بالذكر والقراءة والنفس بالصوم والصلاة والمجاهدة والرياضة . (وقال) إذا أذنب عبدٌ ثم تاب لم يزدد من الله إلاّ قرباً ، وهكذا كلّما أذنب لأنه دائم السير بذنب وبغيره حتى يصل للآخرة . (وشكا) له رجل قسوة قلبه فقال عليك بمجالس الذكر والإحسان لليتيم . (وقال) أدركتُ قوماً كانوا فيما أحلّ الله لهم أزهَد منكم فيما حرّم . (وقال) طمع العالم في

الدنيا يشينه ويذهب بحرمته من القلوب . (وقال) ذمُّ الرجل لنفسه مدحٌ لها . (وقال) ليس بأخيك مَن تحتاج الى مداراته . (وكان) إذا قعد بين الناس يقعد ذليلاً وإذا تكلّم تكلّمَ تَكَلُّمَ رجلٍ أُمر به الى النار كأنها لم تُخلق إلاّ له . (وقال) عبدَ بنو إسرائيل الأوثان بعد عبادة الرحمن بحبهم الدنيا . (وقال) أرى رجالاً ولاأرى عقولاً وأسمع أصواتاً ولاأرى أنساً . (وقال) خصلتان إذا صلحتا صلُحَ ما سواهما وإذا فسدتا فسد ، الركون الى الظَلَمَة والطغيان في النعمة . (وقال) جمع الله الخير والشرّ كلّه في آية واحدة (إن الله يأمر بالعدل والإحسان... الآية) . (وقال) لو يعلم العابدون أنهم لايرون ربهم يوم القيامة لماتوا . (وكان يقول) لا توبة لقاتل المؤمن عمداً . فدسَّ اليه عمرو بن عبيدة رجلاً وقال قل له وإن كان كافراً فإنه يقول (قل للذين كفروا أن ينتهوا... الآية) وإن كان فاسقاً فإنه يقول (أولئك هم الفاسقون إلاّ الذين تابوا) فقال للرجل : من أين لك هذا ؟ فقال : إختلج في صدري . قال : مُحال أصدقني . فقال : عمرو . فقال الحسن : عمرو وماعمرو ؟ وإذا قام بأمر قعد به وإذا قعد بأمر قام به ورجع .

(وقال) مَن لبس الصوف تواضعاً زاده نوراً في بصره وقلبه ومَن لبسه إظهاراً للزهد وتكبّراً كُوِّرَ في جهنم مع الشياطين . (وقال) ماكلّ الناس يصلح للبس الصوف لأنه يتطلب صفاءً ومراقبة . (وقيل له) ماسبب لبسك الصوف ؟ فسكت فقيل ألا تجيب . فقال إن قلت زهد أزكيت نفسي أو فقر أو ضيق شكوت ربّي .

(ولما بلغه موت الحجّاج) سجد وقال اللّهم عقيرك وأنت قتلته فأمت سنّتهُ وأرحنا من عمله الخبيث .

(وقال) ذهبت المعارف وبقيت المناكر ومَن بقي من المسلمين فهو مغموم . (وقال) إذا أراد الله بعبدٍ خيراً في الدنيا لم يشغله بأهلٍ ولا ولد . (وقال) من شرط المتواضع أن يخرج من بيته فلا يلقى أحداً إلاّ رأى له الفضل عليه . (وقال) شرُّ الناس للميت أهله يبكون عليه ولايهون عليهم قضاء دَينه . (وقال) لاتشترِ مودّة ألف رجل بعداوة رجل واحد . (وقيل له) هل في البصرة منافق ؟ فقال لو خرج المنافقون منها لإستوحشتَ . (وقال) أكرِم إخوانك يدُمْ لك ودُّهم . (وقال) لو نظرت ياإبن آدم الى سير أجلك لأبغضتَ غرور أملك وكان ينشد :

ليس مَن مات فإستراح بميت   إنما الميتُ ميتُ الأحياء

(وقال) وددتُ إن أكلت أكلةً تصير في جوفي مثل الآجرّة فإنه بلغنا أنها تبقى في الماء ثلاثمائة سنة . (وكان) إذا إستأذن عليه أحد من إخوانه فإن كان عنده طعام أذن له وإلاّ خرج اليه ولايتكلّف فيما حضّر . (وقال) كانوا يقولون لسان الحكيم من وراء قلبه إن أراد أن يقول يرجع الى قلبه فإن كان له قال وإلاّ أمسك ، وإن الجاهل قلبه في طرف لسانه لايرجع الى قلبه ماأتى على لسانه يتكلّم . (وقال) الناس ينظرون الى الله يوم القيامة كما شاء بلا إحاطة . (وقال) الدنيا مطيّتك إن ركبتها حملتك وإن ركبتك قتلتك . (وقال) الناس ينظرون الله يوم القيامة بلا إحاطة . (وقال) ورع العلماء في الدنيا والأموال . (وقال) إذا رأيت في ولدك ماتكره فاعلم أنه شيء تُرادُ به أنت فأحسن . (وقال) إذا أردت عداوة رجل فإن كان مطيعاً فإياك وإياه فإن الله تعالى لايسلّمه اليك ولايخلّي بينك وبينه وإن كان عاصياً فقد كُفيت مؤنتهُ فلا تتعب نفسك بعداوته . (وقال) كلّ مَن إتّبع طاعة الله إمتلك مودّتهُ

ومَن أحبَ رجلاً صالحاً فكأنما أحبَّ الله . (وقال) مارأينا أحداً طلب الدنيا فأدرك الآخرة بها أبداً بخلاف العكس . (وقال) يبعث الله أقواماً يطلبون هذا العلم حِسبةً وليس فيهم نية فيتبعهم بطلبه كي لايضيع العلم وتبقى عليهم تبعته . (وقال) الإسلام أن تسلم قلبك لله تعالى فيسلم منك كلّ مسلم . (وقال) المحبُّ سكران لايفيقُ إلاّ عند مشاهدة محبوبه . (وقال) يوسف بن اسباط مكثَ الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وأربعين سنة لم يمزح .

(ودخل) مكة فرأى غلاماً من أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد أسند ظهره الى الكعبة يعظُ الناس ، فوقف عليه الحسن رضي الله عنه ثم قال : ما ملاكُ الدين ؟ قال : الورع . فقال : ماآفة الدين ؟ قال : الطمع . فتعجّب الحسن من حُسن جوابه مع صغر سنّه .

(وقال) لاتصيب حقيقة الإيمان حتى لاتُعيبَ الناس بما هو فيك وحتى تبدأ بصلاح هذا العيب من نفسك فتصلحه . فإذا فعلت ذلك لم تصلح عيباً إلاّ وجدت آخر لم تصلحهُ . فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك وأحبَ العباد الى الله مَن كان كذلك . (وقال) ياإبن ادم بِع دنياك بأخرتك تربحهما جميعاً ولاتبع أخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً .

(وكتب) الى أمير المؤمنين عمر بن العزيز "خَفْ مما خوّفك الله منه واحذر مما حذّرك الله منه وخُذْ مما في يديك لما بين يديك فعند الموت يأتيك اليقين والسلام" .

(وعن الغزالي قدّس الله سرّه) قال الحسن "يوزن مداد العلماء بدم الشهداء" .

(وقال) إن المؤمن يصبح حزيناً ولايسعه إلاّ ذلك لأنه بين مخافتين ؛ بين ذنبٍ قد مضى مايدري ماالله يصنع فيه وبين أجل قد بقي مايدري مايصنع فيه من المهالك .

(وكتب) الى عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنهما :

"اعلَمْ أنَّ التفكّر يدعو الى الخير والعمل به ، والندم على الشرّ يدعو الى تركه . فاحذر الدنيا الصارعة الخادعة التي تزيّنت بخدعها وغرّت بغرورها وقتلت بأملها وتشوّفت لخطابها ، فهي كالعروس المجلية العيون إليها ناظرة والنفوس لها عاشقة والقلوب اليها والهة ، وهي لأزواجها كلّهم قاتلة مااللباقي بالماضي معتبَر ولا للآخر بما رأى من الأول مزدَجَرْ . ، والناس فيها قسمان : قسم قد ظفر بها فاغترَّ وطغى ونسي بها المعاد والمبدء وإشتغل فيها لبّه وذهل عقله حتى زلّت قدمه وجاءته أسرع شيء كان منيّتهُ فعظمت ندامته وكبرت حسرته وإشتدت كربته مع ما عالج من سكرات الموت . وقسم مات قبل أن يظفر منها بحاجته فذهب بكربه وغمّه فلم يدرك منها طلب ولم يرح نفسه من النَصَب ، خرجا جميعاً بغير زاد وقدما على غير مهاد . فاحذرها الحذر كلّه فإنها مثل الحيّة ليّنٌ مسُّها وسمُّها يقتل ، وأعرِضْ عمّا يعجبك فيها لقلة مايصحبك منها وضعْ عنك همومها لما عانيت من فجائعها وأيقنتَ به من فراقها . وكن أسرَّ ماتكون فيها أحذرَ ماتكون لها فإن صاحبها كلما إطمأنَّ الى سرورها أعقبته بمكروه وكلّما ظفر منها بشيء إنقلب به . فالسارِ فيها غار والباقي فيها غدا ضار . وصل الرجا منها بالبلا وجعل البقا فيها الى الفنا ، سرورها مشرّب بالحزن وأخر الحياة فيها الضعف والوهن . فأنظر إليها نظر الزاهد المفارِق . أمانيها كاذبة . وآمالها باطلة . وعيشها نكد . وصفوها كدر . وأنت منها على خطر . إما نعمةً زائلة وإما بليّةٌ نازلة وإما منيهةٌ قاضية ، ولو كان الخالق لم يخبر عنها بخبرٍ ولم يضرب لها مثلاً ولم يأمر فيها بزهد لكان حالها قد أيقظ النائم ونبّه

الغافل . وكيف وقد جاء عن الله عزّ وجلّ زاجر وواعظ فما لها عند الله قدر ولا وزن . وكيف لها وزن وهي لاتزنُ مقدار حصاةٍ من الحصا ولا قدر ثراةٍ من جميع الثرى ولا خلقَ خلقاً فيما بلغني أبغض اليه منها ولا نظر إليها منذ خلقها مقتاً لها . ولقد عُرضت على نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلّم سيد الأولين والآخرين بمفاتيحها وخزائنها لاينقصه ذلك مما له عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها ومامنعه من القبول لها مع كونها لاتُنقصهُ مما له عند الله تعالى شيئاً إلاّ أنه علم صلى الله عليه وسلم أنها أبغض الأشياء الى الله تعالى . فابغضَها لبغضِ مولاه إياها وصغّر شيئاً صغّره الله ووضع شيئاً وضعه الله ولو قبلها كان دليلاً على حبّه إياها ولكنه صلى الله عليه وسلم كَرِهَ أن يحب ما أبغضَ خالقه وأن يرفع ما وضعَ مالكهُ .

ومما يدلّ على شرّ هذه الدنيا أن الله تعالى قبضها عن أنبيائه وأحبابه إختياراً وبسطها لغيرهم إعتباراً وإغتراراً ، فيظنُّ المغرور بها أنه أُكرِمَ بها ونسي المغرور المغبون ما صنع الله تعالى بأنبيائه وأحبابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين : (أما محمد) سيد الخلق صلى الله عليه وسلّم فقد شدّ الحجر على بطنه من الجوع * وأما موسى الكليم عليه الصلاة والسلام فرأى خضرة البقل من صفاق بطنه من هزاله وماسأل الله تعالى يوم أوى الى الظلّ طعاماً يأكله من جوعه ، ولقد جاءت الروايات عنه أن الله تعالى أوحى اليه أن ياموسى إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين وإذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنبٌ عجلَت عقوبته * وأما عيسى عليه الصلاة والسلام روح الله وكلمته ففي أمره عجيبة كان يقول أدمي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف ودابتي رجلي وسراجي بالليل القمر وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس وفاكهتي وريحاني ما أنبتت الأرض للسباع والأنعام ، أبيتُ وليس لي شيء وليس أحدٌ أغنى منّي * وأما سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فكان مع ملكه يأكل خبز الشعير في خاصته ويطعم أهله الخشكار ويطعم الناس الدرمك فإذا جنّ الليل لبس المسوح وغلّ اليد الى العنق وبات باكياً حتى يصبح يأكل الخشن من الطعام . يفعلون ذلك قُربةً الى الله تعالى ويبغضون ما أبغضَ الله عزّ وجلّ ويصغّرون ما صغّره الله تعالى . ثم جاء الصحابة والتابعون ومَنْ بعدهم من الأئمة الصالحين فسلكوا منهاجهم وألزموا أنفسهم الفكر والعبر ونظروا الى آخر الدنيا وباطنها ولم ينظروا الى أولها وظاهرها ونظروا الى عاقبة مرارتها ولم ينظروا الى حلاوتها وألزموا أنفسهم الصبر عنها . أنزلوا الدنيا بمنزلة الميتَة التي لايحلّ الشبع منها في حال الضرورة اليها ، فأكلوا منها قدرما ردّ النفسَ وأبقى الروح ومكّن النوم ، وجعلوها بمنزلة الجيفة التي إشتدَّ نتَنُ ريحها فكلّ من مرّ بها أمسك على أنفه منها .

هذه منزلتها عندهم ، فهم يعجبون من الأكل منها شبعاً والتلذذ بها أشراً ويقولون في أنفسهم "أترى هؤلاء لايخافون من هذا الأكل مايجدون ريح النتن ؟" هي والله ياأخي في العاقبة والعاجلة أنتنُ من الجيفة الموصوفة غير أن أقواماً إستحلوا الصبر على أكلها ولايجدون ريح النتن والذي نشأ في ريح الأهاب لايجد نتَنُهُ ، ويكفي العاقل منها أن مَن مات وترك مالاً سرّه إن كان فقيراً أو شريفاً إن كان فيها وضيعاً أو كان فيها معافى سرّه إن كان فيها مُبتلى أو سلطاناً سرّهُ إن كان فيها سوقة . والله لو كانت الدنيا من أراد منها شيئاً وجده في وقته من غير تعب غير انه إذا أخذ منها شيئاً لزمه حقوق الله تعالى فيه وسأله عنه وأوقفه على حسابه لكان ينبغي للعاقل ان لايأخذ إلا قدر قوته حذراً من

السؤال والحساب .
وإنما الدنيا إذا فكرت فيها ثلاثة أيام : يوم لاترجوه ويوم أنت فيه ينبغي لك أن تغتنمه ويوم يأتي لاتدري أأنت من أهله أم لا ولاتدري لعلك تموت قبله ؟ فأما أمس فحكيم مؤدب وأما اليوم فصديق ، غير أنّ أمس وإن كان قد فجعك بنفسه فقد بقي في يديك حكمة وإن كنت قد أضعته فقد جاءك خَلَفٌ منه كان عنك طويل الغيبة وهو الآن منك سريع الرحلة . (وغداً) في يديك منه أمله فخذ في العمل وترك الغرور بالأمل قبل حلول الأجل وإياك أن تُدخل على اليوم همّ غده وهمّ مابعده ، يكفي اليوم همّهُ ، وغداً إذا دخل عليك دخل بشغله . فإنك إذا أدخلتَ على اليوم همَّ مابعده زدتَ في حزنك وتعبك وأردت أن يجمع لك في يومك مايكفيك أيامك ، هيهات كثر الشغلُ وزاد الحزن وعظُمَ التعب وأضاع العبد العمل بالأمل ، ولو كان الأمل في غدك خرج من قلبك لأحسنتَ اليوم في عملك وإقتصرت .
فَلأصفنَّ لك الدنيا ساعة بين ساعتين : ساعةٌ ماضية وساعة باقية فالماضية والباقية لاتجد لراحتهما لذة ولا لبلائهما أملاً ، وإنما الدنيا ساعةٌ أنت فيها فالأسف إن صرفتك تلك الساعة عن الجنّة وصيّرتك غداً الى النار . وإنما اليوم إن عقلت ضيفٌ نزل بك هو مرتحل عنك ، فإن أحسنت نزله وقراهُ شهد لك وأثنى عليك بذلك وصَدق فيك . وإن أسأتَ ضيافته ولم تحسن قراهُ جاءك في عينيك .
وهما يومان بمنزلة الأخوين نزل بك أحدهما فأسأت اليه ولم تُحسن فيما بينك وبينه فجاءك الآخر بعده فقال إني جئتك بعد أخي وإن إحسانك يمحو سيأتك ويغفر لك ما قد صنعت فدونك قد جئتك بعد أخي المرتحل عنك فقد ظفرت بخلف منه ، إن عَقلت فتدارك ما قد صنعت وإن ألحقت الآخر بالأول فماأخلقك أن تهلك بشهادتهما عليك . وإن الذي قد بقي من العمر لا ثمن له ولا عدل فلو إجتمعت الدنيا كلها ماعدلت يوماً ولا ساعة بقي من عمر صاحبه ، فلا تبع اليوم بغير ثمنه ولايكون المقبور والمدفون أعظم تعظيماً لما في يديك منك . فلعمري لو أن مدفوناً في قبره قيل له هذه الدنيا من أولها الى أخرها نجعلها لولدك من بعدك يتنعمون فيها من ورائك فقد كنت ليس لك همّ غيرهم ، أحبَّ إليك أم يوم نؤثرك فيه بعمل لنفسك لإختار ذلك اليوم ، بل ولو إقتصر على ساعة لإختارها بل لو إقتصر على كلمة يقولها لإختار الكلمة الواحدة . فإنتقد اليوم لنفسك وأبصر الساعة وأعظم الكلمة واحذر الحسرة عند نزول الكسرة ولاتأمن أن يكون هذا الكلام حجة عليك نفعنا الله وإياك بالموعظة ورزقنا خير العواقب والسلام عليك ورحمة الله وبركاته" .
(ووعظ رضي الله عنه) أصحابه فقال إن الدنيا دار عمل مَن صحبها بالبُغض لها والزهادة فيها سعد بها ونفعته صحبتها ، ومن صحبها على الرغبة فيها والمحبة لها شقيَ فيها وأجحف بحظه من الله تعالى ثم أسلمته الى ما لاصبر له عليه ولا طاقة له من عذاب الله ، فأمرها صغير ومتاعها قليل والفناء عليها مكتوب وأهلها يتحولون عنها الى منازل لاتبلى ولايغيرها طول الزمن . لا العمر فيها يفنى فيموتون ولا وإن طال الثوى منها يخرجون . فاحذروا ، ولا قوة إلاّ بالله ، ذلك الموطن وأكثروا ذكر ذلك المنقلب واقطعوا من الدنيا أكبر همومكم فإنها والله مُفضيةٌ بأهلها الى ندامة طويلة وعذاب شديد . فلاتكونن ياإبن آدم مغتراً ولاتأمن مالم يأتكَ الأمان فيه فإن الهول الأعظم أو مقطعات الأمور أمامك ، ويحك إبن آدم ماضرّك ما أصابك من شدائد الدنيا إذا خلص لك خير الآخرة فُضم القوم (ألهاكم التكاثر... الآية) . (وقال) إن لأهل التقوى علامات يُعرفون بها ؛ صدق الحديث ، ووفاء العهد ، وصلة الرحم ،

ورحمة الضعفاء ، وقلة الفخر والخيلاء ، وبذل المعروف ، وقلة المباهاة للناس ، وحُسن الخُلق مما يقرّب الى الله تعالى . (وقال) في قوله تعالى (هاؤم إقرأوا كتابيه) إن المؤمن أحسن الظنَّ بربّه فأحسنَ العمل ، وإن المنافق أساء الظنَّ فأساء العمل . (وقال) مَن كان فيه أربع خلال أعاذه الله من الشيطان : أن يملكَ نفسه عند الرغبة والرهبة والشهوة والغضب . (وقال) إن من أعظم الحسرات غداً أن يرى الرجل ماله في ميزان غيره ، أتدرون كيف هذا ؟ رجلٌ آتاه الله مالاً فأمره بإنفاقه في صنوف حقوق الله فبخل به فورثَهُ الوارث ففعل ما أمره الله تعالى ، فهو يرى ماله في ميزان غيره فيالها من حسرةٍ لاتُقال وتوبةٍ لاتُنال . (وقال) إن العبد لايزال بخير ماكان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همّه . (وقال) أبى الله ان يعصيه عبدٌ إلاّ أذلَّهُ الله . (وقال) مامن رجل يعرف نعمة الله عليه فيقول الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات إلاّ أغناه الله وزاده . (وقال) رحم الله رجلاً لبس خلقاً وأكل كسرة ولزقَ بالأرض وبكى على الخطيئة ودأب على العبادة . (وقال)أصبحت بين مطيّتين الليل والنهار يعرجان بك حتى تقدم الآخرة فإما الى الجنة وإما الى النار فمن أعظم خطراً منك .

(وسُئل) عن صفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قال "ظهرت منهم علامات الخير في السيماء والسمت والصدق وحسُنت ملابسهم بالإقتصاد وملامسهم بالتواضع ومنطقهم بالعمل ومطعمهم ومشربهم بالطيّب من الرزق وخضوعهم بالطاعة لربّهم تعالى وإنقيادهم للحق فيما أحبّوا وكرهوا وإعطائهم الحقّ من نفسهم ، ضمئت هواجرهم ونحلت أجسامهم وإستخفّوا بسخط المخلوقين لرضا الخالق لم يفرطوا في غضب ولم يحيفوا في وجود ولم يجاوزوا حكم الله متمسكين بالكتاب والسنّة قد شغّلوا الألسن بالذكر وبذلوا لله تعالى دماءهم حين إستنصرهم وبذلوا لله تعالى أموالهم حين إستقرضهم لم يكن خوفهم من المخلوقين ، حسُنت أخلاقهم وهانت مؤنتهم وكفاهم اليسير من دنياهم الى آخرتهم" .

(وقال) المؤمن مَن يعلم أن ما قال الله عزّ وجلّ كما قال ويكون من أحسن الناس عملاً وأشدّهم خوفاً لو أنفق جبلاً من مال ماأمنَ دون أن يعاين ، كلما إزداد صلاحاً وعبادة إزداد خوفاً يقول لَعَلّي لاأنجو والمنافق يقول سواد الناس كثير وسيُغفر لي ولابأس عليّ فينسى العمل ويتمنى على الله عزّ وجلّ . (وكان) إذا تلا قوله تعالى (لاتغرّنكم الحياة الدنيا ... الآية) يقول مَن قال ذا قاله من خلقها وهو سبحانه وتعالى أعلم بها . (وقال) الرجا والخوف مطيّتا المؤمن . (وقال) مامن عبدٍ قُسم له رزق يوم بيوم فلم يعلم أنه قد خُيّرَ له إلاّ عاجز أو غبي الرأي .

(وعن الأعمش) قال : كنا إذا دخلنا على الحسن خرجنا ولانعدُّ الدنيا شيئاً .

(وقال) إن المؤمن ليَعملُ الذنب ولايزال به كئيباً . (وروى عنه الغزالي) يخرج رجل من النار بعد ألف عام وياليتني أنا ذلك الرجل ، قال الغزالي قدّس الله سرّهُ وإنما قال ذلك لخوفه الخلود بسوء الخاتمة . (وقال) إذا حمد المريض الله وشكره ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى .

(ولما) وُلّيَ ابن هبيرة الفزاري العراق وأُضيفت اليه خراسان أرسل الى الحسن وابن سيرين والشعبي وذلك سنة ثلاث ومائة ، أيام يزيد بن عبدالملك فقال لهم : "إن يزيد بن عبدالملك يكتب اليَّ كتاباً في أمور أعلم أن في إنفاذها الهلكة فإن أطعته عصيت الله وإن عصيته أطعت الله فماترون ؟" فقال إبن سيرين والشعبي قولاً فيه تقيّة . فقال إبن هبيرة : ماتقول أنت ياأبا سعيد ؟

قال : ياإبن هبيرة خَفِ الله في يزيد ولاتخف يزيد في الله إن الله يمنعك من يزيد وإن يزيد لايمنعك

من الله وأوشك أن يرسل اليك مَلَكاً فيزيلك عن سريرك ويُخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك ثم لاينّجيك إلا عملُك . ياعمرو لاتأمن أن ينظر الله اليك وأنت على أقبح ماتعمل في طاعة يزيد بن عبدالملك نظر مقتٍ فيغلق باب التوبة دونك . يابن هبيرة إن تعص الله فإنما جعل الله هذا السلطان ناصر الدين وعباده . فلا تركبنَّ دين الله وعباده بسلطان الله فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

فبكى إبن هبيرة وقام بعَبرته وأجازهم وأضعف جائزة الحسن . فقال الشعبي لإبن سيرين : سَفسَفنا له فسَفسَفَ لنا .

(ورأى الحسن) يوماً رجلاً وسيماً حسن الهيئة فسأل عنه فقيل إنه يسخر للملوك ويحبّونه . فقال لله أبوه مارأيت أحداً طلب الدنيا بما يشبهها إلاّ هذا .

(وكانت) أمه تقصّ للنساء ودخل عليها يوماً وفي يدها كرّاثة تأكلها فقال لها : يا أماه ألقِ هذه البقلة الخبيثة من يدك . فقالت : يابنيَّ إنك شيخ قد كبرت وخرفت . فقال : ياأماه أيّنا أكبر ؟

(وُلد) رضي الله عنه في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسنتين بقيتا من خلافته بالمدينة وحنكهُ بيده .

(وكان) أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه وهو من سبي مَيْسَان (بفتح الميم وسكون الياء التحتيّة وفتح السين المهملة وبعد الألف نونٌ) بُليدة بأسفل البصرة وإسمه يسار ويلقّب بأبي الحسن . (وأمه) خيرة مولاة أم سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم وربما غابت في حاجة فيبكي فتعطيه أم سَلَمَة رضي الله عنها ثديها تعلله به الى أن تجيء أمه فدَرَّ عليه ثديها فشربه ، فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك . قال أبو عمرو بن العلاء مارأيت أفصحَ من الحسن البصري ومن الحجّاج بن يوسف الثقفي ، فقيل له فأيّهما أفصح قال الحسن . (رويَ) عن الربيع بن أنس قال إختلفنا الى الحسن عشر سنين أو ماشاء الله مامن يوم إلاّ أسمع منه ما لم أسمعه من قبله .

(ونشأ) بوادي القرى وكان من أجمل أهل البصرة ، رأى طلحة بن عبدالله وعائشة ولقيَ عليّ بن أبي طالب وسمع إبن عمر وأنساً وأبا بكرة وجماعة من الصحابة وسمع خلائق من كبار التابعين .

(توفي) بالبصرة مستهلّ رجب سنة عشر ومائة وكانت جنازته مشهودة ، قال حميد الطويل توفي الحسن عشية الخميس وأصبحنا يوم الجمعة ففرغنا من أمره وحملناه بعد صلاة الجمعة ودفنّاه فتبع الناس كلّهم جنازته واشتغلوا به فلم تقم صلاة العصر بالجامع ولاأعلم أنها تُركت منذ كان الإسلام . وأغميَ عليه عند موته ثم أفاق فقال "لقد نبّهتموني من جنّات وعيون ومقام كريم" . (وقال رجل) قبل موت الحسن لإبن سيرين رأيت كأن طائراً أخذ أحسن حصاة بالمسجد ، فقال إن صدقت رؤياك مات الحسن . فلم يكن إلاّ قليلاً حتى مات الحسن ولم يحضر إبن سيرين جنازته لشيء كان بينهما ثم توفي بعده بمائة يوم .

(وكان) الحَكَم بن حجل صديقاً لإبن سيرين فلما مات حزن عليه الحكم حتى جعل يُعاد كالمريض ثم رآه في المنام في قصر على أفضل حال قال فقلت له ياأخي أراك في أحسن حال يسرّني فما صنع الحسن ؟ قال رفع فوقي بسبعين درجة . قلت بماذا قال بطول حزنه . (ورأى) بعض الأولياء ليلة موته أبواب السماء مفتحة وكأن منادياً ينادي ألا إن الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راضٍ رضي الله عنه . ثم تلقى سرّ هذه النسبة الشريفة سيدنا حبيب العجمي رضي الله عنه .

الإمام أبو محمد حبيب الفارسي المعروف بحبيب العجمي
رضي الله عنه

كان حَسن التربية والسياسة وافر الهمّة والرياسة مُجاب الدعوة محافظاً على الخلوة لإكتساب الجلوة . وكان من التجّار ساكني البصرة وسبب إقباله على الآجلة وإنتقاله عن العاجلة انه حضر مجلس البصري فإلتفت إليه فوعظه فوقعت موعظته من قلبه . فخرج عما كان يملك وفرّقه في سبيل الله حتى لم يبق معه شيء ، فجعل يستقرض على الله عزّ وجلّ الى أن كان منه ما كان وجدَّ وإجتهد وإشترى نفسه أولاً من الله عزّ وجلّ بأربعين ألف دينار في أربع دفعات تصدّق بعشرة آلاف في أول النهار وقال ياربّ إشتريت نفسي منك بهذا ثم أتبعها بعشرة آلاف أخرى فقال هذا شكراً لما وفقتني له ثم أخرج عشرة آلاف دينار أخرى فقال ياربّ إن لم تقبل منّي الأولى والثانية فاقبل هذه ثم تصدّق بعشرة آلاف أخرى فقال يارب إن قبلت مني الثالثة فهذه شكراً لها .

(وكان) يبكي الليل كله فتقول له أمه ماهذا البكاء فيقول دعيني فإني أريد أن أسلك طريقاً لم أسلكه من قبل .

(ومن كلامه) إن الشيطان يلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز . (وقال) لاتقعدوا فراغاً فإن الموت يليكم . (وقال) إن من سعادة المرء إذا مات ماتت معه ذنوبه .

(وكان) يخلو في بيته ويقول لا قرّة عينٍ لمن لم تقَرَّ عينه بك ولا فرحَ لمَن لايفرحُ بك ، وعزّتك وجلالك إنك تعلم أني أحبك وأنت فعلت ذلك بي .

(ومن كراماته) أن رجلاً إشتكى اليه دَيناً فقال له : إقترض وأنا ضامن . فأتى رجلاً فأقرضه خمسمائة درهم وضمّنها أبو محمد فطولب عند الإستحقاق ، فقال لربّ الدَين : غداً إن شاء الله تعالى تصل اليك . فتوضأ أبو محمد ودخل المسجد ودعا الله تعالى . وجاء الرجل فقال له حبيب : إذهب فإن وجدت في المسجد شيئاً فخذه . فذهب الرجل فإذا في المسجد صرّة فيها خمسمائة درهم فوزنها فوجدها زائدة فأخبره بذلك ، فقال : إذهب فهي لك الذي وزنَها وزنَها راجحة .

(وعجَنَتْ) أمهُ فذهبت تجيء بنارٍ لتخبزه فأتاه سائل فأعطاه العجين . فجاءت فقالت : أين العجين ؟ فقال : ذهبوا يخبزونه . فأكثرت عليه فأخبرها فقالت : لابدّ من شيءٍ نأكله . فإذا برجلٍ لايُعرف جاء بجفنةٍ عظيمة مملوءة خبزاً ولحماً . فقالت : ماأسرع ماردّوه عليك وقد خبزوه وجعلوا معه لحماً .

(وكان) يأخذ متاعاً من التجّار فيتصدّق به فأخذ مرّة فلم يجد ما يوفّيه فقال "ياربّ إن الناس يحسنون ظنّهم بي أنت فعلت بي ذلك من سترك عليّ فلاتخلف ظنّهم بي فينكسر وجهي عندهم" . ثم دخل داره فإذا هو بجوالق من الأرض الى سقف البيت مملوءة دراهم . فقال "ياربّ ليس أريد هذا فأخذ حاجته وترك البقيّة .

(وقال له رجل) : لي عليك ثلاثمائة . قال : من أين . قال : لي عليك . قال : إذهبْ الى غدٍ . ثم قال اللهم إن كان صادقاً فأدِّ اليه وإلاّ فابتليتَهُ في بدنه . فجيءَ به محمولاً مفلوجاً . فقال التوبة . قال "اللهم إن كان صادقاً فعافِهِ" فكأنما نشط من عِقال .

(وآذاه رجل) وأغلظَ عليه فرفع يديه الى السماء وقال "اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرحنا منه" فخرَّ ميتاً .

(وأصاب) الناسَ مجاعةٌ فإشترى سويقاً ودقيقاً بنسيئة وعمد الى خرائط فخاطها ووضعها تحت فراشه ثم دعا الله عزّ وجلّ فجاء أرباب الديون بعد مدّة يطلبون الثمن فأخرج تلك الخرائط وقد إمتلأت فقال لهم زنوا فوزنوا حقوقهم .

(وقدِمَ) رجلٌ من أهل خراسان وكان قد باع ما كان له وعزمَ على سكنى البصرة فلمّا قدمها كان معه عشرة آلاف درهم فأراد الخروج الى مكة هو وإمرأته ، فسأل الناس لمن يودع العشرة آلاف درهم فقيل لأبي محمد . فأتاه فقال : إني قاصد وإمرأتي الى مكة وهذه عشرة آلاف أريد أن أشتري بها منزلاً بالبصرة فإن وجدت منزلاً ويخفّ عليك أن تشتري لنا بها فإفعلْ . ثم سافر الرجل الى مكة فأصابت الناس بالبصرة مجاعة فشاور حبيب أصحابه أن يشتري بالعشرة آلاف دقيقاً ويتصدّق به ، فقالوا إنما وضعها المشتري لمنزل . فقال "أنا أتصدّق بها فأشتري له بها من ربّي منزلاً في الجنة ، فإن رضيَ وإلاّ دفعت اليه دراهمه" ، فإشترى بها دقيقاً وخبزَهُ وتصدّق به . فلما قدم الخراساني من مكة أتى حبيباً فقال : يا أبا محمد إشتريت لنا منزلاً أو تردّها عليَّ فأشتري أنا بها ؟ فقال : قد إشتريت لك منزلاً فيه قصور وأشجار وأثمار وأنهار . فإنصرف الى إمرأته فرحاً مسروراً فقال "قد إشترى لنا حبيب منزلاً أراه كان لبعض الملوك فإنه قد عظّم أمره وما فيه من أشجار وأثمار وأنهار" . ثم أقام الخراساني يومين أو ثلاثة وجاء الى حبيب فقال : ياأبا محمد أين المنزل الذي إشتريت لي ؟ فقال : إشتريت لك من ربّي منزلاً في الجنّة بقصوره وأثماره وأشجاره وصفاته . فإنصرف الرجل الى إمرأته أشدّ فرحاً من الأول وقال لها : إن حبيباً إشترى المنزل من ربّه عزّ وجلّ في الجنة . فقالت له إمرأته : أرجو أن يكون قد وفّق الله حبيباً وماقدر مايكون لبثنا في الدنيا فارجع اليه فليكتب لنا كتاباً بعهدة المنزل . فأتاه فقال نعم فدعى من يكتب له الكتاب :

"بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما إشترى أبو محمد حبيب من ربه عزّ وجلّ لفلان الخراساني إني إشتريت له منزلاً في الجنة بقصوره وأنهاره وأشجاره وصفاته بعشرة آلاف درهم فعلى ربه سبحانه وتعالى أن يدفع هذا المنزل الى فلان الخراساني ويبريء حبيباً من عهدته" .

فأخذ الخراساني الكتاب وإنطلق به الى منزله وإمرأته فدفعه اليها . وأقام الخراساني نحواً من أربعين يوماً ثم حضرته الوفاة ، فأوصى إمرأته إذا متُّ وغسلتموني وكفّنتموني فاجعلوا هذا الكتاب في أكفاني ففعلوا ذلك . فلما دفنوا الرجل وجدوا على ظهر قبره رقّاً مطوياً فيه مكتوب ليس شبيه مكاتيب الدنيا فنشروه فإذا فيه براءة الحبيب أبي محمد من المنزل الذي إشتراه لفلان الخراساني بعشرة آلاف درهم ، فقد دفع ربُّهُ الى الخراساني كما شرطَ له حبيب وأبرأه منه . فأُتيَ حبيب بالكتاب فجعل يقرؤه ويقبّله ويبكي ويروح الى أصحابه ويقول "هذه براءتي من ربّي عزّ وجلّ" .

(وجاءه) رجلٌ فإشتكى وجعاً في رجله وسأله أن يدعو له وكان في مجلسه ، فلما تفرّق الناس أخذ المصحف وعلّقه في عنقه وقال "يا الله لاتسوّد وجه حبيب ، ثم قال اللهم عافهْ حتى ينصرف ولايعرف في أي رجليه كان الوجع" فوجد الرجل العافية في الحال . فسألوه في أي رجلك كان الوجع ؟ فقال لأأدري .

(وكان) يُرى بالبصرة يوم التروية ويُرى بعَرَفه عشية عَرَفه .

(وجزعَ) عند الموت جزعاً شديداً وقال "أريد أن أسافر سفراً ماسافرته قطّ وأسألكَ طريقاً ماسلكته قطّ وأريد أن أدخل تحت التراب فأبقى تحته الى يوم القيامة ثم أقف بين يدي الله تعالى فماذا أقول" .

(وكان) مشغولاً بالتعبُّد فلم يعرف له رواية رضي الله عنه وإنما نُسب الى العجم لبقاء لكنة لسانه حتى لم يقدر على تجويد القرآن ، نُقل أنه كان يقرأ الحاء هاءً في الحمد لله رب العالمين . (وكان يقول) إني وإن كان لساني عجمياً لكن قلبي عربّي .

(توفي) سنة خمس وعشرين ومائة في البصرة ودُفن بها رضي الله عنه ، ثم تلقّى سرَّ هذه النسبة الشريفة منه سيدنا داود الطائي رضي الله عنه .

سيدنا أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفيّ
رضي الله عنه

الفقيه الواعي البصير الراوي العابد الطاوي أبصر معتبراً وسبقَ مبتدراً وتشمّر منتصباً وإنتظر مرتقباً أضناه الفرق وأفناه القلق . (وقد قيل) إن التصوّف تشمُّرٌ لإستباق وتضمّرٌ للحاق . وقد أثنى عليه كثيرٌ من الأعيان فقالوا كان رفيع المقدار كثير المريدين والأنصار فسيح الأركان عظيم الشان واضح المنهاج بحر علمه متراكم الأمواج . (أسند) الحديث عن عبدالملك بن عمير وعروة بن هشام والأعمش (وعنه) إبن عليّة وإسحق السلولي وأبو نعيم ومصعب بن المقدام وجماعة .

(قال الذهبي) وكان إماماً فقيهاً ذا فنون عديدة ثم تعبّد وأثر الوحدة وأقبل على شأنه وساد أهل زمانه .
(وقال غيره) كان يحضر مجلس أبي حنيفة فقال له أبو حنيفة يوماً في تقريره : أما الآلات فقد أحكمناها .
فقال له داود : فما بقي ؟ قال : العمل بما علّمناه .

فاعتزله وتزهّدَ وتعبّدَ وإنقطع لذلك حتى صار في المجاهدة فحلاً من الفحول ، هجر الوطن ووقف المواقف التي تهوِّل وثبتَ حيث الأقدام تزلّ والأحوال تحول . (وقال محمد بن بِشرْ) قدم علينا داود الطائي من السواد فكنا نضحك منه فما مات حتى سادنا . (وقيل) إنما سبب توبته أن إمرأة جاءت الى أبي حنيفة تسأله عن مسألة فأجابها فاعجبت بجوابه ثم قالت "هذا العلم فأين العمل ؟" فأثّر كلامها في قلب داود فاعتزل وتعبّد فصار عظيم الشأن علماً وزهداً وورعاً .

(وأتاهُ) بعض رفاقه في الدرس فقال : يا أبا سليمان جَفَوتَنا . فقال : ليس مجلسكم ذاك من أمر الآخرة في شيء . ثم إستغفر ثم قام فتركه .

(وكان) إذا خرج مشى في الطريق المهجورة البعيدة فيُقال له الطريق من ههنا أقرب فيقول "فِرَّ من الناس فرارك من الأسد" . (ومكث) أربعاً وستين سنة أعزب ، قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه فقيل كيف صبرت على النساء ؟ قال "قاسيت شهوتهنَّ عند إدراكي سنة ثم ذهبت شهوتهنَّ من قلبي" . قال أبو سليمان الداراني فمن صبر عنهنَّ عند إدراكه سنّة لم يعرفهنَّ حلالاً ولا حراماً .

(وقال أحمد بن ضرار العجلي) أتيت داود فوجدته في دار واسعة خربة مافيها إلاّ بيت ليس فيه باب ، فقلت : يا أبا سليمان أنت في دار وحشة لو إتخذت لبيتك هذا باباً ماتستوحش . فقال : حالت وحشة القبر بيني وبين وحشة الدنيا وأهلها .

(وكان) قد ورث من أمه أربعمائة درهم فمكث يتقوّت بها ثلاثين عاماً فلما نفدت جعل ينقص سقوف الدويرة فيبيعها حتى باع الخشب والبواري واللَبِن الى أن بقيَ نصف سقف وكان باب داره مرقوعاً قصيراً لو أن غلاماً وثب لسقط الى الدار .

(وكان) الغالب عليه الحزن فكان يقول بالليل : إلهي همّك عطّل عليَّ الهموم وحال بيني وبين الرقاد وشوّقني الى النظر ومنعني اللذات والشهوات فأنا في سجنك أيها الكريم . وكان يترنّم في السَحَر بشيء من القرآن فيرى إن جميع نعيم الدنيا في ترنّمه تلك الساعة .

(وكان) لايسرجُ سِراجاً أبداً . وكان يُخبز له ستين رغيفاً يعلّقها بشريط يفطر كلَّ ليلة على رغيفين

بملح وماء ، فجاءته ليلة من الليالي مولاة له بتمر على طبق فأفطر ثم أحيا ليله . فلما جاء وقت الإفطار قال جار له سمعته يحدّث نفسه ويقول إشتهيت البارحة تمراً فأطعمتُك وإشتهيت الليلة تمراً لا ذاق داود تمراً مادام في دار الدنيا ، فما ذاقه حتى مات .

(وقالت له مولاتهُ) : لوطبخت لك دسماً . قال : فافعلي . فطبخت له شحماً ثم جاءت به فقال : مافعل أيتام بني فلان . قالت : على حالهم . قال : إذهبي به اليهم . قالت له : فديتك إنما تأكل هذا الخبز بالماء . فقال : إني إذا أكلته كان في الحش ، فإذا أكله هؤلاء الأيتام كان عند الله عزّ وجلّ مذخوراً .

(وقال أبو أسامة) جئت أنا وابن عُيينة الى داود الطائي فقال "قد جئتماني مرّة فلاتعودا اليَّ ." وكان لايخرج من منزله حتى يقول المؤذن قد قامت الصلاة فيخرج فيصلي فإذا سلّم الإمام أخذ نعله ودخل منزله . (وقال أبو الربيع) كنت أحبُّ أن أجتمع معه فكان ذلك دأبه فلما طال ذلك عليّ أدركته يوماً فقلت : أبا سليمان على رسلك . فوقف . فقلت : أوصني . قال : إتّقِ الله وإن كان لك والدان فبرَّهما ثلاث مرات "ثم قال في الرابعة" ويحك صُم الدنيا ثم إجعل الفطر موتك وإجتنب الناس غير تارك لجماعتهم .

(وجاء) صديق له فقال له : ياأبا سليمان لو أعطيتني هذه الدنانير فأبضعتها لك لعلها تربح . فما زال به حتى دفعها اليه ثم فكر فيها فلقيه بعد العشاء الآخرة فقال : اردده عليَّ . فقال : ولمَ ياأخي ؟ قال : أخاف أن يدخل فيها شيء غير طيب فأخذها .

(وأتاه ابن أخيه) فقال : ياعمّ هل تكره التجار ؟ قال : لا . فقال : أعطني شيئاً أتجُرُ به . فأعطاه ستين درهماً فمكث شهراً ثم جاءّ بعشرين ومائة درهم فقال : هذه ربحها . فقال : أنت كلّ شهر تربح الدرهم درهماً ينبغي أن يكون لك بيت مال أردت أن تخدعني . ثم رمى بها اليه وقال : رُدَّ عليَّ رأس مالي .

(وقال عبدالرحمن بن عمرو) إستشارني محمد بن عامر في ترك التجارة فأشرتُ عليه أنا ومحمد بن النعمان أن لايترك ، فكتب الى أخ له ببغداد ما أشرنا عليه فكتب اليه "إن أخويك لم ينصحاك إن داود الطائي باع عقدة له فقيل له لو جعلتها في التجارة يدخل عليك منها شيء فقال لا إمّا أن تسبقني وإمّا أن أسبقها فجعل ينفق منها ديناراً ديناراً فمات وقد بقي منها دينار فكُفِّنَ به" .

(وعن صالح بن مسلم العجلي) قال دخلت على داود الطائي في مرض موته وليس في بيته إلاّ دنٌّ مُقَيَّرٌ يكون فيه خبز يابس ومطهرة ولبنة كبيرة يجعلها وسادة وهو على التراب وليس في بيته بارية (يعني الحصير) ولا قليل ولا كثير . (وكان) من جيران داود إمرأة كبيرة أختها من الرضاع فصنعت يوماً ثريدة بسمن ثم بعثت بها اليه حين إفطاره مع جارية لها . قالت الجارية "فأتيته بالقصعة فوضعها بين يديه فسعى ليأكل منها فوقف سائل على الباب فقام ودفع اليه القصعة وجلس معه على الباب حتى أكلها . ثم دخل فغسل القصعة ثم عمد الى تمر كان بين يديه ظننت أنه كان أعدّهُ لعشائه فوضعه في القصعة ودفعها اليّ وقال أقرئيها السلام . فأعطى السائل ماجئناه به وأعطاني ما أراد أن يفطر عليه وأظنّهُ مابات إلاّ طاوياً وكان قد نحلَ جداً" .

(وكان) في ليلة مقمرة فقام يمشي على السطح وهو شاخص حتى وقع في دار جارٍ له ، قال فوثب صاحب الدار عرياناً من الفراش وأخذ السيف وظنّ أنه لصّ فلما رأى داود رجع ولبس ثيابه ووضع السيف وأخذ بيد داود حتى ردّهُ الى داره فقيل له ذلك فقال مادريتُ وماشعرت .

(وقال أبو خالد) مررتُ أنا وسفيان الثوري بمنزل داود فقال لي سفيان : أدخل بنا اليه نسلّم عليه .

فدخلنا فما إحتفل بسفيان ولا إنبسط له فلما خرجنا قلت له : ياأبا عبدالله غاظني ماصنع بك . قال : أي شيءٍ صنع بي ؟ قلت : لم يحتفل بك ولم يبتسم اليك . قال : إن أبا سليمان لايهتم في مودّته أما رأيت غيبته عن نفسه هذا في شيء غير ما نحنُ فيه .

(وقال حماد بن الحنفيّة) جئت أنا والحسن بن زياد الى داود فقرعتُ الباب فخرجَت عجوز ثم ردّت الباب ورجعت تستأذن فسمعته يقول "مادخل من داخل الدارَ ماأنا والناس وماأنا حتى يأتيني الناس ؟" ثم أذن لنا . فلما دخلنا عليه قلت له : بلغني يا أبا سليمان إنك تقول "إذا صلّى العبد وهو جُنُب بقوم أعاد ولم يعيدوا" . قال : كذا أقول . قلت : إن أبي وأصحابنا يقولون إن عليهم الإعادة .

قال داود : إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال "يعيدُ ولايعيدون" وما اُبالي إذا وافقت عمر بن الخطاب بمن خالفت من أهل الأرض من بعده .

(ومرّ) داود يوماً بموضع فلما وقع نظره عليه خرَّ مغشياً عليه فحُمل الى منزله ، فلما أفاق سُئل عن ذلك . فقال "تذكرت أني كنت قد إغتبتُ رجلاً في هذا الموضع فذكرت مطالبتهُ إياي بين يدي الله عزّ وجلّ فلم أملك نفسي لأجل ذلك .

(وقدمَ) محد بن قحطبة الكوفة وهو إبن عم داود فطلب مؤدباً يؤدّب أولاده حافظاً للقرآن عارفاً بالسنن والآثار والفقه والنحو والتفسير والأصول والشعر وأيام الناس . فقيل له مايجمع هذه العلوم إلاّ داود الطائي . فأرسل اليه يعرض عليه ذلك ويسني له الأرزاق فلم يقبل . فأرسل اليه بدرة عشرة آلاف درهم صلة فلم يقبلها . فأرسل اليه بدرتين مع مملوكين وقال لهما إن قبلهما فإنهما حرّان . فلم يقبلهما فقالا له إن في قبولهما عتقنا ، فقال لكن في قبولهما رقّي ورهن رقبتي في النار إرجعا اليه وقولا له يردّهما الى مَن أخذهما منه .

(وصام) أربعين سنة لايعلم به أهله وكان خرازاً وكان يحمل غداءه معه ويتصدّق به في الطريق ويرجع الى أهله ويفطر عندهم عشاءً . (ولقيه) رجل فسأله عن حديث فقال له "دعني فإني أبادر خروج نفسي" .(وكان) سفيان الثوري إذا ذُكرَ داود عَظَمَ أمره . (وقال) عبدالله بن المبارك وهل الأمر إلاّ ما كان عليه داود .

(وكان يقول) سبقني العابدون وقطع بي وا لهفاه . (وقال) إنما شرع تعلّم العلم ليعمل به الطالب أولاً فأولاً ، فإذا قطع عمره في تحصيله فمتى يعمل . (وقال) علامةُ كمال الزهد في الدنيا ترك مجالسة أهلها وعيادتهم إذا مرضوا إلاّ بنيّة خالصة عن العلك . (وكان) لايتجرآ أن يسأل الله الجنة ويقول وددت أن أنجو من النار وأصير تراباً . (وقال) له رجل أوصني فقال عسكر الموت ينتظرك . (وقال) له آخر أوصني ، قال "أقللْ من معرفة الناس" قال زدني ، قال "إرضَ بالقليل من الدنيا مع سلامة الدين كما رَضيَ بها أهل الدنيا مع فساد الدين" . (وقال) إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي بهم ذلك الى آخر سفرهم ، فإن إستطعت أن تقدّم في كل مرحلة زاداً لما بين يديها فافعل فتزّود لسفرك واقض ماأنت قاض فإنك بالأمر قد بغتك والسلام . (وقال) لاتمهُر الدنيا دينَك فمن أمهَرَها دينهُ زفّت اليه الندم . (وقال رجل) أريد تعلّم الرمي ، فقال الرمي حسنٌ لكنها أيامك فأنظر بما تقطعها . (وقال) إن كان لك بدينكَ حاجة ففرَّ من الناس فرارك من الأسد ، صغيرهم لايوقّرُك وكبيرهم يُحصي عليك عيوبَك . (وقال) مسكين إبنَ آدم قطع الأحجار أهون

عليه من ترك الأوزار . (وقال) إصحَبْ أهل التقوى فإنهم أيسرُ أهل الدنيا مؤنةً عليك وأكثرهم معونةً لك . (وقال) لسفيان الثوري رضي الله عنهما "إذا كنت تشرب الماء المبرَّد وتأكل اللذيذ المُطيَّب وتمشي في الظل فمتى تحب الموت والقدوم على الله ؟" فبكى سفيان .

(وقال الغزالي قدّس الله سرّه) دخل رجلٌ على داود فقال له : ماحاجتك ؟ قال : جئت لزيارتك . قال : أما أنت فقد عملت خيراً حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل بي أنا إذا قيل لي مَن أنت فتُزار أمِنَ الزُهّاد أنت لا والله أمِنَ الصالحين أنت لا والله ." ثم أقبل يوبّخ نفسه ويقول كنت في الشبيبة فاسقاً فلما كبرت صرتُ مُرائياً والله لَلْمُرائي أشرُّ من الفاسق .

(وقال) إني أستحيي من الله أن يراني أخطو خطوة ألتمس فيها راحة نفسي في الدنيا حتى يخرجني منها . (وقيل له) لو أصلحت سقف هذا البيت . قال "أما علمتَ أنهم كانوا يكرهون فضول النظر وقد كان في سقف مجاهد خشبة مكسورة لم يشعر بها مدّة ستين سنة" . (ودخل) أحد أصحابه مع صديق له على داود رضي الله عنه وهو على التراب فقال لصاحبه هذا رجل زهد . فقال داود "إنما الزاهد من قَدَر فترك" . (وقال) ماخرجَ عبد من ذلّ المعاصي الى عزّ التقوى إلاّ أغناه الله بلا مال وأعزّه بلا عشيرة وآنسهُ بلا أنيس . (وقال) كل نفسٍ تردُ على همِّها فمهموم بخير ومهموم بشرّ . (وقال له رجل) دُلَّني على رجلٍ أجلس اليه . قال تلك ضالَّةٌ لاتوجد .

(ورُؤي) يوماً بشاطيء الفرات واقفاً مبهوتاً ، فقيل له : مايوقفُكَ هنا ؟ قال : أنظرُ الى الفُلك تجري في البحر مسخَّراتٍ بأمره .

(وكان) يقول مانقول إلاّ على حُسن الظن بالله لإستيلاء التفريط على الأبدان .

(وقال) حماد له رضي الله عنهما : يا أبا سليمان لقد رضيت من الدنيا باليسير . قال : أفلا أدُلُّكَ على مَن رضيَ بأقل مما رضيت ، مَن رضي بالدنيا كلّها عوضاً عن الآخرة .

(وقال) مَن خافَ الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال أمله ضعُف عمله وكلّ آتٍ قريب ولكّ ماشَغَلَكَ عن ربِّك فهو عليك مشؤوم . (وقال) إن أهل الدنيا جميعاً من أهل القبور وإنما يفرحون بما يقدمون ويندمون على مايخلّفون ، فما عليه أهل القبور ندموا ، أهل الدنيا يتقاتلون عليه ويتنافسون .

(وقيل له) ماتقول في رجلٍ دخل على هؤلاء الأمراء فأمرَهم بمعروفٍ ونهاهم عن منكر ؟ قال : أخاف عليه السوء . قيل : إنه يقوى . قال : أخاف عليه السيف . قيل : إنه يقوى . قال : أخاف عليه الداء الدفين العُجب .

(وكانت) النملة تدور في وجهه طولاً وعرضاً فلايفطن لها من الهمّ والتفكُّر . (وقال محمد بن الحسن) كنت إذا جئت أسأله عن المسألة فإن وقع في قلبه أنها مما أحتاجه في أمر ديني أجابني وإن وقع في قلبه أنها من مسائلنا هذه تبسّم في وجهي وقال إن لنا شغلاً عن ذلك .

(وقيل له) بعدما إنقطع وإنعزل كنت تلازم أبا حنيفة وصحبه ثم إعتزلتهم ، قال "إذا كنا دهرنا في جمع الآلات فمتى يكون البناء ؟"

(وقال) إنما بغيّة الأكياس مُلكٌ لا زوال له وعيش لا موت فيه . (وقال) صُم عن الدنيا وأفطرْ على الموت إذا كان عند المعاينة أتاك خازن الجنان بشَربة من ماء الجنّة تشربها على فراشك فتخرج من الدنيا وأنت ريّان وتنزل القبر وأنت ريّان وتخرج منه وأنت ريّان ويمكث الناس يترددون في ظلمة

القيامة جياعاً عطاشاً ماشاء الله وأنت ريّان .

(وقال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه) عـزّيتُ داود الطائي في أخٍ له ، فقلت له : ألهمكَ الله الصبر والإحسان ووهبَ لك المغفرة والرحمة والهدى وإنا لله وإنا إليه راجعون . فقال : سبيل الناس كلّهم الى الموت فمن أبغض الدنيا تبعتْهُ ومن أحبّها فلّتتْهُ ومن وثق بها خذلتهُ فإتّقِ الدنيا فإنها أسحرُ من هاروت وماروت .

(وقال) لو أمّلتُ أن أعيش شهراً لرأيتني قد أتيت عظيماً وكيف أؤمّل ذلك وأرى الفجائع تغشى الخلائق في ساعات الليل والنهار .

(وبلغهُ) أنه ذُكر عند بعض الأمراء فأثنى عليه ، قال "إنما نبتغي ستره بين خلقه ولو يعلم الناس بعض ما نحن فيه ماذلّ لنا لسان بذكر خيرٍ أبداً" .

(وقال له) شعيب بن طلحة : أريد أن أشتري داراً بقربك ليكثر لقائي لك . فقال : إن مودّة يغيّرها قلة اللقاء لمَودّة مدخولة .

(وقال) ماتت إمرأة بجواري ولم يكن لها كثير طاعة في الظاهر ، فرأيت في النوم كأن قائلاً يقول يا داود إطّلع في قبرها فاطّلعت فرأيت فيه نوراً عظيماً وفرشاً وطيئة وسُرراً عالية ، فقلت ياربِّ بماذا إستوجبت هذه المنزلة . فنُوديتُ ياداود إستأنست بنا في سجدتها فأنسناها في وحدتها .

(وجاءه) بعض أصحابه بألفي درهم فقال داود : ياأبا سليمان هذا شيء جاءك الله به لم تطلبه وهو كما علمت حلالاً إنه لمَن أمثل ماتأخذون . قال : فما يمنعك منه ؟ قال : لعلّ تركه ان يكون أنجى .

(وجاءه) الفضيل بن عياض يوماً فلم يفتح له وجلس خارج الباب وداود داخله يبكي . فقيل لمحمد بن بشر كيف لم يفتح له الباب ، قال قد كان يفتح لهم فكثروا عليه فغمّوه فحجبهم كلّهم فمن جاء كلّمه من وراء الباب .

(وإحتجَمَ) يوماً فأعطى الحجّام أجرته ديناراً فقال الحجّام : هذا إسراف . فقال : لا عبادة لمن لا مروءة له .

(وقال) رأيت ولّياً من أولياء الله تعالى فقلت : ماغاية بلوغ محبّة الله من قلبك ؟ فقال : لو جعل حساب الخلائق كلّهم معي لسرّني ذلك ورغبتُ فيه . فقلت : ولمَ ذاك ؟ قال : ياداود وهل للعبد مقامٌ أشرف من وقوفه بين يدي الله عزّ وجلّ وهو يشاهده ويخاطبه . والله العظيم إن ذلك عندي أشرف الدرجات .

(وقال) إيّاكم أن يتخذ أحدكم في داره أكثر من زاد الراكب الى البلاد البعيدة .

(ورأى) بعضهم في المنام كأن قائلاً يقول مَن يحضر مَن يحضر ؟ قال فأتيته فقال ماتريد قلت سمعتك تقول مَن يحضر مَن يحضر فأتيتك أسألك معنى كلامك ، فقال لي أما ترى القائم الذي يخطب على الناس ويخبرهم عن أعلى مراتب الأولياء فادركه فلعلك تلحقه وتسمع كلامه قبل إنصرافه ، فأتيته فإذا الناس حوله وهو يقول :

مانال عبدٌ من الرحمن منزلةً ... أعلى من الشوق إن الشوقَ محمودُ

ثم سلّم ونزل فقلت لرجل الى جنبي مَن هذا ؟ قال أما تعرفه ؟ قلت لا . قال هذا داود الطائي فتعجّبت من منامي ومما رأيت منه .

(وكان يقول) كفى باليقين زُهداً وكفى بالعلم عبادة وكفى بالعبادة شغلاً . (وقالت له) مولاته :

ياسيدي أما تشتهي الخبز ؟ فقال لها : بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية .

(وسبب مرض موته) أنه مرّ بآية فيها ذكر النار فكررها فأصبح مريضاً فدخل إخوانه وهو يبيت على التراب وتحت رأسه لَبِنة فلما مات خرج في جنازته ألوف حتى ذوات الخدور وحُمل على سريرين أو ثلاثة فإن السرير كان يتكسّر من زحام الناس فيُغيّر وصُليَ عليه مراراً عديدة .

(وقال محمد بن عيسى الواني) رأيت الناس يأتون ثلاث ليال مخافة أن تفوتهم جنازة داود ورأيت الناس كلّهم يبكون عليه ماشبّهتهُ إلاّ بيوم الخروج .

(توفي) سنة إثنتين وستين ومائة في السنة التي توفي فيها إبراهيم بن أدهم رضي الله عنهما . ولما وصلت جنازته الى القبر قال إبن داود السمّاك :

"ماأعجب شأنك فإنك ألزمتَ نفسك الصمت حتى قوّيتها على العدل وأهَنتَها وإنما تريد كرامتها . وأذلَلْتها وإنما تريدُ عزّها ووضعتَها وإنما تريد تشريفَها وأتعبتَها وإنما تريد راحتَها . وأجَعتَها وإنما تريد شبعَها وأظمأتها وإنما تريد ريَّها ، وخشّنتَ الملبَس وإنما تريد تليينه . وأمَتَّ نفسك قبل أن تموت وقبَرتَها قبل أن تُقبَر وعذَّبتها قبل أن تُعذَّبْ وغيّبتَها عن الناس لكي لاتُذكَر . ورغبتَ بنفسكَ عن الدنيا فلم ترَ لها قدراً ولا خطَراً ، وفَقهتَ في دينك ثم تركت الناس جالساً . ماأحسبُكَ إلاّ قد إتّبعتَ العابدين . فما أصغر مابذلت وماأحقر ماتركتَ في جنب ماأمّلت وطلبت . أما أنت فقد ظفرت برَوح العاجل وسعدتَ بعبادة الله عزّ وجلّ في الآجل . فلما شهِدَ ربك وألبَسَك رداء عملك لأنك لم تُشب ماعملتَ في سرّك فأظهر الله عزّ وجلّ اليوم ذلك . فلو رأيت اليوم كثرة مَنْ تبعك عرفت أن ربك سبحانه وتعالى قد أكرمَك وشرّفَكَ . فقل لعشيرتك اليوم تتكل بألسنتها فقد أظهر الله عزّ وجلّ اليوم فضلها . إن ربّك سبحانه وتعالى لايضيّع مطيعها ولاينسى صنيعها شكر لخلقه ما صنع هو بهم فيما أنعمَ عليهم من شكرهم إياه فسبحانه شاكراً ومجازياً ومثيباً .

(ولما) فرغ إبن السمّاك قام أبو بكر بن عيّاش على شفير القبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

"ياربّ إن الناس قد قالوا مبلغ ما عندهم مما علموا اللّهم إغفر له برحمتك ولاتَكِلهُ الى عمله"

فأعجب الناس مما قال أبو بكر .

(وقال) محارب بن دثار لو كان داود في الأمم الماضية لقصّ الله علينا شيئاً من خبره رضي الله عنه ، ثم تلقى سرّ هذه النسبة الشريفة عنه سيدنا معروف الكرخي رضي الله عنه .

سيدنا معروف الكرخي

رضي الله عنه

هذا السيد المولى من رجال السلسة العلوية الأولى وبواسطته تلتقي بها هذه السلسلة وقد حصل لهذا السفر بركة ذكر جملة من مأثره غير مجملة فيما تقدّم فلنصرف وجه القلم الى الكلام على رجال السلسلة الثالثة الصدّيقية الأعلام .

السلسلة الثالثة الصدّيقية للطريقة العلية النقشبندية
(قدّس الله أسرار سراتها السنية)

تقرر في المقدمة أوله باعث إرجاء هذه السلسلة من انه لإتساع مجال الكلام على ترجمة أحوال رجالها السادة العظام بسبب كثرتهم وإتصالهم بهذه الأيام وتنظيماً لحسنها وتعظيماً لشأنها جوهرتها بذكر إسم جوهرة كنز الثَّقَلَين وخلاصة الكونين كما صنعت ذلك في السلسلتين السابقتين (أول التعيينات عليه أشرف الصلوات وأكمل التسليمات) قدمت الآن موجب تكرار إسمه المرفّع الشأن راجياً دعوة بركته الوفية وراغباً بذلك الى درج القصيدة في هذه الدرج محمدية تشتمل على مدحه والإستغاثة به والإلتجاء الى أبوابه والتحدّث برؤياه في حضرة منامیه :

لَمْ أمدحنَّ محمداً بقصيدتي ... ولكن مدحتُ قصيدتي بمحمدِ

لعلي أن أشرف على خدمته وأنظم في سلك مداح رفيع عنبته . والوصول الى القبول مأمول من رحمة الرسول عليه من الصلوات أعمّها والتسليمات أتمّها ، فقلت :

إلهي بجاهِ المصطفى أتوسّل ... إليكَ لعلّي للمنى أتوصّلُ
بجاه رداء الكبرياء الذي به ... تجمّل بالتفصيلِ ما هو مجمّلُ
حبيبك جارُ المستجير الذي غدا ... جميع الورى في ظلّه تتظللُ
رسولٌ تعالى أن تحيط بوصفه ... عقول عن العلم اللدُنيّ تعقلُ
له معجزاتٌ لاتُعدٌّ فتنتهي ... وبحر علوم لايُحدّ فيُعقلُ
وجاهٌ عريض لايُردّ مُرادهُ ... وفضلٌ عميمٌ لايقلٌّ فيبخلُ
وخُلُقٌ عظيم لا نظير له كما ... عليه أتى يُثني الكتاب المنزَّلُ
فسبحان من أسرى به وأنالَهُ ... مقاماً عليّاً لم ينَلهُ التخيّلُ
وما من رسولٍ قبله جاء داعياً ... الى الله إلاّ وهو عنه موكَّلُ
فروحي روحي لإفتداء جلاله ... وأعظِم بروحٍ للفدا تتواصلُ
وسِرْبي سِرٍ بي للنبيّ محمد ... فوادي فؤادي بالبلاء مبلبلُ
ودعني أقف ببابه متذلّلاً ... فماخابَ من في بابه يتذلّلُ
لعلّ رسول الله يقبلني إذا ... رفعتُ اليه عرضُ حالي ويقبلُ
ويصرف صرف الدهر عنّي فإنني ... على غير خير الأنبيا لاأعوِّلُ
ولِي أملٌ في فضله مثل ما له ... عظيم مقامٍ في العُلا لايمثَّلُ
وإنْ سوَّدَ العصيان وجه صحيفتي ... بتبييضها إستغفاره يتكفّلُ
نعم أنعَمَ المختار من محضِ فضلهِ ... على العبد بالبشرى ونعمَ التفضُّلُ
وشرّفَ قدري شرّفَ اللهَ قدره ... بتقبيل نعل طاب منه المقبِّلُ
بتقبيل نعل سِدرة المنتهى غدت ... كحضرةٍ أو أدنى به تتجمّلُ
بتقبيل نعلَ الهاشميّ الذي له ... ملائكة الرحمن تحمي وتحمِلُ

وحــــوّلَ عــــين ذلك الهــــول بالتي	تليــق ولولا فــضــــــــــله لايـــحوّلُ
فـــاشـــكره شـــكراً يلــيق بفــضله	واشكـــو له مــا قــلّ عنــــه التـحـمُّلُ
وأحـــمَـــدُهُ مــادمتُ حــيــاً وكــيف لا	وأحـمـدُ نــعم المنعـــمُ المتـــــفـضِّلُ
وأســـتـــغـــفـــر الله اليـــه مـــن الذي	حـملتُ مـــن الوزرِ العظـيمِ وأحــمــلُ
صـــلاة صـــلاة الله ثـــم ســـلامـــه	عليـه بـه منـــــــه اليــــه تنـــزّلُ
مع الآل والأصـــحـــاب والتـــابعين من	بدور الهــــــدى من نورهم تتكمّـــلُ

ثم سرى هذا السرّ وتحوّل من إمام الأمم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خليفته الأول ومن عليه في الدين والدنيا المعوَّل سيد سادات الطريق الإمام أبي بكرٍ الصدّيق رضي الله عنه .

سيّدنا الإمام أبو بكر الصديق
رضي الله عنه

ماذا يقول أقلَّ العبيد في تنويه مَن أُنزل فيه من القرآن المجيد قوله (وسيجَنَّبُها الأتقى الذي يوتي ماله يتزكّى وما لأحدٍ عنده من نعمةٍ تُجزى إلاّ إبتغاء وجه ربّه الأعلى ولسوف يرضى) . وقوله تعالى (فأمّا من أعطى واتّقى وصدّق بالحُسنى فسنيسّره لليُسرى) . وقوله تعالى (ثاني إثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا) . ولما نزل قوله تعالى (ولمَنْ خاف مقام ربّه جنّتان) . وقوله تعالى (ووصّينا الإنسان بوالديه إحساناً) . ولما نزل قوله تعالى (إن الله وملائكته يصلّون على النبي) قال رضي الله عنه يارسول ماأنزل عليك خيراً إلاّ أُشركنا فيه فنزل (هو الذي يصلّي عليكم وملائكته) وقوله تعالى (وشاورهم في الأمر) وفي عمر رضي الله عنه عنهما . وقوله تعالى (نزعنا ما في صدورهم من غلٍّ إخواناً) فيه وفي عمر رضي الله عنهم الى غير ذلك .

وورود شأنه من الأحاديث الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم : "ماطلعت شمس ولا غربَت على أحد أفضل من أبي بكر إلاّ أن يكون نبيّ" . وقوله صلى الله عليه وسلم : "حب أبي بكر وشكره واجب على أمتي" . وقوله صلى الله عليه وسلم : "أرْحَمُ أمتي بأمتي أبو بكر" . وقوله صلى الله عليه وسلم : "إن روح القدس جبريل أخبرني إن خير أمتك بعدك أبو بكر" . وقوله صلى الله عليه وسلم : "الله يكره في السماء أن يُخطيء أبو بكر في الأرض" . وقوله صلى الله عليه وسلم : "ما لأحدٍ عندنا يداً إلاّ كافأناه إلاّ أبا بكر ، فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة ومانفعني مال أحدٍ قطّ مانفعني مال أبي بكر" . وقوله صلى الله عليه وسلم : "إن من أمَنَ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر ولو كنتُ متخذاً خليلاً غير ربّي لإتخذتُ أبا بكر خليلاً ولكن إخوة الإسلام" . ومثل ذلك مما ملئت منه كتب الحديث والآثار .

(وهو رضي الله عنه) أول من أسلم وأول مَن سُمّيَ خليفة وأول مَن جمع القرآن وأول من سمّاه مصحفاً وأول خليفة فرض له رعيته العطاء وأول مَن إتخذ بيت المال وأول مَن لقب في الإسلام بالعتيق وأول مَن نافحَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأول مَن أنفق أمواله الجمّاء الغفير من المسلمين عليه صلى الله وسلم ، وأول مَن وُلّيَ الخلافة وأبوه حيّ وأول مَن عهد بها ، وأول مَن تسمّى بالصدّيق وأول خليفة ورثه أبوه . وهو ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام وثانيه في الهجرة وثانيه في الغار وثانيه في العرش وثانيه في القبر .

وله رضي الله عنه في الإسلام المواقف العالية وعلى الأمة المحمدية الأيادي المتوالية منها : قصة صبيحة يوم الإسراء وثباته وجوابه الكفّار في ذلك . وهجرته مع النبي صلى الله عليه وسلم تاركاً المال والعيال والأطفال . وفداؤه بنفسه في الغار ، ثم كلامه يوم بدرٍ والحديبية . وثباته حين إشتبه الأمر على غيره ، ففي تأخير دخوله مكة ثم فهمه وبكاؤه بشدّة حينما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم "إن عبداً خيّره الله بين الدنيا والآخرة فإختار ما عنده" . ثم ثباته عند المصيبة العظمى بإنتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم التي خرسَ عندها فحول الرجال . ولذلك قال بعض أهل الكمال إنه أشجع الصحابة في الأقوال والأفعال . وقتاله لأهل الردّة وبعث جيش أسامة في تلك الشدّة وقتله مسيلمة الكذاب . وإستخلافه عمر بن

الخطّاب . وكَمْ له رضي الله عنه من مواقف وأثر ومناقب لاتحصى ولاتُحصر .

(وكان) يقال له الأوّاه لشدّة رأفته وكمال تقواه ، فأعظِم به من رفيق صديق توحّد في الأحوال بالتحقيق مختار الإختيار مَن دعاه الى أقوم طريق حتى صار للمحنة هدفاً وللبلاء غرضاً ، وزهدَ فيما عَنَّ له من جواهر وعرضاً . تفرّد بالحق عن الإلتفات لـلخَلق حتى جمع بين الجمع والفرَق . وقد قيل (التصوّف) الإعتصام بالحقائق عند تباين الطرائق ، وقيل أحوال قاهرة وأخلاق طاهرة وحقائق ظاهرة .

(وأُكرِمَ) بسماعه مناجاة جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لم يرَه وإرسال السلام من الحقّ تعالى له مع جبريل عليه السلام وقول الله تعالى على لسان جبريل "هل أنت راضٍ عنّي بفقرك" وإختصاصه بإسم الصحبة والمعيّة الخاصة . (وكان رضي الله عنه) يتوصل بعد الوفا الى أربع مواقف الصفا وقد قيل (التصوّف) تفرّد العبد بالواحد الصمد الفرد .

(وكان) من أخلاقه الكاملة وأحواله الشريفة الفاضلة العزوف عن العاجلة للأزوف من الآجلة ، وقد قيل (التصوّف) تطليق الدنيا بتاتاً والإعراض عن منالها ثباتاً . إستسقى يوماً فأتي بإناء فيه ماء فغسل فبكى وأبكى من حوله فسكت وسكتوا ، ثم عاد فبكى حتى علا النحيب وتواجد البعيد والقريب ثم أفاق من غشيته ومسح وجهه ببردته ، فقالوا : ماهاجَك على ذلك حتى ظنَّ كلٌّ منا أنه هالك ؟ قال : كنت مع المصطفى صلى الله عليه وسلم فجعل يدفع عنه شيئاً ويقول إليك عنّي إليك عنّي ولم أرَ معه أحداً ، فسألته فقال "هذه الدنيا تمثّلت لي بما فيها فزجرتها فتنحّت وقالت أما والله لأن إنفلتَّ منّي لاينفلت منّي من بعدك" فخشيت أن تكون لحقتني فذلك الذي أبكاني .

(وكان) لايفارق الجدّ ولايجاور الحدّ وقد قيل (التصوّف) الجدّ في السلوك الى ملك الملوك . وكان يقدم على المضار لما يؤمّل من المسار وقد قيل (التصوّف) السكون الى اللهيب في الحنين الى الحبيب . وكان يقدّم الحقير معتاضاً للخطير وقد قيل (التصوّف) وقف الهمم على مولى النِعَمْ . أتى المصطفى صلى الله عليه وسلم بصدقته فأخفاها وقال هذه صدقتي ولله عندي معاد . وجاء عمر رضي الله عنه بصدقته فأفشاها وقال لي عند الله معاد . فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم ياعمر وتّرتَ قوسَكْ بغير وَتَر مابين صدقتيكما كما بين كلمتيكما .

(وكان) في المصافاة صافياً وفي الموافاة وافياً ، وقد قيل (التصوّف) إستنفاذ الطوق في معاناة الشوق وترجئة الأمور على تصفية الصدور . (وكان رضي الله عنه) أخزمَ الناس رأياً وأعلمهم بتعبير الرؤيا وأكمل الصحابة عقلاً وأكثرهم صواباً قولاً وفعلاً . وكفاه شرفاً وفضلاً قول إمام المرسلين : "إن الله يكره فوق سمائه أن يخطيء أبو بكر الصدّيق" .

وكان أعلم الناس به وأخوفهم له حتى كان يخرج من جوفه ريح الكبد المشوية . وكان يحتاط في مأكله ومشربه أشدّ إحتياط وإذا أكل أو شرب ما فيه شُبهة ثم علمهُ إستقاء بإفراط . شرب لبناً من كسب عبده ثم سأله ، فقال تكّنت لقوم فأعطوني فأدخل اصبعه في فيه وتقيأ حتى ظنَّ أن نفسه ستخرج ، ثم قال اللّهم إني أعتذر إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء . (قال في الأحياء) كان يطوي ستة أيام وكان يأخذ بطرف لسانه ويقول هذا أورد بي الموارد .

(ومن كلامه رضي الله عنه) لاخير في قول لايُراد به وجه الله تعالى ولا في مالٍ لايُنفق منه في سبيل الله تعالى ولا فيمَنْ يغلب جهله حلمه ولا فيمَنْ يخاف في الله لومة لائم . (ومنه) إذا دخل

العبد العُجب بشيء من زينة الدنيا مَقتهُ الله حتى يفارق تلك الزينة . (ومنه) وجدنا الكرم في التقوى والغنى في اليقين والشرف في التواضع . (ومنه) مَن ذاق من خالص المعرفة شيئاً شغله ذلك عمّا سوى الله وإستوحش من جميع البشر . (ومنه) مَن مقتَ نفسه في ذات الله أمنهُ الله من مقته . (ومنه) إيّاكم والفخر ومافخرُ مَن خُلق من تراب ثم يعود اليه ثم يأكله الدود . (ومنه) لاخير في خير بعده النار ولا شرّ في شرّ بعده الجنّة .

(ودخل) رضي الله عنه حائطاً فإذا بطير في ظل شجرة فتنفّس الصعداء وقال "طوبى لك ياطير تأكل وتستظلُّ بالشجر وتصير الى غير حساب ياليت أبا بكر مثلك" .

(وكان رضي الله عنه) إذا مُدحَ قال اللّهم أنت أعلم منّي بنفسي وأنا أعلمُ بنفسي منهم فاجعلني خيراً مما يظنون وإغفر لي ما لايعلمون ولاتؤاخذني بمايقولون .

(وكان) رضي الله عنه إذا قام الى الصلاة كأنه عود مقطوع لما يعتريه من الخشوع .

(وقال رضي الله عنه) وددتُ أني شجرة تُؤكل وتعضد ، ولما مرض قيل ألا ندعو لك طبيباً ؟ قال قد رآني ، قالوا ماقال لك ؟ قال "قال لي إني فعّال لما أريد" . ثم دعا عمر رضي الله عنه فوعظه حتى أبكاه ، ثم قال إن حفظت وصيتي فلايكُ غائب أحبَّ إليكَ من الموت وهو أتيك وإن أنت ضيّعتها فلايكُ غائب أبغضَ إليكَ منه ولستَ بمعجزهُ . ثم قال لمن حضر أوصيكم بالله لفقركم وفاقتكم تتّقوه وأن تثنوا عليه بما هو أهلهُ وأن تستغفروه إنه كان غفّاراً والسلام .

(توفي) بين المغرب والعشاء ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة عن ثلاث وستين سنة على الأصحّ . وفي "تاريخ إبن عساكر" عن الأصمعي قال : قال خفاف بن ندبة السلمي يبكي أبا بكر شعراً ويندبه :

ليس لحبي فاعلمنّهُ بقا	وكلّ دنيا أمرها للفنا
والملك في الأقوام مستودعٌ	عاريةٌ فالشرط فيه الأدا
والمرءُ يسعى وله راصدٌ	تندبهُ العين ونار الصدا
يهوم أو يقتل أو يقهرهُ	يشكوه سقم ليس فيه شفا
إن أبا بكر هو الغيث إن	لم تزرع الجوزاء بقلاً بما
تالله لايدرك أيامه	ذو مئزر رناش ولا ذو ردا
مَن يسع كي يدرك أيامه	مجتهداً شذّ بأرضٍ فضا

وقد أشبع الجلال السيوطي رحمه الله تعالى الكلام على ترجمته مفصّلاً في كتابه "تاريخ الخلفاء" فمن أحبّ الزيادة فليرجع اليه . ولما بلغ بي اليراع الى هذا المكان غاص في بحر محبّته وصاغ هذه القصيدة في خدمة مدحته رضوان الله عليه :

تجلّى في السموات الكمالُ	وطالعهُ جلالاً في جلالِ
وقد ضلّ الورى في ليل كفرٍ	ولم يدروا حراماً من حلالَ
فأشرقت العوالم من سناه	ومَزّق بالهدى بُردَ الضلالَ
ختام الرسل خير الخلق طه	شفيع الكلِّ في يوم السؤالَ
فبالإيمان أهدى كلّ هَدى	وبالإحسان حسّنَ كلّ حالِ

ونال به الصحابة كلَّ فضلٍ ... وفضلُ المصطفى بحر النوالِ
دعاهم للهداية فاستجابوا ... دُعاهُ باحتفاءٍ واحتفالِ
وحنّوا إذ حَنَوا قلباً عليه ... الى شرف المعارفِ والمعالي
فما يُقضيه يُمضيه تعالى ... ويُفضي للتقدمِ والتعالي
فمنهم بالشريعة ذو إنصافٍ ... ومنهم بالحقيقة ذو إتصالِ
ومنهم مَن له قدم عظيمٌ ... من الأمرين فوق الكلِّ عالِ
وذلك هو أعلاهم مقاماً ... وأعلمهُم بحالٍ أو مقالِ
أبو بكرٍ خليفته المفدّى ... وبعد الأنبيا خير الرجالِ
هو الصدّيق مَن نال الأماني ... بصدقٍ ، والمنى صعبُ المنالِ
إمامُ الكلِّ أول مَن تصدّى ... لتصديق النبيِّ بكلِّ قالِ
وثبّت جأشهُ وحما حماه ... ومال اليه ينفقُ كلَّ مالِ
وأدنى في فداه كلَّ عالٍ ... من الدنيا وأرخصَ كلَّ غالِ
فكم أفنى صياماً من نهارٍ ... وكم أحيا قياماً من ليالِ
وفادى من أسيرٍ ورقيقٍ ... لوجه الله كالمولى بلالِ
وأوقع فيه أهل الشرك شرّاً ... تدكُّ له الجبال فلم يُبالِ
فقابل كلَّ مكروهٍ بما لا ... يُطاقُ من الرضا والإحتمالِ
وناضل عن رسول الله يعدو ... على أعدائه حقَّ النضالِ
وهاجرَ وهو ثانيَ إثنين معه ... ولم تخطُرْ الدنيا له ببالِ
وقام بنصره لم يألُ جهداً ... ببيض الهند والسمر الطوالِ
يكفُّ شرور أهل الكُفر عنه ... ويدفعُ باليمين والشمالِ
وشاد دعائم الإسلام ... دُعيَ خيرُ الورى للإنتقالِ
فأخمدَ بالخلافة نارَ خلف ... وأرضى الكلَّ من صحبٍ وآلِ
وثقفَ بالهدى رمحاً محلى ... بحُليِّ كمالٍ وإعتدالِ
وجرّد من سيوف الله سيفاً ... تجرّد عن خلاف الإمتثالِ
رقابُ المشركين له قرابٌ ... ورشفُ دمائهم ماءُ الصقالِ
كأن ذُبابهُ بالفتك فيهم ... رضيعٌ لم يُروَّع بالفصالِ
سقى الله حساماً ماهامَ شوقاً ... الى هام العدا بالإغتيالِ
كأنَّ ظباهُ صَبٌّ والأعادي ... ظباءٌ فهي في شغف الوصالِ
لسطوته الملوك الصيد ألقوا ... مقاليد البلاد بلا قتالِ
وكم مُلؤا إذا ذكروه رعباً ... فكيف إذا دعاهم للنزالِ
وكم هجروا المضاجع باضطرارٍ ... مخافة أن يروه في خيالِ
فدمّر كلَّ مرتدٍّ وأحيا ... زكاة المال حتى من عقالِ
وألقى الأسود العنسي يقفو ... مسيلمةَ الى أشقى مآلِ
وأنفذ نحو أرض الشام جيشاً ... تولّاه أسامة بإرتجالِ
فشتّت شمل قيصرَ وهو ماهو ... وألجأهُ الى ضيق المجالِ
وصالَ بعزم الله شرقاً ... وغرباً غير مقلول النصالِ

فأيّد دولة الإسلام منه   بأيدٍ لاتميل الى الملالِ

وقلّد جيدَ كلّ محمديٍّ   أياديَ أثقلت ظهر الجبالِ

أيادي قد جرَت بحراً محيطاً   فكيف تُقاسُ بالسحُبِ الثِقالِ

أيادي لايكافؤها شكوراً   عن الإسلام إلاّ ذو الَجلالِ

وأوصى بالخلافة بعد هذا   الى الفاروق حفظاً للمآلِ

محبّته على العقلاء فرض   تُنالُ به النجاة من الوبالِ

فطوبى للأولي طابت لديهم   موارد ودّهِ الصافي الزُلالِ

وويلٌ للأولي إنتحلوا عليه   فما أولاهم بالإنتحالِ

وكيف يصوغ أن يُصغى الى   ماحكى فئة الفئام من المحالِ

وإنّ الله في القرآن أثنى   عليه بما تلاهُ كلُّ تالِ

وبالحبِّ الحقيقي زادَ قُرباً   تحامَتهُ الملائكةُ العوالي

وبالذكرِ الخفيِّ لقد تمّلّى   من العلم اللدنيّ الأمالي

ولولاه لصار الناسُ فوضى   وأحكام الشريعةِ في إختلالِ

جزاهُ الله عنّا كلَّ خيرٍ   يؤدي حقّ هاتيك الفَعالِ

ومكّن جندهُ من مُبغضيه   بصفعِ النِعالِ على القَذالِ

ورضوان من الله تعالٍ   عليه إليه منه بلا إنفصالِ

وصلّى بالسلامِ على نبيٍّ   تجلّى في سموات الكمالِ

ثم تلقى سرّ هذه النسبة الشريفة منه سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه .

سيدنا سلمان الفارسي
رضي الله عنه

الإمام علم الأعلام وابن الإسلام ، الحاكم الحكيم والعالم العليم ، أحد الرفقاء والنجباء ومَن إليه تشتاق الجنّة من الغرباء . ثبت على القلّة والشدائد لما نال من الصلة والعوائد . (وقد قيل) التصوّف مقاساة القلق في مراعاة العلق .

(أصلهُ) من قرية من فرس أصفهان من ديار العجم وكان مجوسياً وقد سافر الى أرض الشام وصحب بها رهبان النصارى سنيناً عديدة ، ثم سافر الى الروم ووصل الى عمورية وهي بروسه وصحب رهبانها فأخبروه بقرب عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم . فسافر يطلب الدين مع قومه فغدروا به فباعوه لبني قريظة من اليهود . أسلم عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . ثم كوتبَ فأدى عنه صلى الله عليه وسلم كتابته وأعتقهُ . وهو عظيم المناقب ولو لم يكن من مناقبه إلاّ قوله صلى الله عليه وسلّم "السباق أربعة" وعدّهُ منهم ، وقوله صلى الله عليه وسلم "سلمان منّا أهل البيت" وقوله "إنه أحد الذين تشتاق اليهم الجنّة" وقوله "إن الله يحبُّ من أصحابي أربعة" وذكرهُ منهم .

(وكان) من أكابر الزّهّاد وتزوج إمرأة من كِندة فدخل بيتها فوجده منجّداً ، فقال "أمحموم بيتُكم أم تحولت الكعبة الى كِندة ، أوصاني خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لايكون مَتاعي من الدنيا إلاّ كزاد الراكب" فلم يدخل حتى نزع كلّ سترٍ في البيت .

(وسُئلَ) عنه عليّ كرّم الله وجهه فقال : "أدركَ العلم الأوّل والآخر بحرٌ لاينزف" . (ونزل) هو وحذيفة على نبطيّة فإلتمس منها مكاناً يصلّي فيه فقال "طهّر قلبك وصلّ حيث شئت" فبكى وقال لحذيفة "خذها حكمة من قلب كافر" .

(وكان) إذا جنّ الليل صلّى فإذا أعيا ذَكَرَ الله بلسانه فإذا أعيا تفكّر في آيات الله وعظمته ثم يقول لنفسه "إسترحت فقومي!" فإذا صلّى زماناً قال للسانه "إسترحتَ فأُذكر!" وهكذا طوال الليل . (وكان) عطاؤه خمسة آلاف درهم وكان أميراً بالمدائن على زُهاء ثلاثين ألفاً ومع ذلك يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها ، ولم يكن له بيت يظلّهُ وإنما يدور مع الظلّ حيث دار .

(وكان) إذا خرجَ عطاؤهُ فرّقهُ ولايأكل إلاّ من كدِّ يده في عمل الخوص . (وكان) يجمع ما عمله بيده فيشتري به لحماً وسمكاً ويدعو المجذومين فيأكلون معه . (وكان) غالب الناس يسخّرونه في حمل متاعهم وهو أمير لعدم معرفتهم به ولرثاثة حاله فربما عرفوه فيريدون يحملون عنه فيقول لا حتى أوصلكم الى المنزل .

(وكان) يعمل الخوص ويقول أشتري خوصاً بدرهم فأعمله فأبيعه بثلاثة دراهم فأعيد درهماً فيه وأنفق درهماً على عيالي وأتصدّق بدرهم . (وكان) لايأكل من صدقات الناس .

(وقال) له بعض غلمانه كاتبني فقال : ألكَ شيء ؟ قال : لا . قال : فمن أين تؤدي . قال : أسأل الناس . قال : أتريد أن تطعمني غُسالة الناس .

(وهو) سابق الفُرس وبلال سابقُ الحبشة .

(وأصاب) جارية فارسية فقال لها : صلّي! فقالت : لا . فقال : فاسجدي واحدة . قالت : لا . فقيل له ماتُغني سجدةً واحدة . فقال : لو سجَدَتْ صلّت وليس مَن له سهم في الإسلام كمن لا سهمَ له .

(وأرسلَ) أبا الدرداء يخطبُ له إمرأة فذكر لأهلها فضله وسابقته ، فقالوا "أما سلمان فلا نزوّجه لكن نزوّجك" فتزوّجها فخرج . فقال له : قد كان شيء أستحي أن أذكره لك . قال : ماذاك ؟ قال : فأخبره بما جرى ، فقال لأبي الدرداء : أنا أحقُّ أن أستحي منك أن أخطبها وقد كان الله قضاها لك .

(وتفاخرت) قريش عنده يوماً فقال : "لكني خُلقتُ من نُطفة مذرة ثم أعود جيفة منتنة الى الميزان فإن ثقُل ميزاني فأنا كريم وإن خفَّ فأنا لئيم" . (وخطب عمر رضي الله عنه) فقال : أنصتوا حتى أسمعكم . فقال سلمان : والله لانسمعك . فقال : لِمَ ؟ قال : لأنك تفضّل نفسك على رعيّتك . قال : كيف ؟ قال : عليك ثوبان وعلى الحاضرين ثوب واحد . فقال : مهلاً ياأبا عبدالله .

ثم نادى ياعبدالله فلم يجبه أحد فقال "ياعبدالله بن عمر" ، قال لبّيك فقال له : أنشدك الله أما تعلم أن هذا الثوب الثاني ثوبك ؟ قال عبد الله : اللهم نعم .

فقال سلمان : الآن نسمعُ لك ونطيع .

(ودخل) عليه أبو قلابة حال إمارته فوجده يعجن فقال ماهذا ؟ قال : بعثت الخادم في عمل فكرهتُ أن أجمع عليه عملين . (ودخل) رجلان في حصن بناحية المدائن وهو أميرها فسلّما ثم قالا : أنتَ سلمان ؟ قال : نعم . قالا : أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لاأدري . فارتابا وقالا لعله غير الذي نريد . فقال : أنا الذي تريدان رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجالسته ، وإنما صاحبهُ من يدخل معه الجنة .

(ودخل) على مريضٍ يعودهُ وهو في النزع فقال : "أيها المَلَك ارفقْ به" فقال المريض إنه يقول بكل مؤمن رفيق . (وكتبَ) إليه أبو الدرداء أن هلُمَّ الى الأرض المقدسة . فكتبَ اليه إن الأرض لاتقدّس أحداً وإنما يقدّس المرء عملهُ وقد بلغني أنك جعلت طبيباً فإن كنت تبرأ فنعماً لك وإن كنت متطبباً فاحذر أن تقتل إنساناً فتدخل النار . فكان أبو الدرداء إذا قضى بين إثنين فأدبر فنظر إليهما وقال : "متطبب والله إرجعا اليّ أعيدا قصتيكما" . (ودخل) على أبي الدرداء في يوم جمعة فقيل هو نائم ، فقال ماله ؟ قال إنه يحيي ليلة الجمعة ويصوم نهارها ، فأمرهم فصنعوا طعاماً ثم قال له كُلْ ، فقال إني صائم فلم يزل به حتى أكلَ ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له ، فقال صلى الله عليه وسلم : "عويمر ، سلمان أعلم منك ثلاث مرات– وهو يضرب بيده على فخذ أبي الدرداء – لاتخصَّ ليلة الجمعة بقيامٍ من بين الليالي ولا يوم الجمعة بصيامٍ من بين الأيام" .

(ولما بنى على أهله) قال لها بعدما مسح بناصيتها ودعا بالبركة : "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاني إذا إجتمعت مع أهلي أن أجتمع على طاعة الله" فقام وقامت الى المسجد فصليا مابدا لهما ثم خرج فقضى حاجته .

(ومن كراماته) أنه خرج من المدائن ومعه ضيف وإذا بظباءٍ تسير في الصحراء وطيورٍ في الهواء فقال ليأتني منكنّ طيرٌ وظبي فقد جاءني ضيفٌ أحبُّ إكرامه فأتياه فقال الرجل سبحان الله . فقال له سلمان "أتعجب ، هل رأيت عبداً أطاع الله فعصاه شيء" . (وروى) الحافظ أبو نعيم قدّس الله روحه عن الحارث بن عمير قال : "إنطلقت فأتيت المدائن فإذا أنا برجلٍ عليه ثيابٌ رثة ومعه أديم أحمر يعركهُ فإلتفت فرآني

فقال مكانك ياعبدالله ، فقلت لمن كان عندي مَنْ هذا الرجل ؟ فقال سلمان . فدخل بيته فلبس ثياباً بيضاً ثم أقبل وأخذ بيدي وصافحني وسألني . فقلت ياأبا عبدالله مارأيتني فيما مضى ولارأيتك ولاعرفتَني ولاعرفتُك . فقال بلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الأرواح جنودٌ مجنّدة فما تعارف منها إئتلفت وما تناكَرَ منها إختلفت" .

(ومن كلامه) العلم كثير والعمر قصير فخذ ما تحتاجه لدين ودعْ ماسواه . (وقال) إنما تهلك هذه الأمة قبيل نقض مواثيقها . (وقال) مَثَلُ القلب والجسد مَثَلُ أعمى ومُقعَدْ ، قال المُقعَدُ أرى ثمرة فلا أستطيع أن أقوم إليها فاحملني فحملهُ فأكلَ وأطعمَهُ . (وقال) لاتكوننَّ إن إستطعت أول من يدخل السوق ولا آخر مَنْ يخرج منها فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته . أخرجهُ مسلم .

(وقال) له عبدالله بن سلام إن متَّ قبلي فأخبرني ما تلقى وإن متُّ قبلك أخبرك . فمات سلمان قبله فرآهُ فقال كيف أنت ؟ قال بخير ، قال أي الأعمال وجدت أنفع ؟ قال وجدتُ التوكُّلَ شيئاً عجيباً . وفي رواية عليك بالتوكُّل نِعمَ الشيءُ التوكُّلْ . (وقال) إنما مَثَلُ المؤمن في الدنيا كمثل مريض معه طبيبه الذي يعلم داءه ودواءه فإذا إشتهى ما يضُرُّهُ منعه وقال لاتقربه فإنك إن أتيتهُ أهلكَكَ ولايزال يمنعهُ حتى يبرأ من وجعه ، وكذلك المؤمن يشتهي أشياء كثيرة فيمنعه الله عزّ وجلّ ويحجزه حتى يتوفّاهُ فيُدخله الجنة . (وقال) ثلاثٌ أعجبتني حتى ضحكت : مؤمِّلُ الدنيا والموتُ يطلبهُ ، وغافل وليس بمغفول عنه ، وضاحكٌ ملءُ فيه ولايعلم أساخطٌ عليه ربُّ العالمين أم راضٍ ، وثلاثٌ أحزنتني حتى بكيت : فراقُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهولُ المطلع ، والوقوف بين يدي ربّي عزّ وجلّ لاأدري الى الجنة أم الى النار .

(وقيل له) وقد إشترى وسقاً من طعام ياأبا عبدالله تفعلُ هذا وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال إن النفس إذا أحرزت قوتها إطمأنّت وفرغت لعبادة الله عزّ وجلّ ويئسَ منها الوسواس .

(وعن) عطية بن عامر قال رأيت سلمان رضي الله عنه أُكره على طعام فقال حسبي حسبي فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً في الآخرة ياسلمان إنما الدنيا سجنُ المؤمن وجنّة الكافر" . (وروى أبو الفرج رحمه الله) بسندٍ الى إبن عباس رضي الله عنهما قال :

"حدّثني سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : كنتُ فارسياً من قرية من قرى اصفهان تسمى (جي) وكان أبي دهقان قريته وكنتُ أحبَّ خلق الله إليه فلم يزل حبّهُ إياي حتّى حبسني في بيته كما تُحبسُ الجارية واجتهدتُ في المجوسيّة وكانت لأبي ضيعةٌ عظيمة يشتغل في شأنٍ له يوماً فأمرني أن أذهب الى ضيعته وأوصاني ببعض ما يريد . فخرجت أريدُ ضيعته فمررتُ بكنيسة من كنائس النصارى فسمعتُ أصواتهم فيها وهم يصلّون وكنت لاأدري ماأمر الناس لأني محبوس في البيت . فدخلتُ عليهم أنظر مايصنعون فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبتُ في أمرهم وقلتُ هذا والله خيرٌ من الذي نحن فيه . فوالله ماتركتهم حتى غربت الشمس وتركتُ ضيعة أبي فلم آتها وقلت لهم أين أصلُ هذا الدين ؟ قالوا بالشام . فرجعت الى أبي وقد بعث في طلبي وشغلتهُ عن عمله فلما جئتهُ قال : إي بُنَيَّ أين كنت ، ألم أكن عهدتُ إليكَ ماعَهدتُ ؟ قلتُ : ياأبت مررتُ بأناسٍ يصلون في كنيسة فأعجبني مارأيتُ من دينهم فوالله مازلتُ عندهم حتى غربت الشمس . قال : إي بُنَيَّ ليس في ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خيرٌ منه . قلت : كلا والله إنه لخيرٌ من ديننا .

فخافني فجعل في رجلي قيداً ثم حبسني في بيته وبعثتُ الى النصارى أنه إذا قدم عليكم تجارٌ من نصارى الشام فأخبروني بهم . فقدمَ عليهم ركبٌ من الشام فأخبروني بهم . فلما ساروا سرتُ معهم حتى قدمتُ الشام ، فسألت من أفضلُ هذا الدين قالوا الأسقف في الكنيسة فجئتُهُ فقلتُ إني أحببتُ أن أخدمك في كنيستك وأتعلم منك وأصلّي معك ، قال فادخل فدخلت معهُ . وكان رجلَ سوء يأمرهم بالصدقة ويرغب فيها فإذا جمعوا اليه منها شيئاً إكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين فأبغضتهُ بغضاً شديداً لما رأيته يصنع . ثم مات فاجتمعت اليه النصارى ليدفنوه فقلتُ لهم إن هذا رجل سوء وأخبرتهم بخبره قالوا ومأعلَمَكْ بذلك ؟ فأريتهم موضع كنزه فاستخرجوا منه سبع قُلال مملوءة ذهباً ووَرِقاً . فلما رأوها قالوا والله لاندفنه أبداً وصلبوه ثم رموه بالحجارة . ثم جاؤوا بآخر فجعلوه مكانه فما رأيتُ رجلاً أفضلَ منه صلاةً وزُهداً في الدنيا ورغبةً في الآخرة ودأباً ليلاً ونهاراً على عبادته . فأحببتهُ كثيراً وأقمتُ عنده زماناً ثم حضرتهُ الوفاة فقلتُ له إني كنت معك وأحببتك حبّاً عظيماً وقد حضَرَكَ ماترى من أمر الله تعالى فإلى مَن توصي بي وماتأمرني ؟ قال إي بنيّ والله مأعلم اليوم أحداً على ماكنتُ عليه ، لقد هلك الناس وبدّلوا وتركوا أكثر مأمروا به إلاّ رجلاً بالموصل هو فلان وهو على ما كنتُ عليه فالحقْ به . فلما مات وغُيِّب لحقتُ بصاحب الموصل فأخبرته بالوصية فقال لي أقمْ عندي . فأقمتُ عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن حضَرَتهُ الوفاة فقلت له إن فلاناً أوصاني إليك أمرني باللحوق بك وقد دنا أجلك فإلى مَنْ توصي بي وماتأمرني ؟ قال إي بُنَيّ والله مأعلم أحداً على مثل ماكنتُ عليه إلاّ رجلاً بنصيبين هو فلان فالحقْ به . فلما مات لحقتُ بصاحب نصيبين فجئته فأخبرتهُ خبري قال فأقمْ عندي فأقمت عنده . فوجدته على أمر صاحبيه خير رجل فوالله مالبث أن حضرته الوفاة ، فقلتُ له كما قلتُ للأول والثاني . قال إي بنيّ والله مأعلم أحداً بقي على أمرنا أن تأتيه إلاّ رجلاً بعمورية (هي مدينة بروسة) فإن أحببت فأته ؟ فلما مات ووريَ لحقتُ بصاحب عمورية فذكرتُ له أمري قال فأقم عندي ، فأقمتُ عند رجلٍ على عهد أصحابه فإكتسبت حتى كانت لي بقرات وغُنيمة ، ثم حلّ به أمر الله تعالى عزّ وجلّ . فلما إحتضَر قلت له مقالتي المتقدمة ، قال إي بُنيّ والله مأعلم أصبح على ماكنّا عليه أحدٌ من الناس أمرك أن تأتيه ولكنه قد أظلّكَ زمان نبيٍّ هو مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجر الى بين حرمين بينهما نخلٌ به علامات لاتخفى يأكل الهدية لا الصدقة وبين كتفيه خاتم النبوّة ، فإن إستطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل . ثم مات فدفنّاه ومكثتُ بعمورية ماشاء الله أن أمكث ، ثم مرّ بي رجال من كلب تجار فقلت لهم تحملوني الى أرض العرب وأعطيكم بقراتي وغُنيمتي هذه فقالوا نعم . فأعطيتهم إياها وحملوني . فلما قدموا بي وادي القرى ظلموني فباعوني من رجلٍ من اليهود عبداً . فكنت عنده ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي . ولم تحزن نفسي فبينما أنا عنده إذ قدم عليه إبن عمٍ له من المدينة من بني قريظة فابتاعني منه فاحتملني الى المدينة . فوالله ماهو إلاّ أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي فأقمتُ بها وبعث الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأقام بمكة مأقام ولا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شغل الرِّق . ثم هاجر الى المدينة فوالله إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل وسيدي جالس إذ أقبل إبنُ عمٍ له حتى وقف عليه فقال فلان : قاتلَ الله بني قَيْلة (يعني الأوس والخزرج) الآن والله إنهم لمجتمعون

بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعم أنه نبيّ .
فلما سمعتها أخذتني العرواء وظننتُ كأني ساقط على سيدي ونزلت عن النخلة فجعلت أقول لإبن عمه : ماذا تقول ؟ فغضب سيدي ولكمني لكمةً وقال : مالَكَ ولهذا أقبِل على عملك . قلت : لاشيء إنما أردتُ أن أستثبته عما قال .
وكان عندي شيء قد جمعته فلما أمسيت ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء . فدخلتُ عليه فقلتُ قد بلغني أنك رجلٌ صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحقّ به من غيركم وقرّبتهُ إليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه كلوا ومسك يده فلم يأكل . فقلتُ في نفسي هذه واحدة . ثم إنصرفت عنه فجمعتُ شيئاً وقد تحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجئتهُ به قلتُ : إني رأيتك لاتأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها . فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأمر أصحابه فأكلوا معه فقلتُ في نفسي هاتان إثنتان . ثم جئتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد وقد تبع جنازة مع أصحاب له عليه شملتان وهو جالس في أصحابه . فسلّمت عليه ثم إستدرت أنظر الى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي . فلما رآني صلى الله عليه وسلم إستدبرته عرف أني أستثبتُ في شيء وُصفَ لي . فألقى رداءه عن ظهره فنظرتُ الى الخاتم فإنكببتُ عليه أقبّلهُ وأبكي ، فقال لي تحوَّلْ . فتحوّلتُ فقصصتُ عليه حديثي كما حدّثتك ياإبن عباس . فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمع أصحابه ثم شغلني الرِّقُ حتى فاتني معه بدر وأُحُد . ثم قال صلى الله عليه وسلم ياسلمان كاتبْ . فكاتبتُ صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحْييها له بالفقير- يعني البئر- وبأربعين أوقية قال لأصحابه أعينوا أخاكم فأعانوني بالنخل الرجل بثلاثين ودية والرجل بعشرين والرجل بخمسة عشر والرجل بعشرة ، يعينني الرجل بقدر ما عنده حتى إجتمعت لي ثلاثمائة ودية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذهب ياسلمان ففقِّرْ فإذا فرغت أكون أنا الذي أضعها بيدي . ففقّرتُ لها وأعانني أصحابي حتى إذا فرغت منها فجئتهُ فأخبرتهُ فخرج صلى الله عليه وسلم معي إليها . فجعلنا نقرب الوديَ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضعه بيده . فوالذي نفس سلمان بيده ماماتت منها ودية واحدة وأدّيتُ فبقي عليَّ المال . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن فقال مافعل سلمان الفارسي المُكاتبْ . فدُعيتُ له فقال خذ هذه فأدِّها مما عليك . فأخذتها فوزنتُ لهم منها والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأدّيتهم وعُتقتُ . فشهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ثم لم يفُتني معه مشهد ."

(ودخل) سعد بن أبي وقّاص عليه ليعوده رضي الله عنهما فبكى سلمان ، فقال له سعد : مايُبكيك توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راضٍ وتردُ عليه الحوض ؟

فقال سلمان : ماأبكي فزعاً من الموت ولاحرصاً على الدنيا ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدَ إلينا عهداً فقال "ليكن بُلغة أحدكم مثل زاد الراكب" وحولي هذه الأساودة وإنما حوله أجانة وجَفنة ومطهَرة . فقال له سعد : أوصنا . قال : اذكر ربّك عند همِّكَ إذا هممت وعند حُكمكَ إذا حَكَمتَ وعند يدك إذا قسّمتَ .

(ولما) مات بيع متاعه كلّه فبلغ أربعة عشر درهماً .

(وقيل له) أوصنا . فقال : "مَن إستطاع منكم أن يموت حاجّاً أو غازياً أو عامراً لمسجد ربّه فليفعل ولايموتُنَّ تاجراً ولا جابياً . (وكان) قد أصاب صرّة مسك أودعها إمرأتهُ فلما حضرت الوفاة قال هاتِ مسكاً فأمرتيه في ماءٍ ثم أنضحيه حولي فإنه يأتي الآن زوار ، ففَعَلَتْ فلم يمكث إلاّ بقيّة يومه .

(ثم توفي رضي الله عنه) وذلك سنة ست وثلاثين أو أربع وثلاثين في داء البطن بالمدائن في خلافة عثمان رضي الله عنه وعمره مائتان أو ثلاثمائة وخمسون سنة ، أما الأول فعليه عند المؤرخين المعوّل . ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة منه سيدنا القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

سيدنا أبو محمد القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق
رضي الله عنهم أجمعين

العالِم المُفتي الفقيه الورع الزاهد الحُجّة النبيه ، كان بغوامض الأحكام فائقاً والى محاسن الأخلاق سابقاً . (وقد قيل) التصوّف الفتق للرتق والرفؤ للفَتقْ . (قال أبو أيوب السختياني رضي الله عنه) مارأيت أفضل من القاسم ، لقد ترك مائة ألف وهي له حلال . وجاءه أعرابيّ فقال : أنت أعلم أو سالم ؟ فقال : ذاك منزل سالم .

فلم يزده عليها حتى قام الأعرابي ، قال محمد بن إسحاق "كَرِهَ أن يقول هو أعلم منّي فيكذب أو يقول أنا أعلم منه فيزكّي نفسه" وكان القاسم أعلمهما .

(وقال مالك) قال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنهما لو كان لي من الأمر شيء لولّيتُ القاسم الخلافة .

(وقال) سفيان إجتمعوا الى القاسم في صدقة قسّمها وقام يصلي فجعلوا يتكلمون فقال إبنه إنكم إجتمعتم على رجل والله ماناله منها درهماً ولا دانقاً . فأوجَزَ في صلاته وقال يابنيّ قل فيما علمت . يقول سفيان وصدق إبنه ولكن أراد تأديبه في النطق وحفظه .

(وهو) أحد الفقهاء السبعة بالمدينة وهم القاسم المُشار إليه وخارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري وسعيد بن المسيّب وعروة بن الزبير وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة إبن مسعود ولد إبن أخي عبدالله بن مسعود الصحابي وأبو بكر عبدالرحمن بن الحرث بن هشام كان الحرث من جملة الصحابة رضي الله عنهم أخو أبي جهل وسليمان بن يسار مولى ميمونة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو أخو عطاء وهؤلاء الفقهاء السبعة كانوا بالمدينة في عصر واحد وعنهم إنتشر العلم والفقه في الدنيا . وقد جمعهم بعض العلماء في بيتين فقال :

ألا كلّ مَن لايقتدي بأئمة	فقسمته ضيزى عن الحقّ خارجة
فخذهم عبيدالله عروة قاسم	سعيد سليمان أبو بكر خارجة

ولولا كثرة حاجة فقهاء زماننا الى معرفتهم لما ذكرتهم لأن في شهرتهم غنيةً عن ذكرهم في هذا السفر . وإنما قيل لهم الفقهاء السبعة وخُصّوا بهذه التسمية لأن الفتوى بعد الصحابة رضوان الله عليهم صارت إليهم وشهروا بها . وقد كان في عصرهم جماعة من التابعين مثل سالم بن عبدالله بن عمر وأمثاله ولكن الفتوى لم تكن إلاّ لهؤلاء السبعة ، كذا قال الحافظ السلفي . (وقد تقدّم) في ترجمة زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما أنهما كانا إبني خالة وأن القاسم والدته إبنة يزدَجُرد آخر ملوك الفرس وكذلك زين العابدين وسالم بن عبدالله بن عمر والقصة مستوفاة هناك .

(ولما مات) عبدالملك بن مروان أسِفَ عليه عمر بن عبدالعزيز أسفاً منعه من العيش وقد كان ناعماً فلبس مُسحاً سبعين ليلة ، فقال له القاسم بن محمد أما علمت أن مَن مضى من سلفنا كانوا يحبون إستقبال المصائب بالتحمّل ومواجهة النقم بالتجمُّل . فرام من يومه في مقطعات من حبر اليمن شراؤها ثمانمائة دينار وفارق ماكان يصنع .

(وعن حماد بن زيد) عن أيوب قال سمعت القاسم يُسْأل عن شيء فيقول لاأدري فلما أكثروا عليه قال

والله ماأعلم ماتسألون عنه ولو علمنا ماكتمناكم ولا حلَّ لنا أن نكتمكم .

(وعن عبدالرحمن بن أبي الزناد) عن أبيه قال مارأيت أحداً أعلمَ بالسنّة من القاسم وكان الرجل لايعدو رجلاً حتى يعرف السنّة .

(ومن كلامه) لأن يعيش الرجل جاهلاً بعد أن يعرف حقّ الله عليه خير له من أن يقول ما لايعلم . (وكان) يقول في سجوده "اللّهم إغفر لأبي ذنبه في عثمان" .

(وعن أيوب) قال رأيت على القاسم رضي الله عنه رداءً قد صُبغ بشيءٍ من زعفران ويدع مائة ألف لايرى لها قدراً .

(أسند) القاسم الحديث عن عائشة وابن عباس وابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم وخرّجَ له الستّة وعامة مسانيده في المناسك والأحكام وكان أفضل أهل زمانه .

(وقال مالك) كان القاسم من فقهاء هذه الأمة ولما إحتضر قال : كفّنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها وقميصي وإزاري وردائي . فقال إبنه : ياأبت ألا نزيدُ ثوبين ؟ فقال : هكذا كُفِّنَ أبو بكر رضي الله عنه في ثلاثة أثواب والحيّ أحوج الى الجديد من الميت .

(توفي) في قُدَيْد (بضم القاف وفتح الدال المهملة وسكون الياء المثنّاة من تحتها وبعدها دال مهملة) منزل بين مكة والمدينة وكان حاجّاً أو معتمراً وذلك سنة ثمان أو تسع ومائة عن سبعين وقد كفَّ بصره الكريم . وقال لإبنه : "شُنَّ الترابَ عليَّ شنّاً وشق على قبري وإلحق بأهلِك وإياك أن تقول كان وكان" عليه من الله الرحمة والرضوان . ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة منه سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنه .

سيدنا الإمام جعفر الصادق
رضي الله عنه

سِبطُ سيدنا القاسم الموما إليه وقد تقدم في السلسلة العلوية الأولى المعروفة بسلسلة الذهب شذرة من الكلام على فضائله وشمائله رضوان الله عليه . ثم تلقى سرّ هذه النسبة الشريفة بالروحانية منه سيدنا أبو يزيد طيفور بن عيسى البِسطامي رضي الله عنه .

سلطان العارفين سيدنا أبو يزيد طيفور بن عيسى بن آدم بن سروشان البِسطامي رضي الله عنه

أشهر من أن يُذكَر وأعرفُ من أن يُعرَّفْ . كان نادرة زمانه حالاً وقالاً وأنفاساً وورعاً وعلماً وتُقى ووجداً وزُهداً وناهيك بقول الخوافي هو سلطان العارفين . كان خاتم الأولياء المحمّديين سيدنا الشيخ الأكبر محي الدين يسميه أبا يزيد الأكبر وهو القائل :

أريـــدك لا أريـدُك للثـواب ولكني أريـــــدك لـلعقـابِ
وكلّ مآربي قـد نلتُ منها سـوى ملذوذ وجدي بالعذابِ

فانظر الى هذا النفس ما أسماه والى هذا المقام ماأسناه ، أُسرجَ له السراج ليلة فقال لأصحابه : إني أجد وحشةً في السراج . فقالوا له ياسيدنا إستعرنا قارورة من البقال لنأتي بالدهن فيها مرّة فأتينا فيها مرتين . فقال : عرّفوا البقّال وارضوه . ففعلوا فزالت عنه .

(قال الشيخ الأكبر) وكان حاله التجريد وعدم الإدخار فقال لأصحابه يوماً : "فقدتُ قلبي فاطلبوا البيت" . فوجدوا فيه قطف عنب فقال : "رجع بيتنا بيت البقالين" فتصدقوا به فوجد قلبه . (وذكر الشيخ الأكبر) أنه كان القطب الغوث في زمانه حيث قال من الأقطاب مَن يكون ظاهر الحكم ويحوز الخلافة الظاهرة كما حاز الباطنة من جهة المقام كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنهم ، ومنهم مَن له الخلافة الباطنة ولا حكم له في الظاهرة كأبي يزيد . (وقال في موضع آخر) كان أبو يزيد على قلب إسرافيل له الأمر ونقيضه جامع للطرفين وهذا المنصب لايكون في الزمان إلا لواحد ، إنتهى .

(وقال الذهبي) نقل عنه أشياء كبيرة الشأن في صحتها نظر منها "سبحاني ماأعظم شأني" و"مافي الجبّة إلاّ الله ماالنار لأستئذن إليها وأقول إجعلني لأهلها فدا" و"لأبلغنّها ماالجنة إلاّ لعبة الصبيان هب لي هؤلاء اليهود حتى تعذّبهم" ومن الناس من يصحّح هذا عنه ويقول قاله في حال سُكرِه . أه .

(قال العلامة أحمد بن حجر) بعد حكايته ذلك قلت أبو يزيد يسلم له حاله والله متولّي السرائر ولما تكلم في علوم الحقائق لم يفهم أهل عصره كلامه فرَمَوه بالعظائم ونَفَوهُ من بلده سبع مرّات وهم في كلّ مرّة يختلّ أمرهم وينزل بهم البلاء حتى أذعنوا له وأجمعوا على تعظيمه . (وكان) إذا ذكرَ الله يبول الدم .

(وقال الشيخ الأكبر) قال بعض المحجوبين لأبي يزيد شربتُ شربة فلم أظمأ بعدها أبداً . فقال أبو يزيد الرجل مَنْ يشرب البحار ولسانه خارج على صدره من العطش فأشار الى أن الحبَّ شربٌ بلا ري .

(وقال الشيخ أيضاً قدّس الله سرّه العزيز) جرّبتُ المخبرين عن الله إذا ضربوا الأمثال لأمرٍ ما فإنه لابُدَّ من وقوع ذلك المضروب به المثل . كان أبو يزيد البِسطامي يشير عن نفسه أنه قطب الوقت ، فقيل له يوماً عن بعض الرجال أنه يُقال فيه أنه قطبُ الوقت فقال : "الولاة كثيرون وأمير المؤمنين واحد ولو أن رجلاً شقَّ العصا وقام ثائراً في هذا الموضع - وأشار الى قلعة هناك - وإدعى أنه خليفة قُتل ولم يتم له ذلك وبقي أميرُ المؤمنين أميرَ المؤمنين" . فما مرّت أيام حتى ثار في تلك القلعة ثائر إدعى الخلافة فقُتل وماتمَّ له ذلك ، فوقع ما ضَرب به أبو يزيد المثل عن نفسه . وكان على قدم المسيح عليه السلام قتل نملةٍ خطأ فنفخ فيها فأحياها خوفاً من المطالبة .

(وقـال) أوقـفني الحقُّ بين يديه وقـال ياأبا يزيد بـأي شيء جئـتني ؟ قلت بالزُهد في الدنيـا . قـال إنما مقدار الدنيا عندي جنام بعوضة ففيم زهدت ؟ قلت إلهي أستغفـرك من ذلك جئت بالتوكّل عليك . قال ألم أكن ثقـة فيـما ضـمنت لك ؟ قلت أسـتغفـرك جـئتك بك- أو قال بالإفـتقـار إليك- فـقال عند ذلك قـبلناك . (وقال) وقفتُ مع العابدين فلم أرَ لي معهم قـدماً فوقفتُ مع المجاهـدين فلم أرَ لي معهم قدماً فوقفتُ مع المصلّين والصائـمين فلم أرَ لي معهم قـدماً . فقلتُ ياربي كـيف الطريق اليك ؟ فقـال لي اترك نفسك وتعال . (قـال الخواص) فاختـصر له الطريق بألطف كلمة وأخصرها فإنه إذا ترك حظّ نفسـه من الدارين قام الحقّ مـعه . (ومن فـوائده) التي لاتكادُ تُحصى : سِرْ في ميـدان التوحيد حتى تصل الى دار التفـريد ، وطِرْ في دار التفريد حتى تلحق وادي الديموميّة . (وأرسل ذو النون المصري) يقـول له "الى متى النوم والراحة وقـد جازت القـافلة ؟" فقـال لمن أتاه : "قل لأخي ليس الرجـل مَن يسير مع القافلـة إنما الرجل من ينام الى الصباح فـيصبح أمامهـما في المنزل" . فقال ذون النون "هنيـئاً له هذا كلام لاتبلغهُ أحوالنا" . (وقـال) علامة العارف أن يكون طعامه مـا وجد ومـبيتـه حيث أدرك وشغله بربّـه . (وجاء) رجل الى بابه فـدقّـهُ فقـال مَن تطلب ؟ قـال أبا يزيد . فقـال : "ليس في البيت غـير الله" . (ومشى) خلف أبي يزيد رجل من أصحاب ذي النون المصري فقـال له مَن تطلب ؟ قـال أبا يزيد . فقـال يابنيّ أبو يزيد يطلـب أبا يزيد من أربعين سنة . فرجع الى ذي النون وأخبره فغشيَ عليه . (وفي رواية) قال ذو النـون إن أخي أبا يزيد فقد نفـسه في حب الله تعالى فـصار يطلـبها مع الطالبين . (قـال العارف المناوي) يشـير أبو يزيـد عن ذهابه عن الخلق الى الحقّ بلا رجوع . (وقال) أمر الله العبـاد ونهاهُم فأطاعـوه فـخلع عليـهم خلعاً فـاشـتغلوا عنه بالخلع واني لاأريدُ من الله إلاّ الله . (وذُكرَ) عندهُ الزُهـد فقال : "ماأهونهُ زهدتُ في اليـوم الأول في الدنيا وما فيـها وفي الثـاني في الآخرة ومـا فيهـا وفي الثالث فـيمـا سوى الله" . (وقُـرِيءَ عيله) (إن بطشَ ربّـكَ لشديد) فـقـال بطشي أشدُّ ووجهمُ كما قال سيدنا الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه إن بطش العبد بـطشٌ معرّى عن الرحـمة فليس عنده حال بطشه من الرحمة شيء وبطش الحقّ بكلّ وجه فيـه رحمة بالمبـطوش به فهو الرحيم له في بطشـه . (وسُئل) : من أين تأكل ؟ فقـال : مولاي يطعم الكلب والخنـزير أفلا يُطعم أبا يزيد ؟! (وقـال) إنسلختُ من جلدي فرأيت من أنا ، قال العارف السـهروردي وأشار الى النفس الناطقة . (وصلّى) خلف إمام الجامع فلما سلّم الإمام قال : يا أبا يزيد من أين تأكل ؟ قال : إصبر حتى أعيدَ صلاتي فإنك شككتَ في رزق المخلوق ولاتجـوز الصلاة خلـف مَن لايعـرف الرزّاق . (وقـال) غلطت في بدايـتي في أربعـة : تـوهمتُ أني أذكرهُ وأعـرفه وأحبهُ وأطلبـهُ ، فلما نظرتُ رأيت ذكرهُ لـي ومعرفتـه بي وحبّه لي وطلبي إيّاه كـان أولاً حتى طلبته . (وقال) قلتُ يوماً سبحان الله فناداني الحقُّ في سرّي هل فيَّ عيبٌ تنَزّهني عنه ؟ قلت لا ياربُّ . قـال فنفـسك نَزِّهْ عن إرتكاب الرذائـل . فـأقـبلت علـى نفـسي بالرياضـة حتى تنزَّهَتْ عـن الرذائل وتحلّت بالفضائل فصرتُ أقـول سبحاني ماأعظم شأني من باب التحديث بالنعـمة . (وقال) ليس العالم مَن يحفظ من كتاب فإذا نسيَ ما حفظ صار جاهلاً ، بل مَن يأخذ العلم من ربّه أي وقتٍ شاء بلا حفظ ولا درس وهذا هو العالم الرباني . (وقـال) إذا رأيت من يؤمن بكلام أهل هذه الطريق فـقلْ له يدعـو لك فـإنه مـجاب الدعـوة . (وقـال) قال لي الحقّ أخـرج الى خلقي بصفـتي من رآك رآني . قـال سيدنا الشـيخ الأكبـر هو ظهـور صفـات الربوبيـة عليـه ألا ترى خلفـاء الحقّ في العبـاد لهم الأمـر والنهي والحكم والتـحكم وهذه صـفـة الإله والسوقـة مأمـورة بالسمع والـطاعة . (وقال) حـظوظ كرامات الأولـياء مع تبـاينها من أربعـة أسمـاء وقيام كلّ فـريق

منهم من إسم منها : الأول والأخر والظاهر والباطن ، فمن كان حظه من إسمه الظاهر لاحظ عجائب قدرته ، والباطن لاحظ ماجرى في السرائر من أنواره ، أو الأول كان شغله بماسبق ، أو الآخر كان مرتبطاً بما يستقبلهُ .

(وقال) أخذتم عملكم ميّتاً عن ميّت وأخذنا عملنا عن الحيّ الذي لايموت . (قال سيدنا الشيخ الأكبر) فعلماء الرسوم يأخذون خلفاً عن خلف الى يوم القيامة فيبعد النسب . والأولياء يأخذون عن الله ألقاه في صدورهم من لدنه رحمةً منه وعنايةً سبقت لهم عند ربهم . أه .

(وقال) كنتُ في حالة توهمتُ أني وصلت الى غاية الوصال ففاجأني شيخ وقال : "يا أبا يزيد نهايتك بداية القوم" . (وقيل له) هل بلغت جبل قاف ؟ قال : "جبل قاف ليس بغريب بل الشأن جبل كاف وجبل عين وجبل صاد هذه جبال محيطة بالأرض حول كل أرض جبل بمنزلة حائطها" . (وقال) رأيتُ الحور في النوم فنظرتُ اليهنَّ فانتبهت وقد سُلب وقتي فأعرضتُ عنهنَّ فأنعمَ عليَّ بوقتي . (وقال) الأولياء لايفرحون بإجابة الدعوات التي هي عين الكرامات كالمشي على الماء والهواء وطي الأرض وركوب الماء فان أدعية الكفار تُجاب والأرض تُطوى للشياطين والدجّال والهواء مسخّر للطير والماء للحوت فمن أُنعمَ عليه بشيء منها فلا يأمن المكر . (وقال) ماوجدتُ المعرفة إلاّ ببطنٍ جائع وبدنٍ عارٍ . (وقيل له) حدّثنا عن رياضة نفسك في بدايتك ، فقال : "دعوتها الى الله فتكلَّتْ عليَّ فعزمت عليها أن لا أشربَ الماء ولاأذوق النوم سنة فأذعنت" . (وقال) إنما نالوا مانالوا بتضييع ما لهم وشهود ما لهُ تعالى . (وقال) حركات الظواهر توجب بركات السرائر . (وقال) ليس العجب من حبي لك وأنا عبدٌ فقير ، بل من حبّك لي وأنت ملكٌ قدير . (وقال) لله عبادٌ لو حجبهم في الجنّة عن رؤيته لاستغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث بالخروج أهل النار من النار . (وقال) لم أزل ثلاثين سنة كلما أردت أن أذكرَ الله أغسل فمي ولساني إجلالاً له . (وقال له رجل) بلغني أنك تمرُّ في الهواء ، فقال أي عجبٍ في طيرٍ يأكل الميتة يمرّ في الهواء ، المؤمن أشرف من طير . (وقال) طلّقتُ الدنيا ثلاثاً سرتُ الى ربّي وحدي فناديته إلهي أدعوك دعاء مَن لم يبقَ له غيرك . فعلمَ صدقي فأنساني نفسي بالكلّية ونصب الخلق بين يدي مع إعراضي عنهم . (وقال) إن في الطاعات من الآفات ما لايحتاج الى أن تطلبوا المعاصي . (وقال) مادام العبد يظنُّ في المسلمين مَن هو شرٌّ منه فهو متكبّر . (وسُئل) متى يكون الرجل متواضعاً ؟ فقال إذا لم يرَ لنفسه مقاماً ولا حالاً ولايرى أن في الخلق من هو شرٌّ منه .

(وكان يقول) إذا سُئل عن العارف للخلق : أحوال ولا حال للعارف لكونه مُحيت رسومه وفَنيَت هويتهُ بهوية غيره . (وقال) دعوت نفسي الى ربّي فأبت فتركتها ومضيت اليه . (وقال) أشدُّ المحجوبين عن الله ثلاثة : الزاهد بزُهده ، والعابد بعبادته ، والعالم بعمله . مسكينٌ الزاهد لو أن الدنيا كلّها سماها الله قليلاً ما زهد فيها . مسكين العالم لو علم أن جميع ما أوتيه من العلم بعض سطر واحد من اللوح المحفوظ مانظر لعلمه . (وقال) طوبى لمن كان همّهُ هماً واحداً ولم يشغل قلبه بما رأت عيناه وسمعت أذناه . (وقال) أكثر الناس إشارة اليه أبعدهم منه . (وقال) أقرب الناس من الله أكثرهم شفقةً على خلقه . (وقال) لايحمل عطاياه إلاّ مطاياه المُذَلَّلة المُرَوَّضة . (وقال) العارف مَن لايفتر عن ذكره ولايملُّ من خلقه ولايأنسُ بغيره .

(وقال له رجل) علّمني الإسم الأعظم . قال : ليس له حدٌّ محدود وإنما هو فراغ قلبك لوحدانيته ، فإذا كنت كذلك فارجع الى أي إسم شئت تسير به من المشرق الى المغرب . (وقال) الجوع سحاب فإذا جاع

العبدُ أُمطِرَ القلبَ الحكمة . (وقال) إذا وقفت بين يدي ربك فاجعل نفسك كأنك مجوسي يريد قطع الزنار بين يديه . (وقال) دعوت الناس الى الله أربعين سنة فما أجابوني فلما تركتهم ورجعت اليه وجدتهم قد سبقوني . (وقال سيدنا الأكبر قدّس الله سرّه) قيل له في هذا المقام أيعصى العارف ، فقال وكان أمر الله قدراً مقدوراً . قال الشيخ وهذا غاية الأدب حيث لم يقل نعم ولا وهذا من كمال حاله وعلمه وأدبه رضي الله عنه . (وكان يقول) الطريق تقتضي أن الشيخ لاينسى أهل زمانه فكيف مريده المختصُّ به فإن من فتوّة أهل الطريق ومعرفتهم بالنفوس أنه إذا كان يوم القيامة وظهر ما لَهم من الجاه عند الله خاف منهم مَن آذاهم في الدنيا فأوّل ما يشفعون فيمن آذاهم . (قال سيدنا الشيخ الأكبر) هذا نصّهُ وهو مذهبهُ فإن الذين أحسنوا اليهم يكفيهم عين إحسانهم فهم بإحسانهم شفعاء أنفسهم عند الله بما قدّموه في حقّ ذلك الوليّ . (وقال) الناس يفرّون من الحساب وأنا أتمنّاه لعله يقول لي ياعبدي فأقول لبّيكَ ثم بعد ذلك يفعل بي مايشاء . (وقال له رجل) دلّني على عمل أتقرّب به الى الله تعالى قال : "أحبِبْ أولياءه ليحبوك فإنه ينظر في قلوبهم الى إسمك في قلب وليّهُ فيغفر لك" . (وقال) لو أذن لي في الشفاعة لشفعتُ أولاً فيمَن آذاني وجفاني . (وقيل له) شهادة أن لا إله إلاّ الله مفتاح الجنّة ؟ فقال صحيح لكن لايفتح المفتاح إلاّ مغلاقاً ومغلاق لاإله إلاّ الله أربعة أشياء : لسانٌ بغير كذب ولا غيبة وقلبٌ بغير مكر ولا خيانة وبطنٌ بغير حرام ولا شُبهة وعملٌ بغير هوى ولا بِدعة . (وسمع) رجلاً يكبّر فقال : مامعنى اللـه أكبر ؟ قال الله أكبر من كلّ ما سواه . قال أبو يزيد ليس معه شيء فيكون أكبر منه . قال فما معناه ؟ قال معناه أكبرُ من أن يُقاسَ بالناس أو يدخل تحت القياس أو تدركهُ الحواس . (وقال) لم أزل أسوق نفسي الى الله وهي تبكي حتى ساقتني اليه وهي تضحك .

(وقال) خصصتَ رجالاً فأكرمتهم فأطاعوك فلم يبلغوا ذلك إلاّ بك فكان رحمتك إياهم قبل طاعتهم جلّ جلالك ماأعظم شأنك . (وقال) لايشكو قلب العارف وإن قُرض بالمقراض ولاييأسُ منه ولايأمن من مكره وإن نودي بالغفران . (وقال) هلاكُ الخَلق في شيئين تركُ الحُرمة ونسيان المنّة .

(وصلّى) ليلة فأضاء البيت كأنه نهار . فقال إن كنت شيطاناً فأنا أمنعُ جانباً من أن يُطمَعَ بي وإن كان من عند الله فأسأله أن يؤخرهُ من دار الخدمة الى دار الكرامة . (وقال) حسبُ المؤمن أن يعلمَ أن الله غنيٌّ عن عمله . (ورأى) رجلٌ أبا يزيد في منامه فقال له عظني فقال :

الناس بحــر عـميق والبـعد عنهم سفـينة
وقد نصحتك فاختر لنفسـك المسـكينة

(وقال) ضحكتُ زماناً وبكيت زماناً وأنا اليوم لاأضحك ولاأبكي . (وقيل له) كيف أصبحت ؟ قال لا صباح لي ولا مساء ، إنما الصباح والمساء لمن تقيّد بالصفة ولا صفة لي . (وقال) عرفت الله بنور صنعه وعرفتُ صنعهُ بنوره . (وقال) الدنيا للعامة والآخرة للخاصة فمن أراد أن يكون من الخاصة فلايشارك الناس في دنياهم . (وقال) إنما جُعلت الدنيا مرآةً للآخرة فمَن نظرَ فيها للآخرة نجا ومَن شغل بها عن الآخرة أظلمت مرآته وهلَك . (وقال) لاعقوبة أشدّ من الغفلة لأن الغفلة عن الله طرفة عين أشدّ من النار . (وقال) لايكون العبد عاملاً على معنى العبودية حتى تكون إرادته وأمنيته وشهوته تابعة لمحبة الله . (وقال) مَن نظر الى الناس بعين العلم مَقَتَهُم ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عَذَرَهُم . (وقال) الدنيا لأهلها غرور في غرور والآخرة لأهلها سرور في سرور ومحبة الله لأهل محبته نورٌ على نور . (وقال) مَن إختار الدنيا على الآخرة غلب جهله ، وفضوله ذِكره ، وعصيانه

طاعـتهُ . (ودخل) الجامع فـوقف على حلقـة فقـيه وقـد سُـئل عن رجلٍ مات وخلّف كـذا فـأخذ يصـحح المسألة ويضـرب الأعداد . فصـاح به يافقيـه ماتقول فيـمَن مات ولم يخلّف إلاّ الله . فنظر اليـه القوم وبكو .ا فقال أبو يـزيد العبد لايملك شيئاً فـإذا مات لايخلّف إلاّ مولاه . كما كـان أولاً فإن آخره يـرجع الى أوله ، لأن أوله فرد ومـعه الشهادة فإذا كان آخره مـثل أوله لم يرَ مع الله سواه (ولقـد جئتمونا فرادى كـما خلـقناكم أول مرة) . (وقـال) إن لله عـباداً لو بدت لهم الجنّة بزينـتهـا مع حجبـهم عنهـا لضجّوا منها . (وقال) أقمتُ عشرين سنة أكافح المجاهدة وأكابد المراقبة ولاأجسرُ أن ألبس مرقعة ولاأتظاهر بالطريق ثم بعد ذلك تواقـحت ولبست . (وقال) مـتى وجدت قلبك مستـريحاً ودمعك جامـداً وعقلك حاضـراً فأنت بعـيد من المحبة . (وقـال) مَن أرادهُ وفّقهُ ومن أحبّهُ قـرّبهُ . (وقال) الفـائز في محـشر السـاعـة مَن قام بأوامر وتلقاها بالسـمع والطاعة . (وقال) مـعرفة العوام مـعرفة العبـودية والربوبيّة والطاعـة والمعصيـة والعـدو والنفس . ومـعـرفـة الخواص مـعـرفـة الإجلال والعـظمة والإحسـان والمنّة والتـوفيق . ومـعرفـة خواص الخـواص معرفـة الأنس والمناجاة والتلطُّف ثـم معرفة القلب ثم السرّ . (وقال) خلقَ الله الخَلقَ لإظهـارِ قدرته ورَزَقَهُم لإظهـار جوده وأماتَهُم لإظهارِ قـهره ويُحييـهم لإظهار عظمـتهِ . (وقال) مُحالٌ أن تعـرفهُ ثم لاتحبهُ . (وقـال) حاصلهم بعـد الغاية رجوعهم الى شـيءٍ واحد وهو العفو .

(وقـال) التـوحيـد هو اليـقين واليـقين مـعرفـتك إن حركـات الخَلق وسكناتـهم فـعلُ الله . (وسُـئلَ) مـاعلامـة العـارف ؟ فـقال إن الملوك إذا دخلـوا قرية أفـسـدوها وجعلـوا أعزّة أهلهـا أذلّة . (وقـال) الزاهد يقـول كـيف أصنَع والعـارف يقـول كـيف يَصنَع ، وأملُ الـزاهد في الدنيـا الـكرامـات وفي الآخـرة المقـامـات ، وأمل العـارف في الدنيـا بـقـاء الإيمان وفي الآخرة العـفـو . (وقـال) عـملتُ في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدتُ شيئاً أشدَّ عليَّ من العلم ولولا إختلاف العلماء لتفتّتُّ وإختلاف العلماء رحمة إلاّ في تجريد التوحيد . (وقـال) لايعرف نفسه مَنْ صحبَتهُ شهوته . (وقال) كانت أمي لما حملت بي إذا قُدّمَ لها طعام حلال إمتدت يدها له أو حرام إنقبـضت فالعناية من الأزل . (ورأى) تفاحاً أحمر فقال هذا تفاحٌ لطيـف فقيل له أما إستحييتَ أن تضع إسـمي على ثمرة ، فنسيَ الإسم الأعظم أربعين يوماً ، ثم قال إلهي نذرتُ أن لاآكلَ من ثمار بسطام ماعشت . (وقال) حسبُكَ من التوكُّل أن لاترى لك ناصراً غـيرهُ ولا لرزقك رازقـاً غـيـرهُ ولا لعـملك شـاهداً غـيـرهُ . (وقـال) النـاس تـظنُّ أن الطريق أشـهـر من الشمس وأبيَنُ وأنا أسألُ الله أن يفتحَ عليَّ منها ولو قدر رأس إبرة . (وقال) النفس تنظر الى الدنيا والروح الى الآخرة والمعرفة تنظر الى الله . فمن غلبت نفـسه عليه فـهو من الهـالكين ، ومَن غلبت روحه عليه فهو من المجتهدين ، ومَن غلبت معرفته عليه فهو من المتّقين .

(وقال الغزالي رضي الله عنه) قال أبو يزيد رأيت الحقّ فـي منامي فقال سَلني . قلـتُ وعزّتك تعلم أن ليس لي لسان يقـدر على النطق الآن . فقال له يحيى بن معاذ الرازي لِمَ لَمْ تسـأله المعرفة ؟ فصـاح وقال أسكتْ ، المعرفة معرفتان معرفة حقيقة ومـعرفة حقّ ، فأما معرفة الحقّ فقد عرفها المؤمنون بنور الإيمان وأما معرفة الحقيقة فلا سبيل لها قال تعالى (ولا يحيطون به علماً) .

(وكان) يعظ نفـسه بنفـسه ويقول ياأمّارةً بالسوء المرأة إذا حـاضَتْ طهُرت بعد ثلاثة أو سـبع وأنت منذ ثلاثين سنة مـاطهرتِ فـمـتى تطهرين وإن وقـوفك بين يدي الله عـزّ وجلّ لابدَّ منه فـاجـتـهـدي أن تكوني

طاهرة . (وقال) كنت أظن في برّي لأمي إني لاأقوم فيه لهوى نفسي بل لتعظيم الشارع حيث أمر ببرِّها ، فكنتُ أجد لذةً عظيمة أتخيّل أنها من تعظيم عندي لا من موافقة نفسي . فقالت لي في ليلة باردة إسقني فثقُلَ عليّ وقمتُ بمجاهدة وجئتها بكوزٍ فوجدتها نامت فوقفتُ به حتى إنتبَهَتْ . فناولتها وقد بقي في أذن الكوز قطعة من جلد إصبعي لشدّة البرد إنقرضت . فرجعت الى نفسي فقلت لها حبط عملُك لكونك كنت تدّعي النشاط في عبادتك ورأيتك تثاقلت عن ذلك . فعلمت أن كلّما نشطت فيه من عمل البرّ فعلتيه لا عن كسل وتثاقل بل لذّة فإنما هو لهواك لا لله . (وقال) أوقفني الحقّ بين يديه في مواقف كلّها يعرض عليّ المملكة فأقول لاأريدها فقال ماتريد ؟ قلت أريد أن لاأريد . (وقال) قال لي الحقّ تقرّب اليَّ بما ليس لي الذلة والإفتقار .

(وقال) دخلتُ على استاذي أبي علي السندي وبيده جراب فصبّها فإذا هي جواهر قلتُ : من أين هذا ؟ قال : وافيتُ وادياً فإذا هو يضيء كالسراج فملأته منه . قلتُ : كيف كان وقتك الذي وردت فيه الوادي ؟ قال : وقت الفترة عن الحال التي كنتُ فيها .

(وقال) مددتُ رجلي ليلة في الظلام في محرابي فهتف بي هاتف مَن يجالس الملوك لايجالسهم إلاّ بأدب . (وقال) عرفتُ الله بالله وعرفتُ مادون الله بنوره . (وقال) إنما خلع الله النعَم على عباده ليُرجعوها إليه فعكسوا وإشتغلوا بها عنه . (وقال) صفة العارف صفة أهل النار لايموت ولايحيى . (وقال) أولياء الله عرائس في الدنيا والآخرة لايراهم إلاّ مَن كان منهم . (وقال) لو شفّعني الله في كلّ أهل عصري ماكان عندي تكبُّر لأنه شفّعني قطعة طين .

(وكتب) اليه يحيى بن معاذ أني سكرتُ من كثرة ماشربت من كأس المحبة . فكتب إليه "هنا رجلٌ يعني نفسه شرب بحار السموات والأرض وماروِيَ بعدُ" . (وقال له فقيه) عملُك هذا أخذتهُ عمَّنْ وممَنْ ومن أين ؟ قال من عطاء الله وعن الله ومن حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ عملَ بما علم أورثه الله علمَ ما لَمْ يعلَمْ" . فسكتَ الفقيه . (وسُئل) أبو علي الجوزجاني رضي الله عنه عن الكلام المنقول عن أبي يزيد مما لايُفهَمْ ، فقال يسلم له حاله ولعله تكلّم به على حدّ غلبه أو حال سكر ومَن أراد أن يرتقي الى مقام أبي يزيد فليجاهد نفسه كما جاهد أبو يزيد ، فهناك يفهم كلام أبي يزيد وأيّكُم يجاهد نفسه كما جاهد دعا نفسه يوماً الى عبادة فأبت فمنعها الماء سنة فجاهدوا تفهموا إشاراته . (قال ابن معاذ) رأيته في بعض مجاهداته كالغريق ضارباً بذقنه على صدره شاخصاً بعينيه من العشاء الى الفجر ثم سجد عند السحر فأطالَ سجوده ثم قعد فقال اللهم طلبوا منك فأعطيتهم طيَّ الأرض والمشي على الماء وركوب الهواء وإنقلاب الأعيان وإني أعوذ بك منها ثم إلتفتَ اليَّ فرآني . فقلتُ ياسيدي حدّثني بشيء قال أحدّثكَ بما يصلُح لك أدخلني الحقّ في الفلك الأسفل فدوَّرَني في الملكوت الأسفل فأرانيه ثم أدخَلَني في الفلك العلوي وطوّف بي في السموات فأراني ما فيها من الجنان ثم الى العرش ثم أوقفني بين يديه فقال سلني عن أي شيء رأيته حتى أهبه لك . فقلت مارأيت شيئاً حسناً فأسألك إياه . فقال أنت عبدي حقاً تعبدني لأجلي صدقاً لأفعلنَّ بك وأفعلنَّ وذكر أشياء ، قال ابن معاذ : فهالني ذلك وقلت لِمَ لَمْ تسأله المعرفة ؟ قال غرّت عليه مني لاأحبّ أن يعرفه سواه . (وقال) ركبتُ مركب الصدق حتى بلغت الهواء ثم الشوق حتى بلغت السماء ثم المحبة حتى بلغت سدرة المنتهى فنوديت ياأبا يزيد ماتريد ؟ قلتُ أريد أن لاأريد .

(وقال الديلمي) سألت عبدالرحمن بن يحيى عن التوكُّل فقال إذا أدخلتَ يدك في فم التنين لاتخاف مع الله غيره . فخرجتُ قاصداً أبا يزيد لأسأله عنه فدققتُ الباب فقال : "أليسَ لك في قول عبدالرحمن كفاية ماجئتَ زائراً وقد أتاك الجواب من وراء الباب" . فلبثتُ سنة ثم قصدته فقال مرحباً الآن جئت زائراً . (ودخلَ) مدينة فهَرَعَ اليه جميع أهلها فقال : مَنْ هؤلاء ؟ قيل قومٌ رغبوا فيك ، فقال : اللهم إني أسألك أن لاتحجب الخَلقَ بك عنك فكيف تحجبهم عني بك ، ثم صلى بهم الفجر والتفت وقال : إني أنا الله لا إله إلا أنا فأعبدوني فتركوه وقالوا مجنون مسكين . (وصَحِبَهُ) رجلٌ من الشهود ثلاثين سنة مع صيام أيامها وقيام لياليها ، فقال له : ياسيدي خدمتك وأطعتك ولم يظهر لي شيء مما يودع الحقّ قلوبكم . قال : ياولدي لو صمتَ وقمت ثلاثمائة سنة ماتجد منها ذرّة لأنك محجوب بنفسك منقطع برؤيتك طاعتك . قال : دلّني على دواء . قال : إذهب وإحلق لحيتك وإنزع ثيابك وعلّق بعنقك مخلاة فيها جوز وقل للصبيان مَن صفعني صفعة أعطيته جوزة ثم دُرْ الأسواق كذلك عند من يعرفك . فقال : سبحان الله لمثلي يُقال هذا ؟ قال : قولك سبحان الله في معراض ذلك شرك لأنك رأيت عظمة نفسك . فقال : دلّني على غير ذلك . قال : لا دواء لك غيره .

(وقيل له) بمَ وصلت الى ما وصلت ؟ قال : جمعت الأسباب الدنيوية فربطتها بحبل القناعة ووضعتها في منجنيق الصدق ورميتها في بحر اليأس فإسترحت . (وأمر) تلميذاً له بشيءٍ خالفه فلاموه فقال : دعوه فإنه سقط من عين الله . فسرق فقُطعت يده . (وقال أحمد بن حضرويه) رأيت ربَّ العزّة في النوم فقال ياأحمد كل الناس يطلبون مني إلاّ أبا يزيد فإنه يطلبني . (وقال أبو يزيد) إلهي إنك خلقت الخلق بغير علمهم وقلّدتهم أمانة بغير إرادتهم فإن لم تعنهم فمن يعينهم . (وسُئل رضي الله عنه) عن السنّة والفريضة فقال : السنة ترك الدنيا بأسرها ، والفريضة الصحبة مع الله تعالى ، وذلك لأن السنة كلها تدلُّ على ترك الدنيا والكتاب كله يدلّ على صحبة المولى لأن كلامه صفة من صفاته تعالى . (وسُئل) عن أسباب الوصول ، فقال : إمساك حقائق المأمورات وحفظ الصدق مع الإخلاص في جميع الحالات :

بالله ياسطوات هجره	لا تعجّلي بحلول ضرّه
لو قال لي مُتْ طاعةً	ما عشتُ بعد سماع أمره

(وقال) ظاهر التصديق وباطنه سواء ، وقد إشترك الإيمان والحب في العبد ، فكلما إزداد الإيمان إزداد الحب لله تعالى والذين آمنوا أشدُّ حباً لله . (وقال) يامَن باع كلّ شيء بلاشيء ويامَن إشترى لاشيء بكلّ شيء ، إن في طاعتك من الآفات مايشغلك عن السيئات . (وقال لأمه) : ياأمّاه هل تناولت شيئاً من الحرام بسببي في وقت رضاعي فإني لا آمَنُ أن يكون وصل اليَّ شيء وأنا لاأعلم فحجبني ذلك عن ربّي عزّ وجلّ ؟ فقالت له أمه : لاأذكر إلاّ أني دخلتُ يوماً الى جيراننا ولم أستأذنهم . فقال : إن الله يحاسب عباده على مثقال ذرة ألا ترين الى قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) وهذا أعظم من ذرة ، فأخشى أن يقطعني عن ربي عزّ وجلّ . ثم قام وسأل عن القوم وطلب ورثتهم فإستحلّ منهم لنفسه ولأمه .

(وقال) لرجل صلى في مسجده : إن زعمت أن صلاتك مواصلة فهي مفاصلة ، إن تركتها كفرت وإن شاهدتها أشركت . أه . وهذا نظير ماقالوه عن الشبلي رضي الله عنه أنه قام يصلي فوقف طويلاً ثم صلى فلما فرغ قال : ياويلاه إن صلّيت جحدت وإن لم أصلِّ كفرتُ .

(وذُكر) عند أبي يزيد الجاه والنفس والمال فقال : إن المؤمن بلا نفس ولا مال ، إن الله إشترى من

المؤمنين أنفسهم وأموالهم (الآية) . (وقال) مَن نظر الى الخلق بالخلق أبغضهم ومَن نظر الى الخلق بالخالق رحمهم . أه . وهذا نظير قول العارفين مَن نظر الى الخلق بعينه طالت خصومته ومَن نظر إليهم بعين الحق عذرهم فيما هم فيه وجلس في المسجد أربعين سنة .

(قيل) وكانت ثيابه للمسجد على حدة وللبيت على حدة وللخلاء على حدة وكذلك نعلاه . (وقال) إن الله عزّ وجلّ يقول مَن أتاني منقطعاً اليّ جعلت له حياة لايموت فيها ، ومَن أتاني منقطعاً اليَّ جعلت له ملكاً لايزول ، ومَن أتاني منقطعاً اليَّ جعلت إرادتي في إرادته . (وسُئل) عن قوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) ، فقال : هو الأول بكشف أحوال الدنيا حتى لايرغبون فيها ، والآخر بكشف أحوال الآخرة حتى لايشكون فيها ، والظاهر على قلوب أوليائه حتى يعرفونه ، والباطن على قلوب أعدائه حتى ينكرونه . (وقال) لايكون العبد محباً لخالقه حتى يبذل نفسه لله تعالى في طلب مرضاته سراً وعلانية يعلم الله من قلبه أنه لايريد إلاّ هو . (وسُئل) عن الإسم الأعظم قال : في قولك لا إله إلاّ الله وأنت لاتكون هناك . (وكان) بقومس رجل مشهور بالورع والزهد فقال يوماً أبو يزيد لأصحابه : قوموا ننظر الى هذا الرجل الذي شهر نفسه بالولاية . فمضوا معه فلما خرج الرجل من منزله ودخل مسجده رمى ببزاقة نحو القبلة ، فقال أبو يزيد : قوموا بنا ننصرف من غير أن نسلّم فإن هذا رجل ليس بمأمون على أدب من آداب الشريعة التي أدّب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأموناً على مايدّعيه من مقامات الأولياء والصدّيقين . (وقال) إن الله عزّ وجلّ أنعمَ عليَّ نعماً منها أني رضيت بأن أُحرق بالنار بدل الخلق شفقةً عليهم . (ومنها) أني لم أمسك شيئاً قطّ . (وقال) ليس للعبد خير من أن يكون فقيراً ليس معه شيء ولا التعبّد ولا العلم ولايجيء إلاّ بالذلّ والإفتقار اليه تعالى . (وسُئل) متى يبلغ الرجل حدّ الرجل ؟ فقال : إذا عرف عيوب نفسه واشتغل بإصلاحها . (وقال) منذ أربعين سنة لم أستند الى حائط مسجد أو رباط ، فقيل له : لمَ لاتستند وفي ذلك رخصة . فقال : قال الله عزّ وجلّ (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومَن يعمل مثقال ذرة شراً يره) فهل ترى من رخصة ؟ (وقال) لاشيء أعون على دينكم من تعظيم أخيكم المسلم وحفظ حرمته ، ولاشيء أضرّ في دينكم من تهاونكم بإخوانكم وتضييع حرمتهم .

(وسُئل) عن مقام التحيّر في المحبّة . فقال : إن المحب روّحَ نفسه بمراوح الصفا وجلّلها بأردية الوفا بمنازل التفكّر في ميدان التذكّر قائماً بين الدهشة والحيرة ، إن شاهد الملكوت قصرت نفسه عليه ، وإن شاهد ملك الملكوت إفتخرت نفسه عليه . (وأقام) أياماً لم يتكلم مع مخلوق فلما خرج الى حال بسطه سُئل عن ذلك ، فقال : تذكرت إبتداء حالي وتقلّبي في أنواع البطالات والغفلات ، فعلمت أني كنت مراداً فصرتُ مريداً فإن مَن أراده وفّقه ومَن أحبه قرّبه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا أراد الله بعبدٍ خيراً حبّب إليه طاعته وبغّض إليه معاصيه" . (قال) أبو موسى الدبيلي : وصحبته سنين فما رأيته مضطجعاً إلاّ يسيراً وطالما صلى الصبح بوضوء العشاء الآخرة غير أنه يتحسّر على مامضى من إجتهاده . (وقلت له) : بمَ أستعين على عبادة الله عزّ وجلّ ؟ فقال : بالله . فقلت : فما علامة الصدق ؟ قال : طاعة الله عزّ وجلّ واعلَم أنه لا حُسنَ أعظم ممن حسّن لقاء الله تعالى . أه -يشير الى قوله تعالى (وَمن أحسن قولاً ممن دعا الى الله) .

(وقال) مَن لزم العبودية لزمه إثنان يأخذه الخوف ويفارقه العُجب من عمله . (وقيل له) ماأعظم آيات العارف ؟ قال : تراه يؤاكلك ويشاربك ويمازحك ويبايعك ويشاريك وقلبه معلّق بالله ليس له

همٍّ سواه . (وقال) كنت إثنتى عشرة سنة حداد نفسي وخمس سنين مرآة قلبي وكنت سنة أنظر إليها فإذا في وسطي زنار ظاهر . فعملت في إثنتي عشرة سنة ثم نظرت فإذا في باطني زنار باطن ، فعملت في قطعه خمس سنين ثم بقيت سنة أنظر فكُشف لي بعد عن الخلائق فرأيتهم موتى فكبَرت عليهم أربع تكبيرات . (وقال) هذا فرحي بك وأنا أخافك فكيف فرحي بك إذا أمنتُكَ ؟ (وكان يقول) ربي أفهمني عنك فأنا لاأفهم عنك إلاّ بك . (وقال) إطلع الله عزّ وجلّ على قلوب أوليائه فرأى منهم مَن لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفاً فشغله بالعبادة . (وقال) مَن سمع الكلام ليتكلم به مع الناس رزقه الله فهماً يكلّم به الناس ، ومن سمع الكلام ليعامل الله به رزقه الله فهماً يناجي به ربه تعالى . (وقال) العارف فوق مايقول والعالم دون مايقول والعارف مافرح بشيء قط ولا خاف من شيء قط والعارف يلاحظ ربه والعالم يلاحظ نفسه بعلمه . (وقال) إن الصادق من الزاهدين إذا رأيته هبتهُ وإذا فارقته هانَ عليك ، والعارف إذا رأيته هبتهُ وإذا فارقته هبتهُ . (وقال) لأنْ يُقال لي لِمَ لمْ تفعل أحبُّ اليَّ من أن يُقال لي لِمَ فعلت . (وقال) لقد هممتُ أن أسأل الله تعالى أن يكفيني مؤنة الأكل والشرب ومؤنة النساء ، ثم قلت كيف يجوز لي أن أسأله هذا ، وهذا شيء لم يسأله رسول الله صلى الله علهي وسلم ، فلا يجوز لي أن أسأله فلم أسأله ، ثم إن الله عزّ وجلّ كفاني مؤنة النساء حتى إني ماأبالي إمرأةً أتيت أم حائطاً . (وذهبَ) ليلة الى الرباط ليذكر الله تعالى على سورة فبقي الى الصباح لم يذكر ، فقيل في ذلك . فقال : تذكّرت كلمةً جرت على لساني في حال صباي فاحتشمتُ أن أذكره بلسان نطق بما نطق . (وقال) ماحصل للأولياء بالنسبة الى ماحصل للأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلاّ كمثل زقٍّ فيه عسل يرشح من ذلك الزقّ قطرة فتلك القطرة حصلت للأولياء ومافي الظرف للأنبياء .

(وقال) العباس بن حمزة : صليت خلف أبي يزيد الظهر فلما أراد أن يرفع يديه ليكبّر لم يقدر أن يقول الله أكبر إجلالاً لإسم الله عزّ وجلّ وإرتعدت فرائصه حتى سمعت قعقعة عظامه فهالني ذلك .

(وقصدَ) الجامع يوم جمعة وكان في الطريق وحل فزلقت رجله فوضع إصبعه على جدار في الطريق فأمسك نفسه بسببه ، فلما تثبّت تفكّر في وضع إصبعه على الجدار وقال إن الوقت متسع فنفحص عن صاحب الجدار ليجعلني في حلٍّ مما تعاطيت . فإنصرف وتعرّف عنه فقيل أنه مجوسي ، فتقدم الى باب داره وناداه فخرج اليه فأخبره بالقصة وطالبه أن يجعله في حلّ من ذلك . فقال المجوسي : وفي دينكم هذه الدقة وكل هذا الإحتياط أمنت بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأمن كلّ من في داره ببركة ذلك .

(وإجتاز) شقيق البلخي رضي الله عنه ببسطام حاجّاً فعقد المجلس في مسجد من مساجدها فكان الصبيان يلعبون على بابه وأبو يزيد فيهم فكان يجيء الى باب المسجد ويسمع كلام شقيق ثم ينصرف فوقع عليه بصر شقيق قال : "سيكون هذا الصبي رجلاً من الرجال" فصار كما قال .

(وصلى) الجمعة مرة فسمع الخطيب يقرأ (يوم نحشر المتّقين الى الرحمن وفداً) ففرح فطار الدم من عينيه حتى ضرب المنبر ، وقال : ياعجباً كيف يُحشر اليه مَن هو جليسه ؟ أي فإن الله يقول أنا جليس مَن ذكرني والمتّقي ذاكر الله ذكر حذر . فلما حُشر هو الى الرحمن وهو مقام الأمان مما كان فيه الحذر فرح بذلك . (قال الشيخ الأكبر) فكان دمع أبي يزيد دمع فرح لا دمع تَرَح حيث حُشر منه إليه حين حُشر غيره الى الحجاب . (وقال أبو يزيد) لو أن العرش وماحوى في زاوية من زوايا قلب العارف ماأحسّ به أبداً (قلت)

وقد ناقشه الإمام الرباني على هذه المقالة في إحدى مكتوباته الفارسية بما يطول بيانه فراجعه .

(ولد) رضي الله عنه سنة مائة وثمان وثمانين ببِسطام (بكسر الباء الموحدة) بلدة مشهورة من أعمال قومس ويُقال أنها أول بلاد خراسان من جهة العراق . وقُومَس (بضم القاف وفتح الميم وسين) صقعٌ كبير بين خراسان وبلاد الجبل . ثم تقدم أن إسمه طيفور بن عيسى بن آدم إبن سروشان . ذكر إبن الجوزي والعارف الجامي ذلك وقال أن جده سروشان كان مجوسياً فأسلم . وكان لعيسى ثلاثة أولاد أبو يزيد أوسطهم وآدم أكبرهم وعلي أصغرهم وكانوا كلّهم عبّاداً زهّاداً . وقال إبن خلكان هو طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي كان جده مجوسياً فأسلم وكان له أخوان زاهدان عابدان أيضاً آدم وعلي . وكان أبو يزيد أجلّهم اه . والله أعلم بالصواب .

(وتوفي) سنة إحدى وستين ومائتين وله ثلاث وسبعون سنة ولم يثبت محل دفنه ، ولكن أشتُهرت له مراقد كثيرة ولعلها مقامات له رضي الله عنه . وهو أويسيُّ التربية فإنه ربّته روحانية سيدنا جعفر الصادق ووصل اليه هذا السرّ الجليل منه بالروحانية كما قدّمنا ، لأن سيدنا جعفر الصادق كانت وفاته سنة ثمان وأربعين ومائة وهي قبل ولادة أبي يزيد بنحو أربعين سنة كما رأيت . ثم أنّ كلّ من ربّتهُ روحانية أحد السادات يُقال أنه أويسي نسبة لسيدنا أويس القرني سيد التابعين ، فإنه على القول بوجوده هو الصحيح المؤيد بالأدلة المعتبرة والكشف الصريح ربّته روحانية سيد العالمين بالخصوص وبشّر به أصحابه ونعتُهُ لهم وأمر سيدنا عمر وسيدنا عليٍّ أن يسألاه الإستغفار إذا إجتمعا به وقصته مشهورة بين العلماء رضي الله عنهم . ثم تلقى سرّ هذه النسبة الشريفة من سيدنا أبي يزيد أيضاً بالروحانية سيدنا أبو الحسن الخرقاني قدّس الله أسراره الروحانية .

سيدنا أبو الحسن علي بن جعفر الخرقاني
قدّس الله سرّه الصمدانيّ

كان غوث وقته وفريداً في مقاماته ، ونعته قبلة أهل زمانه ، وبحراً يستمد الأولياء من أمواج عرفانه . لم يكن يرحل في أيامه إلاّ الى مبارك مقامه . بشّر به الشيخ العارف الكبير أبو العباس القصّاب وأخبر أنه سينقلب موسم زيارته والرحلة إليه من بعده الى الشيخ أبي الحسن وقد كان كما قال .

ومن كلامه : لاتصحب شخصاً إذا ذكرت الله يذكر غيره . (وقال) أطلب الغصّة لتظهر الدموع فإن الله يحبّ الباكين . (وقال) كلّ شيء يطلب العبد به الله فالقرآن أحسن منه فلا تطلب الله إلاّ به . (وقال) وارث الرسول هو الذي يُقتدى بأفعاله لا الذي يسوّد وجوه الأوراق . (وقال) قول أبي يزيد أريدُ أن لاأريدَ هو إرادة . (وقال) قول الشبلي أطلب أن لاأطلب هو طلب أيضاً . (وقال) اليوم لي أربعون سنة والله ينظر الى قلبي ولايرى فيه غيره مابقي فيَّ لغير الله شيء ولا في صدري لغيره قرار . (وقال) منذ أربعين سنة ونفسي تطلب مني جرعة ماء بارد أو جرعة لبن مخيض وأنا لم أمكّنها من ذلك الى الآن . (وقال) العلماء والعُبّاد في الدنيا كثيرون ولكن لايفيدك إلا أن تكون من الصباح الى المساء في شغل يرضى به الله تعالى ومن المساء الى الصباح في عمل يقبله الله تعالى . (وقال) أنوَرُ القلوب ما ليس فيه للخلق وجود ، وأحسنُ الأعمال ما ليس فيه تفكّر بمخلوق ، وأحلّ الأرزاق ما بذلت جهدك في إكتسابه وأحسنُ الرفقاء مَن كان حياته مع الله . (وقال مرة لأصحابه) ماأحسن الأشياء ؟ قالوا : أخبرنا أنت به . فقال : قلب يذكر الله دائماً . (وسُئل) عن الصوفيّ فقال لايكون الصوفيُّ بالسجادة والمرقع ولا بالعادة والرسوم ، بل الصوفي هو المحوي الذي لاوجود له . (وقال) الصوفيّ مَن إذا كان النهار لايحتاج الى الشمس وإذا كان الليل لايحتاج الى قمر أو كواكب . سيادة التصوف هو العدم الذي لايحتاج الى وجود .

(وسُئل) عن الصدق ، فقال هو التكلّم بما في الضمير . (وقيل له) متى يعلم عدم الغفلة عن الله تعالى ؟ فقال : إذا ذكر الله تعالى وتحقق بجميع أجزائه من فرقه الى قدمه أن الله ذاكرٌ له . (وقيل له) لمن يليق التكلم بالفناء والبقاء ؟ فقال يليق لشخص لو عُلّق بخيط من حرير بين السماء والأرض ثم هبّت ريح عاصفة إقتلعت الأشجار ونسفت الجبال الى البحار حتى ملأتها لم تحرّكه من محله .

(وهو) أويسيُّ التربية ربّته روحانية سيدنا أبي يزيد البِسطامي رضي الله عنه . (ذكر سيدنا جلال الدين الرومي نضّر الله وجه في مثنويه) أن :

"الشيخ أبا يزيد خرج يوماً مع أصحابه الى الصحراء ففي أثناء سيره حصل له حال عظيم بلغ منه مابلغ وإندهش منه أصحابه ، فلما رجع الى نفسه سألوه عن سبب ذلك فقال : جاءني نفسٌ عجيب من خرقان كالنفس الذي جاء للنبي صلى الله عليه وسلم من قبل اليمن يبشّرني بظهور رجل فيها من كبار الأولياء . فسألوه عن إسمه فقال ، إسمه أبو الحسن الخرقاني ونعتُه لهم بحليته ومقاماته وطريقته وإنه يكون أعلى منه مقاماً . ثم بعد وفاته رضي الله عنه بسنين جاء رجل من خرقان الى زاوية أبي يزيد فسأله أصحابه عن إسمه ، فأخبرهم أن إسمه أبو الحسن الخرقاني ، فنظروا الى حليته

فوجدوه كما قال أبو يزيد فعند ذلك ذكروا له أن الشيخ بشّر به وأنه يكون من مريديه ويأخذ الطريق من مرقده الشريف . فقال لهم إني رأيت أبا يزيد في المنام وأخبرني بمثل ذلك . ثم ذهب أبو الحسن الى تربة أبي يزيد وأخذ الطريق من روحانيته وصار يتردد كل صباح الى مقامه ويمرّغ وجهه بمبارك ترابه ويبقى واقفاً مع الحضور الى وقت الضحى ويتلقى منه العلوم والمعارف الربّانية . (يقول سيدنا جلال الدين الرومي) وذلك إما بأن تتمثّل له روحانية الشيخ وإما بطريق الإلهام . وجاء مرة للزيارة على العادة فرأى الثلج قد غمر المقام فغمّ لذلك وعزم على الإنصراف فحينئذ :

جاء صوت من مقام الشيخ حي   هاأنا أدعوك كـي تسعى اليّ

فعند ذلك حصل ماحصل من عجائب الترقّي الى المقامات العالية ولم يزل كذلك حتى صار واحد زمانه ، إنتهى .

(وممن أخذ عنه) شيخ الإسلام سيدنا عبدالله الأنصاري وقال في حقه مشايخي في علم الحديث والشريعة كثيرون وأما شيخي في الطريقة فالشيخ أبو الحسن الخرقاني ولولا أني رأيته ماعرفت الحقيقة .

(وروي) أن السلطان محمد الغازي إبن سبكتكين رحمه الله زار الشيخ أبا الحسن وجلس عنده ساعة ، ومما قال له ما يقول الشيخ في حق أبي يزيد البسطامي قدّس الله سرّه ؟ فقال له : الشيخ هو رجل من إتّبعه إهتدى ومن رآه إتصل بسعادة لاتخفى . فقال له السلطان : كيف ذلك وأبو جهل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : إنما رأى محمد بن عبدالله ولو أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم لخرج من الشقاوة ودخل في السعادة ومصداق ذلك قوله تعالى (وتراهم ينظرون إليك وهم لايبصرون) فالنظر بعين الرأس لايوجب هذه السعادة بل النظر بعين السرّ والقلب والمتابعة التامة يورث ذلك .

(توفي) ليلة الثلاثاء عاشر من شهر محرم سنة أربعمائة وخمسة وعشرين رضي الله عنه . وخرقان كنعسان قرية من قرى بِسطام وتحريك رائه لحن . تلقى سرّ هذه النسبة الشريفة منه سيدنا أبو علي الفارمدي رضي الله عنه .

سيدنا أبو علي الفضل بن محمد الفارمدي الطوسيّ
رضي الله عنه

نور حدقة العلماء العارفين ونور حديقة عظماء المرشدين شيخ خراسان وقطبُ ذلك الزمان وقد مرّ من حديث ترجمته في نهاية سلسلة الذهب ما تحلّت به المسامع وقضى له السامع بالعجب والإعادة من خلاف العادة . ثم تلقى سرّ هذه النسبة الشريفة منه سيدنا يوسف الهمداني رضي الله عنه .

سيدنا أبو يعقوب يوسف بن أيوب بن يوسف بن الحسين الهمداني
(قدّس الله سرّه)

هو أوحد الأئمة العارفين والعلماء الراسخين والأولياء الكاملين إنتهت إليه في خراسان تربية المريدين وإجتمع عنده في رباطه بـ(مَرو) من العلماء والصلحاء جماعة كثيرة وإنتفعوا بكلامه ووصلوا الى آمالهم الكبيرة .

(ولد قدّس الله سرّه) في هَمْدان (بسكون الميم) سنة أربعين وأربعمائة ورحل من همدان وهو إبن ثمان عشرة سنة الى بغداد . (وتفقّه) في مذهب الإمام الشافعي على شيخ الدنيا سيدنا الشيخ إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزأبادي صاحب "التنبيه" ولازم مجلس أبي إسحق الشيرازي وقدّمه مع صغر سنّه على أقرانه ورفع من قدره حتى برع في الفقه وغيره ولاسيما علم النظر .

(وسمع) من الخطيب وثقاة كثيرة في بغداد وأصفهان وبخارى وخراسان وخوارزم وماوراء النهر وحصل له القبول التام . ثم إنقطع وتزهّد وتعبّد وإشتغل بالمجاهدات والرياضات حتى صار غوث الزمان وغيث الحقائق والعرفان . وعُقد له مجلس الوعظ والتذكير في بغداد ثم رحل الى مَرو وأقام بها .

(وصحبَ) الشيخ عبدالله الجويني والشيخ حسن السمّاني والشيخ أبا علي الفارمديّ . (وظهر) على يديه كرامات لاتحصى ولاتُحصر منها : أن رجلاً من جماعته خرج عنه وصار يقع فيه بما هو بريء منه ، فقال الشيخ هذا الرجل يُقتل فقُتل . (ومنها) أنه كان يتكلم على الناس فقال له فقيهان كانا في مجلسه "أسكت فإنما أنت مبتدع" فقال لهما : أسكتا لاعشتما فماتا مكانهما . (ومنها) أنه جاءته إمرأة من هَمْدان باكية فقالت له : إن إبني أسره الإفرنج . فصبّرها فلم تصبر . فقال : اللهم فكّ أسره وعجّل فرجه –ثم قال لها– إذهبي الى دارك تجديه بها . فذهبت المرأة فإذا ولدها في الدار فتعجّبت وسألته ، فقال : إني كنت الساعة في القسطنطينية العظمى والقيود في رجلي والحرس عليّ فأتاني شخص فإحتملني وأتى بي الى هنا كلمح البصر . (ومنها) في "الفتاوى الحديثية" للعلامة إبن حجر الهيثمي قدّس سرّه وحكى إمام الشافعية في زمنه أبو سعيد عبدالله بن عصرون قال : دخلت بغداد في طلب العلم فرافقت إبن السقّا في الطلب بالنظامية وكنا نزور الصالحين وكان ببغداد رجل يُقال له الغوث يظهر إذا شاء ويختفي إذا شاء . فقصدنا أنا وإبن السّقا والشيخ عبدالقادر وهو يومئذٍ شاب فقال إبن السقّا ونحن سائرون لأسألنّهُ مسألةً لايدري جوابها . وقلتُ لأسألنّهُ مسألة وأنظر مايقول فيها . وقال الشيخ عبدالقادر معاذ الله أن أسأله شيئاً أنا بين يديه أنتظر بركة رؤيته . فدخلنا عليه فلم نره إلاّ بعد ساعة فنظر الشيخ الى إبن السقّا مغضباً وقال : ويحك ياإبن السقا تسألني مسألة لاأدري كذا وجوابها كذا إني لأرى نار الكفر تلتهب فيك . ثم نظر اليَّ وقال : ياعبدالله أتسألني عن مسألة تنتظر ما أقول فيها هي كذا وجوابها كذا لتحزن الدنيا عليك الى شحمة أذنيك بإساءة أدبك . ثم نظر الى الشيخ عبدالقادر وأدناه منه وأكرمهُ وقال : ياعبدالقادر لقد أرضيت الله ورسوله بحسن أدبك وكأنّي أراك ببغداد وقد صعدت الكرسي متكلماً على الملأ وكلتا قدميَّ هذه على رقبة كلّ ولي وكأني أرى الأولياء في وقتك وقد حنوا رقابهم إجلالاً لك . ثم غاب عنا فلم نره . قال فأما الشيخ عبدالقادر فقد ظهرت إمارات قربه من الله وأجمع عليه الخاص والعام وقال قدمي... الخ ، وأقرّت

الأولياء في قوته له بذلك . وأما إبن السقّا فإنه إشتغل بالعلوم الشرعية حتى برع فيها وفاق كثيراً من أهل زمانه واشتهر بقطع من يناظره في جميع العلوم وكان ذا لسان فصيح وسمتٍ بهيّ ، فأدناه الخليفة منه وبعثه رسولاً الى ملك الروم ، فرآه ذا فنون وفصاحة وسمتٍ فأُعجب به وجمع له القسيسين والعلماء بالنصرانية وناظرهم فأفحمهم وعجزوا . فعظم عند الملك فزادت فتنته فتراءت له بنت الملك فأعجبته وفُتن بها فسأله أن يزوّجها له فقالت إلا أن يتنصّر . فتنصّر وتزوّجها ثم مرض فألقوه بالسوق يسأل القوت فلا يُجاب وعلته كآبة وسواد حتى مرّ عليه مَن يعرفه فقال له : ماهذا ؟ قال : فتنةٌ حلّت بي سببها ماترى . قال له : هل تحفظ شيئاً من القرآن ؟ قال : لا ، إلاّ قوله ربما يودُّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين . قال ثم جزتُ عليه يوماً فرأيته كأنه قد حُرق وهو في النزع فقبّلته الى القِبلة فإستدار الى الشرق فعدتُ فعاد وهكذا الى أن خرجت روحه ووجهه الى الشرق وكان يذكر كلام الغوث ويعلم أنه أُصيب بسببه ."

(قال ابن عصرون) : "وأما أنا فجئت الى دمشق فأحضرني السلطان الصالح نورالدين الشهيد وأكرهني على ولاية الأوقاف فوليتها وأقبلت عليّ الدنيا إقبالاً كثيراً ، فقد صدق قول الشيخ فينا كلنا . اه ."

(وذكر الشيخ الأكبر) قدّس الله سرّه في بعض مصنفاته أنه سنة ستمائة وإثنين جاء الشيخ أوحدالدين حامد الكرماني الى منزله في مدينة قونيه وحكى له أن الشيخ يوسف الهمداني أقام في مقام المشيخة والإرشاد في بلادهم أكثر من ستين سنة ، وانه كان يوماً جالساً في زاويته على حسب عادته فخطر بباله الخروج من الزاوية ولم يكن يخرج منها إلاّ لصلاة الجمعة . فثقُل هذا الخاطر عليه ولم يعلم أين يذهب فركب حماراً وأطلق له العنان ليتوجه الى أي جهة أرادها الحقّ تعالى . فسار الحمار حتى أخرجه ظاهر البلدة وأوصله الى مسجد خراب في البادية ووقف به . فنزل الشيخ ودخل المسجد فوجد فيه شاباً مطرقاً رأسه وعليه هيبة وجلالة . فبعد ساعة رفع رأسه ونظر الى الشيخ فقال له : يايوسف انه وقعت لي مسألة مشكلة – وذكرها له . فحلّها الشيخ ثم قال له بعد ذلك : ياغلام كلما وقع لك مشكل فإتني الى الزاوية واسألني عنه ولاتكلّفني الخروج إليك . يقول الشيخ قدّس الله سرّه فنظر اليّ الغلام وقال : إذا أشكلَ عليَّ شيء فكلّ حجر من الأحجار هو لي يوسف مثلك . (قال سيدنا الشيخ الأكبر) فعلمت من ذلك أن المريد الصادق يقدر بقدر صدقه على جذب الشيخ إليه .

(وذكر) الشيخ نجيب الدين علي بن برغش الشيرازي قدّس الله سرّه أنه وجد بعض كراريس من كلام المشايخ في علم الحقيقة ، قال : فلما طالعتها تلذذت بها وطلبت معرفة مؤلفها فلم أعرفه ولا وجدت بقيتها . فنمتُ ليلة فرأيت رجلاً أبيض اللحية وقوراً مهاباً منوّراً للغاية قد دخل الرباط وذهب الى المُتَوَضَأ وكان لابساً جبة بيضاء واسعة كُتب عليه بماء الذهب آية الكرسي بخط جسيم محيط بجميع الجبة ، فاتبعته فنزع الجبة عنه ودفعها اليَّ فظهر من تحتها جبّة خضراء أحسن من الأولى مكتوب عليها آية الكرسي كذلك ، فنزعها ودفعها اليَّ وقال لي إحفظهما حتى أتوضأ . فلما أتمَّ وضوءه قال لي : أريد أن أعطيك إحدى هاتين الجبّتين فأيهما تختار ؟ فقلت أنا لاأختار بل ماتختاره أنت فهو المقبول . فألبسني الجبة الخضراء ولبس هو الجبة البيضاء . ثم قال لي : أتعلم مَن أنا ؟ قلت لا . قال : أنا يوسف الهمداني مصنف الكراريس الذي كنت تطلبه وهي من كتابي المسمى "رتبة الحياة" ولي مصنّفات أخرى أحسن مثل "منازل السائرين" و"منازل السالكين" ثم إستيقظت من النوم وقد سُررتُ سروراً عظيماً .

(ومن كلامه الدالّ على علوِّ مقامه) السماع سفر الى الحق ورسولٌ من الحق وهو لطائف الحقّ

وزوائده وفوائد الغيب وموارده وبوادي الفتح وعوائده ومعاني الكشف وبشارته . فهو للأرواح قوتها وللأشباح غذاؤها وللقلوب حياتها وللأسرار بقاؤها . فطائفة أسمَعَها الحقّ بشاهد التنزيه وطائفة أسمعها بنعت الربوبية وطائفة أسمَعَها بنعت الرحمة وطائفة أسمَعَها بوصف القدرة . فقام لهم الحقّ مُسمعاً وسامعاً . فالسماع هتكُ الأستار وكشف الأسرار وبرقةٌ لمعت وشمسٌ طلعت . وسماع الأرواح بإستماع القلوب على بساط القرب بشاهد الحضور من غير نفس تكون هناك . فتراهم في السماع والهين حيارى رامقين أُسارى خاشعين سكارى . واعلم أن الله خَلَقَ من نور بهائه سبعين ألف مَلَك من الملائكة المقرّبين وأقامهم بين العرش والكرسي في حضرة الأنس ، لباسهم الصوف الأخضر ووجوههم كالقمر ليلة البدر ، فقاموا متواجدين والهين حيارى خاشعين سُكارى منذ خُلقوا مهرولين من ركن العرش الى ركن الكرسي لما بهم من شدّة الوَلَه . فهم صوفيّة أهل السماء ، فإسرافيل قائدهم ومرشدهم ، وجبرائيل رئيسهم ومتكلّمهم ، والحقّ تعالى أنيسهم ومليكهم فعليهم السلام من الله عزّ وجلّ . أه .

ثم بعد أن أقام مدة مديدة في مدينة مَرو رحل الى هَراة وأقام بها طويلاً فسأله أهل مَرو العودة إليها . فذهب حتى وصل الى باميان (بباء موحدة فألف فميم فتحتيتين فَنون) بُليدة بخراسان بين هراة وبغشو . أدركته الوفاة فدُفن بها ثم بعد حين نُقلت جثته الشريفة الى مَرو وجعلت في الحضرة المنسوبة اليه وقبره يُزار ويُتبرّك به .

(وكانت وفاته) في غضون شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وخمسمائة رضي الله عنه .

(وللشيخ قدّس الله سرّه) مريدون لايُحصون عدداً وخلفاء أربعة عظام ملأوا الدنيا علماً وهدى :

الخليفة الأول : شمس فلك الهداية ومُظهر نهاية العناية العالم العارف الشيخ عبدالله البرقي ولد في خوارزم وتوفي في بخارى ومرقده المبارك على رأس تل شورشان قرب ضريح الشيخ أبي بكر إسحق الكلاباذي قدّس سرّه .

الخليفة الثاني : عارف الزمان المتحقق في مقام الإحسان الشيخ أبو محمد حسن بن حسين الانداقي . وكان شيخ وقته ومفرداً في نعته . ولد عام أربعة وستين وأربعمائة . وتوفي سادس عشر من رمضان سنة إثنين وخمسين وخمسمائة . وقبره الشريف في بخارى عند مقام الكلاباذي قدّس سرّه .

الخليفة الثالث : الإمام الجليل والولي الشيخ أحمد اليَسَوي نسبة الى (يسي) بلدة من بلاد الترك ولد وتوفي بها . وهو من عظماء مشايخ الترك وأكثرهم ينسبون اليه ويسمونه أتايسوي . و(أتا) في التركية بمعنى الوالد وخلفاؤه لايُحصون عدداً وأشهرهم أربعة :

أولهم : الشيخ سليمان قدّس سرّه من كبار المشايخ ومن كلامه بيت مشهور :

وكلُّ إمريءٍ تلقاه فالخضر أعتقد — وكلّ الليالي فاعتقد ليلة القدر

ثانيهم : الشيخ سعيد أتا قدّس سرّه .

ثالثهم : الشيخ منصور أتا . وهو من أشبال العارف الكبير باب أرسلان . وكان من كبار علماء الظاهر والباطن تخرّج على والده العزيز وتكلم عند الشيخ أحمد باشارة من أبيه قدّس سرهم . ولما توفي الشيخ منصور قام مقامه نجله المرشد الكبير الشيخ عبدالملك خواجه قدّس سره . ثم ناب مناب عبدالملك نجله العالم العارف الشيخ تاج خواجه قدّس سره .

رابعـهم : الشـيـخ حكيم أتا . كـان من كـبار الـعارفين توفـي في خوارزم ومـرقـده في الـسـور الأبيض يُزار ويُتبـرّك بـه وإشتهـر لـه خليفتـان ؛ (الأول) مولانا حبي أتـا قدّس سره . و(الثـاني) مولانا زنكي أتا بن تاج خـواجه المومى اليـه ، كـان قدّس سـره من الـسـادات العظام تربى عند والده . وبعـد إنتقـاله إتصل بخدمة الشـيـخ ولم يفارقه حتى توفي قدّس سره وكـان أسود اللون . (نُقل) أن حكيم أتا كان كذلـك فخطر ببـال زوجتـه عنبر أتا يوماً أنه لو لم يكن أسـوداً لكان أحسن . فكوشف بذلك فـقـال لـها قـريباً تجـدين مَن هو أشـدُّ سواداً منّي . فلمـا توفي تزوج مـولانا زنكي زوجتـه عنبـر أتا بنت براق خان وأولدها عدّة أولاد أجلاّء أمجاد وله أربع خلفاء عـظماء : أوزون حسين أتا ، وصدرالدين محمد أتا ، والسيد أحمد أتا ، وبدرالدين محمد أتا وهم من بخارى وكانوا قد إتفقوا على طلب العلم . فلما أتمّوا تحصـيلهم خرجوا في طـلب المرشـد ، فلقـوا في طريقـهم مـولانا زنـكي أتا وكـان يرعى مـواشـيـه فسألهم عـن مقصدهم . فلما أخبـروه قال إصبـروا حتى أنظر لكم مرشداً . فنظر الـى الجهات الأربع ثم قال لهم : دُرتُ العالم كله فلم أجد أحداً يربّيكم غيري . فـأما الأولان فسلّما اليه أمرهما بلا توقف أصلاً ففـتح عليهما في الحـال ، وأما الأخيران فقـالا في أنفسهمـا كيف نتّبع رجلاً أسـود يرعى البقر ونحن مـابين سيـد وعـالم ولكن لم يسـعهـما إلاّ صـحبتـه فلم ينتـفعا بـه . فتشـفّعـا اليه بعنبـر أتا ، فذكرت ذلك فـقـال إن سبب عدم إنتـفاعهما مـاقالاه في أنفسهـما عند لقائي ومع هذا فقـد عفوت عنهمـا . ثم توجه اليـهما بنظر إرشـاده العالي الهمم فلـحقا صـاحبيـهما . وكـان السيد أحمد أتا من مـعاصـري مـولانا الشـيخ علي الرامـتيـنـي وسـيـأتي في ترجـمـتـه قـدّس سـرّه مـاصدر بينهـمـا من المفـاوضة . ومن أشـهر خلفـاء السـيد أحمد أتا مـولانا الشـيخ إسمـاعيـل أتا كان من كـبار المرشـدين وإسـتـوطن في نواحي خـوزيان وهي قـرية بين (تاشـقند) و(سـيـرام) . وقد أبـتُلي بإنكار العلمـاء عليه فكان يقول إن هؤلاء العلمـاء أشناني وصابوني . وكان سيدنا الشيخ عبـيدالله أحرار ينقل ذلك عنه ويستـحسنه . ومن كلامه : "كُنْ في الصـيف ظلاً وفي الشتاء ثوباً ووقـت الجوع طعاماً" . وكان يقول للمريد : "أنا وأنت أخوان في الطريق فاقبل منّي هذه النصـيحة وهي أن تتخيَل أن الدنيا قبّة خضراء ليس فيها إلاّ الله عزّ وجلّ وأنت ، واذكر الله حتى يغلب عليك التجلّي القهري ويفنيك عنك ولايبـقى إلاّ هو" . ولما توفي ناب مـنابه نجله الإمـام الجليل الشـيخ إسـحق خـواجه وكـان من نواحي (أسپيجاب) قرية بين تاشقند وسيرام وهو من كبار العارفين .

(وحكى) الشيخ عـبدالله الخجندي أحد أصحـاب سيدنا شـاه نقشبند قـدّس الله سرّهم العـزيز أنه حصل له جذبة قـوية فزار مرقد سـيدنا الحكيم الترمـذي فأمره في الروحانيـة أن يرجع الى بلاده وانه سيفـتح له بعد إثنتي عشـر سنة فرجع الى خـوارزم . وانه بعد ذلك رأى رجلين في المسـجد يتذاكـران ويبكيان فـمال إليـهما وأكرمـهما ، فـقـال أحدهمـا لصاحـبه أرى أن هذا الرجل طالبٌ للحقّ فـالأليق أن يكون في صحبـة شيـخنا . فلما سمـع ذلك إضطرب وسألهـما عن مكان الشـيخ ، فقـالا في أسـپـيجاب فقـصده وبقـي مـدة طويلة عنده ولم يـذكـر له بشـارة الترمـذي . قـال وكان للشـيخ ولد صـالح فـقـال له يومـاً : إن هذا الرجل غـريـب وذو إسـتـعداد فينبغي أن يُلتفت إليه . فقال : يابنيّ نصيبه من الشاه نقشبند فكيف نتصرّف فيه .

(ومن) أشهـر أصحـاب الشيخ صـدرالدين أتا قدّس سره المـرشد الإمام الشـيخ أيمن بابا . قام مـقامـه بعد إرتحـاله بإشارتـه في إرشاد الطالبين . وكـان من أكابر المرشـدين قدّس سـرّه ومن أكـبر أتبـاع الشـيـخ أيمن

المربّي الكبير مولانا علي شيخ قدّس سرّه . كان من الأولياء الكاملين جلس بعد وفاة الشيخ أيمن في مسند الإرشاد حتى إذا لحق بالرفيق الأعلى تصدّر في مقامه . أشهر خلفائه الكرام العارف العالم بالله تعالى مولانا مودود شيخ قدّس سرّه . فناب َ منابه في إرشاد الخلق الى الحقّ الى أن إصطفاه الله تعالى إليه ، وأشهر خلفائه إثنان :

(الأول) الإمام الجليل كمال شيخ قدّس سرّه . كان كبير الشأن توطّن ديار الشاش وحصل به نفع عام جزيل . وهو ممن لقي سيدنا أحرار قدّس سرّه (والثاني) المرشد الكبير خادم شيخ قدّس سره . كان من أكبر المربّين هدى الله به كثيراً مما وراء النهر والشاش .

ومن كلامه قدّس سرّه في قوله تعالى (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) قد يحصل للذاكرين قسوة في قلوبهم عند ذكر الله تعالى لأنهم يذكرون الله تعالى بالغفلة والسهو وغلبة الطبع والنفس ، فيحتمل أن يكون قوله من ذكر الله إشارة الى هذا . (ومنه) مايحصل للمنتهي بعد طيّ جميع المراتب من الكشف الصوري والنوري يحتمل أن يحصل للمبتدي غير أنه لايثبت له سبب تنازع الطبع بخلاف المنتهي فإنه إنما حصل له بعد طي مسافة الحجب الظلمانية والنورانية وهو لايزول . (ومنه) الدليل على صحة الفناء وفناء الفناء إتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وعدم التثاقل من العمل بل يأتي بالأعمال الشرعية بمحبة وسرور .

(وسأله) أحد العلماء عن حال مَن يرقصون عند السماع بأنه لايخلو إما أن يبقي عليهم شعورهم أو لا ، فإن كان الأول فإظهار الوجد مع الشعور به قبيح ، أو الثاني فصلاتهم بلا وضوء بعده أقبح . فقال قدّس سرّه : إن من نواقض الوضوء الجنون والإغماء وليس هذا منهما بل العقل الكلّي الإلهي يفيض على العقل الجزئي ويحكم على وجود السالك ، فيكون البدن حينئذ في تدبيره وحمايته ، وللعقل الكلّي قوة أن يحفظ العالم فكيف لايضبط بدناً فلايحتاج الى تجديد وضوء أصلاً وله غير ذلك قدّس سرّه .

(ومن أكبر أصحابه) المرشد الكامل الشيخ جمال الدين البخاري . كان من كبار المشايخ وله تمام المعرفة بتربية المريدين . قدم (كاشغر) وأقام في رباط سيدنا سعدالدين الكاشغري . وتوفي ودفن قرب ضريحه قدّس سرّه وهؤلاء السادات كلهم من رجال الرشحات .

الخليفة الرابع : وهو أعظم من تلقّى سرّ هذه النسبة الشريفة عن الغوث الهمداني سيدنا الشيخ عبدالخالق الغجدواني قدّس الله سرّه العزيز .

سيدنا الشيخ عبدالخالق إبن الإمام عبدالجميل الغجدواني
(قدّس الله سرّه النوراني)

هو صاحب الكرامات التي سارت مسير الشمس والمقامات التي لايجحد سموّها إلاّ الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ . كان عالماً عارفاً صوفياً وبعهود الزهادة والعبادة وفياً . (أما الإرشاد) فكان ملكه الآخذ بزمامه وإمامه إذا أتى كل أحد بإمامه وبدر سمائه الذي لايعتريه النقصان عند تمامه . (وأما التصوف) والزهد والورع المتين وسلوك سبيل المتقين . فهو أشهر من أن يُذكر وأكبر من أن يُنكر . هو رأس هذه الطريقة الشريفة ومنبع طريق الخواجكان قدّس الله أسرارهم المنيفة .

(ولدَ) في غُجدَوان بضمّ الغين المعجمة وسكون الجيم بعدها دال مهملة مفتوحة وواو فألف فَنون قرية عظيمة على ستة فراسخ من بخارى وبها منشؤه ومدفنهُ . ونسبه الشريف يتصل بالإمام مالك رضي الله عنه . وكان والده الشيخ عبدالجميل من أكابر علماء ملاطية الروم في الظاهر والباطن ووالدته من بنات الملوك . (رحل) والده الى ماوراء النهر بأهله لأمور إقتضت ذلك ثم جاء بلاد بخارى وسكن قرية غُجدَوان . وقد رأى الخضر وصحبهُ وبشّره بالخواجه عبدالخالق قدّس الله سرّه وسمّاه بهذا الإسم .

(وكان) تحصيله للعلوم في بخارى عند الشيخ العلامة صدرالدين قدّس سرّه ولما برع بالعلوم الظاهرة إشتغل بالمجاهدات والرياضات الشاقة وتحصيل العلوم الباطنة . (ذكر) أنه كان يقرأ تفسير القرآن عند الشيخ صدرالدين قدّس سرّه فوصل الى قوله تعالى (أُدعوا ربّكم تضرّعاً وخفية إنه لايحبُّ المعتدين) قال للشيخ : ماحقيقة الذكر الخفي وكيف طريقه فإن العبد إذا ذكر بالجهر وبتحريك الأعضاء يطّلع الناس عليه ، وإن ذكر بالقلب فالشيطان يطّلع عليه لقوله صلى الله عليه وسلم : "إن الشيطان ليجري من إبن آدم مجرى الدم في العروق" ؟ فقال له الشيخ : إن هذا علمٌ لدنيّ وإن شاء الله تعالى يجمعك على أحد من أوليائه ، فيلقنك الذكر الخفي . فكان الخواجه قدّس سرّه ينتظر وقوع هذه البشارة حتى جاء الخضر عليه السلام اليه فقال له "أنت ولدي" . ولقّنه الوقوف العددي وعلّمه الذكر الخفي ؛ وهو أنه أمره أن ينغمس في الماء ويذكر بقلبه لا إله إلاّ الله محمد رسول الله . ففعل كما أمره وداوم عليه فحصل له الفتح العظيم والجُذبة القيومية ، ثم تسلسلت هذه الجُذبة بالذكر الخفي عند الخواجكان .

(إستطراد) الخَواجة بتفخيم الخاء المفتوحة وتُرسم بالواو ولاتُقرأ وإنما هي علامة التفخيم ، وهو فارسي ومعناه الشيخ . ويُجمع على خواجكان بكاف فارسية وألف ونون والكاف بدل الهاء التي في المفرد والألف والنون علامة الجمع .

فكان قدّس سرّه أول مَن إشتغل بالذكر الخفي في هذه الطريقة ، ولذلك كان رئيسها . ثم لما قدم الغوث الرباني سيدنا يوسف الهمداني بخارى لزم خدمته مدة إقامته في بخارى .

(وروي) عنه أنه قال : لما بلغت إثنين وعشرين سنة أوصى الخضر عليه السلام الغوث الهمداني بتربيتي . فلما قدم بخارى أتيت إليه وبقيت بخدمته حتى عاد الى خراسان ولم يأمرني إلا أن أبقى على ما لقّنني الخضر عليه السلام .

(وذكر) الشيخ محمد پارسا أحد أجلاّء أصحاب سيدنا النقشبند قدّس سرّهما العزيز في كتابه "فصل

الخطاب" أن طريق الخواجه حجة على جميع الطرق ومقبولة لديهم لأنه كان سالكاً طريق الصدق والوفا ومتابعة الشرع وسنّة المصطفى صلى الله عليه وسلم ومجانبة البدع ومخالفة الهوى . وكان يخفي أحواله عن الناس ويشتغل بالمجاهدات والرياضات الشاقة وتحصيل العلوم الباطنية حتى صار عارف زمانه والمقدَّم على أقرانه . وإمتدت إليه أعين النُظّار وإنتشر صيته في البلدان الكبار ، ورُحل اليه من جميع الأقطار . (ثم) سافر الى الشام وأقام بها مدة أعوام وبنى ثَمَّ خانقاه (كلمة فارسية بسكون النون بمعنى الزاوية) وإجتمع عليه من المريدين الصادقين خلقٌ كثير . وله رسالة كتبها لولده القلبي المبارك الشيخ أوليا الكبير قد إشتملت من آداب الطريقة والنصيحة الرفيقة والتربية الحسنة الرقيقة على مايوجب إيرادها هنا وهي :

يابني أوصيك بتحصيل العلم والأدب وتقوى الله تعالى . وإتبع آثار السلف الصالح ولازم السنّة والجماعة . وإقرأ الفقه والحديث والتفسير وإجتنب الصوفية الجاهلين ولازم الصلاة بالجماعة بشرط أن لاتكون إماماً ولامؤذناً . وإياك والشهرة فإنها آفة . وكن واحداً من الناس . ولاتَملْ لمنصب ولو كان محموداً كالقضاء والفتوى . ولا تكن كفيلاً ولا وصياً . ولاتصحب الملوك وأبناءهم والمُرد والنساء والمبتدعة والعَوام . ولاتبنِ زاوية ولاتجلس بها . ولاتسمع الأنغام إلاّ قليلاً فإن كثرة السماع تولد النفاق وتُميتُ القلب . ولاتمر على أصحاب السمع لأنهم كثيرون . وقلّل الكلام والطعام والمنام . وفرَّ من الناس فرارك من الأسد . وإلزم الخلوة وأكل الحلال وأترك الشبهات إلاّ عند الضرورة ، فربما غلب عليك حب الدنيا وفي طلبها يذهب دينك وإيمانك . ولاتضحك كثيراً فإن كثرة الضحك تُميتُ القلب . ولاتحتقر أحداً ولاتزيّن ظاهرك لأن تزيين الظاهر من علامة إفلاس الباطن . ولاتجادل الخلق ولاتسأل أحداً شيئاً ولاتأمر أحداً بخدمتك . واخدم المشايخ بالمال والجاه والبدن ، ولاتنكر على أفعالهم فإن المُنكر عليهم لاينجو . ولاتغترّ بالدنيا وأهلها وينبغي أن يكون قلبك محزوناً ومغموماً وبدنك مريضاً وعينك باكية وعملك خالصاً ودعاؤك بتضرّع ولباسك خَلِقاً . ورفيقك الفقر وبضاعتك الفقه وبيتك المسجد ومؤنسك الحقّ تعالى .

(ومن إرشاداته القدسية) وإشاراته العلية الكلمات الإحدى عشر الفارسية التي بنى عليها طريقة السادات النقشبندية قدّس الله أسرارهم :

الأولى : وقوف زماني ، أى الوقوف والشعور المنسوب الى الزمان . يعني إطلاع السالك على زمانه المستمر عليه وعلمه بكيفية حاله عند مضيّه من حيث الحضور المستوجب للشكر والغفلة الموجبة للمعذرة . فالطالب يجتهد كل الإجتهاد في أن لايمضي عليه زمان ولايجري عليه آن إلاّ وهو على توجّه الى المقصود الأصلي وتنبّه الى أن علم العليم الخبير محيطٌ به فلايعمل من عمل إلاّ يعلم أن الله شهيد عليه ، إذ يفيض فيه وعلى أي شأن يكون من تحرّك وسكون يتيقّن أن الله سبحانه تعالى مطّلع عليه ، فإنه يعلم خائنة الأعين وماتخفي الصدور ومايعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء . فالسالك يحاسب أعماله وأحواله في كل يوم وليلة وينظر كيف مرّت عليه في ساعاتها بل لحظاتها إنْ خيراً شكر الله عليه وإنْ شراً تداركه بالندامة والإنابة إليه . قال سيدنا يعقوب الكرخي : "أمرني سيدي -يعني سيدنا علاءالدين العطّار قدّس الله سرّهما- في حالة القبض بالإستغفار وفي حالة البَسط بالشكر" ثم قال : "رعاية هذين الحالين عبارة عن الوقوف

الزمـاني" . وقال سـيدنا بهـاءالدين شـاه نقشـبند قدّس الله سـرّه العـزيـز : "هو عبـارة عن أن تكون واقفاً على أحوال نفسك ، فإن كانت موافقة للشريعـة مُرضية لله تعالى فـأشكرهُ وإلاّ فإسـتغفره" .
ومـبنى طريق السـالك فـيه على حـفظ اللحظـة الزمانيـة بحيث يكون واقـفـاً على نفسـه أنه خـرج بالحضـور أو بالغـفلة . والوقـوف الزمـاني عند الصـوفيّـة كناية عـن محـاسـبـة الأحـوال . قال سـيـدنا بهاءالدين قـدّس الله سرّه العزيز وهـي أن تحسب كلّ ساعـة مضت بالغفلة وبالحضور فإذا فـهمت حقيقة الأمر تعد أن كلّ الأوقات والأفعال كانت بالغفلة فترجع الى عمل المبتدي .

الثانيـة : وقوف عددي ، يعني شعور الذاكر عند ذكره بعدد الذكر . وهـو عبارة عن الذكر الخفي القلبي مع رعـاية العدد لا مـجرد العدد في الذكر ، وذلك لحفظ الخاطر وحبسـه عن التفـرقة . وقـال بعض الأكابر من هذه الطائفة العلية كـثرة العدد ليست بشرط في الذكر ، وإنما العمدة فـيه حضور القلب مع المذكور ليتـرتب عليه فـائدة الذكـر . وأثره وهو إنتفـاء الوجود عـند النفي وظهور آثار الجذبات الإلهية عند الإثبات . وهذا أول مراتب العلم اللدنيّ . قال سـيدنا بهاءالدين قدّس الله سرّه العزيز : "الوقوف العددي أول درجة من درجات العلم اللدني وهو بالنسبة للمبتديء يـحتمل أن يكون معناه ما تقدم ، وبالنسبة للواصل أن يقف على سريان الواحد الحقيقي في الأشياء ووقوفه على سريان الواحد العددي في جميع الأعداد الحسابية" كما قيل :

تعـدّد هذا الكون والـكثـرة الـتي   تلوح خـيـال كـالسـراب فـخلّهـا
ومـا ثَمَّ إلاّ واحـد جلّ ذكـــــره   لـنا يتــجلّى فـي المظاهر كلّهـا

الثالثة : الوقوف القلبي ، أى الوقوف المنسوب الى القلب . وهذا محمول على معنيين : إما وقوف قلب الذاكر على المذكور عند ذكره ، أي إطلاعه عليه بحيث لايغيب عن مراقـبته أو مشاهدته بكل حال . قـال سيـدنا عـبيـدالله أحرار قـدّس الله سرّه العـزيز : "الوقـوف القلبي كناية عـن الحضـور مع الحق تعـالى على وجه لايكون معه إلـتفـات الى غـيـره" . وهو شـرط لازم في الذكـر ويسـمى بالحضـور والشهـود والوصول والوجـود . وأما وقوف الذاكر في أثناء الذكر على قلبـه وهو قطرة دم في وسط قطعـة لحم صنوبرية الشكل مـحاذية للثـدي الأيسر وتـسمى مـحل القـوة المتـقلبة بإخـتلاف الأفكار والتدبيـرات ومداركها والـوقوف عليه هو الإطلاع على حـاله وإشغاله بالذكـر وملاحظة مفهـومه وأن لايخلّي عليـه سـبـيـلاً لـلغـفلة . قـال سـيـدنا بهـاءالدين قـدّس الله سـرّه العـزيـز : "الوقـوف القلبي بالمعنيين شرط مهم أكثر من الوقوف العددي" .

الرابعة : "بنظر برقدم" ، بَر (بفتح الباء) بمعنى على والمعنى المراد بها عندهم أنه ينبغي للسالك أن يكون نظره الـى قـدمـيـه عند المشـي لـئـلا ينظر الى الآفـاق . لأن النـاظر اليـهـا يـورث الحـجاب في القلب ، لأن أكثـر الحُجُب التي في القلوب هي الصـورة المرتسـمـة فـيـهـا من طريق النـظر . فـهي لدفع تـفـرقة الآفـاق أو لـئلا يشـتغل عن الذكر بالنظر الى المبـصرات لأن الذاكـر المبتـديء إذا تعلّق نظره بالمبصـرات إشتغل قلبـه بالتفرقـة الحاصلة من النظر الى المبـصرات لعدم قـوته على حفظ القلب على التفـرقة الحاصلة بذلك . أو لـئلا ينظر الى وجـوه الأغيار لأن النظر في وجوه الأغـيار عند الصوفية من المحظورات ، لأن القلوب الصافية مثل المرايا الصقيلة ينطبع فيها ماكان في القلوب القاسية من الأخلاق الذميمة والأفكار الفاسدة بمجرد النظر الى وجوه أصحابها . أو لئلا يصيب نظره الى الوجوه الحسان فيفتتن بذلك ، لأن النظر سـهم من سهام الشيطان ، فمن أصابه ذلك إفتتن في

طريق الله . فأُمر السالك أن يغضّ بصره بالنظر الى قدميه لئلا يدركه ذلك السهم . ويجوز أن تكون كناية عن التواضع ، لأن أصحاب الكبر والتجبّر لاينظرون الى أقدامهم ، ويجوز أن تكون إشارة الى إتباع السنّة في المشي لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا مشى لايلتفت يميناً ولا يساراً وكان ينظر الى قدميه متوجهاً الى أمامه مسرعاً في مشيه كأنما ينحط من صبب . ويمكن أن تكون كناية عن علوّ الهمة لأن صاحب الهمّة لاينظر لسوى الحق سبحانه وتعالى ، كصاحب السرعة في المشي لأنه لاينظر إلاّ الى قدميه لئلا يحبط في مشيه . ويحتمل أن تكون إشارة الى سرعة سير السالك في قطع مسافة الوجود الموهوم . يعني كل ما ينتهي نظر السالك اليه يضع قدمه عليه كما قال العارف الكبير سيدنا محمد رويم رضي الله عنه : "أدب المسافر أن لايجاوز همّهُ قدمهُ" . وأشار إليه سيدنا عبدالرحمن الجامي قدّس الله سرّه مادحاً حضرة مولانا بهاءالدين نقشبند بما ترجمته :

لم يخلّ عن نفس دون الحضور ولم تسبق نواظره الأقدام في السفرِ
وذا لسرعة سيرٍ فيه قد ركزت فما تخلُف رِجلاه عن النظر

ولقد أفصح عن هذا المعنى أحسن إفصاح سيدنا الإمام الرباني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي في الخامس والتسعين ومائتين مكتوباته العرفانية ، فقال :

"ليس المراد من قوله النظر على القدم أن لايجاوز النظر القدم وأن لايتعداه الى فوق . لأن هذا خلاف الواقع ، بل المراد أن يكون النظر سابقاً للقدم وأن يجعل القدم رديفه ، لأن العروج الى الرتب العالية يكون أولاً للنظر ثم يصعد القدم ، وحينما يصل القدم الى مرتبة النظر يتعلّى النظر الى درجة أعلى منها فيصعد القدم تبعاً له ثم يترقّى النظر من ذلك المقام أيضاً على هذا المنوال . ولو قلنا أن المراد من القول المذكور أنه ينبغي أن لايترقّى النظر الى المقام الذي لايمكن أن يصل اليه القدم فهذا أيضاً غير واقع ، لأن النظر إذا لم يتجاوز المرتبة التي هي غاية سير القدم لكان يفوته أكثر مراتب الكمال . وإيضاح ذلك أن نهاية القدم هي غاية مراتب إستعداد السالك ، بل نهاية مراتب إستعداد النبي الذي هو على قدمه . إلا أن القدم الأول بالأصالة والثاني بالتبعية لذلك النبي وليس فوق مراتب هذين الإستعدادين مرتبة قدم . وأما النظر فله ذلك لأنه يتقوّى حينئذ فتكون نهايته نهاية مراتب نظر النبي الذي هو على قدمه ، لأن النبي يكون لكُمَّل أتباعه نصيب من جميع كمالاته . فالسالك يترقّى قدماً ونظراً أصالةً وتبعاً الى نهاية مراتب إستعداده ، ثم يقف القدم ويصعد النظر وحده ويترقّى الى نهاية مراتب نظر النبي الذي هو على قدمه . فعُلم من هذا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يصعد نظرهم الى مقام فوق مقام قدمهم . وكما أن لكمّل أتباعهم نصيب من مراتب قدمهم فلهم نصيب أيضاً من مقامات أنظارهم . ومقام نظر خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام الذي هو فوق مقام قدمه صلى الله عليه وسلم هو مقام الرؤية . وهذا المقام موعود لغيره في الآخرة ، فما كان لغيره نسيئة كان له نقداً ولكُمَّل تابعيه نصيب من ذلك . ثم نرجع الى أصل الكلام فنقول وإن كان المراد عدم تخلّف النظر عن القدم ، أعني أن لايتخلّف النظر بوقت من الأوقات عن مقام القدم فالأخذ بهذا المعنى يمنع السالك عن الترقّي . وأما إذا إعتبرنا المعنى المتبادر من ظاهر اللفظ فهو ممكن ويناسب معنى قوله "هوش دردم" لأن الإنسان إذا لم يجعل نظره فوق قدمه في الطريق أثناء مشيه يتشتت بسبب الألوان المحسوسة ، وأما إذا جعله فوق قدمه فإنه يكون للجمع أقرب . أه .

فأنظر هذا النفس ماأحلاه وأنفسه قدّس الله سرّه .

الخامسة : هوش دردم ، هوش بمعنى العقل ودَر بمعنى الظرفية ودم بمعنى النفس . فالمعنى المراد عندهم أنه ينبغي للسالك العاقل أن يحفظ النفس عن الغفلة عند دخوله وخروجه ليكون قلبه حاضراً مع الله تعالى في جميع الأنفاس . لأن حفظ الأنفاس عن الغفلة يؤدي القلب الى الحضور مع الله تعالى . وحضور القلب معه تعالى في الأنفاس إحياؤها بالطاعات وإيصالها الى الله تعالى متصفة بالحياة ، لأن كل نَفَس يدخل ويخرج بالحضور فهو حيّ موصول بالله تعالى ، وكلَ نفَس يدخل ويخرج بالغفلة فهو ميت مقطوع عن الله تعالى . (قال سيدنا عبيدالله أحرار) أهم المهمات في هذا الطريق هو حفظ النفس ومَن لم يحفظ نفسه يقال عنه فلان فقد نفسه .

(وقال) سيدنا ومرشدنا بهاءالدين شاه نقشبند قدّس سرّه العزيز أن مبنى هذا الطريق على النَفَس فينبغي لك أن تحفظ النَفَس وقت الدخول والخروج بل تحفظ مابين النَفَسَين :

ياواقفاً عند شط البحر منحبساً	البحر متّسع والشين في طرف
لاتنظرنَّ الى مــوج الحوادث بل	مع الخضمَّ مـد الأنفاس لاتقف

(وقال العارف عبدالرحمن الجامي) في أواخر شرح الرباعيات ، قال الشيخ أبو الجناب نجم الدين الكبري في رسالته "فواتح الجمال" أن الذكر جارٍ في نفوس الحيوانات بأنفاسهم الضرورية لأنه وقت خروج النَفَس ودخوله يخرج حرف الهاء بلا قصد منها وهو إشارة الى غيب الهوية والهاء في لفظ الجلالة هي هذه الهاء والألف واللام للتعريف واللام الثانية للمبالغة أه . فينبغي لك أن تكون حاضراً مع هذا الذكر بأن تكون هوية الحقّ ملحوظة لك وقت ظهور هذا الحرف حتى يصير ملكك ، فحينئذ لايزول أبداً ولو أردت زواله . وغيب الهوية عند أهل الله عبارة عن الذات المطلقة عن جميع التعيينات . ويجوز أن تكون هذه الكلمة كناية عن إنتهاء الغافل عن سنة الغفلة في حال الذكر ، لأن المقصود من الذكر إستمرار ملاحظة معناه وإستمرار ملاحظة معنى الذكر يؤدي الى تجلّي ذلك المعنى ، وذلك لايمكن إلاّ بحفظ الأنفاس عن الغفلة لأن حفظها يؤدي الى الحضور والحضور سبب شهود تجلّيات الحق سبحانه وتعالى ، لأن لله تعالى تجلّيات بعددأنفاس الخلق . فمن حفظ أنفاسه عن الغفلات كان حاضراً مع الله تعالى فيصيب من تلك التجلّيات . ثم اعلم ان حفظ الأنفاس عن الغفلات عسير على السالكين ، فإذا تخللتها الغفلة فلابد لهم أن يستغفروا الله منها . فالإستغفار يطهّرها ويزكّيها وكما أن في قوله قدّس سرّه نظر بر قدم إشارة لدفع تفرقة الافاق كما تقدم كذلك في هذه إشارة لدفع تفرقة الأنفس .

السادسة : سفر در وطن ، أي السفر في الوطن . والمعنى المراد بها عندهم انه ينبغي ان يكون سفر السالك من عالم الخلق الى جناب الحقّ سبحانه وتعالى ، كما أشار إليه خليل الله عليه الصلاة والسلام بقوله (إني ذاهب الى ربي) ، ومن حال الى حال أحسن منه أو من مقام الى مقام أعلى منه ، كما قال أبو عثمان المغربي قدّس سرّه : "يجب على السالك ان يسافر من عند هواه وشهوته ومراده لا من بلد الى بلد" . وإنما إعتبر أرباب السلوك السفر الظاهري للوصول الى المرشد المربي ، فلما وصل اليه وجب عليه ان يسلم أمره اليه ويقيم عنده ويترك السفر الظاهر حتى يقدر على السفر الباطني وتتم الإرادة .

(وكان) الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي صاحب "نوادر الأصول" قدّس سرّه يمنع السالك عن السفر الظاهري ويقول مفتاح كل خير ومفتاح كل بركة الصبر في موضع إرادتك الى أن تصح لك الإرادة ، فإذا

صحّت لك الإرادة فقد ظهرت لك أوائل البركة فأنت في سفر الى الله تعالى سواء سافرت من حيث الظاهر أو لم تسافر . ثم إعلم ان المشايخ إنما منعوا السالكين عن السفر الظاهري لأن فيه المشاق والمحن التي لايتحملها أهل البدايات لعدم تمكنهم في مقام العبودية والشهود فتؤدي بهم تلك المشاق الى إرتكاب المخالفة في طريق السلوك وترك الفرائض والسنن وتورث في قلوبهم التفرقة . وأما الكاملون فلاتؤثر فيهم تلك المشاق بل يحصل لهم الترقيات الى الدرجات العاليات بسبب تحمّل مشاق السفر ومحنته كما كان السلف الصالحون . وإذا إستوطنت نفوسهم في محل وحصل لهم الإئتلاف مع الناس سافروا لرفع العادات وترك الراحات وقطع الألفة وإختيار الذلّة ليحصل لهم التجرّد التام حتى يصلوا الى أعلى مقام .

(قال سيدنا الشيخ عبيدالله أحرار) إن السفر لايورث المبتديء إلا التفرقة فينبغي للطالب إذا وجد الشيخ أن يلازمه بصدق الهمّة في الخدمة ولايفارقه إلاّ بعد التمكن ، فإذا حصل له التمكن يكون سفره وحضره على نية صحيحة :

ماأحسن الضحك الجاري بغير فم	ورؤية غاب عنها هيكلُ البصرِ
كُنْ قاطناً ظاهراً والسرّ مرتحل	فالسيرُ من دون رجل أحسنُ السفرِ

(وقال العارف الجامي قدّس سرّه) إن قلب الإنسان إذا زالت منه تعلقات الأكوان وإرادات الطبع البشرية يظهر صفاؤه الأصلي فلايحتاج الى السير والسلوك ، لأن المراد منه تصفية القلب بل ينطبع فيه كل ماقابله من الكمالات كالمرآة الصقيلة فإنها يظهر فيها صور الأشياء المقابلة لها بلا إحتياج الى حركة ، لأن صفاءها أصلي فما يقابلها ينطبع فيها . وقال سيدنا الإمام الرباني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي : "هذه الكلمة المباركة عبارة عن السير الأنفسي ومنشأ حصول إندراج النهاية في البداية الذي هو من خصائص الطريقة العلية النقشبندية . وهذا السير وإن كان موجوداً عند جميع أهل الطرق ولكن لايتيسّر لهم إلا في نهايتهم بعد قطع السير الافاقي . وأما السالك هذا الطريق فابتداؤه يكون من هذا السير وفي ضمنه يقطع السير الافاقي . فمنشأ هذا السير في البداية من إندراج النهاية في البداية" .

السابعة : خلوة درأنجمن ، اعلم أن الخلوة نوعان :

(الأول) خلوة في الظاهر . وهي إختلاء السالك في بيت خال عن الناس وقعوده فيه ليحصل له الإطلاع في عالم الملكوت ، لأن الحواس الظاهرة متى إحتبست عن أحكامها إنطلقت الحواس الباطنة لمطالعة أيات الملكوت .

(الثاني) خلوة في الباطن وهي التي أشار إليها الشيخ بقوله "خلوة در أنجمن" أي الخلوة في الجلوة . لأن معنى (أنجمن) جمعية الناس والمراد بها عندهم انه ينبغي أن يكون قلب السالك حاضراً مع الحق غائباً عن الخلق مع كونه بينهم . فحينئذ تكون هذه الكلمة بمعنى المراقبة . وقيل هي كناية عن كون الذاكر مستغرقاً في الذكر القلبي بحيث إذا دخل السوق لم يسمع أصوات الناس بسبب إستيلاء الذكر على حقيقة القلب . وقيل هي كناية عن إستيلاء النسبة العلية بحيث لاينافيها معية الخلق ولايضرّها المعاملة معهم . وهذه هي الخلوة الحقيقية كما أشار إليه تعالى بقوله (رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) وهي خاصة بالطريق النقشبندي لأن أربابها لايختلون بالخلوة الظاهرة وإنما خلوتهم من حيث الباطن عند جمعية الناس ، كما قال سيدنا ومرشدنا الشيخ بهاءالدين قدّس سرّه : "الشهرة في الخلوة وفي الشهرة الآفة والخير في الجمعية والجمعية في الصحبة بشرط أن تكونوا فانين بينكم .

(وقال سيدنا عـبيدالله أحرار) لو ذكر السالك بجدّ وإهتمام يصل في نحو خمسة أيـام الى أن يسمع جميع الأصوات والحكايات وحتى كلام نفسه ذكر الله تعالى . وإنما إختاروا هذه الخلوة إتباعاً لـلسنّة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم إختار الجمعية على الخلوة وقال : "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبّرهم على أذاهم خير من المؤمن الذي لم يخالط الناس" . (وقال الشيخ أبو سعيد الخرّاز رضي الله عنه) ليس الكامل مَن صدر عنه أنواع الكرامات ، وإنما الكامل الذي يقعد بين الخلق يبيع ويشتري معهم ويتزوج ويختلط بالناس ولايغفل عن الله لحظة واحدة :

بقلبك كُنْ بالحبِّ منصبغاً وكُنْ — بظاهرك المشهود في زيّ أجنبي

وهذا طريق نـــــادر عـزّ أهلـهُ — على أنـهم فـازوا بأعـذب مشربِ

(وقال سيدنا الإمام الرباني قدّس سرّه) قوله "خلوة در أنجمن" متفرّع عن "سفر در وطن" لأنه متى تيسّر السفر في الوطن تيسّرت الخلوة في الجلوة . فيسافر في تفرقة الجلوة في وطن الخلوة فلا تجد تفرقة الآفاق الى حجرة الأنفس سبيلاً . وهذه الخلوة وإن كانت متيسّرة لكل منته في سائر الطرق أيضاً ، لكن لما كانت متيسّرة في إبتداء هذه الطريق صارت من خصائصه . ومما ينبغي أن يُعلم أن الخلوة في الجلوة إنما تحصل إذا كانت أبواب خلوة وطن القلب مغلقة وطاقاتها مسدودة . يعني لايُلتفت في الجلوة الى أحد ولايكون متكلماً ولا مخاطباً إلاّ أنه يغمض عينيه ويعطّل الحواس بالتكلّف فإنه ينافي هذا الطريق . نعم ياأخي يحتاج السالك لهذا التكلّف والتمحُّل في الإبتداء والوسط ، وأما في الإنتهاء فلا ، بل يكون فرقهُ جمعاً وغفلته حضوراً ولايتوهم من ذلك أن التفرقة وعدمها في نفس جمعية باطنه سيان ، هذا ومع ذلك لو جُمع الظاهر مع الباطن ودفع التفرقة عن الظاهر أيضاً كان أولى وأنسب ، قال تعالى آمراً النبي عليه الصلاة والسلام (وأذكر إسم ربّك وتبتّل إليه تبتيلاً) . وينبغي أن يعلم أنه لابد من تفرقة الظاهر في بعض الأوقات لأداء حقوق الخلق وهي مستحسنة في بعض الأحيان ، وأما تفرقة الباطن فلاتجوز في وقت من الأوقات إذ الباطن لله خالصاً فصارت ثلاثة أرباع من العبد المسلم لله تعالى الباطن بتمامه والنصف من الظاهر وبقي النصف الآخر من الظاهر لأداء حقوق الخلق إمتثالاً لأمر الحق ، لكن إذا كان هذا النصف لأداء حقوق الخلق يصير لله سبحانه تعالى اليه يرجع الأمر كله .

الثامنة : ياد كَردْ ، (ياد) بمعنى الذِكر وأصله كَردَنْ وهو مصدر مركب حُذفت نونه تخفيفاً . والمراد بها عندهم أنه ينبغي للسالك أن يذكر النفي والإثبات باللسان بعد وصوله الى مرتبة المراقبة كل يوم بعدد معين مثل خمسة آلاف أو عشرة آلاف . وإنما شرطوا ذكر النفي والإثبات باللسان في هذه المرتبة لأن القلب بتعلقه بالعناصر يصدأ بصدأ العناصر . فإذا ذكر النفي والإثبات باللسان ينجلي صدؤه ويترقّى في المراقبة حتى يصل الى مرتبة المشاهدة . وقيل هي عبارة عن تكرار الذِكر على الدوام سواء كان بالقلب أو باللسان بإسم الذات أو النفي والإثبات الى أن يحصل للذاكر الحضور بالمذكور . ويجوز أن تكون كناية عن ذكر الله مطلقاً إذا حصل له النسيان عن الذِكر أو الغفلة كما قال الله تعالى (وأذكر إسم ربك إذا نسيت) . (وقيل) المقصود منها ذكر النفي والإثبات بالقلب على الطريقة المعروفة عند السادات النقشبندية وهي أن يغمض الذاكر عينيه ويُطبق الفم ويجعل السن على السن واللسان بعرش الفم ويحبس النَفَس ويذكر بالقلب لا باللسان بأن يبتدئ بكلمة "لا" من تحت السرّة ويرفعها الى الدماغ ، وبكلمة "إله" من الدماغ الى الكتف ويضرب "إلاّ الله" مع حركة الرأس على القلب الصنوبري الشكل حتى تتصل حرارته الى الأعضاء كلّها . ويُنفى بالنفي

وجود جميع المحدثات وينظرها بنظر الفناء ويُثبت بشقّ الإثبات ذات الحقّ تعالى ناظراً له بنظر البقاء . ويلاحظ الخط الفاصل من الإنتقالات . ويقول بعد ذلك في القلب "محمد رسول الله" ويكررها على قدر قوة النَفَس ويطلقه من الفم على الوتر المعروف عندهم بالوقوف العددي . ويجب أن يكونه هذا الذكر بغير تصور المعنى حتى يقدر السالك أن يأتي بإحدى أو ثلاث وعشرين مرة في نَفَسٍ واحد . فحينئذ يتصوّر المعنى وهو أن لا مقصود غير الله ، فإن نفي المقصودية أبلغ من نفي المعبودية لأن كلّ معبود مقصود ولا عكس .

التاسعة : باز كشت ، "باز" بمعنى الرجوع و"كَشت" بالكاف الفارسية أصله "كَشتن" حُذفت نونه للتخفيف . والمراد بها عندهم أنه ينبغي للذاكر أن يرجع في النفي والإثبات بعد إطلاقه للنفس الى تخيّل هذه الجملة الشريفة "إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي" . وتخيّلها يؤكد معنى النفي والإثبات ويورث في قلب الذاكر سرّ التوحيد حتى يفنى عن نظره وجود جميع الخلق ويظهر له وجود الواحد المطلق في المظاهر . ولذلك كان السادات النقشبندية يأمرون بها المريدين ليتصفوا بمضمونها مع المداومة عليها ، لأن من خاصية هذه الكلمة ظهور سرّ التوحيد وإنكشاف حقيقة التجريد والتفريد . ولايجوز للمبتديء إذا لم يجد في قلبه صدق مضمونها أن يتركها بل يقولها تقليداً لمرشده إذ المقلَّد يصير محققاً وآثار الصدق تظهر بالتدريج .

(ذكر الشيخ علاءالدين المكتبدار) أحد أصحاب الشيخ سعيد الكاشغري أن الشيخ لمّا لقّنه أن يقول هذه الجملة الشريفة قال : "وكنت لاأجد في نفسي صدق مضمونها فأغضب من ذلك ، فذهبت ذات يوم عند الشيخ وأنا متفكّر في هذا الأمر . فلما وصلت اليه قال لي الشيخ "روح عند الشيخ بهاءالدين عمر" . فذهبت معه حتى إذا جلسنا عنده قال الشيخ بهاءالدين عمر : كان الشيخ علاءالدولة يقول إن لم يجد الطالب إخلاصاً في الباطن ينبغي أن يذكر هذه الكلمات المباركة مع الذكر حتى يظهر الصدق في باطنه ببركة إلتزام هذا الذكر . فلما سمعت منه هذا الكلام زال عني الإضطراب وظهر لي صدق مضمونها ببركة الشيخ قدّس سرّه" . (وقيل) باز كشت كناية عن رجوع الذاكر الى الله تعالى عند الذكر بإظهار العجز والتقصير ، لأنه لايقدر أحد على حق الذكر إلاّ بإعانته تعالى . فلذلك ورد "ماذكرناك حقّ ذكرك يامذكور" . وإن الذاكر لايمكن له الحضور في الذكر ولاينكشف له أسرار الذكر ولايتيسّر له الوصول الى الله تعالى بالذكر إلاّ إذا ذكره به تعالى نفسه . فلذلك كانت كلمة "باز كشت" إشارة الى رجوع الذاكر حال ذكره اليه تعالى كما تقدم ليحصل له الوصول بالذكر الى المذكور .

العاشرة : نكاه داشت ، "نكاه" بمعنى الحفظ و"داشت" وأصله "داشتن" حُذفت نونه للتخفيف . يريدون بها أن يحفظ السالك قلبه على ملاحظة معنى النفي والإثبات عند الذكر لئلا تدخله الخواطر ، فإن دخلت فيه الخواطر لاتحصل فيه نتيجة الذكر التي هي حضور القلب بالمذكور . أو المُراد ان يحفظ قلبه عن دخول الخواطر فيه ساعة أو ساعتين أو أقل أو أكثر وهذا المعنى يتحد بالوقوف القلبي . وإعلم أن حفظ القلب من دخول الخواطر ولو ربع ساعة أمر عظيم عند الصوفية ، فإن من قدر على ذلك فقد تصوّف . لأن التصوّف هو القدرة على حفظ القلب عن دخول الخواطر فيه وتعطيله عن الأفكار . فمَن قدر على هذين الأمرين فقد عرف حقيقة قلبه ومَن عرف حقيقة قلبه فقد عرف ربه ، كما قال صلى الله عليه وسلم : "مَنْ عرف نفسه فقد عرف ربه" .

(قال الشيخ قاسم) أحد أصحاب الشيخ عبيدالله أحرار إني لأحفظ الخواطر من طلوع الفجر الى الضحى بحيث لاتكون للقوة المخيلة أثر . (وقال بعض العارفين) حرست قلبي عشر ليال فحرسني قلبي عشرين سنة . (وقال) الشيخ أبو بكر الكتاني قدّس سرّه : "كنت بوّاباً على باب قلبي أربعين سنة ومافتحته لغير الله تعالى حتى صار قلبي لم يعرف غير الله عزّ وجلّ" .

(وقال) سيدنا الشيخ أبو الحسن الخرقاني قدّس سرّه : "اليوم لي أربعون سنة والله ينظر الى قلبي لايرى فيه غيره مابقي فيَّ لغير الله شيء ولا في صدري لغيره قرار" . أو المُراد من حفظ القلب من الخواطر عدم ثباتها عند مرورها عليه . (قال الشيخ عبيدالله أحرار) ليس معنى حفظ الخاطر أن لايجيء للسالك خاطر أصلاً ، بل أن لايزاحم الخاطر حضوره كالحشيش إذا سقط على الماء الجاري فإنه لايمنع جريانه . (وقال) سألت الشيخ علاءالدين الغجدواني وهو من كبار أصحاب سيدنا بهاءالدين نقشبند : هل يمكن أن لايجيء الخاطر قط ؟ قال : لا . بل تارة يجيء وتارة لايجيء كقولك لآخر "لاتكنْ مغموماً" تريد لاتدم على غمّك لا أن لايجيئك غمّ . (ويؤيّده) ماقاله الشيخ علاءالدين العطار : "وإنتفاء الخواطر متعسّر بل متعذّر فإني حرست قلبي من الخواطر عشرين سنة ثم جاءت ولكن مااستقرّت" . (وقال بعضهم) لا عبرة للخواطر إذا لم تتمكن وتصير سداً في مجاري الفيض .

الحادية عشر : يادداشت ، والمُراد عندهم أنه ينبغي للذاكر أن يحفظ قلبه مع الحضور بالمذكور بعد النفي والإثبات بحسب النَفَس . وقيل هي كناية عن حضور القلب مع الله تعالى على الدوام في كل حال ، فحينئذ تتحد مع المراقبة . ثم إعلم إن الحضور الحاصل من الذكر والمراقبة والصحبة والرابطة . وكلمة "يادداشت" متحدة من حيث الحقيقة لأن الحضور مشاهدة أنوار الذات الأحدية ، لكنها مختلفة من حيث الكيف لايعرف ذلك الإختلاف إلاّ الخواص . (هذا) والخواطر أربعة :

* خاطر نفساني * خاطر شيطاني * خاطر مَلَكي * خاطر حقّاني

فيلزم السالك أن ينفي الثلاثة ويثبت الحقّاني . ومعرفة الخواطر وتمييزها عسير ومما ذكروا في بيانها أن حصول الخاطر النفساني من أرض القلب يعني من تحت القلب . وهذه تصحُ معرفتها لمن تحلّى بالتقوى والزهد والورع وأكل الحلال الطيّب وكان دائماً مراقباً لخواطره لايترك الغير يمرّ بباله . ثم إن الشيخ قدّس سرّه لما قرب إنتقاله الى الدار الآخرة أذنَ بتربية المريدين لأربعة خلفاء راشدين :

الخليفة الأول : البحر الحَبر العارف والمرشد الكامل المعارف الشيخ أحمد الصديق قدّس سرّه . كان من كبار المشايخ العظام . وهو بخاريُّ الأصل صَحِبَ الشيخ عبدالخالق الغُجدواني قدّس سرّه حتى كمل بدره . ولما رفعه الله تعالى إليه جلس مكانه في دستِ الإرشاد الى أن توفيّ قدّس سرّه .

الخليفة الثاني : كبير الأولياء الشيخ عارف أولياء الكبير قدّس سرّه ، وأصله من بخارى . وكان مستغرقاً في تحصيل علم الظاهر فلقيَ الشيخ مرة في السوق وقد إشترى لحماً وحمله . فقال له : "أنا أحمله عنك" فأعطاه إيّاه فلما وصل بيته إلتفت اليه وقال تأتي بعد ساعة حتى أكل الطعام معك . فلما إنصرف لم يجد في قلبه ميلاً للعلم بل وجده منصرفاً لخدمة الشيخ فعاد الشيخ في الوقت . فتقبله وقال له "أنت ولدي" وعلّمه الطريق فاشتغل به . وترك الذهاب الى أستاذه فكان كلما رآه أستاذه عنّفه وشتمه على ترك العلم وأمره بالحضور الى

المدرسة وهو لايقبل ولايجيبه بشيء . فإتفق أن إقترف أستاذه ذات ليلة كبيرة من الكبائر فلما إلتقيا في النهار أطال لسانه عليه على العادة . فقال له : "ياسيدي كنت في الليل كذا وكذا من الفسق والآن تمنعني عن طريق الحقّ" . فخجل الأستاذ خجلاً عظيماً وعلم علوّ مراتب الصوفية وأحوالهم وحضر عند الشيخ عبدالخالق في الحال وتاب وأخذ طريقته وصار من المقبولين لديه . وثبت أن مولانا عارف أوليا إعتكف إعتكاف الخواطر في مسجد "سرصرافان" الكائنة في سوق بخارى أربعين يوماً . وكان سيدنا الشيخ عبيدالله أحرار يستغرب هذا الحال من الشيخ أوليا حتى كان يعضُّ على أنامله . وتوفيَ في بخارى ودُفن قرب برج العيار على تل "زيرحصار" قدّس سرّه ومن أشهر خلفائه خمسة :

(الأول) زهرة العارفين الشيخ دهقان القلتي قدّس سرّه . كان أية باهرة في تربية الطالبين وقد قام مقام مرشده من بعده حتى توفي في "قِلّت" بكسر القاف وتشديد اللام المفتوحة المثنّاة ، وهي قرية على فرسخين من شمال بخارى .

(الثاني) نخبة العارفين الشيخ ذكي الخدابادي قدّس سرّه . كان من أكابر المربّين ولما توفي الشيخ دهقان قام مقامه حتى أتمَّ أنفاسه المقدّسة في قرية "خداباد" من أعمال بخارى وعلى خمسة فراسخ منها .

(الثالث) صفوة الصالحين الشيخ "سوكمان" ناب مناب مرشده أيضاً وأتمَّ أعمال الطريقة العلية بمدده . وكان من أكابر أهل الإرشاد وتوفيَّ في بخارى وقبره المبارك عند ضريح شيخه عبدالخالق قدّس سرّه .

(الرابع) سلالة العارفين وعمدة المرشدين الشيخ "غريب" . وهو نجل الشيخ عبدالخالق الغجدواني قدّس سرّه . نابَ مناب والده بعد إنتقال خلفائه الثلاث وحصل له في الطريق شأن عظيم . فلما قدم محبوب القلوب الشيخ حسن البلغاري كان على كبر سنه وجلالة قدره يتردد دائماً الى حضوره . وسُئل عنه مرّة فقال : "رأيت كثيراً من الأولياء والمشايخ فلم أر مثله" . وللشيخ غريب أصحاب كثيرون من أشهرهم أوليا پارسا والشيخ حسن الساوري والشيخ أوكتمان والشيخ أوليا غريب قدّس سرّهم .

(الخامس) ولي العلماء وعالم الأولياء الشيخ نورالدين قدّس سرّه كان في الإرشاد عمدة أقرانه ولؤلؤة صدفة زمانه .

الخليفة الثالث : العارف الكبير والبدر المنير الشيخ سليمان الكرميني قدّس سرّه . كان من أكابر المرشدين وإشتهر له ثلاث خلفاء :

الأول : المرشد الكامل الشيخ محمد شاه قدّس سرّه .

الثاني : الإمام الكامل والعالم العامل الشيخ سعدي الغُجدواني قدّس سرّه .

والثالث : خلاصة الأولياء المهديين الشيخ أبو سعيد البخاري قدّس سرّه وقد تعاقب كل من هؤلاء الخلفاء الثلاثة على مقام الشيخ سليمان الى أن توفيَّ أبو سعيد فناب عنه خليفته العلامة الكبير والمرشد الشهير الشيخ محمد البخاري صاحب كتاب "مسلك العارفين" قدّس سرّه ، وهؤلاء السادات من رجال الرشحات . ورأيت في "سلسلة نامه" للشيخ محمد بن حسين بن عبدالله الغزويني أن من أصحاب الشيخ عبدالخالق نفعنا الله به إمام الزمان الشيخ خنان البخاري قدّس سرّه .

الخليفة الرابع : شيخ هذه السلسلة وأعظم من سرى إليه سرّ هذه النسبة المبجلة سيدنا الشيخ عارف الريوكري قدّس الله سرّه العزيز .

سيدنا الشيخ عارف الريوگري
قدّس الله سرّه العزيز

عارف ظهرت أنوار صادق فجره فأشرقت بعد الغروب شمس المعارف في عصره . ولد قدّس سرّه سنة ... في قرية "ريَوكِريا" بالراء المهملة والياء المثناة التحتية والواو الساكنتين والكاف الفارسية المكسورة وقيل تُفتح والراء مهملة . وهي من قرى بخارى على ستة فراسخ من غُجدَوان ، ثم أخذ الطريقة عن حضرة العزيزان وقام بأعباء خدمته حتى أذن له بالإرشاد وشهد له بالكمال على رؤوس الأشهاد . ولما أفضت اليه الخلافة ناهز بالهمة الجمَة أسلافه فتصدّر للإرشاد وتصدى ولم يخف المريد من ليلى مراده هجراً ولا صداً فملأ الأقطار بأعطار بركاته وفتح أبصار الأمصار بأسرار فتوحاته حتى أصبح نور حديقة الحقيقة ونور حدقة هذه الطريقة يُقصد بالرحلة من كل الجهات ، وهو من أعظم رجال النفحات والرشحات . وكانت وفاته في القرية المذكورة سنة (...) وله عدة خلفاء لم أقف على أسمائهم . ثم تلقى سرّ هذه النسبة الشريفة عنه سيدنا الشيخ محمود الانجيرفغنوي قدّس الله سرّه العزيز .

سيدنا الشيخ محمود الانجيرفغنوي
قدّس الله سرّه العزيز

مرشد تفجّرت من بين أصابعه مياه الحكمة . أنعم الله تعالى بوجوده على قلوب هذه الأمة فصقل مرآتها من كل ظلمة وغُمّة ومزّق عنها بها حجب الأغيار وجعلها بأنواره القدسية من المصطفين الأخيار . فهو أعظم نعمة وأعمّ رحمة .

(كان قدّس سرّه) مع جلالة قدره يشتغل بصنعة البناء . فلما أُقيم مقام سيدنا الشيخ عارف قدّس سرّه إنقطع لهداية الخلق الى الحق وقد عدل الى الذكر الجهري منذ مرض أستاذه لمقتضى خلق الوقت وإستمر عليه بعد إنتقاله . وكان أكثر إقامته في مسجد "وَابكي" (بواو مفتوحة فألف فموحدة ساكنة فكاف فنون فباء تحتية) قرية من أعمال بخارى .

وحضر يوماً مجلس علم فأشار الشمس الحلواني الى الشيخ حافظ الدين وهو من كبار علماء الظاهر أن يسأل ماذا ينوي بذكر الجهر ، فقال له : "إيقاظ النائم وتنبيه الغافل ليتوجه الى الله ويستقيم على الطريقة ويخلص التوبة الى الله تعالى التي هي مفتاح الخير وآية السعادة" . فقال له إن نيتك صحيحة تجيز لك الجهر بالذكر . وطلب الشيخ حافظ الدين منه أن يبين له حال مَن يجوز له ذكر الجهر ليمتاز المحق من المُبطل ، فقال قدّس سرّه : "مَن وجدتم لسانه مطهراً من الكذب والغيبة ، وجوفه منزّهاً عن الحرام والشبهة ، وقلبه مزكّى من الرياء والسمعة ، وسرّه مبرّأ من التوجه للأغيار فهو المحق" . (وقال) سيدنا الشيخ على الراميتني قدّس سرّه لقي رجل الخضر عليه السلام فقال له : أخبرني عمّن هو في هذا الزمن على جادة الشريعة المطهّرة وطريق الإستقامة حتى أتبعه . فقال له : هو الشيخ محمود الانجيرفغنوي قدّس سرّه . (قال) بعض أصحاب الشيخ علي إنه هو الرجل الذي لقي الخضر . وذكر الشيخ أيضاً أنّ الشيخ محمود كان على قدم الكليم على نبينا وعليه الصلاة والتسليم . وعاد قدّس سرّه حضرة الشيخ دهقان قِلّتي الى (قِلّت) وهي قرية على فرسخين من بخارى ، وكان من كبار خلفاء الشيخ أولياء الكبير البخاري وقد إحتضر . فلما خرج من عنده سأل الشيخ دهقان الله تعالى أن يغيثه بوليّ من أوليائه في سكرات الموت ، فإذا بالشيخ محمود عاد الى منزل الشيخ دهقان ثانياً وبقي ثَمَّ حتى إلتحق بالرفيق الأعلى .

(ولد قدّس سرّه) سنة (...) في قرية انجيرفغني ، و"إنجير" بكسر الهمزة وسكون النون وجيم فياء ساكنة فراء مهملة إسم للتين بالتركية و"فغني" بفاء معجمة فنون مثنّاة تحتية قرية من أعمال بخارى ، وله ثلاثة خلفاء :

الأول : مظهر الفيوضات الربّانية ومصدر الحقائق الإلهية العارف بالله تعالى مولانا الشيخ حسن الوابكي المعروف بالأمير كلان أي الكبير . الخليفة الثاني : أخوه أمير المرشدين الكرام الشيخ حسين ، المعروف بأمير خوردأي الصغير الوابكي قدّس سرّه . فإنه شاع ذكره في الآفاق بالولاية والإرشاد حتى تكمّل عنده عدة مرشدين من أشهرهم : العارف بالله تعالى مولانا الشيخ علي الارغنداني فلقد كان آية في الإرشاد كثير الأصحاب أولي الهداية والإمداد . ومن أكبر أصحاب الأرغداني العارف الكبير الشيخ أحمد شكر مولانا الدرويش الأوسكني الشيخ علي الراميتني المشهور بالعزيز قدّس سرّه .

سيدنا الشيخ علي الراميتني
قدّس الله سرّه العزيز

عَلَمٌ عَلَم ما أرفعه ومنهل فضله ماأنفعه ، فتح من كنوز القلوب أقفالها ،أوضح من سنن الغيوب إغفالها الى نفس كم جبر بكسر شهوات النفوس أحوالها ، ومحا عنها بما أوحى لها أوحالها . وناك في دولة العارفين من الفضائل والمفاخر ماصدق قول القائل "كم ترك الأول للآخر" . فهو لإرشاد القاصرين الى المقامات العرفانية أولى وليّ وإذا لم تكن العلماء أولياء فليس لله ولي علا في سماء الهداية قدره وإسمه فلايُدرك بالعبارة وحده ولا رسمه أنه في أم الكتاب لدينا لعليّ .

(وُلد قدّس سرّه) في قرية "راميتن" وهي (براء مهملة مفتوحة فألف فميم مكسورة فمثنّاة تحتية ساكنة فمثنّاة فوقية مفتوحة فنون) قرية على فرسخين من بخارى . ونشأ بها وإشتغل بتحصيل العلوم الشرعية حتى تضلّع منها . إتصل بحضرة سيدنا الشيخ محمود الإنجيرفغنّوي فحصل له من المقامات العالية والفتوحات المتوالية ما ملأ به الخافقين إمداداً والغريقين إرشاداً . وإشتهر بالعزيزان وهي أعظم آية على علو الشأن .

(ومن أنفاسه النفيسة) "إعملوا ولاتحسبوا وإعترفوا بالتقصير وإستأنفوا العمل" . (ومنها) "إجتهد بالحضور على الدوام لاسيما وقت الطعام وعند الكلام . (ومنها) إن في قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً... الآية) إشارة وبشارة الى التوبة وبشارة بقبولها ، فإن الأمر بها دليل قبولها إذ لو لم يقبلها لم يأمر بها . (وسُئل قدّس سرّه) عن المسبوق متى يقضي مافاته فقال قبل طلوع الفجر . (وقال قدّس سرّه) في معنى قوله عليه السلام : "إن الله ينظر الى قلب المؤمن كل يوم وليلة ستين وثلاثمائة مرّة" إن للقلب ستين وثلاثمائة منفذ ولكل عضو ستين وثلاثمائة عرق من الأمعاء وغيرها متصلة بالقلب . فإذا تأثر القلب بذكر الله بحيث يصل الى مرتبة تختصَ بنظر الله سرى هذا التأثير الى جميع الأعضاء . فيشتغل كل عضو بالطاعة اللائقة به . ومن نور طاعة كل عضو يصل الفيض الذي هو عبارة عن نظر الرحمة الى القلب . (وسُئل قدّس سرّه) عن الإيمان فقال هو القطع والوصل . أخذ هذا الجواب من صنعته فإنه كان نسّاجاً وكان معاصراً للعالم الكبير الشيخ ركن الدين وبينهما مفاوضات ومراسلات كثيرة . منها أنه أرسل الشيخ ركن الدين اليه رسولاً يسأله ثلاث مسائل :

الأولى : قال له كلانا نخدم الفقراء والمساكين و نطعم الطعام فما بال طعامك لاتكلُّف فيه والخلق يشكرونك ويرضون منك ويشكون منّي ولايرضون ؟ فأجاب قدّس سرّه بأن كثيراً من أهل العطاء يمنّون على المُعطى له ولايتحمَّلُ المنَّ إلاّ قليل من الناس . فإجتهد في عدم المنّة لاتجد أحداً منهم شاكياً . والمسألة الثانية : قال له سمعت أنّ الخضر قد تولى تربيتك فكيف هذا ؟ فأجابه بأن الذين يحبهم الله يحبهم الخضر . والمسألة الثالثة : قال له سمعت أنك تذكر الله جهراً فمن أين لك ذلك ؟ فأجابه بأني أنا سمعت كذلك أنك تذكر الله خفية وماسمعه غيرك يكون جهراً .

(وسأله) مولانا سيف الدين فضة ، وكان من أجلّ العلماء ، فقال له لِمَ تجهر بالذِكر ؟ فقال قد إتفق

العلماء على جواز الجهر بالذكر عند النفس الأخير من الحياة لقوله صلى الله عليه وسلم : "لقّنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلاّ الله" وعند الصوفية كل نَفَس هو النَفَس الأخير . (وسأله) مولانا الشيخ بدرالدين الميداني ، وكان من أجلّ أصحاب الشيخ حسن البلغاري ، قائلاً : بأن الله تعالى أمرنا بكثرة الذكر بقوله جلّ جلاله (أذكروا الله كثيراً) فهل المراد به ذكر اللسان أو القلب ؟ فقال : للمبتديء ذكر اللسان وللمُنتهي ذكر القلب . لأن المبتديء يذكر الله تعالى بالتكلّف والتعمُّل وأما المنتهي فإن القلب إذا تأثر بالذكر صارت جميع أجزائه ذاكرة . فحينئذ يتحقق بالذكر الكثير فتكون أعمال يوم واحد منه بمقدار عمل سنة من غيره . (وقال قدّس سرّه) على المرشد أن يُعلِّم أولاً إستعداد السالك وقابليته ثم يلقّنه الذكر ويربيه على حسب ذلك . فإنّ مَن يتصدى لتربية المريدين وإرشادهم مثل من يربّي الطائر . فكما ينبغي له أن يعلم قدر تحمّل حوصلته فيطعمه على حسبها كذلك المرشد . (وقال قدّس سرّه) لو كان أحد على وجه الأرض من أولاد الشيخ عبدالخالق الغجدواني موجوداً ماصُلب الحلاّج وأنشد بين يديه :

لكلّ صبٍّ أذاب العشق مهجتهُ   في كل فرد من الأنفاس عيدان

فقال قدّس سرّه بل ثلاثة أعياد فسأله بيانها . فقال هي التوفيق للذكر ، والذكر ، وقبوله . (وقال قدّس سرّه) ينبغي للسالك أن يكثر من المجاهدات والرياضات ليحصّل الأحوال والمقامات . وهنالك طريق آخر وهو أن يسعى في تحصيل محبة قلوب أوليائه ، فإن قلوب هذه الطائفة العلية موارد الحكم الإلهية . فيدرك بذلك نصيباً منها وتظهر أحوالهم عليه .

(وسأله الشيخ فخرالدين نوري) وكان من أكابر القوم : ماالسبب في أنه تعالى لما قال في الأزل (ألست بربكم) قالوا بلى . فأجابوه ويوم القيامة يقول لمن المُلك اليوم فلا يجيبه أحد ؟ فقال قدّس سرّه : السبب في ذلك أنه كان يومئذ وضع التكاليف الشرعية والتكلم من ضروريات الشرع . وأما يوم القيامة ففيه تُرفع التكاليف ويبتدء عالم الحقيقة وليس في الحقيقة تكلّم . فاقتضى أن يجيب الحقّ تعالى نفسه بقوله الواحد القهار .

(وقال قدّس سرّه) أتى الخضر يوماً لزيارة الشيخ عبدالخالق الغُجدواني فأحضر له الشيخ رغيفين من شعير فما أكل عليه السلام ، فقال الشيخ : كُل ياسيدي فإنه حلال . فقال : نعم غير أنّ عاجنه لم يكن طاهراً فلايجوز لي أن آكله .

(وله قدّس سرّه ما معرّبه) :

مَنْ لم تفدك حضور القلب صحبته   وعنك غيّم الهوى والنفس وماكَشَفا
إن لم تفارقه تحصيلاً لجمعك لم   تقبلك روح العزيزان الذي عرفا

(وله قدّس سرّه ما تعريبه)

إذا رُمْتَ الحقَّ دَع كلَّ فرقة   وفرقة أهل الحقّ بالصدق فاصحب
وإن رُمْتَ إمداد العزيزان فإنه   على الرأس والعين سعيُ تقرّبِ

(ومن خوارقه قدّس سرّه) أنه وقع بينه وبين أحد معاصريه ، وهو السيد أتي ، برودة فصدر منه ذات يوم ما ينافي الأدب بحقّه قدّس سرّه . فإتفق أن أغارت طائفة الأتراك ذلك اليوم على البلدة . فنهبوا وأسروا كثيراً من أهلها ومن جملتهم ولد السيد أتي المشار إليه . فلما بلغه خبر ولده علم أن هذا مجازاة له من الله تعالى على ما وقع منه بحقّ العزيزان قدّس سرّه . فجاءه مسرعاً الى حضرته وإعتذر منه ودعا

الشيخ ومَن كان في مجلسه الشريف من العلماء والمشايخ الى داره . ففهم قدّس سرّه مراده . فلما حضر وأفرش الخادم السُفرة وأتى بالطعام ، فقال الشيخ قدّس سرّه : لاأمدُّ يدي الى طعامه حتى يحضر ولده ويأكل معنا . ثم سكت والجماعة ينظرون اليه ، فإذا بالباب يُطرق ففتحوه فوجدوا الولد قد جاء . ففزع الناس كلّهم فزعاً شديداً وأقبلوا عليه يسألونه عن كيفية خلاصه من الأسر ووصوله اليهم ، فقال : أنا لاأعلم نفسي إلاّ أني كنت في هذا الوقت عند الترك أسيراً ثم وجدتني عندكم . وكان بين البلدين مسافة عشرة أيام فأذعن الحاضرون كلهم لفضله وكرامته على الله تعالى . (ومنها) أن أحد السادات جاء يوماً لزيارته قدّس سرّه ولم يكن عنده شيء يكرم به ضيفه أصلاً . فجلس معه وهو مهتم لذلك فما لبث أن جاءه أحد مريديه وكان أبوه طبّاخاً بقصعة من ثريد فوضعها بين يدي الشيخ ، ثم وقف بالذلّ والإنكسار وقال له : إني صنعت هذه على إسمك فأرجوك أن تتقبلها . فتهلل وجه الشيخ قدّس سرّه سروراً بصدق خدمته وإنكساره وأكل هو وضيفه منها . ثم لما إنصرف نادى الغلام وقال له : بارك الله لك في رزقك وتقبّل هديتك أطلب مني ما تحب فإنه يحصل لك إن شاء الله تعالى . وكانت همة الغلام عالية جداً فقال له : أقصى مرادي أن أكون مثلك صورة وسيرة . فقال الشيخ : هذا أمر صعب لاتطيقه . فقال : لاأريد غيره . فأخذ الشيخ بيده وأدخله الى خلوته وتوجه اليه بكلّيته وتفضّل عليه بعليٍّ همّته . فبعد ساعة خرج الغلام وقد صار كالشيخ صورة وسيرة لايقدر أحد أن يميّز بينهما وعاش أربعين يوماً وقيل ثم إنتقل الى رحمة الله عزّ وجلّ .

(ولما جاءه الأمر الإلهي) بالتحوّل من بخارى الى خوارزم توجه في الحال إليها . فلما وصلها نزل عند باب سورها وأرسل رسولاً الى ملكها يقول له إن فقيراً نسّاجاً قد قصد الدخول الى بلادكم والإقامة بها ، فإن أذنتم له دخل وإلاّ رجع . وأمره إن أذن له بالدخول أن يأخذ منه بذلك كتاباً مختوماً بخاتمه . فلما جاءه الرسول وعرض عليه ما أمر به سخر السلطان وأتباعه من كلامه وقال على سبيل الإستهزاء "إن هؤلاء الناس من أولي الحُمق والبَلَه فأكتبوا له بما يريد" . فلما أخذ الكتاب على الوجه المطلوب وأتى به الى الشيخ دخل قدّس سرّه المدينة وطفق يشتغل بطريق السادات قدّس الله أسرارهم . وكان يخرج كل يوم الى أسواق المدينة ويقف عند أرباب الصنائع فيقول لهم ماأجرتكم في اليوم فيقولون له كذا وكذا ، فيقول لهم أنا أعطيكم أجرتكم وتعالوا فتوضأوا واجلسوا معنا اليوم واذكروا الله تعالى الى الغروب . فكان كل مَن أجابه لذلك ببركة الشيخ وقوة تصرّفه يحصل له حال تمنعه عن مفارقته وتجذبه الى صحبته ومتابعته . فما مضت أيام إلاّ وكثر أتباعه ومريدوه فمشى بعض الحساد الى السلطان ووشى اليه بأنه قد أتى الى مدينتكم شيخ قد إجتمع الناس عليه وكثر تلامذته وأصحابه ويُخشى من ذلك حدوث خلل في ملكك وفتنة لايمكن أحداً دفعها . فخاف السلطان وأتباعه من ذلك وهمّوا بإخراجه . فلما بلغه أرسل الرسول المذكور بكتاب الإذن الى السلطان وقال له أطلعه عليه وقل له إنه مادخل إلاّ بإذنكم فإن شئتم أن تبدلوا حكمكم فإنه يخرج . فلما وصل الى السلطان أعطاه الكتاب وأخبره بمقالة الشيخ . فخجل السلطان خجلاً عظيماً ثم جاء لزيارة الشيخ وإعتذر عما صدر منه اليه وأخلص له المحبة فحصل له نفع عظيم على يديه .

(توفي) يوم الإثنين بين الصلاتين ثامن عشر ذي القعدة الحرام سنة خمسة عشر أو إحدى وعشرين وسبعمائة وقد عمّر مائة وثلاثين سنة . وكان له ولدان عالمان كاملان بلغا في حياته مبلغ الفضل والعرفان . أحدهما الشيخ محمد خُورد (بضم الخاء المعجمة وسكون الواو والراء المهملة والدال المهملة) كان

عمره حين توفي والده ثمانين سنة ، والثاني ابراهيم . ولما إحتضر والده أجاز له الإرشاد من بعده فخطر على قلب بعض المريدين أنه لم يجز الشيخ لولده الكبير ذلك مع أنه أكمل وأفضل من الصغير . فقال قدّس سرّه من طريق الكشف إن الشيخ محمد خورد لايبقى بعدي إلاّ قليلاً . فمكث بعده تسعة عشر يوماً ثم توفي . وأما الشيخ إبراهيم فإنه عمّر بعده إثنين أو ستة وخمسين سنة . (وله خلفاء أربعة) كانوا في الإرشاد على قدم الخلفاء الأربعة وكل واحد منهم إسمه محمد :

الأول : الشيخ محمد كلاه دوز

الثاني : الشيخ محمد البلخي

الثالث : الشيخ محمد البارودي

الرابع : هو أعظم مَن سرى اليه سرّ هذه النسبة المعظمة وشيخ هذه السلسلة المباركة المنظمة الشيخ محمد بابا السماسي قدّس الله سرّهم .

سيدنا الشيخ محمد بابا السماسي
قدّس الله سرّه العزيز

هو عـالم الأولياء وولي العلماء . تفرّد في علم الظاهر والباطن وعمّت بركاته كل المواطيء والمواطن . طالما أثار بهمّته من المعارف كل كامن . كيف لا وهو خلاصة خاصة القرن الثامن وفي الإسراء بأسرار الغيوب الحرمُ الأقصى من القلوب . آية لاينتهي أحد عن هداها وغاية لاينتهي أمد مداها . حجَّ الى حرم كرمه العارفون وطاف بكعبة إرشاده الطائفون ، إذ كان من أعزّ خلفاء العزيزان .

(ولد قدّس سرّه) سنة (...) في "سَيمَاس" (بسينين مهملتين أولاهما مفتوحة بينهما ميم مشددة وألف) هي قرية من قرى "راميتن" على ميل منها وثلاثة أميال من بخارى . وإشتغل بقراءة العلوم النقلية والعقلية حتى أصبح علامة في كل الفنون . ثم صحب سيدنا العزيزان ودأب على المجاهدات والرياضات . فإمتاز على إخوانه بالفيوضات والكرامات وبلوغ خاتم المقامات حتى إختاره خليفة عند وفاته وأمر أصحابه بمتابعته في طاعته مدة حياته .

(بَشّر) قدّس سرّه بظهور سيدنا الشيخ محمد بهاءالدين نقشبند قبل ولادته . وذلك أنّه كان كلما مرّ على قريته وهي (قصر العارفان) كما سيأتي بيانه يقول لأصحابه إني لأجد من هذه الأرض رائحة عارف الى أن مرّ مرة على تلك القرية ، فقال لهم إني أرى تلك الرائحة قد زادت . وكان هذا بعد ولادته قدّس سرّه بثلاثة أيام . فما لبث أن جاء به جده اليه . فلما رآه قال له هذا ولدي ثم إلتفت نحو أصحابه وقال لهم : هذا العارف الذي طالما كنت أشير إليكم بأني أجد رائحته من هذه القرية وقريباً إن شاء الله تعالى يصير قدوة الخلائق . وأقبل على السيد الأمير كلال وقال له : إن هذا ولدي فلا تقصّر في تربيته ولئن قصّرت في ذلك لاتجدني عنك راضياً أبداً . فقام السيد على قدميه وقال : قد قبلت خدمته على الرأس والعين لاأقصّر إن شاء الله تعالى بها أصلاً .

(وكان) له بستان من العنب كثيراً مايأتي اليه ويباشر تربية أشجاره بيديه . فكان كلما قطع غصناً يغيب عن شعوره ويبقى كذلك ساعة أو ساعتين حتى يرجع الى حضوره .

(توفي في سمّاس) سنة (...) وله أربع خلفاء :

الأول : الشيخ صوفي السوخاري

الثاني : نجله الشيخ محمود السماسي

الثالث : الشيخ دانشمند علي

الرابع : وهو واسطة عقد هذه السلسلة وأعظم مَن سرى اليه سرّ هذه النسبة المبجّلة الشيخ السيد الأمير كلال قدّس الله سرّه وبَوّأه في جنة الرضوان أعلى الأسرّة .

سيدنا الشيخ أمير كلال إبن السيد حمزة
قدّس الله سرّه العزيز

زهرة خمائل الشمائل وسدرة منتهى ما يُشتهى من المقامات العلوية . صاحب سدة الإرشاد وساحب أذيال الفيوضات والإمداد . كفء مخدرات الأسرار الغيبية والمربي بأنفاسه الذكية أوابد النفوس الأبية . فهو للشريعة مجددها وللطريقة سيدها وللحقيقة مشيّدها وللخليقة مرشدها ومؤيدها نالوا مانالوا من البركات والعلوم الإلهية والإدراكات . وإمتازوا في ديوان العارفين بالسيادة الغرّاء ولاغرو فإن أولياء السادات سادات الأولياء .

(ولد قدّس سرّه) سنة (...) في قرية سوخار (بضم السين المهملة وسكون الواو والخاء والألف والراء المهملة) وهي على فرسخين من بخارى وتوفي فيها سنة (...) .

(ذُكر) في مقاماته عن والدته رحمها الله أنها قالت لقد كنت وأنا حامل به إذا تناولت لقمة من طعام مشبوه أجد في نفسي أملاً . فلما تكرر معي هذا الأمر إلتزمت طريق الإحتياط في طعامي . فلم أجد بعد ذلك شيئاً وكنت أرجو أن يجعل الله فيه الخير البركة .

(وذُكر) أنه لما بلغ سن الشباب إشتغل بفن المصارعة . فكان يجتمع عليه أرباب الشجاعة وأولو المعاركة والنظارة . فإتفق ذات يوم أن رجلاً من الواقفين خطر بباله أن هذا سيد شريف فكيف يشتغل بالمصارعة ويسلك سبيل أهل البطالة . فلم يلبث أن غلب عليه النوم فرأى في منامه أن القيامة قد قامت وأنه وقع في وحل عظيم فغرق فيه الى صدره وإضطرب إضطراباً عظيماً وفزع فزعاً كبيراً . فأتى اليه السيد أمير قدّس سرّه وأنقذه من هذه الورطة . ثم أفاق فإلتفت اليه حضرة السيد أمير وقال له أرأيت همّتي وعلمت مامعنى المصارعة .

(ومرّ) سيدنا الشيخ محمد بابا السماسي مرة هو وأصحابه بمعتركه فوقف عنده . فقال بعض أصحابه في نفسه "كيف يقف الشيخ عند أهل هذه البدعة ؟" فإلتفت الشيخ نحو أصحابه في الحال وقد كوشف بهذا الخاطر وقال لهم : "إن بين هؤلاء رجلاً ينتفع ببركة صحبته كثير من الناس وينالون أرفع الدرجات فأنا أريد رصيده" . فحانت من السيد أمير نظرة الى سيدنا الشيخ فانجذب في الحال اليه قلبه . فلما إنصرف الشيخ تبعه السيد أمير حتى وصل الى داره . فأدخله معه البيت ثم لقّنه الذكر وعلمه أصول الطريق العلية ، وقال له "الآن أنت ولدي" . فلازم صحبته عشرين سنة مع الإشتغال بالذكر والفكر والعبادة والخلوة حتى لم يره أحد هذه المدة في سوق ولا معترك ولا غيره .

(وكان) يجيء كل يوم الإثنين والخميس من سوخار الى سماس وكان بينهما مسافة خمسة أميال . ولم يزل يشتغل هذه المدة كلها بطريق السادات الى أن بلغ فيه أعلى الدرجات وعلت نسبته عن أمثاله ، فغاب عن أعين قلوبهم في غيب سماوات التجليات العاليات .

(ووُلد له) أربعة أولاد السيد الأمير برهان الدين والسيد الأمير حمزة والسيد الأمير شاه والسيد الأمير عمر .

(وكان له) أربعة خلفاء هم : سيدنا الغوث الأعظم الشيخ محمد بهاءالدين شاه نقشبند ، ومولانا الشيخ

عـارف الديك كـراني والـ"ديك كـران" قـرية من قـرى بخارى عـلى فـرسـخين منـهـا ، والشـيخ جـمـال الدين الدهسـتـاني قـدّس الـله أسـرارهم . فـأوصـى كل خليـفـة من هؤلاء الأربعـة بـتـربيـة ولد مـن أولاده على هذا الترتيب :

أنجاله الأنجاب

(أما السـيد الأمير برهان الدين) قـدّس سرّه فقد بالغ بتـربيته سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه حتى أصبح برهاناً في العلوم الإلهية قاطعاً وكوكباً في فلك السعادة ساطعاً . وكان والده يحـبه كثيراً ويقول "هذا برهاننا" ولكن غلب عليه الإنزواء والخلوة والجُذبة فلم يشتغل بالإرشاد حتى توفي قدّس سرّه .

(وأما السـيد الأمـير حـمزة) قـدّس سرّه فـقد كان آية فـي الإرشاد وقرّة عين والـده من بين أنجاله الأمـجاد وكان لايدعـوه إلاّ بوالدي . ولم يأل مولانا عـارف الديك كراني جـهداً في تربيتـه وترقيتـه الى معـارج أسرّته حتى أصبح فرد زمـانه من بين إخوته . لما توفي والده الـسيد الأمـير الكبـير رضي الله عنه قـام مقـامه في تربية المريدين وتحصيلهم أقصى مراد المهتدين . فأفلح على يده خلفاء حنفاء وأصحاب بلا حساب . توفي مستهلّ شوّال سنة ثمان وثمانمائة وأشهر خلفائه أربعة :

الأول : صفـوة الأولياء وعـلامة الأتقيـاء العارف بالله تعـالى مولانا الشيـخ حسام الدين إبن عـمدة أكـابر علماء بخارى مـولانا الشـيخ حـميدالديـن الشاشـي قدّس سـرّه . فـإنه كـان بالإرشـاد آية باهرة الإمـداد حـتى إن مرزالـغ بك أكرهه على قـبول القـضاء فوُلّيهُ مدة شـهور . ولم يزده ذلـك إلا علوّ همة ورفـعة مقـام في التـربية والحضـور . (قال سـيدنا عـبيـدالله إحرار) وقـد كان أصـحابه يجلسـون بعيـداً منه في محل حكـمه ويسـتـمدون منه الأسـرار الإلهيـة حـتى إني حضـرت مـرّة هناك فجلسـت قبـالة شـباك المحل بحـيث أراه ولايراني فـلم أجده غافلاً عن شهود الحق وحضوره ساعة ، بل ولا لمحة كأنه منفرد في نفسه ماعنده أحد مع ما هو فيه من أمور القضاء والأحكام وكان يبالغ في ستر حاله نفعنا الله به .

الثاني : نخبـة المرشدين الشيخ كمـال الدين الميداني قدّس سرّه نسبـة الى (ميدان) قرية من قرى قـصبة كوفين في ولاية سمرقند . كان من أكابر العلماء بالله أعاد الله علينا من بركاته .

والثـالث : والرابع فـرعا الشجـرة النبـوية وزينتـا أولي الـهداية المصطفـوية والعارفـات بالله تعـالى الشـيخ السيد الأمـير البزرگ والشيخ السيد الأمير خُرد . وهمـا نجلا أخيه سيد برهان الدين الأكبـر المشار اليه آنفاً وكانا من أعيان المربين الكرام .

ومن أشـهر أصـحاب السيـد حـمزه المنوّه به أحد عـشر مـرشـداً وهم بالإجمـال : مـولانا بابا شـيخ مبـارك البخاري ، ومـولانا الشيخ عمر الحداد البخاري قدّس سرّه ، ومـولانا الشيخ أحمد الخـوارزمي قدّس سرّه ، ومولانا الشـيخ عطاءالله السمرقندي قـدّس سرّه ، ومولانا الشـيخ محمـود الحموي قدّس سـرّه ، ومولانا الشيخ حمـيدالدين قدّس سرّه ، ومولانا الشيخ نورالدين قـدّس سرّه ، ومـولانا السيد أحـمد قدّس سرّه ، ومولانا الشيخ علي قدّس سرّه النسفيون .

(وأما الأمير السيد شاه) فقد كان غاية في الفضل وعلو الهـمة والإرشاد ومحبة الفقراء وكمال الإستعداد ، وقد أحسن تربيته مـولانا يادكار قـدّس سرّه حتى صـار من كبار العـارفين بالله تعالى . (وأمـا الأمير السـيد عـمر) قـدّس سرّه فـقد أجاد في تأهيله لكل كـمال مـولانا جمـال الدين الدهسـتاني الى أن أشـرق في سمـاء الهداية بدراً تاماً ، توفي عام ثلاث وثمانمائة قدّس سرّه .

خلفاؤه الكرام

الخليفـة الأول : الولي الكامل الولاية عمدة أهل الإرشاد مولانا الشيخ عارف الديك كراني قدّس سرّه . (ولد) في قرية (ديك كران) وتوفي بها . هو إمام كبير الشأن خدم المير كلال حق الخدمة فأثنى عليه وقال "ليس أحد من خلفائي مثل الشيخ بهاءالدين نقشبند ومولانا عارف" . وكان سيدنا النقشبند يبالغ بالثناء عليه وقد صحبه ثلاثين سنة على غاية من الأدب في الخدمة ، حتى إذا كان توضأ مولانا عارف من النهر لايتوضأ من فوق محله وإذا مشى لايضع قدمه مكان قدمه . وقال سيدنا النقشبند قدّس سرّه :

"سافرت مرتين الى الحجاز ودخلت زواياها ومدارسها وخلواتها فما وجدت أحداً مثل مولانا عارف أو مقدار ذرة منه ولو وجدت ذلك مارجعت الى هذه الديار فإني أريد أن ألقى من يكون ظاهره مع الخلق وسرّه فوق السموات السبع" .

(ومن كرامات مولانا عارف) أنه جاء يوم سيل عظيم على قريته فخاف أهلها من الغرق فـفزعوا اليه . فخرج وجلس مكان طغيان الماء وقال له : "إن كان لك قوة فاحملني" . فتراجع السيل وسكن الماء .

رجع سيدنا النقشبند من الحجاز وتوطن "مرو" فأقبل اليه الناس من كل جانب حتى إجتمع عنده من المريدين عالم كبير . فمالبث أن بعث اليه مولانا عارف يستحثه على الحضور . فسافر مخفاً حتى إذا وصل اليه صرف أصحابه من عنده وقال لهم : "إن لي معه سرّاً" . فلما إنصرفوا قال له : إن أجلي قد قرب ولم يبق إلاّ يومان أو ثلاث وإني نظرت في أصحابي وأصحابك فلم أجد أحداً فيه قابلية تامة إلا مريدك الشيخ محمد پارسا ، فكلّ ما أودعنيه الحقّ تعالى فقد أودعته إياه فلا تقصّر في ترتبيته فإنه صاحبك .

فأمر أصحابه أن يتبعوه ثم أوصاه إذا مات أن يغسل إناء الماء بيده ويجلس على هيئة التشهُد عند تسخين الماء ويغسله ويكفّنه ويدفنه وبعد ثلاث يرجع الى "مرو" . ففعل كما أوصاه به . ومقامه في (ديك كران) خارج البلدة على طريق هزاره قدّس سرّه . وقد أنتج الله على يده خلقاً كثيراً من أشهرهم الشيخ أشرف البخاري وهو قائم مقامه في رتبة الإرشاد ومولانا الأمير هشيار الديك كراني .

الخليفة الثاني : إمام أئمة الهدى وجوهرة العارفين مولانا الشيخ جمال الدين الدهستاني قدّس سرّه .

الخليفة الثالث : فذلك المرشدين الكبار مولانا الشيخ يادگار الكنسروني قدّس سرّه . (ومن أصحاب حضرة الأمير الكرام) مولانا الشيخ محمد خليفة ، ومولانا الأمير كلان ، ومولانا الشيخ شمس الدين كلال ، ومولانا الشيخ علاءالدين الكنسروني ، ومولانا الشيخ الوارز نسبة الى "وارزون" من ولاية بخارى ، ومولانا بابا مبارك المرميني ، ومولانا الشيخ محمد الوابكيني ، ومولانا بهاءالدين الطوايسي ، ومولانا جلال الدين الطوايسي ، ومولانا الشيخ سليمان ، ومولانا الشيخ أيمن الكرمينيان ، ومولانا الشيخ بدرالدين الميداني وغيرهم ممن لايُحصون قدّس الله أسرارهم .

الخليفة الرابع : سيد هذه الطريقة وشيخ هذه السلسلة الأنيقة وأعظم مَن سرى اليه سرّ هذه النسبة المطهرة فأحياها وزاد عزّها وشرفها وعُلاها سيدنا الشاه نقشبند قدّس الله سرّه العزيز .

الغوث الأعظم سيدنا الشيخ محمد بن محمد بهاءالدين الشاه نقشبند الأويسي البخاري قدّس الله سرّه العزيز

بحر من العرفان لا ساحل له نُسجت أمواج مواه العلوم الربانية حلله ، وفاض على العالمين بحر برِّه فأروى بأرواح أمداده جميع الكون بحره وبره . كوكب تحلّى تاج الإرشاد منه بالدرّ اليتيم . فلله درّ سحابة الأيام من أم أنجبت إذ إنجابت عن هذا الأمام ، ثم عادت وهي عن مثله عقيم . والشمس وضحاها والأرض وماطحاها لم يدع نفساً إلاّ بأنفاسه القدسية زكّاها ولا نار همة إلاّ بأسراره المحمدية أذكاها ، ولا ظلمة جهل إلاّ بأنواره البهائية أخفاها ، ولا شبهة خاطر إلاّ ببراهينه الجلية نفاها ، الى كرامات كريمات وأيات عظيمات طالما أحيت من القلوب مواتها وآتت الأرواح أقواتها . إرتضع ثدي التصرفات الغوثية وهو في المهد صبياً وتضلّع من رحيق مختوم العلوم الختمية بأكواب الارثية . فلو لم تُختم النبوّة لكان نبياً . فأعظِم به من مجدد خفق قلب الخافقين فرحاً به وأصبحت أكاسرة الملوك وقوفاً في رحابه وملأ صيت إرشاده الملأ . فلا وربك لم يبق أحد إلاّ إستمد من إمداده حتى وحوش الفلا . فهو الغوث الأعظم وعقد جيد المعارف الأنظم . إنزاحت بأنوار هدايته أعيان الأغرار وعادت الأشرار ببركة أسراره من أخيار الأعيان وأعيان الأخيار .

(ولد قدّس الله سرّه) في شهر محرم الحرام سنة سبع عشرة وسبعمائة في (قصر العارفان) قرية من قرى بخارى على فرسخ منها والألف والنون في العارفان علامة الجمع في اللغة الفارسية . وكانت مخائل الولاية في غرته الطاهرة ظاهرة وعلائم السعادة على كرائم أحواله بادية بادرة . أتحفه الله تعالى منذ كان طفلاً بالكرامات الزاهية الزاهرة .

(تلقى) هذه الطريقة العلية في الظاهر من سيدنا الشيخ محمد بابا السماسي ، ثم من بعده صحب السيد أمير كلال . وفي الحقيقة كان أويسياً ربته روحانية مولانا الشيخ عبدالخالق الغجدواني قدّس الله سرّهم .

بداية هدايته وهداية بدايته

قال قدّس الله سرّه : أرسلني جدي وكان سني وقتئذ نحو ثمان عشرة سنة الى (سماس) لخدمة العارف الكبير والمرشد الشهير الشيخ محمد بابا السماسي بإستدعاء منه لي . فلما نلت الحصول اليه لم يأت وقت الغروب إلاّ وجدت ببركته بنفسي سكينة وخشوعاً وتضرعاً ورجوعاً . ثم إني قمت وقت السحر فتوضأت وأتيت المسجد الذي فيه أصحابه فأحرمت بالصلاة فلما سجدت دعوت الله تعالى وتضرعت اليه كثيراً . فمرّ على لساني في أثناء دعائي إلهي أعطني قوة على تحمّل البلاء ومحنة المحبة . ثم إني صليت الفجر مع الشيخ قدّس سرّه . فلما إنصرف من الصلاة ألتفت اليَّ وذكر لي كل ما صدر مني على طريق الكشف ثم قال لي : "ياولدي ينبغي أن تقول في دعائك إلهي إعط هذا العبد الضعيف ما فيه رضاك فإنه تعالى لايرضى أن يكون عبده في بلاء وإن أبتُليَ حبيبه على مقتضى حكمته يعطه قوّة على تحمّله ويطلعه على حكمته فلاينبغي للعبد أن يختار البلاء فإنه ينافي مقام الأدب" .

(وقال قدّس سرّه) لما توفي حضرة الشيخ محمد بابا السماسي أخذني الجد الى سمرقند فكان كلما سمع برجل صالح من أهل الله حملني اليه وسأله الدعاء لي فكانت تنالني بركتهم . ثم أتى بي الى بخارى

وزوّجني بها وكانت إقامتي في قصر العارفان ومن العناية الإلهية أنه وصلت اليَّ قلنسوة العزيزان في تلك الأوقات . فتحسنت أحوالي وقويت آمالي الى أن حظيت بصحبة السيد أمير كلال قدّس سرّه وأخبرني بأن حضرة الشيخ محمد بابا السماسي قدّس سرّه أوصاه بي ، وقال لاتألُ جهداً بتربية وليد محمد بهاءالدين ولا بالشفقة عليه ولست منّي في حلٍّ إن قصّرت في ذلك . فقال له قدّس سرّه إن أنا قصرت في هذه الوصية فلست برجل ثم وفى بوعده .

(وقال) قدّس سرّه : "مبتدأ يقظتي وتوبتي أني كنت جالساً مع صاحب لي في خلوة فبينما أنا ملتفت اليه أكلمه إذ سمعت قائلاً يقول لي (أما آن لك أن تعرض عن الكل وتتوجه الى حضرتنا) فحصل لي من سماع هذا الكلام حال عظيم وخرجت مسرعاً من ذلك البيت لايقرّ لي قرار . وكان قريباً منه ماء فاغتسلت منه وغسلت ثيابي . وفي تلك الحالة من الإنابة صلّيت ركعتين طالما مضت عليَّ أعوام وأنا أتمنى أن أصلي مثلهما فلم أتمكن من ذلك .

(وقال قدّس سرّه) قيل لي في بداية الجذبة كيف تدخل في هذا الطريق ؟ فقلت : على أن يكون كل ما أقوله وأريده . فقيل لي كل ما نحن نقوله يجب أن يفعل . فقلت لاأطيق ذلك بل إن كان كل ما أقوله يصير أضع قدمي في هذا الطريق وإلا فلا . وتكرر ذلك مرتين ثم تركوني ونفسي خمسة عشر يوماً . فحصل لي يأس عظيم ثم بعد ذلك قيل لي إن الذي تريده يكون . فقلت أريد كل مَن دخلها تشرف بمقام الوصول .

إجتهاداته ومجاهداته

(قال قدّس سرّه) خرجت يوماً في حال غلبة الجذبة والغيبة هائماً على وجهي أذهب كلّ مذهب ولطالما تجرّحت قدماي من الشوك ، حتى إذا دنا الليل جذبتني زيارة السيد أمير كلال قدّس سرّه ، وذلك في فصل الشتاء وشدّة البرد وليس على ظهري إلاّ فروة عتيقة . فلما وصلت الى منزله وجدته جالساً بين أصحابه فحينما أبصرني سأل عني فعرّفوه بي فقال : أخرجوه من هذا المنزل .

فلما خرجت أوشك أن تنفر مني نفسي وتطفى وتجذب مني عنان الإنقياد والتسليم ، ولكن تداركتني عناية الله ورحمته فقلت إني لأتحمل كل مذلّة في إبتغاء مرضاة الله تعالى وهذا هو الباب فلا مندوحة لي عنه . ثم وضعت رأس التواضع والإنكسار على عتبة العز وقلت لنفسي إني لاأرفع عن هذه العتبة رأسي ولو حصل لي مهما حصل ذلك والثلج ينزل شيئاً فشيئاً عليّ والهواء شديد البرودة جداً . ولم أزل كذلك حتى قرب وقت الفجر فخرج السيد قدّس سرّه فوقع قدمه الشريف على رأسي . فلما أحسّ بي رفع رأسي عن العتبة وأدخلني المنزل وبشّرني وقال لي ياولدي إن ثوب هذه السعادة على قدر ذاتك . ثم جعل يخرج بيده الشريفة مافي قدمي من الشوك ويمسح ماأصابهما من الجراحة ويمدّني بفيوضاته الوافرة وألطافه الباهرة قدّس الله سرّه .

(وقال قدّس سرّه) كنت في بخارى والسيد كلال في(نسف) فوجدت في نفسي داعية لزيارته . فبادرت لذلك في الحال فلما وصلت الى مقامه وسلمت عليه قال لي : ياولدي لقد جئت في وقت الحاجة فإنا هيّأنا المطبخ ونريد مَن يحتطب لنا .

فشكرته على هذه الإشارة وذهبت وأتيت بالحطب أحمله على ظهري وفيه من الشوك ما فيه وأنا أنشد بيتاً بالفارسية معرّبه :

جمال كعبة مقصودي ينشطني فالشوك كالخزّ حين أحمله

(وقال) قدّس سرّه توجهت يوماً وأنا في حالة غلبة الجُذبة الى زيارة السيد كلال في (نسف) . فلما أن وصلت الى رباط الجغرائي إذا أنا بفارس في يده عصا جسيمة وعلى رأسه لبدة فدنا مني وضربني بتلك العصا وقال لي بالتركية : "هل رأيت الخيل ؟" . فلم أجبه فجعل يعترضني في الطريق ويشوّش عليّ مسيري . فقلت له إني أعلم مَن أنت فتبعني الى رباط قراول ثم دعاني الى صحبته . فلم ألتفت اليه ولم أكلمه ومضيت . فلما أتيت الى حضرة الشيخ قال لي : إن الخضر عليه السلام قد لقيك في الطريق فلمَ لم تلتفت اليه ؟ فقلت له : لأني لما كنت متوجهاً اليكم لم أشتغل بسواكم .

(وقال نضّر الله وجهه) كنت أوائل السلوك وغلبة الأحوال عديم القرار أدور الليل في نواحي بخارى وأزور القبور . فزرت ليلة ضريح الشيخ محمد بن واسع قدّس سرّه فوجدت عنده سراجاً وفيه دهن وافٍ وفتيلة طويلة ، غير أن الفتيلة تحتاج الى تحريك قليل حتى يخرج الدهن ويتجدد نورها . فما لبثت أن وقعت الإشارة اليَّ بالتوجه الى زيارة ضريح الشيخ أحمد الأجغريوي قدّس سرّه . فلما وصلت اليه إذا بسراج هنالك مسرج كذلك وإذا برجلين قد أتيا فربطا على وسطي سيفين وأركباني حماراً ووجهاه الى ضريح الشيخ مزداخن قدّس سرّه . فلما وصلناه رأيت سراجاً كاللذين قبله فنزلت وجلست متوجهاً الى نحو القبلة فوقع لي في ذلك التوجه غيبة . فرأيت في تلك الغيبة أن الجدار القبلي قد إنصدع وظهرت دكة عالية عليها رجل عظيم المقدار قد أسبل أمامه ستر وحول الدكة جماعة فيهم الشيخ محمد بابا السماسي قدّس سرّه . فقلت في نفسي ليت شعري مَن هذا الرجل العظيم ومَن حوله ؟ فقال لي أحدهم أما الرجل فهو الشيخ عبدالخالق الغجدواني وأما الجماعة فهم خلفاؤه وجعل يشير الى كلّ واحد منهم ويقول لي هذا الشيخ أحمد الصديق وهذا الشيخ أوليا الكبير وهذا الشيخ عارف الريوكري وهذا الشيخ محمود الانجيرفغنوي وهذا الشيخ الراميتني . ولما بلغ الى الشيخ محمد بابا السماسي قال وهذا رأيته في حياتك وهو شيخك وقد أعطاك قلنسوة أفتعرفه ؟ فقلت نعم . وكان قد أتى على قصة القلنسوة حين من الدهر فنسيتها . ثم قال وهي في بيتك وقد رفع الله عنك ببركتها بلاءً عظيماً قد كان حلّ بك . فقال لي الجماعة أصغ بسمعك فإن حضرة الشيخ الكبير قدّس الله سرّه يريد أن يتلو عليك ما ليس لك عنه غنى في سلوك السلوك أوله ووسطه الى أن قال : "وأما تلك السرج التي رأيتها على تلك الكيفية فإنما هي لك بشارة وإشارة الى أن لك إستعداداً تاماً وقابلية لهذا الطريق غير أنه ينبغي تحريك فتيلة الإستعداد حتى تقوى الأنوار وتظهر الأسرار ، فأدِّ القابلية حقها تبلغ الأوطار . وعليك بالإستقامة والثبات على جادة الشريعة المطهرة في جميع الأحوال والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والأخذ بالعزيمة والبعد عن الرخصة والبدعة . وأن تجعل قبلتك أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وتفحص عن أخباره وآثاره وأحوال أصحابه الكرام . ثم بالغ بالتحريض والحث على ذلك" .

ولما أن أتم قدّس سرّه كلامه قال لي خليفة الشيخ قدّس سرّه وآية صدق هذه الواقعة أن تذهب غداً عند مولانا شمس الدين الانبيكوتي وتخبره بأن مايدعيه فلان التركي على السقا هو صحيح والحق مع التركي وأنت تساعد السقا ، فإن أنكر السقا صحة هذه الدعوى فقل له عندي شاهدان : الأول أنك ياسقا عطشان فهو يعرف معنى هذه الكلمة والثاني أنك أتيت إمرأة أجنبية فحملت منك فسعيت بإسقاط الحمل ودفنته في الموضع الفلاني تحت كرمة . ثم قال فإذا بلغت هذ الرسالة لمولانا شمس الدين فخذ في اليوم الثاني ثلاث حبات من زبيب وإذهب الى (نسف) لخدمة السيد كلال وستجد في المحل الفلاني من الطريق شيخاً

يعطيك رغيفاً حاراً فخذه منه ولاتكلمه وامض في طريقك . فتمرّ على قافلة فإذا جاوزتها إستقبلك فارس فانصحه فإنه ستكون توبته على يديك وخذ معك قلنسوة العزيزان الى السيد كلال ثم بعد ذلك حركوني فرجعت الى نفسي .

(يقول قدّس سرّه) فلما أصبحت ذهبت الى منزلي في (زيورتون) وسألت أهلي عن القلنسوة فأتوني بها وقالوا إن لها في ذلك الموضع مدة مديدة ، فلما رأيتها أتاني حال عظيم وبكاء شديد . فأخذتها وتوجهت ساعتئذ الى أنبيكتة (قرية من قرى بخارى) فأتيت مسجد مولانا شمس الدين وصليت معه الصبح ، ثم بلغته ماأرسلت به اليه . فتحيّر وكان السقا ثمَّ حاضراً ، فأنكر صحة دعوى التركي . فأقمت عليه البيّنة السابقة فكذّب أمر الفاحشة . فذهب جماعة ممن في المسجد الى ذلك الموضع فحفروه فوجدوا السقط مدفوناً . فطفق السقا يعتذر وبكى مولانا شمس الدين وجماعة المسجد وحصل لهم أحوال عظيمة .

(يقول) ثم عزمت في اليوم الثاني على التوجه الى (نسف) من الطريق الذي عيّنوه لي في الواقعة وأخذت معي ثلاث حبات من زبيب . فبلغ مولانا توجهي فأرسل اليَّ ولاطفني كثيراً وقال : إني أرى آلام الطلب قد إستولت عليك وأثرت بك لوعة الحصول على الوصول وشفاؤك عندنا ، فأقم لنؤدي تربيتك ونبلغك أقصى بغيتك على مقتضى علوّ همتك . فرأيتني أقول له : أنا ولد غيركم ولو جعلتم ثدي التربية في فيَّ لاأقبله . فسكت وأذن لي بالسفر فتحزّمت بحزام لي وأمرت شخصين أن يشدّاه من الطرفين ليكون في غاية الإحكام وسرت . فلما وصلت المكان الذي ذكر لي لقيت فيه شيخاً أعطاني رغيفاً حاراً فأخذته ولم أكلمه . ومضيت فإذا أنا بقافلة فسألني أهلها من أين أتيت ؟ فقلت لهم من (أنبيكتة) . قالوا متى خرجت منها ؟ فقلت لهم وقت طلوع الشمس ، وكان ذلك عند الضحى . فعجبوا من ذلك وقالوا إن بين القرية وهذا المحل أربعة فراسخ ونحن خرجنا أول الليل ، ثم بارحتهم وسرت . فما نشبت أن إستقبلني فارس فحينما وصلت اليه سلمت عليه فقال لي : مَن أنت فإني أجدني خائفاً منك ؟ فقلت له : أنا الذي تكون توبتك على يديه . فتحوّل بالحال عن فرسه وأظهر كمال التواضع والتضرع وتاب ، وكان معه أحمال من خمر فأهرقها كلها . ثم جاوزته وقد دخلت حدّ (نسف) فقصدت مقام السيد أمير كلال فلما تشرفت برؤيته وضعت القلنسوة بين يديه ، فسكت برهة طويلة ثم قال : هذه قلنسوة العزيزان ؟ فقلت له : نعم . فقال : صدر الأمر بأن تُحفظ ضمن عشرة أغشية . فأخذتها وفعلت كما أمر . وبعد ذلك لقنني الذِكر بالنفي والإثبات خفية وأمرني بالإشتغال به فتابعته على ذلك . ولكوني أمرت في الواقعة بالأخذ بالعزيمة لم أذكر بالجهر . ثم لازمت العلماء لإقتباس أنوار العلوم الشرعية منهم وإقتفاء آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة أحاديثه الشريفة والبحث عن أخلاقه وأحوال الصحابة الكرام والعمل بها كما أُمرت . فوجدت لذلك تأثيراً تاماً ونفعاً عظيماً . وكل ما تكلّم به حضرة الشيخ عبدالخالق قدّس سرّه مرّ عليَّ وظهرت لي نتيجة كل أمر في وقته . أه . وبهذا يتبين لك ما تقدّم من انه كان أويسياً ربته روحانية سيدنا عبدالخالق قدّس الله سرّهما .

إفصاح

قال سيدي الجد قدّس سرّه في "البهجة السنية" من فضل ترجمته سيدنا البهاء قدّس سرّه ما ملخصه :

(اعلم) أن من زمن الشيخ محمد الانجيرفغنوي الى زمن السيد أمير كلال كانوا يجتمعون للذكر بالجهر . وكانوا إذا إنفردوا يذكرون خفية . فلما تلقى سيدنا البهاء قدّس سرّه هذه الطريقة العلية إقتصر على الذِكر الخفي . أخذ بالعزيمة حتى كان إذا إجتمع أصحاب الأمير كلال قدّس سرّه وشرعوا بالذِكر يقوم من

بينهم . فكان يشقُّ ذلك عليهم ويسيء بعضهم به الظن وهو لايلتفت اليهم ولاينظر الى مراعاة خواطرهم ، مع تمام محافظته على خدمة الأمير قدّس سرّه ورعاية الآداب الواجبة في حقه وكمال الإستسلام والإنقياد لأوامره . والأمير قدّس سرّه يزداد كل يوم إلتفاتاً إليه وإعتناءً بشأنه وإهتماماً بتربيته . ولم يزل في صحبته حتى إجتمع ذات يوم أصحاب الأمير قدّس سرّه لعمارة مسجد وكانوا زهاء خمسمائة . فبعد فراغهم جلسوا كلهم عنده فإلتفت الى مَن كان يسيء الظن بحضرة البهاء وينسبون اليه النقص والتقصير عند الأمير وقال لهم : "كل ماتظنونه بالشيخ بهاءالدين إنما هو غلط وغير صحيح فإن الله تعالى قد قبله ، ولكن ماعرفتموه ونظري وإلتفاتي اليه كان تابعاً لقبوله تعالى" . ثم دعا به ولم يكن حينئذ حاضراً بل كان ينقل لبن المسجد . فلما حضر قال له : "ياولدي إني قد وفّيت حق وصية الشيخ محمد بابا السماسي قدّس سرّه في شأنك" . ثم أشار الى ثديه وقال له : "إنك قد إرتضعت ثدي التربية حتى نضب ولم تزل قابليتك في علو وإستعدادك في قوة فقد أجزت لك أن تسعى في طلب المشايخ فتستفيد منهم وتستفيض على مقتضى عظمة همّتك" . قال سيدنا البهاء فكانت هذه الإشارة من السيد قدّس سرّه سبب إبتلائي .

(وقال قدّس سرّه) ثم صحبت مولانا عارف الديك كراني سبع سنين ثم مولانا قثم شيخ ونمت ليلة فرأيت الحكيم أتا قدّس سرّه ، وكان من أكابر مشايخ الترك ، وهو يوصي بي درويشاً . فلما إنتبهت بقيت صورة الدرويش في مخيلتي . كانت لي جدة صالحة فقصصت عليها هذه الرؤيا فقالت : "سيكون لك ياولدي من مشايخ الترك نصيب" . فلم أزل أتوخى لقاء هذا الدرويش حتى لقيته في بخارى فعرفته وكان إسمه خليل غير أني لم أتمكن ساعتئذ من صحبته . فذهبت الى البيت وأنا مشغول البال . فلما كان وقت المغرب أتاني شخص فقال لي إن الدرويش خليل يريدك . فأخذت في الحال هدية الزيارة وأسرعت بالذهاب اليه .

فلما تشرّفت بلقائه أردت أن أخبره بتلك الرؤيا فقال بالتركية : "إني أعلمُ مارأيت فلا حاجة الى البيان" . فمال قلبي اليه وحصل لي تأثير عظيم من كلامه ونلت بصحبته أحوالاً عالية ، حتى أن أهل ماوراء النهر قد ولّوه بعد مدة عليهم سلطاناً . فماتركت ملازمته بل كنت أشاهد منه في أيام سلطنته أحوالاً عظيمة ، فيزداد قلبي حباً به ويزداد هو تربية لي وترقيةً لأحوالي ورأفةً بي . ولطالما علّمني من آداب الخدمة ما نفعني كل النفع في معرفة آداب السير والسلوك . وأقمت في صحبته ست سنين مدة سلطنته ، فكنت في الجلوة مراعياً لآداب خدمته وفي الخلوة محرم خاصة صحبته . وكثيراً ماكان يقول في حضرة خواص أصحابه : "كل مَن يخدمني إبتغاء مرضاة الله تعالى يصير عند الناس عظيماً" . وكنت أعلم ماذا أراد بهذا الكلام ومَن أراد . فإنه يشير اليَّ بأن تعظيم الملوك وإجلالهم لاينبغي أن يكون لعظمتهم وسطوتهم الظاهرة ، بل لأنهم مظهر جلال مالك الملك سبحانه وتعالى . ثم بعد حين آل ملكه الى الزوال وتحوّلت بإنتقاله الأحوال وأصبح في لحظة ذلك العزّ والخدم والحشم هباءً منثوراً . فزادني ذلك في الدنيا زهداً وعن أعمالها فتوراً ورجعت الى بخارى وأقمت في زيورتون .

(وقال قدّس سرّه) لقيت أوائل الطلب والجُذبة رجلاً من أحباب الله فقال لي : الظاهر إنك من الأصحاب . فقلت له : إن وجدت شكرت وإلاّ صبرت . فتبسّم وقال : هذا سهل وإنما الأهم أن تكلف نفسك إنها إذا فقدت الطعام والشراب أسبوعاً لاتعصك . فتواضعت له وأقبلت عليه وطلبت منه الإمداد . فأمرني بالإشتغال

بجبر الخواطر وخدمة العاجزين والضعفاء والمنكسرين الذين لايكترث بهم أحد من الناس مع المحافظة على تمام المسكنة والتواضع والإنكسار . فامتثلت أمره وصرفت في ذلك أياماً كثيرة مع الإخلاص في ذلك التذلل . فنهضت بأعباء هذه الخدمة كما أمرني حتى كنت إذا لاقاني في الطريق كلب وقفت حتى يمرّ هو أولاً لئلا أتقدم عليه . ولم أزل كذلك سبع سنين ، ثم بعد ذلك أمرني أن أشتغل بخدمة كلاب هذه الحضرة بالصدق والخضوع وأطلب منهم الإمداد ، وقال لي : "إنك ستصل الى كلاب منهم تنال بخدمتهم سعادة عظيمة" .

فإغتنمت نعمة هذه الخدمة ولم آل جهداً بأدائها حسب إشارته ورغبةً ببشارته حتى وصلت مرّة الى كلب فحصل لي من لقائه أعظم حال . فوقفت بين يديه وإستولى عليَّ بكاءً شديد ، فإستلقى في الحال على ظهره ورفع قوائمه الأربع نحو السماء ، فسمعت له صوتاً حزيناً وتأوّهاً حنيناً . فرفعت يدي تواضعاً وإنكساراً وجعلت أقول أمين حتى سكت وإنقلب . (وخرجت) يوماً من تلك الأيام الى بعض الجهات فوجدت حرباء قد إستغرقت في رؤية جمال الشمس . فإعتراني من مشاهدتها وجد وخطر لي أن أطلب الشفاعة منها وهي في هذا المقام . فوقفت على أتمّ هيئة من الأدب والإحترام ورفعت يدي فرجعت من إستغراقها وإستلقت على ظهرها وتوجهت الى السماء وأنا أقول آمين . ثم بعد ذلك أمرني بإماطة الأذى عن الطريق . فثابرت على ذلك سبع سنين بحيث لايُرى أبداً كمي أو ذيلي خالياً من تراب السبل أو أحجارها . هذا وكلّ ما أمرني به ذلك العزيز فعملت بصدق طوية وإخلاص نية ووجدت منه النتائج النفيسة في نفسي والترقي التام في أحوالي .

(وقال قدّس سرّه) بتُّ ليلة مع الأصحاب في منزل بزيورتون فإحتلمت فخرجت ليلاً لأغتسل ، وكان ذلك في فصل الشتاء والمياه كلها قد جمدت . فكنت كلما أتيت ماءً أجده جامداً من شدة البرد ولم أجد ماأكسر به الجليد ولا أخبرت بذلك أحداً من أصحابي لئلا أشقّ عليهم ومامعي إلاّ فروة عتيقة . فلما يئست ذهبت من زيورتون الى منزلي في قصر العارفان وصرت أفتش على ماأكسر به الجليد ، وماأطلعت أحداً من أهلي على ذلك . فبعد إستيعاب المنزل وماحوله وجدت على حافة حوض قرب المسجد إناء يغترفون به الماء . فجعلت أكسر به الجليد وأصابني مشقة تامة من ذلك حتى تجرّحت يدي ثم أخذت به الماء وإغتسلت فبردت برداً شديداً ، فلبست تلك الفروة وفي تلك الساعة مع هذا البرد الشديد رجعت من قصر العارفان الى زيورتون .

(وقال قدّس سرّه) كنت يوماً من أيام الأحوال في ذلك البستان (وأشار الى البستان الذي هو الآن محل ضريحه الأنور) أنا وجماعة من المتعلقين بي . فغلبت عليَّ الجذبات الإلهية ولطف العنايات الربانية وإضطربت إضطراباً عظيماً لم أطق معه الثبات ولا الإشتغال وأنا مستريح . فقمت مسلوب القرار وجلست مستقبل القبلة ، فحصل لي وقتئذ غيبة إتصلت بالفناء الحقيقي وحقيقة الفناء في الله عزّ وجلّ . ورأيت في صورة نجم في بحر من نور بلا نهاية واني إنمحيت فيه ولم يبق بي من الحياة الظاهرة أثر . ففزع الحاضرون وبكوا في تلك الحالة عليّ ثم بعد ست ساعات رُدّت اليَّ بشريتي شيئاً فشيئاً .

(ونُقل) أنه لما حاصر عسكر القبجاق مدينة بخارى إتخذ أهلها السطوح مبارز من فرط الإزدحام . فكان قدّس سرّه يوماً جالساً مع أصحابه على سطح أُعدَّ للصلاة إذ دخل عليه رجلان من طلبة العلم مخلصان لجنابه . فأمرهم قدّس سرّه أن ينظفوا السطوح التي حول سطحه من الأقذار وقال إني طالما نظفت مبارز

مدارس بخارى .

(وقال قدّس سرّه) لاينفع سالك هذا الطريق إلا البذل والمسكنة وعلوّ الهمّة فإني أنا ماأدخلوني إلاّ من هذا الباب ومانلتُ ما نلتُ إلاّ من ذلك . (وقال قدّس سرّه ورُفع في الملأ الأعلى قدره) نفيُ الوجود ، وعدم رؤية النفسِ في هذا الطريق هو رأس مال دولة القبول والوصول . وإني في هذا المقام نسبت نفسي الى كل طبقة من طبقات الموجودات ، فوجدت كل فرد منها في الحقيقة أحسن مني حتى إني وصلت الى طبقة الفضلات ، فرأيت لها منفعة ولم أر لي منفعة . ثم وصلت الى فضلة الكلب فقلت مالها نفع فحكمت على نفسي بأنها مثلها ، ثم تبيّن لي أن لتلك الفضلة نفعاً فحينئذ تحققت أنه ليس لي نفع أصلاً . (وقال قدّس سرّه) طفتُ ليلة حول زيورتون فوصلت الى أكمةٍ هنالك فورد عليَّ حال عجيب . فقيل لي أطلب من حضرتنا ما أردت ، فقلت مع التواضع والخضوع إلهي هب لي قطرة من بحار رحمتك وعنايتك . فقيل لي تطلب من كرم حضرتنا قطرة . فأخذني حال أعظم وهزّتني الأريحية وعلوّ الهمة . فلطمت وجهي لطمةً قوية وجدت أملها أياماً وقلت ياكريم هب لي بحار رحمتك وعنايتك مع القوّة على تحمّلها . فظهر لي على الفور أثر الموهبة والعناية وببركة ذلك بلغت ما بلغت . (وقال قدّس سرّه) وشُرِّفَ في الدارين قدره ، يوماً لأصحابه يعلمهم علوّ الهمة : "لستم في حلٍّ مني إن لم تكن همتكم في طلب المقصود أنْ تضعوا أقدامكم على رأسي وترتقوا" . (وقال قدّس سرّه) في بيان أحوال سلوكه وآثار تأثير الإستمداد من روحانية السادة الأمجاد . إن التوجه لروحانية سيدنا أويس القرني أعظم تأثير في الإنقطاع التام والتجرّد الكلّي عن العلائق الباطنة والظاهرة والتوجه لروحانية الإمام محمد بن علي الحكيم الترمذي يوجب محو الصفة . (وقال) جامع مناقبه مولانا صلاح قدّس الله سرّه : "كنت عند الشيخ سنة تسع وثمانين وسبعمائة فسمعته يقول إن لي إثنين وعشرين سنة وأنا على قدم الحكيم الترمذي فإنه كان لا صفة له وأنا الآن لا صفة لي عرف ذلك مَن عرف" . (وقال قدّس سرّه) وضعنا القدم في هذا الطريق ونحن مائتا شخص . فإجتهدت أن أسبق الجميع فأدركتني عناية الله سبحانه وتعالى فسبقتهم ووصلت الى المقصود .

وله إجتهادات قوية ومجاهدات غير هذه كلية تُعلم من الوقوف على مقاماته نفَعنا الله والمسلمين ببركاته . وقد حجَّ ثلاث مرات ومرَّ أخيراً بمرو فأقام بها مدة ثم إنتقل الى بخارى وأقام في قصر العارفان وكان يُعرف من قبل بقصر الهندوان . فطار صيت إرشاده كل مطار وقُصدت رحابه بالرحلة من كافة الأقطار ، وإشتعل به الكون نوراً وتبدّلت غيوم القلوب بعلوم الغيوب وشرو النفوس سروراً . وأصبح يبث من العلوم الغيبية والأسرار الوهبية والمعارف الأحدية والفيوضات المحمدية ما لايحيط به محيط ، وكيف يُحاط بالبحر المحيط وله آيات بيّنات هنَّ على جلالته بيّنات .

بيّنات آياته وآيات بيّناته

(قال قدّس سرّه) في قوله في الحديث القدسي "نفسك مطيّتك فارفق بها" إشارة الى النفس المطمئنة المتشرفة بخلعة (إلاّ مارحم ربّي) . وقد يحصل لبعض الأولياء حال بحيث يصلون في الإنقياد الى مقام إذا أمر بشيء لاتمكنهم المخالفة . (وقال قدّس سرّه) في قوله صلى الله عليه وسلم "أَمِطْ الأذى عن الطريق" . المُراد من الأذى النفس ومن الطريق طريق الحق كما قيل لأبي يزيد رضي الله عنه (خلِّ نفسك وتعال) .

(وسُئلَ) قدّس سرّه عن إختلاف قول الخلفاء الأربعة الراشدين رضوان الله عليهم فقد قال الصديق الأكبر : "مارأيت شيئاً إلاّ ورأيت الله قبله" ، وقال سيدنا عمر بعده ، وقال سيدنا عثمان معه ، وقال سيدنا عليّ فيه . وكان ذلك في بغداد في مجلس غاص بالعلماء وكبار المشايخ . فقال قدّس سرّه ماحاصله "إختلاف الأقوال بسبب إختلاف الأحوال" . (وسُئل قدّس سرّه) عن المقصود من السلوك فقال : "المعرفة التفصيلية" فقيل له وما المعرفة التفصيلية ؟ قال من علم وقيل من المخبر الصادق صلى الله عليه وسلم إجمالاً يعلم ذلك بالسلوك تفصيلاً ويترقى في مرتبة الدليل والبرهان الى مرتبة الكشف والعيان . (وقال قدّس سرّه) مَن طلب الحق تعالى فقد طلب البلاء ، ورد في الأحاديث القدسية "من أحبني إبتليته" . وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أحبك . فقال إستعد للفقر . وأتاه آخر فقال له يارسول الله إني أحب الله ، فقال إستعد للبلاء . (وقيل له قدّس سرّه) بماذا يطلع أهل الله على الخواطر والأعمال الخفية والأحوال ؟ فقال بنور الفراسة التي أكرمهم الله تعالى بها كما ورد في الحديث الصحيح "إتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله" . (وطُلب منه قدّس سرّه) إظهار الكرامات ، فقال مشينا على وجه الأرض مع وجود هذه الذنوب أظهر الكرامات .

(وسُئل قدّس سرّه) عن معنى قول بعض السادات "الصوفي غير مخلوق" فأجاب بأن للصوفي في بعض الأوقات حالاً لايكون فيها هو ، فهذا الكلام بالنسبة الى ذلك الوقت وإلاّ فالصوفي مخلوق . (وسُئل قدّس سرّه) عن قول الجُنيد "إقطع القارئين وصل الصوفيين فمَن القاريء ومَن الصوفي ؟" فأجاب بأن القاريء هو المشغول بالإسم والصوفي هو المشغول بالمسمى . (وسُئل قدّس سرّه) عن قولهم "الفقير هو الذي لايحتاج الى الله" . فقال المُراد منه نفي الإحتياج الى السؤال كما قال إبراهيم عليه الصلاة السلام "حسبي من سؤالي علمه بحالي" . (وسُئل) عن قولهم "إذا تم الفقر فهو الله" فقال هذا إشارة الى الفناء ومحو الصفات وأنشد بالفارسية ما معربه :

مَن كان حين لم تكن　　لم يبـــــك إلاّ الله
وإذ فنيــت مَن بقــى　　لـم يبـــــق إلاّ الله

(وقال قدّس الله سرّه) إن الأحوال من الشيخ كرامات للمريد . (وذُكر) عنده قدّس الله سرّه انه قيل للشيخ أبي الخير قدّس الله سرّه عند إحتضاره : أيّة آية نقرأ أمام جنازتكم ؟ فقال : إقرأوا هذا البيت :

وأحسن مـا في الكون من عـين أصله　　سـرور مـحـبٍ من حـبـيبٍ بوصله

فقال سيدنا البهاء قدّس الله سرّه هذا عمل عظيم ليُقرء أمام جنازتي هذا البيت وأنشد بالفارسية ما مضمونه وهو من تعريب صاحب "الرشحات" :

أتينـاك بالفــقـر لا بالغنا　　وأنت الذي لـم تزل مُـحـسنا

(وقال قدّس الله سرّه) المُراد من قولهم "المجاز قنطرة الحقيقة" أن جميع العبادات الظاهرة والباطنة القولية والفعلية مجاز فما لم يجاوزها السالك لايصل الى الحقيقة . (وقال قدّس الله سرّه) كان الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير قدس سرّه يقول "غب الزيارة مع حضور القلب خير من دوامها بلا حضور . (وقال قدّس الله سرّه) ينبغي للمريد إن حصل له في شيخه إشكال أن يصبر على قدر تحمله ولايسيء إعتقاده فيه ثم إن كان مبتدئاً يجوز له السؤال أو متوسط الحال قالوا لايسأل . (وخرج) يوماً غلام من المكتب ومعه مصحفه فسلّم على سيدنا البهاء قدّس الله سرّه ففتحوا مصحفه فخرج قوله تعالى (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) فقال أرجو أن أكون ذلك . (وقال قدّس الله سرّه) الفقراء أهل نقد لايحيلون أمورهم الى غد ولذلك

قيل الصوفي ابن وقته . وأنشد بالفارسية ما معرّبه :

مَن كان ذا عقل تبرّأ من فتى　　　يؤخر فعل اليوم منه الى غد

(وقال قدّس الله سرّه) تصحيح أمور النية مهم للغاية لأن حسن النيّة من عالم الغيب لا من عالم الكسب . ولذلك لم يُصَلِّ أحد كبراء الإسلام يعني إبن سيرين على جنازة الحسن البصري رحمهما الله تعالى ، وقال لم تحضرني النيّة . وروي عن الشيخ سهل التستري أنه قال : "النية نور لأن النون نور الله والياء يد الله والهاء هداية الله وإن النية نسيم الروح" . (وقال قدّس الله سرّه) يوماً لأصحابه : ما الفقير ؟ فما أجابه أحدهم ، فقال : مَن باطنه حرب وظاهره سلم . (وقال قدّس الله سرّه) للسالك أن يترك النوافل في بعض الأوقات وذلك إذا أنست الطبيعة بها لئلا تصير له إعادة مألوفة . فإن المقصود أن يكون أنس السالك بمولاه لا بالأعمال . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم "وجعلت قرّة عيني في الصلاة" ولم يقل بالصلاة . (وقال قدّس الله سرّه) إذا تكلم المريد بحال ليس فيه حرّم الله عليه شرف الوصول الى ذلك الحال . وأنشد مجنون بيتاً بالفارسية في حضرته معناه :

كل الورى تهوى الملاح وإنما　　　يرقى في العُلا مَن كان يهوى غيرها

فقال قدّس الله سرّه إنا قد إستفدنا الطريق من هذا القائل ثم أمر المريدين بحفظه .

(وقال قدّس الله سرّه) كل من أراد نفسه ماأراد نفسه ومَن أراد غيره فقد أراد نفسه . (وقال قدّس الله سرّه) إن الله خلقني لخراب الدنيا والناس يطلبون مني إعمارها . (وقال قدّس الله سرّه) إن أهل الله يتحملون ثقل الخلق ليتهذّب منهم الخلق ويتشرّفوا بالقرب من الله تعالى . فإنه مامن وليّ إلاّ والله نظر الى قلبه علم ذلك أم لا ، فكل مَن لقيهُ نال بركة ذلك النظر الإلهي . (وقال قدّس الله سرّه) مرآة كل المشايخ لها جهتان ومرآتنا لها ستُّ جهات . (وقال قدّس الله سرّه) أربعون سنة وأنا في ملاحظة مرآتي والعمل بها فلم تغلط مرآة وجودي أصلاً . (وقال قدّس الله سرّه) مَن عرف الله لم يخف عليه شيء . (وقال قدّس الله سرّه) حقيقة الأدب ترك الأدب . (وقال قدّس الله سرّه) إذا أردت مقام الأبدال فعليك بتبديل الأحوال وأنشد بيتاً بالفارسية معرّبه :

مَن بُدِّلت أوصافه فهو البَدَل　　　بخلّة الله غدا خمره خلُّ

(وقال قدّس الله سرّه) في العبادة طلب الوجود وفي العبودية تلف الوجود ولاينتج العمل مادام الوجود باقياً . (وقال قدّس الله سرّه) الطريق الذي يصل بها العارفون الى معروفهم ويجدونه دون غيرهم مبنية على ثلاث أمور : المراقبة والمُشاهَدة والمُحاسبة . فالمراقبة نسيان المخلوق بدوام النظر الى الخالق . والمُشاهَدة واردات غيبية ترد على القلب ولما كان الزمان لا بقاء له لايمكننا إدراك ذلك الوارد بصفة تقوم ، وإنما ندركه من القبض والبسط . ففي القبض نشاهد الجلال وفي البسط نشاهد الجمال . والمحاسبة هي أن نحاسب أنفسنا عن كل ساعة تمرّ بنا هل مرّت بحضور أو تفرقة . فنعدّ الكل نقصاً ، ثم نستأنف العمل من أوله . (وقال قدّس الله سرّه) إنما ربطوا المحاسبة بالساعة ليمكن تحصيل مقام أهل النفس في كونه مرّ بحضور أولاً ولو ربطوها بالنفس لم يكن إدراك هاتين الصفتين . (وقال قدّس الله سرّه) السالكون في دفع الخواطر الشيطانية والنفسانية متفاوتون فمنهم مَن يراها فيدفعها عنه قبل أن تصل اليه . ومنهم مَن يَردها بعد وصولها اليه ، ولكن قبل أن تستقر وتستحكم . ومنهم بعد أن تصل اليه وتتمكن يسعى في صرفها وهذا لايجدي نفعاً تاماً . غير أنه إذا عرف السالك منشأ ذلك وسبب الإنتقالات اليه لايخلو من فائدة . (وقال قدّس الله سرّه) معرفة كيفية التحول والإنتقال من حال الى حال في غاية الإشكال . (وقال قدّس

اللـه سرّه) الوقـوف الزماني الذي هو وظيفـة السـالك أن يكون ناظراً الى أحواله فـيعلم مايجب لكل زمان من الشكر أو العـذر ويعـامله بما يليـق به . (وقـال قـدّس اللـه سـرّه) ينبـغي أن يكون تلقين الذكـر من الكامل المكمّل ليـؤثّر وتظهـر نتيجـته . فـإن السـهم إذا كان من كـنانة السلطان يصلح للحمـاية . (وقال قـدّس اللـه سرّه) لحضـرة العزيزان وهو سيدنا الشـيخ علي الراميتني طريقـان للذكر سرٌ وجهر . فإخترت منهـما السرّ لأنه أقـوى وأولى . (وقـال قـدّس اللـه سـرّه) الوقـوف العـددي أول مـراتب العلم اللـدني . (وقـال قـدّس اللـه سـرّه) لايتـمكن من الوصـول الى حب أهل الله إلاّ مَن خـرج عن نـفسـه . (وقـال) مَـثَلُ أهل الله مَـثَلُ الصـيـاد الحاذق الذي يُدخل الحيوان الوحشي في شبكته ثم يوصله بحكمته الى مقام الإستئناس .

(وقال قدّس الله سرّه) لهذه الطريقة ثلاثة آداب : أدب مع الله سبحانه وتعالى وهو أن يكون المريد في الظاهر والباطن مـستكملاً للعـبودية بإمتثـال الأوامر وإجتناب النواهي مُعرضاً عن سـواه بالكلية . وأدبٌ مع رسـول الله صلى الله عليه وسـلم وهو أن يستـغرق في مـقام "فـأتبـعوني" ويرعى ذلك في جـميع الأحـوال وجوباً ، ويعلـم أنه صلى الله عليـه وسـلم واسطة الحق وأنّ كل شيء تحت تصـرف أمـره العـالي . وأدبٌ مع المشـايخ وهو لازم للطالبين لأنهم سـبب في متـابعـته صلى الله عليـه وسلم الى مـقام الدعـوة الى الحق . فينبغي للمريد حضور أو غيبة أن يكون مراعياً لأحوالهم ومقتدياً بهم متمسكاً بأذيالهم .

(وقـال قـدّس اللـه سـرّه) على المرشـد أن يعلم أحـوال المريـد في الأزمنة الثـلاثة : الماضي والمسـتـقـبل والحال ، حتى يمكنه أن يربيه . وعلى السالك أن يكون عند إجتماعـه بأحد من أحباب الله حافظاً حال نفسه ثم يزن من صحبته وزمنه السـابق . فإن وجد في حاله إنتقالاً من نقص الى كمال عـلى حد قوله "أصبتَ فإلزم" فليجعل صحبة هذا العزيز فرض عينٍ عليه . (وقـال قدّس اللـه سرّه) كل مَن مالَ إلينا أو إنتسب الى محبتنا بعـيـداً كان أو قـريبـاً لابد أن نلحظ نـسـبـتـه كل يوم وليلة ونمدّهُ مـن منبع عين الشـفـقـة والتـربيـة بالإمـداد الدائم ، إن كان حافظاً لأحواله منقّياً لطريق الإمداد من أدناس التـعلّقات وأوساخها . (وقال قدّس اللـه سرّه) في قوله في الحـديث القدسي : "أنا جليس مَن ذكَرَني" إشارة الى بيان حـال أهل البـاطن . وفي قـوله أيضاً : "الصـوم لي وأنا أجزي بـه" إشارة الى الصـوم الحـقيـقي وهو الإمـساك عن السـوى بكلّيـتـه . (وقال قـدّس اللـه سرّه) المُراد من الأمة في قـوله صلى الله عليه وسلم : "نصيب أمتي من نار جهنم كنصيب إبراهيم من نار نمرود" ، وفي قـوله صلى اللـه عليـه وسلم : "لاتجتـمع أمـتي على ضلالة" إنّمـا هي أمـة المتابعـة . فإن الأمـة على ثلاثة أقسـام : أمة الدعـوة ، أمـة الإجابة ، أمـة المتـابعة . (وقـال قـدّس اللـه سرّه) قـوله صلى اللـه عليـه وسلم : "مـعراج المؤمن فـيه" إشـارة الى درجـات الصلاة الحـقيـقيـة . وهي أن تكون أكـبرية حضرة الحق حـالاً للمصلّي عند تحرّمه ويظهر الخضوع والخشوع على قلبـه حتى يصل الى مرتبة الإستغراق . وقد كانت هذه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . روي انه كان يظهـر لصدره الشريف صوت يُسمع من خارج المدينـة وأنه كان له أزيز كأزيز المرجل . (وسأله قدّس الله سرّه) أحد علماء بخارى عما يحصل به الحضور وللعبد في الصلاة . فقال له : بأكل الحلال ومراقبة الحق تعالى خارج الصلاة وعند الوضوء وتكبيرة الإحرام .

(وقال قدّس اللـه سـرّه) في قوله الحديث : "ماكرهتُ أن يراه النـاس منك فـلا تفعله إذا خلوت" إشارة الى أنه ينبـغي للسـالك أن يكون الخـلاء له ملأ وأن مـا يفـعله في الخلوة رعـاية لنظر الخلق اليـه بفـعله بالخلوة . (وقـال قدّس اللـه سـرّه) ورد في الأخبـار والآثار وكلام المشايخ الكبـار . "إذا أحبَّ الله عـبداً لم يضـرّه ذنب" . ومـعناه أن العبـد المحبـوب إذا عرف العـذر عن الذنب وإعـتذر به لم يضـرّه . (وقـال قـدّس اللـه سرّه) الصـلاة

والصيام والمُجاهدة هي طريق الوصول الى الله تعالى ولكن نفي الوجود عندنا أقرب . وهذا وإن كان لابد منه مع العبادة والمُجاهدة أيضاً إلاّ أنه لايحصل إلاّ بترك الإختيار وعدم رؤية الأعمال .

(وقال الشيخ صلاح جامع مناقبه قدّس الله سرّه) : كان سيدنا البهاء قدّس الله سرّه يوماً مع أصحابه فقال إن التعلق بالسوى حجاب عظيم للسالك ، ثم أنشد بالفارسية بيتاً ومعناه بالعربية :

إن التعلق بالسوى أقوى حجاب والتخلص منه فاتحة الوصول

فخطر ببالي ساعتئذ أن التعلق بالإيمان والإسلام أيضاً كذلك . فإلتفتَ في الحال اليَّ وتَبسَّم ثم قال : أما سمعت قول الحلاّج قدّس الله روحه :

كفرتُ بدين الله والكفرُ واجبٌ لديّ وعند المسلمين قبيحُ

وكذلك قالوا المعتَبَر هو الإيمان الحقيقي وعرّف أهل الحقيقة الإيمان بأنه ربط القلب بنفي جميع ماتولّهت به القلوب من المضارّ والمنافع سوى الله عزّ وجلّ . أه .

(قلت) لايخفى أن الإيمان يردُ لمعانٍ منها الجزاء قال تعالى (مالك يوم الدين) وإن أهل الله لاينظرون في أعمالهم إلاّ الى الله . قالت رابعة العدوية رضي الله عنها : "ماعبدتك طمعاً في جنّتك ولا خوفاً من نارك ولكن لوجهك الكريم" . فصرف العبادة لغيره تعالى شركٌ خفي كما قال سيدنا الشيخ أرسلان الدمشقي : "كلك شرك خفي والكفر به على المخلصين واجب ، لأن مَن عبده لأجل الجنة والنار فقد عبد الجنة والنار وهو طاغوت وقد قال تعالى (ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد إستمسك بالعروة الوثقى)" .

ومما يؤيد ذلك مانُقل أن الشيخ أبا الحسن الشاذلي قدّس الله سرّه سأله شيخه : بماذا تلقى الله تعالى ؟ فقال له : بفقري . قال له : إذن تلقاه بالصنم الأعظم .

فعبادتهم عبودية محضة لايشوبها شيء غير الله ، بل لايرون فيها دخلاً حتى يطلبون الجزاء عليها لتحققهم بقوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) على أن (ما) نافية . وأما أهل الظاهر فقد تمسكوا بالأعمال ورتّبوا عليها الجزاء إنْ خيراً فخير وإنْ شراً فشرّ وأنّ العبد ينفعه عمله ويضرّه . ومشى الحق تعالى ذلك فقال لهم (جزاءً بما كانوا يعملون) (ويجزيهم بأحسن الذي كانوا يعملون) فعدم النظر الى الأعمال عندهم قبيح ولعل هذا أحسن مما كتبه الشيخ صلاح هنا والله أعلم .

(وقال قدّس الله سرّه) كل مَن وُفِّقَ لمخالفة نفسه وإن كان هو في حد ذاته عملاً قليلاً يجب عليه أن يراه عظيماً ويشكر الله تعالى على توفيقه له ، فإنّ مَن قال "إذا أردت مقام الأبدال فعليك بتبديل الأحوال" مُراده مخالفة النفس . (وقال قدّس الله سرّه) كنا في أوائل الحال نرى أنفسنا مطلوبين والغير طالباً والآن قد عدلنا عن ذلك فإن المرشد الأعلى على الإطلاق هو الله تعالى . فكل مَن أوجد فيه داعية هذا الطريق وأرسله إلينا يصل اليه منا ماله فيه نصيب . (وذُكر قدّس الله سرّه) أنّه سلم عليه أحد مريديه فلم يرد السلام فأغبر خاطره ، فقال : إعتذروا له بأني كنت وقتئذ متوجهاً بكلّيتي لسماع كلام الحقّ تعالى لي فشغلني كلام الحق عن سلام الخلق . (وقال قدّس الله سرّه) قوله صلى الله عليه وسلم : "الكاسب حبيب الله" إشارة الى كسب الرضا لا كسب الدنيا . (وقال قدّس الله سرّه) كل مَن سلّم نفسه للحق تعالى وفوّض أمره اليه فإلتجاؤه لغيره شرك يُعفى عنه العامة دون الخاصة . (وقال قدّس الله سرّه) الوصول الى سرّ التوحيد ممكن في بعض الأحيان ، وأما الوصول الى سرّ المعرفة فمُشكلٌ . (وقال قدّس الله سرّه) إذا شاكَتْ رجلُ الفقير شوكةٌ ، فعليه أن يعلم من أي وجه وصلت اليه .

(وقال قدّس الله سرّه) ينبغي للطالب أن يصحب أصحابنا أولاً مدة حتى تحصل له قابلية صحبتنا .

(وقال قدّس الله سرّه) إن طريقنا من النوادر وهي العروة الوثقى وماهي إلاّ التمسك بأذيال متابعة السنة السنية واقتفاء آثار الصحابة الكرام . ولقد أدخلوني في هذا الطريق من باب الفضل فإني لم أشهد أولاً ولا آخراً إلاّ فضل الحق تعالى . والعمل فيه يحصل منه فتوح كثير لأن رعاية السنة السنية من أعظم الأعمال . أه . وبه يُعلم معنى قوله قدّس الله سره "كل مَن أعرَضَ عن طريقنا فهو على خطرٍ من دينه" .

(وسُئل قدّس الله سرّه) بماذا يصل العبد الى طريقكم ؟ فقال بمتابعة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . (وقال قدّس الله سرّه) ينبغي للمتوكل أن لايرى نفسه متوكلاً وأن يُخفي توكله في الكسب . (وقال قدّس الله سرّه) إنا تحملنا في هذا الطريق الذلّة فتفضل الحقُّ علينا من محض إحسانه بالعزة ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين . (وبلغه) أن بعض الناس نسب اليه التكبّر ، فقال كبرياؤنا من كبريائه . (ويشير قدّس الله سرّه) الى ما أجاب به الجُنيد حين سُئل عن العارف فقال لون الماء لون إنائه . (وقال قدّس الله سرّه) كل مَن جرى أخذ الإناء وأخذ الإناء كلّ من جرى .

وأياته قدّس الله سرّه بحران ماإغترفنا منه إلاّ قطرة وما إقتطفنا منه إلاّ زهرة .

أحوال كماله وكمال أحواله

(كان) قدّس الله سرّه على أعظم قدمٍ من تمام التجرد عن الدنيا وعلائقها ومحض الزهد وفرط الورع في أموره كلها ، خصوصاً في طعامه . فإنه كان يحتاط له إحتياطاً عظيماً لايأكل إلا من شعير وماش يزرعه ويتحرّى في بذره وحرثه وسقيه وجوه الحلّ ، حتى صارت كبار العلماء والعبّاد يقصدون زيارته للتبرّك بطعامه . ولقد بلغ بالتقشف عن الدنيا أنه كان يفرش منزله في الشتاء بأحلاس بالية وفي الصيف بخصفة قديمة . (وكان) يحب الفقراء والفقر ويحض أصحابه عليه وعلى كسب الحلال ويستدل بقوله صلى الله عليه وسلم : "العبادة تسعة منها طلب الحلال وواحد سائر العبادات" . وكان يقول كل ما حصل لي فهو من ذلك . (وكان) يصنع الطعام للفقراء بيده المباركة ويخدم مائدتهم بنفسه الشريفة ، وإذا إجتمعوا للطعام يوصيهم بالمحافظة على الحضور ويؤكد عليهم في ذلك أشدّ التأكيد . وكلما أراد أحدهم أن يتناول لقمة مع الغفلة ينبّهه عن طريق الكشف عليه ويمنعه من أكلها ويقول "صدور الأعمال الصالحة إنما هو من الطعام الحلال إذا أُكل مع الحضور ولايحصِّل العبد الحضور في جميع الأوقات لاسيما أوقات الصلوات إلاّ بهذا" .

(وكان) إذا قُدِّمَ اليه طعام صُنِع في حالة غضب أو كراهية أو حصل فيه أدنى مشقة بل لو كان وضع فيه أحد ملعقة على هذه الحالة لايمدُّ يده اليه ولايدعُ أحداً ممن معه أن يتناول منه شيئاً . (روي) أنه ذهب ذات مرة الى غزيوت فقدّم اليه أحد مريديه طعاماً ، فقال له : كان صانعه منذ عجن عجينه الى أن أتمَّ طبخه في حالة غضب فلايليق بنا أن نأكل منه ، فإن كلّ ما جعل في مثل هذه الأحوال لا خير فيه ولا بركة ، بل يجد الشيطان فيه سبيلاً فكيف ينتج ؟

(ولما توجه الى هراة) صنع الملك حسين رحمه الله وليمة عظيمة دعا اليها أعيان مملكته ومشايخ حضرته وعلماءها إحتفاءً به قدّس الله سرّه ، ووقف بنفسه على المائدة وقال : كلوا من هذا الطعام فإنه حلال إتخذته من ميراثي من أبي وأنا ضمين عهدته يوم القيامة . فابتدروا يأكلون والشيخ لم يمدّ يده . فإلتفت شيخ الإسلام قطب الدين رحمه الله وكان قدوة أهل زمانه وقال له : لمَ لَمْ تأكل ؟ فقال له : إن لي حاكماً عرضت عليه هذه القضية فقال لك فيها وجهان إن لم تأكل وسألوك تقُل حضرتُ سفرة الملك ولم

آكل وإن أكلتَ سألوك لم أكلت فماذا تقول ؟ فتأثّر شيخ الإسلام من هذا الكلام تأثراً عظيماً وحصل له حال غريب وأمسك عن الطعام وطلب من السلطان أن يسامحه منه . فتحيّر الملك وقال له : مانصنع بهذه الأطعمة ؟ قال : حتى نسأل حضرة البهاء . فقال قدّس الله سرّه : إن كان فيه شبهة ففرّقه على الفقراء وإن كان حلالاً فلاشك أن في هراة كثيراً ممن له أشدّ الإحتياج الى لقمة واحدة منه فينبغي أن يُصرف اليهم . فعجب الحاضرون منه قدّس الله سرّه .

(وكان) في سرخس فأرسل الملك حسين رحمه الله اليه رسولاً ومعه كتاب "إنا مشتاقون لصحبة الفقراء فماذا تأمرون ؟" وكانت عادته لايذهب الى الملوك ولكن رأى أنه يحصل بمجيء الملك الى سرخس وطوس زحمة عظيمة على الناس فرحمةً بهم توجه الى هراة . فلما وصل اليها نزل في زاوية سيدنا الشيخ عبدالله الأنصاري رضي الله عنه فوجد الملك والخدم والحشم والأعيان والعلماء جميعاً ينتظرونه . فإستقبلوه أعظم إستقبال وأدخله الملك الى داره وجلس بين يديه . وبعد برهة وضعوا مائدة عظيمة جامعة لأفخر الأطعمة وأثمنها . فأخذ الحاضرون يأكلون والشيخ لم يأكل . فقال له العلماء : إن في هذه الأطعمة لحم صيد وهو لا شبهة فيه فكلوا منه . فقال : لايليق بي أن آكل على موائد الملوك وأنا معتقد جماعة وهذا واحد منهم حاضر فإن مددت يدي لايدرون من أي طعام أكلت . فقالوا : إن صفة الفقر موروثة لكم . قال : لا بل أدركتني جُذبة من جذبات الحقّ توازي عمل الثَّقَلين فتشرفت بهذه السعادة . فقال له الملك : طريقكم فيه ذكر الجهر والخلوة والسماع . قال : لا . قال : فماذا طريقكم ؟ قال : هو كما قال سيدنا الشيخ عبدالخالق الغُجدواني قدّس الله سرّه العزيز "الخلوة في الجلوة" . قال : مامعناه ؟ قال : هو أن يكون العبد في الظاهر مع الخلق وفي الباطن مع الحق . (وأنشد بالفارسية) بيتاً عرّبه في "المناقب" فقال :

ففي باطنٍ كن صاحياً غير غافل وفي ظاهرٍ خالط كبعض الأجانب

قال الملك : أويمكن هذا ؟ قال : نعم فإن الله تعالى يقول (رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) . فقال له الملك : إن بعض السادات يقول الولاية أفضل من النبوّة فأي ولاية أفضل من النبوّة ؟ قال : ولاية النبي أفضل من نبوته .

ثم ودّع الملك ورجع الى الزاوية فمالبث أن أرسل اليه الملك مع نفر من خواصه أطباقاً عليها أنواع التحف وإلتمسوا منه أن يقبلها ، فردّها وقال لهم : إني منذ مَنَّ الله عليَّ بعنايته لم يقدر أحد في هذا الحال أن يجعل ظهر يدي الى الأرض فإنصحوه أن لايحدّث نفسه بمثل هذا . ثم بعد قطع من الليل جاءه عبيد زوجة الملك بهدية مشتملة على قميص ومنديل وغير ذلك وذكروا له أن سيدتهم قد خاطت القميص بيدها إحتفاءً به ورجاء قبوله . فردَّها فكرروا عليه الإسترحام بقبولها وألحوا في ذلك . فما قبل منها شيئاً ولم يكن لابساً يومئذٍ إلاّ ثوباً من صوف وعمامة وكوشاً قديماً . فكانت هيئته هذه سبباً لرسوخ محبة الملك وأهل هراة لجنابه .

(وكان) يصوم أكثر أيامه فإذا جاءه ضيف وكان عنده ما يكرمه به يأكل معه ويقول سراً لأصحابه إن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانوا لايتفرقون إلاّ عن ذواق . وقال الشيخ أبو الحسن الخرقاني في كتابه "أصول الطريقة ووصول الحقيقة" إن فضل موافقة الإخوان فيما ليس بمعصية ليس أقلّ ثواباً من صوم النفل ومن آداب الصوم إخفاؤه .

(وأُهديت) اليه سمكة مطبوخة والفقراء حاضرون وفيهم شاب عابد زاهد كان صائماً فقال له : وافق

إخوانك وافطر . فلم يقبل ، فقال له : افطرْ وأنا أهبك صوم يوم من شهر رمضان . فأبى فقال له : أفطِر وأنا أهبك صيام أيام شهر رمضان . فأبى ، فقال : وقع نظير ذلك مع سلطان العارفين أبي يزيد رضي الله عنه فاتركوه فإنه مـن المبعدين . فنظراً لإستخفـافه بأوامر أهل الله تعالى إبتلاه الله تعالى بعد ذلك بالإنهماك في الدنيا والإعراض عما كان فيه من سعادة العبادة .

(والذي وقع لأبي يزيد) هو أنه زاره سيدنا الشيخ أبو تراب النخشبي فقدم له الخادم طعاماً فقال له أبو تراب : اجلس وكلْ معي . فقال : إني صائم . فقال : كل ولك ثواب صيام سنة . فأبى ، فقال : كُلْ ولك صيام سنتين . فأبى ، فقال أبو زيد : دعوا مَن سقط من عين الله . فإنقطع بعد مدة يسيرة وساءت أحواله حتى سرق سرقة قُطعت بها يمينه .

(وكان قدّس الله سرّه) إذا زاره أحد أحبابه تولى خدمته بنفسه وإعتنى به كل الإعتناء وخدم دابته أحسن خدمة وقدّم لها الماء والعلف بيده المباركة لكيلا يكون في قلب الضيف همٌّ منها لقوله صلى الله عليه وسلم : "همّ المؤمن دابته وهمّ المنافق بطنه" . ويقول نقل عن العزيزان قدّس الله سرّه أنه كان يبتديء أولاً بخدمة دابة ضيفه ويقول إنها كانت سبباً لوصوله اليّ وتشرّفي به .

(وكان قدّس الله سرّه) إذا أتى الفقراء الى منزله يأتي بالأحجار فيمسح بها وجهه النضير ثم يهيئها لهم للإستنجاء ويقول "إن لهؤلاء مِنّةً على روحي" . (وكان قدّس الله سرّه) إذا زاره أحد من أصحابه يسأل عن أهله وأولاده ويلاطف كل منهم بما يناسبه ويبحث عن متعلقاته ودوابه حتى دجاجاته ويظهر الشفقة كل بحسبه ويقول كان أبو يزيد رضي الله عنه إذا رجع من الإستغراق يفعل هكذا . (وكان قدّس الله سرّه) مع كمال تجرّده وزهد دأبهُ البذل والإيثار فاذا أهدى اليه أحدٌ شيئاً قبله وقابله بأضعافه تأسياً به صلى الله عليه وسلم . وببركته سرت هذه الأخلاق الكريمة الى أصحابه قدّس الله أرواحهم .

كراماته وإكراماته

(قال قدّس الله سرّه) خرجت يوماً أنا ومحمد زاهد الى الصحراء وكان مريداً صادقاً ومعنا المعاول نشتغل بها فمرّت بنا حالة أوجبت أن نلقي المعاول ونتذاكر في المعارف . فما زلنا كذلك حتى إنجرّ الكلام بنا الى العبودية ، فقال لي : الى أي مدى تنتهي العبودية ؟ فقلت : تنتهي الى درجة إذا قال صاحبها لأحد مُتْ مات في الحال . قال ثم وقع لي أني قلت له ساعتئذ مُتْ فمات حالاً وإستمرّ ميتاً من الضحى الى نصف النهار . وكان الوقت حاراً فإنزعجت لذلك وتحيّرت كثيراً . ثم أويت الى ظل قريب منه فجلست وأنا في حيرة تامة ثم رجعت الى عنده ، فنظرت اليه فوجدته قد تغيّر من فرط الحرّ . فإزددت قلقاً . فأُلقي اليّ وقتئذ أن قُلْ (يامحمد إحي) فقلت له ذلك ثلاث مرات . فأخذت تسري فيه الحياة شيئاً فشيئاً وأنا أنظر اليه حتى عاد الى حاله الأول . فأتيت حضرة السيد أمير كلال فقصصت عليه القصص ، فلما ذكرت له أنه مات وتحيّرت من ذلك قال لي : ياولدي لِمَ لمْ تقلْ له إحي . فقلت له : لما أُلهمتُ ذلك قلته فعاد حياً .

(ونقل الشيخ علاءالدين العطّار) أنه لما قدم ماوراء النهر سلطان عبدالله قزغن الى بخارى عزم أن يخرج الى الصيد في نواحي بخارى وأن يخرج الناس معه . وكان الشيخ في قرية من قرى بخارى فلما خرج أهل تلك القرية خرج معهم فإبتدروا الصيد . وأما الشيخ قدّس الله سرّه فقد طلع الى ربوة قريبة منهم وأخذ يرقع ثوبه . فخطر بباله وقتئذ أن الأولياء عزتهم بالله فلذلك وضعت السلاطين رؤوسها على أعتابهم . فما تمّ هذا الخاطر إلا وأقبل عليه فارس متزيّن بزينة الملوك . فلما وصل عنده ترجّل وجاء مع التعظيم

التام والخضوع الوافر . فسلّم على الشيخ قدّس الله سرّه ووقف متأدباً في ضحَ الشمس نحو ساعة فرفع الشيخ رأسه اليه وقال : بماذا كنت تشتغل ؟قال : كنت مشغولاً بالصيد فوجدتني قد جذبت الى هذا الجانب بغير إختياري فلما وصلت الى هذا الموضع رأيتكم فمال قلبي اليكم ميلاً تاماً .ثم جعل يتذلّل له ويتواضع اليه ويطلب الإمداد منه . فقال له الشيخ قدّس الله سرّه : أتركني فإني فقير كنت في هذه القرية فأخرج عبدالله قزغن الناس للصيد فرافقتهم فلما لم أكن أصلح لذلك جئت الى هنا .فقال له : لكن ياسيدي أنتم قد صدتموني . فقام الشيخ ولبس ثوبه وتوجه الى جهة الصحراء فتبعه الرجل ولم يزل يمشي والرجل يمشي خلفه بتمام الإنكسار حتى نظر اليه الشيخ نظرة هيبة وجلال فوقف مكانه ولم يستطع أن يتبعه أبداً .

(وروي) عن بعض أصحابه أنه قال كنت في خدمته وهو في بلدة مَرو ، فاشتقت لرؤية أهلي في بخارى وكان بلغني أن أخي شمس الدين قد مات ولم أجسر على الإستئذان منه . فخرج لصلاة الجمعة يوماً فلما رجع من المسجد ذكر له الأمير موت أخي فقال له : كيف هذا الخبر وهو حي وهذه رائحته تفوح بل أجد رائحته قريبة جداً . فما تمّ كلامه إلاّ وقد وصل أخي من بخارى وجاء فسلم على الشيخ قدّس الله سرّه . فقال : ياأمير هذا شمس الدين فحصل للحاضرين حال عظيم .

(وقال) سيدنا الشيخ علاءالدين العطّار كان قدّس الله سرّه في بخارى وكان المولى عارف أحد أعزاء أحبابه في خوارزم . فكان يتكلم يوماً على صفة البصر مع أصحابه ، فقال في أثناء كلامه "الآن خرج المولى عارف من خوارزم الى جهة السراي ووصل الى الموضع الفلاني من طريق السراي" .ثم بعد لحظة قال خطر في بال المولى عارف أن لايذهب الى السراي وهاهو قد رجع الى جهة خوارزم . فقيّد أصحابه هذه القصة بتاريخها . فبعد مدة قدم المولى عارف من خوارزم الى بخارى فأخبروه بما ذكر الشيخ قدّس الله سرّه . فقال لهم هذا هو الذي وقع لي بعينه فتعجّب أصحابه من ذلك غاية العجب .

(وقال) مولانا الشيخ عبدالله الخجندي كان سبب صحبتي له قدّس الله سرّه انه حصلت لي قبل ذلك بسنين لوعة محرقة وأنا في (خجند) سلبت قراري وتعطشت للدخول في هذا الطريق . فخرجت من خجند هائماً على وجهي حتى وصلت الى ترمذ . فذهبت الى زيارة ضريح العارف الكبير محمد بن علي الحكيم الترمذي قدّس الله سرّه وأنا في غاية الإضطراب . ثم أتيت مسجداً على جانب نهر جيحون ونمت فيه فرأيت شيخين مهابين . فقال لي أحدهما هل تعرفنا أنا محمد بن علي الترمذي وهذا الخضر عليه السلام ، لاتتعب نفسك ولاتضطرب فإنه ما آن أوان ما تريد ولكن ستصل اليه بعد إثنتي عشرة سنة في بخارى على يد الشيخ بهاءالدين الذي هو قطب الزمان وقتئذ . ثم أفقت وقد سكن ما بي فرجعت الى خجند . ثم أني كنت ماشياً في السوق فإذا أنا بتركيين دخلا المسجد فتبعتهما فجلسا يتحدثان فأصغيت لحديثهما . فسمعتهما يتكلمان عن أحوال الطريق فمال قلبي اليهما . فأسرعت فأتيتهما بطعام ، قال أحدهما للآخر هذا فيه لوعة يليق أن يكون في خدمة ولد سلطاننا الشيخ إسحاق . فلما سمعت ذلك إستفسرت منهما عن ذلك الشيخ فأخبراني أنه في نواحي خجند . فذهبت اليه في الحال فلاطفني ملاطفة تامة وكان له ولد عليه آثار النجابة والإخلاص . فقال لوالده يوماً : إن هذا المريد منكسر فينبغي أن تصطفوه وتتخذوه صاحباً . فبكى الشيخ وقال له : ياولدي هذا من أولاد الشيخ بهاءالدين ليس لي عليه حكم . فعند ذلك رجعت الى خجند أنتظر زمان ظهور هذه الإشارة . فما مضت مدة إلاّ ورأيت قلبي قد إنجذب الى جهة بخارى

فلم أقدر أن أتأخر لحظة فسافرت اليها . فعندما وصلت قصدت تواً حضرة الشيخ قدّس الله سرّه فلما تشرّفت برؤيته قال : إني أنست ياعبدالله الخجندي بقي ثلاثة أيام حتى تتم مدة الإثنتي عشرة سنة . فأخذني من هذه الإشارة حال غريب وطلع صبح سعادة محبته في أفق قلبي ولم يفهم الحاضرون مأأشار اليه فسألوني عنه . فلما أذقتهم الخبر إمتلأوا نضرة وسروراً ثم أقبل بالعناية التامة عليّ وقبلني أن أكون عبداً له قدّس الله سرّه .

(وقال سيدنا الشيخ علاءالدين العطّار) كنت عند حضرته في يوم غيم ، فقال لي : هل دخل وقت الظهر ؟ فقلت له : لا ، فقال : أنظر الى السماء . فنظرت فلم أجد حجاباً أصلاً ورأيت جميع ملائكة السموات مشتغلين بصلاة الظهر . فقال : ماتقول هل صار وقت الظهر ؟ فخجلت مما صدر مني وإستغفرت منه وبقيت مدة وأنا أجد لذلك في نفسي ثقلاً عظيماً .

(وروي عن أصحابه أنه قال) أرسلني قدّس الله سرّه يوماً في حاجة فلما رجعت رأيت المريدين وقوفاً في البستان الذي فيه مرقده الشريف الآن وبأيديهم المعاول والمكاتل فداخلني أشدّ الخوف وأخذتني حمى نافض ، ثم بعد ساعة جاء الشيخ قدّس الله سرّه من منزله فقال لي : أراك متغيّراً . فقلت له : منذ وصلت الى هنا إعتراني خوف شديد وماعلمت سببه . فقال : سل الأمير حسين عنه . فسألته فقال : سبب ذلك أنّ المريدين أتوا من الصباح لنقل التراب ولم تكن معهم . قال ثم عاد قدّس الله سرّه الى المنزل لإصلاح طعام المريدين فلم نلبث أن رأينا رجلاً شاباً جاء من جهة منزله الى جهتنا وهو يطير في الهواء ويثب من محل الى محل كالطائر . فلما دنا منا مرّ فوق رؤوسنا كذلك . فطفقنا جميعاً ننظر اليه وعزمنا أن ندع ما نحن فيه من العمل ونتأثره . فبينما نحن كذلك إذا بحضرة الشيخ قدّس الله سرّه قد خرج من المنزل وأشار إلينا أن على رسلكم حتى أجيء اليكم . فحصل لنا رعب عظيم من كلامه . فلما أن جاء ورأى حالنا إلتفت اليّ وقال : هذه حالك التي إعترتك أولاً وقد إنعكست عليهم . (ثم قال) وأما الشاب الذي كان يطير فهو شخص كنت قد رأيته وأنا ذاهب من (نسف) الى بخارى يطير فلما دنوت منه قلت له "كيف تركت صحبة رجال الغيب ووقعت في الألم والحسرة ؟" . فقال أنا من البلد الفلاني وقد أدخلوني في صحبتهم فكنا ذات يوم جلوساً على جبل فمرّ بخاطري ذكر الزوجة والولد فكوشفوا بهذا الخاطر فقصدوا أن يذهبوا ويتركوني . فتمسكت في الحال بذيل واحد منهم وسألتهم أن يوصلوني الى محل معمور فأتوا بي الى هذا المكان" . قال قدّس الله سرّه فجئت به من نسف الى بخارى منذ ستة أيام ووضعته في منزلي ، فلما ذهبت لأهيّء لكم الطعام إستأذنني بالذهاب فأذنت له ثم أردت أن أتيكم بالطعام فرأيت ما حلّ بكم من التفرقة وتشتيت الخاطر فخرجت مسرعاً وأشرت إليكم بما أشرت . ثم قال وقد ظهر عليه تجلّي الجلا : ينبغي للمريد أن يكون راسخ القدم لايزيحه كل شيء عما هو فيه ولايتبدّل إعتقاده في شيخه بوجه من الوجوه أصلاً حتى لو رأى الخضر عليه السلام لايلتفت اليه . وقال وقد غلبت عليه الهيبة والسطوة مرتبة الطيران سهلة فإن الذباب ليطير في الهواء أيضاً . ثم أمر الأمير حسين رحمه الله وبقية المريدين أن يملأوا المكتل تراباً وأن يتركوه . ففعلوا وأشار الشيخ الى المكتل فمشى بنفسه وأفرغ التراب ورجع الينا بنفسه ، وفعل ذلك مراراً . فقال قدّس الله سرّه هذه الأمور وأمثالها لاإعتبار لها عند خواص أهل الله تعالى .

(وحكى سيدنا علاءالدين) أن الشيخ تاج الدين أحد أصحاب الحضرة البهائية كان إذا أرسله الشيخ الى حاجة من قصر العارفان الى بخارى يعود ببرهة قليلة وذلك أنه كان إذا غاب عن أعين المريدين يطير في الهواء .

قال وأرسلني يوماً في أمر الى بخارى فذهبت على هذه الكيفية فوجدت الشيخ في طريقي فرآني على هذه الحالة فسلبها مني . فلم أقدر بعد ذلك أن أفعلها أبداً .

(وقال الشيخ خسرو) وهو من أجلاء أصحابه قدّس الله سرّه قصدت يوماً زيارة الشيخ قدّس الله سرّه فوجدته واقفاً في البستان على حافة الحوض يتكلم معه شيخ لم أعرفه . فلما سلمت عليه إنصرف ذلك الشيخ الى ناحية من نواحي البستان . فقال لي قدّس الله سرّه "هذا الخضر" مرتين . فلم أتكلم بل سكتُّ وبعون الله تعالى لم أجد في نفسي ميلاً اليه لا ظاهراً ولا باطناً . ثم بعد يومين أو ثلاثة رأيته أيضاً في بستان الخانقاه يتحدث مع الشيخ قدّس الله سرّه وبعد مضي شهرين لقيته أيضاً في سوق بخارى فتبسّم لي فسلّمت عليه فعانقني وباسطني وسألني عن أحوالي . فلما رجعت الى قصر العارفان وتمثلت في أعتاب الشيخ قدّس الله سرّه قال لي إنك إجتمعت بالخضر في سوق بخارى .

(وسافر) بعض العلماء مع جماعة من مريدي الشيخ قدّس الله سرّه الى العراق قال فلما وصلنا الى سمنان سمعنا ان هناك رجلاً مباركاً إسمه السيد محمود من مخلصي الشيخ . فقصدنا زيارته جميعاً وسألناه عن سبب إتصاله بالشيخ . فقال "كنت رأيت في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم أو رجلاً جليلاً من الأكابر وهو في مكان جميل والى جانبه رجل مهاب فقلت للنبيّ صلى الله عليه وسلم ، أو لذلك الرجل الجليل ، مع التواضع والأدب إني لم أتشرّف بصحبتكم ولم أحض ببركة زمنك والإجتماع بكم وفاتتني هذه السعادة فماذا أصنع ؟ فقال لي إن أردت أن تنال بركتي وفضل رؤيتي فعليك بمتابعة بهاءالدين وأشار الى ذلك الرجل الذي الى جنبه وماكنت قد رأيت الشيخ قبل ذلك . فلما أفقت قيّدت إسمه وحلّيته على ظهر كتاب . ثم بعد مدة مديدة كنت جالساً على دكان بزاز فرأيت رجلاً عليه نور وهيبة وقد جاء وجلس على الدكان . فلما رأيت وجهه تذكرت تلك الحلية فحصل لي حال عظيم . فلما سرى عني سألته أن يشرّف منزلي فأجاب الى ذلك وقام يمشي أمامي وأنا خلفه فلم يلتفت حتى وصل الى منزلي وهذه أول كرامة شاهدتها منه ، فإنه لم ير منزلي قبل أصلاً . ثم لما دخل قصد حجرة خاصة بي وكان فيها خزانة كتب فمدّ يده الشريفة وإستخرج من بينها كتاباً وأعطاني إياه وقال : ماذا كتبت على ظهره ؟ فإذا هو الكتاب الذي كتبت على ظهره الرؤيا وتاريخها وإذا لها سبع سنين . فصار لي من إطلاعه على ذلك حال أعظم من الأول حتى إذا إنجلى عني ماأ جده قابلني باللطف وقبلني أن أكون من زمرة أصحابه وشرّفني بسعادة خدمة بابه .

(ودعاه بعض أصحابه) في بخارى فلما أذّن المغرب قال للمولى نجم الدين دَادَرُك : أتمتثل كل ماآمرك به ؟ قال : نعم . قال : فإن أمرتك بالسرقة تفعلها ؟ قال : لا . لأن حقوق الله تكفّرها التوبة وهذه من حقوق العباد . فقال : إن لم تمتثل أمرنا فلا تصحبنا . ففزع المولى نجم الدين فزعاً شديداً وضاقت عليه الأرض بما رحبت وأظهر التوبة والندم وعزم على أن لايعصى له أمر . فرحمه الحاضرون وشفعوا له عنده وساروا الى محلة باب سمرقند . فأشار الشيخ الى بيت وقال أخرقوا جداره وأدخلوا تجدوا في الموضع الفلاني منه كيساً مملوءً أمتعة فأتوا بها ، ففعلوا . ثم ساروا الى زاوية هنالك وجلسوا . فبعد ساعة سمعوا نبح الكلاب . فارسل المولى نجم الدين وبعض أصحابه الى ذلك البيت فوجدوا السرّاق قد خرقوا جداراً آخر ودخلوا فلم يجدوا شيئاً ، فقالوا لبعضهم جاء قبلنا سرّاق وأخذوا ما فيه . فعجب أصحاب الشيخ قدّس الله سرّه من ذلك الأمر . وكان صاحب البيت في بستان فأرسل الشيخ صباحاً اليه الأمتعة مع مريد وأمره أن يخبره أنّ الفقراء

مرّوا على بيتك فاطلعوا على هذه القضية فخلّصوا الثياب من السارقين ثم نظر الى المولى نجم الدين وقال له : لو إمتثلت الأمر لوجدت حكماً جمّة .

(وروي) عن بعض أصحابه أنه قال : "زارني الشيخ قدّس الله سرّه يوماً فخجلت خجلاً عظيماً إذ لم يكن وقتئذ عندي دقيق فأتيت بحمل دقيق ، فقال لي : اخبز من هذا الدقيق ولاتخبر أحداً بقلّته أو كثرته . فأقام عندي عشرة أشهر والمريدون والأحباب يتواردون الى منزلي لزيارته دائماً ونحن نخبز لهم من هذا الدقيق . كل ذلك وهو بحاله ثم إني بعد ذلك أخبرت أهلي وخالفت أمر الشيخ فزالت البركة وإنتهى الدقيق بأقرب وقت . فكان ذلك أعظم سبب لقوّة يقيني بكمال ولايته وعظيم كرامته" .

(وقال الشيخ محمد زاهد قدّس الله سرّه) كنت إبان السلوك جالساً معه قدّس الله سرّه وكان ذلك في فصل الربيع فاشتهت نفسي البطيخ فطلبته منه وفي القرب منا ماء جارٍ ، فقال : إذهب الى ذلك الماء . فذهبت فوجدت فيه بطيخة قطف ساعتها فحصل لي تمام الإعتقاد بحضرته نفعنا الله ببركته .

(ونُقل عن بعض أصحابه) أنه قال لما تشرّفت بصحبته قدّس الله سرّه كان الشيخ شادي أحد أجلاّء أصحابه كثيراً مايعظني وينصحني ويؤدبني ، فما أمرني به أن لايمدّ أحد منا رجله الى جهة يكون فيها الشيخ قدّس الله سرّه . فأتيت يوماً من غزيوت الى قصر العارفان في وقت شديد الحرّ لزيارته . فأويت الى ظل شجرة في الطريق فإضطجعت فجاء حيوان فلدغني في رجلي مرتين فقمت وتألمت ألماً شديداً . ثم إضجعت فعاد مرّة ثالثة كذلك . فجلست أتفكّر في سبب ذلك مدّة حتى تذكّرت نصيحة الشيخ شادي ووجدت أني قد مددت رجلي الى ناحية قصر العارفان وكان الشيخ وقتئذ ثمّ . فعلمت أن ذلك تأديب لي على ما فرط مني .

(وذكر الشيخ علاءالدين) أنه قدّس الله سرّه أمر الأمير حسيناً أن يجمع حطباً كثيراً وذلك في فصل الشتاء فلما تمّ ما أمر به أرسل الله في اليوم الثاني منه ثلجاً عظيماً بحيث نزل أربعين مرة . ثم أنّ الشيخ قدّس الله سرّه سافر وقتئذ الى خوارزم وفي خدمته الشيخ شادي . فلما بلغا نهر حرام أمره أن يمشي على الماء . فخاف الشيخ شادي فأمره غير مرّة فلم يفعل . فنظر اليه نظرة عظيمة غاب بها عن نفسه برهة فلما أفاق وضع قدمه على وجه الماء ومشى الشيخ خلفه . فلما جاوزاه قال أنظر هل إبتلّ شيء من خفك أولاً . فنظر فلم يجد فيه بللاً أصلاً بقدرة الله تعالى .

(وقال بعض أصحابه) سبب محبتي له وصحبتي معه قدّس الله سرّه أني كنت يوماً في سوق بخارى في دكان لي فأتى قدّس الله سرّه وجلس الى دكاني وشرع يذكر بعض مناقب أبي يزيد الى أن قال "ومما ذكر في مناقبه أنه قال لو مسّ طرف ثوبي أحداً صار محباً لي ومشغوفاً بي ومشى خلفي وأنا أقول لو حرّكت كُمّي لجعلت جميع أهل بخارى كبيرهم وصغيرهم والهين بي هائمين بحبي يذرون البيت والدكان ويتبعوني" . ووضع يده المباركة على كمّه فوقع بصري حالتئذ على كمّه فإعتراني حال غبت فيه عن نفسي ولبثت زمناً طويلاً كذلك . فلما أفقت إستولت عليّ سلطنة محبته وتركت البيت والدكان ولزمت خدمته .

(وعن بعض أصحابه) أنه قال سألته قدّس الله سرّه يوماً أن يدعو الله لي أن يأتيني غلام فدعا لي فوُلد لي ولد ببركة دعائه ثم مات فذكرت له ذلك ، فقال : إنك طلبت منا أن يأتيك ولد وقد أعطاك الله ذلك وأخذه ولكن نرجوه تعالى أن يعطيك ببركة دعاء الفقراء ولدَيْن يعمّران مدّة طويلة فبعد أيام جاءني غلامان

فمرض أحدهما فأخبرته . فقال : هو ولدي فما لك والإشتغال به فإنه يمرض كثيراً ثم يشفى . وكان كما ذكر رضي الله عنه .

(وعن الشيخ عارف الديك كراني) أحد أجلاّء خلفاء السيد أمير كلال قدّس الله سرّه أنه قال ، ذهبنا يوماً لزيارة الشيخ بهاءالدين في قصر العارفان فلما رجعنا الى بخارى كان معنا زمرة من فقرائها . فتكلم منهم على الشيخ رضي الله عنه فنهيناه وقلنا له إنك لاتعرفه ولايجوز لك أن تسيء الظن والأدب مع أولياء الله تعالى . فلم يتقه فجاء زنبور ودخل فمه حالاً ولدغه فتألم ألماً شديداً لم يستطع معه صبراً . فقلنا له هذا من سوء أدبك مع الشيخ . فبكى بكاءً كثيراً ثم تاب وأناب فبرأ في الحال .

(وحاصر) عسكر صحراء قبجاق مدينة بخارى مرة فاشتد البلاء على أهلها وهلك منهم خلق كثير . فأرسل أميرها اليه قدّس الله سرّه نفراً من خاصته بأنّا عجزنا عن مقاومة الأعداء بالكلية وفسد كلّ ما دبّرناه وتقطعت بنا الأسباب ولم يبق ملجأ نلتجيء من هؤلاء الظلمة إلاّ أنتم فتضرّعوا الى الله تعالى أن يخلّص المسلمين من أيديهم ، فهذا وقت المساعدة والأخذ باليد . فقال لهم نتضرع اليه تعالى الليلة وننظر ما يفعل رب العزة جل جلاله . فلما طلع الفجر أخبرهم بأني بُشِّرتُ بإنجلاء البلاء بعد ستة أيام فبشِّروا أميركم بذلك . فسُرَّ أهل بخارى سروراً تاماً وكان كما ذكرنا فإنه بعد ستة أيام رفع عسكر الأعداء الحصار عن البلدة وانجلوا عن آخرهم .

(وعن بعض أصحابه) أنه قال تمثلت مرة بين يدي حضرته قدّس الله سرّه فما مضت لمحة إلاّ وقد فقدت الحال التي كنت أجدها من قبل . فقلت في سري لعل الشيخ رضي الله عنه سلبها مني . فماتمّ هذا الخاطر إلاّ وإلتفت الى أحد أصحابه وقال : "كل ما عندنا فهو حلٌ لكم وأما صيد الكلب غير المعلّم فهو حرام لايجوز أكله" .

(وقال الشيخ شادي) لما سعدت بمحبة الشيخ قدّس الله سرّه سهل عليَّ البذل والإيثار فاجتمع عندي يوماً مائة دينار . فتقدم اليّ أهلي في إدخارها فلضعف اليقين وافقتهم . ثم ذهبت الى بخارى فاشتريت خفاً كيمختياً وغيره ثم رجعت قاصداً زيارته قدّس الله سرّه في قصر العارفان . فلما تمثّلت بين يديه قال : ذهبت الى بخارى . فقلت : لمصلحة عرضت لي . فقال : إئتني بالخفّ الكيمختي وبقية ما إشتريته . فأتيت بها سريعاً ، فقال : وأحضر بقية المائة دينار . فجئته بها فنظر اليّ وقال : لو شئت لجعلت لك الجبل بحول الله عزّ وجلّ ذهباً ولكن لاينبغي لنا الإلتفات في عالم الفناء الى مثل هذ الأشياء . فإن نظر هذه الطائفة من وراء هذا العالم . فكيف تدّخر وأنت تعلم أن ما كان لك لاينقص منه شيء إني أعظك أن تعود لمثل هذا .

(ولقد) أحببنا الإقتصار على التيمن بهذا المقدار من كراماته الكبار ومَنْ أحبّ الزيادة على ذلك فعليه بالمناقب فإنه يرى العجائب هنالك .

ندارة حاله عند إرتحاله

(قال المولى محمد مسكين) وكان من أكابر أصحابه : توفي أحد الصالحين في بخارى فذهب الشيخ قدّس الله سرّه لتعزية أهله فأظهروا هم وأصحابهم جزعاً عظيماً وأفعالاً كرهها الحاضرون ونهوهم عنها وعابوها عليهم . فقال قدّس الله سرّه وقتئذ : "متى حضرني الموت أنا أعلم الفقراء كيف يموتون" . فلم يزل هذا الكلام في مخيّلتي حتى مرض الشيخ مرضه الأخير فخرج الى الرباط ودخل خلوته وطفق أصحابه يتواردون

عليه ويلازمونه وهو يوصي كلاً منهم بما يناسبه . ثم رفع يده بالدعاء فدعا ثم مسح بها وجهه ثم لقي ربه .

(وقال الشيخ علي الداماد) وكان من خدمة الشيخ قدّس الله سرّه : "أمرني الشيخ بحفر قبره الأنور فلما أن أتممته وقد خطر لي انه مَن يخلفه في قومه فرفع رأسه المبارك وقال- لم يزل الأمر على ما ذكرنا في طريق الحجاز إن من أحبَّ متابعتي فليتبع محمد پارساً- ثم إنتقل رضي الله عنه في اليوم الثاني منه" .

(وقال الشيخ علاءالدين العطار) كنا نقرأ عند إحتضار الشيخ قدّس الله سرّه سورة (يس) فلما بلغنا نصفها شرعت الأنوار تسطع فإشتغلنا بالكلمة الطيبة . فتوفي قدّس الله سرّه ، وذلك ليلة الإثنين ثالث شهر ربيع الأول سنة إحدى وسبعين وتسعمائة ، وسنّه أربع وسبعون سنة . ودُفن في بستانه في الموضع الذي أمر به . وبنى عليه أتباعه قبة عظيمة ودحّوا البستان وجعلوه مسجداً فسيحاً . وأجرى الملوك عليه أوقافاً جمة وبالغوا في الإعتناء به وترفيه شأنه . ولم يزل كذلك الى يومنا هذا يُستغاث بجنابه ويُكتحل بتراب أعتابه ويُلتجأ الى أبوابه نفّعنا الله به .

(قال قطب أهل العزلة بركة أهل الزمان الشيخ عبدالوهاب قدّس الله سرّه) لما دُفن حضرة الشيخ رضي الله عنه فُتح من جهة وجهه المبارك له طاقة الى الجنة . كما ورد القبر روضة من رياض الجنة فدخلت عليه حوريتان وسلمتا عليه وقالتا "نحن منذ خُلقنا لك أكرم الكرماء ننتظر خدمتك" . فقال قدّس الله سرّه إني عاهدت الله تعالى أن لا ألتفت الى شيء من الأشياء مالم أتشرف برؤيته بلا كيف ولا مثال وأشفع بجميع مَن إتصل بي وسمع مني القول الحق وعمل به .

(وعن أحد فضلاء أصحابه) أنه قال بلغني وأنا في بلاد الكشف خبر وفاته قدّس الله سرّه فحزنت حزناً عظيماً وأضمرت في نفسي أن أعود الى المدرسة . ففي تلك الليلة رأيته رضي الله عنه في المنام وهو يقرأ قوله تعالى (أفإن مات أو قُتل إنقلبتم على أعقابكم) ، ويقول قال زيد بن حارثة . ثم إنتبهت وقد فهمت ما أشار اليه بالآية الكريمة من أنه قدّس الله سرّه لا فرق في إمداده لأصحابه بين حياته ومماته . ولم أفهم معنى قوله "قال زيد بن حارث" . ولم أزل أتفكر في ذلك مدة حتى رأيته قدّس الله سرّه مرة ثانية في المنام ، فقال قال زيد بن حارث "الدين واحد" فعلمت من ذلك أن ما كان عليه قدّس الله سرّه هو الحق وأن أهل الله لايدلون في حياتهم وبعد مماتهم إلا على الطريق المستقيم وكلّ ما يظهارونه فمن الكتاب والسنة وأثار الصحابة الكرام وسير السلف الصالح رضوان الله عليهم .

(وله قدّس الله سرّه) خلفاء حنفاء كثيرو العدد يضيق عن حصرهم نطاق هذا المجلد من أعظمهم ذكراً وأشرفهم قدراً فخر الأولياء ونخبة الأصفياء :

سيدنا الشيخ محمد إبن محمد بن محمود الحافظي البخاري المشهور بپارسا قدّس سرّه

كان في العلم والهداية آية وأي آية لم تدرك لها غاية . ولُقِّبَ بپارسا لأنه جاء أيام الرياضة لزيارة الشيخ قدّس الله سرّه العزيز ووقف عند الباب ينتظر نظرة الإبريز . فخرجت جارية فرأته فرجعت فقال لها الشيخ : مَنْ بالباب ؟ قالت : شاب بصورة پارسا (وهو بمعنى المتعبّد) فخرج الشيخ وقال له : أنت پارسا . فأشتُهر به وبشّره بأنه من المراديين وأن كل ما يقوله يقبله الحقّ تعالى . وكان يعبّر عن نفسه في جانب حضرة الشيخ بالمحب المخلص . وقال له عند مرض موته : "كل ما إكتسبته في الطريقة أودعته إياك كما أودعه إياك الشيخ عارف الديك كراني" . وقال في شأنه : "المقصود من وجودي ظهوره" .

وحضر أحد أحفاده لخدمة الشيخ عبيدالله الأحرار فأقبل عليه وعظّمه ووقّره غاية التوقير وقال له : "رأى رجل في المنام سيدنا النقشبند بعد وفاته فقال له ماذا أعمل حتى أحصّل النجاة ؟ فقال كن مشتغلاً بحالة ينبغي أن يكون العبد عليها عند آخر نَفَس من أنفاسه ، يعني بالحضور التام- ثم قال له إن جدّك محمد پارسا كان على حاله ، بحيث دخل سيدنا النقشبند يوماً يتنزه في بستانه ، فرآه جالساً على ضفة الحوض مستغرقاً وفانياً في الله عزّ وجلّ ورجلاه في الماء . فنزل حضرة الشيخ في الماء وقبَّلَ رجله وقال اللهم إرحمني بحرمة هذه الرجل" .

و(كراماته) إعلم أن مرتبته ودرجته فوق أن توصف بكرامة ومقامه أرفع من أن يثنى عليه بخوارق العادة ، لأن وجوده الشريف أعظم كرامة . وقد قيل أنه كان قدّس سرّه كثيراً ما يبالغ في إخفاء تصرفاته غير أنه اضطر مرة لإظهار كرامته لو لم يفعلها لوقع على مشايخ سلسلته إهانة عظيمة . وهي أن الشيخ محمد بن محمد بن محمد شمس الدين الجزري قدم في عهد مرزا ألغ بگ الى سمرقند لتصحيح أسانيد المحدّثين فيماوراء النهر . فقال له بعض الحُسّاد من أهل الفساد أن الشيخ محمد پارسا في بخارى يحدّث أحاديث لايعرف أحد سندها ، فإن حققت ذلك نلت ثواباً جزيلاً فإلتمس من السلطان حضوره . فلما وصل عقد له مجلساً عظيماً مؤلفاً من شيخ الإسلام يومئذ الشيخ عصام الدين النحوي المشهور والعلماء وسأله عن حديث فرواه بإسناده . فقال له الجزري : لاكلام في صحة هذا الحديث ، لكن هذا المسند لم يثبت عندي . ففرح بذلك حسّاده ثم ذكر سند آخر لذلك الحديث فأجابه بما أجابه به أولاً ، ففهم قدّس سرّه أنّ كل سند نقله لايقبله فسكت لحظة ثم إلتفت الى الشيخ العصام وقال له : هل المسند الفلاني صحيح عندكم وإسناده معتمدٌ عليه ؟ فقال الشيخ : نعم هو كتاب معتبر عند المحدّثين وماتكلّم أحد في أسانيده فإن كان سندك فيه فلا كلام لنا فيه . فقال قدّس سرّه : هذا المسند هو في خزانتكم في محل (كذا) تحت كتاب (كذا) وحجمه وجلده (كذا وكذا) وهذا الحديث الذي ذكرته الآن بهذا المسند موجود في الصحيفة الفلانية فأطلبوه . وكان العصام متردداً في وجود هذا الكتاب في خزانته فلما حضر وجدوا الحديث بإسناده فيه . فتعجّب الحاضرون ولاسيما العصام إذ لم يكن الشيخ دخل الى بيته ولارأى كتبه وخجلوا منه . وبلغ ذلك السلطان فإستحيى من إشخاصه وصار ذلك سبب شهرة مقامه وإعتقاد أكثر العلماء به وكفّ ألسنتهم عنه . وكان قدّس سرّه يشفع وهو في بخارى عند ملك خراسان مرزا شاه كثير . فعظم ذلك على ملك سمرقند

خليل مرزا سليل السلطان تيمور وأرسل اليه أن إذهب الى وادي كولك عسى أن يسعد من بركتك جماعة بشرف الإسلام . فأجابه على ذلك على أن يزور مقابر الأولياء أولاً . فزار مقام سيدنا النقشبند فلما فرغ من زيارته ظهر عليه أثر الهيبة والعظمة . ثم زار الأمير كلال ومكث ملياً ثم ركب وضرب فرسه بسوط وصعد على مكان مرتفع وتوجه نحو خراسان وأنشد ما مُعرّبه :

الكل فاقلبه لافوقاً تقرّ ولا تحتاً ليعلم مَن في حلبة الشرف

ثم رجع الى منزله فإذا برسول من قبل مرزا شاه قد جاء بكتاب . فقُرِئ في المسجد الجامع فإذا فيه "إني قاصدك فاستعد للقتال" وأرسل خليل الى مرزا في سمرقند ثم جاء شاه رخ ووقعت الحرب بينهما فقُتل خليل مرزا .

ولو لم يكن منها إلاّ ما رواه مولانا الشيخ محمد الفغانزي أحد أجلاّء أصحاب سيدنا النقشبند ، أنه كان يخرج من المسجد بعد صلاة العشاء ويقف على الباب متكئاً على عصاه ويتكلم مع أصحابه ثم يسكت . فيغيب عن نفسه حتى يؤذن الفجر فيدخل المسجد لكفى .

(وفاته) خرج حاجاً سنة إثنتين وعشرين وثمانمائة من بخارى عنه طريق (نسف) فلما وصل نيسابور حصل بأصحابه فتور من خوف الطريق وشدّة الحرّ . ففتح ديوان مولانا جلال الدين الرومي رضي الله عنه متفائلاً فخرج هذان البيتان :

سيروا بتوفيق الإله توجّهوا سير البدور الى بروج سعودها

كل البلاد مبارك في حقكم لاضير في أغوارها ونجودها

فذهب قاصداً مكة المكرمة حتى إذا أتم الحج والعمرة توجه الى المدينة المنوّرة متوعكاً . فلم يزل يزداد مرضه حتى وصل اليها ثم توفي ثاني يوم من وصوله عن ثلاث وسبعين سنة . وذلك يوم الخميس رابع عشر ذي الحجة من العام المذكور . وحضر جنازته أهل المدينة وكان يومئذ ثمّ الشيخ شمس الدين الفناري الرومي رحمه الله تعالى . وركب الحاج ودُفن ليلة الجمعة في البقيع عند قبة سيدنا العباس رضي الله عنه بمشهد عظيم . وكان له اليد الطولى في كافة العلوم لاسيما في علم التصوف ، فإن له فيه تأليفاً عديدة مفيدة فارسية وعربية منها كتاب "منطق الطير" و"فصل الخطاب" .

لطيفة

قد إستخرج بعض أدباء عصره تاريخ وفاته من إسم هذا الكتاب ولكن على طريقة القدماء من وضع التاريخ خلال البيت فنظمته على إصطلاح المتأخرين فقلت :

أيها الراجي جوابي حينما زاد الجوى بي

عند طه المستطابِ أرخوا فصل خطابي

وهو بالحب ثوى بي في علا دار الثوابِ

وقد أعقب أنجب العلماء وأعلم النجباء الولي الكامل والملامي الفاضل الشيخ حافظ الدين أبو نصر پارسا قدّس سرّه وبلغ في علوم الشريعة والطريقة مبلغ والده العزيز بل كان في نفي الوجود وستر الحال وبذل الموجود أقوى منه حتى لو سُئل عن أقل مسألة يقول للسائل راجع الكتاب فإذا فتح السائل الكتاب تخرج المسألة من أول وهلة .

(توفي) عام خمسة وستين وثمانمائة وله خلفاء كثيرون من أشهرهم ثلاثة :

الأول : الشيخ سليمان الفركتي قدّس سرّه .

الثاني : الشيخ عبدالرحيم النيستاني وكان أخا الشيخ أبي نصر من الرضاع ورفيق درسه .

الثالث : الشيخ پير خلط قدّس سرّه رونه أنه كان في جماعة شمائل شيخه فأذّن بالظهر فقام أكثرهم قبل تمام كلامه ، فقال سمعت من الشيخ محمد پارسا هذا البيت :

يكون قضاء للصلاة ولا قضا   لصحبتنا فالخسر فوق زمانها

ومن أجلّ أصحاب سيدنا النقشبند بحر المعارف وكل العارف الشيخ خسرو الكرميني قدّس سرّه ، وشيخ الإسلام الإمام العلام الشيخ عبدالعزيز قدّس سرّه ، والحَبْر الكامل والولي الواصل الشيخ عبدالله الخجندي قدّس سرّه ، والحجة الإيمانية الباهرة والمحجة العرفانية الظاهرة الشيخ سيف الدين البخاري قدّس سرّه ، والمرشد كل المرشد مؤيد طريق الحق وأي مؤيد الشيخ لطف الله قدّس سرّه ، ومُظهر الفضائل الغيبية ومركز الشمائل القطبية الشيخ عزيز البخاري قدّس سرّه ، ونخبة المرشدين المشيدين دعائم الدين الشيخ مسافر الخوارزمي قدّس سرّه كان بركة وقته ومفرداً في نعته ، روي عنه أنه قال : "كنت مشغوفاً بحب السماع وأنا في صحبة الشيخ قدّس سرّه فإتفقت يوماً مع أصحابه على إحضار القوّال ومعه الدف والناي الى مجلس الشيخ ، فلما حضر إستمع له ولم يمنعنا غير أنه قال (إنكار نيست واين كار نيست) أي لاأفعل هذا ولاأنكره ، ومن أجلّهم الغريق في بحار الشهود الذائق أعلى مقامات وحدة الوجود الشيخ أبو بكر الأفسيحي قدّس سرّه ، والمحقق الصمداني والمربّي الربّاني الشيخ محمد الطوابسي الخياط قدّس سرّه ، والمظهر الأظهر الرحماني الشيخ علاءالدين الغجدواني قدّس سرّه كان إمام دهره وعارف عصره .

(ومن كلامه) صحبة مشايخ الوقت مغتنم ولو لم يكونوا برتبة القدماء ، فقد قال سيدنا النقشبند الأكابر : السنور الحيّ أحسن وأنفع من الأسد الميّت . ولما توفي خطب الشيخ أبو نصر پارسا خطبة قال في أخرها : "كنا ونحن في جوار الشيخ علاءالدين ببركة توجهه وحمايته آمنين فأصبحنا في خوف النفس بعده" .

(وللشيخ علاءالدين) أصحاب بلا حساب من أشهرهم : (الشيخ بدرالدين الصرافاني) قدّس سرّه نسبة الى صرافان بصاد فراء مهملتين فألف ففاء فألف فنون محلة في بخارى . ومن أجلّ أصحاب سيدنا النقشبند العالم بالله تعالى المعرض عمن سواه الشيخ محمد الفغانزي قدّس سرّه ، والظاهر بأعلى مظاهر السعود مولانا الشيخ أمير محمود القصرمغاني قدّس سرّه ، وقبلة توجه المرشدين الشيخ قطب الدين قدّس سرّه ، وكوكب سماء الإرشاد الأكمل الشيخ أفضل الخالدي قدّس سرّه ، وإفتخار الأبرار وزينة العارفين الأخيار الشيخ شادي قدّس سرّه ، وبركة العموم المتحلي بأشرف العلوم الشيخ درويش نيكروز قدّس سرّه ، والعارف الكامل بحر المعارف والفضائل الشيخ سراج الدين كلال الپيرمسي قدّس سرّه نسبةً الى (پيرمس) وهي قصبة من أعمال بخارى كان من مشايخ سيدنا عبيدالله أحرار يقول قدّس سرّه : "وسمعت ان الشيخ سعدالدين الكاشغري صحبه أولاً فلقّنه الذكر بالنفي والإثبات هكذا – وهو أن يبتدىء رأس ألف «لا» من تحت السرّة وكرسي «لا» على صدره محاذي الثدي الأيمن ورأس «لا» الثاني على القلب الصنوبري و«إله» تتصل بكرسي (لا) محاذي الثدي الأيمن «إلا الله محمد رسول الله» تعتبر متصلة بالقلب . ويحفظ الكلمة الطيبة على هذا الشكل ويكون مشتغلاً على الدوام" ويقول : "كان من عادته انه متى قام يكنس داره جاءه ضيف وربما جاء والمكنسة في يده . فسألته عن سرّ ذلك . فقال إن لي محباً من

الجان يخبرني بمن أراد زيارتي " . ولكل من هؤلاء الأولياء خلفاء كبراء وأصحاب أتقياء ، وللخلفاء خلفاء لايُحصون عدداً ولايُدركون مدداً .

وأعظم من سرى اليه سرّ هذه النسبة العلية من سيدنا النقشبند شيخ هذه السلسلة الشريفة سيدنا الشيخ علاءالدين العطار رضي الله عنه وعنهم .

سيدنا الشيخ علاءالدين البخاري الخوارزمي العطار
قدّس الله سرّه

تاج هام الأولياء الكاملين ونتاج أعقام العلماء العاملين . ثمرة شجرة العلم ونضرة وجه العالم الإنساني . محيي رفات العرفان ، وماحي آفات الأغيان . مُظهر الإرشاد الخاص والعام ، ومنهل إمداد الخاص والعام . أدلّ دال على الحق للخلق ، وأول ذال لشوكة الباطل . بالحق تصدّر في دست دولة القطبانية ونهض بأعباء الخلافة الروحانية . فأربى بما ربى في نفوس أحبار إخوانه على كبار أخدانه حتى لهج بذِكره الكون أرضه وسماؤه وابتهج في عصره الدين ، ولاغرو فهو في الحقيقة علاؤه .

(ولد) قدّس سرّه سنة (...) ونشأ في حجر والده على أجمل الأحوال ، ثم لما توفي والده رضي الله عنه ترك ثلاثة أنجال . فخرج من ميراثه لأخويه وإختار التجرّد لتحصيل العلوم في مدارس بخارى حتى نبغ في جميع الفنون وبلغ منها فوق ماتتعلق به الظنون .

(وكان) لسيدنا شاه نقشبند قدّس الله سرّه العزيز بنت صغيرة فقال لأمها : إذا بلغت فأذنيني . فلما بلغت أخبرته فتوجه من قصر العارفان الى بخارى الى المدرسة التي فيها الشيخ علاءالدين قدّس سرّه . فلما أن دخل حجرته لم يجد بها غير خلق حصير ينام عليه وآجرة يتوسدها وإبريقاً مكسوراً يتوضأ منه . فلما أبصر الشيخُ سيدَنا شاه نقشبند قدّس الله سرّهما أكب على قدميه فقبّلهما وجعل رأسه عليهما . فقال له : إن لي بنتاً بلغت اليوم والله تبارك وتعالى أمرني أن أنكحك إياها . قال له : إن هذه لسعادة عظيمة أسعدني الله عزّ وجلّ بها غير أني لاأملك ما أنفق في ذلك وحالي كما رأيتم . فقال له : ماكتب الله لكم من الرزق يأتيكم إن شاء الله تعالى فلا تتفكر في ذلك . ثم عقد له عليها . فلما بنى بها أمره بالخروج من المدرسة وأعطاه طبقاً مملوءً تفاحاً وأمره أن يحمله على رأسه ويجوب الأسواق والأماكن كلها حافي القدم ينادي بأعلى صوته "ياتفام" حتى يبيعه . فوضع الطبق على رأسه ودخل السوق وهو يقول "ياتفام" فلما رآه أخواه وكان من أولي المكانة والإحترام غضبا لذلك أشد الغضب . فبلغ سيدنا شاه نقشبند قدّس الله سرّه العزيز خبر غضبهما فأمره أن يذهب بطبق التفام فيضعه قريباً من محل أخويه ويبيعه ففعل كما أمره . وأقام على ذلك مدة حتى لقّنه الذكر الخفي .

(وكان) قدّس الله سرّه يقرّبه في بداية حاله اليه ، فسأله بعض خواص أصحابه عن ذلك فقال حذراً من أن يأكله الذئب ورجاء أن يصير مظهراً عظيماً .

(وقال قدّس الله سرّه) قال لي الشيخ محمد راهين يوماً : كيف قلبك ؟ فقلت : لاأعرف كيفيته . فقال : أما أنا فإني أراه كالقمر ليلة ثلاثة . فذكرت ذلك لسيدنا الشاه نقشبند قدّس الله سرّه . فقال : هذا بالنظر الى قلبه . وكان وقتئذ وقفاً فوضع قدمه على قدمي فغبت عن نفسي فرأيت جميع الموجودات منطوية في قلبي . فلما أفقت قال : إذا كان القلب هكذا فكيف يتسنى لأحد إدراكه ، ولهذا قال في الحديث القدسي : "ماوسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن" . وهذا من الأسرار الغامضة فهم من فهم .

(وذكر سيدنا الشيخ عبيدالله أحرار) إن الشيخ محمد پارساً قدّس الله سرّه كثيراً ماكان يحصل له الغيبة

وقت المراقبة والإستحضار بخلاف الشيخ علاءالدين قدّس الله سرّه فإنه كان من أهل الصحو وهو أتم من الغيبة . ثم إن سيدنا شاه نقشبند قدّس الله سرّه أخذ يربيه أولى تربية ويرقّيه أعلى ترقية ويهيّئه للدخول الى حضرة القرب والوصول والعروج في بروج العرفان والخروج من الفرق الى مقام الفرقان ، الى أن صار فرداً في بابه من بين سائر خاصة أصحابه الوارثين لأذواقه العالية وأحواله الحالية . وقد أمره في حياته بتربية بعض مريديه وقال قدّس الله سرّه في حقه "إنه خفف أثقالي وظهر لي ما ظهر ببركة صحبته وحسن تربيته" . كما ذكر سيدنا الشيخ عبيدالله الأحرار قدّس الله سرّه انه بعد إنتقال حضرة الشيخ الى حظيرة القدس تبعه جميع أصحابه حتى الشيخ محمد پارسا إذعاناً لعلوّ رتبته وقوة تربيته . قال ورأيت بخط الشيخ محمد پارسا انه سمع الشيخ علاءالدين قدّس الله سرّهما في مرض موته يقول : "إن لي بعون الله وببركة سيدنا شاه نقشبند قوة لو توجهت الى جميع الخلائق لجعلتهم من الواصلين" .

(وإختلف) علماء بخارى في إمكان رؤيته الله تعالى ، فمنهم مَن نفى ومنهم مَن أثبت وكانوا جميعاً من مخلصي الشيخ قدّس الله سرّه . فأتوا اليه وقالوا إنا رضيناك حكماً علينا في هذه المسألة . فقال للنافين أقيموا في صحبتي ثلاثة أيام متطهرين ولاتتكلموا بشيء ما أصلاً أُجبكم . فلما مضت ثلاثة أيام حصل لهم حال قوي فصُعقوا . فلما أفاقوا جعلوا يقبّلون قدمه الشريف وقالوا آمنّا ان الرؤية حق ثم لم ينقطعوا عن خدمته والمثابرة على تقبيل مبارك عتبته . وأنشد حالتئذ بعض المريدين في ذلك المجلس :

من العمى قولهم كيف الوصول الى ذاك الجناب فما في ذاك من طمعٍ
ضم أكفهم شمم الصفا ليـــروا أن الوصول اليه غـــير ممتنـــعٍ

ومن آثار أنواره وأنوار آثاره ما وجد بخط سيدنا الشيخ محمد پارسا قدّس الله سرّه : انه رضي الله عنه قال : "التعلق بالمرشد وإن كان تعلقاً بالغير الواجب نفيه في النهاية لكن لما كان سبباً للوصول في البداية وكان إثباته موجباً لنفي ماسواه تعيّن على كل حال طلب رضاه" .

(وقال قدّس الله سرّه) المقصود من الرياضة إنما هو نفي العلائق النفسانية والتوجه الى عالم الأرواح والحقيقة . (وقال قدّس الله سرّه) المراد من السلوك أن يدع السالك بإختياره كل علاقة دنيوية تحجبه عن الله تعالى . ولايتحقق ذلك إلا إذا عرض على نفسه هذه التعلّقات فكل ما استوى عنده وجوده وعدمه فهو الذي لاتعلّق له به ، وما ليس كذلك يُعلم انه له به تعلّق فيعالج نفسه بصرفها عنه . (وقال قدّس الله سرّه) كان سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه إذا أراد أن يلبس ثوباً جديداً يهبه لغيره ثم يستعيره منه ويلبسه . (وقال قدّس الله سرّه) قولهم التوفيق مع السعي هو عبارة عن إمداد روحانية المرشد للطالب بحسب طلبه وقابليته وسعيه على طبق أمر المرشد ، فإنه إذا لم يكن للطالب سعي فلمن يتوجه المرشد . ومن عناية الله بي ان الشيخ دادَرك وهو من أقدم أصحاب سيدنا شاه نقشبند قدّس الله سرّهما أمرني باديء بدء بالسعي والمجاهدة . فمَنّ الله تعالى عليّ بالتوفيق حتى إني لم أتركه في جميع أوقات صحبة الشيخ ولم أر مَن ثابر عليه من أصحابه إلاّ قليلاً . (وقال قدّس الله سرّه) إذا خلا قلب المريد بأمر مرشده عما سوى حب المرشد وعما يكون مانعاً من حبه وتمكن من محبته يكون حينئذ قابلاً لورود الفيوضات الإلهية الغير متناهية عليه . فإن القصور لايكون من الفيوضات بل من الطالب فمتى إرتفعت عنه الموانع لاجرم يصل اليه بهمة المرشد حال يتحير في إدراكها من مقولة "ربّ زدني فيك تحيّراً" . ثم إن في جعل العبد مختاراً حكماً كثيراً فإنه لما تمكنت الموانع الطبيعية منه لزمه أن يلتفت بإختياره الى الملائكة وإن كانوا مجبولين على الطاعة والعبادة معصومين من المخالفة مستغرقين في الخوف والخشية ، غير أن كمال

الإعتبار للإختيار في السعادة والشقاوة والترقي والتدلي .

(وقال) ينبغي للمريد أن يظهر جميع أحواله للمرشد ويتيقن أنه لاينال المقصود الحقيقي إلاّ برضائه وحبه فيطلب رضاه ، ويعتقد أن كل الأبواب مسدودة دونه ظاهراً إلاّ ذلك الباب الذي هو مرشده فيفديه بنفسه . وآية المريد الكامل أنه مهما كان عنده من علوم وعرفان وهمة عالية في السلوك والمجاهدة لايجد لها في نفسه أثر ولا قدراً ولايراها إلا بقدر الذرة بالنسبة الى ما عند مرشده . (وقال قدّس الله سرّه) لاتُرجى الفائدة إلاّ لمن يشاهد دائماً قصور أعماله ويعدَّ نفسه من الناقصين ويلتجيء الى كرم ألطاف ربّ العالمين . (وقال قدّس الله سرّه) على المريد أن يفوّض أموره إن دينية وإن دنيوية كلية أو جزئية لإختيار المرشد وتدبيره ، بحيث لايكون له أدنى إختيار معه أصلاً . وعلى المرشد أن يفحص عن أحواله فيهتم باصلاحها ويأمره بما ينفعه في معاشه ومعاده فيقتدي به .

(وقال قدّس الله سرّه) عليك بمراعاة أحوال أهل العلم وإخفاء أحوالك ومقامك عنهم فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم : "أمرت أن أكلّم الناس على قدر عقولهم" . وإياك وإيذاء القلوب الصوفية وإغفال آداب مخالطتهم ، فإذا أردت صحبتهم فتعلم أولاً آدابهم ثم صاحبهم تنتفع بهم وإلاّ فتضرّ نفسك وقد قيل لا طريق لمن لا أدب له ، وكونك مع الأدب خطأ يعني أن رؤيتك لنفسك أنك مؤدب خطأ في الأدب . (وقال قدّس الله سرّه) المقصود من التوجيه الى أسماء الجلال التذلل والبكاء والمسارعة الى التوبة والإنابة . وعلامة صحة التوبة الميل الى العبادة والمناجاة لا الى المعاصي "فألهمها فجورها وتقواها" . وثمرة ذلك انه إذا وجد ميلاً الى مرضاته تعالى يشكره ويمضي وإذا رأى ميلاً لمعصيته يبكي ويلتجيء أو يخاف من مقام أن الله لغنيٌّ عن العالمين . (وقال قدّس الله سرّه) الولاية لاتثبت إلاّ لمن تسلط نفسه عليه ولو وقع منه أدنى قصور يعفى عنه ، قال الله تعالى "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" . (وقال قدّس الله سرّه) أولياء الله تعالى لايخافون من غلبة أحوال الطبيعة كما قيل الفاني لايرد الى أوصافه . (وقال قدّس الله سرّه) ينبغي للمريد أن يكون في الظاهر معتصماً بحبل الله تعالى وفي الباطن معتصماً بالله تعالى فالجمع بينهما لازم .

(وقال) النفع في زيارة قبور المشايخ على قدر معرفتك بهم . (وقال قدّس الله سرّه) القرب من قبور الصالحين له تأثير كبير ، ومع ذلك فالتوجه الى أرواحهم المقدسة أولى منه إذ لايتوقف تأثيره على القرب والبعد بدليل قوله صلى الله عليه وسلم" : "صلّوا عليَّ حيثما كنتم" . وشهود صور أهل القبور المثالية عند زيارتهم لايوازن معرفة صفاتهم . فإن معرفتها أقوى فائدة ، ولذلك قال سيدنا شاه نقشبند قدّس الله سرّه العزيز "لأن تكون جار الحق أولى من أن تكون جار الخلق والحق ، وكثيراً ما أنشدَ :

حَتّى مَ تعبد أرماس الأكابر قف   واعمل بأعمالهم تخلص وتسترم

ثم الأدب في زيارة القبور أن تتوجه الى الله تعالى وتجعل أرواح أصحابها وسيلة اليه تعالى ، وهكذا في تواضعك للخلق فتتواضع اليهم ظاهراً واليه تعالى باطناً . فإن التواضع للخلق لايجوز إلاّ إذا نظرت الى اليهم بأنهم مظاهر للحق تبارك وتعالى . فيكون التواضع حينئذ الى الظاهر بهم لا إليهم .

(وقال قدّس الله سرّه) طريق المراقبة أعلى وأرفع من طريق النفي والإثبات وأقرب الى الجذبة . ويصل السالك بدوام المراقبة الى مرتبة الوزارة الباطنية والتصرف في الملك والملكوت والإطلاع على الخواطر وتنوّر الباطن والنظر اليه بعين الموهبة . ومن التمكّن ومن المراقبة تحصل الجمعية وقبول القلوب

ويسمى جمعاً وقبولاً . (وقال قدّس الله سرّه) السكوت ينبغي أن لايكون خالياً عن ثلاثة أشياء : حفظ الخواطر والتوجه الى الذكر أو مشاهدة أحوال القلب . (وقال قدّس الله سرّه) حفظ الخواطر متعسّر وإجتنابها متعذّر ، فإني حفظت خواطري عشرين سنة ثم جاءت ولكن لم تستقر . (وقال قدّس الله سرّه) أحسن الأعمال في التربية المؤاخذة على الخواطر .

(وكان قدّس الله سرّه) يشكو آخر حياته من الإشتغال بتربية الخلق ويقول إنهم لايراعون مايحصل لهم . (وقال له بعض أصحابه يوماً) إن المطلوب في غاية العظمة ومالنا للطلب لسان إلاّ أن تتفضل علينا به أنت ، فقال : "الإبطاء من القابلية فإنكم تجدون وتضيعون ولاتتقيدون ومن أين جاء لاتعلمون" .

(وقال) دوام صحبة أهل الله عزّ وجلّ تزيد في العقل المعادي . (وقال) رؤية أهل الله تعالى سنة مؤكدة في كل يوم أو يومين مع رعاية الأدب ، فإن بعدت الشُقة بينك وبينهم فأكتب اليهم كل شهر أو شهرين جميع أحوالك ولاتترك التوجه الى أرواحهم لئلا تنقطع عن نظرهم . (وقال قدّس الله سرّه) أنا أضمن لكل مَن دخل هذا الطريق مقلداً أن يصير محققاً ولابد فإن سيدنا شاه نقشبند قدّس الله سرّه العزيز أمرني بتقليده . فكل ما فعلته وأفعله تقليداً له نتيجته في الحال . (وقال قدّس الله سرّه) لما كانت هذه الطائفة العلية لاتعرف إلاّ في مقام التلوين علمت إذا أنهم لايُعرفون إلاّ فيه . مَن وجدهم في التمكين وقلّدهم تزندَق ، إلاّ إن رحموه على حقيقتهم ، أه . (مراده) والله أعلم بالمعرفة التقليد كما يؤخذ من كلامه أن ينبغي للسالك أن لايقلّد المرشد إلاّ في تلوينه وهو عبارة عن التنقل في المجاهدات من الصعب الى الأصعب وفي الرياضات من المتعب الى الأتعب والتقلّب في الأحوال حتى يصل الى درجة الكمال . وأما تقليده في تمكينه وهو إبان إكماله وجريان الأمور الطبيعية عليه بلا تأثير في مقامه من أكل وصوم ويقظة ونوم وممازحة وغيرها قبل وصول السالك الى مقام الكمال . فإنه يورثه الزندقة والهلاك والإنقطاع والإرتباك .

(وقال قدّس الله سرّه) فيه أنا راض عن الشيخ محمد پارسا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم راضياً عن أصحابه .

(وكان) مدة مرضه يتكلم بالوصايا تارة والحكمة تارة والدعاء للخلق أونة والرضا والمحبة والوجد أونة وينشد :

ذواتنا القصب الزاوي وحبكم نار فنوا بها تحرق لذا القصب

(وقال قدّس الله سرّه) عند شدة المرض إني خدمت رجلاً قوياً صورة ومعنى . (وتكلّم) يوماً في أحوال سفر الآخرة والإقامة في الدنيا وكان ذلك قبل مرضه بخمسة عشر يوماً ، فقال : "إني إخترت السفر للآخرة ولاأرجع عنه" .

(إبتدأه) المرض ثاني يوم شهر رجب وإنتقل الى بحبوحة الفردوس عشاء ليلة الأربعاء لعشرين خلت منه سنة إثنين وثمانمائة ودُفن في جغانيان (بجيم فغين معجمة فألف فنونين بينهما ياء وألف) بلدة من أعمال بخارى . ومقامه يُقصد ويُستغاث به رضي الله عنه .

(ورآه) بعض من أحبابه من السدة الصوفية في المنام بعد أربعين يوماً من وفاته . فقال له قدّس الله سرّه : "إنما أعطانيه الحق تعالى هو فوق إعتقاد المخلصين" .

(وكان قدّس الله سرّه) قد زار ضريح سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه قبل وفاته بسبع سنين ومعه

زمرة من أصحابه . فرأى أحدهم في المنام خيمة كبيرة قد ضُربت ، قال وعلمت أن هذه الخيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء سيدنا النقشبند ومعه الشيخ علاءالدين الى هذه الخيمة لزيارته صلى الله عليه وسلم وخرجا بعد ساعة فرحين شاكرين وسيدنا شاه نقشبند يقول : "أكرمني الله بأن أشفع لي مائة فرسخ من جهات قبري الأربع والشيخ علاءالدين الى أربعين فرسخاً وأحبائي وأتباعي الى فرسخ" .

(وله قدّس الله سرّه) خلفاء كثيرون أجلاّء من أعظمهم :

الخليفة الأول : ولده سيدنا الشيخ حسن العطار . فإن جده قدّس الله سرّه كان يحبه حباً كثيراً ويميل اليه ميلاً كبيراً حتى رآه مرة وهو طفل قد ركب عجلاً والأطفال حوله . فقال قدّس الله سرّه : "يوشك أن يركب والملوك والأمراء تمشي أمامه" . فكان كما قال بعد بلوغه قدم خراسان ولقي ملكها مرزا شاه رخ رحمه الله تعالى في بستان باغ زاغان . فقدم اليه بغلة . فلما أراد أن يركبها أخذ الملك عنانها بيده وركابها بيده الأخرى فركب فجمحت به البغلة فأخذ الملك عنانها بيده ومشى أمامه حتى هدأت ، فترجّل قدّس الله سرّه وتوجه بوجهه الى بخارى وطأطأ رأسه الشريف خضوعاً وتواضعاً لروحانية جدّه قدّس الله سرّه العزيز . ثم ذكر للملك بشارته وتحقق كرامته فزاد إعتقاده ومَن معه به ولمولانا حسن أحوال وآثار عالية .

(فمن آياته الباهرة) انه كان إذا وقع نظره الكريم أول مرة على الطالب يحصل له الغيبة والفناء اللذان لايحصلان إلاّ بأشقّ الرياضات وأشدّ المجاهدات ويأمر أصحابه بإستحضار رابطته الشريفة فيحصل لهم ذلك أينما كانوا .

(ومن آثاره الشريفة) ما قاله من رسالته الى بعض أصحابه :

"إعلم أنّ طريق سلوك الطائفة العليّة العلائية زاد الله فتوحهم أعلى أطوار سلوك المشايخ رضوان الله عليهم أجمعين وأقرب السبل الى المقصد الأسنى وهو الله سبحانه وتعالى فإنه يرفع حجب التعينات عن وجه الذات الأحدية السارية في الكل بالمحو والفناء في الوحدة حتى تشرق سبحات جلاله فتحرق ماسواه . وفي الحقيقة نهاية سلوك المشايخ بدايتهم لأن أول ما يحصل لهم الغيبة والفناء وسلوكهم بعد الجذبة يعني تفصيل مجمل التوحيد الذي هو المقصود من خلق آدم – ماخلقتُ الجنَّ والإنسَ إلاّ ليعبدون– أي ليعرفون . فإن أردت أن تشتغل بورد الباطن فأحضر أولاً صورة شيخك في الخيال حتى تظهر لك نسبة الغيبة فكن متوجهاً مع تربية تلك الغيبة بتلك الصورة الخيالية التي هي مرآة الروح المطلق الى القلب . فكلما إزدادت الغيبة ينتفي الشعور ويسمى عدماً وغيبة . فإذا ترقّيت الى مقام عدم الشعور بما سوى الله تعالى يسمى الفناء ، وظهور صفة الغيبة علامة إزدياد الأحوال وترقّي الدرجات" . كان سيدنا النقشبند يقول للمريدين عند ظهور مقدمة الغيبة : "إذ غبت دعني وإعط نفسك غيبتك" فإذا وردت الخواطر وشوشت عليك الحال فإستحضر صورة شيخك في الخيال فإن إندفعت وإلا أخرِج نَفَسَك بقوة ثلاث مرات ثم توجه الى الذكر وإلاّ قُلْ أستغفر الله من جميع ما كره الله قولاً وفعلاً وخاطراً وسامعاً وناظراً ولاحول ولاقوة إلاّ بالله موافقاً لسانك القلب وإلاّ فقُلْ يا فعّال بالتشديد . إنتهى .

(وكان) يتحمّل الأمراض كما هي عادة السادة فعزم على أداء الحج فلما وصل الى شيراز وجد مريداً له من أكابر شيراز مريضاً فتحمل عنه مرضه فعوفي ومرض الشيخ وتوفي في ذلك المرض هناك ليلة الإثنين

وكانت ليلة عيد الأضحى سنة ست وعشرين وثمانمائة ونُقل الى جغانيان ودُفن حذاء قبر والده قدّس الله سرّهما . وله أصحاب كثيرون من أشهرهم إثنان : الأول نجله الولي الكامل الأنوار سيدنا الشيخ يوسف العطار قدّس الله سرّه كان آية في الإرشاد والهداية عاصر الشيخ بهاءالدين عمر وكان بينه وبينه مراسلات ألمَّ ببعضها في الرشحات . والثاني ، الكامل الأذواق الشيخ عبدالرزاق قدّس الله سرّه .

الخليفة الثاني : أعجوبة المرشدين الكاملين الشيخ حسام الدين پارسا البلخي قدّس سرّه لقّنه الطريقة العلية مولانا شاه نقشبند ثم إستودعه الشيخ علاءالدين فربّاه أكمل تربية ورقّاه أعلى ترقية . كان قدّس سرّه شديد الورع والتقوى والمجاهدة على حفظ أوقاته . قال سيدنا أحرار قدّس سرّه كان أحرص على وقته من الشيخ بهاءالدين عمر ومن الشيخ زين الدين الخوافي بحيث لايقبل أحداً إلاّ وقت القيلولة ، وقلت له يوماً : ماالفائدة في أمرهم بالذِكر عند النهاية ؟ قال : هو لرفع الدرجات .

الخليفة الثالث : كافل المراد للمريد سيدنا الشيخ أبو سعيد قدّس سرّه كان من كبار أصحابه وبعد إنتقاله صحب شبله الشيخ حسن قدّس سرّهم .

الخليفة الرابع : صاحب المقام السامي الشيخ عبدالله الإمامي الأصفهاني قدّس سرّه هو من أجَلِّ أصحابه وله رسالة لطيفة في الذِكر ترصعت بها "الرشحات" .

الخليفة الخامس : العالي النظر الشيخ عمر الماتريدي كان مُظهِر نفائس الأسرار وهو من مشايخ سيدنا أحرار قُدِّس سرّهما .

الخليفة السادس : من بين هلك الطريق وملكه سيدنا الشيخ أحمد مسكه قُدِّس سرّه . كان من السادات الكبار وهو ممن لقيه سيدنا أحرار وروى عنه فمن ذلك أنه قال : إستأذنت في بداية الأمر من الشيخ بصلة أقاربي في بدخاشن ، فلما رجعت وجدت في الطريق نهراً عنده جوارٍ من البادية يغتسلن فخطر لي أن أنظرهن وغلب عليّ ذلك فنظرتهنَّ تخلّصاً من الخاطر . فلما أتيت مجلس الشيخ قال لي : من أصولنا المحاسبة على الأوقات فاذكر ماجرياتك . فطفقت أعددها له حتى بلغت الى قصة النهر سكتُّ . فقال : بقي شيء آخر فقله وأنا لاأقوله وأفضحك عند الناس . فقلته فحوّل وجهه وقال : شاب شاطر . فحصل لي من الهيبة تمام الفناء والفناء التام .

الخليفة السابع : وليُّ العلماء وعالم الأولياء المرشد الواعظ المؤيد سيدنا أبو الميامين جمال الدين درويش أحمد بن جلال الدين محمد السمرقندي قُدِّس سرّه خدم ظاهراً الشيخ زين الدين الخوافي حتى أجاز له وباطناً حضرة الشيخ وببركة صحبته نال دوام الترقّي والحظ التام في الوعظ . قال سيدنا أحرار ماملخصه :

«كان الشيخ زين الدين يرفع من شأنه ويستحث الناس على حضور مجلس وعظه ثم وقع بينهما ما أوجب أن ينفر زين الدين الناس عنه فحضر يوماً عندي في هراة وقال لي أُمرت أن ألتجيء اليك فوجدت الإذن بذلك . فنهضت بأعباء مساعدته حتى عاد قبوله أعظم من الأول بحيث غصّ المسجد الجامع بجماعته . وكنت أحب كلامه وأحضر كثيراً الى مجلسه الجديد بأن يحضره مثل أبي حفص الحداد والجُنيد والشبلي ، إذ كان يتكلم من الحقائق بالكلام العالي البعيد الإدراك . ولقد إعترض عليه ذلك أصحاب نظام الدين خاموش ، فقلت لهم كلامه هذا بدون إختياره ولكن على حساب إستعداد بعض الحاضرين . وحضرت يوماً مجلسه فأظهر أموراً عالية المدارك فإفتخر كل الإفتخار بذلك وبالغ الإمتنان

على الحاضرين به ظاناً انه من عنده فما أعجبني ذلك منه وقلت في سري من أين لك هذا ولم لاتحمله على أنه إستعداد من الحاضرين إذ لو لم تجد قبولهم لذلك من المبدأ الفيّاض كيف تتكلم كلمة منه . ثم تقنّعت بجبتي وجعلت إصبعي في أذني وحبست نفَسي وقلت أنا لاأسمع كلامك فأنظر كيف تتكلم بالمعارف . ففي الحال حُصر لسانه وعرف أن ذلك مني فجزع جزعاً عظيماً على المنبر ثم إلتفت وقال هل يجوز حبس لسان أحد وحرمان السامعين ونزل . فإنغمست بين الناس منه» أه .

(ومن آثاره) ما نقل عن خطه أنه قال :

"كنت في القدس متوجهاً الى حضرة القدوس فقال لي تحنث ؟ قلت : كيف أتحنّث ياربّ ؟ قال جلّ وعلا : بخلو سرّك عن غيري والتوجه بالكلية اليّ . وسمعت وأنا في بلدة درويش آباد قائلاً إن قولك أنا ذات شريف ليس كذلك ففهمت منه ان قول الصوفية الوجود المقيّد عين الوجود المطلق تعالى وتقدّس ليس كذلك ثم كشف لي بعد الذكر نوراً بسيطاً كانت جميع الكائنات في جنبه كالذرة بالنسبة الى الشمس . فعلمت انه التصديق لذلك ورأيت الشيخ عبدالله الأنصاري في المنام يقول لي أنت ولدي قدّس الله سرّه .

الخليفة الثامن : قدوة العلماء المحققين وصفوة الأولياء المتقين صاحب التصانيف الفائقة والتحقيقات الرائقة العلامة السيد الشريف الجرجاني قُدِّس سرّه ، نقل مولانا الجامي عنه :

إني لما إتصلت بالشيخ زين الدين علي كلال خلصت من الرفض ولما وصلت الى الشيخ علاءالدين العطار عرفت الله تعالى . وقال سيدنا أحرار قال مولانا نظام الدين خاموش لما تشرّف السيد بلقاء الشيخ وقبله إلتفت اليه جداً سأله أن يُلحقه بأحد أصحابه ليهيئه الى صحبته . فأمره بصحبتي فجلس يوماً في المراقبة ، فحصلت له الغيبة فسقطت عمامته فقمت ووضعتها على رأسه . فلما أفاق سألته عن حاله فقال كنت أتمنى أن تصفى مدركتي عن نقوش العلوم الكونية ويفرغ قلبي عن تعلقاته بها لحظة واحدة من العمر فالحمد لله ببركة صحبتكم نلت ماتمنيت ومن عدم شعوري وقع مني هذا لسوء الأدب في حضوركم . أه...

ولم يزل حتى صار آية باهرة قدّس الله سرّه

الخليفة التاسع : أكمل الخلفاء العارفين وأفضل الأصحاب الصادقين الولي الكبير والمرشد الشهير سيدنا الشيخ نظام الدين خاموش قدّس سرّه ، تشرّف أيام تحصيل العلم بنظر حضرة النقشبند رضي الله عنه وخدمته وبعده صحب الشيخ صحبة صادقة حتى حصل بين مسماه وإسمه تمام المطابقة . نقل سيدنا أحرار عنه أنه قال :

كنت قبل إتصالي بالشيخ علاءالدين ذا رياضة ومجاهدة وخوارق فلما قدم سمرقند قصدته فلقيت أولاً مولانا أبا سعيد فقال لي أنت زاهد ورجل لطيف ظريف إن شاء الله تعالى تخلص من هذه اللطافة والزهد والتقوى فكرهت كلامه ، ثم أتيت الى الشيخ فقال لي مثل أبي سعيد غير أنه أعجبني كلامه وفهمت المقصود منه . ففوّضت نفسي اليه وكان قدّس سرّه في الصفاء آيةً عجيبة وله كرامات غريبة . ذكر بعض الأكابر أنه كان في مجلسه فمرّت جارية حسناء من جواريه لحاجة فخطر بباله انه هل يلتفت اليها أو لا . فقال في الحال إحفظوا الخواطر من الألواث فإن أولياء الله جواسيس الخواطر يعلمون ما خطر لكم والله تعالى منهم أعلم ، والله لي اليوم أربعون سنة لم أحتلم إذ قيل لي احفظ نفسك منه

فإنه سبب رجوعك ، ومنذ سبع عشرة سنة لم يجب عليّ غسل .

وقوة تصرّفه وسرعة بطشه وشدة وطأته وتمام غيرته قد تكفّل ببيانها في "الرشحات" . (ومنها) ان شيخ الإسلام عصام الدين النحوي الشهير مرض مرضاً شديداً أشرف فيه على الزوال وكان معتقداً له ، فأتى أولاده اليه يبكون ودعوه ان يعوده فذهب وتحمل مرضه . وكان ولده مشهوراً بتسخير الجان وكان نساء السلطان والأعيان يترددون اليه فإتهمه أحد أولي الحسد بمحبة أحد نساء السلطان ورُفع الأمر اليه فنفاه وأتى بالشيخ على غير حالة مقبولة فلما وصل اليه أمر بتخلية سبيله ولم يهتم لذلك مولانا عصام الدين مع انه كان وقتئذ شيخ الإسلام ومقبول الكلام فأخرجه من ضمانته فمات لوقته . وخرج ولد ألغ بگ على أبيه مساءً يومئذ فقتله وقال رجل فلان قال في شأنك ما لايليق فغضب وخطّ خطاً على الجدار فمات الرجل تلك الساعة . وأوغر يوماً صدر الشيخ عليه فإستقدمه من سمرقند الى جغانيان ، فلما وصل جلس بين يديه للمراقبة زمناً طويلاً قال فوجدتني كالحمامة والشيخ كالباز فكنت أفرّ منه وهو يتأثرني حتى أعجزني فدخلت في حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومُحيت في أنواره . فسمع من الحضرة النبوية أن نظام الدين مني فلم يقو على التصرف فيَّ وقام الى بيته فمرض أياماً لايعلم أحد سبب مرضه قدّس سرّه .

ولمولانا نظام الدين أصحاب بلا حساب وأشهرهم إثنان : الأول ؛ الولي البركة المربي الكامل مولانا زاده الفركتي قدّس سرّه . والثاني ؛ مظهر التلوين في التمكين المرشد النور المبين سيدنا الشيخ سعدالدين الكاشغري . كانا عالماً عارفاً وظلاً من ظلال الله في الأرض وارفاً ، حصّل العلوم وأتقن فنون الفهوم حتى تفرّد . ثم مال لطلب الحق وكان غنياً فتجرّد وإتصل بخدمة مولانا نظام الدين وصحبه وكان ملحوظاً بالحفظ الإلهي من حين طفولته .

(حكى) نجله سيدنا كلال عنه قال سافرت مع أبي في تجارة وفي الركب غلام حسن الوجه في سنّي فشغفني حباً فنزل الركب في رباط وبتُّ معه على بساط واحد فلما أطفأ الضوء ونام الناس وقع في قلبي أن آخذ يده فأجعلها على عيني . فقبل وقوع ذلك رأيت جدار البيت قد إنشق ودخل منه رجل مهاب بيده شمعة فنظر اليّ مغضباً ومرتجفاً فإنشق الجدار الآخر وخرج منه وغاب فإنتبهت وزال عنّي حبه . (وقال) كنت مع أبي في سفر فبتنا في رباط مع جماعة من التجار جالسين يتحاسبون ويتناقشون وبقوا من الفجر الى نصف النهار كذلك . فغلب عليّ البكاء فعجبوا من ذلك وسألوني ، فقلت : أيها المسلمون جلستم من الفجر الى الظهر وأنا متوجه الى قلوبكم فما رأيتكم إلاّ غافلين عن ذكر الله فبكيت رحمة بكم . وأقام في صحبة الشيخ سنين مديدة ثم إستأذنه في الحج فلم يأذن له أولاً ثم أذِن له فلقي مشايخ وقته مثل السيد قاسم التبريزي وأبو زيد البوراني والشيخ زين الدين الخوافي والشيخ بهاءالدين عمر . وروى الشيخ سعدالدين وكان من أكابر أصحابه عنه قال : رأيت ذات ليلة دخلت هراة في المنام انه إجتمع أولياء هراة فأخذني واحد منهم وأجلسني في مقام لم أر فوقه غير إثنين الشيخ عبدالله الطاقي والشيخ عبدالله الأنصاري .

(ومن أنفاسه) علم الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم طريق المراقبة بقوله تعالى (ماتكون في وما تتلو منه من قرآن ولاتعملون من عمل إلاّ كنّا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه) فكونوا مشغولين فيه فإنه أقرب إليكم من كل شيء ، بل أقرب أيضاً من قولكم انه قريب ؛ لأن حال القرب لاتسعه العبارة . قال رجل لصوفي فلان يتكلم في القرب ، فقال قُلْ له قرب القرب عين البعد ، والقرب عبارة عن فنائك فماذا

تسع العبارة .

(وقال) مَن طلب الكل فاته الكل ومَن كان المولى له فله الكل . (وقال) في معنى قول مولانا جلال الدين الرومي رضي الله عنه :

معي لا معي المحبوب كل لحظة   وهذا وحقُّ الحبِّ من أعجب العجبِ

لو أن رجلاً سلك ألف سنة لايدرك معنى هو معه لا معه ، فكيف يدرك قرب الحق . لكن قد يعطيه الله بالجد والإجتهاد إدراكاً يقينياً يفهم به "إن الله كان معي وكنت غافلاً عنه" فإنه يحصل لأهل الله تعالى يقين لاتردد معه ولا شبهة في وجوده تعالى ومعيته كما لايكون لأحد ريب في نفسه . فإنه وإن لبس لباساً مختلفاً وأغمض عينيه لاينسى نفسه أصلاً .

(ومن كراماته) وهي كثيرة سرد طرفاً منها في "الرشحات" ماذكره الشيخ شمس الدين الكوسوي ، وكان يجالسه كثيراً ، قال : وقع لي في الحقائق مشكلات وأردت أن أسافر لحلّها ، فقال لي تعال عندي غداً بنية حل مشكلاتك فربما تُحل . فأتيت صباحاً الى مجلسه فلما رأيت وجهه وقعت مغشياً عليَّ زمناً طويلاً . فلما أفقت سمعته ينشد هذا البيت :

مــرآك حــقــاً لي جـواب الســؤال   وحلُّ إشكالي ومـا ثـمَّ قــالِ

فعدلت عن السفر فسألني أحد أحبابي عما وقع لي يومئذ ، فقلت له لما وقع بصري على حاجبه الأيمن إنحلَّ مُشكل ولما نظرت الى الأيسر إنحلَّ الآخر ومن لذة ذلك زال شعوري فوقعت .

(وقال) الشيخ غياث الدين الحافظ ، وكان من أجلاء العلماء المقربين عند السلطان ، حضرت مجلس الشيخ يوماً وعنده رجل من قوهستان جالس في آخر المجلس والشيخ ساكت فرفع رأسه ونادى القوهستاني وأخذ بيده وقال لي هذا وديعتك فعليك بحمايته وإغاثته فقبلت ومافهمت ولا الحاضرون سرّ وصيته . فبعد مضي خمس عشرة سنة توفي الشيخ قدّس سرّه ثم ظهر رجل في عهد السلطان أبي سعيد يتهم الناس باليهودية عند السلطان ذريعة لأخذ الدراهم منهم . فأتهم هذا وكنت راجعاً يوماً من مجلس السلطان فرأيت قرب باب العراق إزدحاماً فسألت عنه فقيل رجل مسلم أتُّهم باليهودية فوصلت الى اليه فلما رآني عرفني وقال : يامولاي أنا ذلك القوهستاني الذي أسلمني مولانا سعدالدين في المسجد الجامع إليك . فعرفته وخلّصته وذكرت ذلك للسلطان فأمر بقتل ذلك الظالم .

(توفي) بعد ظهر يوم الأربعاء سابع جمادى الآخرة سنة ستين وثمانمائة وله نجلان : الأول ؛ لؤلؤة المجد وفذلكة السعد المرشد الكامل سيدنا الشيخ محمد الأكبر قدّس سرّه . كان حافظاً عالماً عارفاً صحب سيدنا أحرار فعلّمه الذكر وأرسله الى هراة وقال له "لقِّن مَن يطلب من الذكر ولو لم تتم سلوكك فإن والدكم لما ذهب الى هراة ماأتمَّ سلوكه فإجتمع اليه الناس فاشتغل معهم بإجتهاد فتمَّ سلوكه قدّس سرّه . والثاني ؛ عالم المرشدين ومرشد العالمين الشيخ محمد الأصغر قدّس سرّه . كان نادرة زمانه حفظاً وعلماً ورشداً توفي سنة تسعمائة في ديار داوزمن من أعمال بخارى ونُقل الى هراة ودُفن عند قبر والده قدّس سرّه .

(وله خلفاء) مثل نجوم السماء عدداً وهدى فمن أجلّهم العلامة الشهير والصوفي العارف الكبير الشيخ نورالدين ملا عبدالرحمن الجامي إبن نظام الدين أحمد بن شمس الدين الدَشتي نسبة الى (دَشتْ) محلة في أصفهان نزح جدّه منها الى جام وكان من العلماء العظام فَفُوِّضَ اليه أمر القضاء والفتوى بها ، وجدّه الجامي من أولاد الإمام محمد الشيباني صاحب الإمام الأعظم ولد في جام في عهد السلطان شاه رخ ملك العراق وپارس وتخرج في العلوم على والده حتى صار أعجوبة زمانه . ثم إختار صحبة مولانا سعدالدين

وببركته حصل له أحوال وأذواق بأدنى مدة . بهرَ بها رفقاءه وأصبح يترقّى في معارج الكمال حتى أدرك أعلى درجات الرجال كيف لا وقد نال نظر الشيخ محمد پارسا وفخرالدين اللُرستاني وهو صغير ، ولقي أبا نصر پارسا والشيخ بهاءالدين عمر والعارف الإمام الشيخ محمد الكوسوي ، وتشرّف بلقاء سيدنا عبيدالله أحرار ولازمه وكان يحبه ويرفع من شأنه وكان يسمع سيدنا كثيراً من الفتوحات المكية ويستشكل عليها محالاً منها فيحلّها له وهو أستاذه في التصوّف .

(قال) صاحب "الرشحات" عزمت على زيارة سيدنا أحرار فرأيته في المنام يقول سبحان الله سبحان الله العجب أن بحر النور يتموج في خراسان والناس يأتون الى سمرقند لإقتباس نور سراج . فلما وصلت الى عتبته فقال : مَن رأيت من مشايخ هراة ؟ قلت : مولانا عبدالرحمن الجامي ومولانا محمد الروجي . فقال : مَن رأى مولانا عبدالرحمن لايحتاج للمجيء الى سمرقند . ثم قال : "سمعت أن مولانا عبدالرحمن لايقبل المريد ومولانا الروجي يقبل . قلت : أجل . فتمثّل قدّس سرّه بقول سيدنا الغجدواني "أغلق باب المشيخة وأفتح باب الصحبة" .

(وذكر) مولانا عبدالغفور أن سيدنا الجامي كان لايلقّن الذكر لأحد للطافته ويقول : "لاأقدر أن أحمل ثقل المشيخة" . ثم توجه الى الحجاز عام سبع وسبعين وثمانمائة ، فأقبلت عليه ملوك البلاد بالتحف والهدايا والخدمة حتى قضى تفثه وعاد الى الشام فتلقّى الحديث عن المحدِّث القاضي محمد الخضيري وأجازه بأسانيده العالية ، ثم عاد أشرف معاد . وله تآليف عظيمة الشأن ونفعها على فضلها أعظم برهان ولو لم يكن منها إلا النفحات وشرح الفصوص لكفى .

وله كلمات قدسية منها :

سئل عن قول الشيخ كمال الدين عبدالرزاق الكاشاني : "بسم الله أي بالإنسان الكامل فقال الإنسان تفسير لفظ إسم لا لفظ الله" . (وسُئل) قدّس سرّه عن قوله صلى الله عليه وسلم "يُؤجر في نفقته كلها إلاّ شيئاً وضعه في الماء والطين إذ عليه لا أجر" في بناء المساجد ونحوها ، فقال يحتمل أن يكون المراد بالماء والطين عالم الأجساد فإن ماينفقه الإنسان لحفظ نفسه لا أجر له فيه . (وقال) الكهولة آخر الشباب فما صرف العبد به أول شبابه يظهر أثره على الوجه في آخره . (وحضر) مجلسه رجل يدّعي الزهد والتقوى فوضعوا المائدة ولم يأتوا بالملح ، فقال : أئتوني بالملح حتى أبتديء به . فقال له : الملح موجود في الخبز فكلوا . فرأى أن الشيخ يقطع الخبز بيد واحدة فقال له : هذا مكروه . فقال له الشيخ : النظر وقت الطعام الى لقمة أخيك وفمه أكره منه . ثم قال الرجل : التكلّم أثناء الطعام سنّة . فقال له : كثرة الكلام أيضاً مكروه . فسكت الى آخر المجلس .

وله كرامات وافرة وكشف كالشمس السافرة منها إحياء الموتى وتدمير الأعداء والإخبار بالمغيبات وقد أورد بعضها في "الرشحات" .

(توفي) صباح يوم الجمعة ثامن عشر شهر محرم سنة ثمان وتسعين وثمانمائة وإستخرج بعض أدباء عصره تاريخ وفاته من القرآن المجيد وهو قوله تعالى (ومن[٩٦] دخله[٦٣٩] كان[٧١] آمناً[٩٢]) (سنة ٨٩٨) وولد له أربع ذكور ولم يبق منهم إلاّ ثالثهم وهو زهرة الأولياء الكاملين :

سيدنا يوسف ضياءالدين الجامي

(ولد) ليلة الأربعاء تاسع شهر شوال عام إثنين وثمانين وثمانمائة وكان في الذكاء والفضل آية عجيبة . وتوفي يوم الجمعة خامس شوال سنة تسع وتسعمائة قدّس سرّه . ومن أشهر تلامذته وأصحابه عالم الصلحاء ومحقق الأولياء الشيخ رضى الدين عبدالغفور اللاري قدّس سرّه وهو من سلالة سيدنا سعد بن عبادة رضي الله عنه ، تخرّج على يده في سائر العلوم الظاهرة والباطنة حتى بهر أقرانه وقرأ أكثر مصنفاته عليه وكتب مولانا الجامي بعد إتمام شرح الفصوص تمت مقابلة الكتاب مع صاحبي الأخ الفاضل والمولى الكامل ذو الرأي الصائب والفكر الثاقب رضى الملة والدين عبدالغفور إستخلصه الله لنفسه وكان الله عوضاً له عن كل شيء في أواسط جمادى الأولى سنة ست وتسعين وثمانمائة وأنا الفقير عبدالرحمن الجامي عفى عنه وله كلمات في الحقائق تدلُّ على علوّ شأنه ذكر شذرة منها في "الرشحات" .

(توفي) صبح يوم الأحد خامس من شعبان سنة إثني عشرة وتسعمائة ورآه أحد الصوفية في المنام ، فقال له : "كيف وجدتم في الآخرة ما قاله سيدنا الشيخ محي الدين رضي الله عنه في سرّ التوحيد والمعيّة ؟" فقال : "ماتقوّلَ فإن عشق الدنيا بالنسبة الى عشق الآخرة بقدر الذرة . والحب الدنيوي يعتريه الزوال سريعاً لأن حسن عالم الأجسام مركّب من أجزاء مختلفة تتبدّل فينقطع الميل وأما حُسن العالم الآخروي فهو من البسائط ولهذا لاتفنى ولاتتبدّل إذ لاتضاد في أجزائه فيدوم العشق لكن عند فراق الروح للجسد تتألم أياماً بسبب صحبته السالفة فإذا صَفَت مالت الى العشق الأبدي ونسيته" فقال له : "يامولانا ماذكرتموه هو من أسرار الآخرة والموتى ليسوا مأذونين في إفشائه فكيف هذا ؟" فقال : "هذا من كلام الجهال لا أصل له لأن أكثر الناس يرون النبي صلى الله عليه وسلم والعارفين والصالحين ويحققون منهم غرائب أحوال الآخرة وغيرها ولو كان كذلك لما نزل القران الكريم ولا وردت الأحاديث المطهّرة ببيانها وفضله شهير وتأليفه من أصدق الدلالات على رفعة شأنه قدّس سرّه .

(وممن ذكر) من أصحاب موالنا الكاشغري عالم العارفين وعارف العالمين :

مولانا شمس الدين الشيخ محمد الروجي

ولد في (روج) بالراء المهملة والواو والألف والجيم المعجمة قرية على تسعة فراسخ من هراة ليلة نصف شعبان عام عشرين وثمانمائة . وكان لأمه ولد نجيب فمات وهو إبن خمس سنين فحزنت عليه فرأت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها : "لاتحزني فسوف يعطيك الله ولداً طويل العمر ذا دولة" فأتاها هذا العزيز فكانت تقول له أنت الذي بشّرني النبي صلى الله عليه وسلم بك .

وكان يحب الخلوة في صغر سنّه فسمع مرّة من والدته أن مَن قرأ كذا يرى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقرأ ونام فرأى أنه على باب البيت وأمه على دكة الباب تقول له أين كنت ، كنت بإنتظارك لأن النبي صلى الله عليه وسلم جاء الى بيتي فهلّم نذهب اليه . قال فأخذت بيدي اليه صلى الله عليه وسلم فرأيته جالساً على دكة أخرى وحوله الناس قياماً وقعوداً وهو يبعث بالرسائل الى البلدان ولديه كاتب . قال وأحسبه موالنا شرف الدين الزيارتكاهي وكان من علماء المتقين . فقدّمتني أمي اليه وقالت يارسول الله هذا الذي وعدتني به أم غيره ؟ فنظر اليّ وتبسّم وقال هذا هو وأمر الكاتب فكتب لي ورقة نحو ثلاثة أسطر وتحتها أسماء الشهود وقرأها وأعطانيها . ثم أفقت فإذا بوالدتي بيدها شمعة في الباب فقالت : أرأيت شيئاً ؟ فقلت : نعم . قالت : وأنا رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ما رأيت .

(ولما) تضلّع بالعلوم الشرعية والعقلية مال الى طلب الحث فلقي في هراة الشيخ صدرالدين الرواسي أحد خلفاء الشيخ زين الدين الخوافي ، قال قدّس سرّه لما جئته وجدته يذكر بالجهر فما مال قلبي لصحبته ثم إهتديت الى الشيخ سعدالدين فلقيته مع أصحابه في سكوت فقلت في نفسي أين هذا السكوت من تلك الغوغاء . فرفع رأسه اليّ وقال تعال . فأتيت فقال : "لو أن أحداً في حضور السلطان شاه رخ يناديه بأعلى صوت ياشاه رخ لايستحسنه ، إنه سوء أدب والأدب أن يقوم بين يديه بالسكوت والسكون" . ثم لقّنني الذكر فلم أبرح أن حصل لي ببركته من الأحوال العالية ما لايدخل تحت حيطة التقرير .

(وقال مولانا شهاب الدين البيرجندي) غدوت يوماً الى سيدنا سعدالدين فقال : "أمس فتح عليّ ولد الجمّال وحصل له حال غبطة ملكوت السموات والأرض" فعلمت أنه مولانا محمد فإن ولده كان يرعى إبل السلطان . (وقال الروجي) كنت في سقاية المسجد فدخل عليّ الشيخ وأنا أقرأ المثنوي فقال : ماهذا ؟ فقلت : المثنوي . فقال : لايحصل لك من قراءته شيء فاسم حتى تظهر معانيه من قلبك . ودخل خلوتي فرأى بيدي مصحفاً فقال : ماهذا ؟ فقلت : مصحف . فقال : هذا من علامات الغفلة والعطلة .

ثم رحل بعد وفاة أستاذه الى مكة المكرّمة فصحب العارف الكبير الشيخ عبدالكبير اليمني قدّس سرّه ثم عاد الى هراة فشاع فضله في الإرشاد وإنتفع بالوصول الى الله على يده عدد كثير من العباد .

(توفي) يوم السبت سادس شهر رمضان سنة أربع وتسعمائة وكان آخر كلامه : "الله الله" . ودُفن عند ضريح مولانا سعدالدين ثم نُقل بعد أربعة أشهر الى قرب مقام سيدنا عبدالله الأنصاري في كارزكاه .

(ومن أشهر أصحاب الروجي) مولانا الشيخ عبداللطيف السياوشاني قدّس سرّه . وممن ذُكر من خلفاء مولانا الكاشغري علاّمة الصلحاء ودراكة الأولياء :

الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد البرجندي قدّس سرّه

ولد في برجند قرية من بلاد قاين . وكان رأى والده في المنام أنه واقف على طور سينا فجاء شيخ الإسلام الشيخ أحمد جام ، فسلم عليه فقال سيعطيك الله ولداً فسمّه بإسمي . يُقال أنه كان مثابراً على التهجّد والضحى والإشراق في صغر سنّه وكانت آثار الصلاح ظاهرة عليه تخرّج على فحول علماء زمانه في كل فن حتى صار بحراً ، وقرأ كتب الحديث على الشيخ أبي نصر پارسا ولقي المشايخ كالخوافي والكوسوي وغيره ، ثم لازم الشيخ حتى لقي ربه في حياة مربيه عام ست أو سبع وخمسين وثمانمائة وقبره عند قبر شيخه قدّس سرّهم .

(وممن ذكر أيضاً) شرف الكامليت :

الشيخ علاءالدين محمد بن المؤمن الأنبيري المكتبدار قدّس سرّه

(ولد) في قرية (أنبير) من قرى قوهستان وإشتغل بتحصيل العلم ثم لاحت له بارقة فصحب الشيخ سعدالدين ولازم خدمته حتى تكمّل وصار من العارفين الكُمَّلْ ، وبعد وفاته صحب مولانا الجامي ولقي مولانا أحرار . ولما دخلت عليه في هراة قال : مَن أنت ؟ قلت : رجل فقير من خدام مولانا سعدالدين معيلم صبيان . فقال : لاتصغّره فإنه أمر عظيم يترتب عليه فوائد كثيرة .

ثم رحل الى الحجاز فلقي العارف الكبير الشيخ عبدالكبير اليمني الحضرموتي وحصّل منه تمام الإلتفات وغاية الترقّي في المقامات .

(توفي) قدّس سرّه يوم السبت أواسط جمادى الثاني سنة إثنين وتسعين وثمانمائة وقبره عند مقام

أستاذه قدّس سرّه .

(ومن أشهر أصحابه) نجله الشيخ غياث الدين أحمد قدّس سرّه . كان من أجلّاء المرشدين وله صاحبان : الأول ؛ نجله الشيخ نظام الدين حسين توفي قدّس سرّه سنة سبع وخمسين وتسعمائة . والثاني ؛ مولانا زين الدين محمود كمامنكر ، توفي في قندهار قدّس سرّه ، ومنهم العالم العارف مولانا علي البارودي قدّس سرّه كان كبير الشأن وله تآليف كثيرة في الطريق الأسنى . ومنهم المرشد الصالح مولانا أحمد البارودي قدّس سرّه ، ومنهم الإمام الجليل الشيخ صنع الله الكوزه كياني نسبة الى (كوزه كيان) من أعمال تبريز ، قدم هراة في طلب الحق ولازم الشيخ علاءالدين المكتبدار ثم نجله ثم عاد الى أوطانه وتوفي سنة تسع وعشرين وتسعمائة وسنّه ثلاث وسبعون سنة ، وله أصحاب من أشهرهم سيدنا علي جان بادام ياري قدّس سرّه نسبة الى بادام يار من أعمال تبريز صحب الشيخ صنع الله حتى كمل وتوفي في (أختربن) قرب حلب عام سبع وستين وتسعمائة في نحو عمر السبعين قدّس سرّه . وممن ذكر أيضاً نخبة الأكابر سيدنا الكاشغري أيضاً عمدة الصالحين مولانا حاجي مزاري قدّس سرّه ، وممن ذكر أيضاً من أصحاب الأتقياء الحافظ إسماعيل الروجي قدّس سرّه ، وممن ذكر أيضاً جوهرة العارفين مولانا محمد الجامي أخو سيدنا عبدالرحمن الجامي توفي قبل أخيه قدّس سرّه . وممن ذكر أيضاً سلالة العلماء الواصلين مولانا أحمد الزيارتكاهي قدّس سرّه ، وممن ذكر أيضاً كوكب فلك المرشدين مولانا پير قدّس سرّه . وممن ذكر أيضاً زهرة روض الإرشاد مولانا الشيخ علاءالدين الكرماني قدّس سرّه رحل الى مكة المكرّمة وتوفي ثَمّ قدّس سرّه ، ومن أصحاب الكرماني الكرام الشيخ عبدالغفور الساوجي نسبة الى (ساوه) من بلاد العجم صحب الشيخ في مكة بعد سياحة طويلة ثم بعد إنتقاله توجه الى جهة العجم وجاوز سنّه المائة وتوفي سنة سبع وسبعين وتسعمائة قدّس سرّه .

الخليفة العاشر : من كبار خلفاء سيدنا علاءالدين العطار شيخ هذه السلسلة المنوّرة وأعظم من سرى اليه هذه النسبة المطهّرة سيدنا الشيخ يعقوب الچرخي قدّس الله سرّه .

سيدنا الشيخ يعقوب الچرخي
قدّس الله سرّه العزيز

عالم الأولياء وولي العلماء ، ظهر في العالمين بالعلمين ظهور القمرين في أشرف الموطنين ، الى أخلاق تبارك الخلاّق ماأعظمها ، وأذواق روي عن حضرة الإطلاق معظمها ، أحيا الحقيقة بالشريعة والشريعة بالحقيقة ، وسلك في طريق القوم أقوم طريقة ، وورث علوم الغيوب كما ورث النبوّة يعقوب .

(ولد قدّس سرّه) في چرخ بجيم فارسية ومهملة وخاء معجمة ، قرية من قرى غزنين وهي بمعجمتين ونونين بينهما ياء تحتية بلدة بين قندهار وكابل مما وراء النهر سنة (...) . ورحل لتحصيل العلوم في هراة ثم الى مصر المحروسة ، وتلقى العلوم الشرعية والعقلية عن علمائها ومن أعظمهم علامة عصره الشيخ شهاب الدين الشيرواني ثم عاد الى وطنه وصحب حضرة سيدنا شاه نقشبند قدّس الله سرّه العزيز إرادة تحصيل علم الباطن .

(قال قدّس الله سرّه) كنت مخلصاً في المحبة لحضرة الشيخ قبل التشرّف بلقائه فلما فرغت من تحصيل العلوم وأُجيز لي الفتوى وعزمت على الإنصراف الى الوطن أتيت لزيارته قدّس الله سرّه العزيز فقلت له مع الخضوع : أرجو دوام ملاحظتي بإكسير أنظاركم . فقال : جئتني وقت التوجه الى الوطن . فقلت : إني محبك وخادمك . قال : ولم ؟ قلت : لأنك عظيم الشان مقبول عند الناس . فقال : إئتني بدليل أحسن من هذا فإنه يُحتمل أن يكون هذا القبول شيطانياً . فقلت : ورد في الحديث الصحيح "إذا أحب الله عبداً ألقى محبته في قلوب عباده" . فتبسّم قدّس الله سرّه ثم قال : نحن العزيزان . فلما سمعت منه هذه الجملة دُهشت لأني كنت قد رأيت في المنام قبل ذلك بشهر قائلاً يقول لي "كن مريد العزيزان" ونسيت الرؤيا فإنتبهت من كلامه وتذكرتها ثم إستأذنته فقال : خلِّ عندي شيئاً إذا رأيته تذكّرتك . ثم قال ، إني علمت أنه ماعندك ما تدعه فخذ كوفيتي هذه وإحفظها فإذا نظرت اليها تذكرتني ومتى تذكرتني وجدتني وإذا إجتمعت بمولانا تاج الدين الكولَكي فاحفظ خواطرك فإنه من أولياء الله تعالى . فقلت في نفسي أنا قاصد الوطن من طريق بلخ وأين بلخ من كولك . ثم توجهت الى بلخ فحدث لي في الطريق ما إضطرني الى الرجوع الى كولك وإجتمعت بمولانا تاج الدين قدّس الله سرّه وتذكرت ثَمَّ كلام حضرة الشيخ قدّس الله سرّه العزيز وزاد إعتقادي به وحبي له . ثم إني بعد وصولي الى الوطن رجعت الى بخارى فعمدت الى زيارته قدّس الله سرّه العزيز .

قال وكان في بخارى مجذوب فأحببت أن أتفاءل منه بشيء فأتيته بهذا القصد ، فلما رآني قال : أسرع ولاتتوقف . وكان يخطُّ في الأرض خطوطاً فخطر ببالي أن أحسب هذه الخطوط فإن خرجت وتراً كانت إشارة الى صحة هذا الداعية فإن الله وتر يحبّ الوترَ . فحسبتها فإذا هي وتر فبادرت الى صحبة الشيخ رضي الله عنه وعرضت عليه مرادي فلقّنني الوقوف العددي وقال راعِ الوِتر يشير الى خط الوِتر الذي إتخذته دليلي وحجة لي .

(وقال قدّس الله سرّه) لما جدّ بي الطلب للتحقق بهذا المشرب جعلت أختلف إليه كثيراً وهو يزداد رحمة بي وشفقة عليّ وأنا أزداد إعتقاداً به وإخلاصاً له حتى تيقّنت أنه ليس أحد أفضل منه في وقته .

وفتحت المصحف يوماً للتفاؤل فخرج قوله تعالى (أولئك الذي هدى الله فبهداهم إقتده) وكنت وقتئذ مقيماً في بلدة فتح آباد ، فتوجهت آخر النهار لزيارة ضريح الشيخ سيف الدين الباخرزي قدس سره ، فورد عليَّ وأنا متوجه الى الضريح وارد أزعجني فقصدت حضرة الشيخ قدّس الله سرّه العزيز . فلما وصلت عنده وجدته كأنه ينتظرني وكانت الصلاة قد حضرت . فبعد أداء الصلاة أقبل عليَّ بوجهه الكريم فوجدت له هيبة في نفسي وعظمة في قلبي وجلالة في نظري حتى لم أطق الكلام في حضوره . فقال لي قدّس سرّه ورد في الأخبار "العلم علمان علم القلب وذلك العلم النافع علّمه الأنبياء والمرسلون ، وعلم للسان وذلك حجة الله على خلقه وأرجو الله تعالى ان يكون لك نصيب من علم الباطن . ثم قال ورد في الخبر إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق فإنهم جواسيس القلوب يدخلونها وينظرون الى هممكم . ثم قال أنا مأمور من جناب الحق تعالى ألاّ أقبل إلاّ من يقبله تعالى وسأنظر الليل فإن قبلك الحق تعالى قبلتك ، فما مضى من عمري ليلة أشدّ عليّ منها إذ بتُّ خائفاً قلقاً من أنه هل يفتح لي باب القبول أو لا . فلما طلع الفجر وصليت خلفه إنصرف من صلاته وقال لي "بارك الله بك لقد قبلك الله فقبلتك ثم عدّ مشايخ سلسلة طريقه الى حضرة الشيخ عبدالخالق الغجدواني رضي الله عنه ولقنني الوقوف العددي وقال هذا أول العلم اللدني وصل من سيدنا الخضر عليه السلام الى الشيخ عبدالخالق رضي الله عنه . فلم أزل في خدمته وصدق صحبته حتى أذن لي بإرشاد الخلق الى الله تعالى وقال إن ذلك سيكون سبباً لسعادتك .

(وروى) عنه سيدنا الشيخ عبيدالله أحرار قدّس الله سرّهما أنه قال : أمرني الشيخ رضي الله عنه بصحبة الشيخ علاءالدين في جغانيان ، فكتب لي أن آتي لصحبته إمتثالاً لأمر الشيخ رضي الله عنه . فقدمت جغانيان ولزمت صحبته حتى توفي قدّس الله سرّه فذهبت الى هلفتو .

(وقال الشيخ عبيدالله أحرار) كان حضرة الشيخ يعقوب والشيخ زين الدين الخوافي أخوين في تحصيل العلوم في مصر المحروسة على العلامة الشيخ شهاب الدين الشيرواني . فقال لي يوماً : سمعت أن الشيخ زين الدين يعبّر رؤيا المريدين ويعتمد عليها وأنت كنت في هراة فهل سمعت بهذا ؟ فقلت له : أجل . وكان وقتئذ آخذاً بلحيته الشريفة فغاب وكان من عادته أنه يغيب أثناء كلامه حتى وصل رأسه الى صدره ثم رفع رأسه بعد ساعة وأنشد ما معرّبه :

أنا إن كنت إلاّ عبد شمس	وإن حدثت إلاّ عن سناها
وما أنا ليل أو عبد لليل	يربى المرء بالرؤيا يراها

(توفي قدّس الله سرّه) في قرية (هُلْغَتُو) بهاء مضمومة ولام ساكنة وغين معجمة مفتوحة ومثنّاة فوقية مضمومة وواو ساكنة وهي من قرى الحصار .

(وله) قدّس روحه خلفاء عظماء وأصحاب بلا حساب . وأعظم من سرى سرُّ هذه النسبة المطهرة اليه شيخ هذه السلسلة المبجلة عبيدالله الأحرار رضوان الله عليه .

سيدنا ناصرالدين عبيدالله أحرار بن محمود بن شهاب الدين الشاشي السمرقندي قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ

قطب دائرة العارفين وبحر علم لاتنقصه كثرة الغارفين . مَلَكَ من أبكار الأنوار الذاتية أحرارها وكشف عن أقمار الأسرار الصفاتية أسرارها ، إذ مال من عهد المهد الى الكمال . وقد أوتي الحكم صبياً وشمّر عن ساعد الجد لتحصيل أثيل المجد ، لأنه لو كان العلم في الثريا وما مال الى أهل ولا مال حتى نال من مقامات الأولياء ما نال ، الى تجلّيات ذاتية وعلوم غيبية وحقائق عليّه أحيا بها الله هذا الطريق . فأيّد أهله وأبّد فضله وجمع شمله ونظّم نثار السلف الأسمى . وإنتظم في سلك أولي الخلافة الروحانية العظمى وسعى وسعه في إنقاذ القلوب مما مسّها من غمار الأغيار من اللُغوب ، إذ أصبح شمساً ترشد السالكين الى طريق حق اليقين والإطلاع على كنوز المعارف الخفية ومخدَّرات الحقائق اللدنية .

(ولد قَدَّسَ اللَهُ سرَّهُ) في (شاش) سنة ست وثمانمائة في شهر رمضان . نُقل أنه حصل لوالده جُذبة عظيمة صرفته عن أعمال الدنيا بالكلية ، فصار يميل للرياضة الشاقة وتقليل الطعام والمنام وترك الإختلاط مع الخواص فضلاً عن العوام . وإستمر كذلك أربعة أشهر ففي أثنائها حملت به أمه . فسكن ما به وعاد لحاله وقد بشّر به قبل ولادته العارف الكبير سيدنا الشيخ نظام الدين خاموش السمرقندي قدّس سرّه .

(ذكر) المولى الشيخ محمد السربلي أن الشيخ نظام الدين جاء الى بيت أبيه يوماً قال وكان أبي مخلصاً في محبته والإعتقاد به . فبينما هو جالس للمراقبة إذا صاح صيحة عظيمة فلما إنصرف سأله عن سبب صيحته ، فقال له : ظهر من جانب الشرق رجل يقال له عبيدالله يوشك أن يصير شيخاً عظيم الشأن يسخَر الله له العالم كله . قال فلما سمعت إسمه منه جعلت أنتظر ظهوره ، فكنت أول من تشرّف بإتباعه والإنتظام في سلك أتباعه . اه . وسأذكر من تفصيل أحواله إجمالاً جميلاً مقتصراً على ماهو أقوى وأقوم قيلاً .

بداية حاله في حال بدايته

كانت سيماء السعادة في أيام الصبا عليه ظاهرة وأنوار الهداية في أسارير وجهه باهرة . (نقل) بعض أقاربه الكرام أنه قَدَّسَ اللَهُ سرَّهُ لم يقبل حين ولد ثدي والدته حتى طهرت من النُفاس . (وكان قَدَّسَ اللَهُ سرَّهُ) يقول : إني حفظت كلاماً كنت سمعته وأنا إبن سنة .

(وقال قَدَّسَ اللَهُ سرَّهُ) إني منذ كان عمري ثلاث سنين وأنا في الحضور مع الله تعالى حتى كنت أذهب الى المكتب وأقرأ عند الشيخ وقلبي معلّق مع الله تعالى وكنت أحسب أن جميع الناس كذلك . (لقد) خرجتُ زمن الشتاء الى الصحراء فغاصت قدماي مع النعل في الطين – وكان الوقت شديد البرودة– فإهتممت بنزع قدمي فغفلت عن الله تعالى بهذا المقدار . وكان ثَمَّ رجل يحرث على بقر فجعلت ألوم نفسي وأقول لها انظري الى هذا الحرّاث على ماهو عليه من العمل لم يغفل عن الله عز وجلّ . ولاغرو إذ كان جده لأبيه الإمام الجليل الشيخ محمد النامي وهو من أعظم أصحاب القطب الكبير أبي بكر محمد بن

إسماعيل القفّال الشاشي . وتربّى في حجر خاله علاّمة وقته وبركه عصره الشيخ إبراهيم الشاشي قدّس الله أسرارهم .

(وقال قَدَّسَ اللَّهُ سرَّهُ) أول ماكتب لي خالي للتعليم هذا البيت :

بواطن أهل الله مثل ظواهر   فطوبى لمن أبدى الخفيّات تحقيقاً

ثم لم يألُ جهداً في أن أتعلم حتى أرسلني من تاشكند الى سمرقند رجاء ذلك . فكنت كلما ذهبت الى الدرس أصابني مرض يمنعني عنه . فذكرت له حالي وإنك إن كلفتني بالتحصيل ربما أموت . فتوقف وقال : "ياولدي أنا أعلم حقيقة حالك فاذهب وافعل ماتريد" . وأردت أن أقرأ يوماً فرمدت عيناي ولم أزل كذلك خمسة وأربعين يوماً فحينئذ تركت ولم أصل في القراءة إلاّ الى المصباح في النحو .

(وقال قَدَّسَ اللَّهُ سرَّهُ) بتُّ أيام الطفولة عند ضريح الشيخ أبي بكر القفّال رضي الله عنه فرأيت في المنام سيدنا عيسى عليه السلام فأهويت الى قدميه الشريفتين لأقبّلهما . فرفع رأسي وقال لي "لاتحزن فأنا أربّيك" . فقصصتها على بعض الفضلاء فعبّرها بعلم الطب فلم أرضَ بهذا التعبير . وقلت له تعبيرها عندي أن عيسى عليه السلام مظهر الأحياء وكل مَن نال هذا المقام من الأولياء يُقال له عيسوي ، وإذ تعهدني بالتربية فلابد أن أنال مقام إحياء القلوب . فلم ألبث أن أعطاني الله هذا المقام .

(وقال قَدَّسَ اللَّهُ سرَّهُ) رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في البداية ليلة عند ذيل جبل عظيم عال ومعه جمٌّ غفير فأمرني أن أحمله فأصعد به الجبل . فحملته الى أعلى على عنقي فأعجبته ، وقال لي صلى الله عليه وسلم "إني أعلم أن لك هذه القوة غير أنني أحببت إظهارها للناس" .

(وقال قَدَّسَ اللَّهُ سرَّهُ) رأيت في البداية سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه ليلة قد جاء وتصرف في باطني ثم ذهب فتبعته ، فلما أدركته إلتفت اليّ وقال بارك الله بك .

(وكان) يغلب عليّ وهم قوي بحيث لاأقدر أن أخرج وحدي ليلاً . فورد عليّ ليلة وارد قوي إضطرني للخروج من الدار وكانت ليلة مظلمة . فخرجت حتى أتيت ضريح الشيخ أبي بكر القفّال رضي الله عنه ثم ذهبت لزيارة أكثر قبور الصالحين . فذهب وهمي من حينئذ حتى إني خرجت ليلة لزيارة الشيخ كوي عارفان قَدَّسَ اللَّهُ سرَّهُ ، فجلست عند قبره المبارك وكان في مكان بعيد منحرف عن الطريق -وكان يومئذ في تاشكند مجنون هائل الصورة بشيم المنظر مزعج الصوت مغتال تخافه الناس جداً حتى عدا مرة على شخص فقتله . فبينما أنا جالس ثَمَّ للمراقبة إذ حضر ذلك المجنون وجعل يصيح بصوت كريه أن اخرج من ذلك المكان . فلم ألتفت اليه فقطع من شجر هنالك حطباً وجعله حزمة وأتى بها ليوقدها من السراج المعلّق على الضريح ويلقيها على رأسي . فبحكمة الله تعالى ثارت نسمة فأطفأت السراج ، فزاد جنونه وأخذ يشتمني أقبح شتم ، ولم يزل كذلك حتى مطلع الفجر . كلّ ذلك ولم أخف منه ولم أكترث به ولا حصل لي تفرقة أصلاً . ثم مضى فأتى السوق فاغتال شخصاً فأخذوه فقتلوه .

وعن نجله أن الشيخ كلان قَدَّسَ اللَّهُ سرَّهُ أن عمته (قال) وكانت من النساء العارفات أخبرته أن الشيخ رضي الله عنه كان في بداية حاله وهو في تاشكند إذا حصل له قبض يخرج ويدخل من باب الدار ، وكلما خرج بصورة يدخل بصورة أخرى ويكرر ذلك نحو عشر مرات . فكان كلما دخل بصورة فزع منه النساء اللاتي في البيت حذراً من أن يكون أجنبياً ، فيبتسم من ذلك فيذهب قبضه .

ومن نحلته في رحلته

رحل قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ من تاشكند الى سمرقند فصحب بها الغوث الأعظم الشيخ نظام الدين الخاموش مدة . ثم قصد بخارى وكان وقتئذ سنّه إثنين وعشرين سنة . فلقي خلال طريقه العارف الكبير الشيخ سراج الدين الپيرمسي في پيرمس (وهي بباء فارسية فتحتية فراء مهملة فميم فسين مهملة) قرية من قرى وابكن على أربعة أميال من بخارى . ولقد رأيته يشتغل كل نهاره بالفخّار فإذا أقبل الليل جلس في مصلاّه جلوس التشهّد فلا يتحوّل من جهة الى جهة أصلاً الى الفجر . وكان من المتضلّعين في العلوم كلها . أه . (ثم) بعد أن أقام عنده سبعة أيام قدم بخارى فصحب بها الإمام الكبير الشيخ حميدالدين الشاشي والقطب الشهير الشيخ علاءالدين الغجدواني . وكان من كبار أصحاب سيدنا شاه نقشبند قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُما العزيز .

(يقول نَوَّر الله مرقده) كان الشيخ المشار اليه يغلب عليه الإستغراق والغيبة حتى كان يغيب في غضون الكلام . وكان حسن الحديث حريصاً على الذكر والمجاهدة لقيته وقد بلغ التسعين بتقديم الفوقية . فكنت أكثر من زيارته وذهبت مرة لزيارة ضريح سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه ماشياً ، فلما رجعت إستقبلني الشيخ في نصف الطريق فقال : حسبت أنك تبيت ثَمَّ فأتيت لأجلك . فعدت معه الى الزيارة حتى إذا صلّينا العشاء قال لي : هلمَّ نحيي هذه الليلة . ثم جلس متوركاً الى طلوع الفجر ولم ينتقل من جنب الى جنب ولايتأتى مثل هذا الثبات إلا بحضور تام ومشاهدة كاملة وإلاّ فليس هذا في طوق البشر لاسيما مع كبر السن .

وأما أنا فقد تعبت من كثرة المشي ولم يسعني إلاّ موافقته في الجلوس . فأقمت مثله الى نصف الليل ثم عجزت فقمت وجئت عنده فجعلت أهمزه ليزول عنّي النوم والكسل . فلما شرعت بذلك قال : أتخفيفاً لأثقالي ؟ فقلت : بل لم أطق الجلوس فأردت أن أخفف عن نفسي وأستريح . وكنت في بداية أمري على غاية من الإضطراب حتى صحبته فتبدّل الإضطراب بالتمكين . (وكنت) أظن أن مراد المريد موقوف على إلتفات الشيخ ، فلما صحبته قال لي عليك بدوام الذكر والسعي فيه . فإن كل ما يصل بلا مشقة لا بقاء له فابذل الجهد في المجاهدة وتحمّل المشاق الزائدة . أه .

(ثم) ذهب الى هراة فلقي بها كبير العارفين السيد قاسم التبريزي قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ وهو من كبار أصحاب سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه .

(يقول قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) صحبت مشايخ كثيرين فلم أر أعظم حالاً منه ولا أكبر ، فإن كل ما حصّلته من غيره لم أجده شيئاً بالنسبة الى ما نلت منه . وكنت إذ رأيته أشهد جميع الكائنات تطوف به ثم تدخل في باطنه وتتلاشى . فكنت آتي كل يوم الى بابه ولاأدخل عليه إلاّ في كل يومين أو ثلاثة مرّة . فكان الناس يعجبون لذلك ويقولون لي كيف يكون قد أذن لك بالدخول ولاتدخل ولو أنه أذن لنا لما خرجنا من عنده . وكان يحتجب فلما وصلت اليه أمر حاجبه أن لايمنعني في أي وقت ماأتيت .

(وسألني) أول مالقيته : ماإسمك ؟ فقلت : عبيدالله . فقال : عليك التحقق بإسمك ، وقال لي ، أتعلم لم لاتظهر المعارف والحقائق في هذا الزمن ؟ لأن ظهورها موقوف على التصفية وهي موقوفة على حلّ الطعام فلما فُقد فُقدت فلم تظهر المعارف وكيف تظهر من القلوب الساهية المظلمة اللاهية .

(ورأيت ليلة) كأني في طريق واسع عظيم يتشعّب منه طرق عديدة كلها ضيقة ورأيت الشيخ زين

الدين الخوافي واقفاً على طريق من تلك الطرق ، فجاء وأخذ بيدي وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "السماع أهل لأهل الله" . ثم أحب ان يذهب بي الى قريته فما مال قلبي اليه . فبينما نحن كذلك إذ طلع علينا مولانا السيد قاسم قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ من طريق واسع راكباً على فرس أبيض فقال لي هذا الطريق يوصلك الى المدينة فهلم أوصلك اليها ، وأردفني خلفه ومشى على ذلك الطريق .

(ونقل) عن الشيخ فتح الله التبريزي أنه قال : صحبت حضرة السيد قاسم قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ وبي ميل عظيم لتحصيل علم التصوّف حتى كنت أتفكّر في بعض الأوقات في مسألة واحدة من العشاء الى الفجر . فبينما أنا جالس عنده يوماً قال لي "ذكر كلام القوم وحكاياتهم وإن كان فيه فوائد جمة إلاّ أن باب المقصود لايُفتح بمجرد القيل والقال والسماع ، بل هو موقوف على الخدمة والرياضة والمشقة والهمّة . فإن شئت أن تنال ما ناله الأولياء فتمسّك بأذيال هذا الشاب" . وأشار الى الشيخ عبيدالله "فإنه أعجوبة الزمان وعن قريب يستنير العالم بنور سرّه وتحيا القلوب الميتة حياة أبدية ببركته" . فما زلت أترقّب ذلك حتى أتى في عهد السلطان أبي سعيد الى سمرقند فذهبت لزيارته غير مرة وشاهدت منه أكثر مما قاله السيد قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ .

(ولقي) في هراة أيضاً الإمام الجليل الشيخ بهاءالدين عمر الخراساني قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ يقول ماأعجبني من بين أحوال مشايخ خراسان إلاّ حال الشيخ عمر وطوره . فإنه كان يجلس لملاقاة الناس يومه كله وكل مَن أتى عنده كلمه بما يوافق حالته وعقله وصناعته ولايميّز نفسه عن إخوانه إلاّ في الرياضة فقط .

(ثم) صحب سيدنا الشيخ يعقوب الچرخي قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ . (يقول نوّر الله مرقده) لما سمعت به وأنا ذاهب الى بخارى عزمت منصرفي منها على زيارته . فوصلت الى جغانيان فمكثت بها مريضاً عشرين يوماً ، وكان أهلها ينكرون على الشيخ فصاروا يغتابونه عندي . فضعف إعتقادي به من كلامهم ثم قلت في نفسي إنني جئت من مسافة بعيدة فلاينبغي أن أرجع قبل لقائه . فذهبت اليه فالتفت اليّ إلتفاتاً تاماً ثم ذهبت في اليوم الثاني فغضب غضباً شديداً ، ففهمت تلويحاً أن ذلك من الإصغاء لكلام المنكرين والعزم على ترك زيارته . فلما سكت عنه الغضب عاد الى إلتفاته السابق وجعل يذكر سبب إجتماعه بسيدنا شاه نقشبند ومدّ يده اليّ وقال : بايعني فتوقفت عن أخذها لبياض كان في جبهته كالبرص . فلما شعر بذلك قبض يده ثم ظهر على طريقة الخلع واللبس بصورة حسنة مهابة فزال عني إختياري ثم مدّ يده وأخذ بيدي وقال : قال لي الشاه نقشبند حين بايعني يدك يدي فمن أخذها فقد أخذ يدي فأنت آخذ بيد الشاه نقشبند فبايع ولاتتوقف . فبايعته ثم علمني طريق الخواجگان بالنفي والإثبات وهو المسمى بالوقوف العددي ، وقال : هذا ماوصل اليّ من حضرة الشاه نقشبند وإن شئت أن تربي الطالبين بطريق الجُذبة فلك الخيار .

(وروي) أن بعض أصحاب الشيخ يعقوب قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ قال له الآن لقّنته الطريق وتخيّره في تربية السالكين بين الجذبة والذكر فكيف هذا ؟ فقال هو رجل كامل لايحتاج إلاّ الى الإذن فإن الله أعطاه غاية القوة ومَن أراد أن يجيء عند الشيخ فليكن مثل هذا . فإن الأسباب فيه موفرة والمعدات مستحضرة هيأ السراج والفتيلة والزيت وترقّب الكبريت .

ومن تفرّده في تجرّده

(قال قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) كنت على عهد ميرزا شاه رخ في هراة لأملك فلساً حتى مررت يوماً في سوق

الملك فأتاني سائل يسألني صدقة تجاه دكان طباخ . فأتيت الطباخ فأعطيته عمامتي ، وكانت قد تمزقت كل ممزق حتى صارت كالفتايل وقلت له : "إغسل بهذه القدر وأطعم هذا السائل" . فأطعمه وردّ اليّ عمامتي ، فما قبلتها ومضيت .

(وكنت) أوائل السفر الى هراة في الشتاء مع مولانا مسافر قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ وكان من أصحاب حضرة مولانا شاه نقشبند رضي الله عنه في خلوة واحدة لها باب الى الطريق وأرض الطريق أعلى منها . فكان إذا نزل المطر تمتلىء من ماء الطريق وطينه وثيابي رقيقة جداً لاتدفع البرد ، فأكابد من ذلك مشقة عظيمة . وبقيت في هراة خمس سنين في صحبة الشيخ بهاءالدين عمر فما ذقت من عنده شيئاً إلاّ مرتين . مرة كانت عند وليمة ومرّة كان صائماً فأفطر على تفاح فأعطاني قسماً منه .

(قال) وكان في هراة رجل رئيس الصيّاغ والصيارفة ومحباً للسادة الخواجكان قد تلمذ للشيخ محمد پارسا ، فبلغه أني لاآكل من طعام أحد في هراة إحتياطاً . فجاءني مستهل شهر رمضان وحلف عليَّ بالطلاق أن لاآكل إلاّ عنده . فحذراً من وقوع الطلاق عليه صرت آكل من بيته . وكان على غاية من الأدب والشفقة والخدمة ولم يكن لي وقتئذ قدرة على مكافأته . فلما أقدرني الحق تعالى كان توفي فأرسلت الى ولده عشرة آلاف دينار وغيرها .

(وكان قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) لايقبل هدية أحد أصلاً حتى أن الرجل الصالح العديم النظير الشيخ أحمد الكاريري -أحد خواص العارف الشهير الشيخ سعدالدين الكاشغري قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ- أهدى إليه بعد إنتقال الشيخ جبة من صوف أبيض رقيق وكانت من مال حلال . فقال هذه هدية رجل صالح كان ينبغي أن ألبسها غير أني الى هذا اليوم لم آخذ من أحد شيئاً ولا قبلت هدية أحد . فإعتذروا لي منه ، ثم ردّها مع هدية منه اليه .

من إخفاء أحواله في إنماء أمواله

(قال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) كنت أتردد وأنا متجرّد في هراة لزيارة السيد قاسم التبريزي كثيراً فكان إذا أكل الطعام يعطيني سؤره ويقول لي : "ياشيخ زاده ستصير دنياك قبابك" وكنت يومئذ لاأملك شيئاً ، إنتهى .

وكان الأمر كما بشّر . فإنه لما خرج من تاشكند مع خاله الى سمرقند كان سنّه عشرين سنة فبقي أربع سنوات يختلف الى المشايخ من أهل ماوراء النهر . ثم عزم على هراة فأقام بها خمس سنين . ثم عاد الى وطنه وسنّه تسع وعشرون سنة وإختار الإشتغال بالزراعة ، فما تيسّر له إلاّ فدان من بقر شركة شخص آخر . فبارك الله في زراعته حتى نمت نمواً عظيماً . (قال) صاحب "الرشحات" ولقد سألت مرة بعض خدّامه عن عدد أماكن زراعته فقال هي أكثر من ألف وثمانمائة مزرعة . (ونزلتُ) يوماً في قرية (قرش) عند عامل زراعته ، فسألته عن عدد مزارعه . فقال لي أنا عامل مزرعة واحدة من ألف وثلاثمائة مزرعة . فسألته عن عدد فدادين المزرعة فقال ثلاثة آلاف فدان .

من رأفته العامة للخاصة والعامة

(قال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) نزلت في سمرقند في مدرسة قطب الدين الصدر ، فوجدت فيها أربعة في الحمى . فجلعت أخدمهم وأغسل ثيابهم وأمتعتهم فمن فرط المشقة أصابتني الحمى ، وإني ذات ليلة وأنا في الحمى أتيت بأربع جرار من ماء وغسلت لهم الأثواب والبسط ولم أترك خدمتهم .

(وكنت) وأنا في هراة أذهب الى حمام الشيخ عبدالله الأنصاري ، فأخدم الناس فيه لاأميّز بين الحر

والعبد ، والغني والفقير في الخدمة حتى إني دلّكت يوماً ستة عشر نفراً ومأأخذت من أحد شيئاً أصلاً . وإن السادات كانوا ينظرون الى الوقت فيعملون بمقتضاه ويشتغلون بالذكر والمراقبة حيث لم تكن خدمة لأحد . فإذا إحتاج مسلم لخدمة آثروها وذلك أن الخدمة سبب لقبول القلوب وهو مقدّم على الذكر والمراقبة . وظن بعض الناس أن الإشتغال بالنوافل أولى من الخدمة وليس كذلك . فإن نتيجة الخدمة المحبة وميل القلوب لأنها جُبلت على حبِّ مَن أحسن إليها وفرّق بين ثمرة النوافل وثمرة الخدمة . ولهذا كان سيدنا شاه نقشبند وأتباعه قدّس الله أسرارهم لايقبلون خدمة أحد بسهولة ، لأن الخدمة والتواضع من الإحسان وحب المحسن أمر جِبِلّي وعلى قدر حبه يكون التعلّق به . والتعلّق حجاب فلايريدون التعلّق بأحد بوجه من الوجوه ، بل كانوا يسعون في أن يخدموا ولايستخدموا .

(يقول حضرة الشاه نقشبند رضي الله عنه) ماأخذت هذا الطريق من الكتب بل من الخدمة وهذا فائدتها . ويقول كل أحد يدخل من باب وأنا دخلت من باب الخدمة ، فمن أحبه أمره بالخدمة وأنشد بالفارسية بيتاً معرّبه :

الى شرفات العرش يوصلك الخدم فاسلم منها مارَقَتْ سلماً قدم

(وكان قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) شديد المراعاة للآداب الظاهرة والباطنة في كافة أحواله وأحيانه خلوة وجلوة . فقد قال أبو سعيد الأوبهي رحمه الله تعالى إني صحبته خمساً وثلاثين سنة لم أفارقه قط فمارأيته تلك المدة إذا أكل عنباً أو تفاحاً أخرج من فمه نواة أو قشرة ولا رأيته تثاءب أو إستنثر أو أخرج من فمه بصاقاً أو صدر عنه مما يُكره . وكذلك قال صاحب "الرشحات" قدّس سرُّه وأنه لم يره يجلس متربعاً قط لا في خلوة ولا في جلوة .

ومن آثاره في إيثاره

نُقل أنه توجه بأصحابه أيام الربيع الى بلاد (كش) فلما أقبل الليل نزل قرب الجبل ولم يكن معهم إلاّ خيمة واحدة فضُربت له . فما لبثوا أن جاءت السماء بماء منهمر وذلك بعد العشاء . فخرج قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ من الخيمة وقال لأصحابه ادخلوها فإن لي شكاً في طهارتها وشدد عليهم فدخلوها وبقي قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ ظاهر الخيمة والمطر تصب فوق رأسه حتى طلع الفجر . فبعد صلاة الفجر أسرّ الى بعض أصحابه إني إستحييت أن أستظل في الخيمة وأصحابي تحت المطر .

(وخرج) يوماً في شدّة القيظ الى مزرعة وماكان عند الزراع إلاّ خيمة واحدة فنُصبت له . فقبل أن يشتد الحرّ خرج فركب فرسه وقال لأصحابه إجلسوا إني أريد أن أنظر الى الأرض وزرعها . فجعل يدور هكذا وهكذا وإذا إشتد عليه الحرّ يأوي الى بعض المغارات وربما كان رأسه في الظل وجسده في الشمس . ولم يزل كذلك حتى برد الهواء فرجع الى أصحابه وقد علموا انه لم يقصد بذلك إلاّ إراحتهم وإيثارهم .

ومن كراماته في كلماته

(قال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) في قوله تعالى (الحمد لله رب العالمين) كمال الحمد أن يحمد العبد ويعرف أنه لا حامد إلاّ هو تعالى وأنه هو عدم محض لا رسم له ولا إسم ولا فعل ، وإنما يبتهج سروراً بكونه تعالى جعله مظهراً لصفاته .

(وقال) في قوله تعالى (وقليل من عبادي الشكور) الشكور في الحقيقة مَن يشاهد المنعم في النعمة .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) في قوله تعالى (وأعرض عمّن تولّى عن ذكرنا) أي أعرض عمّن إستغرق

واستهلك في ذات الله تعالى . فلايذكره وإن حصل له فتور في الشهود فلاتكلّفه بالذكر . أه .

(قلت) واليه يشير ختم الأولياء المحمديين الشيخ الأكبر محي الدين رضي الله عنه بقوله :

بذكـــر الله تزداد الذنـــوب　　وتنطمس البـــصـــائر والقلوب

وترك الذكر أفـضل منه حالاً　　فـإن الشـمس ليس لها غـروب

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) في قوله تعالى (وكونوا مع الصادقين) هذه المعيّة إما حسيّة : وهي مصاحبتهم ومجالستهم ، فمن داوم على ذلك نوّر الله قلبه بأنوار باطنهم وأنعم عليه بالتحقق من أخلاقهم . وإما معنوية : وهي أن يكون متوجهاً لروحانيتهم رابطاً قلبه بهم بحيث يكون مستحضراً لهم غيبة وحضور . فإنه إذا أحكم هذا الإرتباط القلبي إنعكس عليه جميع أسرارهم . أو المراد من هذا الأمر الواجب الإمتثال أن الطالب ينبغي أن يربط قلبه بالصادق وهو من تنزّه عن الغير والسوا . يُقال رمح صدوق أي لا إنحراف فيه ولا إعوجاج . أي فلاينبغي أن يلتفت الى شيء آخر حتى التجلّيات الأسمائية والصفاتية . أو المراد كُنْ عاشقاً واصحب العشّاق لاغير . فإن كان أستاذك نحوياً فلابد أن تصير نحوياً أو محوياً فمحوياً :

جليس إمام النحو يرتقي　　وصاحب قيس المحو يبرع في المحو

لأن الله تعالى قد أعطى الإنسان صفة التأثير والتأثر بالصحبة . فلا عمل أنفع ولا أجذب للأحوال منها بدليل جُذبة من جُذبات الحق توازي عمل الثَّقَلَين .

(وقال) في (لاإله إلاّ الله) بعض الأكابر هي ذكر العوام و(الله) ذكر الخواص وهو ذكر خواص الخواص . وعندي أن (لاإله إلاّ الله) ذكر خواص الخواص لأنه لا نهاية لتجلّياته تعالى ولا تكرار فيها . ففي كل آن ينفي صفة ويثبت صفة فلايخلو أبد الآبدين من نفي وإثبات . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) في قوله تعالى (قل الله) المراد أن يكون العبد متوجهاً الى الذات البحت لا إلى الصفات . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) في قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا آمنوا) أي ياأيها الذين ربطوا قلوبهم بالله تعالوا آمنوا إن هذا منه تعالى لا منكم .

(وقال) في قوله تعالى (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) يحتمل أن يكون قوله تعالى ظالم لنفسه إشارة الى مَن منع نفسه عن اللذات ومأعطاها مرادها في جميع الأحوال ، فصار مستعداً لقبول الفيض الإلهي . وحينئذ يكون مقدماً على المقتصد وهو مقدم على السابق . أه .

(قلت) ذكر هذا المعنى ختم الأولياء المحمديين الشيخ الأكبر محي الدين رضي الله عنه وفرّق بين الظالم لنفسه والظالم نفسه . وإستدل للأول بهذه الآية وللثاني بقوله تعالى (بل كانوا أنفسهم يظلمون) فقد ظلم نفسه وإن الأول سعيد والثاني ضده .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) في معنى قوله تعالى (لمن المُلك اليوم) يُحتمل أن يكون المراد بالملك قلب السالك . فإنه إذا تجلّى الحق تعالى على قلبه بالتجلّي القهري يمحو منه الغير والسوء والسوا فلا يبقى فيه إلاّ هو . فلاجرم يسمع في هذا القلب (لمن المُلك اليوم لله الواحد القهّار . وسبحاني ماأعظم شأني . وأنا الحق . وهل في الدارين غيري) ونحو ذلك من هذا المقام . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) يوماً لأصحابه لم لاتدخلون الأسواق وتعملون عملاً ينفع الناس فاسعوا ليحصل لكم شهود الأحدية في الكثرة . فقد قال بعض المشايخ في معنى قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) أي أعطيناك شهود الأحدية في الكثرة . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) في خلال الكلام على تفسير قوله تعالى (كل يوم هو في شأن) أن للبقاء بعد الفناء معنيين : أحدهما أن السالك بعدما يتحقق ويتمكن في شهود الذات ويرجع من الإستغراق والغيبة الى الحضور والحس يصير مظهر تجلّيات أسماء الأفعال ، ويجد في نفسه آثار الأسماء الكونية ويميّز بينها

ويحصل له خط خاص من كل إسم . ثانيهما أن يجد في نفسه في كل آن وجزء لايتجزأ من الزمان أثراً من الآثار الذاتية التي لاتوجد في خارج الأعيان آناً فآناً يشاهد هذه الآثار المتنوعة الملتوية في نفسه . وبإعتبار إختلافها يميّز أزمنتها وهذا نادر لايكون إلاّ قليلاً وأهله في كل زمان على غاية العزّة وكل يوم هو في شأن تؤيد ماذكرنا .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) في معنى حديث (سدّوا كلّ خوخة في المسجد إلاّ خوخة أبي بكر) قال المحققون أنه كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه كمال النسبة الحبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأشار بهذا الحديث الى أن جميع الطرق مسدودة لاتوصل إلاّ طريق الحب . والمراد من الرابطة محبة الشيخ المستحق للمشيخة وطريق السادة النقشبندية المتصل بأبي بكر رضي الله عنه مبني على هذه المحبة فما هو إلاّ حفظ هذه النسبة . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) في قول علي رضي الله عنه "لو كُشف الغطاء ماإزددت يقيناً لولا إمتناع الثاني لإمتناع الأول" . فيكون اليقين دائم الإزدياد لأن كشف الغطاء لايمكن ، إذ ثبت عند المحققين أن الذات لاتنكشف إلاّ في تجلّي الصفات أي لاتظهر إلاّ في مظهر . فلما لم تنكشف الذات كما هي ، فلاجَرَمَ أنه يكون اليقين في إزدياد . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) في معنى قول أحد الأكابر "لو أقبل صديق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة فما فاته أكثر مما ناله" . إن هذه الطائفة تصل الى مقام تتضاعف فيه كمالاتها السابقة كل نفس . ومنه ما حُكي أن بعض المحجوبين ذكر عند الخليفة أنه ظهرت طائفة من الزنادقة قد ظلوا فإن تأمر بقتلهم تنَل أجراً عظيماً وتخلّص الناس من طغيانهم . فلما أُحضروا الى دار الخلافة أمر بقتلهم فأخذ السيّاف بيد أحدهم ليقتله . فقام واحد منهم وقال له أقتلني أنا أولاً . فلما أخذ بيد الثاني قام آخر منهم وقال بل أقتلني أنا أولاً . فلما رأى مبادرتهم الى القتل عجب منهم وقال : من أي طائفة أنتم فإنكم لمشتاقون الى الموت . قال : نحن من أهل الإيثار وقد وصلنا الى مقام نكتسب في كل نَفَس ضعف الكمالات السابقة . فكلّ منا يؤثر الآخر ولو بلحظة من الحياة ليغنم تلك الكمالات . فرفع أمرهم الى الخليفة فلما تحقق أحوالهم تنبّه وقال : إن كان هؤلاء زنادقة فليس لله على وجه الأرض صديق . ثم إعتذر إليهم وأعادهم الى وطنهم بكرامة السلامة وسلامة الكرامة .

(قلت) هذه القصة وقعت لأبي الحسين النوري وجماعته كما تقدم في ترجمة السري السقطي في بحث الإيثار .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) في معنى قولهم "أهل الأحوال يتبرأون من الأحوال" ليس الإستغراق والإستهلاك من أسباب الترقي إذ تقرر أن الترقّي يكون بالعمل وقد تعطّل المستغرق عن العمل ، وإنما الإستغراق والإستهلاك من الأمور الآخروية ظهر معجّلاً . فمَن لم يحصل له في الدنيا حصل له في الآخرة على وجه أتم وأكمل . فلهذا يتبرأ أهل الأحوال منها . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) كتب الشيخ محمد پارسا رضي الله عنه إن حقيقة الذِكر عبارة عن تجليه سبحانه وتعالى لذاته بذاته في عين العبد من حيث إسمه المتكلم . ولايكون هذا إلاّ بذكر دائم في زمن طويل الى أن يحصل له دوام الحضور . فإن زال بعد ذلك عنه هذا الحال فهو ممن أنعم الله عليه . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) الصلاة التي هي أفضل الأعمال تختلف بإختلاف البقاع . فإنها في أماكن الفسق والفجور غيرها في مواضع العبادة والحضور ، ومنه يظهر كون الصلاة في البيت الحرام بسبعين ألف صلاة في غيره .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) التصوّف أن تحمل أثقال الكل ولاتضع أثقالك على أحد لا ظاهراً ولا باطناً . (وقال

قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) للشهود معنيان أحدهما شهود الذات منزّهاً عن الظهور في لباس المظاهر . وثانيهما شهوده في المظاهر والمجالي بوصف الوحدة . وتسمية طائفة الصوفية شهود الوحدة في الكثرة ، وهذا مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد البعثة . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) عجبت لمن يقول لاتنظر لمن قال وأنظر لمن قال فإن القائل والمتكلم هو الله تعالى في المظاهر والمجالي .

ومن آدابه لأصحابه

(قال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) إن أهل الإرادة قليلون جداً ، كتب شيخ عظيم لمثله "إن كنتم تعلمون مريداً فأرسلوه اليّ" . فأجابه "ليس لدينا مريد فإن تريد شيخاً نرسل لك ما تريد" . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) قال مولانا ركن الدين الخوافي وكان فاضلاً لا نظير له في عصره محباً لهذه الطائفة : "إنني لأرجو النجاة من أعمالي إلاّ بأمر واحد وهو أني أتيت يوماً بأحجار لأجل إستنجاء الشيخ زين الدين بن كلال فمسحتها بخدّي أولاً ثم قدمتها له" . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) لما أراد الشبلي رضي الله عنه الدخول في طريق الصوفية -وكان أبوه حاكماً في مدينة واسط- تاب وأناب على يد الشيخ محمد خير النسّاج . فأرسله الى الجُنيد رضي الله عنهما . فقال صاحب كتاب "كشف المحجوب" ماأرسله لكونه ليس له قدرة على تربيته بل رعاية للأدب مع الجُنيد إذ كان الشبلي من أقاربه . فأمره الجُنيد أن يكتسب ويرد المظالم التي وصلت اليه في زمن حكومة والده الى أهلها من كسبه سبع سنين ، ثم بتطهير الخلاء وتهيئة الأحجار والماء للإستنجاء سبع سنين . فبعد أربعة عشر سنة لقّنه الذكر وأدخله الرياضة .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) قال بعض الأكابر إن بعد العصر ساعة هي أفضل الساعات فينبغي الإشتغال فيها بأفضل الأعمال . فقال قوم أفضل الأعمال المحاسبة وهي أن يحسب العبد أعماله كلها فما وجد من طاعة شكر الله تعالى عليه وما وجد من معصية إستغفر الله تعالى وتاب . وقال آخرون أفضل الأعمال أن يصحب شخصاً ينتفي ببركة صحبته عنه كل ماسوى الله تعالى ويميل الى الله تعالى وينجذب .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) في معنى قولهم صحبة الأضداد موجبة للتفرقة ، إن أبا يزيد رضي الله عنه وجد يوماً تفرقة فقال لأصحابه : أنظروا هل في مجلسي أجنبي ؟ فنظروا فما وجدوا أحداً . فقال : دقّقوا النظر فإنه إذا لم يكن أجنبي فكيف حصلت لي التفرقة . فلما بالغوا بالتفتيش وجدوا عصا رجل أجنبي فرموها . فعادت له جمعيته . (وجاءه قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) رجل من أصحابه يوماً فقال له الشيخ : إني أجد رائحة أجنبي ، ثم قال للرجل : لقد تحققت الآن إنها منك فلعلك لابس ثوب أجنبي . فقال له : نعم . فخرج ونزع ذلك الثوب ثم رجع وجلس عنده .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) التوحيد عند صوفية هذا الزمان أن يذهبوا الى الأسواق وينظروا الى المُرد ثم يقولوا نشاهد الجمال المطلق . فأعوذ بالله من هذا الشهود فإنه لما قدم السيد قاسم التبريزي الى هذه البلدة -يعني سمرقند- كان أصحابه يذهبون الى السوق وينظرون المُرد ويقولون مثل ذلك . فكان السيد يقول عنهم أين خنازيرنا أين كلابنا . ففهمت من فحوى كلامه انه كان يراهم كذلك .

(ونقل قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) عن حضرة سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه قال : رأيت في مكة المكرّمة زادها شرفاً وكرامة رجلين أحدهما رفيع الهمة وثانيهما دنياً جداً . أما دنيُّ الهمّة فرجل رأيته في المطاف قرب الباب ملتزماً جدار الكعبة بصدره وباسطاً يديه يطلب من الله تعالى غيره . وأما عليُّ الهمّة فشاب لقيته في سوق منى قد إشترى وباع بخمسين ألف دينار وماغفل عن الله طرفة عين ولقد خرج الدم مني غيرة منه .

(وجلس) رجل في مجلسه قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ منكساً رأسه للمراقبة . فغضب منه وقال هكذا جلس رجل في مجلس مولانا نظام الدين -أي الخاموش- قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ فقال له : "إرفع رأسك فإني أرى الدخان يخرج من فيك فمالك والمراقبة إنما ينبغي لك أن تحمل الماء والأحجار للإستنجاء وتكنس الخلاء سنين عديدة حتى يصير لك إستعداد لأن أتكلّم بك . فأين أنت من المراقبة" .

(ونقل قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) عن السيد قاسم التبريزي رضي الله عنه أنه قال : "كنت يوماً في مجلس مولانا زين الدين التايبادي ، فجاءه رجل صوفيّ . فقال له الشيخ : أنت تحبّ شيخك أم الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه . قال : بل أحب شيخي أكثر . فغضب مولانا منه غضباً شديداً حتى قال له : ياكلب . وقام فدخل بيته ثم خرج وقد ذهب عنه الرجل . فقال لي يافلان تعال نذهب الى هذا الرجل الصوفي ونعتذر منه . فذهبت معه فوجدناه أثناء الطريق راجعاً الى زيارة الشيخ ثانياً ، فقال له : يامولانا إنما رجعت لأفيدكم حالي . إن لي مدة مديدة وأنا أعمل بأقوال الإمام الأعظم فمازالت عني صفة من الصفات المذمومة . وصحبت هذا الرجل أياماً قليلة فزال عني جميع الخصال المذمومة . فما المانع من أن أحبه أكثر من الإمام . نعم إن كان لايجوز شرعاً أتركه وأتوب منه . فإعتذر اليه مولانا غاية الإعتذار وإستحسن رأيه .

(وحدّث بعض أصحابه) يوماً نفسه في مجلسه بأن الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ يتوجه اليّ الآن ويتصرّف بي ، فقال له في الحال : كمال التصرّف لايكون مالم تفنَ فيَّ أو أفنَ فيك ، كما قال الشيخ عبدالله الأنصاري رضي الله عنه : "كنت رجلاً فخرجت في طلب عين الحياة فوصلت الى أبي الحسن الخرقاني رضي الله عنه . فوجدتها عنده فشربت منها كثيراً حتى مابقيت لا أنا ولا الخرقاني" .

(وقال) قال الشيخ أبو سعيد قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُما تكلم سبعمائة من المشايخ على ماهية التصوّف وأحسنها وأتمّها "التصوّف صرف الوقت فيما هو أولى به" . (وقال) قال الشيخ نظام الدين قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُما : ينبغي للشيخ أن يلبس اللباس الفاخر ويظهر للمريدين بصورة جميلة مع العظمة والوقار لئلا يكون محتقراً في أعينهم فتضعف رابطته . فإنه لا سبب لحصول مقصود السالك إلاّ الرابطة مع الشيخ ، ولذلك أمر صلى الله عليه وسلم بتسريح اللحية وغيره .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) سألت أكابر علماء سمرقند أن الإنسان إذا رأى في منامه أن إلهه قد مات فما تعبيره ؟ فقالوا مَن رأى أنه مات النبي صلى الله عليه وسلم فيُعبّر بتقصيره في متابعته ، إذ موت النبي موت شريعته وهذا مثله . قال قلت ربما يعبر بأن مَن كان له حضور مع الله تعالى يزول حضوره وشهوده ، إنتهى .

وقال صاحب "الرشحات" قدِّس سرُّه سمعت مولانا الشيخ نورالدين عبدالرحمن الجامي نوّر الله مرقده يقول : "يُحتمل أن يؤخذ تعبيره من قوله تعالى -أفمن إتخذ إلهه هواه- بأن الرائي كان متبعاً هواه فمات إلهه أي هواه فتدلُّ رؤياه حينئذ على زيادة الحضور" .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) لاأقدر أن أسكن بلدة فيها شريف إذ لاأقدر على أداء حق تعظيمه . فقد روي عن الإمام الأعظم رضي الله عنه أنه قام يوماً في خلال درسه وقعد غير مرة وماعلم الحاضرون ماسبب ذلك حتى سأله بعضهم . فقال غلام من الشرفاء يلعب بين هؤلاء الأطفال . فكنت كلما وقع بصري عليه أقوم إجلالاً له وإذا غاب عني أجلس .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) المكرُ مكران : مكرٌ بالعوام وهو أن ينعم الله على العبد مع إستغراقه في

القصور . ومكرٌ بالخواص وهو إبقاء الوجد والأحوال عليه مع تركه للأدب . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) لو أن صوفياً صاحب وجد وحال مشى في طريقه فوجد فيه كلباً فأقامه حتى يمشي مستريحاً ولم يتغيّر حاله بعد هذا الفعل ، فليعلم أن هذا مكر من الله تعالى . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) متى وجدت من صحبة أحد جمعية الخاطر والتوجه الى الله تعالى فدع الذكر إذ المقصود منه حصول النسبة وقد حصلت .

(وقال) مادمت تشير بالهاء وهو والحروف فأنت عبد الحروف لاتنتج شيئاً فاجهد في أن ترفع الغبار وحجب الأغيار من طريقك وتصير عبداً تذكره بلا هاء ولا واو . (وقال) إن حصل لك حضور بصحبة أحد فطريق حفظه أن تجتنب مايكرهه . (وقال) ينبغي لمن أراد المجيء عند هذه الطائفة أن يجيء بالإفلاس التام ظاهراً وباطناً لاالغنى لئلا يُحرم من بركاتهم . (وقال) حاصل هذه الطريقة العلية الإقبال على الله تعالى دائماً إقبالا لاتكلّف فيه .

(وقال) قيمة المرء بقدر إدراكه حقائق القوم . وكان يتكلم يوماً بالحقائق والمعارف والدقائق وكان أحد أصحابه متوجهاً بكليته الى إستماع كلامه . فقال له أنت تحب الكلام فقط ولايفتح باب المرام باستماع الكلام بل اعمل بما تسمع ينفعك .

(وقال) إذا زال لون النقوش الكونية من مرآة المدركة فما ثَمَّ إلاّ الذات . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) دفع الخواطر الرديئة والمقتضيات الطبيعية لايحصل إلاّ بأحد أمور ثلاثة . أولها ؛ أن يُشتغل بما قرره السادات في الطريقة العلية مع إختيار رياضة طريقتهم ومجاهدتهم . ثانيها ؛ أن لايرى لنفسه حولاً ولا قوة بحيث يتحقق أنه لايقدر أن يزيل حجاباً مالم يزل عنه تعالى . فيتضرع اليه سبحانه وتعالى حتى يخلّصه من الحجب . ثالثها ؛ أن يكون متوجهاً الى شيخه يستمد منه ويعتقد أنه لايقدر أن يتوجه الى الله تعالى إلا بواسطته . وهذا أقرب الطرق وأسهلها وأحسنها . ولابد أن يصل من هذا الطريق الى المقصود الأصلي الحقيقي .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) تقليل الطعام والمنام في البداية يحرق الدماغ ويحرم من إدراك المعارف الإلهية والحقائق . ولهذا يقع الغلط في كشف بعض أهل الرياضة . وأما صاحب السرور والإنبساط فلايتضرر بالسهر ولايجف منه دماغه . فقد ذكر الشيخ علاءالدين الغجدواني نوّر الله مرقده أن سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه جاء الى الطوائسي يوماً ومعه نفر من أصحابه . فلما غربت الشمس أمر الشيخ محمد الخياط والشيخ محمد الطوائسي- وكانا من المخلصين- أن يأخذا مَن معه اليهما ويخدماهم . وجلس بعد صلاة المغرب على مكان مرتفع ثم طلب الطوائسي فسأله عما هيأه للأصحاب ، فقال : مرادي أن أقدم لهم دجاجاً وأرزاً . فقال : أحضر الدجاج لأنظر اليه أهو سمين أو لا . فلما حضر جعل يمسه بيده المباركة ويقول (مليح . مليح) وقال لمن معه : إذهبوا الى بيت أخيكم وكلوا وناموا واحضروا الينا وقت الفجر .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) البعد الصوري لأهل الرابطة لايمنع القرب المعنوي .

بوارقه وخوارقه

(روى) الشيخ ناصرالدين الأتراري -وكان من أجلّ أصحابه- عنه قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ أنه قال :

"رأيت في المنام قائلاً يقول لي سيكون للشريعة المحمدية بإمدادك ترويج عظيم وقوة كاملة" . فلما إستيقظت وقع في قلبي أن هذا لايكون إلاّ بإعانة الملوك . قال فلهذا تحول قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ الى سمرقند مقر السلاطين وذلك في عهد السلطان عبدالله بن مرزا شاه رخ -وكنت في خدمته . فلما

وصل اليها جاء رجل من أمراء السلطان لزيارته فقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ له : إني أتيت لملاقاة السلطان ، فلعلك تكون وسيلة لهذا الأمر فتنال تمام الثواب والأجر . قال : إن سلطاننا رجل شاب مستغن عن الكل وملاقاته لاتخلو من عسر ولاينبغي للمشايخ مثل هذا الأمر . فقال له وقد ظهر عليه الغضب : أنا ماجئت إلاّ بأمر الله وإن لم يأت سلطانك يأت غيره إن شاء الله تعالى . ثم لما إنصرف الأمير من عنده كتب قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ إسم السلطان على الجدار بالمداد ومسحه بريقه الأطهر ثم قال لأصحابه : هلمَّ نرجع الى تاشكند الى أن يأتي سلطان آخر . فرجعوا ذلك اليوم فبعد أسبوع مات ذلك الأمير ولم يمض شهر إلاّ وجاء السلطان أبو سعيد من أقصى بلاد التركستان وقتل السلطان عبدالله مرزا وجلس على سريره .

(وقال) أحد أجلاّء أصحابه : كنا في الفركة ذات يوم جالسين في حضوره قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ فدعا بدواة وقرطاس وكتب أسماء كثيرة ، ثم كتب إسم أبي سعيد في كاغد مخصوص ووضعه في عمامته ، فقيل له : مَن هذا الذي وضعت إسمه في عمامتك ؟ فقال : هذا رجل أنا وأنتم وأهل تاشكند وسمرقند وخراسان سنصير من رعيته . فبعد برهة بلغنا خبر توجه السلطان أبي سعيد من تركستان الى سمرقند ولم يكن أحد سمع من قبل ذلك باسمه . قال وكان أبو سعيد قد رأى في المنام الإمام الكبير سيدنا الشيخ أحمد اليسوي –وهو من أعظم خلفاء الغوث يوسف الهمداني– يشير الى الشيخ عبيدالله قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ أن يقرأ الفاتحة على نية إمداده ونصره . فسأله عن إسم الشيخ فأخبره به . فإستيقظ وقد وعى صورته وإسمه . فإستحضر رجلاً من أهل تاشكند فقال : أيوجد في بلادكم رجل إسمه عبيدالله عزيز الوجود . فقال له : نعم . فقصده الى تاشكند فلم يجده فتوجه الى الفركة فلما دنا منها خرج الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ لملاقاته فلما رآه عرفه وترجّل في الحال وقال : والله إن هذا هو الذي رأيته في المنام . ثم أقبل وقبّل يد الشيخ ورجله . فرحّب به قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ والتفت اليه إلتفاتاً تاماً فإنجذب قلب السلطان اليه ثم سأله قراءة الفاتحة ، فقال له : الفاتحة تُقرأ مرة واحدة . فإستأذنه بالتوجه الى سمرقند . فقال له : إن كنت تريد نصرة الشريعة المطهّرة والعدل بين الرعية فبسم الله والفتح معك . قال : إن أريد إلاّ ذلك . قال : فاذهب فأنت في عصمة الله وقد حصل المراد ثم إذا لقيت العدو فصابره حتى تأتي قطعة من الطير الغرابيب من ورائكم فعند ذلك هاجمه تظفر به .

فلما إلتقى الجمعان كانت الغلبة أولاً لجيش عبدالله مرزا لكثرته وقلة أولئك . فإلتفت أبو سعيد ورآه فرأى الغرابيب مقبلة . فزحف على العدو فهزمه وسقط فرس عبدالله مرزا في الطين فأدركوه فقتلوه . فإستولى السلطان أبو سعيد على ملكه ثم إستدعى الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ الى سمرقند . فجاء اليها وأقام بها هو وأصحابه قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ .

(وبلغ) السلطان أبا سعيد أن مرزا بابر حفيد شاه رخ قصده من خراسان بمائة ألف فارس ليأخذوا ثأر عمه ويستخلص ملكه . فذكر ذلك للشيخ رضي الله عنه وشكا من قلة عدده وعُدده . فقال له لاتخف . فلما قرب مرزا بابر من سمرقند إستشار أبو سعيد أمراءه فأشاروا اليه بالرجوع الى تركستان . فتهيأ للرحيل فلما بلغ الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ ذلك أتى إليه وثنى عزمه عن ذلك وقال : أنا إن شاء الله تعالى أكفيك عدوك . فلما نازل مرزا بابر سمرقند وقع الوباء في عسكره فطلب من الشيخ رضي الله عنه أن يأتي الى معسكره لعقد المصالحة . فهمَّ بذلك فأبى عليه السلطان أبو سعيد وقال : أخاف أن يستميل قلبك بالخديعة

والحيل فـتبـقى عنده ، وأنا أموري كلها دنـيوية وأخروية منوطة بـأمركم مفـوّضة لنظركم . ثم سـمع قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ أن مرزا بابـر يقـول نحن لم نقـصـد سـمـرقند إلاّ لـسـبي نسـائهم وأبنائهـم . فـأعـرض حـينـئـذ عن التوسط بينهما ، وقال : إن في سمرقند رجالاً صالحين وعبـاداً عُبّاداً زاهدين فقد توجهت لدفعه عنها رحمة بهم . فلم يلبث أن إنصرف خائباً خاسراً .

(وروي) أن ميرزا بابر كان من المتصوّفة فكان يضطجع وقت الحصار على جدار الحصن ويقول : العارف لا همّة له العارف لا همّة له ويكررها . ثم يقول : إن لم أخذ سمرقند فليس الشيخ عبـيدالله من العـارفين لأنه يكون قد ردّني بهـمّته والعارف لا همّة له . فرفع ذلك اليه قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ ، فقال : كأنه مافـهم معنى هذه العبارة فإن مرادهم بها أن العارف مَن فـنيت ذاته وصفاته في ذاته تعالى وصفاته فلم يبقَ له لا إسم ولا رسم فـما يصدر منه لايُنسب اليـه . قـال تعالـى (وما رمـيت إذ رمـيت ولكن الله رمى) (فلم تقـتلوهم ولكن الله قـتلهم) وإلاّ فـإن الأنبيـاء كنوح وهود عليـهم الصلاة والسـلام صـدر منهم بتسـليط القوة القـاهرة على قومهم ما هو أعظم من ذلك .

(ولما) أفضت سلـطنة سمرقند الى مـرزا أحمد أحد أولاد أبي سعـيد من بعده شـاع أن أخاه مـيرزا محـمود عازم على منازلته في سمرقند . فكتب اليه الشيخ رضي الله عنه :

"أما بعد فـإني أستوهبك سمـرقند التي سمّاها الأكـابر البلدة المحفوظة فلاتقـصدها بأذى إذ لايليق بكم ولايوافق رضا الحق تعالى ولايطابق شريعـة نبيه صلـى الله عليه وسلم . وماكـتبت اليكم إلاّ لمحبتي لكم وإبتـغاء نفـعكم فـأنا خادمكم المؤدي حق الخدمـة . والعجب أنكم قبلتم كلام أهل الأهواء ولم تقـبلوا كلامي . مع أن فـي مدينة سمـرقند كثـيراً من الفـقراء الصلحاء والعـباد الزُهّاد . فـالحذر من أن تتـعرض لهم فيدعون والعياذ بالله عليك فيُستجاب لهم . والفقير لاإرب له بذلك إلاّ نصحك والسلام" .

فمـا قـبل وأقبل بجيش جرار فنزل على المدينـة فأتى السلطان مـيرزا أحـمد الى الشـيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ فـإستـأذنه بالخروج من سمـرقند . فلم يأذن له وبشّره بالنصـر وتكفّل له بالظفـر . فـإطمأن قـلبه فـأدخله وجلس رضي الله عنه عند بابها وأحضر له ناقة سريعة السيـر مع زاد أيام وقال له متى دخل ميرزا محمود من باب السـور إركب أنت والجيش واخرج من باب آخر . فـسكن ما به وهدأ روعـه ثم إنه رضي الله عنه دعـا بثـلاثة من أعظم أصحـابه وقال لهم : إصعدوا سطح بـاب السور تلقـاء العدو ولاتنزلوا حتى ينصـرف وإلاّ فلا مقـام لكم عندي ولاتقربون . فـفعلوا ، فلما تصـاف الجيشـان إقتتلا من الصباح الى وقـت الضحى ، فكاد أن ينغلب جيش سمـرقند . فأرسل الله تعالى ريحاً عاصفـة أثارت قتاماً إكفهرّ منه الجو ، فلم يستطع الراكب أن يثبت على دابته ولا الماشي أن يخطو خطوة . وكان السلطان محـمود في غار مع أمراء أجناده فسمعوا من داخل الغـار صيحـة هائلة مـات من هولها أربعـمائة شـخص وأزالت شعـور الباقين . فـفرّ مـيرزا مـحمـود فراراً فظيعاً . فاتبعـهم أهل سمرقند نحـو خمسة أمـيال وأوسعـوهم سبيـاً وسلباً وطعناً وضرباً ثم رجـعوا . فنزل حينـئـذ أصحـاب الشيخ عن ظهر السور وأخبـروه بذلك . فقـال لميرزا أحـمد أخرج الآن لمسندك وإطمـئن على سرير سلطنتك ، فخرج شاكراً برّه قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ .

(قال) صـاحب "الرشحات" إن الله تعـالى أعطى الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ من تسخـير الملوك له وإطاعتـه ما لم يعط أحداً من قبل ، حتى إنه قال ذات مرّة :

لو أنّي تصدّرت للمشيخـة ماأبقيت لأحد من مشايخ العصر مريداً ولـكن الله أمرني بأمر آخر ، وهو إنقاذ

المسلمين من شرّ الظلمة وأيدي المخالفين ، ولهذا خالطت السلاطين إبتغاء تسخيرهم لنفع المسلمين . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) أيضاً أعطاني الحق تعالى في التصوف قوة عظيمة بحيث لو أرسلت ورقة الى ملك الخطا وهو يدّعي الألوهية لجاء حافياً بلاتوقف . ومع هذا لاأتصرف في ملكه تعالى بقدر ذرة ، بل أقف عند حد أمره عزّ وجلّ . فإن من آداب هذا المقام أن تكون إرادتك تابعة لإرادته جلّ وعلا لا العكس اه .

قال ويشهد ذلك ماوقع منه عند مصالحته للملوك الثلاثة . وذلك أنه ورد الى سمرقند خبر بأن السلطان محمود والسلطان عمر شيخ تحالفا على منازلة أخيهما السلطان أحمد في سمرقند وخرجا بعسكر كثيف جداً حتى نزلا في ضاحية رضا شاه رخية (محل منسوب لشاه رخ) . وخرج السلطان أحمد فعسكر بها أيضاً وسأل الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ الصحبة . فأجابه رجاء أن يصلح الله بين هاتين الفئتين العظيمتين . فأقاموا أربعين ليلة يرقب كلّ منهم الآخر . فقال للسلطان أحمد : لم أتيتم بي الى هذا المكان ؟ إن كان مرادكم الحرب فإني لست من أهله والصلح فلمَ هذا التأخير ؟ فقال : سيدنا ومولانا الرأى رأيكم فقد فوّضت أمري اليكم فافعلوا ماتشاؤون فإني لاأخالف لكم أمراً .

قال فتوجه قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ الى معسكر الفئة الثانية فخرج الملكان لإستقباله وبالغا في تكريمه وإجلاله . فإلتفت اليهما بكلّيته وألجأهما الى الصلح فإمتثلا أمره غير متوقفين . فلما كان من الغد أمر أن يتهيأ جيش الملوك الثلاثة ويبقى كل جيش في محله وينصب خباءً وسط الجيوش وإستدعى الملوك الثلاثة اليه ، فحضروا . فلما تلاقوا عانق ميرزا أحمد مع أخيه ميرزا محمود ، وأخذ بيد ميرزا أحمد فمسح بها وجه أخيه ميرزا عمر شيخ . فبكوا بكاءً كثيراً حتى أبكوا الجمّ الغفير ثم أجلسهم تحت الخباء . وكان لمجلسهم هيبة عظيمة ترتعد منها فرائص الجبال والعساكر من حولهم وقوفاً صفاً صفاً مترقبين لو حصل ما يوجب الحرب لإنقضّوا على بعضهم كالسيل الجارف . قال فوضعوا المائدة وأكلوا جميعاً ، ثم طلب الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ إرتجالاً من ميرزا أحمد أن يتنزّل لأخيه ميرزا محمود عن مدينة تاشكند . فأجابه بالحال لذلك . فختم المجلس بالتبرّك بفاتحة الكتاب ثم إنصرف كل منهم بجيوشه الى حاضرة سلطنته شاكرين أياديه وبرّه قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ .

(وعن الشيخ مصطفى الرومي رحمه الله) وكان من خدمة تجارته أنه قال : مررت مرّة عند منصرفي الى سمرقند على مدينة (سير) من أعمال سمرقند ، فلقيت أميرها (ميرك حسن) . فقال لي : أنت رجل صالح ومرادي أن أرسل الى الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ رسالة ، فهل تقدر أن تؤديها . فقلت : نعم . فقال : قُلْ له إنه مابقي في ملك ميرزا أحمد إلاّ بلاد قليلة فهلاّ أخذتها وخلّصتنا منها . فلمّا بلّغته ذلك تمعّر وجهه الشريف وغضب غضباً شديداً ، ثم قال : يأمرني الكلب أن أكون سلاّخاً . فدخل بيته فجعل أصحابه يلومونني على ذلك . ثم بعد خمسة عشر يوماً وقع من ميرك حسن أمر أغضب السلطان فأمر به فسُلخ حياً .

(وتوجه قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) يوماً الى بلدة (القرشي) فأتاه أحد خدّام إبله وهو قره أحمد العربي وهو يبكي ويقول : إن السيد أحمد سارد آذاني كثيراً وظلمني . فتأثر رضي الله عنه من ذلك تأثراً كلياً ولم يتكلم . فلما رجع الى سمرقند إستقبله الأمراء وفيهم السيد أحمد المذكور . فلما إجتمعوا عنده توجه اليه وقال له : أنت تضرب خادمي وتؤذيه فاعلم أني أنا كذلك أعرف طريق الضرب والأذى . وطرده من مجلسه ولم يزل مغضباً الى وقت العصر لايكلم أحداً . فبعد أسبوع مرض السيد أحمد فلما إشتد مرضه أرسل الى السلطان

بأني وقع مني سوء أدب في جانب سيدنا ومولانا فإعتذروا لي منه واسألوه أن يعفو عني . فأرسل بعض أمرائه المقبولين عند الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ اليه في ذلك . فقال له يطلب مني السلطان إحياء الموتى وأنا لست عيسى فمات ذلك اليوم .

(وله رضي الله عنه) خوارق غريبة وكرامات عجيبة أقلّها ما إطلعت عليه من إنقياد سلاطين ماوراء النهر ووقوفهم إما في رحابه وإما بين يديه . وأما كشفه عن المغيبات وإخباره عن الخفيات مما أفرده العلماء بالتأليف كصاحب "الرشحات" فهو أجلُ من أن يُحصر ويُحصى فالعمر يستقصر دونه ولايُستقصى .

(توفي رضي الله عنه) وقت العشاء ليلة السبت سلخ شهر ربيع الأول سنة ثمانمائة وخمسة وتسعين في قرية (كمان كران) بعد أن حمَّ تسعة وثمانين يوماً . قال بعض الأكابر وحكمة مرضه هذا المقدار أن سنّه الشريف تسعة وثمانون سنة وفي الحديث الشريف "حمى كل يوم كفارة سنة" . وذكر نجله الشيخ محمد يحيى وجمٌّ غفير من أصحابه الحاضرين أنه خرج عند نَفَسه الأخير من بين حاجبيه نور باهر طمس ضوء الشموع . وقد زُلزلت سمرقند وقت صلاة الجمعة عند إشتداد مرضه . فعلم الناس أن الشيخ قد آن إحتضاره ووقت العشاء عند خروج روحه الزكية أيضاً وكان قد حضر السلطان أحمد بعساكره وقت الغروب . ثم يوم السبت حملنا نعشه المبارك الى محلة الشيخ (كفشير) بكاف ففاء فشين فياء فراء .

(ودُفن) في محوطة ملايان (ج : ملا) أي مدفن العلماء وبنى عليه أنجاله قبة عظيمة هي محط رحال الرحمات العميمة ، وسنّه الشريف نحو تسع وثمانين سنة وله شبلان من أنجب الأشبال قد بلغا في حياته مبلغ أكابر الرجال :

الأول ؛ الشيخ عبدالله وكان يدعى بخواجكان ، خواجه أي شيخ المشايخ وبالشيخ كلان . (وكان الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) يعظّمه ويقرّبه لفضله وعلمه وعلوّ أذواقه وشهوده ووفور عرفانه . ولقد أراد يوماً زيارة أبيه وكان بيته في قرية أخرى . فلما إتصل بالشيخ خبر مجيئه وضع عمامته على رأسه ولبس خفته وجبته ثم إستقبله وأتى الى حجرته وقدّمه على أصحابه وجميع مَن في حضرته من العلماء ، وسكت لحظة ثم قال له تكلم بما يستفيد منه الناس . فأظهر التواضع له وإعتذر منه فأخذ تفسير القاضي البيضاوي رحمه الله وقرأ له آية فابتدر الشيخ كلان يتكلم عليها من المعاني الظاهرية والإشارات الغيبية والحقائق الباطنية بما بهر به عقول أهل المجلس . ولم يستطع أحد أن يوجه أدنى إعتراض عليه . ثم حضر الطعام فأكلوا ثم إستأذنه بالذهاب فخرج رضي الله عنه مشيِّعاً له الى الباب . ولم يزل ملجأ كل مريد ومعاذ الخائف من كل شيطان مريد حتى توفي والده المكرّم وحصل له في مدة إستيلاء الأوزبك على سمرقند ما أوجب خروجه الى (اندجان) . فتبوّأها حتى إنتقل الى الجنان وقد نيّف على الستين ودُفن ثمَّ قدِّس سرُّه .

وقد أعقب سبعة أنجال أنجاب كلهم علماء هادون أولياء مرشدون : أولهم ؛ الشيخ نظام الدين عبدالهادي قدِّس سرُّه . كان تحفة الزمان وبركة الأقران . قدم الى القسطنطينية في عهد السلطان بايزيد خان ونال منه تمام الحظوة . ولما توفي أعقب نجلاً عالماً صالحاً ومرشداً فالحاً وهو الشيخ قاسم ولد زمان مولانا أحرار وحظي ببركة وجوده . وقدم القسطنطينية والشام قدِّس سرُّه . ثانيهم ؛ الشيخ خاوند محمود قدِّس سرُّه . لقّنه جده الذكر وهو إبن إحدى عشرة سنة وبشّره بأنه سيكون في مقامه وكان كما أشار رضي الله عنه . رابعهم ؛ الشيخ عبدالعليم قدِّس سرُّه . خامسهم ؛ الشيخ عبدالشهيد قدِّس سرُّه . سادسهم ؛ الشيخ أبو

الفيض قدِّس سرُّه . سابعهم ؛ الشيخ محمد يوسف قدِّس سرُّه .

الثاني : الشيخ محمد يحيى . وكان الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ يحبه محبةً مفرطة حتى أقامه مقامه آخر حياته مع أنه أصغر أنجاله . وكان لايخاطِب في حضوره أحداً غيره وكثيراً ما كان يتكلم معه في الحقائق والمعارف الإلهية . وكان إذا خلا به يذكر قصة شهادة سيدنا الحسين عليه السلام ويقول له : "إنك على قدمه وسينالك نصيب وافر من إستعداده" . فبعد إنتقاله رضي الله عنه إستولى السلطان بخت خان مستهل محرّم سنة ست وتسعمائة على تخت سمرقند وإنتزع جميع ما كان للشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ وأمر بخروج الشيخ محمد يحيى الى خراسان . وكان قد سعى به عنده رجل من العلماء خدم أباه ثمانية وعشرين سنة ، فلم يلتفت اليه ولا لقنه الذكر . وكان من عادته قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ أنه إذا إطلع على باطن أحد أنه يتولى الرياسة لايعلّمه الطريق كما قال لأصحابه حينما شفعوا عنده في قاضي اندجان ، وكان قد خدمه كذلك : "إني أنظر الى باطن الناس فمن كان فيه طلب الرياسة والجاه ولو بعد عشرين سنة لايعجبني أن ألقنه الذكر" . فأرّخ أصحابه ذلك . فبعد عشر سنين وقع كما أخبر رضي الله عنه .

قال في "الرشحات" حتى إن ذلك العالم قال لي يوماً : نفسي تحدّثني أن آخذ سكيناً فأجعلها في أحشائي أو أحشاء الشيخ لأني إتخذت كل الوسائل لإستجلاب رضاه فما أمكن . وبقي يخدمه الى أن إنتقل . فلما جاء التاتار مال اليهم ونال جاهاً عظيماً ورياسة كاملة . فيوم خروج الشيخ يحيى قدّس سرّه قال أحد الأمراء الأخباث للسلطان إن له أتباعاً كثيرة في خراسان فإن وصل اليها ربما تجددت الفتنة والفتنة أشد من القتل فأقتله هو وأولاده فما قبِلَ . فألحوا عليه فقال أنتم أعرف بتدبير أمر الملك فافعلوا الأصلح ، ثم أرسل الى الشيخ خفية يخبره بذلك وبعث له دابة تمشي كل ليلة ثلاثين فرسخاً وقال له أنجُ بنفسك الى خراسان وأنا أرسل اليك ثقلك بعد . فماقبل وقال للخادم قل له : "حصل لك الأجر والثواب فجزاك الله عنا خيراً غير أني مبشّر من والدي بالشهادة فلعل هذا وقتها" . ثم خرج بمن معه فلما أن جاوز تاشكند قال سبحان الله لقد كدنا أن نجاوز سمرقند فأين بشارة والدي مع إني على يقين أن بشارته لاتتخلّف . فبينما يسير في صحراء قرية (كراب) إذ خرج عليه ثلاثمائة فارس من الأوزبك فسقوه هو وولديه زكريا والشيخ عبدالباقي كأس الشهادة وأعادوا ما بقي من أولاده وهو الشيخ محمد أمين وأتباعه وأثقاله الى سمرقند . وحمل بعض أحبابه المخلصين تلك الهياكل المقدّسة الى سمرقند الى محلة الشيخ كفشير ودفنهم عند الشيخ رضي الله عنه . وكان لجنازتهم هول عظيم ومشهد كبير حشر له الناس من كل جانب وبكى دماً عليهم الأقارب والأجانب . وكان مولانا الشيخ عبدالرحمن الجامي معتقداً له ويقول إن نسبة الخواجگان والجذبات النقشبندية غالبة عليه والنسبة العلمية على الشيخ كلا قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُم .

(وأما) أصحابه فلايُحصون عدداً ولايُدركون مدداً ، من أعظمهم ولي الشرفاء وشريف الأولياء مولانا السيد حسين قدِّس سرُّه . كان من أعلم أصحابه وأقدمهم أتى والده به الى حضور الشيخ وعند الشيخ ظرف من عسل فبادر اليه فتبسّم الشيخ وقال له : ماإسمك ياغلام ؟ فقال : عسل . فقال : قابليته قوية قد ذاق العسل وفنى فيه حتى نسي إسمه فإن ذاق غيره صار كذلك . ثم تقبّله وأقبل عليه بتربيته وأرسل به الى المكتب . فلما ختم القرآن المجيد أمره بتحصيل العلوم . فأصبح من العلماء المتبحرين ، ذلك والشيخ يمدّه بأنواره القدسية ويهتم لترقيته الى المراقي الإلهية حتى وصل الى مرتبة الكمال ، بل الى درجة الإكمال . وله فضائل وفيرة وكشف كالشمس في الظهيرة .

(قال) صاحب "الرشحات" لما قدم مولانا أحرار الى كفشير جعلت تزوره السلاطين والأمراء وأعيان سمرقند فلم تصل الأحباب والفقراء اليه . فخطر لي أنه لو إختار سيدنا العزلة لكان أحسن فإن الطالبين ينتفعون أكثر . وذهبتُ ساعتئذ الى السيد حسن فإذا عنده علماء سمرقند يقابلون معه كتاب "إحياء العلوم" ، فلما رآني سكت مدة ثم توجه اليّ وقال : قال بعض العلماء ذهبت لزيارة سيدنا أحرار قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ وأنا أقول في نفسي لو أن الشيخ يترك الوعظ ويختار الخلوة وعدم الإختلاط مع السلاطين والأغنياء لكان أولى في مخالطتهم من التفرقة وقلة التوجه للطالبين . ثم إلتفت اليّ وقال : أنت عالم فاضل وفقيه قد وقعت لي مسألة مشكلة أحب أن تحلّها ، وهي أن رجلاً مقبول الكلمة عند المبتدعة والظلمة فهو يخلّص المسلمين من ظلمهم ويزيل البدع وعوائد الجبّارين من بينهم ، فهل يجوز له ترك الإختلاط بهم وإختيار الخلوة والعبادة أو لا . وأيُّ الأمرين أهم بالنسبة اليه وأولى . فقلت : ترك العزلة بل النوافل والحالة هذه فرض عليه . فتبسّم مولانا أحرار وقال : أنت تفتي بهذا ثم تعترض . فدفع السيد حسين قدِّس سرُّه بهذه الحكاية ذلك الخاطر عني .

(ومن أشهرهم) مولانا قاسم قدِّس سرُّه ، وهو من أجلّ أصحابه المقبولين عند جنابه ، وكانت الأصحاب الأعزة تسميه ظلّ الشيخ لملازمته له وفنائه عن نفسه وبقائه به ، حتى إنه آثر الشيخ بالحياة على نفسه حين مرض فشفي الشيخ ومات هو . وذلك يوم الإثنين لستّ خلت من ذي الحجة عام أحد وتسعين وثمانمائة كما سيأتي ذلك في ترجمة مولانا محمد الزاهد قدِّس سرُّه . ولما توفي حزن عليه الشيخ وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ في شأنه أنه لانظير لمولانا القاسم في التجريد والفناء . وقال الإشتغال بالذكر أولى من التوجه ليحصل الفناء والتجريد الباطني الذي كان عليه مولانا قاسم . قال الإمام الغزالي : "السلوك يعني السير اليه تعالى لايتيسّر بلا إعراض وإقبال وهو معنى الكلمة الطيبة لااله إلاّ الله" .

(ومن أكرمهم) المير عبدالأول قدِّس سرُّه ؛ هو صهره الأطهر والوارث لسرّ نوره . إشتغل برابطته سبع سنين مع رعاية الآداب والشروط المقررة ولم ينل إلتفاته ، بل كان كلما وقع عليه نظره أقامه من مجلسه وأظهر الغضب لرؤيته . ثم عطف عليه لما تحقق من ثباته وصدق محبته وزوّجه بابنته فأولدها ثلاث بنين هم (المير كلان والمير مَيان والمير خورد) وبنتان . (توفي) في أوائل شهر ذي الحجة عام خمسة وتسعمائة قبل إستشهاد سيدنا يحيى بأربعين يوماً .

(ومن أعزّهم) مولانا جعفر قدِّس سرُّه . كان عالماً عاملاً وعارفاً كاملاً يغلب عليه الإستغراق حتى إن الشيخ كلفه للإشتغال بالزراعة ليخف ذلك عنه فماأفاد . يقول قدِّس سرُّه مال قلبي إبان طلب العلم الى طريقة الصوفية فرأيت في المنام سيدنا أحرار فقلت له متى يصل العبد الى الله تعالى ؟ قال إذا فنى عن نفسه . فلما إنتبهت تشرّفت بزيارته ولم أكن زرته قبل . فلما جلست قال : يامولانا جعفر أتعرف متى يصل العبد الى الله تعالى ، إذا فنى في عبوديته . (توفي) عام ثلاثة وتسعين وثمانمائة وصلى عليه الشيخ وشيّعه وجلس حتى دفنوه قدِّس سرُّهم .

(ومن أكبرهم) مولانا برهان الدين الخلتاني قدِّس سرُّه . البحر الزاخر في علم الباطن والظاهر . صحب الشيخ أربعين سنة سفراً وحضراً ولما مرض عاده الشيخ قدِّس سرُّه وأخذ يتكلم عنده على قوله الله صلى الله عليه وسلم "جددوا إيمانكم بقول لااله إلاّ الله" . فقال : "المراد بجددوا أن يحصل للعبد كلما كررها إنجذاب ومحبة لله تعالى" . قال الحكيم الترمذي يُفهم من الأمر بالتجديد أن الإيمان يُخلق وخلقه عدم الوله

والإنجذاب والمحبة من العبد . فينبغي للطالب أن يزداد محبة وشوقاً اليه كلما قال هذه الكلمة . (توفي) بعد إنتقال مولانا جعفر بأسبوع قدِّس سرُّه .

(ومن أعرَفهم) مولانا لطف الله الختلاني قدِّس سرُّه . كان في العلوم الظاهرية بحراً وفي الأسرار الباطنية بدراً . وكان الغالب عليه البسط بحيث لايتكلم إلاّ متبسّماً . وكان الشيخ يمازحه كثيراً حتى قال له مرة : يامولانا لطف الله أي إمرأة تختار إن أردت أن تتزوج ؟ فقال : الحلوة الخضرة . فقال له : قد أخطأت إذ بعد أيام تزول حلاوتها وتبقى خضرتها ، ثم قال ، التزوج بلاء عظيم للطالبين . وقال التزوج مادة الهوى وحرص النفس فاترك الحرص وكن مع الله تعالى .

(يقول مولانا لطف الله) رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وقت الطفولية في صورة لم أرَ لها في الجمال نظيراً . فلما تشرّفت بلقاء الشيخ قال إن بعض الناس يرى النبي صلى الله عليه وسلم في صور مختلفة ثم نظر اليّ في أثناء كلامه . فرأيته على الصورة التي رأيت النبي فيها فلزمت صحبته . وكان يوماً في يده "شرح المنازل" للشيخ عبدالرزاق الكاشي وبعض العلماء يسأله عن مسائل منه . فقلت في مسألة يُحتمل أن يكون المعنى كذا . فلم يقبله فغضب وتكلم كلاماً وجدت كأن جبلاً وقع عليّ من ثقله . فنظرت الى وجهه فرأيت أن نوراً سطع من جبهته وشرع يزداد حتى ملأ البيت والدار . فداخلني رعب كاد أن يقتلني ثم جعل يخف شيئاً فشيئاً حتى عاد الى حاله الأول . وكنت معه في سفر وكان راكباً على فرس سريع وأنا على فرس بطيء المشي فتقدمت عليه لئلا أتخلف عنه . فلما وصل اليّ ضربه بسوطه وقال : "أليست دابتك سريعة ؟" فصارت أسرع مايكون .

(ومن أكبرهم) مولانا شيخ قدِّس سرُّه ؛ كان ملازماً للذكر بحبس النَفَس . يقول قدِّس سرُّه إنني أذكر بالنفي والإثبات في نَفَس واحد خمسين مرة مع ملاحظة الوقوف القلبي والعددي ولايضيق نفسي ولايظهر أثر على وجهي . وقد فوّض الشيخ اليه أمور دنياه . قال فحصل لي تفرقة من الإشتغال بالدنيا بعدما نلت جمعية الخاطر . فذهبت مرة لحضوره أشكو اليه ذلك وأنا مغموم منه . فلما وصلت قال قدِّس سرُّه : يامولانا الشيخ إن الخلوة في الجلوة في هذه الطريقة أصل عظيم مبني على طريق الخواجكان وهو مأخوذ من قوله تعالى (رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) ، ونسبتهم محبوبية والمحبوب لايكون إلاّ مستوراً إذ المحب غيور فينبغي أن تستر هذه النسبة بشغل من أشغال الدنيا . فصرت أتضرع في نفسي اليه إني لاأقدر على ذلك . فقال : وجّه الهمّة حتى يعطيك الله تعالى قوة الجمع . ثم توجه قدِّس سرُّه اليّ في غضون ذلك فتمكن منّي الجمع بحيث صار النوم واليقظة والأشغال الدنيوية والاخروية عندي سواء ولله الحمد . (توفي) أواخر سلطنة شيبك خان ودُفن في محوطة ملايان قدِّس سرُّه .

(ومن أعلمهم) مولانا سلطان قدِّس سرُّه . كان من أجلاّء العلماء وعلماء الأجلاّء . جمع علوم الظاهر الى فهوم الباطن . يقول قدِّس سرُّه : ذهبت في خدمة الشيخ الى (ماتريد) فأردت وأنا ماشٍ معه أن أشتغل بالمراقبة والتوجه فلم يتيسّر لي . فإشتغلت بالنفي والإثبات فحصل لي الحضور واللذة . فلما وصلنا وجلست معه قال لي بعد لحظة : هل إشتغلت بالنفي والإثبات ؟ قلت : نعم . قال : لما جلست ظهرت نسبته . ففهمت أن الحضور مع الله تعالى وإن كان واحداً ولكن يختلف بإختلاف السبب ولايظهر هذا الفرق إلاّ لأخصّ الخواص من الأولياء وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

(ومن أفضلهم) مولانا أبي سعيد الاوبهتي قدِّس سرُّه . هو من أكابر العلماء العارفين . لازم خدمته

خمساً وثلاثين سنة . يقول قدِّس سرُّه : سبب هدايتي أني كنت في مدرسة (ميرزا ألغ بگ) مشتغلاً بتحصيل العلم فحصل لي يوماً ملل من المطالعة ورأيتني مائلاً لطلب الحق وصحبة المشايخ . فرأيت أحد أحبابي من الطلبة فقلت له : من أين وماهو حالك ؟ قال كنت في جبل النور في صحبة الشيخ ألياس العشقي- وبالغ في مدحه . فقصدته فمررت على مدرسة سيدنا فإذا به قد جاء راكباً ونزل على باب المدرسة . فقلت في نفسي أنا لم أره قط فأزوره أولاً ثم أذهب الى جبل النور . فدخلت على أثره الى المدرسة فجلس على دكة كبيرة مع أصحابه فجلست تلقاءه . فسكت لحظة ثم أنشد بالفارسية بيتاً عرّبه صاحب "الرشحات" بقوله :

في صحبتي كُنْ ولاتقصد الى جبل   فلا معاذ تراه اليوم في جبل

فتأثّرت من سماع هذا البيت ، وقلت في نفسي إن يكن أنشده من أجلي فليعد مرة أخرى . فتوجه اليّ قال : ياأبا سعيد هذا البيت من كلام الشيخ خجند . وأعاده ثم قام وركب وذهب وقد جذب قلبي اليه . فتحيّرت في نفسي وجعلت أقول إنه لايعرف إسمي فكيف ناداني وقرأ هذا البيت . فخرجت فلقيت بعض الأحباب ، فقلت له إذهب الى مدرسة مرزا الغ بگ وقل لقيّمها أن جميع ما في حجرتي من كتب وغيرها هو له فليتصرّف فيها . ثم مضيت فجلست عند باب الشيخ فبقيت سنة كاملة لم يلتفت اليّ ظاهراً وباطناً . فكان يزداد الإنجذاب والترقّي يوماً فيوماً . ثم بعد سنة أقبل عليّ . اه . وله كلمات في المعارف قدسية منها مافسّر به سورة (الإخلاص) بقوله :

"إن أول موجود أوجده الله تعالى بلا واسطة شيء هو التعين الأول . ولما كان إظهاره من المبدأ الفيّاض يشبه الولادة قال تعالى لم يلد نفياً لشبه الولادة ولما ظهر تعالى في المظاهر الإلهية بحسب الذات والأسماء والأفعال . وكان هذا الظهور يشبه المولودية قال تعالى "ولم يولد" نفياً لشَبَه المولودية ولما جعل الحقّ تعالى هذا النوع الإنساني مظهر جميع أسمائه . إن الله خلق آدم على صورته أو صورة الرحمن . فكان مرآة ذاته الأقدس الذي هو "الله أحد الله الصمد" صفته . وكان هذا التوهم كفراً نفى هذه المشابهة بقوله "ولم يكن له كفؤاً أحد" .

وقال قدِّس سرُّه :

"ذهبت وأنا صغير مع أبي الى مجلس الشيخ شمس الدين محمود الكوسوي . فسمعته يقول في قوله تعالى (أحسن كما أحسن الله إليك) أظهرك فعلّمك تعالى بقوله أحسن كما أحسنت أي افنَ فيَّ حتى تكون باطناً أو ظاهراً ثم طفق يتكلّم بكلام من الحقائق الإلهية لشدّة غموضه غلب النعاس على أكثر الناس . فقال مالكم لاتسمعون كلامي وتنعسون واني لو كلمت سقف المسجد لتأثّر من كلامي ووعظي- وأومأ الى السقف وكان من خشب فإضطرب الخشب وتحرك كما تتحرك الأرض من الزلزلة . ففرّ أكثر الناس الى ظاهر المسجد ومَن كان قرب المنبر أخذ بقوائمه ثم سكت زمناً طويلاً حتى تراجع الناس فعاد لكلامه قدِّس سرُّه .

(ومن أفضلهم) مولانا الشيخ حبيب البخاري التاشكندي . كان من المقرّبين والوارثين لما كان عليه من المعارف الغالية والأخلاق العالية . وقد فوّض اليه خدمة المائدة فنال بذلك من توجهاته أعظم فائدة قدِّس سرُّه .

(ومن أحبهم) مولانا نورالدين التاشكندي . كان من نظره الشريف بمكانه وله تمام الإرتباط برابطته

الشريفة . فقال له بعض الأصحاب الإشتغال بهذا في الصلاة كاد أن يكون كفراً فاتركه من التحريم الى التسليم . ثم توجه اليه بعد فبلغ ذلك الشيخ فقال : كيف إذا خطر ببال المصلّي فرس أو عبد أو سبب دنيوي في الصلاة لايُكفّر وإذا ربط قلبه بمؤمن يُكفّر ؟ ووقع في سمرقند طاعون وأصيب الشيخ قدِّس سرُّه به فإستئذنه أن يفتديه بنفسه . فأبى وقال "أنت شاب ولك آمال ومارأيت من الحظوظ شيئاً" . فقال ليس لي أمنية بشيء ولا نفع لأحد وأما وجودكم الشريف فهو مظهر النفع في الدنيا والآخرة فقد فديتك بنفسي . فإنتقل مرضه اليه وتوفي بعد ثلاثة أيام وشفي الشيخ قدِّس سرُّهما . ومرّ الشيخ بقبره وهو راكب مع أصحابه فرأى بعض أهل الكشف منهم أن مولانا نورالدين إنقلب في لحده وتوجّه وجهة الشيخ فقال له مولانا نورالدين : "توجّه الى القبلة" فتوجّه .

(ومن أحسنهم) مولانا زاده الشيخ محمد عبدالله الأترازي قدِّس سرُّه . كان من المنتسبين الى الطريقة العشقية أولاً ثم تشرّف بخدمة الشيخ ونال عنده أعلى المراتب . وكان يغلب عليه الإستغراق . روي أن الشيخ كان في حجرة بعض أصحابه فظهر في مجلى جلالي بحيث كل مَن دخل عنده يحصل له الغيبة . فلما أحضروا الطعام كان مولانا زاده مستغرقاً فحركوه فما أفاق ، فقال الشيخ : "تريدون أن تحضروا مولانا زاده أما علمتم أن كل أحد يستمد مني من الأحوال قدر إستعداده وتشرف مولانا زاده الآن بحال أذهله عن الكونين ، فلو علم أحد حاله نسي الطعام من غيرته" . (ثم) إستأذن الشيخ قدِّس سرُّه بالحج فبعدما قضى فريضته قدم دمشق وأقام بها وإنتفع به خلق كثير وبها توفي قدِّس سرُّه .

ولمولانا زاده صاحب جليل هو ملا محمد البدخشي قدِّس سرُّه . كان من كبار المرشدين والأولياء المحمديين . قام بعد وفاة أستاذه في دمشق الشام مقامه . فهدى الله به كثيراً من خلقه . ولما قدم السلطان سليم خان العثماني الى دمشق ذهب الى زيارته مرتين وأخلص له المحبة . وليلة وفاة الشيخ رأى السلطان في المنام وودعه . ولما أفاق دعا له وبعث بسلامه اليه ثم توفي وذلك في سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة في دمشق قدِّس سرُّه .

(ومن ألطفهم) مولانا ناصرالدين الأترازي قدِّس سرُّه هو الأخ الصغير لمولانا زاده الأترازي كان من خدّامه وموقع نظر إكرامه . قال : كنت قبل التشرّف بخدمته أتعشّق غلاماً جميلاً فلما حظيت بسعادة صحبته في تاشكند خطر لي وقت الربيع الذهاب الى سمرقند لرؤية الغلام وحضور موسم النوروز معه . فإستأذنت الشيخ فأبى ثم خرج يوم النوروز الى الصحراء فخرجت معه وأنا على غاية من القبض والميل الى الذهاب الى سمرقند لذلك . فأخذ باقة من أزهار وأعطانيها وقال : يامولانا ناصرالدين أما تستحي من الصحبة وتذكر الغلام والخروج معه الى موسم النوروز . فحصل لي من الخجل ما لامزيد عليه . فلما إطلع على حالي توجه اليّ فزال ما بي وتبدّل حب الغلام بحبه قدِّس سرُّه .

(ومن أعظمهم) مولانا هندو خواجه التركستاني قدِّس سرُّه . كان في كثرة الذكر آية وأي آية ، نال بها أحوالاً عجيبة وأطواراً غريبة حتى رآه سيدنا أحرار يوماً في الصحراء يطير مع الطيور في الهواء فما أعجبه بل أغضبه ، ثم سلبه فسقط الى الأرض وإنخدش بعض أعضائه وإرتضّ وعاد كالعوام بلا حال ولا مقام . فكان يبكي بين يديه ويتضرّع ليلاً ونهاراً اليه حتى مرّت سنة كاملة عليه . ولفرط الألم والضيق فرط منه ما لايليق فقال له : إن لم ترد لي حالي أقتلك وأقتل نفسي ولاأبالي . كل ذلك وهو معرض عنه . ولقد مرّ مرة في طريق مظلم فتبعه مولانا هندو بسكين وأهوى بها اليه . فتبدّ الشيخ بصورة راعي غنم ، فغاب هندو

خواجه عن شعوره . فأخذ الشيخ السكين وعاد الى صورته الأصلية وتبسّم وقال : ليت شعري لو ضربتك ماذا تفعل . فوضع رأسه على قدميه وطفق يبكي ويتململ ، فعفا عنه بشرط أن يخفي حاله ولايظهر ما سلف منه . (وكان قدِّس سرُّه) جليلاً وقوراً يتلألأ وجهه من عظمة الحضور الإلهي نوراً وكان ينشد :

في كل لائحة وجه الحبيب بدا ... فانظره في كل وجه ياأخا الهمم
كذاك وجهك مرآة له وسوى ... ذاك المحيا فلا يبدو لغير عمي
لو كنت ذا نظر شاهدت صورته ... لديك من رأسك الأعلى الى القدم

وهو من أولاد مشايخ تركستان قدِّس سرُّه .

(ومن أفضلهم) مولانا فخرالدين الشيخ علي إبن الشيخ حسين الصفي الواعظ . هو مؤلف "الرشحات" قدِّس سرُّه . كان عالماً عارفاً ومرشداً كاملاً . وله في الوعظ كلام عليه آثار الإخلاص والتأثير الكثير . أصله من (سبزوار) توطّن هراة ولما فرغ من التضلّع بالعلوم الفضائل . تشرّف بخدمة الشيخ ولازم صحبته وألّف كتابه المسمّى "رشحات ماء عين الحياة" توسلاً لترجمته . وكان لفظه "رشحات" تاريخاً لتمام التأليف إذ هو بحساب الجمل تسع وتسعمائة . وكان من كبار العارفين بالله تعالى . (توفي) ظاهر هراة ونُقل نعشه اليها وذلك سنة تسع وثلاثين وتسعمائة .

(ومن أقدمهم) مولانا حبيب النجار التاشكندي قدِّس سرُّه . لزم صحبة الشيخ زمناً طويلاً وحظي بسعادة قبوله .

(ومن أعلاهم) مولانا السيد علي الكردي الشهيد قدِّس سرُّه . كان من العلماء الأتقياء أصله من (العماديه) وقدم لخدمة الشيخ ولازمه سنين عديدة . وكان يعلّم أحد أنجاله العلوم . ولما توفي الشيخ رحل الى قزوين وأقام عدة سنين ينفع الطالبين ويرشد السالكين . ولما بلغ خبره الأوزبك الأوباش سقوه كأس الشهادة وذلك سنة خمس وعشرين وتسعمائة . وللسيد أصحاب ستة ورثوا بركته :

(الأول) الشيخ أبو سعيد إبن الشيخ بايزيد الخلخاني قدِّس سرُّه . لقي السيد وفاز ببركة خدمته وأذن له في الإرشاد وتوفي في قزوين سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة . (الثاني) مولانا شاه القزويني قدِّس سرُّه تشرّف بملازمة السيد ونال إذنه بالهداية والتربية . وكان يقول في شأنه لانظير لشاه في هذا القطر . وتوفي بقزوين سنة تسع وأربعين وتسعمائة . (الثالث) مولانا الشيخ علي القاضي القزويني الحسيني قدِّس سرُّه . تشرّف بتربية السيد وأدرك مقامات صحبته النافعة . وكان من أكابر علماء قزوين وكبرائها توفي في قزوين قدِّس سرُّه . (الرابع) مولانا الشيخ عبدالله القزويني قدِّس سرُّه . وصل الى خدمة السيد وقام بواجب خدمته حتى تشرّف بأكمل المنازل ثم إستأذنه بالحج وذهب من طريق بغداد . فأدركه الموت في بابان فدُفن ثَمَّ قدِّس سرُّه . (الخامس) مولانا الشيخ نفيس الحكيم الفردي قدِّس سرُّه . كان يغلب عليه الإستغراق والفناء الأتمّ . توفي في قزوين وقبره مشهور بها . (السادس) مولانا القاضي مرك القزويني الخالدي نسبة الى سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه . كان عاملاً متبحّراً رفيع الشأن ، ولما إستولى الأوزبك على قزوين قتلوا الخالديين وهو معهم قدِّس سرُّه .

ومن أكبر أصحاب سيدنا أحرار أربع رجال كبار أولو مقام جليل كلهم يسمى إسماعيل :

أولهم ؛ مولانا الشيخ إسماعيل الفركتي نجل مولانا سيف الدين المناري ، أحد أجلاء أصحاب سيدنا النقشبند قدِّس سرُّه ومرّ خبره في أصحاب المنوّه به ، وصل الى خدمة الشيخ في تاشكند . فبالغ

بالإلتفات اليه حرمة لوالده وتعظيماً لشأن صحبته . ونال بهمته أعلى مراتب الرجال . وأخوه سليمان الفركتي من أخص أصحاب الشيخ محمد پارسا وقد تقدم . ثانيهم ؛ مولانا إسماعيل القمري قدِّس سرُّه . كان عالماً متبحّراً وعاملاً تقياً . قدم من هراة الى سمرقند وإغتنم خدمة الشيخ ، ولكن كانت نسبة العلم غالبة عليه . كان مع الشيخ مرة في قرية (شادمان) هو وأصحابه حضور عنده وبيد الشيخ شرح تائية إبن الفارض للشيخ سعيد الفرغاني قدِّس سرُّه بخط مولانا محمد پارسا ، فقال لأصحابه "أريد أحداً يكتبه اليّ بخط النسخ فأروني خطوطكم" . فمن جملة مَن تقدَّم للكتابة الشيخ إسماعيل المشار اليه فكتب -زد رغباً تزدد تحبّباً- وأراه اياه . فلما قرأ الحديث قال : يامولانا إسماعيل إنك كنت مالاً من دوام صحبتي حتى طلبت الغب ، فقم الى المدرسة واشتغل بالتدريس لتخلص من ذلك . ثم أمر مولانا لطف الله ومولانا سلطان ان يذهبا به الى مدرسة المدينة ، فلذلك حرّم ملازمته . ثالثهم ؛ الشيخ إسماعيل الشمسي قدِّس سرُّه . وكان هو والقمري من أتراك تبريز وقدما على الشيخ معاً فلقب بالشمس فرقاً بينه وبينه . صحب حضرة الشيخ مدة ثم أرسله كرفيقه الى المدرسة . فجلس للتدريس بها الى آخر العمر . رابعهم ؛ مولانا الشيخ إسماعيل الشيرواني قدِّس سرُّه . كان عالماً تقياً ومرشداً ولياً قدم من هراة لزيارة الشيخ خاصة وقد بشّر أصحابه بمقدم رجل مستعد . فكان هو ذاك وحيث كان القمري والشمسي في خدمة الشيخ وقتئذ لقب بإسماعيل الثالث . ولما حضر مجلس الشيخ كان عنده عنب فأمره أن يأكل فأخذ خصلة واحدة ورجع الى موضعه . فنظر اليه فغاب عن نفسه وعن العالم وسقط العنب من يده وبقي زمناً طويلاً كذلك . فلما أفاق شد مئزره للخدمة ولزمه سفراً وحضراً . ولما توفي رحل الى مكة المكرمة وجاور ثَمَّ حتى لحق بالرفيق الأعلى وذلك سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة .

(ومن أصدقهم) مولانا الشيخ عبدالله السربلي قدِّس سرُّه .

(ومن أرضاهم) العارف بالله تعالى مولانا الشيخ عبدالله الإلهي قدِّس سرُّه ولد في (سماونه) ناحية من نواحي ولاية (كرميان) من بلاد الأناطول وقدم على أعتاب الشيخ ، فثابر على خدمته حتى أحرز شرف المقامات الإلهية . ثم عاد الى بلاد الروم وحل في قصبة (يكيجهء وأرطال) فطار صيت إرشاده في الأقطار وقُصد بالرحلة من كل الجهات حتى توفي سنة ست وتسعين وثمانمائة . وتربى عند الإلهي سادة من كُمَّل الرجال أشهرهم العارف بالله (مولانا السيد أمير أحمد البخاري) قدِّس سرُّه . كان من أكابر الأولياء صحيح النسب ، وهو من سلالة سيدنا الشيخ محمود الفغنوي قدِّس سرُّه . قدم من بلاد العجم مع مولانا الإلهي الى تاشكند ثم تلقى النسبة من سيدنا أحرار ، وكان يبجّله ويجلّه حتى دخل عليه مرة والشيخ في شغل فالتفت فرآه إعتذر اليه وقال : لم نقم بواجب تعظيمك فاني كلما رأيتك أشاهد منك نورين نور النسبة النبوية ونور السلالة الفغنوية . ولما أتمّ مرامه لحق بمولانا الإلهي باشارة من الشيخ الى بلاد الروم ولازمه الى أن توفي فقام مقامه في تكميل الطالبين وهداية الراغبين . ثم توجه الى الحج فلما قضى تفثه أتى القسطنطينية فقضى بها نحبه ، وذلك في جمادى الآخرة سنة إثنتين وعشرين وتسعمائة نوّر الله ضريحه . ولمولانا السيد الأمير خلفاء كبراء عارفون بالله تعالى من أشهرهم ثمانية :

الأول ؛ سيدنا الشيخ مصلح الدين الطويل قدِّس سرُّه . أصله من كرة النحاس في (قسطمون) . وكان من أكابر العلماء وكبار الأولياء المكرمين . وهو من مريدي سيدنا الإلهي ثم تكمّل عنده حتى أصبح

أمة وحده . والثاني : العارف بالله تعالى سيدنا الشيخ عابد چلبي القرماني قدِّس سرُّه . كان أيضاً من مريدي شيخه ثم أتم سلوكه لديه حتى صار آية في الصالحين وهو من سلالة كبير الأولياء ووليّ الكبراء حضرة مولانا جلال الدين الرومي رضي الله عنه . والثالث : مولانا الشيخ بدرالدين بابا قدِّس سرُّه . لازم خدمة الشيخ حتى أصبح من العارفين . وبعد إنتقاله إستوطن مدينة (أدرنه) فكان لها بدراً منيراً مجاب الدعوة وبركة الأنام مرشد الى الله تعالى على الدوام ، حتى توفي ودفن بها تنوّر مرقده . والرابع : سيدنا الشيخ محمود چلبي قدِّس سرُّه . كان من مريدي أستاذه ثم حظي عند مولانا السيد بإتمام المقامات ببركة خدمته وزوّجه بابنته وأقامه مقامه من بعده وصار ممن يُشار اليه بالولاية والإرشاد في كل الجهات . توفي عام ثلاثة وثلاثين وتسعمائة . والخامس : مولانا الشيخ لطف الله الاسكوبي . ولد وثوى في مدينة (اسكوب) من بلاد الروم . وكان متبحّراً في علمي الظاهر والباطن ثم بنى صومعة في قصبة كوهستان وأقام بها حتى لقي الله تعالى . وقد هُدي الى الله به أمم كثيرة وأسلم على يده زمرة من رعاة الغنم الكفّار لعظم ماكانوا يرونه من عبادته وهو في صومعته جزاه الله خير جزائه قدِّس سرُّه . السادس ؛ سيدنا الشيخ محمود بن عثمان بن علي اللامعي قدِّس سرُّه . تشرّف بخدمة الشيخ وكان من ذوي الوجاهة والقبول عنده ، وله اليد الطولى في كل فضيلة لاسيما في النظم والنثر . ومن آثاره المأثورة ترجمة "نفحات الأنس" من لسان الفرس الى التركية . توفي في مدينة (بروسه) سنة ثمان أو تسع وثمانين وتسعمائة في محلة جكر . والسابع ؛ سيدنا الشيخ حكيم چلبي قدِّس سرُّه . حظي بشرف صحبة الشيخ وتوفي بالقسطنطينية نوّر الله مرقده . والثامن : مولانا الشيخ خضر بك چلبي نجل أحمد باشا قدِّس سرُّه . من علماء الظاهر العظام في بروسه وعليه وظائف عالية . فتركها وقدم القسطنطينية وصحب الشيخ حتى صار من الأولياء الكرام قدِّس سرُّهم .

وأكثر هؤلاء الثمانية من رجال "الشقائق النعمانية" وترجمتهم ثمَّ مستوفاة . ومن أعظم أصحاب سيدنا أحرار شيخ هذه السلسلة وأعلى من سرى اليه سرّ هذه النسبة المبجلة سيدنا الشيخ محمد القاضي الزاهد قدِّس سرُّه .

سيدنا الشيخ محمد الزاهد القاضي السمرقندي
قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ العزيز

خلاصة المتقين المتقنين وفذلكة المرشدين الراشدين وصفوة الأولياء الزاهدين . ألقت إليه الخلافة الربانية إقليدها وأولته السلطنة الروحانية طريفها وتليدها . جمع بين العلوم الإلهية والشرعية وإستوعب فضائل الطريقة والحقيقة ، فأصبح مصدر الواردت اللدنية ومظهر العلوم والمعارف الغيبية . فهو المفرد العَلَم في العِلم والقلم ، الذي قام بأعباء الأسرار والامداد وتدبير دولة إرشاد العباد . فتبارك مَن شيَّد بالإلهامات الصادقة قدره وسدّد بالكرامات الخارقة أمره وأتمّ في أوج عرفانه بين أقرانه بدره .

(كان) قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ من أولياء أصحابه وعيبة أسراره وقبلة خطابه ووارث علومه وأنواره . صنّف كتاباً في ذكر فضائله وخصائصه وشمائله سمّاه "سلسلة العارفين وتذكرة الصديقين" يقول فيه قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ :

"إني إنتظمت في سلك خدمته سنة ثلاث وثمانين ولم أزل حتى إنتقل سنة خمس وتسعين . فكانت مدة تشرّفي بخدمته إثنتا عشرة سنة والحمد لله على ذلك" . (وكان) سبب إتصالي بجنابه أني خرجت مع رجل من طلبة العلم إسمه الشيخ نعمةالله من سمرقند نقصد هراة لطلب العلم ، فلما وصلنا الى قرية (شادمان) أقمنا فيها أياماً من شدة الحر . فبينما نحن كذلك إذ حضر اليها سيدنا الشيخ رضي الله عنه وقت العصر . فذهبنا لزيارته ، فسألني : من أين أنت ؟ فقلت : من سمرقند . فطفق يحدثنا أجمل الحديث وذكر خلال كلامه جميع ما أكننته في سري فرداً فرداً ، حتى أخبرني عن سبب سفري الى هراة . فلما وجدت ذلك تعلّق قلبي به كل التعلّق . ثم قال لي : إن كان مقصودك طلب العلم فهو متيسّر هنا . فتيقّنت أنه مامن خاطر إلاّ وقد إطلع عليه هذا . ولم يخرج من قلبي محبة السفر الى هراة . فلما كوشفت بذلك قال لي لاتذهب الى القرشي بل الى بخارى . ثم إنصرفت وجئت صباحاً لأستئذنه ، فقال لي أحد أتباعه أنه مشغول بالكتابة . فتربّصت قليلاً فلما فرغ قام من مقامه وأقبل نحوي ثم قال : أخبرني بجلية أمرك ، هل مرادك من هراة تحصيل الطريق أو العلم . فدُهشت من جلالته وسكتُّ . فقال له رفيقي : بل الغالب عليه الطريق وإنما جعل طلب العلم تستراً . فتبسّم وقال : إن كان كذلك فهو أفضل وأحسن . ثم أخذني الى جهة البستان فلم نزل نسير حتى غبنا عن أعين الناس ثم وقف ، ومنذ أخذ بيدي جاءتني غيبة إمتدّت معي حتى إستغرقت زمناً طويلاً . فلما أفقت رجع يحدثني رضي الله عنه ثم قال : لعلك تقدر أن تقرأ خطي . وأخرج من جيبه ورقة فقرأها وطواها ودفعها اليّ وقال : إحفظها . وإذا فيها :

"حقيقة العبادة خضوع وخشوع وإنكسار يظهر على قلب إبن آدم من شهود عظمة الله تعالى . وهذه السعادة موقوفة على محبة الله تعالى وهي موقوفة على إتباع سيد الأولين والآخرين عليه من الصلوات أكملها ومن التحيات أتمّها . وهو موقوف على معرفة طريقه فلزم لذلك بالضرورة مصاحبة العلماء الوارثين لعلوم الدين ، وتلقي العلوم النافعة منهم حتى تظهر المعارف الإلهية المنوطة بمتابعته صلى الله عليه وسلم . ومجانبة علماء السوء الذين إتخذوا الدين وسيلة لجمع الدنيا وسبباً

للجاه ، والمتصوّفـة الرقّاصين وأهل السماع الذين يتناولون مايجدون من حلال وحرام ، وعدم الإصغاء للمسائل المخالفة لعقائد أهل السنة والجماعة من مشكلات علم الكلام والتصوف والسلام" .

ثم رجع الى مجلسه وقرأ الفاتحة ورخص لي بالسفر الى هراة . فتوجهت كما أمرني قاصداً الى بخارى . فما سرت خطوات إلاّ وتبعني بكتاب الى حضرة الشيخ كلان نجل الإمام الجليل مولانا سعدالدين الكاشغري قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُم ، وإذا فيه : "عليك بملاحظة أحوال حامل هذا الكتاب ومحافظته من مخالطة الأغيار" . فلما رأيت منه ذلك أخذ بمجامع قلبي محبة وإخلاصاً ولكن ماإنثنى عزمي ، بل أخذت الكتاب ومضيت . فوجدت في أثناء الطريق زحمة تامة ودغدغة أفراس الى بخارى . فلما وصلت اليها رمدت عيني رمداً شديداً . فلما شفيت تهيأت للسفر فأصابتني حمى مزعجة جداً . فنظرت حينئذ في نفسي أني إذا سافرت ربما أهلك . فرجعت عن ذلك العزم وإنقطع أملي من السفر وعزمت على الرجوع الى خدمة حضرة الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ حتى إذا وصلت الى تاشكند أحببت أن أزور الشيخ الياس العشقي بها أولاً . فأودعت ثيابي وكتبي ودابتي عند أحد الأحباب وذهبت . فلقيني أحد خدّامه فقلت له إرجع معي لنزور الشيخ . قال وأين دابتك ، قلت قد أودعتها عند فلان . قال اذهب فأت بها الى داري ثم نمضي للزيارة . فبينا أنا راجع إذ سمعت قائلاً يقول لي "قد فُقدت دابتك بما عليها" . فتحيّرت وتغيّرت وجلست أتفكّر في ذلك فوقع في قلبي أنه يحتمل أن يكون ذلك لعدم رضاء حضرة الشيخ بهذه الزيارة ، فإن السادات رضوان الله عليهم لهم غيرة عظيمة على أتباعهم . فكيف يكون الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ متوجهاً إليك هذا التوجه وأنت تقصد زيارة غيره فلابد أن تُصاب بأكثر من ذلك . فأعرضت عنها وعقدت النيّة على زيارة سيدنا ومولانا قبل كل شيء . فما تم هذا الأمر إلاّ وجاءني شخص فقال لي : وجدت الدابة وما عليها . فأتيت الى مَن أودعتها عنده ، فقال لي : يامحمد إني كنت ربطت دابتك ههنا فبعد لحظة غابت عن نظري . فطفقت أفتش عنها فماوجدتها حتى يئست منها . ثم رجعت فوجدتها واقفة وسط السوق بين الناس ولم ينقص مما عليها شيء مع ما في السوق من كثرة الإزدحام . فعجبت لذلك كل العجب ، ثم أخذتها وتوجهت الى سمرقند . فلما وصلت الى عند حضرة الشيخ رضي الله عنه تبسّم وقال "أهلاً وسهلاً ومرحباً" فلم أفارق عتبته بعد .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) كان رضي الله عنه إذا تكلّم بالحقائق كثيراً مايوجه خطابه اليّ ، وسألني مرّة فقال : هل أنت إذا سمعت مني الكلام على الحقائق تغيّر حقيقتك التي تلقنتها من أبويك في صباك وتلقّيتها من أستاذك ورسخت في قلبك ؟ قلت : لا . قال : إذاً أنت أهلٌ لسماعها .

(وكتب فيه أيضاً) "إن سيدنا ومولانا مرض مرة فأمرني أن آتيه بطبيب من هراة . فجاءني مولانا قاسم قدِّس سرُّه وقال : يامولانا محمد أسرع في ذهابك وإيابك فاني لاأستطيع أن أرى سيدنا ومولانا مريضاً . وحرّضني تحريضاً تاماً . فلما جئت بالطبيب وجدت الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ قد شفي ومولانا قاسم قد توفي . وكانت مدة غيابي عنه خمساً وثلاثين يوماً فسألت الشيخ عن سبب وفاته فقال : "جاءني ذات يوم فقال : إني قد فديتك بنفسي . فقلت له : لاتفعل هكذا ، فإن المتعلّقين بك كثيرون وأنت رجل شاب . فقال : ماجئتك مستشيراً في هذا الأمر بل قررته في نفسي وصممت عليه وجئت وقد قبل الله مني ذلك . ولطالما راجعته في ذلك ونهيته عنه فماقبل ومازال مصراً على جوابه الأول وإنصرف . قال ففي اليوم الثاني إنتقل مرض الشيخ بعينه الى مولانا قاسم وتوفي به . وذلك يوم

الإثنين لستٍّ خلت من شهر ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وثمانمائة . وبرأ الشيخ بُرءً تاماً فلم يحتج للطبيب الذي أتيت به" .

(ولما إحتضر) سيدنا ومولانا رضي الله عنه إجتمع عنده جميع أولاده وأحفاده وأصحابه الخاصة والعامة . فقال لهم "ليختار كل منكم إما الغنى وإما الفقر" فقال له الشيخ محمد قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ : إختياري إختيارك . فقال : أنا أختار الفقر . ثم إلتفت الى خازنه وقال له اعطه أربعة آلاف شاهرخيه ليستعين بها على مؤنة الفقراء الذين يجتمعون عنده ويتفرّغ لخدمتهم .

(وله) أصحاب كالنجوم في هداية الخصوص وبركة العموم أعظمهم إثنان :

الأول : العارف بالله تعالى مولانا الخواجكي الكاسپاني قدِّس سرُّه نسبة الى قرية (كاسپان) في جانب ولاية الأخصى . قدم بعد إستيفاء حظه من كافة العلوم على أعتاب الشيخ ونال ببركته أعلى منازل الأولياء الكاملين . ثم إستوطن (دهبيدة) من أعمال بخارى يرشد السالكين ويدعو الى الله تعالى المؤمنين حتى لقي ربه ، وذلك سنة تسع وأربعين وتسعمائة . ولمولانا الكاسپاني أربع أصحاب وخلفاء أحباب وهم : العارف بالله الشيخ دوست الصحّاف قدِّس سرُّه وأصله من ولاية الأخصى . خدم أعتاب الشيخ حتى صار من كبار المرشدين الكاملين ثم رحل الى بلخ وتوفي بها عام أربعة وسبعين وستعمائة قدِّس سرُّه . والعارف بالله الشيخ خرد قدِّس سرُّه ولد في (أرجاكت) من ولاية الأخصى وخدم رحاب مولانا الكاسپاني بصدق وإخلاص ، فنال من مقامات العرفين أعلاها ومن منازل الأولياء أسناها . ولم يزل يدعو الخلق الى الله حتى إنتقل ، وذلك عام ستة وتسعين وتسعمائة في (أرجاكت) نوّر الله مرقده . والعارف بالله تعالى الشيخ محمد إسلام الجويباري البخاري . نشأ بها ثم لما أدرك من الفضائل قصارى مرامه قدم لأعتاب سيدنا القاضي محمد ولازم خدمته ونال نظره وهمته . ولما توفي إتصل بخدمة مولانا الكاسپاني فصار بأدنى مدة من أكابر أصحابه . وكان بركة زمانه وسيد أقرانه أشتهر بالولاية إشتهار الشمس وصار آية في الإرشاد حتى إنتقل الى حظيرة القدس ، وذلك في صفر سنة إحدى وسبعين وتسعمائة في بلدة (سمتين) من أعمال بخارى عن ثمان وثمانين سنة نوّر الله ضريحه . ولمولانا الجويباري ثلاثة أصحاب وهم : نجله العارف بالله تعالى الشيخ كلان قدّس سرّه ، تخرّج على يدي والده وسلك عنده حتى بلغ مبلغ الكبراء من الأولياء . ولما توفي قام مقامه في إرشاد الخلق الى طريق الحق نوّر الله روضته . والإمام الرباني مجدد الألف الثاني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ وهو أيضاً من أصحاب الخواجه محمد الباقي وسيأتي في نظم السلسلة بعد الشيخ محمد الباقي ذكر ترجمته مفصّلاً نفعنا الله به . والعارف بالله تعالى الشيخ يونس الترك قدِّس سرُّه . كان من أجلّ أصحاب مولانا الجويباري وكان كبير الشأن رفيع القدر في الإرشاد والإمداد والبركة للعباد نوّر الله مثواه .

الثاني : من خلفاء مولانا محمد القاضي قدّس سرّه شيخ هذه السلسلة وأعظم من سرى اليه سرّ هذه النسبة المبجّلة إبن أخته سيدنا الدرويش محمد قدِّس سرُّه .

سيدنا الدرويش محمد السمرقندي
قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ العزيز

غوث الأولياء الأعلام وغيث علماء الإسلام ، المُشرق في المغرب والمشرق نور بركته والمشرف على دولة الإرشاد وإرشاد دولته . تربى في حجر خاله ونال مزيد فضله وأفضاله بما تضلّع من العلوم الشرعية وإرتضع من ثدي التربية الربية الى أن إرتوى من الحقائق الإلهية والمعارف الغيبية وصار بما أوحي اليه هو المعوّل عليه .

وإشتهر من بعده بالولاية العظمى والعلم الأسمى والقدر العلي والفضل الجلي حتى عرف في أيامه بالدرويش ولي . ولما حوى من الهدى ماحوى ومال على محو الضلال كالسيل إذا إنهال والنجم إذا هوى ماضلّ صاحبه وماغوى ، بل جمع من الخواطر أشتاتها ووصل من العزائم بتاتها وأحيا من النفوس أمواتها وقدّر فيها من الخير أقواتها ، حتى غدا بركة زمانه وإنسان عين الإرشاد وعين إنسانه .

(توفي) في (... ؟) سنة (... ؟) وله أصحاب كثيرون كلهم هادون مهديون . وأعظم من سرى اليه سرّ هذه النسبة المطهّرة شيخ هذه السلسلة نجله المبجّل سيدنا محمد الخواجكي الإمكَنكي قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ .

سيدنا محمد الخواجكي الأمكنكي السمرقندي
قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ العزيز

خلاصة خاصة الأولياء وارث علوم الأنبياء ، فهو الإمام المتفق على جلالة منزلته والمرجو بركة فضله .

ولد في (... ؟) سنة (... ؟) وتخرج على حضرة والده . وفاز بطارف مجده وتالده الى علوم كالبحر الزاخر ومعارف كم تركها الأول للآخر . ولم يزل في بدايته بعين هدايته ملحوظاً وفي ظل سلطنة تربيته محظوظاً حتى صار لمناقبه لوحاً محفوظاً لايدع فضيلة جليلة إلاّ أحصاها ولا ضيعة وضيعة إلاّ أقصاها ولا مقامات عالية إلاّ طواها ولا أسراراً غالية إلاّ حواها ولا أذواقاً غامضة إلاّ جَلاّها . فكان تلو والده كالشمس وضحاها والقمر إذا تلاها . جلس في دست الخلافة بعده وبذل في إحياء القلوب جهده ولبس خلعة القطبانية فلا ذرّة في العالم إلاّ وهو يمدّها بالروحانية . فأشرق في همته بدر هذا الطريق وصار فريق خيره خير فريق وطار صيت إرشاده ووفور إمداده وبعد مداه . فهرع الناس الى إقتباس هدى أنواره وأنوار هداه حتى صار بابه محط رحال العارفين وقبلة قلوب الصلحاء المتقين ومستغاث الطالبين عليه من هيبة الكرامات والكسف أكبر جلاله ، ومن عظمة التجلّيات الذاتية مايدل على سمو مقامه في الحضرة الإلهية أكمل دلالة .

(والخواجكي) إسمه الكريم وهو نسبة الى خواجه وأبدلت هاؤه كافاً على عادة الفرس . وقال في "شرح سلسلة الذهب" وفي ذلك الإسم مدح عظيم . (والإمكنكي) نسبة الى (إمكَنه) بكسر الهمزة وسكون الميم وفتح الكاف والنون ثم هاء أُبدلت كافاً كذلك قرية من قرى بخارى . وله خلفاء كاملون أولياء . وأكمل مَن سرى اليه سرّ هذه النسبة العلية شيخ هذه السلسلة الشيخ محمد الباقي رضي الله عنه وعنهم .

سيدنا الشيخ مؤيدالدين محمد الباقي
قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ العزيز

العارف الفاني بالله والباقي بذاته الراقي في أوج الشهود الى أوج مقاماته . كان سراً من أسرار الله وآية من أياته . جمع بين شرفي العلوم والمعارف وجرّ على طرفي بحره العلاء المطارف . أتاه الله من العلمين والتصرف في العالمين مايدلّ على سموّ قدره عنده وإنه يُحشر يوم القيامة أمة وحده . ومأأقصر لساني وأصغر بنان بياني في ترجمة مَن قال في شأنه سيدنا الإمام الرباني مجدّد الألف الثاني ما نصّه :

القائم مقام المشايخ العلية والنائب مناب الأكابر النقشبندية الواصل الى نهاية النهاية ، البالغ أقصى درجات الولاية . قطب مدار الخلائق كاشف أسرار الحقائق الفرد الكامل في المحبة الذاتية المحقق الجامع لكمالات الولاية المحمدية . مسند أهل الإرشاد والهداية مرشد طريق درج النهاية في البداية ، زبدة العارفين قدوة المحققين شيخنا وملاذنا ومولانا الشيخ الأجلّ والعارف الأكمل محمد الباقي أبقاه الله تعالى . أه .

(ولد قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) في نواحي كابُل من بلاد العجم التابعة لسلطنة الهند ونشأ بها . ثم قدم الهند لأمر من الأمور الدنيوية ، فأدركته جُذبة من جذبات الحق قوية . فأعرض عن الدنيا وأربابها وجدّ في تلقي العلوم عن سادات العصر وفضلاء كل مصر والأخذ عن العارفين والإستفاضة من قلوب الأولياء وروحانية المرشدين ، حتى صار في المعقول بحراً وفي المنقول حبراً وفي كل فضيلة فرداً . ولم يأل في السياحة جهداً الى أن وصل الى مدينة سمرقند ، وإتصل بحضرة الخواجكي قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ . فتلقى منه حضرة طريق النقشبند فرقى في أقرب أوقاته الى أعلى درجاته . وكانت تربيه روحانية غوث الأبرار سيدنا الشيخ عبيدالله أحرار قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ وشرّف في الملأ الأعلى قدره . ثم أجاز له تربية المريدين وإرشاد المسترشدين وأمره بالعودة الى الهند وبشّره بتربية شمس سرهند أعني الإمام الرباني . فرجع اليها وتوطّن مدينة (دهلي جهان أباد) فملأها بالإيمان والعرفان والأسرار والأنوار والإمداد والإرشاد . ومإانتشرت في جميع الأقطار الهندية عوارف معرفة الطريقة النقشبندية إلاّ من أرج رياض فضله ، إذ ماكانوا يعرفونها من قبله . فأقبلت اليه الأمم بما جذبهم به من علوّ الهمم وقوة التصرّفات الإلهية والخصائص المحمدية حتى صار كل من يقع بصره الشريف عليه أو يحضر مجلس ذِكره أو يجلس بين يديه يحصل له الغيبة والفناء من أول وهلة . وإن لم يحسب في الظاهر أهله وربما إنكشف له عن عالم الملك والملكوت بلا مهلة .

(توفي) يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الأخرة سنة أربع عشرة وألف في مدينة دهلي وله أربعون سنة وأربعة أشهر وقبره الشريف بها على غربها عند أثر قدم النبي صلى الله عليه وسلم يُستغاث به .

(وخلفاؤه) أكثر من أن تُذكر ، من أكملهم خلاصة الأولياء العارفين الشيخ تاج الدين العثماني الهندي معرّب "الرشحات والنفحات" قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ . والعارف بالله تعالى المير حسام الدين قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ . وأعظم من تلقّى سرّ هذه النسبة المطهّرة منه شيخ هذه السلسلة الإمام الرباني الشيخ أحمد الفاروقي رضي الله عنه .

الإمام الرباني مجدّد الألف الثاني
سيدنا الشيخ أحمد الفاروقي السهرندي
قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ العزيز

درّة إكليل الأولياء العارفين وغرّة جبين الأصفياء الغرّ المحجّلين ، كنز فضائل السلف والخلف وجامع فرقان المحامد والمكارم والشرف . طور التجلّيات الذاتية وسدرة منتهى العلوم الأحدية ومنهل معارف الوراثة المحمدية ، ومُظهِر إرشاد الحقائق الأحمدية وفذلكة العلماء بالله عزّ وجلّ ، والقائم بأمر الله بلا وجل الذي تشرّف العصر بوجوده وتبسّم ثغر الدهر عن جود سعوده وسعود جوده . المرشد الكامل المكمل والمنقذ المخوّف المؤمل ، بل أكمل المرشدين ومرشد الأكملين . داعي الخلق بالحق الى الحق القطب الأوحد والعلم المفرد الإمام الرباني مجدد الألف الثاني سيدنا ومولانا الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي إبن الشيخ عبدالأحد بن زين العابدين بن عبدالحي بن محمد بن حبيب الله إبن الإمام رفيع الدين بن نور بن نصيرالدين بن سليمان بن يوسف بن عبدالله بن إسحق بن عبدالله بن شعيب ابن أحمد بن يوسف بن شهاب الدين المعروف بفرخ شاه الكابُلي ابن نصيرالدين بن محمود بن سليمان بن مسعود بن عبدالله الواعظ الاصغر ابن عبدالله الواعظ الأكبر ابن أبي الفتح بن إسحق بن إبراهيم بن ناصر بن سيدنا عبدالله بن أمير المؤمنين خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الثاني سيدنا عمر الفاروقي رضي الله عنه وعنهم أجمعين .

(ولد قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) يوم عاشوراء سنة إحدى وسبعين وتسعمائة في بلدة (سهرند) (بسين مهملة فهاء فراء مهملة ودال مهملة) كذا أوردها حفيده الشيخ محمد مظهر في ترجمته . وفي بعض نسخ السلسلة الشريفة سرهند بتقديم الراء على الهاء . ولعل الأولى هي الأولى لأن صاحب الدار أدرى وهي مدينة من أعمال اللاهور في الهند .

عنوان شأنه وشأن عنوانه

تلقى العلوم كلها معقولها ومنقولها عن والده المشار اليه وعن غيره من محققي زمانه وإشتغل بالطرق الثلاث القادرية والسهروردية والچشية على والده قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُما حتى أذن له بالإرشاد والإستخلاف في الطريق المنوّه بها وهو إبن سبعة عشر سنة . فمازال مشتغلاً بنشر العلوم والمعارف وتربية السالكين وهداية المريدين وإرشاد الطالبين وفي نفسه شغف عظيم وميل قوي لتحصيل نسبة الطريقة العلية النقشبندية ، لعلمه بفضلها على سائر الطرق وعلوّ نسبتها على كلّ النسب ، حتى إجتمع بغوث الزمان العارف بالله تعالى سيدنا الشيخ محمد الباقي قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ . وقد كان أرسله شيخه القطب الكبير والإمام الشهير سيدنا محمد الخواجكي الإمكَنكي قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ من بخارى الى الهند . فأخذ عنه الطريقة النقشبندية ولازمه ففاز بأعلى المرام في مدة شهرين وبضعة أيام ، حتى شهد له شيخه قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ بالمرادية والمحبوبية والكمال والتكميل وفوّض اليه تربية مريديه ، بل طلب منه الإمداد لنفسه . وقال في حقه إنه القطب الأعظم . فتصدّر للإرشاد وهداية العباد وعمّ نفعه كل حاضرٍ وباد :

أتتـــه الخـــلافـــة منقـــادة اليـــه تجـــرر أذيـالهـــا
فـلـم تــك تـصلـح إلاّ لـــــــه ولـم يـكُ يـصلـح إلاّ لـهــــا
فلـو رامَـــهـــا أحـــدٌ غـــيـــره لـزلزلـت الأرض زلزالـهـــا

سعود وجوده ووجود سعوده

أخبـر بوجوده رسـول الله صلى الله عليه سلم ، فـقـال : "يكون في أمـتي رجل يقال له (صلة) يُدخل بشفاعته كذا وكذا" أخرجه السيوطي في "جمع الجوامع" ويدل لذلك ماكتبه قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ في أحد مكاتيبه : "الحمد لله الذي جعلني صلة بين البحرين ومقتبساً لأنوار النَيِّرَين" .

(وذكر) الشيخ المير حسام الدين أحد خلفاء إمام العارفين شيخه الشيخ محمد الباقي قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام على المنبر وهو يثني على الشيخ أحمد السهرندي ويقول إني أباهي وأفتخر بوجوده في أمتي وإن الله تعالى جعله مجدِّد أمتي .

(وقد بشّر بظهوره) كبار الأولياء أيضاً كما ذكر ذلك في المناقب ، (فمن ذلك) مانقله مولانا الشيخ بدرالدين السهرندي عن قدوة العلماء العارفين بالله الشيخ أحمد الجامي قدِّس سرُّه انه قال : "يجيء من بعدي سبعة عشر رجلاً من أهل الله يسمون أحمد آخرهم يخرج على رأس الألف هو أعلاهم" . وأجمع الجماء الغفير من أهل الكشف على أن المراد به صاحب الترجمة قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ .

(ومنه) ما قاله مولانا الخواجكي الإمكَنكي لخليفته الشيخ محمد الباقي قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُما أنه يخرج رجل من الهند يكون أمام عصره يصير فتوحه على يديك ، فأسرع اليه فإن أهل الله منتظرون قدومه . فلما توجه من بخارى الى الهند وإجتمع به المجدد قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ وأخذ عنه قال له أنت ذلك المبشَّر به (وقال أيضاً) لما وصلت الى سهرند رأيت في الواقعة رجلاً قيل لي أنه قطب زمانه ، فلما رأيتك عرفتك بتلك الحيلة والصورة .

(وقال له أيضاً) لما دخلت سهرند وجدت هناك مشعلاً يوقد في غاية العظم والعلو حتى كأنه بلغ عنان السماء وقد إمتلأ من نوره شرقاً وغرباً والناس يستوقدون منه سراجاً سراجاً . قال وهذا هو شأنك . (ومنه) إن صفوة الأولياء العارفين شيخ أبيه الشيخ عبدالأحد في الطريق القادري الشاه كمال الكتيهلي قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ . أودع عند حفيده العارف بالله تعالى شاه أسكندر جبة مباركة موروثة كما قيل عن الغوث الأعظم الشيخ عبدالقادر الكيلاني رضي الله تعالى عنه ، وقال إحفظها حتى يظهر صاحبها . فلما ظهر المجدد أمره في الواقعة أن يوصلها اليه أخبره أنه أهلها فلم يوصلها ثم خاطبه في سرّه ، فلم يفعل فعاتبه في الثالثة . فأتى بها إليه وألبسه إياها ، فنال بذلك من الأحوال العظيمة ما نال .

(ومنه)أن تاجراً جليلاً معرفاً بالصدق والأمانة وعليه سيما الصلاح ذكر أنه كان في بدايته عظيم الإعتقاد والمحبة للغوث الأكبر سيدنا الشيخ عبدالقادر الكيلاني رضوان الله تعالى عليه . قال وكان يظهر لي أحياناً ويبشّرني بأمور نفيسة ويغيثني في مهماتي . فقال لي يوماً في الواقعة : إنك وإن نلت مني مدداً عظيماً ولكن لابد لك من شيخ في الظاهر . فقلت له : الى مَن أرجع ؟ قال : الى الشيخ أحمد السهرندي فإنه اليوم الجامع بين الظاهر والباطن وهو قطب زمانه . فلما إجتمعت به رأيت عجائب الكرامات وغرائب الكمالات .

(ودخل) رجل من أكابر أولياء بلخ الى سهرند فلما رأى الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ قال إني كنت في بلخ .

فحضرت جنازة قد إجتمع لها كافة أولياء ماوراء النهر من السلف والخلف مثل العارف الكبير والقطب الشهير سيدنا الشيخ عبدالخالق الغجدواني والغوث الأعظم سيدنا الشيخ محمد بهاءالدين النقشبند رضي الله عنه ووقفوا ينتظرون قدوم الأقطاب . فبينما هم كذلك إذ جاء رجل جليل المقدار باهر الأنوار فقدّموه فأمَّهُم . فسألت عنه فقيل لي إنه الشيخ أحمد السهرندي .

سلوك الملوك وملوك السلوك

(قال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) إعلم أن العناية الإلهية جذبتني جذب المرادين أولاً ، ثم يسّرت لي طيَّ منازل السلوك ثانياً . فوجدت الله سبحانه أولاً عين الأشياء ، كما قاله أرباب التوحيد الوجودي من متأخري الصوفية . ثم وجدت الله في الأشياء من غير حلول ولا سريان ثم وجدته سبحانه معها بمعيّة ذاتية . ثم رأيته بعدها ثم قبلها ثم رأيته سبحانه ومارأيت شيئاً وهو المعني بالتوحيد الشهودي المعبَّر عنه بالفناء . وهو أول قدم توضع في الولاية وأسبق كمال في البداية . وهذه الرؤية في أي مرتبة من المراتب المذكورة تحصل أولاً في الافاق ، ثم ثانياً في الأنفس . ثم ترقّيت في البقاء الثاني وهو ثاني قدم في الولاية . فرأيت الأشياء ثانياً فوجدت الله تعالى عينها بل عين نفسي . ثم وجدته تعالى في الأشياء بل في نفسي ثم مع الأشياء بل مع نفسي . ثم قبل الأشياء بل قبل نفسي ، ثم بعد الأشياء بل بعد نفسي . ثم رأيت الأشياء ومارأيت الله تعالى أصلاً . وهي النهاية التي هي الرجوع الى البداية والعودة الى مرتبة العوام . وهذا المقام هو أتمّ مقامات دعوة الخلق الى الحق وأكمل منازل التكميل والإرشاد لتمام المناسبة للخلق المقتضية لكمال الإفادة والإستفادة .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) لما صحبت القائم اليوم مقام المشايخ العلية والنائب مناب الأكابر النقشبندية الواصل الى نهاية النهاية البالغ أقصى درجات الولاية . قطب مدار الخلائق كاشف أسرار الحقائق . الفرد الكامل في المحبة الذاتية المحقّق الجامع لكمالات الولاية المحمدية . مسند أهل الإرشاد والهداية . مرشد طريق درج النهاية في البداية . زبدة العارفين قدوة المحققين شيخنا وملاذنا ومولانا الشيخ الأجلّ والعارف الأكمل محمد الباقي أبقاه الله تعالى . حصل لي ببركة توجهه الجُذبة التي تشعبت بعد الإستهلاك في صفة القيّومية . وتشرّفتُ بإندراج النهاية في البداية . ثم حصلت لي مراتب السلوك ووصلت الى النهاية التي هي عبارة عن الوصول الى الإسم الرب بمدد أسد الله الغالب كرّم الله تعالى وجهه . ثم ترقّيت القابلية التي هي عبارة عن الحقيقة المحمدية بمدد الشيخ بهاءالدين شاه نقشبند قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ العزيز الى مقام إجمال تلك القابلية وهو مقام الأقطاب المحمدية بمدد الروح المقدّسة النبوية . وفي أثناء ذلك حصل لي مدد يسير من الشيخ علاءالدين العطّار قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ . ولما وصلت الى ذلك المقام أعطيت خلعته القطبية من الحضرة المحمدية ثم جذبتني العناية الإلهية فعرجت الى مقام الأصل الممتزج بالظل الذي فوق مقام الأقطاب المختص بالأفراد . ثم أدركتني العناية الصمدانية فأوصلتني الى مقام الأصل الخاص . وفي هذا العروج وصل اليّ من الغوث الكيلاني قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ العزيز مدد عظيم وتصرف قوي أوصلني الى مقام أصل الأصل . ثم نزلت الى العالم المعبَّر عنه بالسير عن الله بالله . فمررت إذ ذاك على مقامات مشايخ السلاسل سوى النقشبندية والقادرية . فإستقبلوني بالتعظيم والإكرام وألقوا عليّ من نفائس نسبهم وخصائص مواجيدهم وإنكشفت لي حقائق كل منها وتفاوت درجاتها . وكان حصول العلوم اللدنية من روحانية الخضر على نبينا وعليه السلام قبل وصولي الى مقام الأقطاب المذكور سابقاً . وبعد

الوصول الى ذلك المقام يأخذ الواصل العلوم من حقيقة نفسه كل ذلك بوراثته صلى الله عليه وسلم .

بروج عروجه وعروج بروجه

(قال قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) كثيراً ماكان يُعرج بي فوق العرش المجيد ولقد عُرج بي مرة . فلما إرتفعت فوقه بقدر مابين مركز الأرض وبينه رأيت مقام الإمام شاه نقشبند رضي الله عنه . ورأيت فوق ذلك قليلاً مقامات بعض المشايخ منهم الشيخ معروف الكرخي والشيخ أبو سعيد الخرّاز رضي الله عنهما ، والبعض في مقامه وتحته والشيخ نجم الدين الكبري والشيخ علاءالدين العطّار وسائر المشايخ دونه . وفوق هذه الدرجات مقام أئمة أهل البيت والخلفاء الراشدين وكافة الأنبياء . وفوقهم على طرف مقام نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام ، ومقامات الملائكة على الطرف الآخر ومقامه صلى الله عليه وسلم أرفع وأعلى . واعلم أني كلما أريد العروج يتيسّر لي وربما يقع من غير ما قصد .

إكراماته وكراماته

ولقد خصّه الله تعالى بفضيلة نشر العلوم اللدنية ، وبيان مراتب الولاية والنبوة والرسالة وكمالات أولي العزم ودرجات الخلّة والمحبة وإظهار أسرار الذات والشؤون الإلهية بما لم يسبق اليه الى أذواق شريفة غالية ومذاهب لدنية عالية لو لم يكن منها إلاّ رتبة تجديد الألف الثاني لكفى .

(وقال قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) روى أبو داوود عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدّد لهذه الأمة أمر دينها" . لكن بين من يجدد المائة ومن يجدد الألف من الفرق كما بين المائة والألف بل أعظم من ذلك . (وقال قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) بشّرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنك من المجتهدين في علم الكلام ويغفر الله بشفاعتك لألوف يوم القيامة وكتب لي خط الإرشاد بيده الشريفة وقال : "لم أكتب لأحدٍ قبلك مثله" . (وقال قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) العلوم والمعارف الصادرة عني هي خارجة عن طور الولاية وإنما هي مقتبسة من مشكاة أنوار النبوّة على مصدرها الصلاة والسلام . جُددت بتجديد الألف الثاني بطريق التبعية والولاية تعجز أرباب الولاية كالعلماء عن إدراكها ، لأنها وراء علوم العلماء ومعارف الأولياء ، بل علوم هؤلاء بالنسبة الى تلك العلوم قشر وتلك العلوم لبابها لاتخالف الشريعة ، بل هي أساس الدين وخلاصة علم الذات والصفات تعالت وتقدّست وماتكلّم بها أحد من العظماء ولا الكبراء ، إستأثر الله سبحانه بها هذا العبد . فصاحب هذه العلوم والمعارف مجدِّد . والمجدد هو الذي لايفيض من الحق على جميع العالم مدة تجديده شيء إلاّ بواسطته .

(وقال قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) قد كشف لي التوحيد الوجودي وألقيت عليّ علوم كثيرة ومعارف جمّة ورقائق وافية من هذا المقام ولاحت لي معارف مظهر الصفة العملية الشيخ الأكبر رضي الله عنه . وتشرّفت بالتجلّي الذاتي الذي بيّنه الشيخ وجعله نهاية العروج وخصّه بخاتم الولاية مفصّلاً موضحاً .

(وقال قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) كشفت لي خفايا المتشابهات القرآنية وأسرار المقطّعات الفرقانية . فوجدت تحت كل حرف منها بحراً من العلوم الدالة على الذات العلية ، لو أظهرت شيئاً منها لقُطع مني الحُلقوم .

(وقال قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) أطلعني الله على أسماء مَن يدخلون في سلسلتنا من الرجال والنساء الى يوم القيامة وإن نسبتي هذه تبقى بواسطة أولادي الى يوم القيامة ، حتى إن الإمام المهدي سيكون على هذه النسبة الشريفة .

(وقال قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) كنت مرّة في حلقة الذكر مع أصحابي فخطر لي أني في قصور ونقص ، فأُلقيَ

اليَّ في الحال "إني قد غفرت لك ولمن توسّل بك اليّ بواسطة أو بغير واسطة الى يوم القيامة" . (قال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) كان تكويني من بقية طينة حبيبه صلى الله عليه وسلم . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) أُريت الكعبة المطهّرة تطوف بي تشريفاً منه تعالى وتكريماً لي . (وقال) بشّرني الحق تعالى بأن مَن صليت على جنازته غُفر له وأنه من وُضع في قبره تراب من قبري لايُعذَّبْ . (وقال) أطلعني الله على قبور الأنبياء المبعوثين الى أرض الهند بحيث أرى أنواراً ساطعة من قبورهم .

(وقال) اُلقيَ اليَّ أن هذه الخصائص والكمالات التي أوتيتها لاينالها أحد غيرك الى زمن المهدي عليه السلام . (وقال) إن الله تعالى أعطاني قوة عظيمة في أمر الهداية بحيث لو توجّهت الى خشبة يابسة لاخضرّت .

(وكتب اليه بعض المشايخ) إن المقامات التي تدّعيها هل نالتها الصحابة أو لا وعلى الأول هل نالوها دفعة واحدة أو تدريجاً ؟ فأرسل اليه إن الجواب موقوف على حضورك . فحضر فتوجه اليه بجمعية المقامات . فترامى في الحال على قدميه وقال : "امنت أنّ جميع المقامات كانت تحصل للصحابة رضوان الله عليهم بمجرد نظره صلى الله عليه وسلم" . (ودعاه) للإفطار في شهر رمضان المبارك عشرة من مريديه فأجابهم فلما كان وقت الغروب حضر عند كل واحد من العشرة في آن واحد وأفطر عندهم . (وأمر السلطان) يوماً بقتل رجل فالتجأ الى حضرته وطلب منه أن يكتب له براءة من القتل ، فكتب له ذلك . فلما بلغ السلطان لم يقدر أن يتعرّض له هيبةً منه قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ .

(وقصد) زيارته رجل من بلاد شاسعة فأتى سهرند ليلاً وبات عند أحد المنكرين على الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ وهو لايشعر ، فسأله عن سبب شخوصه الى سهرند ، فقال له : جئت لزيارة الشيخ . فجعل يطعن فيه ، فلما رأى الرجل ذلك خاف وصار يستغيث به قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ ويقول في سرّه "ياسيدي إني جئت لطلب الحق وهذا يصدّني عنه" ثم نام . فلما كان وقت الفجر إذا بصاحب البيت قد مات ليلاً . فأسرع الرجل الى الشيخ وأراد أن يعرض عليه الخبر . فنظر اليه وتبسّم وقال : مامضى في الليل لايُذكر في النهار .

(وأتاه) مجذوم يطلب منه الدعاء فدعا له فشفي في الحال . (وقال نجله الأكبر) خازن الرحمة سيدنا الشيخ محمد سعيد قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ : كثيراً ماكان يخبرني الشيخ نفعنا الله بالأمر خيراً كان أو شراً قبل وقوعه ، فيقع كما يقول بلا تفاوت أصلاً .

(وقال الشيخ رضي الله عنه) جاءتني روحانية أمير المؤمنين عليّ كرّم الله وجهه ، فقالت إني بعثت اليك لأعلّمك علم السموات . (وإجتمعت) بروحانيات الإمام الأعظم أبي حنيفة وأساتذته وتلامذته والإمام الشافعي وأساتذته فأمدّوني بإمدادهم وأفاضوا عليّ من بركاتهم حتى إستغرقت في أنوارهم . (وربتني) روحانية حضرة السادات النقشبندية والقادرية والچشتية والسهروردية فتحلّيت بنسبتهم الخاصة حتى صرت لو أردت أن أربي السالكين بنسبة كل واحد منهم لفعلت .

محنة المنحة ومنحة المحنة

لقد جرت عليه قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ سُنّة الله في عباده المخلصين من إبتلائهم بإيذاء الظلمة وإنكار أهل الظاهر عليهم ليُرفع عنده من جليل شأنهم ويعظم لهم أجراً ، وذلك لما رأوا من عظمة ظهوره وإشتهار فضله في الدنيا . وعموم نفعه وإمتداد سلسلته المطهّرة من الهند الى ماوراء النهر والروم والشام والمغرب . ثم إنه قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ كانت ترد له الكتب من أتباعه في كل جانب مشحونة بالمسائل العلمية

المتعلقة بالطريق العلية وحقائق الصوفية . فيجيب قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ عنها بما أفاض الحق تعالى عليه من توضيح لما قاله أهل الله عزّ وجلّ تارة ومناقشة تارة أخرى وتسليم له لموافقته لكشفه وإظهار إختيار مرة أخرى انه خالف الشيخ الأكبر رضي الله عنه في وحدة الوجود وأبا يزيد رضي الله عنه في قوله "لو أن العرش وما حواه مائة ألف ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ماأحس به . وأظهر حقيقة الكعبة القرآن والصلاة وفصل مقامات العارفين وأذواقهم" . وذكر أن الحق تعالى جمع له بين القطبية والفردية والمحدثية والولاية الخاصة الناشئة من المحبية والمحبوبية وخصّه بدوام التجلّي الذاتي وأشبع الكلام على كل مسألة بما لايسع الموفق إلاّ الوقوف عليه والتسليم له مما لم يسبق اليه . وربما تكلّم على آية كريمة أو حديث شريف من طريق الإرشاد ، فإجتمع من ذلك ثلاثة مجلدات ضخمة تكتب بماء العيون . فإنتقد بعض علماء عصره على كلام وقع منه فيها يُشعر بأن مقامه أعلى من مقام الصديق الأكبر رضوان الله عليه . ورفعوا الأمر الى السلطان نورالدين جهانكير . فلما حضر عنده قال له : أحقٌّ مايقولون ؟ قال : نعم إلاّ أن ذلك بطريق التبعية لا الأصالة . فهو من قبيل ماإذا طلبتم أدنى الخدم لتسرّون اليه حديثاً . فلايصل هذا الخادم الى مقامكم الأبعد إلاّبعد طيّ منازل الأمراء . ثم يعود الى محله الأول ، فلايلزم أن يكون مقامه فوق مقام الأمراء . فإرتضى السلطان منه بذلك الجواب . فلما أبصر المنكرون أنه قد أخفق سعيهم فيه قال بعضهم للسلطان ألم ترَ تكبّر هذا الشيخ ، فإنه ماسجد لكم وقت دخوله بل ولا تواضع التواضع المتعارف مع أنكم ظلّ الله في أرضه وخليفته في خليقته . فإستفزّه الغضب وأمر بسجنه في حصن (كُواليار) (بكاف مضمومة فواو فألف فلام ساكنة فتحتية فألف فراء مهملة) من أمنع حصون الهند وأشهرها . وكان السلطان شاه جهان إبن السلطان جهانكير مخلصاً للشيخ قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ جداً ، فقبل أن يحضر عند والده . أرسل اليه أفضل خان والشيخ عبدالرحمن المفتي مع كتب من الفقه يقول له : "جوّز العلماء سجدة التحية للسلطان فأنتم إن سجدتم له عند لقائه فأنا أضمن أنه لايصل اليكم منه ضرر" . فلم يقبل منه بل قال : "هذه رخصة والعزيمة أن لايُسجد لغير الله تعالى" . ولبث في السجن ثلاث سنين ، ثم أخرجه بشرط أن يقيم في معسكره ويدور معه . فأقام كذلك ثلاث سنين أيضاً ، ثم أطلقه فعاد الى سهرند والعَود أحمد .

(وذكر نجله الأكبر قدِّس سرُّه) أن سبب إطلاقه انه كان مع ما عليه الحصن من الحصانة والحرس الشديد المحدق به من كل الجوانب يخرج رضي الله عنه لصلاة الجمعة ، فيصلي ثم يرجع ولايعلمون من أين يخرج . فلما رأوا منه ذلك أخرجوه من السجن ثم أطلقوه مطلقاً وإذ لم يمكن مدة حبسه أن يرشد الناس بنفسه جعل يرشدهم بكتبه نفّعنا الله تعالى به .

نفحة من طيب عطره ورشحة من صيب قطره

(قال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) إعلم ياأخي إن الذي لابد منه وكلّفنا الله به إمتثال الأوامر وإجتناب النواهي لقوله تعالى (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) . وإذ كنا مأمورين بالإخلاص في ذلك وهو لايتصوّر بدون الفناء بغير المحبة الذاتية وجب علينا أيضاً سلوك طريق الصوفية الموصلة للفناء والمحبة الذاتية حتى نتحقق حقيقة الإخلاص . ولما كانت طرق الصوفية متفاوتة بالكمال والتكميل ، كان كل طريق تلتزم فيه متابعة السنّة السنية وأداء الأحكام أولى وأنسب بالإختيار . وذلك الطريق هو طريق السادة النقشبندية قدّس الله أسرارهم العلية . فإن هؤلاء الأكابر إلتزموا في هذه الطريقة متابعة السنة وإجتناب البدعة . لايجوّزون العمل بالرخصة ولو وجدوا ظاهراً أن له نفعاً في الباطن . ولايتركون الأخذ بالعزيمة ولو علموا

صورةً أنه مضرٌّ بالسيرة . ويجعلون الأحوال والمواجيد تابعة للأحكام الشرعية والأذواق والمعارف خادمة للعلوم . ولايستبدلون الجواهر النفيسة الشرعية مثل الأطفال بجوز الوجد وزبيب الحال . هذا حالهم على الدوام ووقتهم . مُحيت نقوش السوى من بواطنهم بحيث لو تلكّفوا ألف سنة أن يتذكروها لايتيسّر لهم ذلك التجلّي الذاتي ، الذي هو لغيرهم كالبرق دائم لهم . والحضور الذي يعقبه غيبة لا إعتبار له عند هؤلاء الأعزة رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حالهم . ومع ذلك فطريقهم أقرب الطرق قطعاً وموصلة البتة . نهاية غيرهم مندرجة في بداية هؤلاء الأكابر ونسبتهم المنسوبة الى الصديق الأكبر رضي الله عنه فوق نسب جميع المشايخ لايصل الى ذوق هذه السادة فهم كل أحد :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا ياجرير المجامعُ

وأي مناسبة بين أخصّ الخواص وبين كل زرّاق ورقّاص ولو مُلئت الدفاتر في بيان خصائص أولئك الصفوة . وكمالاتها لكان قطرة من بحر لانهاية له .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) السير والسلوك عبارة عن الحركة في العلم وهو من مقولة الكيف ، فلا مجال للحركة في الجسم هنا . (فالسير الى الله تعالى وهو السير الأول) عبارة عن الحركة العلمية التي هي السير من علم الأسفل الى علم الأعلى ، ومن ذلك الأعلى الى أن ينتهي بعد طيّ علوم الممكنات كلها وزوالها بأسرها علم الواجب تعالى ، وهذا هو المعبِّر عن نفسه بالفناء . (والسير في الله تعالى هو السير الثاني) عبارة عن الحركة العلمية في مراتب الوجوب من الأسماء والصفات والشؤون والإعتبارات والتقديسات والتنزيهات الى أن ينتهي الى المرتبة التي لايمكن التعبير عنها بعبارة ولايُشار اليها باشارة ولاتُكنّى بكناية ولايعلمها عالم ولايدركها مُدرِكٌ . وهذا السير يسمى بالبقاء . (والسير عن الله تعالى وهو السير الثالث) عبارة عن الحركة العلمية التي هي التنزّل من علم الأعلى الى علم الأسفل ، وهكذا الى أن يرجع الى الممكنات وينزل عن علوم المراتب الوجوبية كلها ، وهو العارف الذي نسي الله بالله ورجع عن الله مع الله وهو الواجد الفاقد الواصل من المهجور القريب البعيد . (والسير في الأشياء وهو السير الرابع) عبارة عن حصول علوم الأشياء تدريجياً بعد زوالها في السير الأول . فالسير الرابع مقابل للأول والثالث للثاني كما رأيت . فالسير الى الله والسير في الله لتحصيل الولاية التي هي عبارة عن الفناء والبقاء . والثالث والرابع لتحصيل مقام الدعوة المختصة بالرسل عليهم الصلاة والسلام ولكل التابعين نصيب منه أيضاً كما قال تعالى (هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومَنْ إتبعني) .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) إعلم أن مشايخ الطريقة النقشبندية قدّس الله أسرارهم إختاروا السير في الإبتداء من عالم الأمر ويقطعون في ضمنه عالم الخلق . بخلاف مشايخ سائر الطرق فإن إبتداء سيرهم من عالم الخلق ثم بعد طي عالم الخلق يضعون القدم في عالم الأمر ويصلون الى الجذبة . فلهذا صارت الطريقة النقشبندية أقرب الطرق . فلاجرم نهاية الغير مندرجة في بدايتهم . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) إنما إختار أكابر هذه الطريقة السير من عالم الأمر إبتداءً ورأوا أن ذلك أنسب وأولى ، لأن الترقّي إنما يكون من الأدنى الى الأعلى لا على العكس . وعالم الأمر أدنى وعالم الخلق أعلى ، ماذا أفعل هكذا مراد الواحد الصمد ماكشفوا سرّ هذا المعمّى لأحد . ونظروا في سائر الطرق الى الصورة . فرأوا عالم الخلق أدنى فشرعوا في الإرتقاء من الأدنى الصوري الى الأعلى الصوري . وماعرفوا أن حقيقة الأمر بخلاف ذلك . فإن الأدنى في الحقيقة أعلى والأعلى أدنى ، فإن النقطة الأخيرة التي هي عالم الخلق أقرب الى النقطة الأولى التي هي

أصل الأصول ، وماتيسّر هذا القرب لنقطة أخرى غيرها .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) الولاية عبارة عن الفناء والبقاء وهي إما عامة وإما خاصة . ونعني بالعامة مطلق الولاية وبالخاصة الولاية المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية . والفناء فيها أتمّ والبقاء بها أكمل . ومَن شُرِّفَ بهذه النعمة العظمى فقد لانَ جلده للطاعة وإنشرح صدره للإسلام وإطمأنت نفسه عن مولاها ورضي مولاها عنها وسلم قلبه لمقلِّبه وتخلّصت لمكاشفة حضرة صفة اللاهوت وشاهدها سرّه مع ملاحظة الشؤون والإعتبارات . وفي هذا المقام يتشرّف بالتجلّيات الذاتية البرقية ويتحيّر خفية بكمال التنزّه والتقدّس والكبرياء ، ويتصل أخفاه إتصالاً بلا كيف ولا ضرب من المثال . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) المانع من سرعة تأثر بعض سالكي هذه الطريقة العلية ووجدانهم اللذة والحلاوة التي هي مقدمة الجُذبة ، مع أن إبتداء سيرهم من عالم الأمر هو أن عالم الأمر فيهم ضعيف بالنسبة الى عالم الخلق الذي فيهم . ولايزال هذا الضعف فيهم حتى يقوى عالم الأمر فيهم عن عالم الخلق . والذي يناسب لعلاج هذا الضعف في هذه الطريقة العلية التصرّف التام من المرشد الكامل . وفي سائر الطرق تقديم تزكية النفس والمجاهدات والرياضات الشاقة الموافقة للشريعة المحمدية على صاحبها الصلاة والتحية .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) إعلم أنّ أصل كلِّ بلاء إنما يكون من الإبتلاء بالنفس ، ومتى تخلّص الإنسان منها تخلّص من الإبتلاء بما سواه تعالى . فإن كان يعبد الأصنام فإنما يعبد نفسه في الحقيقة (أفرأيت مَن إتخذ إلهَهُ هَواه) . خلِّ نفسك وتعال . وكما أنّ الخروج عن النفس والمرور عنها فرض ، كذلك الدخول إليها والغوص فيها لازم . فإن الوجدان إنما يكون فيها ولايكون في الخارج عنها . السير الآفاقي بُعدٌ في بعد والسير الأنفسي قُربٌ في قُرب . فإن كان هناك شهود ففي النفس أو معرفة فكذلك أو حيرة فكذلك . وليس في خارج النفس موضع قدم . فخالي الذهن يفهم الحلول والإتحاد من هنا ويقع في ورطة الضلال . إذ الحلول والإتحاد كفر والخوض في هذا المقام بالفكر قبل التحقق ذوقاً حرام . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) إعلم أنّ مراتب الكمال متفاوتة بحسب تفاوت الإستعدادات . والتفاوت في الكمال قد يكون بحسب الكمية وقد يكون بحسب الكيفية وقد يكون بهما معاً . فكمال البعض مثلاً بالتجلّي الذاتي ، وكمال الآخر بالتجلّي الصفاتي ، مع تفاوت بيّن جداً بين هذين التجلّيين وبين أربابهما . وكمال البعض بسلامة القلب وتخلّص الروح وكمال الآخر بهما وبالشهود السرّي أيضاً . وكمال الثالث بهذه الثلاثة وبالحيرة المنسوبة الى الخفي . وكمال الرابع بهذه الأربعة وبالإتصال المنسوب الى الأخفى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . وبعد حصول الكمال في أي مرتبة كانت من المراتب المذكورة . فإمّا رجوع قهقري أو ثبات وإستقرار في ذلك الموطن . فالأول هو مقام التكميل والإرشاد ورجوع من الحق الى الخلق للدعوة . والثاني هو موطن الإستهلاك والعزلة عن الخلق .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) إعلم أن فيض الحق تعالى على الدوام للخواص والعوام سواء كان من قسم الأموال والأولاد أو من جنس الهداية والإرشاد من غير تفاوت . وإنما نشأ التفاوت من القبول وعدمه (وماظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) . فالشمس تشرق على الثوب وعلى القصّار إشراقاً واحداً فيسودُّ وجه القصّار ويبيضُّ الثوب . وعدم القبول لهذا السبب إعراض عن جناب الحق تعالى . فإن المُقبِل عليه كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي (من تقرّب اليَّ شبراً تقرّبت اليه ذراعاً) . والمُعرِضْ يُعرَضُ عنه كما قال صلى الله عليه وسلم "فأعرضَ فأعرضَ الله عنه جزاءً وفاقاً" . قال تعالى (فأذكروني أذكركم)

و(نسوا الله فنسيهم) . وفي الحديث "إنما هي أعمالكم أحصيها لكم من غير زيادة ولا نقصان كما تدينُ تُدان" . فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد وغير ذلك فلايلومنَّ إلاّ نفسه .

(وقال قَدَّسَ اللَهُ سرَّهُ) إن إزالة المرض القلبي في هذه الفرصة اليسيرة بالذكر الكثير من أهمّ المهمات . وعلاج العلّة المعنوية في هذه المهلة القليلة من أعظم المقاصد . والقلب المُبتلى بالغير لايُرجى منه خير . لايقبلون هناك إلاّ سلامة القلب وخلاص الروح . ونحن هنا دائماً في تحصيل أسباب إبتلائهما . هيهات هيهات (وماظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) .

(وقال قَدَّسَ اللَهُ سرَّهُ) في مبحث النفي والإثبات ؛ الكمال هو أن يكون شهود مرتبة الوجوب أيضاً مثل شهود مراتب الإمكان داخلاً تحت لا . فلايلاحظ في جانب الإثبات إلاّ التفوّه بكلمة المُستثنى . والحق أنّ الفطرة العليا والهِمّة القصوى طالبة لمطلب عظيم لاتتطاول اليه الأيدي ، بل لايصل غبار الإدراك الى ذيله . الرؤية الأُخروية حقٌّ ، ولكن تصورها يفنيني . الناس مسرورون بالرؤية الأخروية الموعودة وليس إبتلائي بسوى غيب الغيب همّتي بكلّيتها أن لايخرج المطلوب من الغيب الى الشهادة أصلاً ولا من السماع الى الشهود ، ولا من العلم الى العين . ماذا أفعل هكذا خلقوني .

(وقال قَدَّسَ اللَهُ سرَّهُ) قال عليه الصلاة والسلام : "ماأحدث قومٌ بدعةً إلاّ رُفع مثلها من السنّة" . وعن حسان رضي الله عنه قال : "ماإبتدع قومٌ بدعةً في دينهم إلاّ نزع الله من سنّتهم مثلها ثم لايُعيدها الى يوم القيامة" . بناءً عليه فبعض البدع التي قال العلماء إنها حسنة إذا تأمّلتها تجدها رافعة لسنّة . مثلاً قالوا في تكفين الميت العمامة بدعة حسنة مع أن هذه البدعة رافعة لسنّة . فإن الزيادة على العدد المسنون الذي هو ثلاثة أثواب نسخٌ والنسخ عينُ الرفع . وهكذا إرسال المشايخ العَذبة من الجانب الأيسر إستحسنوها والسنّة في العَذبة أن تكون بين الكتفين فظاهرة غاية الظهور . إن هذه البدعة رافعةٌ لسنّة . وكذلك ما إستحسنه العلماء في نيّة الصلاة من التلّفظ بها باللسان مع وجود إرادة القلب . والحال أنه ماثبت عنه عليه الصلاة والسلام لا برواية صحيحة ولا ضعيفة ولا عن الصحابة الكرام ولا التابعين العظام أنهم أتوا النيّة باللسان بل كانوا يكبّرون تكبيرة التحرّم حين تُقام الصلاة . فالنيّة باللسان بدعة ويسمونها بدعة حسنة . والفقير يعلم أن هذه البدعة رافعة للفرض فضلاً عن السنّة . فإن أكثر الناس يكتفون في جواز ذلك باللسان ولايبالون بغفلة القلب . فيكون قد ترك في ضمن ذلك فرضاً من فرائض الصلاة ، الذي هو النيّة بالقلب فيؤدي ذلك الى فساد الصلاة . وعلى هذا القياس سائر المُبتَدَعات والمُحدَثات فإنها زيادات على السنّة ولو بوجه من الوجوه ، والزيادة نسخ والنسخ رفع .

(وقال قَدَّسَ اللَهُ سرَّهُ) إعلم أن الولاية عبارة عن الفناء والبقاء والخوارق من لوازمها ، ولكن ماكلُّ مَنْ كانت خوارقه أكثر تكون ولايته أتمّ وأكمل . بل تكون خوارقه أقل وولايته أتمّ وأكمل . ومدار كثرة الخوارق على شيئين وهما : أن يكون الصعود في وقت العروج أكثر والهبوط في وقت النزول أقلّ ، بل الأصل العظيم في كثرة ظهور الخوارق هو قلة النزول كيف ما كان العروج . لأن صاحب النزول ينزل الى عالم الأسباب فيجد الأشياء مربوطة بها ويرى فعل المسبب من ورائها ، والذي لم ينزل أو نزل ولكنه لم يصل الى الأسباب فنظره مقصور على مسبِّب الأسباب والأسباب قد إرتفعت عن نظره . والحق سبحانه يعامل كل أحد على حسب ظنه . فيقضي أمر مَن يرى الأسباب بها ، ويقضي أمر مَن لايرى الأسباب بدونها . قال تعالى في الحديث القدسي (أنا عند ظن عبدي بي) ولطالما كان يخطر ببالي انه ماالسبب في كون

الخوارق التي ظهرت على يد الشيخ عبدالقادر رضي الله عنه لم تظهر على يد كثير من كُمَّل الأولياء السابقين حتى أطلعني الله تعالى على سرّ ذلك ، وهو انه كان عروجه أعلى من أكثر الأولياء ، وفي جانب النزول كان نزوله الى مقام الروح الذي هو فوق عالم الأسباب .

ومما يناسب هذا المقام ماحُكي ان الحسن البصري رضي الله عنه كان واقفاً على شاطيء النهر ينتظر السفينة فجاء حبيب العجمي رضي الله عنه فوجده واقفاً ، فقال له : ماذا تنتظر ؟ قال : السفينة . فقال له : وأي حاجة الى السفينة أما لك يقين . فقال الحسن : أما لكَ علم . ثُمَّ مشى حبيب على الماء وبقي الحسن حتى ركب السفينة . فلما كان الحسن نازلاً الى عالم الأسباب عاملوه بها وحبيب لم ينزل فعاملوه بدونها . والفضل للحسن فإنه صاحب علم جمع بين علم اليقين وعين اليقين وعرف الأشياء كما هي . وفي نفس الأمر جُعلت القدرة مستورة خلف الحكمة وحبيب العجمي صاحب سُكرْ وله يقين بالفاعل الحقيقي من غير أن يرى للأسباب مدخلاً . وهذه الرؤية غير مطابقة لما في الواقع . فإن توسط الأسباب كائن وحاصل . وأما شأن التكميل والإرشاد فهو بعكس طريق ظهور الخوارق . فإن في مقام الإرشاد كلما كان نزوله أكثر كان في الإرشاد أكمل ، لأنه لابد من حصول المناسبة بين المرشِد والمستَرشِدْ وذلك منوطٌ بالنزول .

وإعلم أنه كلما كان الصعود أعلى يكون الهبوط أنزل . فلهذا لما كان ترقّي نبيّنا عليه الصلاة والسلام أعلى وأرقى من ترقّي جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كان نزوله أقوى من الجميع . فكانت دعوته أتمَّ ولذلك أُرسل الى كافة الأنام . فإنه بسبب نهاية النزول حصّل المناسبة بالجميع ، فصار طريق الإفادة فيه أتمَّ . وربما تحصل الإفادة من المتوسطين في هذا الطريق أكثر من المنتهين الذين مارجعوا . لأن مناسبة المتوسط للمبتديء أكثر من ذاك فمدار كثرة الإفادة وقلّتها على الهبوط والرجوع لا على الإنتهاء وعدمه . وههنا دقيقة وهي : كما انه ليس من شرط الولاية علم الوليّ بنفس ولايته كما هو المشهور ، كذلك ليس من شرطها علمه بخوارقه . فربما ينقل الناس عنه خوارق شتى وهو لا علم له بها . وكان شيخنا قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ يقول : "والعجب أن الناس يأتون اليّ من الأكناف والأطراف فبعضهم يقول رأيناك في مكة وبعضهم يقول رأيناك في بغداد فيُظهرون الصُحبة والمعرفة والحال أني ماخرجتُ من بيتي فما هذا الإفتراء" .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) مايُفهم من عبارات بعض الصوفية منه أنه تعالى محتاج الينا في ظهور كمالات الأسماء والصفات هو كلام ثقيل على الفقير جداً . فإن المقصود من خلقهم حصول الكمالات لهم لا كمال عائد الى جناب قدسه تعالى . ويؤيد هذا المعنى أية (وماخلقت الجنَّ والإنسَ إلاّ ليعبدون) أي ليعرفون . أي لحصول المعرفة لهم التي هي كمالهم ، لا كمال عائد الى جناب الحق سبحانه وتعالى . وما ورد في الحديث القدسي من قوله تعالى (فخلقتُ الخلقَ لأعْرَفَ) المراد منه أيضاً معرفتهم لا إني أصير معروفاً وبواسطة معرفتهم أحصِّل كمالاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) في تحقيق إحاطة الحق وسريانه : إعلم أن إحاطة الحق سبحانه وتعالى بالأشياء أو سريانه فيها كإحاطة المجمل بالمفصل وسريانه فيه . كالكلمة مثلاً فإنها سارية في جميع أقسامها من الإسم والفعل والحرف . وكذا في أقسام الأقسام من الماضي والمضارع والأمر والنهي والمصدر وإسم الفاعل والمفعول والمستثنى المتصل والمنقطع والحال والتمييز والثلاثي والرباعي والخماسي والحروف الجارّة والناصبة ، والحروف المختصة بالأفعال والحروف المختصة بالأسماء ، والحروف الداخلة عليهما الى غير ذلك

من الأقسام الحاصلة من التقسيمات غير المتناهية . فهذه الأقسام كلها غير الكلمة ، بل كلها إعتبارات مندرجة تحت الكلمة مازادت في تفصيلها وتميّزها عن الكلمة . وفي تميّز بعضها عن بعض غير إعتبار العقل في الذهن . وأما في الخارج فليست إلاّ الكلمة ، فلهذا صحّ الحمل . ولكن لكل مرتبة من المراتب إسم يختص بها وأحكام لاتوجد في غيرها . مثلاً الدال على المعنى بالإستقلال مع الإقتران بالزمان فعل وبغير الإقتران إسم ، وغير الدال على المعنى بالإستقلال حرف . وكذا المقترن بالزمان الماضي فعلٌ ماضٍ وبالزمان الحال والإستقبال فعل مضارع . وما وُجد فيه علّتان من العلل التسعة المشهورة فغير منصرفٍ وإلاّ فمنصرف . وحروف عملها الجرّ جارّة وحروف عملها النصب ناصبة . فإطلاق إسم مرتبة على مرتبة أخرى وإجراء أحكام إحداها على الأخرى كإطلاق الفعل الماضي على المضارع والمنصرف على غير المنصرف والجارّة على الناصبة مع كون المراتب كلّها ليست إلاّ الكلمة ضلالة محضة وخروج عن الصراط السوي . إذا تقرر هذا فنقول والله سبحانه أعلم : إن لكل مرتبة من مراتب تنزل الوجود سبحانه وتعالى إسماً مختصاً بها وأحكامها لاتوجد إلاّ بها . فالوجوب الذاتي والإستغناء الذاتي مختص بمرتبة الجميع والألوهية . والإمكان الذاتي والإفتقار الذاتي مختصٌ بمرتبة الكون والفرق . والمرتبة الأولى مرتبة الربوبية والخالقية ، والمرتبة الثانية مرتبة العبودية والمخلوقية . فلو أُطلق إسم مرتبة على مرتبة أخرى وأُجريت أحكام مختصة بمرتبة على مرتبة أخرى لكان زندقةً صرفاً وكفراً محضاً . والعجب من بعض الملاحدة والزنادقة أنهم كيف يخلطون المراتب بعضها ببعض ويجرون أحكام بعضها على بعض . فيصفون الممكن بصفات الواجب ، والواجب بصفات الممكن ، مع علمهم بتميّز صفات الممكن الذي هو مرتبة واحدة بعضها عن بعض وإختلاف حكم كل واحد منها ، وعلمهم بعدم زوال ذلك التمييز وذلك الإختلاف وكل ذلك في مرتبة واحدة . فإنهم يعلمون بالبداهة مثلاً أن الحرارة والإشراق من صفة النار المختصان بها ولاتوجد واحدة منهما في الماء ولايوصف بهما الماء . وكذا البرودة والرطوبة المختصتان بالماء ولاتوجدان في النار . وكذا يميزون بالضرورة بين أزواجهم وأمهاتهم ويحكمون بتفرقة أحكامهما والله الهادي الى سبيل الإرشاد .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) ورد في الحديث الشريف "العلماء ورثة الأنبياء" فالعلم الذي بقي عن الأنبياء نوعان : علم الأحكام وعلم الأسرار . والوارث هو الذي يكون له من كلا النوعين نصيب والذي يكون له نصيب من نوع واحد فليس بوارث . إذ الوارث له نصيب من جميع أنواع تركة المورِّث لا من بعض دون بعض . والذي له نصيب من نوع واحد داخل في الغرماء الذين تعلّق نصيبهم بجنس حقهم . وكذلك ورد في الحديث "علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل" فالمراد من العلماء (العلماء الوارثون لا الغرماء الذين أخذوا نصيباً من بعض التركة) . فإن الوارث بواسطة القرب والجنسية يقال أنه مثل المورث بخلاف الغريم فإنه خالٍ عن هذه العلاقة . فالذي لايكون وارثاً لايكون عالماً إلاّ أن نخصّ علمه بنوع واحد فنقول عالم بعلم الأحكام . والعالم المطلق هو الذي يكون وارثاً ويكون له من كلا نوعي العلم نصيب وافر . وأكثر الناس يظنون أن علم الأسرار عبارة عن علم توحيد الوجود وشهود الوحدة في الكثرة ومشاهدة الكثرة في الوحدة وكناية عن معارف الإحاطة وسريان الوجود والقرب ومعيته تعالى على النهج المكشوف والمشهود لأرباب الأحوال . حاشا وكلاّ أن تكون هذه العلوم والمعارف من علم الأسرار وتليق بمرتبة النبوّة . فإن مبنى هذه المعارف سُكر الوقت وغلبة الحال المنافي للحضور . علم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام سواء كان علم الأحكام أم علم الأسرار كله صحو في صحو ماامازجه شمّة من السُكرْ . إنما هذه المعارف من أسرار الولاية للذين لهم

قدم راسخ في السُكْرْ لا من أسرار النبوة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وإن كان لهم ولاية ولكن أحكامها مغلوبة ومضمحلة في جنب أحكام النبوّة .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) إعلم أنّ كل مسألة يكون فيها خلاف بين العلماء والصوفية إذا تأملت ودققت النظر تجد الحق مع العلماء . وسرّ ذلك أنّ نظر العلماء بواسطة متابعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نافذ الى كمالات النبوّة وعلومها . ونظر الصوفية مقصور على كمالات الولاية ومعارفها . فتكون العلوم المأخوذة عن مشكاة النبوّة أصوب قطعاً من العلوم عن رتبة الولاية .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) إعلم أن السماع والوجد ينفع جماعةً متصفين بتقلّب الأحوال ومتّسمين بتبدّل الأوقات ، فوقتاً حاضرون ووقتاً غائبون ، ووقتاً فاقدون ووقتاً واجدون ، وهم أرباب القلوب في مقام التجلّيات الصفاتية ينتقلون من صفة الى صفة ويتحوّلون من إسم الى إسم . وتلوّن الأحوال نقد وقتهم وتشتت الآمال حاصل مقامهم يستحيل في حقهم دوام الحال ويمتنع إستمرار الوقت فزماناً في قبض وحيناً في بسط . فهم أبناء الوقت والمغلوبون وأرباب الأحوال والمقهرون ، فتارةً يعرجون وأخرى يهبطون . وأما أرباب التجلّيات الذاتية الذين خلصوا من مقام القلب بالكلية ووصلوا الى مقلبه وحُرِّروا عن رقّ الحال الى محوّله ، فلايحتاجون الى السماع والوجد فإن وقتهم دائمي وحالهم سرمدي بل لا وقت لهم ولا حال ، فهم آباء الأوقات وأرباب التمكين وهم الواصلون الذين لا رجوع لهم أصلاً ولا فقد لهم قطعاً . فمن لا فقد له لا وجد له .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) أيها الأخ رأس هذه الطريقة العلية ورئيس هذه السلسلة السنية الصدّيق الأكبر الذي هو بعد النبيين أفضل البشر رضي الله عنه . وبهذا الإعتبار قال أكابر هذه الطريق أن نسبتنا فوق جميع النسب إذ نسبتهم عبارة عن الحضور الخاص ونسبتهم وحضورهم نسبة الصديق وحضوره ، الذي هو فوق جميع النسب والحضورات . ومن خصائص هذه الطريقة العلية إدراج نهايتها في بدايتها . قال الشيخ النقشبند قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ العزيز :

"نحن أدرجنا النهاية في البداية . فإن قيل إذا كانت نهاية غيرهم مندرجة في بدايتهم فماذا تكون نهايتهم ؟ وأيضاً إذا كانت نهاية غيرهم الوصول الى الحق فالى أين يكون سيرهم عن الحق وليس وراء عبادان قرية ؟ فالجواب أن نهاية هذه الطائفة العلية إن تيسّر هي الوصل العريان الذي علامة حصوله اليأس عن حصول المطلوب . فافهم فإن كلامنا إشارة لايدركها إلاّ الأقل من الخواص بل أخصّ الخواص . وإنما ذكرت علامة هذه السعادة العظمى لأن جماعة من هذه الطائفة تكلموا في نهاية هذا الطريق وتخيّلوا أنها هي الوصل العريان . وجماعة أخرى ظنوا أنها هي اليأس من حصول المطلوب ، وإذا عُرض عليهما جمعاً كادوا يعدون ذلك من جمع الضدين وأنه محال . فالذين يدّعون الوصل يقولون اليأس حرمان والذين يدّعون اليأس يقولون الوصل عين الفصل . وكل ذلك من علامة عدم الوصل الى تلك المنزلة العليا . غاية ما في الباب أن بارقة من ذلك المقام العالي برقت على بواطنهم . فجماعة تخيّلوها الوصل وأخرى اليأس ، وهذا التفاوت من تفاوت إستعداداتهم . فيناسب إستعداد طائفةٍ الوصل ويوافق إستعداد طائفةٍ اليأس . وعند الحقير أن إستعداد اليأس أحسن من إستعداد الوصل وإن كان الوصل واليأس هنا متلازمَيْن" . وفُهم من هذا جواب الإعتراض الثاني أن الوصل المطلق أمر والوصل العريان أمر وشتان ما بينهما . ونعني بالوصل العريان رفع الحُجُب كلها ، ولما كان أعظم

الحُجُب وأقواها التجلّيات المتنوعة والظهورات المختلفة ، فلابدّ أن تنقضي تلك التجلّيات والظهورات بتمامها ، سواء كان التجلّي والظهور في المرايا الأمكانية أو المجالي الوجوبية فإنهما في نفس الحجب سواء وإن كان بينهما تفاوت في الشرف والرتبة فذلك أمر خارج عن نظر الطالب .
فإن قيل يلزم من البيان أن يكون للتجلّيات نهاية . والحال أن مشايخ الطريقة صرحوا بأن التجلّيات لا نهاية لها ؟ فالجواب أنّ التجلّيات لا نهاية لها على تقدير وقوع السير الى الأسماء والصفات على سبيل التفصيل . فعلى هذا التقدير لايتيسّر الوصول الى حضرة الذات ولايحصل الوصل العريان ، والوصول اليها موقوف على طيّ الأسماء والصفات على سبيل الإجمال . فيكون حينئذ للتجلّيات نهاية . فإن قيل التجلّيات الذاتية أيضاً قد قيل بأنها لا نهاية لها فكيف يصح لكم أن تقولوا بأنه لها نهاية ؟ فالجواب إن التجلّيات الذاتية لاتكون بدون ملاحظة الشؤون والإعتبارات . إذ التجلّي بدون هذه الملاحظة لايمكن والذي نحن في صدد بيانه أمر وراء التجلّيات صفاتية أو ذاتية . إذ لايجوز إطلاق التجلّي في ذلك الموطن أيَّ تجلٍّ كان . لأن التجلّي عبارة عن ظهور الشيء في المرتبة الثانية أو الثالثة أو الرابعة الى ماشاء الله . وهنا سقطت المراتب بالكلية وطويت المسافة بالتمام .
فإن قيل إن تلك التجلّيات بأي إعتبار تكون ذاتية ؟ فالجواب أنّ التجلّيات إن كانت مع ملاحظة معانٍ زائدة على الذات فصفاتية . أو مع ملاحظة معانٍ غير زائدة على الذات فذاتية . ولهذا قالوا إن ظهور الوحدة هو التعيّن الأول وليس بزائد على الذات تجلٍّ ذاتي . ومطلبنا حضرة الذات التي لا محل لملاحظة المعاني معها أصلاً ، سواء كانت زائدة أو لا . إذ المعاني قد طُويت على طريق الإجمال وتيسّر الوصول الى الذات . وينبغي أن يعلم الوصل في ذلك الموطن مثل المطلوب بلا كيف ولا كيفية أيضاً ليس الوصل المتعارف . فإنه لايليق بذلك الجناب المقدس تعالى وتقدّس ، ولا سبيل لذي الكيف الى اللاكيف "لايحمل عطايا الملك إلاّ مطاياه" . وماتكلم أحد من مشايخ هذه الطريقة على نهايتها ، بل تكلّموا على بدايتها وقالوا إن نهايتها مندرجة في بدايتها . فإذا كانت بدايتها ممتزجة بالنهاية فينبغي أن تكون النهاية مناسبة لتلك البداية . وهو الذي إمتاز هذا الفقير بإظهاره فلله سبحانه الحمد والمنّة على ذلك . (أيها الأخ) الواصلون الى هذه النهاية من هذا الطريق ومن سائر الطرق أقل قليل يكاد إذا عُدّت أفرادهم أن يستبعده الأقربون فضلاً عن إستبعاد الأبعدين وإنكارهم وحصول هذا الكمال ووصول نهاية النهاية إنما كان ببركة إتباعه عليه الصلاة والسلام .
(وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) في بيان الفرق بين الصحابة والأولياء ومنشأ كل منهما : إعلموا أن القرب المنوط بالفناء والبقاء وبالسلوك والجُذبة ، هو قرب الولاية الذي تشرّف به أولياء هذه الأمة . والقرب الذي تيسّر للصحابة الكرام في صحبته عليه الصلاة والسلام قرب النبوّة الذي حصل لهم بالتبعية والوراثة . وليس في هذا القرب فناء ولا بقاء ولا جُذبة ولا سلوك . وهذا أعلى وأفضل من قرب الولاية بمراتب . فإن هذا القربَ قربُ أصل وذلك قربُ ظل وشتّان بينهما ، ولكن لايصل فهم كل أحد الى ذوق هذه المعرفة . وربما شارك الخواصُ العوامَ في فهمها . نعم إن وقَعَ السير والعروج الى ذروة كمالات قرب النبوّة من طريق قرب الولاية فلابد من الفناء والبقاء والجُذبة والسلوك . فإن هذه مقدمات ذلك القرب ومباديه وإلاّ بأن وقع من جادة قرب النبوة فلايحتاج فيها الى المقدمات المذكورة . والصحابة الكرام ساروا من جادة قرب النبوة الذي لاتعلّق له بتلك المقدمات . وهذا الفقير كتب في رسائله إن معاملتي وراء السلوك

والجُذبة ووراء التجلّيات والظهورات . فالمراد منه هذا القرب والحمد لله الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) إعلم أن المعارف التي تناسب مقام الولاية شطحات المشايخ وعلوم تُخبِر عن التوحيد والإتحاد ، وتنبيء عن الإحاطة والسريان ، تشير الى القرب والمعيّة وتشعر بالظليّة والمرآتية وتثبت الشهود والمشاهدة . وبالجملة فمعارف الأولياء الفصوص والفتوحات المكية ومعارف الأنبياء الكتاب والسنّة . ولاية الأولياء تخبر عن قرب الحق تعالى ، وولاية الأنبياء تخبر عن أقربيته تعالى . ولاية الأولياء تدل على الشهود ، وولاية الأنبياء تثبت نسبة مجهولة الكيف . ولاية الأولياء لاتعرِّف الأقربية والجهالة ماهي . وولاية الأنبياء مع وجود الأقربية تعرِّف القرب عين البعد والشهود نفس الغيبة .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) إعلم أن الشريعة والحقيقة متحدان في الحقيقة لا تغاير بينهما ولا فرق إلاّ بالإجمال والتفصيل . فالشريعة إجمال والحقيقة تفصيل . وبالإستدلال والكشف فالشريعة إستدلال والحقيقة كشف . وبالغيب والشهادة فالشريعة غيب والحقيقة شهادة . وبالتعمُّل وعدمه فالشريعة تعمُّل وتكلّف والحقيقة لا تعمّل فيها ولا تكلّف . فالأحكام والعلوم التي ثبتت وتبيّنت بموجب الشريعة الغرّاء هي التي تتبيّن بعينها بعد التحقُّق بحقيقة حق اليقين وتنكشف بالتفصيل وتظهر من الغيب الى الشهادة . ويرتفع تمحُّل العمل من البيّن وعلامة الوصول الى حقيقة حق اليقين مطابقة علومه ومعارفه لعلوم الشريعة ومعارفها . مادامت المخالفة موجودة ولو بأدنى شعرة فذلك دليل على عدم الوصول . وكل خلاف وقع من كافة مشايخ الطرقات للشريعة فهو مبني على سُكْرْ الوقت وهو لايكون إلاّ في أثناء الطريق . والمنتهون الى نهاية النهاية كلهم في الصحو والوقت مغلوب لهم والحال المقام تابع لكمالهم . فتحقق أنّ مخالفة الشريعة علامة على عدم الوصول الى الحقيقة . وما وقع في عبارات بعض المشايخ من أن الشريعة قشر والحقيقة لب . فهذا الكلام وإن كان مُشعِراً بعدم إستقامة قائله ولكن يمكن أن يكون مراده أنّ المجمل بالنسبة الى المفصل حكمه حكم القشر بالنسبة الى اللب وأنّ الإستدلال بالنسبة الى الكشف كالقشر بالنسبة الى اللب . وأما الأكابر أولوا الأحوال المستقيمة ، فإنهم لايجوّزون الإتيان بمثل هذه العبارات الموهمة ولايفرّقون بينهما إلاّ بما ذكرنا . (سُئل) الشيخ النقشبند قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ ماالمقصود من السير والسلوك ، فقال : "أن تصير المعرفة الإجمالية تفصيلية والإستدلالي كشفياً رزقنا الله سبحانه وتعالى الثبات والإستقامة على الشريعة" أه .

(وتأليفه) الحافلة كافلة لنشر عوارف معارفه والبرهنة على عظمة مواهب مشاربه . أجلُّها مكتوب باللغة الفارسية وتقدّمت الإشارة إليه و"رسالة إثبات النبوّة" و"رسالة المبدأ والمعاد" و"المكاشفات الغيبية" و"آداب المريدين" و"المعارف اللدنية" بيّن فيها أحواله ومقاماته الخاصة . ورسالة في الرد على الشيعة وتعليقات على "عوارف المعارف" وشرح الرباعيات لعبدالباقي وغيرها . فمن له لوعة على عزة المطلوب فليرجع اليها فإنه يجد فيها ماتسجد له القلوب .

(توفي رضي الله عنه) سابع عشرى صفر الخير سنة أربع وثلاثين وألف وسنّهُ ثلاث وستون . ودُفن في مدينة سهرند وجاء تاريخ وفاته رفيع المراتب . ولقد نظمت هاتين الكلمتين فقلت :

الإمــام الربّاني لما توفي جــاء تاريخــه (رفــيع المراتب)١٠٣٤هـ

وله من الخلفاء العارفين فئة كثيرة من أجلِّهم :

العارف بالله تعالى مولانا الشيخ حميد قدِّس سرُّه . أرسله الى بلاد بنكاله وأعطاه نعله المباركة ، فقضى بها الحوائج وشفى بها المرضى وكانت له آية عظيمة . والمرشد الكامل مولانا الشيخ حسن البركي قدِّس سرُّه . والعارف بالله تعالى الشيخ نور الفتني قدِّس سرُّه أخبر سيدنا المجدد رضي الله عنه أنه من رجال الغيب النجباء . والإنسان الكامل الشيخ بديع الدين السهارنفوري قدِّس سرُّه رأى في واقعة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له أنت سراج الهند . والعالم بالله تعالى الشيخ أحمد البركي قدِّس سرُّه . ربّاه سيدنا المجدد عطّر الله تربته في جمعة وأمره بارشاد بلاده خراسان . وصفوة الأولياء الشيخ محمد طاهر اللاهوري قدِّس سرُّه . إنتهت اليه رياسة الطريقة في لاهور ورأى في واقعة أنه في الروضة المطهّرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثه ويكلّمه ثم بشّره بأن مَن بايعك فهو مغفور له ومَن رأى وجهك نجا من النار . والولي الكامل مولانا السيد الشيخ آدم البنوري قدِّس سرُّه . كان إذا توجه للمريد بل إذا لقّنه الذكر يوصله الى فناء القلب . ولقد قبله الحقّ تعالى وأعطاه طريقة جديدة تسمى الأحسنية . فهدى الله به أكثر من ألف ألف وتكمّل على يده ألف خليفة وبُشِّر بلواء أخضر يوم القيامة يستظل في ظله من توسّل به ويُغفر له . ولما قدم المدينة المنوّرة وسلّم على جدّه فخر الأمم صلى الله عليه وسلم سمع منه رد السلام ومدّ اليه يده المقدّسة وصافحه وقال ياولدي كن في جواري ، فبقي في المدينة حتى لقي ربه . وقطب زمانه السيد الشيخ نعمان البدخشي قدِّس سرُّه . بلغ إستيلاؤه بالإرشاد على قلوب العباد أن خاف السلطان منه على ملكه وكتب له المجدِّد قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ لقد قابل هلاك هلالك شمس الهداية فانعكس عليه جميع أنوارها فصار بدراً كاملاً . ورأى في واقعة رسول الله صلى الله عليه وسلم يثني على حضرة المجدِّد ويقول كل مَن قبله الشيخ أحمد قبله رسول الله وكل مَن ردّهُ ردَّهُ الله ورسوله وكذلك أنت ياولدي . وكعبة الإرشاد الشيخ محمد الصديق البدخشي قدِّس سرُّه . ومنهل الإمداد مولانا الشيخ أحمد الديبني قدِّس سرُّه . وتحفة الواصلين الشيخ عبدالحي البلخي قدِّس سرُّه . والإمام الجليل مولانا مزمِّل قدِّس سرُّه . وبحر العرفان الشيخ هاشم الكشمي قدِّس سرُّه . وزينة أهل الله الشيخ يار محمد قديم الطالقاني قدِّس سرُّه . وروضة الصلاح الشيخ محمد أشرف الكابُلي قدِّس سرُّه . وزبدة الكاملين الشيخ حسن عبدالكريم الأبدالي قدِّس سرُّه . ونفحة العرفان الشيخ صفر أحمد الرومي قدِّس سرُّه . والعلامة الواصل العارف الكامل الشيخ عثمان اليمني قدِّس سرُّه . وعالم الأولياء في وقته الشيخ عبدالعزيز النحوي الحنبلي قدِّس سرُّه . وبحر المحققين العارف بالله مولانا الشيخ علي المالكي قدِّس سرُّه . ومُظهِر العلوم الإلهية مولانا الشيخ علي الطبري الشافعي قدِّس سرُّه .

وغيرهم من أهل الفضول والمعارف ممن إنتشر ببركتهم وبأصحابهم في العالم أنوار الشريعة وأسرار الحقيقة قدّس الله أرواحهم الطاهرة .

(وأما أنجاله الأنجاب) فهم بين نجباء وأقطاب ؛ أكبرهم شمس المعارف العالم العارف شيخ السلسلة القادرية الشيخ محمد سعيد خازن الرحمة قدِّس سرُّه ، وقطب الأولياء العارف وأعظم المرشدين المكمِّلين شيخ هذه السلسلة النقشبندية وأكمل مَن سرى اليه سرّ هذه النسبة المحمدية سيدنا الشيخ محمد المعصوم العروة الوثقى قدِّس سرُّه .

سيدنا الشيخ محمد المعصوم العروة الوثقى
قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ

العروة الوثقى والقدوة الأتقى بين الشريعة والحقيقة والفارق بين الضلالة والهداية ، والمرشد كل المرشد والوارث بالفرض والرد مجد المجدِّد .

(ولد قدِّس سرُّه) سنة سبع وألف وإرتضع ثدي العرفان من والده المرفّع الشأن حتى تضلّع من علوم الخواص وخواص العلوم ما أوجب نفعه عموم الإخلاص وإخلاص العموم . ثم جلس من بعد المجدِّد قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ في دست الإرشاد وإمداد العباد . وكان سنّه حالتئذ ستة وعشرين سنة ، فطار صيت فضله كل مطار وإنهلّت بركاته على الأقطار كالأمطار . فحجّت الأرواح الى حرم قدسه الأحمى ، ولبّت الألباب دعوة توجهه الأسمى ، ووقفت النفوس على عرفات عرفانه أمنة بالإحرام عن السوى من حرمانه ، وحلّت برمي جمرة عقبة الأغيار في مِنى إحسانه مستفيضة بطواف كعبته من فيض إمتنانه .

نبذة من تفصيل أحواله وجميل أقواله

كان الشيخ رضي الله عنه ولياً منذ الولادة ، فإنه لم يقبل الثدي في رمضان وتكلّم بالتوحيد وهو إبن ثلاث سنين . فصار يقول "أنا الأرض أنا السماء" أنا كذا أنا كذا هذا الجدار حتى هذه الأشجار حق . وحفظ القرآن في ثلاثة أشهر وإشتغل بتحصيل العلم والطريق ، فبلغ فيهما درجات الكمال وسنّه سبعة عشر سنة . فتصدّر للإرشاد والإفادة مع كمال الإستقامة ونهاية الورع والتقوى والتمسّك بالسنّة المطهّرة والأخذ بناصية العزيمة وإجتناب سبل البِدَع ووجوه الرُّخَصْ .

(وشهد له) والده رضي الله عنهما في صغره بعلوّ الإستعداد وقال : "كان قدوم محمد المعصوم كثير البركة فإني تشرّفت بعد ولادته بخدمة شيخي –يعني سيدنا محمد الباقي قدِّس سرُّه– فنلتُ هذه العلوم والمعارف . وإنه من المحبوبين ومستعد للولاية المحمدية" . وقال : "حال محمد المعصوم في تحصيل نسبتي كحال شارح الوقاية ألفها جدّه سبقاً سبقاً وهو في ميدان حفظها يجري طلقاً طلقاً" . (وقال يوماً قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُما) إني أرى نفسي نوراً سارياً في كل ذرة من ذرات العالم والعالم يتنوّر به كالشمس . فقال ياولدي أنت تصير قطب وقتك فاحفظ ذلك عني . (وقال) له يوماً إن فيك نصيباً من الأصالة وقد إندمج في جبلّتك بقية من طينة الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم . فهذه المحبوبية الذاتية من آثارها . (وقال رضي الله عنه) أجد نفسي وهذا الولد من زمرة السابقين الذين قال تعالى فيهم (ثُلّة من الأولين وقليل من الآخرين) .(وقال رضي الله عنه) إن خلعة القيومية التي كانت عليّ قد أفرغت على محمد المعصوم . (وقال له) ياولدي أن علاقتي وإرتباطي بهذا المجمع –يعني به العالم– كان بسبب القيّومية وقد أُعطيتَها فتوجه الى المكوّنات بالشوق التام وقريب رحلتي اه .

(وله قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) مكتوبات عالية تضمنت غوامض أسرار ودقائق عرفان وحل مشكلات والده مجموعة في ثلاث مجلّدات ضخمة ، وقد رأيتها مترجمة بالتركية . ومنها ما نقله حفيده الشيخ محمد مظهر معرّباً بقوله حققنا الله سبحانه وإياكم بكمال الإنقطاع والتخلّي اليه عما سواه بحيث لايبقى منه في الباطن عين ولا أثر ليحصل التبَتُّل التام المشار إليه في قوله تعالى (وتبَتَّلْ اليه تبتيلاً) عن نفسك

وعن سائر لطائفك المتعلّقة بالخلق والأمر وعن الكمالات الوجودية الراجعة اليها وحقيقة التقوى . إنما هذا هو التبتيل والإنقطاع وكان قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا إتقوا الله حق تُقاته) إيماء الى ما ذكرنا ، أي الذين آمنوا صورة وإنقطعوا عما سوى الله وتخلّوا اليه سبحانه وتعالى وإنخلعوا عن العوائق والتقيدات متوجهين الى حضرة الإطلاق حق الإنقطاع والإنخلاع ، بحيث لايبقى من ذواتكم وكمالاتكم الراجعة اليكم أثر . ويسري فناؤكم في لطائف الخلق والأمر كلها . ولاتموتُنَّ قبل الموت (إلاّ وأنتم مسلمون) ، أي مشرّفون بالإسلام الحقيقي دائماً في جميع الأحوال لدلالة الإسمية على الدوام . وكان في الآية الكريمة حثّ على دوام الموت والفناء ليكون الإسلام والبقاء المترتب عليه دائماً . بخلاف صاحب التجلّي البرقي فإنه لم يمت موتاً دائماً ليصير هذا التجلّي أيضاً في حقه سرمداً .

وينبغي أن يُعلم أن التجلّي البرقي ليس من التجلّي الذاتي الصرف في شيء ، وإنما هو تجلٍّ ذاتي بملاحظة شأن إلهي هو سريع الإستتار والزوال . والذات إذا تجلّت لا إستتار لها (وإعتصموا بحبل الله جميعاً) أي بالحقيقة الجامعة الكلية المعبَّر عنها بالحقيقة المحمدية ، ليصير الإعتصام بهذا الحبل ذريعة للوصول الى حضرة الإطلاق . (ولاتفرّقوا) بتفرّق الأسماء والأعيان الجزئية . فإن الأسماء الجزئية والطرق المتفرّقة مالم تنته الى حضرة الإجمال لم تصل الى حضرة الإطلاق . (واذكروا نعمة الله عليكم) بعد أن جمعكم في الحقيقة الجامعة (إذ كنتم أعداء) بتفرّق الأسماء . إذ مقتضى بعضها يعارض البعض الآخر . (فألّف بين قلوبكم) بأن جمعكم في حقيقة واحدة جامعة وجعلكم على قلب واحد قلب محمد صلى الله عليه وسلم . (فأصبحتم بنعمته إخواناً) متولّدين من حقيقة واحدة آخذين منه الفيض ، كما يأخذ الإخوان من الأم . أه .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) العارف الكامل المشرَّف بالبقاء الذاتي يشاهد جماله في مرايا العالم . ويرى نفسه كلاً وإجمالاً والعالم مظاهره وتفصيله . ويعاين ذاته سارياً في أفراد العالم محيطاً به إحاطة الكل في أجزائه . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) القيوم في هذا العالم خليفة الله تعالى ونائب منابه ، والأقطاب والأوتاد والأبدال والأفراد مندرجون تحت ظلاله . وأفراد العالم كلها متوجهة اليه وهو قبلة توجههم علموا ذلك أولاً ، بل قيام العالم بذاته الشريفة . لأن أفراد العالم مظاهر الأسماء والصفات وكلها أعراض وأوصاف . ولابد للعرض والوصف من جوهر وذات يقوم به وسُنّة الله جارية بإعطاء العارف التام المعرفة بعد قرون متطاولة نصيباً من ذاته المقدسة (يعني من تصرفات الذات) قلت مراده والله أعلم بالقيّوم ما هو مرادف للإنسان الكامل . فإنه أعم من القطب بمعنى الغوث . أو مراده به ما هو بمعنى القطب كما يُفهم من قول والده في مبشراته «أنت تصير قطب وقتك» . وعليه فيكون المراد بالقطب في قوله والأقطاب الخ... ما عليه مدار أي شيء كان ، كقولهم قطبٌ في الزُهد وقُطب الوَرَع . أو هو إصطلاح له في معنى القيّوميّة ولسيدنا الشيخ الأكبر رضي الله عنه في الجزء الثاني من "الفتوحات المكيّة" في بيان القيّوميّة ما يخالف هذا . فأنظره فإنه لا نظير له .

(ومنها) مانقله صاحب "كنز الهدايات" في (الهداية الخامسة) عنه أنه (قال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) :

" الوجود مع كمالاته التابعة له مخصوص بالواجب تعالى . ومايتراءى في الممكن من الوجود وتوابعه ، فهو مستفاد منه تعالى ومستعار للممكن . والذاتي للممكن هو العدم وما فيه من الظهور فبواسطة إنعكاس الكمالات فيه . وبهذا تميّز عن سائر الأعدام . فالممكن بهذا الطور اللاوجودي تصور نفسه كاملاً ومبدأ للخيرات وأدعى للإشتراك والإستقلال وأقبل عليه وأعرض عن أصله . فإذا أراد الحق سبحانه

بالسالك المستعد فضلاً منه أن يخصه بتقريبه اليه تعالى يعطيه هذه المعرفة ، حتى يعرض السالك نفسه ويقبل على ذلك الجناب الأقدس ويحيل الكمالات المستعارة على الأصل ويتخلّص من الشرك الخفي ودعوى الإستقلال ."

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) ينبغي أن يُعلم أن الأقدام في فناء النفس متفاوتة تفاوتاً كلياً وقلما يوجد صاحب دولة يصل الى حقيقة ذلك . وإن كان أكثر أهل السلوك يتوهمون ويتعقّلون هذا المعنى ويغوصون في بحاره عند المراقبة ، فيستخرجون منها درراً ويستكثرون عند غلبة الشوق والمحبة قليل التخلّص والنجاة الحاصل لهم ، ذلك بطريق إندراج النهاية في البداية وبانعكاس أشعة أنوار الشيخ الكامل . وأما مَن تحقق بكمال هذا التخلص على قدر الطاقة البشرية فإنه قليل . وما لم يصل السالك الى حقيقة ذلك التخلّص لاتحصل له النجاة الكاملة من إثبات ألوهية نفسه ، فإنه يثبت ألوهية نفسه بتكرار كلمة التوحيد . وهذا جاءه من جهة إثبات صفة الكمال أما لنفسه ولو أحياناً نادراً . وأما لبعض اللطائف دون بعض أو مما يقرب من الإثبات .

(وسُئل قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) هل يتعرّض الشيطان لسالكي هذه الطريق أو لا ؟ فقال : قال الشيخ عبدالخالق الغُجدواني رضي الله عنه إن لم يصل السالك الى حد فناء النفس يجد الشيطان اليه سبيلاً عند الغضب . وأما السالك الواصل الى فناء النفس فلايكون له غضب بل غيرة وعند الغيرة يفرّ الشيطان .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) في تحقيق الفناء والعدم والفرق بينهما إسمعوا العدم الواقع في عبارات أكابر هذه السلسلة العلية عبارة عن ورود وجود الإسم الإلهي ، الذي هو مبدأ تعين العارفين من وراء الحجب بطريق الجذب والحب على محركة العارف ، بحيث يستتر في جنب ذلك وجوده ويغيب عن نفسه وأوصافه ، فلايجد شيئاً من ذلك . فوجود العدم عبارة عن التحقق بذلك الوجود . أي الوجود والبقاء المترتبين على الدعم . ويحتمل أن يكون الوجود عبارة عن التحقق بحالة العدمية . يعني ظهور صفة العدمية في السالك . وهذا العدم ووجود العدم بمعنى الفناء والبقاء في جهة الجُذبة . وليس لهذا الظهور دوام فلايدوم الفناء والبقاء المرتبين عليه أيضاً . فلايؤمن عود ذلك السالك الى البشرية . ومتى حصل هذا الظهور فإن وجود السالك يتوارى وإذا توارى الظهور فوجود البشرية يعود . والفناء الحقيقي عبارة عن إستيلاء وجود المطلوب على العارف . فحينئذ يجد العارف أوصافه وأخلاقه ظلال أوصاف المطلوب وأخلاقه . بحيث يحيل كل ذلك إحالة سديدة على ذلك الجناب ويصير خالياً من جميع المنتسبات . فلاتجد نسبةً ما إليه سبيلاً أصلاً . ووجود الفناء عبارة عن البقاء المترتب على هذا الفناء المذكور . ومن هنا يكون العارف بسبب الولادة الثانية موجوداً بالوجود الموهوب . وهذا الفناء والبقاء يلزمهما العدم ولايعودان الى وجود البشرية . ففي الصورة الأولى إستتار وفي الصورة الثانية إنتفاؤه وشتّان ما بينهما . لأن المستتر قد يظهر ويعود والزائل لايعود . والأول ليس من المطالب ولا الولاية مربوطة به . والثاني من المطالب وشرط للولاية . وكثيراً ما يقع للطالب خلط الأول مع الثاني ، فيظن نفسه فانياً فناءً حقيقياً موجود العدم ويحسبه كاملاً ولايهتدي الى هذا الفرق . وهذا من جملة مزالّ أقدام السالكين . ولذلك لابد له بعناية الله جلّ سلطانه من شيخ كامل مكمَّل تربّى بطريقي الجُذبة والسلوك ووصل الى النهاية ليخلص هذا العاجز العديم القوى من هذه الورطة ويدلّهُ على نقصه ويهديه الى الفناء الحقيقي .

(وفي الهداية السادسة) قال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ إذا ترقّي السالك من هذا المقام وتحقق بالذي فُقد هو فيه

وتخلّق بأخلاقه ووصل الى حق اليقين وإرتقى من الفناء الى البقاء . فحينئذ يتجلّى له حسن الإسلام ويتخلّص من الحيرة والدهشة والهيام . فيجده به لا بنفسه وعلمه إذ هما قد فنيا . قال الله سبحانه وتعالى (أوَمَنْ كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس) وفي الحديث (مَن قتلته فأنا ديَّتهُ) .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) مايُرى في الواقعات من التحلّي بالحُلي والتكلّل باللآلي واليواقيت هو تبشير بالبقاء . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) إذا رأى السالك إحاطة الأنوار به وحلول بحار الأنوار فيه وكون كل جزء من أجزائه جزءً من أجزاء النور . فذلك يمكن أن يكون من البقاء . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) في الولاية الصغرى ليُعلم أن العُمدة في حصول كمالات الولاية الصغرى المراقبة والأذكار القلبية من ذكر إسم الذات والنفي والإثبات . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) فناء النفس على وجه الكمال يتضمن فناء الروح والسر الخفي والأخفى . لأن النفس رأس هذه اللطائف سواء قبل الفناء أو بعده ، خيارُكُم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) كمال فناء النفس إذا إلتحق عدمها الإضافي الذي هو مرآة للصفات الكمالية التي إلتحقت بالأصل حين لم يبق في السالك غير هذا العدم بالعدم المطلق . فحينئذ لايبقى للعارف عين ولا أثر لاتُبقي ولاتَذَرْ . وبعد هذا بمقتضى "مَن قتلتُهُ فأنا ديّتهُ" معاملة البقاء . وأما معاملة الولاية الكبرى فهي أمام السالك بعد والفناء والبقاء وإن كان لهما صورة في الولاية الصغرى ولكن حقيقتهما في الولاية الكبرى وأظن أن لحوق العدم الخاص بالعدم المطلق من خصوص هذه الولاية .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) في كمالات النبوّة المرتبة الرابعة أفراد الذات تعالت وتقدّست عن الأسماء والصفات لأن محبة الذات لاترضى بشركة الصفات وإن لم يتصور إنفكاك الصفات عن الذات لا عكسه أبداً . لكن بمقتضى المرء مع مَن أحب للمحب مع الذات معيّته بحيث لايلاحظ الصفات ثمة أصلاً . فإنفكاك الذات عن الصفات إنما هو في الشهود والمحبة المثمرة للمعيّة المذكورة لا في الخارج . ونفس الأمر وهذا الكمال ناشيء من كمالات النبوّة وحصوله بالأصالة للأنبياء عليهم السلام وبالتبعية والوراثة للخواص من أتباعهم . ولايلزم من حصول كمالات النبوة لبعض الأفراد من الأمة بالتبعية والوراثة أن يكون ذلك البعض نبياً أو مساوياً للنبي . لأن حصول كمالات النبوة غير حصول منصب كما حققه شيخنا المجدِّد قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) مادام سير السالك في الأصول فله حظ من الشوق والحلاوة والمعرفة فيطيل لسانه في بيان المعارف والأسرار وإثبات نسبة الإحاطة والسريان ونسبة الأصالة والظلية والمراتب وأمثال ذلك . ثم إذا ترقّت المعاملة من الأصول الى مافوقها وترك الأصل كالظل كَلَّ لسانه وإستترت عنه النسبة السابقة ماللتراب ورب الأرباب . فتنتفي عنه تلك المعرفة والحلاوة التي كان يجدها . فحينئذ إن كان فيه علم وإلتذاذ فذلك أمر آخر أنسب ما يعبّر عنه الجهل والحيرة مَن لم يذق لم يدرِ وليس ذلك من قبيل الجهل والحيرة التي يعرفها العوام ، بل هو أمر آخر مالم يتحقق به لم يدرك على وجه التمام . فإن هذا الجهل له ألف مزية على العلم . وهذا الخوف والحيرة له رجحان عظيم على الشوق والحلاوة ، وهذا من قبيل مدح الشيء بما يشبه الذم .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) الشهود والمشاهدة حيث يوجد الظل والإدراك والوصل من معاملات الأصل ، فإذا ترقّى من الظلال وبقي الأصل كالظل في الطريق وإتصلت بالغيب المغيب . فحينئذ تكون المعاملات السابقة هباءً منثوراً ، فيتبدّل الإيمان الغيبي وينقلب ماكان من اللذة والحلاوة والذوق والشوق الى المرارة والألم والحزن . فقد كان صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة ولذة هؤلاء الأكابر مقيّدة

بالطاعات مقصورة على العبودية والعبادات . فإن كان غيرهم متلذذاً بالشهود مغروراً بخيال الوصال ، فأولئك الأكابر قد غضّوا أبصارهم عن الشهود وتصوّروا أن هذا الوصال خيال وإطمأنوا بالغيب الذي لم على الشهود آلاف من المزية وشدوا حزام الهمة للعبودية . فيرون إدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام أحسن من التجلّيات وأوقع من الظهورات ، والخشوع والنظر الى محل السجود ألذّ من المشاهدة والشهود . ثم يأتي بعد ذلك مقام ليس للعمل فيه نتيجة ولا للإعتقاد فيه أثر . فالترقّي هناك بمجرد الفضل والإحسان . ثم قال وهذا المقام بالأصالة مخصوص بالأنبياء من أولي العزم وللأفراد من أممهم نصيب من ذلك . ثم فوق هذا كمال يترقّى فيه من التفضّل الى المحبة . فالترقّي في حصول هذا الكمال منوط بالمحبة المحضة ، وفي المحبة كمالات المحبوبية . فظهور كمالات المحبة الذاتية بالأصالة مخصوص بالكليم عليه السلام . وظهور كمالات المحبوبية مخصوص بالحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم ولغيرهما تطفّلاً رجاء في هذين الكمالين .

(وهذه) ذرة من سعة أذواقه وأخلاقه وشذرة من معادن اقواله وأحواله وضعتها نموذجاً لبيان علو قدره وبرهاناً لإثبات عظمة شأنه وفخامة أمره . وإلاّ فالفكر أحصر من أن يحيط بفضائله ، واللسان أقصر من أن يمتد الى عدِّ شمائله .

(توفي قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) تاسع شهر ربيع الأول سنة تسعة وتسعين وألف في (سرهند) وله كرامات وهي أظهر من الشمس وأشهر من الخمس ، منها :

* إن أحد خلفائه الكرام الخواجه محمد صديق كان في سفر على فرس فجفلت فسقط الى الأرض وبقت رجله في الرِّكاب وجعلت الفرس تعدو به حتى أيقن بالهلاك . فإستغاث بحضرة القيّوم ، قال فرأيته حضر وأوقفها وأركبني .
* ومنها أن الشيخ محمد صديق المشار اليه وقع في البحر ولم يكُ يعرف السباحة فكاد أن يغرق ، فناداه مستغيثاً به . فحضر وأخذ بيده وأنقذه من الغرق .
* ومنها انه رضي الله عنه كان جالساً يوماً مع أصحابه في رباطة إذ إبتلّت يده الشريفة وكمه الى إبطه ، فعجبوا من ذلك وسألوه عنه فقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ : "إستغاث بي رجل من المريدين تاجر كان راكباً في السفينة وقد كادت أن تغرق ، فخلّصتها من الغرق فإبتلّ لذلك كمّي ويدي" . فوصل هذا التاجر بعد مدة وحدّث بهذا الأمر كما أخبرَ الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ .
* ومنها أنه ظهر في زمانه ساحر مجوسي يوقد النار ويدخلها هو ومَن يطيعه فلاتحرقهم . فإفتتن الناس به فتنةً عظيمة . فأمر حضرة الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ بإيقاد نارٍ عظيمة وأمر أحد مريديه فدخلها وإشتغل بالذكر فصارت عليه برداً وسلاماً فبُهت الذي كفر .
* ومنها ما ذكره الشيخ عبدالرحمن الترمذي أحد أصحابه ، قال : جئت مع إخواني لزيارة جنابه العالي ، فأعطى كل واحد منهم أثراً من لباسه تبرّكاً إلاّ أنا ، فلما صرت الى وطني غلب عليَّ الحزن والغمّ لحرماني من هذا الفضل الجزيل ، وإذا قد شاع في البلدة خبر قدومه قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ اليها . فخرج الناس لإستقباله وخرجت معهم فرحاً فرحاً شديداً . فلما بارحت البلدة رأيت حضرة الشيخ راكباً على فرس أبيض . فقال لي : لاتحزن وخذ قلنسوتي تبرّكاً . فلما أخذتها غاب هو والناس عن عيني وبقيت القلنسوة في يدي .

* ومنها أنه جاء أعمى يلتمس منه أن يدعو الله له في ردِّ بصره . فأخذ من ريقه ومسح به على عينيه وقال : إذهب الى بيتك وإفتح عينيك . ففعل فعاد بصيراً بإذن الله .
* ومنها أنه ذُكِر عنده رجل من الرافضة بأنه يسبّ حضرة الشيخين رضي الله عنهما جهراً . فغضب غضباً شديداً وكان بين يديه بطيخ فأخذ السكين وقال : إذبح هذا الخبيث . ثم أمرَّ السكين على البطيخ فمات الرافضيُّ من وقته .
* ومنها ما قاله قَدَّسَ اللَّهُ سرَّهُ : إني كنت متوجهاً ليلة النصف من شعبان الى معرفة نسبة أحوالي ونسبة أحوال بعض المريدين الحاضرين وقتئذ عندي . فمالبثنا أن عرج بنا على أبهج هيئة وأعظمها ، بحيث لم يحصل لي مثل ذلك العروج من قبل . فأُلقي اليَّ أنه لم يقع مثل هذا العروج لأحد فظهرت لي نسبة عالية المرتبة للغاية . ثم أُعلمتُ أنها نسبة المخلَصين وأنها هي النسبة التي أثبتها تعالى لبعض المرسلين على نبينا وعليهم الصلاة والسلام بقوله (إنه كان من عبادنا المخلَصين) . ثم عوملت ماعوملت ثم أُتيَ بخلع عالية الشأن بعضها فوق بعض فتشرّفت بالأفضل منها ووزع ما يليها على مَن معي على تفاوت درجاتهم وتفاضُل أقدامهم الأفضل ثم الأفضل . ثم كُشفت أشياء لو أظهرت منها شيئاً لقُطع مني الحلقوم والسلام على مَن إتبع الهدى .
* ومنها أنه حينما حينما حج البيت الحرام وزار النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما دخلت الحرم وشرعت في الطواف رأيت جماعة من الرجال والنساء على غاية الحسن يطوفون معي بإشتياق وتقرّب شديد بحيث يقبّلون البيت ويعانقونه في كل وقت . أقدامهم على الأرض ورؤوسهم بلغت عنان السماء . فظهر لي أن الرجال ملائكة والنساء حور .

(وقال رضي الله عنه) رأيت أن الكعبة المعظمة تعانقني وتقبّلني بإشتياق تام وكُشف لي أن تلك البركات والأنوار ظهرت مني وزادت حتى ملأت الصحراء وأحاطت بجميع الأشياء وإن محبتها لي سبب التحقق بحقيقة الكعبة الربانية . ورأيت ثمَّ كثيراً من الروحانيين حضوراً في كل وقت كالخدم بين يدي السلطان . (وقال رضي الله عنه) لما فرغت من طواف الزيارة جاءني مَلَك بكتاب قبول الحج من رب العالمين . (وقال رضي الله عنه) دخلت المدينة المنوّرة فلما وقفت تلقاء الوجه الأوجه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج من الحجرة المطهّرة وعانقني وحصل لي لحوق خاص به صلى الله عليه وسلم . وكذلك حصل لي عند زيارة الشيخين رضوان الله عليهما وشاهدت عليَّ وقتئذ خامةً صفراء فعلمت أنها من حضرة عمر وعليها خلعة حمراء ففهمت أنها من حضرة الصديق رضي الله عنه . ثم عند الإنصراف شُرِّفتُ بالخلعة العالية الخضراء فأُلهمت أنها من عند سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم . (وقال قَدَّسَ اللَّهُ سرَّهُ) كُشف لي أن سائر الممكنات من العرش الى الثرى محتاج الى الحبيب صلى الله عليه وسلم وهو بكمال إستيفائه اللازم للمحبوبية يفيض على كل فرد على حدة . (وقال قَدَّسَ اللَّهُ سرَّهُ) جرى بيني وبين النبي صلى الله عليه وسلم من المعاملات ما لو أشرتُ الى بعض منها لقُطع منّي البلعوم وذبح الحلقوم ، حتى أني وجدت كل صلاة صُلّيَ بها عليه وكل قصيد مديح به راجعاً الى نفسي ، فقال ولده : حجة الله ياسيدي أن الكُمون والظهور هما الفناء والبقاء أو هما شيئان آخران . فقال رضي الله عنه : هما الفناء والبقاء ومتميزان عنهما بالخصائص التي لاتوجد فيها .

(وقال قَدَّسَ اللَّهُ سرَّهُ) ولما تشرّفت بزيارة أهل البقيع رأيت من آل البيت والأزواج والأصحاب رضي

الله عنهم عناية خاصة وخلعاً مخصوصة وظهرت نسبتي ثم ظهوراً عجيباً للغاية إذ رأيت جميع العالم من العرش الى الثرى منوّراً من نوري . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) غلب عليَّ وقت الوداع الحزن والبكاء فرأيت سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم قد خرج من حجرته المطهّرة وخلع عليَّ خلعة فاخرة وتاجاً مثل تاج الملوك مكللاً بأحسن الجواهر . وظهر لي أن هذه خلعة خاصة من ألبسة ذاته المقدّسة لا كالخلع السالفة شرّفني بها من كمال كرمه صلى الله عليه وسلم .

وبالجملة فقد كان قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ آية من آيات الله العظام نوّر الله به العوالم وهدى الخلائق .

(قيل) أنه تلقّى الطريقة العلية النقشبندية منه تسعمائة ألف وبلغ عدد خلفائه سبعة آلاف كلهم أولياء عظماء لأنه كان يوصل الطالب في أسبوع واحد الى الفناء وفي شهر الى كمالات الولاية ، وأوصل بعضهم بتوجه واحد الى جميع المقامات . (فمن أجلِّ خلفائه) :

* عالم زمانه وبركة أوانه الولي الأسمى والمرشد الأسنى مولانا الشيخ محمد حنيف الكابُلي قدِّس سرُّه . كان ذا تصرفات قوية وبشارات عظيمة أوصل ببركة صحبته الى الأحوال الشريفة والمقامات السنية ألوفاً من الرجال . (وممن ذُكر) الإمام الجليل والمرشد الكامل التكميل العارف كل العارف مولانا الشيخ محمد صديق البيشاوري قدِّس سرُّه . أنقذ الله به الناس من لجة الضلالة الى ساحل الهداية والإرشاد حتى أصبح أكثرهم كاملاً مكمّلاً . (ومن كراماته) أنه توجّه الى شجرة يابسة فإخضرّت وأثمرت لوقتها وله خلفاء حنفاء (وممن ذُكر) وليّ الخلفاء وخليفة الأولياء العلامة الدرّاكة الشيخ حبيب الله النجاري قدِّس سرُّه . كان من أعظم مشايخ خراسان وماوراء النهر وقد روّج الطريقة في تلك الممالك ترويجاً تاماً . قيل أنه أذن بالخلافة لأربعمائة رجل وبشّرهم بالكمال والتكميل . (وممن ذُكر) نخبة الأولياء وكعبة الأتقياء الشيخ محمد مراد البخاري الشامي قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ . فرغ القيوم من تربيته في أسبوع واحد بحيث صار كاملاً مكمّلاً ثم أرسله الى الشام . فحصل له قبول عظيم وكمل عنده خلق كثير . وقد ترجمه حفيده في "خلاصة الأثر" بما يسرُّ الناظرين . (وممن ذُكر) زبدة الكاملين وعمدة العلماء العاملين الشيخ ملا موسى اللنكرهار (لنكرهار- موضع من نواحي كابُل) . أظهر الله هذه الطريقة العلية ببركته في تلك النواحي إظهاراً تاماً . (ومن كراماته) أن الله تعالى خصّه بالتصوف في حياته وبعد مماته . من ذلك أن مَن لدغته حية يُقرأ على محل لدغتها إسمه الشريف فيشفى من بركته وذلك جار الى يومنا هذا . (وممن ذُكر) العالم الكبير والمرشد الشهير مولانا الشيخ أدم السندي قدِّس سرُّه . ألقت اليه المشيخة مقاليدها في بلاده . (وممن ذُكر) صاحب المعارف العالية والهمم الكافية والفضائل الواقية مولانا الشيخ أرغوان الخطائي قدِّس سرُّه . أشتُهر في تلك المملكة إشتهاراً عظيماً بالإرشاد والهداية والإمداد وألقى إليه العباد زمام الإنقياد حتى دخل السلطان (كاشغر) في طريقه وصار من جملة مريديه وفريقه . (وممن ذُكر) زهرة المرشدين وزهوة العلماء المحققين الشيخ محمد أمين البدخشي قدِّس سرُّه . بلغ في المشيخة في بلاده المقام المتين . (وممن ذُكر) أكبر أولي الإرشاد وخواص أصحاب الهداية للعباد الشيخ حافظ الصادق قدِّس سرُّه . بلغ من علوّ قدمه أن أرسله حضرة الشيخ لإرشاد سلطان الهند (عالمكير) وأتباعه . فأرشدهم الى الحق وهداهم بمنّه وكرمه الى إتّباعه . (وممن ذُكر) صفوة أهل التحقيق في طريق العلوم وعلوم الطريق صاحب التصانيف النفيسة في المعقول والمنقول الشيخ محمد باقر اللاهوري مؤلف "كنز الهدايات" ، وهو كتاب بديع

رتّبه من كلام الإمام الرباني والعروة الوثقى على مراتب السلوك وهو عـربي العبارة طالعته وإستفدت من أثاره جزاه الله خيراً .

* (وممن ذُكر) المرشـد الكامل والعـالم العـامل الشـيخ نجم الدين السلطانـفوري قـدِّس سـرُّه . (وممن ذُكر) الشيـخ الأفضل والمرشد الأكمل مـولانا مير محسن السـيالكوتي قدِّس سرُّه . (وممـن ذُكر) العارف الهمام والمرشد الإمام مولانا الشيخ عطاءالله السـورتي قدِّس سرُّه . (وممن ذُكر) عالم الصُلَحاء وصالحُ العلمـاء الشـيخ كلان السـمـرقندي قـدِّس سرُّه . (وممن ذُكـر) أعلى الخلفـاء قـدراً وأعظمهـم علماً وسـراً مـولانا الشيخ عـبدالـرحمن الـقراآسـماني قـدِّس سـرُّه . (وممن ذُكـر) ذو الأنفاس الروحـانيـة والأخـلاق الإيمانيـة مـولانا الشـيخ علي اليـمني قـدِّس سـرُّه . (وممن ذُكـر) خلاصـة العلمـاء الأمـاجـد ومظهـر أهل المعارف والمشـاهد الشيخ حامد قدِّس سرُّه . (وممن ذُكـر) كوكب الفضل والأفـضال المُشرق في سـماء عظمـاء الرجـال مـولانا الشـيخ عـمر الـشافـعي اليـمني قـدِّس سـرُّه . (وممن ذُكـر) بدر المعـالي السنيـة والأنفاس المدنية مـولانا الشيخ زين العابدين المدني قدِّس سرُّه . (وممن ذُكر) روضـة العلم والعرفان الباسمة في المجد أزهارها الحِسان مولانا الشيخ يوسف الملتاني قدِّس سرُّه . (وممن ذُكر) نجم الإرشاد الثاقب ومنهل العـوم اللدنية والمواهب مولانا الشـيخ عبدالله القنوجي قدِّس سـرُّه . (وممن ذُكر) عَلَم المعارف والمعـاني وخلاصة الأيام والليالي مـولانا الشيخ إسحق التركـستاني قدِّس سـرُّه . (وممن ذُكر) عين أعيـان الأولياء وإنسـان عين الأصفـياء مولانا الـشيخ أحمـد البخـاري قدِّس سرُّه . (وممـن ذُكر) رحلة الشـيخ والشاب وحـرم الألبـاب مولانا الشـيخ أبو تراب قـدِّس سرُّه . (وممن ذُكـر) مـورد الأذواق الإلهيـة ومـعـهد الأطوار الربـانية مـولانا الشـيخ عـبدالله المغـربي الصـوفي قـدِّس سرُّه . (وممن ذُكـر) صـاحب الأخـلاق المصطفـوية وسـاحب أذيـال الـفضيلـة الصفـوية مـولانا الشـيخ الحـاج مـصطفى البنكالي قـدِّس سرُّه . (وممن ذُكر) قاعدة السلوك الى ملك الملوك مولانا الشيخ عبدالله الكولابي قدِّس سرُّه .

وغيـرهم كـثيرون ممـن رفعـوا أعلام الهـداية ونشروا أسـرار الطريـق ما محـا ليل الغـواية وهم أكثـر من أن يُحصون عدداً قدّس الله أسرارهم العلية .

(وأما أنجالـه الأنجاب) فهـم ستّة أنجـاب عجاب نوّر الله الأقـاليم السبعة بأنوارهم وجعل كل واحد منهم من أكبر الأقطاب كما بشّر المجدد رضي الله عنه والدَهم بذلك ، فقال إن أولادك يكونون مثلي :

* الأول ؛ علاّمة العارفين وكعبة أهل حق اليقين سيدنا الشـيخ محمد صبغة الله قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ . (ولد) عام إثنين وثلاثين وألف في حيـاة جـده العزيـز رضـي الله عنه ، فـقال إني أجد منه رائحـة الأصالة فـسمّوه (صـبـغـة الله) . ثم تلقى علمَيْ الـظاهر والبـاطن عن حضـرة والده حـتى بلغ من العلوم غـايتـهـا ومن المقامات الإلهية والكمالات المجددية نهايتها . وصار له رسوخ تام في الوَرَع والتقوى وإستقامة كاملة على الطاعات والعبادات كـأبيه وجده . (ومرض) قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ في حداثة سنّه مرضاً شديداً وصل به الى حـد اليأس من حيـاته . فـقال جـده المجدد قَـدَّسَ اللّهُ سرَّهُ العـزيز لأهله : "لاتخافـوا عليه فـإنه يكون معمَّراً ذا إرشاد وهداية عظيمة وكأني به وهو شيخ كبير بيده عصا حوله ألوف من الطلبة" . فكان كذلك فقد عـاش أكثر من تسعين عاماً . ثم لما أذن له والده العزيز بالخلافة رحل الى بلدة كـابُل . فصار قطب تلك الديار وحصل له قبول عظيم وأقبل عليه السالكون من كل فجٍّ عميـق . فصار أكثرهم بهمّته العلية من أولي الأحوال والولاية الكاملة . (وله قدِّس سرُّه كرامات وتصرّفات عجيبة) منها أنه جاءه مرّة سائل

فلم يجد ما يعطيه فنظر الى مدر مرمي هناك فـإنقلب ذهباً فأعطاه إياه . توفي سنة إثنين وعشرين ومائة ألف .

* الثاني ؛ المُظهر الأحـمدي والوارث المحمدي سيدنا الشيخ أبو الـقاسم شرف الدين حجة الله محمـد نقشبند قدِّس سرُّه . (ولد) عام أربع وثلاثين وألف . وقال حضـرة المجدِّد رضي الله عنهما : "ولدك هذا نظيري في كمالات قرب الحق" . وقال حضـرة عمه العارف الكبير مولانا الشيخ محمد سعـيد خازن الرحمة قدِّس سرُّه : "إني لأظن أن هذا الولد كأبـيه وجده ذو كمال في الظاهر والبـاطن" . وكانت آثار الولاية تلوح على جبينه وهو صغير . قرأ علوم الظاهر على حضرة والده فـأتقنها قبل بلوغ الحلم . ولم يزل يتبحّر فيها حتى كاد أن يدرك رتبـة الإجتـهاد في الـفقـه والحديث والتـفسير وطـالما أتى في أسرار معاني القـرآن المجيـد بالعجـائب والغرائب . ثم أتمَّ مقـامـات السلوك على حضـرة والده ، فنال بـأقـرب وقت أعلى الدرجات وبلغ في منـصب الإرشـاد غـاية الغـايات ، فـأصـبح ذا شـأن عظيم ومـقـام كـريم . وكـان والده العـزيز يجلّـه ويقـرّبه حـتى قـال مـرة في حقـه "كـلّمـا جـاء هذا الولد عندي أحبّ أن أقـوم تـعظيـماً لـه" . (وكتب) لوالده مـرّة : "إني تشرّفت في هذه الأيام بإلهامات غريبة ومخاطبات عجيبة فـقيل لي أنت من أوليائي وأنت من عـبادي الصالحين وأنت من الذين لا خوف عليهم ولا هـم يحزنون . ورأيت يوماً أن وصولي الى جناب قـدسـه وتعـالى بلا واسطة أحد وإذا بصورتـكم المباركـة قـد ظهـرت بيننا . ووجـدت نفـسي قـد إتحدت بجنابكـم فهنالك ظهر تنزّل الحق سـبـحـانه وتعالى بلا كـيف بتـجلّي الخـيـر والبركـة العظيـمـة . فـأرجـو التـصديـق على هذا من حضـرتكم" . فكتب اليـه قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُما : "إني سـررت بكتابكم وقد بلغت ترقياتكم الى مرتبة مشاركتي في المعاملات فما الحاجة الى التصديق على كشفكم ومع ذلك فـتـصديق في تصديق" . (ثم كـتب) له أيضاً بعض كلام في الحقـائق الإلهيـة أُلقي اليـه . فأجابه رضي الله عنهـما بأن : "هذه المعارف التي تصدر عنكم مـخصوصـة بالإمام الربانـي وهي أسرار المقطّعات القـرآنية قـد أتحفكم الله تعـالى بهـا من محض فضله . وقـد شـرّفني رسـول الله صلى الله عليه وسلم بخلعـة مرصّعة وتاج مكلّل ، هي خلعـة قطبية الإرشاد القيّـوميّة . فالحمـد لله أبشركم بأنكم أُعطيتم تلك الـقطبية والقـيّوميّة . فـبارك الله لكم فـيما أعطاكم" . وبالجـملة فقد كـان حجة الله البـالغة على خلقه . ومن أشهر خلفائه :

* قطب الإرشـاد والخيـر حفـيده شـمس الدين أبو البركـات ، الشـيـخ محـمد الزبيـر نجل الشيخ أبي العلاء شبـل قَدَّسَ اللّهُ سـرَّهُم . (ولد) عام ثلاث وتسـعين وألف وكان في صبـاه قـوي الإسـتـغراق بحـيث كـانت تغلب عليـه الغيـبة أثناء تحـصيل العلم . حفـظ القرآن وقـرأ جمـيع العلوم وسلك عند جـده . فـصـار بـأقـرب أن من الأوليـاء الكـاملين وهو خـاتمة المشـايخ من أولاد الإمـام الربّانـي أيّد الله هذه الطريقـة العليـة وهدى ببـركتـه السـالكين الى مـقامـات القـرب والكمـال . وكانت إسـتـقامـتـه على العبادة وإتباع السنة السنيـة فوق طاقة البشر . وإلتمس منه أحد طالبي الحق سـبحانه وتعالى أن يتوجه اليه بتمام النسبة المجددية . فقال له رضي الله عنه : "إن ذلك عظيم الثقل مما يعجز البشر عن تحمله فليـس بممكن" . فألحّ الطالب عليه فـتوجه اليـه وألقى جميع الـنسبة عليـه . فلم يقدر على تحمّلها ولحق باللـه عزّ وجلّ . وإحتضر أحد أصـحابه وكان ذا عيال كـثيرين وصبية صـغار . فلما عـادَهُ غلبت عليـه الرحـمة فـأخـذ المحـتـضـر الى صـدره فـشُـفي وعـاش سنين ثم توفي يوم وفـاة الشيخ ، لأنه كان قيّم حياته وذلك سنة إثنين وخمسين ومائة وألف قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ .

* والثالث ؛ من أنجال الإمام المعصوم قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ تاج هام الأولياء الكاملين وعقد جيد العلماء العاملين سيدنا الشيخ مروج الشريعة عبيدالله محمد قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ . (ولد) سنة سبع وثلاثين وألف وألهم حضرة والده حين ولادته هذه الآية (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يُبعثُ حياً) . وكان في العلم والعمل والتقوى والورع عديم النظير . ونال ببركة حضرة والده أسنى مقامات الوصول والقرب الإلهي ، حتى صار قطب وقته وإستفاد من فيوضات إمداده خلق كثير . وكان والده العزيز يحبّه جداً ويقول له : "إنك تسير معي كهاتين -ويشير الى السبابة والوسطى- عروجك ونزولك معي سواء" . وبشّره أيضاً بالأصالة وبلغ من التواضع والوقار والتمكين الغاية القصوى ولم ينقل أنه قابل أحداً بمكروه . (وجاءه مجذوم) يسأله الدعاء له بالشفاء فسقاه ماء وضوئه فشُفي في الحال .(وتعرّض) لأحد أحبابه ثعبان عظيم فإستغاث به فرآه قد حضر عنده وقتل ذلك الثعبان . (وكانت) الطلبة تزدحم على حضور حلقة درسه صباحاً ومساءً بحيث لايبقى في حضرته مع إتساعها محل للجلوس أصلاً . (توفي) عام ثلاث وتسعين وألف قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ .
* والرابع ؛ مُظهر العلوم والمعارف الربّانية ومفخر الأولياء المعصومية الشيخ محمد شرف قدّس الله سرّه . (ولد) سنة ثمان وأربعين وألف وحصّل العلوم بأسرها من معقول ومنقول وفروع وأصول حتى صار مفرد زمانه وأوحد أقرانه . صنّف الحواشي المفيدة على الكتب المتداولة في أكثر الفنون . ولما أتمَّ تضلّعه في كافة الفضائل قال له والده العزيز : "ياولدي إنه بقي من عمري سنتان والفرصة قليلة فهلُمَّ أتوجّه إليك توجُّهاً واحداً يفوق بعناية الله وبركة المجدِّد سنين" . فتوجّه اليه وألقى نسبة الولايات الثلاثة والحقائق السبعة عليه . فتلقّى تلك الأحوال والأسرار بقلب ثابت وقدم راسخ . وذلك أعظم دليل على قوة تصرّف والده العزيز حيث رقّاه من تجلّيات الأفعال والصفات والشؤون الى تجلّيات الذات بتوجّه وإلتفات واحد وعلى كمال إستعداد ولده الجليل لقبول هذه التجلّيات التي تدك لها الجبال الرواسي . فإشتغل بهداية السالكين مع كمال الإستقامة على طريقة آبائه من الورع والتقوى حتى أصبح مرجع الطالبين ومؤمل المسترشدين وملجأ اللائذين . (سأله) مريض شديد المرض أن يدعو له بالشفاء فقرأ عليه شيئاً فعاد كأنما نشط من عقال . (توفي) سنة سبع عشرة ومئة وألف قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ وكان آخر كلامه "حسبنا الله ونعم الوكيل" .
* والخامس ؛ نتيجة أولياء العلماء وفذلكة العلماء الأولياء بركة هذا الطريق الشيخ محمد الصديق قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ . (ولد) عام سبع وخمسين وألف وبرع في تحصيل علمي الظاهر والباطن من حضرة والده ، وخصّه الله بالترقّي الى جميع المقامات العالية . وحجّ البيت الحرام وفاز بعناية إلهية وتفضيلات نبوية وحصل له قبول عظيم في تلك الأماكن المطهّرة . فأقام مقامه خلفاء لإرشاد العباد من أشهرهم : العارف النبوي السيد عبدالله باحسين العلوي شيخ الإمام الكبير المقام الشيخ محمد إبن عقيلة صاحب المسلسلات الجليلة قدّس سرّهما . ثم إنقلب الى أهله مسروراً ثم بنى رباطاً في مدينة (دهلي) وتصدّر لهداية العالمين . فقصده الأمراء والفقراء وإزدحم على بابه العلماء والشرفاء حتى دخل سلطان الهند (قزم سير) في طريقه . وكان ذا علم وحلم وتواضع وأخلاق حسنة وبذل تام . وله كرامات كثيرة شهيرة . (توفي) عام ثلاثين ومائة وألف في دهلي ونُقل الى سهرند . فكان يُسمع عند الأذان من نعشه إجابة المؤذن قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ .
* والسادس ؛ شيخ هذه السلسلة الطاهرة وأولى مَن سرى اليه سرّ هذه النسبة الباهرة سيدنا الشيخ محمد سيف الدين الفاروقي المجددي قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ .

حضرة سيدنا الشيخ محمد سيف الدين الفاروقي المجددي
قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ

الكريم إبن الكريم محيي الطريق القويم والصراط المستقيم بعزيمة عظيمة عمرية وهمّة أحمدية مجددية . الإمام الجليل والسيف الرباني الصقيل . (ولد) سنة خمس وخمسين وألف في سهرند وتربى هذا العصام في حجر والده المعصوم ، وتغذّى بألبان تلك المعارف والعلوم حتى أربى الفرع على الأصل في الفضل . وتأهّل لتربية أبناء العصر ونعم الأهل وأنجب حال صباه . فلا عجب إذا فاق أباه ، فقد إستمسك بالعروة الوثقى ورقي على معراجها الأرقى . وفي حياة أبيه النبيه جلس على عرش الهداية وتربع . وإقتفى أثر سلفه الصالح وتتبّع . فشاد أركان الإرشاد وألقى إليه العباد مقاليد الإنقياد . فأصبحت أعتاب بابه محط رحال الوافدين وموارد إرشاده سائغة للواردين . وصار في سماء كواكب العارفين بدراً وفي دولة العلماء بالله صدراً الى حل رموز عرفانية وفتح كنوز ربّانية . ونشر علمي الباطن والظاهر وحشر فضائل الأوائل والأواخر ، وحلو أخلاق وعلوّ أذواق تشهد بكمال وراثته وأنه ثالث ثلاثته .

(وقدم) بأمر والده العزيز بل بأمر الله تعالى الى مدينة (دهلي) لترويج الشريعة الغرّاء ونشر أنوار الطريقة الزهراء . فتلمذ له السلطان (محمد عالمگير) بإرادة صادقة وإعتقاد صحيح وإنتظم الوزراء والأمراء العظام في سلك خدمه . وطفق يُحْيي السنّة المطهّرة ويؤيد الشريعة المقررة وينصر أعلام الإسلام ويمحو آثار الظلم والعدوان . وببركة صحبته وفّق الله تعالى السلطان المُشار اليه الى تنفيذ ما دأب الشيخ عليه من صون المحارم ودفع الظالم عن المظالم وصلح حاله كل الصلاح . فحفظ الكتاب المجيد في سن الشيخوخة ولازم إحياء الليالي والإشتغال بالطريقة العلية . فغلبت عليه نسبة لطيفة الأخفى وإطلع على مبدأ تعينه صفة العلم . فكتب الشيخ الى والده العزيز أحوال السلطان ، ففرح بذلك فرحاً عظيماً وصدّق بنظره الكشفي على ذلك وسلّمه .

(وكان قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) يبالغ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبالغة عظيمة بحيث مانقل عن أحد المشايخ الغابرة مثلها حتى لقّبه والده رضي الله عنه بـ(محتسب الأمة) . فإنه كان لايسمع بمنكرٍ في الهند إلاّ أزاله وماصبر لحظة واحدة عليه . فعظُم جاهه وفحل أمره وكبر شأنه وشرف قدره وبلغ من سموّ مقامه أن السلاطين والأمراء كانوا لايجلسون في مجلسه ، بل يقفون بين يديه بالأدب التام .

(وله كرامات وافرة وخوارق باهرة) منها :

أن رجلاً من الواقفين لديه خطر بباله أن الشيخ متكبِّر ، فإلتفت اليه وقد كوشف بخاطره فقال له : "تكبّري من كبرياء الحق تعالى" . (ومنها) أنه أنكر عليه ذلك مُنكرٌ آخر ، فرأى في منامه أن جماعة العسس أخذوه وجعلوا يضربونه ضرباً أليماً ويقولون له أنت تنكره على حضرة الشيخ وهو محبوب الحق سبحانه . فإستيقظ من شدة الضرب وتاب وإنغمر في جماعة الشيخ . (ومنها) أنه كان يسكن في رباطه ألف وأربعمائة سالك فيغذي كل واحد منهم على وفق رغبته . (ومنها) أنه سمع ذات مرة من بيت جاره صوت مزمار . فتأثّر تأثّراً تاماً حتى خرّ مغشياً عليه ورضخت يده رضخةً شديدة . فلما أفاق قال : "يزعمون أني خالٍ من العشق ، بل هؤلاء ليسوا بعاشقين حيث يصبرون على السماع" .

(ومنها) أن مجذوماً طلب منه الدعاء بالشفاء فنفث عليه فشُفي لوقته .

(توفي) سنة خمس وتسعين وألف ودُفن في بلدة سهرند نوّر الله مرقده . (وله) خلفاء حنفاء ملأوا البلاد إرشاداً والعباد إمداداً من أشهرهم : المرشد الكامل سيدنا شاه عباس قدِّس سرُّه . والإمام الجليل الشيخ صدرالدين الصوفي قدِّس سرُّه . والعارف بالله الشيخ أبو القاسم قدِّس سرُّه . وبدر فلك الإمداد سيدنا الشاه عيسى قدِّس سرُّه . ومن أعظمهم وأكرمهم شيخ هذه السلسلة المنوّرة وأكمل مَن سرى اليه سرّ هذه النسبة المطهّرة سيدنا الشيخ السيد نورمحمد البداوني قدِّس سرُّه .

سيدنا الشيخ السيد نورمحمد البداوني
قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ

سيد ملأ الملأ الأعلى نوراً وذكراً حميداً مأثوراً والعالم الأدنى مبروراً وسعياً مشكوراً ، حيث أفرغ على السرائر الحائرة سروراً والقلوب الغافلة حضوراً . فأصبح مظهر كل فضيلة جليلة ووسيلة الى الله تعالى ونعم الوسيلة . تحثُّ أرواح السالكين لتوجهه الأقدس وتحنو على إستنشاق نفسه الرحماني الأنفَس . أظهر الله الشريعة والحقيقة في أيامه ظهور البدر ليلة تمامه . فكم أحيا من سنّة دُرِسَتْ وقطع من بِدعة غُرِسَتْ .

(ولد) قدِّس سرُّه سنة (... ؟) وربي في مهد أشرف مهدي سيدنا السيف الصقيل الهندي ناهلاً من مناهل فيضه النقشبندي . فشبَّ على ما تربى ونال ببركته أعلى المقامات قرباً ، وإفتخر به فريق الطريق شرقاً وغرباً . فأنظر كيف سلّم نفسه للسيف لينال شهادة السعادة وسعادة الشهادة ويحيا الحياة الأبدية (مَن قتلته فأنا ديَّتهُ) . فأدركته العناية الأزلية فأصبح في البلاد الهندية سراجاً وهّاجاً تقصده الناس أفواجاً ، رجاء إقتباس أنواره والفوز بأسرار بركته وبركة أسراره . جلس من بعد سيده خير مؤيد لطريق إرشاده ومرشده ، وجدد ذكره الجميل وخلد ولاغرو فهو نور محمد :

همام إذا مافارق الغمد سيفه وعاينته لم تدرِ أيهما النصلُ

وإذ كان فرع الشجرة النبوية الزاهرة وطراز عصابة آل البيت الطاهرة ، فلا عجب أن أمسى بابه قبلة للأولياء وأعتابه رحلة للأتقياء وأنظاره جلاء قلوب الراغبين ووجوده مظهر تجلّيات حضرة الغنيّ عن العالمين .

(توفي قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) سنة خمس وثلاثين ومائة وألف .

(وكان) قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ كامل الورع والتقوى ملازماً لمطالعة كتب السير والشمائل والأخلاق النبوية متأسّياً بها . أدخل مرة رجله اليمنى الى بيت الخلاء قبل اليسرى فإنقبض ثلاثة أيام من مخالفته السنّة . فجعل يتضرّع ويلتجيء الى الله تعالى حتى بدّل قبضه بسطاً . وغلب عليه في أواسط أمره الإستغراق خمسة عشر سنة . فكان لايفيق إلاّ وقت الصلاة ثم يغيب . وكان يحتاط أشدَّ الإحتياط في أكل الحلال ، حتى أنه كان يخبز بيده الشريفة أقراصاً ويأكل عند شدة الجوع منها كسرات ويشتغل بالمراقبة ، فإذا فرغت خبز غيرها وعاد للمراقبة . ولكثرة مراقبته تقوّس ظهره . وقد لازم خدمة الشيخ سيف الدين عدة سنين ثم خدم الشيخ محمد حسن الحافظ نجل علامة زمانه المحدِّث الكبير الشيخ عبدالحق . وكان الحافظ من أجلّ خلفاء الإمام المعصوم أعواماً عديدة حتى بلغ في الولاية أعلى درجات الكمال .

(وكان يقول) منذ ثلاثين سنة لم يخطر ببالي شيء من أمر الأغذية بل آكل وقت الحاجة ما تيسّر . وكان لايتناول من طعام الأغنياء ويقول إنه لايخلو من ظلمة . وكان إذا إستعار كتاباً من غني لايطالع فيه إلاّ بعد ثلاثة أيام ويقول : "إن ظلمة الأغنياء قد تلبّست بغلافه ودفّته" . وورد عنه كلمات قدسية تثبت جلالة رتبته العلية .

وظهر على يده المباركة كرامات جلّت في بابها عن المشاركة . منها ما نُقل عن أجلّ أصحابه سيدنا حبيب

الله المظهر قدِّس سرُّه : أنه كان إذا ذكره يبكي ويقول لأصحابه ياحسرة عليكم أنتم مارأيتم حضرة السيد قدِّس سرُّه لو أدركتموه لجدّدتم إيمانكم بكمال قدرة الله تعالى حيث خلق مثل هذا العزيز . وكان يقول عنه أيضاً إن كشف حضرة السيد كان على غاية الصحة يدرك بالبصيرة ما لايدركه بالبصر . فإنه وقع بصري في الطريق على إمرأة أجنبية فلما وقفت بين يديه قال : "إني أجد منك ظلمة الزنا" . ولقي شارب خمر يوماً . فلما جاءه قال : "إني أجد منك رائحة الخمر" . ومنها أنه أتته إمرأة يوماً فقالت له : ياسيدي إن الجنَّ قد إختطفت إبنتي وقد عملت لردِّها أعمالاً كثيرة فما نفع فأغثني . ففكّر ساعة ثم قال : تجيء إبنتك في الوقت الفلاني . فجاءت في ذلك الوقت فسألوا البنت عن كيفية مجيئها . فقالت : كنت في الصحراء فإذا بشيخ أخذ بيدي وأوصلني الى هنا .

وتكمّل عنده فئة عظيمة هم مَن كيّد النفس وقيّد الهوى أتمَّ تميمة من أكملهم شيخ هذه السلسلة المبجلّة ، وأولى مَن سرى اليه سرّ هذه النسبة المفضلة الشيخ شمس الدين حبيب الله جان جانان المظهر قدِّس سرُّه .

سيدنا الشيخ شمس الدين حبيب الله جان جانان مظهر
قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ

كان شمس السعادة الأبدية وحبيب الله جلّ جلاله ونجيّهُ روح أرواح أهل اليقين وروح أرواح الذائقين وكعبة آمال الفريقين وعَلماً من أعلام النبوّة . إذ أظهر في إعلاء الدين المحمدي وإحياء الطريق النقشبندي المجددي غاية العناية والقوة . فأعلى الله أعلامه وشرّف في الدارين مقامه .

(ولد) قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ عام ثلاثة عشر ومائة وألف ، فهبّت عليه نسائم جُذبة من جُذبات الحق ، فوصلته بمراحم صفوة أشرف الخلق السند المؤيد السيد نورمحمد . ففتح عيون بصيرته ببركة أنوار سريرته وسقاه من سرّ العلوم المكتوم كأس الرحيق المختوم . فأخذه عن نفسه وسرى به من الأنفس الى الآفاق . فمالبث أن صُعق ثم أفاق فعرج به على معراج قدسه وأظهره من عالم الغيب على أسراره وأتحفه بكرامات مقاماته في طور أطواره . ثم ردّه فلم يجد غيره فرجع من حيرة الى جهالة ومن جهالة الى حيرة ، لم يزل يلحظ بأنوار تصفيته ويتدلّى به الى مراتب الرجل حتى بلغ الغاية في الكمال وخلص من المحو الى الصحو ومن الوصل الى الفصل . هنالك أذنَ له بإرشاد العباد الى سبيل الرشاد والصراط السوي والطريق القويم القوي ، وأوصى له بالخلافة . فنهض بأثقالها بعده وأشرقت شمس الهداية في برج سعده . ثم إتصل بأعتاب كل من الأولياء الكاملين سيدنا الشيخ محمد أفضل ثم سيدنا الشيخ حافظ سعدالله ثم سيدنا الشيخ محمد عابد السنامي رضوان الله عليهم أجمعين ، فازداد كماله وتمّت آماله . فتموّجت من بعدهم بالعرفان بحراً وظهر في سماء القطبية كالشمس ظهراً وقُصد بالرحلة من كل مكان وإزدحمت على أعتابه الرُكبان . فوسع الجميع حرم رحمته وشملتهم بركة همّته وهمّة بركته وأصبحت به الديار بيتاً معموراً تطوف به ملائكة الأرواح آصلاً وبكوراً .

(مفصل المجمل) كان قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ منذ ولد تتلألأ أنوار الهداية وآثار النجابة في ناصيته . وقد جُبِلَ على العشق للجمال والشغف التام به والمحبة له . كان في حجر مرضعته وهو إبن ستة أشهر فأخذته إمرأة جميلة الى حجرها فعشقها فكان إذا فارقها بكى . واشتهر في الناس تعشّقه للمظاهر الجميلة وهو إبن خمس سنين . فلما بلغ تسع سنين رأى سيدنا إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام فشرّفه بأنواع الكرامات . وكان وهو في هذا السنّ كلما ذُكر أبو بكر الصديق رضي الله عنه يحضر صورته ويراه بعينه وكذلك يرى الإمام الرباني . فاعتنى والده بتربيته وبالغ في تعليمه فنون العلوم وعلوم الفنون . فما بلغ في السن ثمانية عشر سنة إلاّ وفاق وبرع في كل فن . فجذبه الحقّ تعالى الى خدمة حضرة السيد نورمحمد قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ . فتلقّى عنه الطريقة العلية النقشبندية وبتوجّه واحد جرت لطائفه الخمسة . فلازم خدمته مع كمال الصدق والإشتغال بالرياضات الشاقة والخلوة في الصحارى والبراري والإقتصار على التغذّي بورق الأشجار والإكتفاء من اللباس على ما ستر العورة مدة أربع سنين .

ونظر مرة في المرآة فرأى صورة شيخه بدل صورته . ثم لما توفي حضرة السيد قدّس سرُّه جعل يختلف الى قبره الأنور ويستفيد منه ويستفيض مدة سنتين . ثم أذنَ له بالروحانية أن يرجع الى مرشد حي . فرجع الى المرشد الكامل والولي الواصل سعدالله المعروف بـ(شاه گلشن) وقطب الإرشاد الشيخ محمد

الزبير . فاعتذرا له بعدم إحالة تربيته لهما . فحضر عند حضرة العارف الكامل الشيخ محمد أفضل أحد خلفاء سيدنا حجة الله نجل الإمام المعصوم ومن خواص الإمام الكبير الشيخ عبدالأحد المعروف بدليل الرحمن نجل الشيخ محمد سعيد خازن الرحمة قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُم . فقرأ عليه كتب الحديث النبوي . فكان في أثناء الدرس يحصل له تمام الإستغراق في النسبة المحمدية ويشاهد كمال الإلتفات من حضرته النبوية ببركة صحبة الشيخ وحضوره . فصار له شيخ الحديث والصحبة ، حيث فاز منه بفوائد جمّة في الظاهر والباطن . فلما تمّ له في خدمة هؤلاء المشايخ عشرين سنة صحب حضرة المربي الأوحد الشيخ حافظ سعدالله ، وهو من كُمَّل خلفاء سيدنا الشيخ محمد صديق . فلازمه إثنا عشر عاماً وحصل له قوّة عظيمة في عرض النسبة وإتساع الباطن . ولم يتوجّه له في هذه المدة إلاّ توجّهاً واحداً لكبر سنّه وضعفه . فقد كان عمره وقتئذ نيفاً وثمانين سنة . ثم صحب شيخ الشيوخ حضرة الشيخ محمد عابد السنامي الصديقي أجلّ خلفاء الشيخ عبدالأحد المومى اليه قدِّس سرُّه . وأتمّ السلوك الأحمدي على يده . وهذا العزيز تتصل سلسلته بسيدنا الشيخ محمد سعيد خازن الرحمة أحد أنجال المجدد المارّ ذكره قدِّس سرُّه . فلذلك صار حضرة المظهر جامعاً لفيض الطريقين المعصومي والسعيدي . فكان يُكتب في سلسلة النقشبندية إسم حضرة سيد نورمحمد ومشايخه وفي السلاسل الأُخَر القادرية والسهروردية والچشتية إسم الشيخ محمد عابد المُشار اليه ومشايخه السعيدية .

(وكان) يقول حصّلت الولايات الثلاثة وكيفياتها وعلومها وإراداتها من حضرة السيد نورمحمد ، ونلت الكمالات الثلاثة والحقائق السبعة وغيرها من حضرة الشيخ محد عابد في مدة سبعين . ثم رقّاني سنة كاملة من أولها الى آخرها بالسير المرادي . فصارت لي قوة عجيبة في حالات كل مقام . وشرّفني بخلافة الطريقة القادرية والچشتية السهروردية وخصّني بضمانته ورقّاني من الولاية الإبراهيمية الى الولاية الخاصة المحمدية . فرأيت حالتئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقائي . ثم رأيته جالساً في محلي وأنا في مجلسه ثم رأيته في المحلين .

(وقال رضي الله عنه) كنت مرة عند حضرة الشيخ محمد عابد فقال : "إن الشمسين تقابلتا كمالاً بحيث لاتتميزان من كثرة أنوارهما ولو إلتفتتا الى تربية الطالبين لأنارتا العالمين" . وقبّل مرة ركبتي من فرط تواضعه وقال لي : "ليس في أصحابي مثلك ولكثرة حبك لله ورسوله تنال الطريقة بتوجّهك عزّاً عظيماً ولقبك عند الله شمس الدين حبيب الله" . وأحال اليَّ تربية بعض أصحابه ووضع حضرة السيد نورمحمد قدِّس سرُّه نعلي قدامي وقال لي : "أبشر بالقبول التام عند الله تعالى" . (وكان) الشيخ محمد أفضل قدِّس سرُّه يقوم تعظيماً لي ويقول : "إني أعظِّم كمالات نسبتك" . (وكان) الشيخ حافظ سعدالله قدِّس سرُّه يقول لي : "أنت محل نظري" .

(وقال) الشيخ العلاّمة الوليّ المحدِّث الشهير قدِّس سرُّه : "الدنيا في نظري كالكف وليس في الدنيا الآن أحد مثل حضرة المظهر قدِّس سرُّه" . ولما إنتقل مشايخه الأربعة المُشار إليهم زَيَّنَ مسند الإرشاد بجلوسه المبارك وروّج الطريقة العلية بوجوده المسعود . فشَدَّت إليه الرجال الرحال وبقي في دست الهداية أكثر من ثلاثين سنة على أتم حال من الإستقامة على إتباع السنّة السنية وإحياء آثار الطريقة الأحمدية والزهد والورع وعدم الركون الى الدنيا وأهلها .

(وكان) يختار الفقر على الغنى ويحبّ الكفاف لنفسه وأصحابه ويدعو الله لهم بذلك . ولم يقبل من

غنيٍّ شيئاً من الدنيا ، بل كان يأخذ أحياناً من أخلص مريديه . وكان قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ دائم الخمول والعزلة مابنى رباطاً قطُّ ولا بيتاً أبداً مع شدّة إلحاح أغنياء وقته عليه . وكان له محبة عظيمة في المشايخ لاسيما الإمام الربّاني وكثيراً ما كان يقول : "ماوجدت شيئاً إلاّ بمحبة المشايخ" .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) إختيار الطريقة لغلبة حب الحق تعالى وقد يوهب المريد ذلك بمحض فضله وسبحانه وإلاّ فدوام الذكر بشرائطه فرض ، ولاتنفتح عين القلب إلاّ بكثرة الذكر . فإن ورد حال أو إستغراق خلال الذكر وجبت المحافظة عليها فإذا ذهبت يُشرع في الذكر مع التضرّع التام ، ويلازم ذلك مدة حتى يحصل له دوام الإستغراق وهو المطلوب . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) حاصل هذه التكلّفات كلها تهذيب الأخلاق على وفق مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم إذ قال : "بُعثت لأُتَمِّمَ مكارم الأخلاق" . (وقال) العمل بالعزيمة في هذا الزمان صعب جداً لفساد المعاملات وعدم إمكان تطبيقها على قواعد الشريعة . فالأخذ بظاهر الفتوى مع إجتناب البدعة غنيمة عظيمة .

(وله) نفّعنا الله به كرامات عظيمة وتصرّفات جسيمة وكشوفات صحيحة عن الأمور الكونية وأحوال أهل القبور والحقائق الإلهية ، مما لايمكن حصره وقد جمعها سيدنا العارف بالله تعالى الشيخ عبدالله الدهلوي رئيس خلفائه العظام قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ في كتاب مخصوص رأيته وطالعته وهو في اللغة الفارسية .

(فمن كراماته العالية) إنه سافر مرة مع نفر من أصحابه بغير زاد ولا راحلة . فكانوا إذا نزلوا منزلاً تأتيهم الموائد من الغيب . فأمطرت السماء يوماً مطراً شديداً وهبّت ريح عاصفة ، فإشتدّ البرد عليهم فتأذّوا منه . فقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ : "اللهم حوالينا ولا علينا" فانجلى عنهم السحاب وجعل يمطر حولهم ببركة دعائه .

(وكان) له جار يحبّه فإحتضر فغلبته الشفقة ، فقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ : "يارب لا طاقة لي على فراقه فإشفه شفاءً عاجلاً" . فكأنما نشط في الحال من عقال . وكان في جواره رجل يبيع الأفيون في دكان له ، فقال يوماً لأصحابه : "قد كدّرت ظلمة الأفيون صفائي" . فتبادر أصحابه الى تلك الدكان فهدموها بعنف . فلما بلغه قال : "الآن إزداد تكدّري بسبب هذا الإحتساب إذ من أجلنا جرى هذا الأمر المخالف للشرع ، فإنه كان الأولى بحقنا أن ندعوه برفق للتوبة من هذا العمل ، فإن أبى نمنعه بشدّة" . ثم أمرهم بإحضاره الى حضرته فبعد فحص طويل أُحضرَ فأظهر له تمام اللطف وإعتذر اليه مما فرَطَ من أصحابه وطلب منه العفو عن تلك الجرأة وأنعم عليه . فلما رأى الرجل منه ذلك تاب الى الله في الحال وصار من مخلصي جنابه .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) زرت مرة سيدي الشيخ حافظ محمد محسن قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ فحصلت لي غيبة فرأيت جسده المبارك بحاله وأكفانه كلها صحيحة لم يؤثر التراب فيها إلاّ بطرف من جهة أسفل قدميه . فسألته عن ذلك فقال : كنت أتيت بحجر من غير إذن صاحبه ووضعته مكان الوضوء ناوياً أنه متى جاء صاحبه أعيده اليه . فوضعت قدمي عند الوضوء عليه فأثّر التراب من شؤم هذا العمل في قدمي كما ترى . قال والحق أنه بقدر ماتترقّى القدم في التقوى تترقّى في الولاية .

(وغضب) مرة من رجل فقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ : "إني رأيت كل المشايخ الى حضرة الصديق الأكبر رضي الله عنه قد أعرضوا عنه" . فمات الرجل ثالث يومٍ من غضبه . (وجاءه) أحد أصحابه فقال : ياسيدي قد حُبس أخي في البلدة الفلانية فادعُ الله في خلاصه . فقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ : أخوك ماهو بمحبوس وإنما صدر منه مخاصمة وخُلّيَ عنه وقد كتب إليك كتاباً يصل إليك . فكان كما أخبر بلا تفاوت . (ورأى) شخص في

منامه ميّتاً لم يُعَذَّبْ في قبره . فسأله أن يدعو له بالمغفرة فدعا له وبشّره بأن الله تعالى قد غفر له فرأى الميت في منامه ، فقال له إني نجوت من عذاب الله تعالى بدعاء حضرة المظهر قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ . (وكان) كثيراً مايبشّر أصحابه ببشائر عالية فأنكر بعض القاصرين ذلك فكوشف بإنكارهم ، فقال لهم : "إن لم تصدقوني فإختاروا حَكَماً من الأولياء المتقدمين فيحضر ويصدّقني" . فقالوا الحَكَم الأعظم هو رسول الله صلى الله عليه وسلّم . فقال مرحباً ، فتوجّهوا ثم قرأ الفاتحة وراقب هو والمُنكرون فرأوا في المراقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لهم بشائر المُظهِر صحيحة وزجَر المُنكرين عليه . (وقال سيدنا الشيخ محمد أفضل) أُعطيَ حضرة المُظهِر مقام القطبية فهو في هذا الوقت مدار الطريقة العلية .

(ومن مكتوباته) العرفانية ما معرّبه سُئل عن قول بعض الأكابر : "إذا لم يرَ الصوفي نفسه أقبح من كافر الإفرنج فهو أقبح من كافر الإفرنج ، فكيف يستقيم معنى هذا الكلام مع أن الصوفي لايكون إلاّ مؤمناً أو عالماً متّقياً مدركاً حال صحوه وإفاقته لأوصافه وأخلاقه ومناط تفضيل فرد على آخر من أفراد النوع الواحد ، إنما هو هذه الأوصاف والأخلاق لا ذات الشخص وحقيقته . فالصوفي مع علمه بإتصاف الكافر بالكُفر والمعاصي وإتصافه هو بالإيمان وغيره من الفضائل كيف يمكنه أن يرى نفسه أقبح ، ولو تكلّف ذلك لزم عليه أن يعتقد أنّ تلك الفضائل أقبح من تلك الرذائل . وهذا الإعتقاد بديهي الفساد شرعاً وعقلاً ؟"

فقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ : "ياسيدي إن مذهب ساداتنا المجدّدية أن حقائق الممكنات مركّبة من أعدام إضافية وظلال صفات حقيقية . يعني أنّ هذه الأعدام بمقتضى تقابلها مع الأسماء والصفات حصل لها ثبوت في العلم الإلهي وصارت الأنوار مرايا الأسماء والصفات ومبادىء تعينات العالم . والذي في الخارج هو ظلٌّ لها ، أعني ظلاً خارجاً حقيقياً موجوداً بوجود ظلّي بصنع الله تعالى ، فبناءً على تركيبها من العَدَم والوجود صارت مصدر آثار الخير والشرّ . فمن جهة العدم الذاتي كسب الشرّ ومن جهة الوجود الظلي كسب الخير . ولايخفى أن الإنسان إذا نظر الى مرآة مملوءة من أنوار الشمس فمن أول وهلة يقع بصره على أنوار الشمس لا على المرآة لإختفائها وإستتارها في الأنوار . وإذا نظرت هذه المرآة الى نفسها ترى من أول نظرة تعيّنها المرآتي لا الأنوار ، لأن نظرها يتعلّق بالظاهر . فالصوفي إذا وقع بصره على ظاهر الأشياء الشريفة والخسيسة إنما يرى جهة الوجود الظاهر فيها ، الذي هو مصدر الخير . وإذا نظر الى نفسه يقع بصره على جهة العَدَم الذاتي له ، الذي هو منشأ الشرّ ويراها عارية عن الخير والكمال مطلقاً . وإن الخير والكمال مستعار ومكتسب من جهة الوجود لا من نفسه . فلاجرم يتحقق أن نفسه أقبح من كافر الإفرنج ومن كل خسيس . فعُلم من هذا مقصود القائل بذلك القول "إن الصوفي الكامل هو الذي لاينسب الخير والكمال لنفسه أصلاً" ويعلم أنه مستعار وهذا هو معنى الفناء التام وحاصل الشهود الصحيح . وإن نظر الصوفي الى جهة الوجود والأنوار المستعارة وغاب عن نظره مرتبة عدمه الذاتي يتطاول في الدعوى فيقول أنا الشمس . وهذا سرّ قول الحسين بن منصور الحلاّج رحمه الله "أنا الحقُّ" فإنه وإن كان معذوراً في ذلك نظراً لغلبة السُكر عليه ، بحيث لم يمكنه الفرق بين جهتي العدم والوجود ، ولكنه مخطيء في هذه الرؤية . وقد وقع في هذا المقام مثل هذه الأغلاط من كثير من السالكين إلاّ من عَصَمَهُ الله تعالى ببركة حبيبه صلى الله عليه وسلم . ومنها في الجمع بين كلامي المجدد رضي الله عنه في حقائق الممكنات .

قال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ : كتب لي أنه كشف لسيدنا المجدد في حقائق الممكنات أن في مرتبة الواحدية التي هي عبارة عن تفضيل الكمالات الإلهية ظهر في مقابلة كل صفة كمال ثبوت وتميّز عدمها الإضافي في

خزانة العلم الإلهي . ففي مقابلة صفة العلم عدم العلم المعبَّر عنه بالجهل وفي مقابلة صفة القدرة عدم القدرة المُعبَّرْ عنه بالعجز ، وقسْ على هذا . فصارت هذه الأعدام المتميّزة بسبب هذه المحاذاة والمقابلة مجاليَ ومرايا تلك الحقائق ومَبادىء تعينات العالم ، وهذه الممكنات بمنزلة المرايا لتلك الحقائق وتلك العكوس والظلال بمنزلة الصور الحالّة فيها . وبناء على هذا الإمتزاج صارت أعيان الممكنات الخارجة- التي هي على طبق تلك الحقائق- مصدراً للآثار وقابلة لكل من الوجود والعدم . وبهذا الوجه صارت مصدراً للخير والشرّ .

وأنه كشف له أيضاً أن مبادىء تعينات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الصفات التي هي أصول الظلال المذكورة وواجبة الوجود . فيلزم أن لايكون للعَدَم دخل في حقائق حضرتهم مع أنّه من الممكنات . وحقيقة الممكن كما حققه رضي الله عنه لاتكون بدون إمتزاج بالعدم . فكيف وجه المطابقة ؟ والجواب ياسيدي إنه حيث تقرّر المقابلة والمحاذاة بعين الأعدام المتميّزة ووجودات الصفات المقدّسة في مرتبة العلم الإلهي ، كانت الأعدام مَجالي الصفات والصفات أيضاً مرايا تلك الأعدام . غير أنّ الأمر في هذا المقام بالعكس ، فالصفات هنا بمنزلة المادة والأعدام بمنزلة الصور الحالّة فيها . فوقعت جهة العدم في هذه الصورة ضعيفة وجهة الوجود قوية . وبهذا الوجه كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومين ولم يكونوا مصدر شرّ . وأما وجودهم الخارجي ، فهو قابل لكلّ من العَدَم والوجود . ومن هذا القدر من دَخل العَدَم في حقائق حضرتهم لأجل ثبوت الإمكان كافٍ والسلام .

تفصيل أحواله في وقت إنتقاله

غَلَبَ عليه الشوق الى الرفيق الأعلى قبل أيام من وفاته وأظهَرَ كمال المَلَل من توجّه خاطره الى أهل هذه الدار الفانية وكثرة إستغراقه في كل لحظة في مشهوده الله تعالى . وزاد في العبادة على وظائفه المعتادة في تلك الأيام وازدحم السالكون على أبوابه يدخلون الطريقة أفواجاً . فكان يوجد في حضوره أكثر من مائة رجل ، فعيّن للقاء الناس وقتين فقط . وقد بلغت آثاره وأنوار توجّهاته الشريفة تمام الترقّي وطلب أحد أصحابه (ملا نسيم) الإذن منه بالسفر الى وطنه فقال له : لقاؤنا معكم بعد الآن غير معلوم .

فأثّرت هذه الإشارة الى قرب إنتقاله في القلوب وأفاضت الدموع من العيون . وكتب الى أحد خلفائه (الملا عبدالرزاق) : "إني تجاوزت الثمانين وقد دنا الأجل ، فتذكّرني بخير الدعاء" . وكذلك حرّر لغيره من الأعزاء بما يفيد وقوع هذا الأمر المحتوم .

(وقال قدّس الله سره) يوماً مُظهراً لنعَمْ الله تعالى الموجبة الشكر عليه : "إنني لم يبق في قلبي أمر رجوت الحصول عليه إلاّ وقد نلتهُ بتفضّلات الله تعالى . شرّفني بالإسلام الحقيقي ووهبني حظاً وافراً من العلم والإستقامة على العمل الصالح وكل مايلزم في مشيخة الطريقة من التصرّف والكرامات والكشف ، إلاّ الشهادة الظاهرية التي لها مقام في القرب الإلهي درجةً عالية . فإن أكثر مشايخي قد شربوا كأس الشهادة وأما الفقير فإنّي كثير العجز والضعف فلا قوّة لي على الجهاد . فحصول هذه المرتبة في الظاهر متعسّر والعجب ممن لايحبُّ الموت . الموت موجبٌ للقاء الله تعالى . الموت سببٌ لزيارة فخر العالم صلى الله عليه وسلم . الموت يوصل الى مشاهدة الأولياء . الموت يجلب السرور بملاقاة الأعزاء . وإني لمشتاق لزيارة أرواح كبراء الدين الطيبة ومتوقع كثيراً للتشرّف بلقاء حضرة المصطفى وخليل الرحمن عليهما الصلاة والسلام ، وزيارة أمير المؤمنين الصديق الأكبر والإمام حسن المُجتَبى وسيد الطائفة الجُنيد ، وحضرة شاه نقشبند

وحضرة المجدد رضي الله عنهم . فإن لقلبي محبة خاصة بخدمة هؤلاء الأكابر . اَه ."

فجلّى الله تعالى له عروس هذا الرجاء على منصّة الإجابة والإجراء وبلّغهُ درجة الشهادة حتى جمع بين شهادة الظاهر وشهادة الباطن ، التي هي في إصطلاح الصوفية عبارة عن مرتبة الفناء بالله تعالى . وإرتقى في درجات القرب الى أعلى عليين ، وذلك بعدما مضى قطع من ليلة الأربعاء سابع شهر محرّم سنة خمس وتسعين ومائة وألف . صفّق جماعة على باب حضرته فأخبره الخادم بأن نفراً أتوا لزيارتكم . فأمره أن يُدخِلَهُمْ . فدخل ثلاثة أشخاص من المغل (أي المجوس) . فقام من مضجعه ووقف لهم فقال له المغل : أنت مرزا جان جانان ؟ قال : نعم . فقال له رفيقاه أيضاً : بلى هو مرزا جان جانان . فأخرج خنجراً وطعنه به فأصابت خاصرته قريب قلبه . فنظراً لكبر سنّه وعجزه لم يتحمّل ذلك ووقع على التراب . فلما كان وقت الفجر أرسل له الحاكم (نجف خان) طبيباً إفرنجياً وأمره أن يقول له إن مرتكب هذه الجناية العظيمة لم يُعلم ومتى تحقّق يجري قصاصه . فردَّ الطبيب وأرسل اليه أنه : "إن قضى الله بشفاء هذه الجراحة تشفى على كل حال فلا حاجة الى طبيب آخر ، وإن عُلم مرتكب هذا الأمر فهو في حلٍّ مني واعفوا عنه أنتم أيضاً" . فبقي ثلاثة أيام وهو يزداد ضعفاً حتى صار لايُسمع صوته ، ثم في صبح اليوم التالي وهو يوم الجمعة قال لي : إنه قد فاتني إحدى عشرة صلاة وجسدي كلّه مضرّج بالدم ولاأقدر أن أرفع رأسي وقد قالوا إذا عجز المريض عن أن يرفع رأسه لايُكلَّف لأداء الصلاة بالإيماء بطرفه وحاجبه ويجوز له تأخير هذا فماذا تعلمون في هذه المسألة ؟ فقلت له : الحكم كما ذكرتم . فلما إنتصف النهار رفع يده وهو يقرأ سورة الفاتحة كما قرأها سيدنا شاه نقشبند في مثل هذا الوقت . فلما كان وقت العصر قال لي : كم بقي من النهار ؟ فقلت : أربع ساعات . فقال : إذاً المغرب بعيد . فلما كان المغرب من ليلة عاشوراء تنفّس الصُعداء مرتين أو ثلاثاً ثم لحق بالرفيق الأعلى رضي الله تعالى عنه وجزاه الله عن المسلمين خير جزاء .

وقد إستخرج الأدباء لوفاته تواريخ كثيرة أحسنها تاريخان : الأول قوله تعالى (أولئك[٦٧] مع[١١٠] الذين[٧٩١] أنعم[١٦١] الله[٦٦]) (سنة ١١٩٥هـ/ الناشر) . والثاني قوله صلى الله عليه وسلم في حقِّ أحد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم : "عاش[٣٧١] حميداً[٦٢] مات[٤٤١] شهيداً[٣٢٠]" (سنة ١١٩٤هـ/ الناشر) . ورأى أحد السادات بعد إنتقاله في منامه أن القرآن المجيد قد إرتفع نصفه الى السماء ووقع في الدين المتين فتور . قال سيدنا الشيخ عبدالله الدهلوي قدّس سرُّه فعبّرتها بأنها مصدّقة لقول الشيخ قدِّس سرُّه : "يتوقف العروج الى مقامات الطريقة بعدنا ومهما ترقّى أهل هذا الطريق لايصلون الى مقام الولايةَ" . فإنه بعد وفاته بستة عشر سنة رأيت مريدي خلفائه وسمعت عن أحوال هذه الطريقة الموجودين في البلاد البعيدة أنهم يحسبون الوصول الى أحوال وكيفيات الولاية القلبية غنيمة ، والوصول الى أحوال المقامات العالية بعيداً جداً عن الإدراك ، بل حتى يرون الوصول الى الولاية القلبية متعسِّراً والله أعلم . والحق أن وجوده المبارك كان آية من آيات الله تعالى وعلى طبق إسمه الكريم فإن (جان جانان) هو روح الأرواح أرشد الله ببركتهِ ألوفاً وتكمّل منها فئة عظيمة خمسون منهم وصلوا الى نهاية المقامات الأحمدية وأجَلَّهُم رشداً وأسبقهم عهداً :

* العلاّمة النحرير والعارف الكبير والوليّ الشهير الشيخ ثناءالله العثماني الپاني پتي قدِّس سرّه . فإنه كان بحراً في العلوم المعقولة والمنقولة ولاسيما في الأصول والفقه ، فإنه بلغ درجة الإجتهاد فيه وله التصانيف المفيدة في التفسير والحديث والفقه والتصوّف . أخذ الطريقة العلية من حضرة سيدنا

الشيخ محمد العابد قدِّس سرُّه واشتغل عنده حتى وصل الى مقام الفناء القلبي . ثم بأمر من شيخه المشار اليه تشرَّف بخدمة حضرة الشيخ واشتغل بالسلوك فأتمّ مراتبه في خمسين توجهاً من الشيخ قدِّس سرّه . وفرغ من تحصيل علم الظاهر والباطن في ثمانية عشر سنة فتصدّر للهداية والإرشاد ولقّبه حضرة الشيخ قدِّس سرّه بـ(عَلَم الهدى) . وكان يقول عنه : "نسبتي ونسبته في العلوِّ سواء وهو روح مجسم من الديانة وهو مروّج الشريعة ومنوِّر الطريقة ومَلَكيُّ الصفة ، والملائكة تعظِّمه . ولو سألني الله تعالى يوم القيامة بأي تحفة أتيتني ؟ لقلت له بثناء الله الپاني پتي . أه ." وهو من سلالة كبير الأولياء الشيخ جلال الچشتي ونسبه متصل بأمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه . والپاني پتي (بپاء فارسية فألف فنون فياء تحتية فپاء فارسية فتاء فوقية) نسبة الى (پاني پت) بلدة من أعمال الهند . (وممن ذكر) العالم الإمام والوليّ العليُّ المقام السيد مير مسلمان قدِّس سرّه . فإنه مع كونه شريك حضرة الشيخ في تحصيل العلوم وخدمة المشايخ كلها عكف على خدمته وحصّل فوائد جمّة . وكان الشيخ قدِّس سرّه يحترمه ويقول كثيراً في حقّه : "إن نظر ألطاف السادات الكبار محدقةٌ به" . (وممن ذكر) المرشد الكبير والعالم النحرير الشيخ فضل الله أخو الشيخ ثناءالله المُشار إليه . تلقّى الطريقة عن حضرة الشيخ بعد إتمام تحصيل العلوم الظاهرة وصرفَ الهمة للسلوك على يده حتى فاز بأعلى المقامات . وقد توفي قبل أخيه المشار إليه فحزن عليه حزناً كبيراً فأتاه في المنام فقال له ياأخي لمَ هذا المقدار من الغم والألم والله تعالى يقول في كتابه العزيز (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وما أكرمنا الله تعالى في هذه الدار من الراحة والنعَمْ أجَلُّ من أن يُحصى . (وممن ذكر) الشيخ الجليل والمرشد الذي ليس له مثيل مولانا الشيخ أحمد الله نجل الشيخ ثناءالله المشار إليه . حصّل العلوم جميعها على والده العزيز وتشرّف بتلقّي الطريق العلية عن حضرة الشيخ قَدَّسَ اللَهُ سِرَّهُ وصار من أخصّاء أصحابه . فنال ببركة أنظاره أعلى مقامات الوصول حتى صدق عليه في الظاهر والباطن قول القائل "الولد على سرِّ أبيه" . (وممن ذكر) أكرم المرشدين وأعلم الأئمة العارفين الشيخ محمد مراد قدِّس سرّه . كان من أخصّ خدّامه . فلازم أعتابه خمساً وثلاثين سنة . وقال الشيخ في حقّه : "ليس في أصحابي مَن يساويه في علوِّ النسبة" . (وممن ذكر) أخ المشار اليه الإمام الكبير والواصل المنير الشيخ عبدالرحمن قدِّس سرّه . بلغ ببركة توجّهات حضرة الشيخ أعظم الأحوال . وكان كثير الإستغراق عظيم الهيبة بحيث لايراه أحد إلاّ عظّمه وكرّمه . (وممن ذكر) أقدم خلفائه وأعظم أخصّائه العارف الكامل السيد الشيخ مير عليم الله الكنكوئي قدِّس سرّه . كان مع كماله في مقامات الوصول لاتسكن لوعته ولاترقأ دمعته . (وممن ذكر) زبدة العارفين ونخبة العلماء العاملين الشيخ مرادالله المعروف بغلام كاكي كاكان . كان له في العلم والعمل مقام كريم وفي الإرشاد شأن عظيم . وكان من أجلاّء خلفائه الذين نالوا بيُمن تربيته نهاية المقامات في الطريق العالي . وبعد فوزه بالخلافة ذهب الى بلاد (بنكاله) فحصل له هناك شهرة عظيمة ونال به أهلها السعادة الأبدية . (وممن ذكر) عمدة الخلفاء القدماء ونخبة كُمّل أصحابه العلماء الشيخ محمد إحسان نجل الشيخ حافظ محمد محسن من ذرية الشيخ عبدالحق قدِّس سرُّهم . كان يغلب عليه أيام صباه الجهل والزيغ في العقيدة والإنحراف عن الطريق المستقيم . فرأى في المنام حضرة الشيخ يأكل حليباً وأرزاً فأعطاه بقيته بيده المباركة . فلما أصبح أنعم الله عليه بالتوبة وشُرِّف بالإرادة وتلقّى هذه الطريقة العلية عنه فصار من

الكاملين . (وممن ذكر) أخوه أكمل المرشدين وأفضل الخلفاء المكمّلين الشيخ غلام قدِّس سرُّه . كان من أخصّ أصحابه وزبدة أحبابه . وقد نال ببركته مقامات نسبة أولئك السادات وله في الذكر شأن عظيم . (وممن ذكر) العلاّمة الهُمام أكبر المرشدين العظام الإمام الكبير الشيخ محمد منير قدِّس سرُّه . كان من أجَلِّ خلفائه . عكف على خدمته في الزاوية مع تمام الإنقطاع سنين حتى كان يصرف الليل كله بالمراقبة . وهو من أهل الكشف والوجدان . بلغ أعلى مقامات الولاية وإجتمع عليه كثير من الطالبين . وممن أخذ عنه الطريقة وصار من الكاملين سيدنا الشيخ عبادالله من ذرية حضرة إمامنا الكبير الشاه نقشبند قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ العزيز المترجم من سلالة العارف الكبير الشيخ فريد گنج شكر عمدة الطريق الچشتي قدِّس سرُّه . وقد توفي في حياة الشيخ فحزن عليه حزناً شديداً لما له من المنزلة الزلفى عنده . وكان يقول في حقه : "إنه كان قوي النسبة ولو إجتمع عليه القطب لإستفاد منه" . (وممن ذكر) علاّمة أيامه ومرشد أنامه الشيخ قلندر نجش قدِّس سرُّه . كان من خُلَّص أصحابه وزبدة خلفائه . تلقى العلوم الظاهرة والطريقة العلية عن حضرته . وأجاز له بعد بلوغه فيهما درجات الكمال تدريس العلوم والإرشاد المطلق . وكان له مهارة تامة في علم الطب . فأصبح ببركة توجّهات حضرة الشيخ طبيب الأرواح والأجسام . وكان حسن الصوت وترتيل القرآن المجيد ، فلذلك كان يقدّمه في التراويح للإمامة ويسرّ بقراءته . وكان يأتي كل عام لزيارة الشيخ مرة نظراً لبعد أوطانه حتى توفي قدِّس سرّه . (وممن ذكر) العارف كل العارف الشيخ مير نعيم الله قدِّس سرُّه . صحب الشيخ محمد أفضل وخدم خليفته الشيخ محمد أعظم قدِّس سرُّهما . ثم لازم خدمة الشيخ حتى أتمّ سلوك المقامات الأحمدية . فأجازه قدِّس سرُّه بالطريقة العلية . فجعل يشتغل بالارشاد وتدريس العلوم . وكان عالماً أديباً مجوِّداً حسن الصوت تلقّى علم القراءة عن الشيخ عبدالغفور سند . وكان يؤم حضرة الشيخ في التراويح فيحصل له من حسن قراءته حظ كثير . وقال له يوماً : "كل قدم سرت به في طريق الحقّ ورضا الله تعالى الينا فقد وضعته على أعيننا ولو لم تأتوا من أوطانكم لما حصلت لحلقة المراقبة جمعية ولا بركة" . توفي في حياة الشيخ قدِّس سرُّهما . (وممن ذكر) عظيم الخلفاء وخليفة العظماء الشيخ ثناءالله السبنهلي (بسين مهملة فموحدة فنون معجمة فهاء فلام) . كان عالماً محدِّثاً قارئاً تلقّى علم الحديث والقراءة عن حضرة شاه ولي الله المحدِّث والطريقة العلية عن الشيخ موسى خان خليفة حضرة الشيخ قدِّس سرُّه . ثم أُمر بخدمة شيخه فنال على يده أعلى الكمالات الباطنية وأدرك نهايات مقامات السلوك . فأجازه بالإرشاد وتعليم الطريق للعباد فإنقطع في بلدته سبنهل لتدريس العلوم ونشر اعلام الإرشاد . وكان صبوراً مستقيماً على العمل بالعلم ذا أخلاق محمدية وأطوار عالية . تكمَّل على يديه كثير وحصل للناس منه نفع كبير . وسيأتي في ترجمة حضرة مولانا خالد قدِّس سرُّه أنه لما وصل الى مدينة لاهور قصد قصبة فيها المولى المعمِّر ثناء الله النقشبندي . فزاره وبات تلك الليلة عنده فرأى في منامه أن الشيخ يجرّه بأسنانه الشريفة فلم ينجَرَّ معه . فلما أصبح قال له الشيخ قبل أن يقصَّ عليه الرؤيا : "إذهب الى أخينا الشيخ عبدالله الدهلوي" . ودعا له وإنصرف . فلا أدري أهو ذا أم الشيخ ثناءالله المارّ ذكره . (وممن ذكر) العالم الأكبر والمرشد الأبهر يوسفي المظهر الشيخ مير عبدالباقي قدِّس سرّه . كان له حظٌّ من العلوم وقدم عالٍ في الطريق . خدم حضرة الشيخ سنين وفاز بأشرف أطوار الوصول . وكان له في علم تعبير الرؤيا باعٌ طويل حتى أحال الشيخ جميع

إستخارات أحبابه اليه ، فكان يقع كما يقول . وحجّ البيت الحرام وحظي بزيارة خير الأنام خمس مرات وفاز بعناية تلك الحضرة العلية . (وممن ذكر) العالم الفاضل المرشد الجليل الشيخ خليفة محمد جميل قدِّس سرُّه . إشتغل بتحصيل العلوم ومَهَرَ بالطب ثم تشرّف بخدمة الشيخ ، ففُتح عليه باب الوصول الى تمام مقامات السير والسلوك حتى صار في أمور الشريعة والطريقة العلية آية باهرة . فأجازه إجازة عامة بالإرشاد . فإشتغل بعلاج أمراض الظاهر والباطن ثم توفي في زمن حضرة الشيخ قدِّس سرُّهما .
(وممن ذكر) وليّ الخلفاء وسلالة الأولياء محمد بهيك الفاروقي من ذرية سيدنا الإمام الربّاني . تلقّى الطريقة العلية بعد تكميل عموم العلوم عن حضرة الشيخ ورُزق حظاً وافراً من نسبة آبائه العظام . فلما بلغ أقصى المرام في مقام السلوك وسلوك المقام أُذنَ له بالإرشاد العام . وكان له كرامات باهرة . ذُكر أنه لما دخل الكفّار الى سهرند أرادوا أن يخرّبوا مزارات الأولياء الأحمدية ، فجاؤوا الى قبره وحفروه وأرادوا أن يخرجوا جسده الشريف . فلُطم أحدهم لطمةً عنيفة فمات في الحال ، ففرّوا جميعاً وتركوا ذلك .
(وممن ذكر) بالإجمال نخبة المرشدين المعوَّل عليه الشيخ عبدالحق أخو المشار اليه قدِّس سرُّه وعمدة الخلفاء الأكارم الشيخ محمد سالم قدِّس سرُّه . وأكمل الخلفاء البررة الحنفاء الشاه رحمه الله قدِّس سرُّه . والوليّ الأوّاه الشيخ محمد شاه قدِّس سرُّه . وعارف الزمان الشيخ مير مبين خان قدِّس سرُّه . ومنقذ السالكين الشيخ مير محمد معين قدِّس سرُّه . وزبده الخلفاء الغرر الشيخ مير علي الأصغر المعروف بمير مكهور قدِّس سرُّه . وصائم الدهر وفلك الذكر وأقدم خلفاء حضرة الشيخ في علوّ المراتب الشيخ محمد حسن عرب قدِّس سرُّه . كان ورده كل يوم أربعين ألف تهليلة لساناً وعشرة آلاف بحبس النَفَسْ جناناً . وألَف مرّة سورة الإخلاص والإستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وظيفته ، فكانت آيته (وأذكروا الله ذكراً كثيراً لعلكم تفلحون) وحسبهُ ماقاله الشيخ في شأنه : "إنه ماأتاني في حياتي كلها إلاّ رجل واحد يطلب الله تعالى ويجاهد في سبيله وهو الشيخ حسن عرب" . وصفوة المرشدين الشيخ محمد قائم الكشميري قدِّس سرُّه . تلقّى الطريقة العلية من حضرة الشيخ موسى خان في بخارى . ثم تكمّل عند حضرته بأمر من شيخه قدِّس سرُّه .
(ومنهم) علاّمة المرشدين الكاملين الشيخ قطب الدين قدِّس سرُّه وهو من أتباع الشيخ موسى ، ثم أتمَّ سلوكه عند حضرة الشيخ حتى صار من أكابر الأولياء . (ومنهم) بحر العلوم وبدر الفهوم زينة مرشدي الدنيا الشيخ غلام يحيى قدِّس سرُّه . (ومنهم) شمس سماء المحقّقين وخلاصة الفقهاء المحدّثين المرشد الكامل الشيخ غلام محي الدين سليل غوث الثَّقَلَين سيدنا عبدالقادر الكيلاني رضي الله عنهما . (ومنهم) خير خلفائه الفائزين برضاه العلامة الشيخ نعيم الله البهرايجي قدِّس سرُّه . (ومنهم) أكمل مَن سار الى مولاه فنال مُناه من مقامات الوصول والمناجاة الولي الكامل الشيخ كليم الله البنكالي قدِّس سرُّه . (ومنهم) ركن شريعة المسلمين وحصن الطريق الحصين الشيخ مير روح الأمين قدِّس سرُّه . (ومنهم) صاحب المقام الرفيع الشيخ محمد شفيع قدِّس سرُّه . (ومنهم) العارفَين الكاملَين الشيخ محمد واصل والشيخ محمد حسين قدِّس سرُّهما . (ومنهم) المُشرق في الفضل كالنيِّرين المرشد الكامل الشيخ غلام حسين التهانيسري قدِّس سرُّه . (ومنهم) المرشدَين الأرشَدَين والوليّين الأحمديين الشيخ عبدالكريم والشيخ عبدالحكيم قدِّس سرُّهما . (ومنهم) العارف

العالي الشان الشيخ نواب إرشاد خان قدِّس سرُّه . (ومنهم) المتفرِّد في دولة الإرشاد بالإتقان الشيخ غلام مصطفى خان قدِّس سرُّه . (ومنهم) المرشد الكامل القويّ المَدد العلامة الشيخ أخون نورمحمد القندهاري . (ومنهم) الحائز في علوِّ المقام الوجه البسيم المرشد الأقوى الشيخ ملا نسيم قدِّس سرُّه . (ومنهم) المُرتَقي في مدارج الوصول الى أعلى الأذواق العلامة الفقيه الشيخ ملا عبدالرزاق قدِّس سرُّه . (ومنهم) المربي الجليل الشيخ ملا جليل قدِّس سرُّه . (ومنهم) غريق تجلّيات مولاه العلامة الشيخ ملا عبدالله قدِّس سرُّه . (ومنهم) أسبق المرشدين الى معالي الأمور العالم الوليّ الصالح الشيخ ملا تيمور قدِّس سرُّه . كان آية من آيات الله تعالى ، قوي التصرّف أسلم على يده من الكفّار كثير وتاب من الرفض ببركته جمٌّ غفير ، وتكمّل عنده جمع غزير من جملتهم ملا أوليا ، وملا إبراهيم ، وشاه لطف الله ، وملا سيف الدين ، ومحمد خان ، وخواجه محمد عمر ، وخواجه يونس ، والشيخ قطب الدين ، والشيخ أمين ، والشيخ غلام حسين وغيرهم ممن إمتازوا بالمقامات الإلهية قدِّس سرُّهم .

وبالجملة فقد تربّى على يد حضرة المظهر الجماء الغفيرا ، فنالوا بصحبته فضلاً كبيراً . ومن أعظمهم نفعاً وأكثرهم جمعاً شيخ هذه السلسلة الغرّاء وأكبر مَن سرى اليه سرّ هذه النسبة العلياء سيدنا الشيخ عبدالله الدهلوي قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ .

سيدنا الشيخ عبدالله الدهلوي المعروف بشاه غلام علي
قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ

شاه العارفين ومليك المرشدين الكاملين مُظهر سرّ الهداية واليقين المحقق بمقام التلوين في التمكين . شيخ مشايخ الديار الهندية ووارث المعارف والأسرار المجددية . سبّاح بحار التوحيد سيّاح قفار التجريد . قطب الطرائق وغوث الخلائق ومعدن الحقائق . نال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ من العلوم الإلهية ما نال ، ومن المقامات العلية ما لايخطر ببال ، وذلك أن هذا العزيز بعدما بلغ سنّ التمييز أكبَّ على تحصيل الفضائل والتجلّي بأحسن الشمائل ، حتى صعد بهمّته الى سماء علوم الرسوم فتناول من ثريّاها أعظم النجوم ، الى أن أصبح في كل علم إماماً فزاد إقداماً على الترقّي في المعالي وإهتماماً . فصعد النظر الى قمر المعارف فرأى نوره مستمداً من شمس أستاذه العارف . فقصد على جنائب العزم جنابه ويمّم بالهمَمْ الكبار رحابه . فأقبلت به نسمة القبول على حرم محارم الوصول الى ذلك المقام المأمول مقام المرشد العظيم . فحنا عليه بقلبه السليم حنو المرضعات على الفطيم ، وجعل يمدّه بمدده الروحاني ويربّيه بنفيس نَفَسه الرحماني . ويرقّيه الى مدارج الأخيار ويقيه أغيار الأغيان وأغيان الأغيار ، حتى إذا جذبه الى مقام حق اليقين وإنتهى به الى سدرة منتهى المقرّبين ، عاد الى عالم الشهادة وقد خلع عليه خلع السيادة . وأصبح من غيث إحسانه غوث زمانه . فعهد اليه بعده بإرشاد المسترشدين عنده . فوفّى عهده وصدق وعده وكان خير خلف لأشرف سَلَف . قام بتأييد الشريعة المحمدية وتجديد معالم السنّة السنية ، وأداء حقوق الحقائق وإحياء جميع الطرائق القادرية والسهروردية والكبروية والچشتية والنقشبندية رافعاً لواءها بين الخلائق . فأقبلت القلوب تستظل بظلّه ولبّت الألباب نداء فضله ، وإنتهت اليه رتبة الإرشاد ورحلت اليه الأبدال والأوتاد ، فنال ببركته كل مريد أقصى المراد .

شذرة من خبره وذرّةٌ من أثره

(ولد قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) عام ثمان وخمسين ومائة وألف في قصبة (بَتاله) ضلع پنجاب وجاء تاريخ ولادته (مظهر جود) . وهو من آل البيت الكرام غير أني لم أقف على نسبه الشريف . وكان والده الشريف الشاه عبداللطيف عالماً عارفاً صالحاً زاهداً كبير الشأن قادريّ الطريقة تلقّاها عن العارف الكبير الفائز بصحبة الخضر عليه السلام الشاه ناصرالدين القادري قدِّس سرُّه . واشتغل بالرياضات والمجاهدات التامّة وكثيراً ما كان يخرج الى الصحراء فيذكر الله تعالى ويتغذّى بالنبات . بقيَ مرة أربعين يوماً لم يكتحل طرفه بنوم ولم يذق الطعام إلاّ قليلاً ومع ذلك لم ينوِ الصيام مقاومة لرعونة نفسه . وكان له إنتساب أيضاً للطريقة الچشتية والشطارية .

(ورأى في منامه) قبل ولادة الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ سيدنا عليّاً كرّم الله وجهه فقال له : "سَمِّ ولدك باسمي" فلما ولد سمّاه عليّاً إلاّ أنه لما بلغ قدِّس سرُّه سنّ التمييز سمّى نفسه تأدباً غلام علي . (ورأت) أمه في المنام رجلاً جليلاً يقول لها سمّيه عبدالقادر ، قال مترجمه الشيخ عبدالغني المعصومي : ويمكن أن يكون هذا العزيز هو الغوث الكيلاني رضي الله عنه وسيأتي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمّاه في المنام عبدالله .

وكان قدّس الله سرّ في الذكاء آية باهرة ، حفظ القرآن المجيد في شهر واحد وأكبَّ على تحصيل العلوم معقولها ومنقولها حتى أصبح عالم عصره . ولما كان والده في خدمة شيخه مولانا ناصرالدين قدِّس سرُّه أرسل اليه يطلبه من الوطن ليتلقى الطريق القادري عنه . ففي ليلة وصوله توفي الشيخ . فقال والده كنا طلبناك لتأخذ عنه الطريق فما قدّر الله ذلك فالآن أي محل تنسّمت منه عرف الإرشاد فأقصده . فلقي أكابر مشايخ الطريقة الچشتية وقتئذ في دهلي كالشيخ ضياءالله والشيخ عبدالعدل خليفتَيْ الشيخ محمد زبير والشيخ ميردرد ابن الشيخ ناصر ومولانا فخرالدين والشاه نانو والشاه غلام وغيرهم من السادات . ولازم حضورهم حتى إذا بلغ سنّه إثنتين وعشرين سنة أتى من نفسه الى خانقاه حضرة ميرزا جان جانان قدِّس سرُّه وسأله الدخول في الطريق المجدّدي ، فقال له : عليك بالمحل الذي فيه الذوق والشوق وأما هذا المحل فما فيه إلاّ لحس الحجر بلا ملح . فقال له : هذا أقصى مرادي . فقال له : بارك الله بك . ثم تقبّله .

(وكتب) هو في بيان أحواله قدِّس سرُّه ، فقال :

إني بعد تحصيل علم الحديث تشرّفت في أعتاب حضرة الشهيد قدِّس سرُّه . فبايعني على الطريقة العلية القادرية بيده المباركة ولقّنني الطريقة العلية النقشبندية . فتشرّفت بالحضور في حلق الذكر والمراقبة عنده خمسة عشر سنة حتى تفضّل على هذا الحقير بالإجازة المطلقة في الإرشاد العام . وقد ترددت في أول الأمر في أنه هل يرضى الشيخ عبدالقادر الگيلاني رضي الله عنه أن أشتغل في الطريقة النقشبندية أولاً . فرأيته في واقعة جالساً في مكان وحضرة الشاه نقشبند في مكان تلقاءه ، فخطر لي حينئذ أن أحضر عند شاه نقشبند . فقال الغوث الگيلاني في الحال المقصود هو الله تعالى فاذهب بلا مضايقة . (وكان) لي جهة تعيش فتركتها فاشتدت عرى الفاقة عليّ فاعتصمت بالتوكُّل واتخذته سجية . ولم يكن عندي يومئذ غير خلَق حصير أفترشها ولبنة أتوسَّدها فبلغ بي الضعف أقصاه ، فلفرط ما نالني أغلقت باب حجرتي وقلت هذا قبري حتى يأتي الله بالفتح أو بأمرٍ من عنده . فمالبث أن فتح الله تعالى على يد مَن لاأعرفه فمكثت في زاوية القناعة خمسين سنة . أه" .

قيل لما أغلق باب الحجرة وقال ما قال أدركته العناية الإلهية فجاءه شخص وقال له : إفتح الباب . فقال : لاأفتح . فقال : إن لي معك شغلاً فافتح لي . فلم يفعل فألقى اليه من خصاص الباب جملة من الدراهم الهندية المعروفة بالروپية وذهب فمن ذلك اليوم لم تنقطع الفتوحات عنه .

(ولما) توفي حضرة الشهيد قام مقامه في مسند تربية المريدين وارشاد الطالبين فأكبَّ الناس عليه وشدّوا الرحال اليه من أماكن بعيدة من الروم والشام والعراق والحجاز وخراسان وماوراء النهر ، بل من أقصى أرض الخطا الى غاية أرض المغرب . بعضهم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كحضرة مولانا خالد والشيخ أحمد الكردي والسيد إسماعيل المدني . وبعضهم بإشارة من السادات كالشيخ محمد جان . والبعض برؤيتهم له في المنام . وكان موصوفاً بأعلى مراتب الأخلاق الحميدة . وكان من السخاء بحيث كان يوجد في رباطه دائماً ولاينقص عن مائتي مريد إلاّ قليلاً ، وكان يقدم لهم كفايتهم على أتمّ وجه ولم يدّخر لغدٍ قطُّ . ومن الحياء والتواضع بأنه لم يضطجع مادّاً رجليه أبداً . ولم ينظر في وجهه في المرآة وإذا دخل الى داره كلب ليطعم شيئاً يقول : "إلهي مَن أنا حتى أكون واسطة بينك وبين أحبابك فأسألك بحرمة مخلوقك هذا وكلّ مَن قصدني إلاّ رحمتني وقرّبتني اليك" . وكان من التمسك بالسنّة المطهّرة ما لايدرك شأوه . ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما لايهاب معه الأمراء والملوك كما يُعلم ذلك من مطالعة مكتوباته ،

حتى أنّه لما حضر السيد إسماعيل المدني بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رحابه وأحضر معه بعض آثار نبوية بإشارة منه عليه السلام أن يضعها في المسجد الجامع الذي في دهلي . فوضعها عرض ذلك الى حضرة الشيخ ، فقال له "إنه وإن تكن بركات فخر العالم صلى الله عليه وسلم في ذلك المكان محسوسة ولكن لايخلو من ظلمة الكُفر ففتِّشوا ذلك المكان" . فإذا هو فيه صور بعض الأكابر فرفعوا الأمر الى السلطان وأزالوا التصاوير منه .

(وحضر) لأعتابه نواب شمشير بهادر رئيس ملك نبديك كهند وعلى رأسه قلنسوة النصارى ، فلما رآه الشيخ تغيّظ منه وأغلظ له القول ومنعه من الجلوس عنده . فقال له الرئيس : إذا كنتم تنتقدون بهذا المقدار فلا أحضر بعد . فقال له : لا أعادك الله الى مجلسنا . فقام وهو غضبان ثم لم يبرح أن تحوّل الى ناحية من الرباط ونزع القلنسوة ودفعها الى خادمه ثم حضر خاشعاً وتلقّى الطريق عن الشيخ قدِّس سرُّه . ومن التجرد والزهد أنه عرض عليه السلطان مراراً أن يعيّن لرباطه ما يفي بنفقته ، فلم يقبل . وكذلك عرض عليه نواب الأمير خان والي بلدة (توك وسرونج) فأمر الشاه رؤوف أحمد أن يكتب اليه "إنا لانبذل وجه القناعة والفقر وكيف والرزق مقدَّر" . وكثيراً ما كان يقول قد قبض على أذمّتنا الوعد الإلهي في قوله تعالى (وفي السماء رزقكم وما توعدن) ، فقد أخبرنا الله تعالى بأنه كفانا مهمّات الدين والدنيا . أه . فكانت نفقات الرباط من وجه الغيب .

(وكان) قليل النوم جداً فإذا قام الى التهجّد أيقظ النوّام ثم يتهجّد ويجلس للمراقبة ويتلو من كلام الله تعالى ما شاء . وكان ورده كل يوم عشرة أجزاء ثم يصلي الصبح جماعة في وقت الغلس ثم يلتفت الى حلقة الذكر والمراقبة الى وقت الإشراق . وكان رباطه لايستوعب المريدين لكثرتهم . فلذلك كان يكرر الأذكار لطائفة بعد طائفة ثم يجلس لقراءة الحديث والتفسير الى قرب الزوال . فيتناول الغداء . وكان إذا أرسل اليه أحد الأغنياء طعاماً نفيساً لايأكله ، بل يكره أن يأكل منه المريدون وإنما يهديه لجيرانه ومَن كان حاضراً عنده من أهل البلدة وربما ترك أواني الطعام في مكانها يأخذها مَن شاء فيأكلها . نعم لو أرسل اليه شخص دراهم ولم يكن مظنّة شبهة يخرج أولاً زكاتها على مذهب الإمام الأعظم من جواز إخراج زكاة المال إذا بلغ النصاب قبل الحلول لأن صدقة الفرض أفضل من النفل . ثم يعمل فيما بقي حلواء وغيرها ويرسل بها الى فقراء الشاه نقشبند وفقراء والده ، ويؤدي ما كان من دَيْن في نفقة رباطه ويعطي مَن قصده من ذوي الحاجة . وربما يأخذ الشخص من هذه الدراهم شيئاً في حضوره فيطلع عليه ويعرض بوجهه عنه ولايتعرّض له .

(وقد) سرق شخص له كتباً ثم أتاه منها بكتاب يبيعه إياه فأثنى عليه ونقده الثمن ، فقال له أحد أصحابه : ياسيدي هذا من خزانتكم وعليه علامة . فتأذّى منه وأسكته وقال : هلاّ يكتب الكاتب أكثر من كتاب واحد .

ثم بعد تناول الغداء يقيل قليلاً ويشتغل بمطالعة الكتب الدينية والحقائق وغيرهما والتحارير الضرورية . ثم إذا صلى الظهر قرأ درسي حديث وتفسير الى العصر فيصلي ثم يقرأ حديثاً وتصوّفاً كمكتوبات الإمام الربّاني و"عوارف المعارف" و"رسالة القشيري" . ثم يجلس في حلقة الذكر والتوجّه الى الغروب . وبعد صلاة المغرب يتوجّه لخواص السالكين ثم يتناول العشاء حتى إذا صلّى العشاء أحيا عامة ليله بالذكر والمراقبة . فإذا غلبه النوم إضطجع في مصلاّه وربما نام وهو جالس ولم يُعلم أنه مدّ رجليه لفرط حيائه كما تقدّم .

(وكان) لايجلس إلاّ محتبياً كما نُقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وكبار الأولياء كالغوث الكيلاني حتى توفي على هذه الحالة . (وكان) حريصاً على إخفاء الصدقة . فإذا فتح عليه بشيء يقسّمه على الفقراء وهم في المراقبة لئلا يشعر أحد منهم بالآخر . (وكان) يلبس الخشن من الثياب ولو أهدي اليه ثوب نفيس باعه وإشترى عدة أثواب وتصدّق بها وهكذا في غير ذلك ، ويقول لأن يكتسي جماعة خير من واحد . وورد في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها أخرجت يوماً إزاراً ورداءً خشنين وقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين . (وكان) شديد الشفقة على المسلمين ويكثر من الدعاء لهم وأكثر ما يكون في جوف الليل . وكان له جار يسمى حكيم قدرةالله يصرف أكثر أوقاته في غيبته . فحُبس يوماً فسعى كل السعي في خلاصه ولم يذكر ذلك له . (وكان) مجلسه مجلس سفيان الثوري لاتُرفع فيه الأصوات ولاتُنتهك المحارم مبرّءً عن حديث الدنيا فلايذكر فيه الأمراء ولا الفقراء . وقد إستغاب بعض الحاضرين في مجلسه شخصاً فزجره وقال أنا أحقُّ بما قلته منه . ونال شخص في حضوره من سلطان الهند وكان صائماً فقال : "وا أسفاه لقد فسد صومي" . فقيل له أنتم ماذكرتم أحداً بسوء . فقال نعم ولكن سمعت والذاكر والسامع في الإثم سواء .

(وكان) عاشقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانياً فيه بحيث إذا سمع إسمه الكريم إضطرب وغاب . وقد أحضر له خادم أقدامه يوماً ماء للتبرّك وقال له : أنت منظور رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإرتعد عند سماع هذا الكلام ثم قام فقبّل الخادم وقال له : مَن أنا حتى أكون منظور رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبالغ في إكرامه . (وكان) شديد الحرص على إتباعه صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله قويّ التمسّك بالسنّة دؤوباً على مطالعة حديثه حتى توفي وسنن الترمذي على صدره . ولم يبلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل شيئاً إلاّ وتأسّى به حتى أتى مرّة بجبهة معز فطُبخت له وأكل منها إقتداءً به .

(وكان) له في القرآن المجيد ذوق عظيم كثير التلاوة له كثير المحبة لسماعه وكان يحب سماعه من أحد خلفائه العظام الشيخ أبي سعيد المعصومي ويتأثر تأثراً بليغاً . فإذا إزداد من السماع إضمحلَّ وتلاشى وقال له : "حسبي لا طاقة لي بأكثر" . ويحب سماع أشعار القوم والمثنوي ويحصل له من ذلك وجدٌ غير أنه كان لثباته وكمال تمكّنه لايظهر عليه ويقول : "رقص أبو الحسين النوري يوماً والجُنيد جالس ، قال إنما يستجيب الذين يسمعون" ، فقال الجُنيد : "وترى الجبال جامدة وهي تمرُّ مرَّ السحاب" فالجنيد كان في غاية الثبات . (قال المترجم) قد تظهر في الطريقة المجددية أحياناً نسبة الطريقة الچشتية الموروثة عن حضرة المجدد . وقد نُقل عنه مع كمال تمكنه حالات ذوق وشوق لذلك . أه . (وبلغ) من نزاهة الطبع أنه لو دخل عليه شخص يشرب التنباك يتأذى منه ويأمر بالمجمرة فيطيّب المحل . وكانت تفوح رائحة زكية من مجلسه فيخرج من عنده ويقول هذه روحانية النبي صلى الله عليه وسلم أو أحد السادات قد ظهرت .

من كلمات كمالاته وكمالات كلماته

(قال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) يكون في كمالات الوصول الوصل العريان وليس للسالك فيه غير اليأس والحرمان إذ كلما يكون الوصول يفنى الحصول . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) الطريقة النقشبندية عبارة عن أربعة أشياء : عدم الخطرات ، ودوام الحضور ، والجُذبات ، والواردات . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) طالب الذوق والشوق لم يطلب الحق تعالى . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) ينبغي للطالب أن يميّز كل وقت ماذا يرد عليه من العبادات كل وارد على حدة ، فيعلم أي كيفية حصلت له من الصلاة وأي نسبة ظهرت من التلاوة ومالذي ناله من

الذوق في درس الحديث الشريف والذكر الجهري ، وكذلك ماحصل له من الظلمة في الطعام المشبوه . وعلى هذا القياس في بقية الأغيار .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) من الطعام ما فيه رضاء للنفس ومنه ما فيه أداء لحقّها . فما فيه رضاؤها الغذاء النفيس الكثير ، وما فيه حقها هو ما تقوى به على أداء الفرائض والسنّة . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) كما إن طلب الحلال فرض على المؤمنين كذلك ترك الحلال فرض على العارفين . (وقال) الصوفيُّ هو التارك للدنيا وللآخرة وراء ظهره والمتوجه الى الله تعالى . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) الخطرات تضرُّ في الولاية لا في كمالات النبوة ، فإن عمر رضي الله عنه يقول : "إني لأجهَزُ الجيش وأنا في الصلاة فلاتمنع خطرات القلب مشاهدة الشمس" .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) مشرب السادات الجشتية الذين سكروا من خمرة الذوق والمحبة السماع والطرب إرادة أن يلوّن الشوق أرواحهم ألواناً ويرفعون النقاب عن وجه محبوبهم . ومشربنا معشر المتوسّلين بالسلسلة النقشبندية المرتشفين كأس المودة الحديث والصلاة رغبة أن تتنوع الأذواق على قلوبنا أنواعاً .

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) لايخفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الجامع لجميع الكمالات ، غير أنه كان ظهور كماله في كل وقت في أفراد الأمة بما يناسب إستعداد ذلك الوقت . فالكمال الذي نشأ عن جسده الشريف من الجهاد والعبادة والصبر على المشاق من الجوع وغيره ظهر للصحابة رضوان الله عليهم . والكمال الذي نشأ عن قلبه المقدّس من الإستغراق والفناء والذوق والشوق والتواجد وأسرار التوحيد الوجودي ظهر على لسان حضرة الجُنيد قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ لأولياء الأمة . والكمال الذي نشأ عن لطيفة نفسه المطمئنّة من الإضمحلال والإستهلاك في نسبة الباطن ظهر لأكابر النقشبندية في زمن مولانا شاه نقشبند قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ . والكمال الذي نشأ عن إسمه الكريم محمد ظهر في زمن حضرة المجدد قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ .

(وقال) في لفظ الفقير حروف تشير الى أحوال . فالفاء للفاقة والقاف للقناعة والياء لليأس مما سوى الحق تعالى والراء للرياضة . فإذا إتصف الفقير بها نال فضل الحق وقربه ويُمنه ورحمته ، وإلاّ أُبتُلي بالفضيحة وقهر الحق واليأس من قربه والرد من بابه . (وقال) ليلة الجوع عندنا ليلة المعراج .

(وقال) لابد في هذا الطريق من أربعة أشياء : دين سالم ، ويقين سالم ، ويد مكسورة ، ورجل مكسورة . (وقال) لما كانت الأنوار والبركات تفيض عند الدعاء تعسّرت معرفة علامة أثر الإجابة . فقال بعضهم إن حصل في اليدين ثقل فهو علامة على الإجابة والذي أراه أن إنشراح الصدر هو علامة عليها .

(وقال) البيعة على ثلاثة أوجه : بيعة لأجل التوسُّل الى المشايخ الكرام ، وبيعة لأجل التوبة من المعاصي ، وبيعة لأجل كسب النسبة . (وقال) الخطرات على أربعة أقسام : شيطانية وهي من اليسار ، نفسانية وهي من الفوق يعني الدماغ ، ومَلَكية وهي من اليمين ، وحقانية وهي من فوق الفوق . (وقال) كل الكمالات الممكنة في الإنسان دون النبوّة ظهرت في حضرة المجدِّد .

(وقال) الرجال على أربعة أنواع : النوع الأول ليسوا برجال وهم طالبو الدنيا . والثاني رجال وهم طلاب الآخرة . والثالث شبان الرجال وهم طالبو الآخرة والمولى . والرابع أفراد وهم طالبو المولى . (وقال) الأولياء ثلاثة : أرباب كشف ، وأرباب إدراك ، وأرباب جهل . (وقال) الفائزون بمقام حضرة المجدِّد قليلون ولو توجه الى جميع الأولياء الوجودية لأوصلهم الى جادة الوحدة الشهودية . (وقال) مَن أحب لقاءنا لبس لباسنا

وإختار طورنا .

(وقال) أرواح عامة المؤمنين يقبضها مَلَك الموت وأما قبض أرواح خاصة الخاصة فلا دخل للملائكة فيه . قال المترجم لعله مأخوذ من قوله تعالى (قل يتوفاكم مَلَك الموت) وقوله تعالى (الله يتوفّى الأنفس حين موتها) . (وقال) العقل النوراني هو الذي يستدل على المقصود بلا واسطة والظلماني هو الذي يحتاج في طريقه الى مصباح هداية المرشد . (وقال) ينبغي للطالب أن لايغفل لحظة واحدة عن ذكر مطلوبه . (وقال) حب الدنيا رأس كل خطيئة ورأس الخطايا الكفر . (وقال) زوال العين هو أن لايقدر السالك على قول (أنا) ، كما قال سيدنا الشيخ عبيدالله أحرار قول (أنا الحق) سهل وزوال أنا هو الصعب . (وقال) ينبغي للسالك أن يترك في إبتداء القلب النوافل ويكتفي بالفرائض والسنة المؤكدة .

(وقال) الطريقة المجددية تستمد من أربعة أبحر : النسبة النقشبندية والقادرية والچشتية والسهروردية ، لكن الأولى هي الغالبة . (وقال) كُفر الطريقة هو إرتفاع التمييز وعدم النظر لغير ذات الحق . يقول منصور الحلاج :

كــفــرتُ بدين الله والكفرُ واجب لديَّ وعند المسلمين قــبــيحُ

(قلت) وقد تقدَم لنا في ترجمة حضرة مولانا وسيدنا الغوث النقشبند قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ العزيز الكلام على هذا البيت فليُراجع .

(وقال) مَن أن أحبَ أن يخدم خدمَ المرشد . (وقال) جمع السعدي الشيرازي -وكان ممن نال مقام الفناء- في الطريقة السهروردية التصوّف في بيتين وهما :

مـرا پيـر داناي مـرشـد شـهـاب داونـدر زفـر مـودبر بر روي أب

يكي أنكه بـر خويش خودبين مبا دگر أنكه بر غـيـر بدبين مـباش

والشاهد في البيت الثاني ومحصله : لاتنظر الى نفسك بعين العجب ولا إلى غيرك بعين الإحتقار .

(وله) قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ رسائل متعددة نافعة جداً كشف فيها للطالبين مسائل مهمة في الحقائق والمعارف ، ومكتوبات شريفة مشتملة على نصائح ومواعظ جمّة منها :

إنه قال : "إن التخلّق بالأخلاق الحسنة واجب على كل أحد ، وهي الحلم والتواضع والشفقة والنصيحة والموافقة للأصحاب والإحسان والمداراة والإيثار والخدمة والألفة والبشاشة والكرم والمروءة والتودد والمودة والجود والعفو والصفح والسخاء والحياء والوفاء بالعهد والسكينة والوقار والثناء ، والدعاء الى الله تعالى دائماً وحسن الظن وتصغير النفس وإحتقار ما عندك وإستعظام ما عند غيرك . وأما المقامات فأولها الإنتباه ثم التوبة ثم الإنابة ثم الورع ثم محاسبة النفس ثم الإرادة ثم الزهد ثم الفقر ثم الصدق ثم الصبر ثم الرضا ثم الإخلاص ثم التوكُل . وأما الأحوال فمن ذلك المراقبة ثم القرب ثم الرجاء ثم الخوف ثم الحياء- وهو حصر القلب عن الإنبساط- ثم الشوق ثم الأنس ثم الطمأنينة ثم اليقين ثم المشاهدَة ، وهي أخر الأحوال وإليها الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" .

ومن ذلك ماكتبه في إجازته للشيخ أبي سعيد المعصومي والشيخ بشارةالله ولغرابة أسلوبها نقلتها بتمامها فقال :

"بعد الحمد والصلاة . من المعلوم أنّ المقامات والإصطلاحات التي هي في طريقة الإمام الرباني مجدد الألف الثاني مقررة ينبغي أن تُشاهد في كل درجة منها كيفيات وأحوال وأنواع وأسرار تلك الدرجة ، وإلاّ فإختيار الطريقة عبث فلمَ إضاعة العمر . وإن لم تكن المقامات العشر التي أولها التوبة وأخرها

الرضا لازمة للباطن ، فماالفائدة من هذه الطريقة . فإنه يحصل في سير لطائف عالم الأمر كيفيات كثيرة . ففي سير لطيفة القلب المفيدة لمراقبة الأحدية الصرفة بعد مراقبة المعية يحصل الفناء والإستغراق وقطع العلائق والأمال وغيرها . وفي سير لطيفة النفس المفيدة لمراقبة الأقربية والمحبة يحصل الإستهلاك والإضمحلال وفناء (أنا) وغيره . وفي سير عالم الخلق ينهل الفيض الإلهي أعلى العناصر الثلاثة ماعدا عنصر التراب . وتوجد المناسبة لتجلّيات إسم الباطن والملأ الأعلى وتهذيب اللطيفة القالبية ، ويصير الإحسان في الكمالات الثلاثة بالصفاء ولطافة نسبة الباطن وتحصل في الحقائق السبعة وسعة الأنوار وبداهة الأمور النظرية وزيارة حضرات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وثبوت أذواق المحبة الذاتية . فإن أدرك سالك هذه الطريقة هذه العلوم والمعارف فهو مبارك ، وإلاّ فقد إكتسب العُجب والأنانية فويل له . وكل شيء يحصل في الصحبة من هذه الحالات فهو حسن وإلاّ فهو تحقير الطريقة ويلحق المشايخ من ذلك الشخص عار والمريدين عجب وترذيل للطريق . ودعوى الإنتظام في سلك المشايخ هداهم الله سبحانه وتعالى الى رضائه وإشتياق لقائه آمين . وإذ قد وصل ولله الحمد صاحباي حضرة المولوي بشارةالله وحضرة الحافظ أبو سعيد سلّمهم الله تعالى وجعلهم سُرُجاً لإشاعة أشعة الطريقة لهذه المقامات ، والمَرجو من الله سبحانه وتعالى أن يتفضّل على بقية أصحابي الأعزاء وأحبابي وعلى هذا الذليل المقصِّر بالتوفيق للإستقامة وإتباع السنّة ومحبة المشايخ والتَّرْك والإنزواء واليأس من الخلق والترقّي لهذه الحالات ، فإني مع تمام الخجل أكتب لأن المرشدين يكتبون في الإجازات هاتين الكلمتين فأقول : يد هذين العزيزين التي هي أحسن من يدي هي يدي ، وبيعة خدمتهم التي هي أقوى ذريعة للسعادة والنجاة بيعتي بارك الله بهما ، بشرط أن يُعرضوا عن أهل الدنيا ويلازمون بقدم مكسورة باب الحق مع صدق الوعد الكريم المطلق جلّ سلطانه . فإنهم أركان طريقي وتربية توجهات حياتي . اللهم وفقني وإياهم لمرضاتك ومرضات حبيبك صلى الله عليه وسلم وإجعل آخرتنا خيراً من الأولى" .

ومن معاليه في مرائيه

(وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) رأيت في المنام المير روح الله أحد مخلصي حضرة جان جانان الشهيد قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في إنتظارك فأسرعت من فرط الشوق للتمثل في خدمته . فعانقني صلى الله عليه وسلم . فوجدت نفسي على هيئة ثم تحوّلت الى حضرة المير كلال قدِّس سرُّه . (ونمتُ) ليلة قبل صلاة العشاء فإذا به عليه الصلاة والسلام قد حضر ونهاني عن ذلك وتوعدني . (وزارني) صلى الله عليه وسلم مرة ثم ذهب فحزنت لفراقه وجعلت أحثو التراب على وجهي . فوجدت ظلمة من هذا الفعل المنكر . (ورأيته مرّة) في المنام فقلت يارسول الله أنت قلت (مَنْ رآني فقد رأى الحق) ، فقال نعم .

(وكنت) مثابراً على قراءة أذكار وإهداء ثوابها لمقامه المقدّس فتركتها مرّة . فرأيته صلى الله عليه وسلم بالهيئة التي وردت في شمائل الترمذي قدِّس سرُّه فعاتبني على ذلك . (وإعتراني) مرة خوف شديد من النار فرأيته صلى الله عليه وسلم قد شرّف منزلي وقال لي مَن يحبنا لايدخل النار . (ورأيته) صلى الله عليه وسلم فقال لي أنت إسمك عبدالله وعبدالمهيمن . (ورأيته) مرة فسمّاني العبد الصالح . (وقلت) مرة يارسول الله فقال لي لبّيك . (وسمعت) في سرّي الخطاب الإلهي ثلاث مرات وأنا في

المدرسة ومرتين في الخانقاه .

(ورأيت) مرة أن في صورة وجهي قدر إصبعين من صورة وجه سلطان المشايخ ، يعني نظام الدين أوليا قدِّس سرُّه ، ولم يتشوّه بذلك . (ورأيت) أن شخصاً قد أتاني بقميص المشار اليه وقال لي هذا شيخكم . فقلت له بل شيخي مرزا جان جانان . فكرّر عليَّ ذلك ثم قال سلطان المشايخ شيخكم في الصحبة .

(ورأيت) أن حضرة الشاه نقشبند قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ العزيز قد حضر ودخل في قميصي . (ورأيت) رجلاً جليلاً جاء وجلس اليَّ فسألته عن إسمه فقال بهاءالدين . (ورأيت) شخصاً قد أتاني بخلعة وقال لي إن الغوث الأعظم قد أهداها لك عناية بك . (قال المترجم) وكان حضرة مولانا خالد وقتئذ ثَمَّ فذكرها له . فقال له هذه تكون خلعة القطبية ، فقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ مع التواضع التام أنا لم أبلغ هذا المقام . اه .

(ورأيت) حضرة المجدّد قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ مرة فقال لي أنت خليفتي . (وكنت يوماً) في خلوتي ففاحت رائحة زكية جداً عطّرت المكان فلم أنظر الى فوق وإذا بروح معطّرة منوَّرة قد أحاط بها نور مثل نور الشمس قد حلّت فوق رأسي . فتحيّرت بمعرفة ذلك ثم خطر لي أن هذا التجمّل خاص بروح سيد العالم صلى الله عليه وسلم أو روح الغوث الأعظم . (وذهبت) لزيارة حضرة الشيخ محمد الباقي بالله قدِّس سرُّه . فلما جلست رأيته قد قام وطفق يتوجّه اليَّ فدخل وقت الظهر فقمت مسرعاً ثم تحسّرت على قيامي حسرة لاتوصف . (وزرتُ) يوماً حضرة الشيخ قطب الدين قدِّس سرُّه . فلما وقفت عند مقامه قلت شيء لله شيء لله . فرأيت حوضاً مملوءً ماءً والماء ينسفح من جوانبه وأُلقيَ اليَّ أن صدرك قد مُليءَ من النسبة المجددية ليس لغيرها فيه محل . (وزرت) يوماً حضرة سلطان المشايخ . فلما توجّهت للإستفاضة منه قال لي إنك قد نلت الكمالات الأحمدية . فقلت أحب أن تتفضّلوا عليَّ بنسبتكم وتوجّهت اليه . فوجدت صورته عين صورتي وصورتي عين صورته ، فإنصرفت محظوظاً للغاية .

(وحضرت) تذكار وفاة الشيخ محمد الزبير قدِّس سرُّه فرأيته قد حضر وهو يقول : عليكم بكثرة العبادة فإنها في هذه الطريق لازمة حتى يُفتح لكم باب من التصرف . فقلت له : بماذا نلتم هذه المنزلة ؟ فقال : بكثرة العبادة .

(ورأيت) سيدة النساء -يعني جدته فاطمة الزهراء عليها السلام- قد أتت منزلي وقالت إني بُعثتُ لأجل زيارتك . (وأكلتُ) يوماً طعاماً مشبوهاً فرأيت حضرة الشهيد قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ يستقيء ويقول لاينبغي الأكل من كل مكان . (وأُلقيَ) اليَّ مرة إنا أعطيناك منصب القيّوميّة وأعطيناك طريقة جديدة . (وقلتُ) يوماً ياشيخ عبدالقادر ، فقيل لي ياأرحم الراحمين شيء لله . (وأُلقيَ) اليَّ أن سلطان المشايخ قد أرسل خلفاءه الى (دكهن) فأرسل أنت الى كابُل وبخارى . (وطلبتُ) مرة توسيع منزلي فأُلقيَ اليَّ أنه لاأهل لك ولا عيال فأي حاجة لذلك . (وطلبت) مرة من جاري مكانه فأُلقيَ اليَّ لمَ تكلّف جارك للخروج . (وأخذتُ) مرة بالتهيؤ للحج فأُلقيَ اليَّ إن بقاءك ههنا أحسن .

شذرة من كراماته وخوارق عاداته

لايخفى على سالكي الطريق الإلهي وطالبي الفيض اللامتناهي إن أعظم الكرامات وخوارق العادات محبة الله تعالى وإتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان له قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ في هذين المقامين المرتبة العليا . ومن أعظم كراماته تصرفه في باطن المريدين وإلقاء الفيوضات والأسرار في صدورهم .

وما صدر عنه من ذلك لايسعه التحرير وتضيق عنه حوصلة التقرير . فكم أوصل الى مقام التكميل من الرجال مئين فصار من أهل الواردات والجُذبات والتمكين . ونال بتوجهاته الأحمدية المقامات الإلهية والأحوال العالية أمم لاتُحصى .

وأما تصرفاته وكشوفاته وحل المشكلات وقضاء الحاجات فإنها كثيرة جداً طالما بها فُرِّجت كُرَب وحُلَّت عقد . وكانت كراماته وإلهاماته وخوارقه مقتبسة من نور معجزاته صلى الله عليه وسلم . وكثيراً ما رآه في المنام جماعة أنه يلقّنهم الطريق فحضروا الى أعتابه وبلغوا المقامات العالية وعادوا الى أماكنهم . وكان ينقل كل واحد من المريدين مع كثرتهم المفرطة من مقام الى مقام ويرقّيه من حال الى حال ويوصله بقوة توجهاته في أيام قليلة الى ما لايُنال بسنين كثيرة .

أما مَن تاب على يده من العصاة فصاروا من أهل الإستقامة ، ومَن أسلم من الكفّار فجمٌّ غفير . (من ذلك) أنه حضر مجلسه غلام من البراهمة المجوس جميل الصورة فوقع عليه بصر الشيخ قدِّس سرُّه فنزع في الحال ربقة الكفر من رقبته ونطق بالشهادتين وحلّى جيده بعقدة الإسلام وذهب . (ومرض) خادم أعتابه المولوي الشيخ كرامةالله قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ بذات الجنب . فوضع يده المباركة عليه وتوجه بهمّته العلية اليه فبرأ في الحال . (ونظر) مرة الى سفينة وهي جارية فوقفت من فورها . (وكان) أحد أصحابه الكرام الشيخ أحمديار قدِّس سرُّه مسافراً في تجارة له فرأى منصرفه من سفره حضرة الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ قد دنا من دابته وقال له : "أسرع واسبق القافلة فإن في الطريق قطاعاً يريدون أخذ القافلة" . ثم غاب فأسرعت حتى سبقت السيارة . فجاء القطّاع فنهبوا القافلة ونجوت ولم أزل حتى دخلت داري سالماً .

(وذكر) حضرة زلف شاه قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ أنه أتى قاصداً زيارة حضرة الشيخ نوّر الله مرقده من مكان سحيق . فرأى رجلاً مهاباً فأرشده قال : "فقلت له مَن أنت ، قال أنا ذلك الرجل الذي تريد زيارته ووقع لي ذلك مرتين" . (وذكر) الشيخ أحمديار المومى اليه أنّ حضرة الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ توجه يوماً لتعزية إمرأة صالحة من مريديه ببنت لها كبيرة وهو في خدمته ، فقال لها : عوّضكم الله عنها بغلام . فقالت له بلا توقف : ياسيدي إني عجوز عقيم وبعلي شيخ كبير والولادة في هذه الحالة مخالفة للعادة . قال : إن الله تبارك وتعالى لقادر . ثم خرجنا من دارها فدخل سيدنا الى مسجد في جوارها فتوضأ وصلى ركعتين ودعا الله تعالى لها ، ثم إلتفت اليَّ وقال : إني دعوت الله وظهر لي أثر الإجابة فيأتيها غلام . فكان كما أخبر قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ ، فلم تلبث أن ولدت غلاماً وعاش سنين عديدة ولله الحمد .

(ومرضت) إمرأة من أقارب المير أكبر علي أحد أصحابه الكرام قدِّس سرُّه ، فالتمس من حضرته قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ أن يدعو الله تعالى لها بتخفيف مرضها فلم يفعل . فألحّ عليه فقال له : "لاتبقى هذه المرأة أكثر من خمسة عشر يوماً" . فبقدر الله تعالى توفيت يوم الخامس عشر لكن كان يتوجه على المير علي لها برفع المرض خلال ذلك فلم يفد . فلما حضر الشيخ جنازتها قال إن بركات توجه المير ظاهرة عليها . (وعاد) قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ يوماً الحكيم نامدارخان فوجده في حالة النزع وقد أغمضت عيناه وذهب شعوره . فسأله أهله أن يتوجّه الى الله بدفع مرضه . فنظر اليه قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ فعاد اليه إدراكه وفتح عينيه وكلّمه برهة بكلام كثير ثم قام . فلما وضع قدمه المبارك في باب داره قضى الحكيم نحبه رحمه الله تعالى .

(وحُبس) عم ميان أحمديار أحد أصحابه الكرام على مال للسلطان فجاء إليه وهو يبكي وذكر له ذلك . فقال له قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ : أرسل أحداً يخرجه من الحبس . فقال : كيف ذلك وقد أُحيطت القلعة بالمحافظين

من العساكر ؟ قال : ماذا عليك إذهب بأمري أحضرهُ! قال فذهبنا وأخرجناه من الحبس ولم يعترضنا من الحرس أحد .

(وأتى) رجل من بخارى الى الهند على طريق كابُل فعبر في بحر الأنك فغرق له جمل عليه أمتعته وتجارته فنذر لحضرته إن أخرج الله له ماله رغيفين . فأنقذ الله ذلك من الغرق ، فلما تشرّف برحابه عرض له ذلك ، فقال له قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ : وهل وفَّيت بنذرك ؟ قال نعم . (ومرض) ولد المولوي الإمام الفضل رحمه الله تعالى مرضاً شديداً فرأى في منامه ان حضرة الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ أتى اليه وسقاه شراباً . فأصبح وقد شفي من مرضه فقدم هدية جسيمة لجنابه العالي فقبلها وقال هذه ثمرة سعينا في الليل .

(وأتى اليه شخص) فقال له : ياسيدي قد فُقد ولدي منذ شهرين فادعو الله أن يردّهُ عليّ . فقال له : إن الولد في دارك . فتحيّر الرجل وقال له : أنا الآن جئت من الدار . فقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ : هو في الدار . فإمتثالاً لأمره ذهب الى الدار فوجد الولد ثَمَّ .

(ولما) تولى الحكيم ركن الدين خان الوزارة العظمى أرسل اليه يوصيه بأحد أعزائه ، فلم يحتفل بوصيته فتغيّر خاطره الشريف عليه فعُزل ولم يتولَّ بعد قطّ . (وتغيّر) خاطره الكريم على والي دهلي فعُزل حالاً . (وقدم) نفر من خلفائه من سفر فقبل أن يصلوا قالوا لبعضهم إذا وصلنا وتشرّفنا بتقبيل قدمه المطهّرة فماذا نؤمل منه . فقال أحدهم أنا أريد سجادة وقال الآخر تاجاً وقال غيره غير ذلك . فلما تمثّلوا في أعتابه أعطى كلّ واحد ماتمنّاه . (وكان) له سقّا فمرض وإشتد مرضه حتى قارب النزع فحمله أحد أصدقائه وأتى به اليه وقت السحر فتوجه اليه فشُفي .

(وقال المولوي كرامةالله) أحد أصحابه الكرام قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ : لازمت خدمة حضرة الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ مدة ورأيت العجائب والغرائب . فمن ذلك أني قمت من بين الجماعة مرة بعد صلاة الفجر وهو زمن المراقبة والذكر فأخذت كتابي لأقرأ درسي فنظر اليَّ شزراً وقال إجلس . وإشتغل ففرط مني أن قلت "إنما قصدتكم لأنال النسبة بلا محنة وإلاّ لأمكنني تحصيلها في كل مكان" . فقال لي : إجلس فبحقّ بهاءالدين لألقينَّ إليك النسبة بلا محنة . وتوجّه اليَّ في الحال فغبت عن نفسي وسقطت وكأنه أخرج قلبي من صدري . ثم بعد زمن أفقت فإذا به فرغ من الذكر وقد أصابتني الشمس وكان خواص أصحابه حينئذ حاضرين كالشاه أبي سعيد قدِّس سرُّه فخجلت منهم . فقالوا : ماالذي إعتراك ؟ فقلت لهم : غلبني النوم . فتبسّموا .

(ووقع) في دهلي قحط فخرج قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ الى صحن مسجده فجلس فيه وكان شديد الحرارة من الشمس وقال : "ياربِّ لاأبرح جالساً حتى تسقينا المطر" . فمطرَ الناس لساعتهم . (وسألته) إمرأة أن يعطيها ما تطعم مريضاً فأعطاها خبزاً وقطعة لحم . فلما وصلت الى دارها إنقلب اللحم حلواء ومات مريضها ثم صار ذلك علامة على موت مريض يرسل به اليه . (وطلب) من جارة له وكانت رافضيّة مكاناً لتوسعة الرباط فما رضيت بالبيع وأطالت اللسان في شأنه . فرفع طرفه الى السماء وقال : "ياربِّ سمعت كلامها" . فلم يلبث أن وقع في أقاربها وذريّتها الموت حتى لم يبق إلاّ واحد منهم . فوهبت ذلك المكان لحضرته .

(وجلس) رجل مبتدع عند قبر حضرة الشيخ محمد الباقي بالله رضي الله عنه فمُنع فما إمتنع ، فقال له الشيخ : "بحقّ بهاءالدين أن لاتقدر على الجلوس" فأخذه الحمى النافض في الحال . فقام مضطراً ومات

في اليوم الثالث . الى غير ذلك ومَن أراد الزيادة فعليه بكتاب "الجواهر العلوية" لمولانا الشاه رؤوف أحمد المعصومي ، فإن فيه العجب العجاب .

أحوال إنتقاله وإنتقال أحواله

(كان قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) يقول : إني أحب الشهادة في سبيل الله تعالى ولكن أتذكّر ما حصل للناس في شهادة شيخنا مرزا جان جانان رضي الله عنه من البلاء ، إذ قُحطوا ثلاث سنين ومات بذلك خلق كثير ووقع قتل وحروب لاتُعدّ . فأترُكُ سؤالها . وقد غلب عليه البواسير آخر مرضه . وكان الشيخ سعيد وقتئذ في مدينة (لكهنوء) فأرسل اليه في برهة يسيرة كتباً كثيرة يحثّه على الحضور ليكون قائماً مقامه ، وأن يستخلف مكانه نجله الشيخ أحمد السعيد أحد خلفاء حضرة مرشده المكرّم . فترك أهله وأتى مخفّاً ، فلما تشرّف بلقائه قال له : كان مرادي إذا لقيتكم أن أبكي كثيراً ولكن أتيتني في وقت لايمكنني فيه ذلك . ثم إلتفت بكلّيته اليه وأوصى له بخلافة الإرشاد العام . وكان من عاداته المستمرة أنه إذا حصل له شائبة مرض أوصى قلماً وأكّد لساناً بمداومة الذكر وتحسين الأخلاق وتقوية النسبة الشريفة ومجاملة المعاملة مع الجميع ، والإعراض عن الإعتراض بـ(لو) و(لم) على مجاري القضاء ، وملازمة الإتحاد مع الإخوان والتفرّغ للعبادة بالفقر ، والقناعة والرضا والتسليم والتوكُّل . فجدّد هذه المرة تلك العادة المستمرة وقال : "إذا إنقضى الأمر فإحملوني الى المكان الذي فيه الآثار النبوية التي في جامع دهلي واطلبوا لي من صاحبها الشفاعة" .

(وقال) لما إحتضر سيدنا الشاه نقشبند قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ قال : "لاأرى من الأدب أن تُقرأ أمام جنازتي الفاتحة أو آية مطهّرة أو تُذكر كلمة التوحيد ، ولكن أنشدوا هذين البيتين :

مفلسانيم آمده در كويتو　　شيء لله أز جمال روي تو
دست بكشا جانب زنبيل ما　　آفرين بر دست وبَر پَهلوي تو

وكذلك أقول فأنشدوا أمام جنازتي هذين البيتين :

وفدت على الكريم بغير زاد　　من الحسنات والقلب السليم
فحمل الزاد أقبح ما رأينا　　إذا كان القدوم على الكريم

فلما كان وقت الإشراق من يوم الإثنين ثاني عشر صفر أمر بحضور أبي سعيد من داره سريعاً فنظر اليه ثم وضع رأسه في صدره وهو جالس على هيئة الإحتباء وقتئذ ، فإلتحق بالرفيق الأعلى . فغُسل بأمواه الأنوار وكُفِّنَ بأثواب الأسرار وحُمل على أطراف الأصابع الى المسجد الجامع . وقد إنفضّت لأجله المجامع وهُرعت لرباطه الناس حتى غصّت بالمشيّعين الجوادُّ والشوارع . فصلّى عليه الإمام أبو سعيد ووضعوه تبرّكاً عند الآثار النبوية . ثم أتوا به الخانقاه فدفنوه في الجانب الأيمن من البقعة المباركة التي ضمّت مرشده الشهيد . وكان لمشهده في دهلي يوم مشهور .

(وطفقت) أدباء الهند تعمل الخاطر لإنشاء ندبه ورثائه بأنفس القصائد وأبدع التواريخ كلها بالفارسية إلاّ تاريخين ؛ أحدهما نثر وهو (نوّر الله مضجعه) . وثانيهما ضمن مقطوعة بالفارسية وهو قوله تعالى (في روح وريحان وجنّات نعيم) . فنظمتها تبركاً به فقلت في الأول :

حضرة القطب الدهلوي　　رغب الحق مرجعه
فلهذا إذ أرّخوا　　نوّر[265] الله[66] مضجعه[918]

وقلت في الثاني :

الدهلوي الشـــاه عـــبـــدالله الغـــوث العظيـــم
أرّخـــه في روح[٣٠٤] وريحان[٢٧٥] وجنات[٤٦٠] النعيم[٢٠١]

ومن ذلك بيت فيه تاريخ ولادته وحياته ووفاته قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ .

(مظهر[١١٥٨]) جود جاء مدة عيشه (إمام[٨٢]) قضى قل (نوّر الله مضجعه[١٢٤٠])

(وله قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) خلفاء حنفاء هم علماء الأولياء وأولياء العلماء ملأوا الخافقين إرشاداً والثقلين إمداداً . ومن أجلّهم مجداً وأكبرهم جداً :

العارف بالله تعالى الشيخ الشاه أبو سعيد ، نجل العارف الكبير الشيخ صفي القدر شبل العارف الكبير الشيخ عزيز القدر فرع العارف الكبير الشيخ محمد عيسى نتيجة العارف الكبير الإمام معصوم خلاصة العارف الكبير الإمام الرباني قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُم . (ولد) في بلدة مصطفى أباد وتُعرف بـ(رامپور) مدينة على ثمان مراحل من دهلي عام ستة وتسعين ومائة وألف وعليه أثار الولية والنجابة ، ثم تربى في حجر والده العزيز- وكان من العارفين الزاهدين الوارثين للمعالي المجددية المتمكنين في الحديث والتفسير والحقائق وغيرها . وتخرّج على يده وعلى مفتي تلك الديار يومئذ العلاّمة شرف الدين وعلى العلاّمة المحدِّث رفيع الدين وأخيه العلاّمة الشاه عبدالعزيز إبن المحدّث الكبير الشاه ولي الله ، وعلى المحدّث العلامة ثناء الله پاني پتي حتى صار عالماً مفسِّراً متقناً لكل الفنون . وتلقّى الطريق المجددي النقشبندي عن والده قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ ولازم خدمته والإستفاضة من أنوار أسراره حتى توفي عام ست وثلاثين ومائتين وألف . ثم قدم دهلي وحظي بشرف خدمة حضرة الشاه عبدالله قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ . فقدّمه وعظّمه وربّاه وكلّمه حتى إذا حضرت الوفاة عهد اليه بالخلافة من بعده . فثابر على القيام بأعبائها نحو تسع سنين وحصل على يده نفع كبير وتكمّل عنده خلق كثير . ثم توجّه سنة تسع وأربعين الى الحجاز فإستقبله العالم العامل والمرشد الكامل سيدنا الشيخ محمد جان شيخ الحرم المكي وقتئذ وأحد خلفاء حضرة الشاه الدهلوي قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ وأعيان البلد الحرام وأكرموا نُزلهُ . فلما أتمَّ تفثه إعتراه داء البطن وإشتدّ عليه المرض فلم يزل في مكة المكرّمة وبواعث أشواق الزيارة تزداد آناً فآناً حتى وجد في نفسه أدنى خفّة فقصد المدينة المنوّرة . فإستقبله الإمام الجليل والمرشد الكامل التكميل السيد الشيخ إسماعيل المدني-أحد أجلاّء خلفاء سيدنا القطب الدهلوي قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ- ومعه جماهير أهل المدينة المنوّرة ، ورفعوا من شأنه وبالغوا في خدمته . فزار تلك الحضرة المحمدية وفاز بالمثول في هاتيك المعاهد النبوية . ثم عاد مكرّماً الى أوطانه وقد أخذ يتزايد مرضه يوماً فيوماً . فلما وصل الى بلدة (لونك) على إحدى عشر مرحلة من دهلي ثاني عشر شهر رمضان غلبه الضعف ، فتخلّف ثمَّ لذلك . فمازال المرض يزداد الى يوم عيد الفطر . فتوفي بعد الظهر من يوم الأحد عام خمسين ومائتين وألف . فجُهِّز ووضع في تابوت وحُمل الى دهلي ودُفن الى جنب حضرة مرشده الشيخ عبدالله الدهلوي . فلما أرادوا لحده أخرجوه من تابوته ، فتضوّعت منه رائحة زكية عطّرت الأرجاء حتى كأنه جهز ذلك الوقت قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ . (وممن ذُكر) نجله العالم الفاضل والمرشد الكامل الشيخ أحمد سعيد قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ . (ولد) في غرة ربيع الأول عام سبعة وعشر ومائتين وألف في (رامپور) ، وتربّى من أول يوم في مهد والده المعلوم وإرتضع منه ثدي المعارف والعلوم . وتخرّج على يد العلامة الأوحد المولوي فضل الإمام والعلامة الشيخ سراج الدين المفتي السالف البيان في

المعقول والمنقول وغيرهما . وتلقّى فن الحديث والكتب الستة وغيرهما عمن تلقّى عنهم والده بروايتهم لها عن والدهم الشيخ ولي الله عن الشيخ أبي طاهر محمد المدني عن والده الشيخ إبراهيم الكردي عن الشيخ أحمد القشاشي عن الشيخ حمد الشناوي عن شمس الدين الرملي بسنده المشهور في ثبته ، وطرفاً من الحديث والتصوّف بأجمعه عن مرشده سيدنا الشيخ عبدالله الدهلوي . وتلقّن الطريقة العلية عن والده في حضور المرشد المعظم . فإلتفتُ اليه وألقى أكسير نظره العالي عليه وجعل يقرّبه ويجلسه في حلقة الذكر منذ كان سنّه عشر سنين ويقول هو بمنزلة ولدي . ولم يزل يلحظه بأنفاسه الرحمانية ويحفظ بهمّته المحمدية حتى بلغ مبلغ الكمال ونال درجة الفحول من الرجال . فأذن له بالإرشاد وخلفه خلافة عامة وأثنى عليه وأدرجه في زمرة كبار أصحابه الأمجاد . فقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ في حقه : "أحمد سعيد إبن حضرة أبي سعيد قد قارب والده بحفظ القرآن المجيد وتحصيل العلوم العقلية والنقلية وتحصيل النسبة المجددية العلية" . (وقال) في شأنه أبو سعيد أسعده الله وأحمد سعيد جعله الله محموداً ورؤوف أحمد رأفَ الله به وبشارة اللـه بشّره الله بقبوله ، سلّم الله هؤلاء الأربعة الأكابر المرتبطين بالمودة التي هي أحسن من إرتباط القرابة ، وبارك فيهم وجعلهم سبباً لترويج الطريقة وأكثر أمثالهم . (ثم) لما أن دُعي حضرة الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ والده من رامپور الى دهلي أمره أن يخلفه مكانه . فلما توفي والده قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ قام مقام الحضرتين وأرشد الله به عدداً لايُحصى من الفريقين ، لاسيما في أضلاع الهند وغزنين وكلٌّ حصّل من حضرته بقدر إستعداد حوصلته . وله خلفاء كثيرون نفع الله بهم العباد وأحيا ببركتهم أكثر البلاد . ولما ظهر في بلاد الهند ما ظهر من الفساد خرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ومعه أخواه الشيخ عبدالغني والشيخ عبدالمغني وإستوطنوا المدينة المنورة ، وذلك سنة أربع وسبعين ومائتين وألف . وإشتغل بالطريقة العلية كل الإشتغال ونال أعلى مقامات القبول والإقبال . ثم توفي في تلك الأماكن الطيبة ثاني ربيع الأول عام سبعة وسبعين ومائتين وألف . ودُفن في البقيع عند ضريح أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه في مشهد عظيم لم يتخلف عنه أحد . وقد قيل في تاريخه (عاش سعيداً مات شهيداً) أي سنة ١٢٧٧هـ . فإنه توفي غريباً بداء البطن والحمى ، وممن أرّخوا وفاته العالم الجليل الإفادة الشيخ عبدالجليل براده أحد أجلّاء أعيان المدينة المنورة فقال :

قضى قطب الأقطاب الشهير بأحمد ... سعيد إمام العلم والحلم والهدى
منار الطريق النقشبندية التي ... لها جده في الألف أضحى مجدداً
ومُذ حلَّ في القبر ناديت أرِّخوا ... سعيداً شهيداً في الجنان مخلَّدا (١٢٧٧هـ)

وقال غيره :

هوى البدر فاغبرَّ وجه الوجود ... وأين بالزهر روض اللحود
وقطب الهدى مذ قضى أرِّخوا ... لأحمدٍ تُهدى جنان الخلود (١٢٧٧هـ)

ومَن أحبَّ الوقوف على تفصيل أحوال هذا العزيز وأحوال والده وخلفائهما وكراماتهما وكلماتهما فليرجع الى "المقامات الأحمدية السعيدية" تأليف ولده الشيخ محمد مظهر ، فإنه يرى العجائب .

(وممن ذُكر) نخبة المرشدين وعمدة المؤدِّبين المربين المولوي الشيخ محمد شريف قدِّس سرُّه . حصّل العلوم في رامپور وتشرّف بخدمة الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ ، فأتمَّ سلوكه ثم ذهب فناك في بلاد ضلعة پنجاب وكشمير غاية القبول والإقبال وتهذّب ببركته خلق كثير . ثم توفي في بلدة

(هوشيارپور) فنُقل الى سرهند ودُفن قرب مقام الإمام المعصوم قدِّس سرهما . (وممن ذُكر) العالم الجليل والمرشد النبيل الشيخ ملا خدابردي التركستاني قدِّس سرُّه . لازم حضرة الشيخ ملازمة قوية حتى أذن له بالإرشاد في الطريقة النقشبندية . فعاد الى بلاده وإنتفع أهل البلغارية نفعاً عظيماً جزاه الله خير جزائه . (وممن ذُكر) الشيخ ملا علاءالدين قدِّس سرُّه . كان نادرة المرشدين ومؤمَّل المسترشدين . تلقّى الطريقة العلية عنه قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ ، فأحسن تربيته وزاد في دولة الوصول الى الله ترقيته . ثم أذن له بالإرشاد العام ، فتوجه الى پيشاور . فأيقظ الله به نفوساً غفلاً وفتح به قلوباً غلفاً وفازوا ببركته بخير الدنيا والدين . (وممن ذُكر) رفيع الهمم والمراتب الوليُّ الكامل الشاه سعدالله صاحب قدِّس سرُّه . تشرّف في خدمة أعتابه وأتمَّ مقامات السلوك في رحابه . فأذن له بالإرشاد في كل البلاد فتوجه الى الحجاز ثم عاد الى دكهن حيدرآباد ورفع عَلَم هذا الطريق المتين . فأصبح عموم أهلها من المخلصين . وكان كريم الطبع بحيث كان يوجد في رباطه دائماً من المريدين نحو مائة وخمسين مريداً ، كلّ ذلك مع الإعراض والإنقطاع عن أبناء الدنيا والإقبال على ربِّ العالمين . (وممن ذُكر) العالم الربّاني والولي الكامل الملا عبدالكريم التركستاني قدِّس سرُّه . قدم من ضلعة أنك على أبوابه ، فربّاه وهذّبه وكمّله وأوصله الى الله تعالى . ثم أذن له بخلافة الإرشاد وأعاده الى بلاده فأرشد الله به الجمّ الغفير . ثم قصد البيت الحرام فحجّ وعاد . ففي أثناء الطريق قضى نحبه ففاز بشهادة الغربة . (وممن ذُكر) مُظهر الإمداد الموفور الولي الكامل الشيخ مرزا عبدالغفور الجرجوي قدِّس سرُّه . تشرّف بخدمة حضرة الشيخ في عنفوان شبابه ، فنال من جنابه تمام الإلتفات والتربية في سلوك جميع المقامات . وكان له في سلب المرض الحسي والمعنوي النظر الإكسير . وكثيراً ماكان حضرة الشيخ يرسل اليه المرضى فربما يُشفي الله المريض بتوجه واحد . ودخل الطريقة يوماً شخص فأرسله حضرة الشيخ اليه لتنبيه لطائفه . فتوجّه له مرة واحدة فجرت لطائفه ثم أعاده الى الشيخ فعرف ذلك منه بمجرد النظر اليه وأخبر أصحابه . ومن كراماته أنه سُرق لإبنته مال فأخبرته فقال هو في المكان الفلاني . توفي في بلدة (جرجه) ودُفن ثَمَّ قدِّس سرُّه . (وممن ذُكر) المرشد الأرشد والولي الكامل الأوحد الشاه رؤوف أحمد قدِّس سرُّه . تشرّف بالسلوك عند حضرة الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ حتى بلغ أعلى الوصول وصار آية باهرة في إتقان العلوم الظاهرة الى ذوق بالمعارف الإلهية ونَفَس بالشعر الهندي والفارسي نفيس . وهو الذي جمع مقامات وكلمات حضرة الشيخ في تأليف سمّاه "الجواهر العلوية" ولم أرهُ بعد . ونسبه يتصل بالإمام الرباني بواسطة أصغر أبنائه سيدنا الشيخ محمد يحيى قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ . ثم لما تامَّ بدره وإنتهى سيره أُذنَ له بالإرشاد . فذهب الى بلدة (بهوپال) ، فأقبل عليه أهلها بالقبول من أمير وفقير وسطع بها نور الطريق وحصل له بهدايتهم تمام التوفيق . ثم عام أحد أو إثنين وخمسين قصد الحرمين الشريفين ، فتوفي في السفينة حذاء يلملم . ففاز بشهادة الغربة وهنالك دُفن قدِّس سرُّه .

(ومن أعظمهم) المرشد الكامل والولي الواصل المولوي بشارة الله قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ . خدم أعتب حضرته حتى حاز معالي نسبته . وفاز بشرف خلافته وهو من الأربعة المارّي البيان . (ومن أجلّهم) خليفة العلماء وعالم الخلفاء المولوي المحدِّث الشيخ كرم الله قدِّس سرُّه . تشرّف والده بالإسلام وصار من مريدي الشيخ فخرالدين ولأجله صنّف الشاه عبدالعزيز تفسيره المشهور . قدم على رحاب حضرة

الشيخ وبذل قصارى الهمة في تحصيل النسبة العلية . فظفر بالمرام وخلفه خلافة عامة . وكان له في فن القراءة اليد الطولى بحيث تلمذ له ولطلبته جميع أهل دهلي . وقد حج البيت الحرام أولاً . وتوفي في الطريق ثاني مرة قدس سره . (ومن أفضلهم) روض الأنوار وبحر الأسرار المولي الشيخ عبدالرحمن شاهجان پوري قدِّس سرُّه . خدم كثيراً من الأكابر فلم يحظ بالمراد ثم حضر الى خدمة الشيخ نفّعنا الله به . فسلك حتى ملك عرش الخلافة . وكان في الزهد والإنقطاع عن أبناء الدنيا وعدم الإلتفات الى السوى آية عجيبة . وكثيراً مارغب نواب فرخ آباد بخدمته وإكرامه فلم يلتفت اليه أصلاً . وله خلفاء أولو نسبة قوية وكشف ووجدان صحيح حصل بهم في شاهجان پور للطريقة العلية رواج عظيم . (ومن أكرمهم) صاحب الأنفاس القدسية والهمم النقشبندية العلية المير طالب علي المشهور بالمولوي عبدالغفّار قدّس سرّه . قدم بعد تحصيل العلوم الدينية على أعتاب حضرة الشيخ لكسب النسبة المجددية فنال ببركته مرامه . وقصد البيت الحرام ثم توطّن زبيد ، فحصّل بأسراره وأنواره نفع عام للعبيد حتى أتمَّ بها أيامه . (ومن أحسنهم) العالم الجليل والمرشد النبيل الشيخ السيد إسماعيل المدني قدّس سرّه . تلقّى الطريقة العلية عن حضرة مولانا خالد قدّس سرّه أولاً . ثم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الواقعة مرة ، فقال له إذهب الى دهلي وتلقَّ النسبة المجددية من شاه غلام علي . فبادر بالإمتثال وحضر في الحال . فقام قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ بأعباء تربيته وإعتنى به حتى تأهّل لخلافته وصار من أهل الأذواق العالية والمقامات السامية . ثم عاد الى الحرم المدني المطهّر وقد قدمنا عند ذكر كرامات حضرة الشيخ نوّر الله مضجعه أنه حضر معه آثاراً نبوية وجعلها في المسجد الجامع في دهلي وأخبر الشيخ . فقال إنه يوجد في مكانها ظلمة الكفر . فدققوا النظر فإذا فيه تصاوير بعض الملوك فأُزيلت . (ومن أسعدهم) دليل حيرة الطالبين وشفاء غليل العشاق الصادقين صفوة المرشدين الهادين المهديين مرزا رحيم بيك المسمى بمحمد درويش العظيم آبادي قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ . تشرّف بخدمة حضرة الشيخ متجرداً عن علائقه بالكلية . فسلك حتى أتمَّ سلوكه وفاز بالإجازة والخلافة الروحانية ثم لبس مسحاً أسود وتوجه الى بخارى لزيارة سيدنا ومولانا شاه نقشبند قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ العزيز . وساحَ في أكثر بلاد الإسلام مثل الروم والمغرب والحجاز والعراق والشام وهندستان وماوراء النهر وخراسان . ولما قدم سليمانية الأكراد في حضرة مولانا خالد قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ . فشكى له عدم وجود المرشد الى الله تعالى فأخبره بوجود مرشده القطب الدهلوي وإنه الغوث الأعظم والمرشد الأكبر وإنه أشار الى قدوم عالم من بلاد الروم اليه وقال له أرجو أن تكون أنت فهلمَّ أوصلك الى حضرته . فشرح الله صدر حضرة مولانا الى خبره وسار الدرويش محمد في خدمته حتى وصلا الى دهلي فجزاه الله خير الجزاء . وتكلم بعض الناس في حقه عند حضرة مولانا خالد بما لايلائم فأراه الله إياهم على صورة الخنازير . فزاد إعتقاداً بحضرة الدرويش محمد . ولبث تسعة أشهر في معيّته ثم عاد لسياحته وكان له جراءة تامة عند الملوك والأمراء في الحسبة وقدم راسخ في الإرشاد نفع الله به كثيراً من العباد في أكثر البلاد . ولو لم يكن من مناقبه إلاّ إندراج حضرة مولانا وأصحابه في صحيفته لكفى . ثم ألقى عصا التسيار في مدينة سبز (بسين فموحدة فزاي معجّمة) أي المدينة الخضراء وهي من أعمال بخارى وتزوج من أهلها وتمذهب للإمام الشافعي رضي الله عنه . وحصل له بها ظهور عظيم بخدمته للصادر والوارد وأحبّه واليها محبة مفرطة مع الإخلاص التام . فأغبر يوماً خاطر أحد حكام تركستان من والي

سبز فـدسَ على الشيخ سمّاً فقتله إغاظةً للوالي فـفاز بسعادة الشـهادة قدِّس سرُه . (ومن أنفـسهم) نور شمس العلماء ونور روض الخلفاء الآخوند شير محـمد قدِّس سرُّه ، تشرّف بعد التـضلّع من العلوم الشرعية بتقبيل عتبة حضرة الشيخ وتـلقى الطريقة العلية وإشتغل بتحصيل المقامات المجددية حتى أدرك مناه بالخلافة والإذن بالإرشاد . ولفـرط إستغراقه في الذكر والخدمـة طرأ عليه الذهول عن المسائل العلميـة بحيث صـار يعسر عليـه أسـهل تركيب في النحـو . ثم إلتـفت الى العلم لكلّيتـه وجعل يقـرأ للطالبين دروس الفنون ويأمرهم بالتقوى وفعل الخير . فـإنتفع منه خلق كثير ثم غلب عليه الضعف فترك التدريس وباع كـتبه كلها وعكف على تلاوة القرن المجيـد وصلاة الفرائض . وإذ صارت الهند دار حرب كره المقام بها . فهاجر الى الحجاز فتوفي في الطريق في بلدة (ملتان) ووقع أجره على الله عَزَّ وجَلَّ . (ومن أكملهم) كعبة الإرشاد وعرفات العرفان شـيخ الحرم المكي العلامة الجليل محمد جان قدِّس سرُه . حظي بعد تحصـيل جميع العلوم بحضرة الشـيخ قدس الله سـره ودخل الرياضة غـير مـرة . كان يذهب كل يوم لزيارة حضـرة الشـيخ قطب الدين قـدّس سرّه سـبع مـرات نهاراً ويـتعبّـد الليل كله ثم يحضر صـباحاً ومعه قلّة من مـاء هنالك طيب لحضرة الـشيخ . ولم يزل كـذلك حـتى إغتنم بركـة الإذن بالإرشاد والخلافة المطلقـة . ثم عاد الى مكة المكرمة فـلقي من الإشتغـال بالطريق أولاً شدّة عظيـمة . ثم ألقى الله عَزّ وجَلَّ في قلوب الإمراء محبته والإعتقاد به فأظهر شعـار الطريق وإنتشرت خلفاؤه في أكثـر بلاد الروم حـتى وصلوا الى الإستـانة العلية ، فـحصل لـهم القبـول التام . وبلغ أمـره والدة السلطان الغازي عبـدالمجيد خان ، فإعتـقدت به وأمرت ببناء رباط له في الحرم المكي . فتـحوّل اليه وواظب على خدمـة المريدين من كل صادر ووارد وإغـاثة الطالبين حتى عـمّ نفعه وتمَّ بدره . وتوفي فـي حدود سنة ست وستين ومائتين وألف .

(ومن كراماته) مـا ذكره خادمه فقـال : كان لي غلام مراهق مَرِضَ مرضاً شديد أشرف فـيه على الهلاك . فحملته الى رباطه ليلاً فإذا هـو في المراقبة فـوضعتـه أمـامه وسـألته أن يدعـو له بالشفـاء . فتوجه بنظره الشريف اليه فـعافاه الله تعالى . (وذكـر بعضهم) أنه أحب يوماً إمرأة حـتى كاد أن يهمَّ بالفاحشـة فذكر ذلك له وقال له : إني لم يبق بيني وبين إقتراف الكبيـرة شيء وإن أصبت ذلك كان عاراً عليكم عند الله تعالى . فـإهتمَّ لأمـري كل الإهتمـام وقـال لي : قل لا حـول ولا قوة إلاّ باللـه . فقلت : سـبحـان الله إني أقولـها دائمـاً . فـقال : قل ذلك بـقولي . فـقلتـها فكـأنه حيل بيـني وبين تلك المرأة بالسـدّ الأسكندري وزالت قـوة الشهـوة منّي ثلاث سنين .

(ومن أسعدهم) صاحب الهمم العالية والأنفاس القدسية الغالية السيد أحمد الكردي قدِّس سرُّه . تلقى الطريق عن حضـرة مولانا خالد في بغداد ، ثم رأى سيد العـالم صلى الله عليه وسلم يشـير اليه بقـصد دهلي . فحضر الى حضـرة الشيخ وسلك عنده مقامات الطريق العلية حتى أتمّها . فأجازهُ وخلّفهُ وعاد فمرض في خلال الـطريق ، فرأى فخر الكائنات عليه أشرف الصلوات والتـسليمات فعلّمه صـيغة صلاة . فـصلى بـهـا فـشـفــاه الله تعـالى . (ومن أنجـبـهم) شـمس فـلـك الأسـرار الربانيـة وبـدر أفق المعـارف الفهوانية الشـيخ السيـد عبداللـه المغربي . قدم علـى حضرة مـولانا خالد قـدِّس سرُّهما ثم أدرك فضل التـشرّف بالحضرة الدهلوية ونال أمـاله بعـد بذل قصـارى الجد بتـحصـيل الرياضات الشـاقة والمجـاهدات القوية من الجناب العالي ، وخلفه وأذن له بالإرشاد في كافة البلاد . (ومن أحسنهم) تاج هام المرشدين وعقد جيد المهتدين الشـيخ ملا پير محمـد قدّس سره . قبّل عـتـبة حضرة الشيخ وفـاز بنظره الشريف

وسلم على يديه حتى أتمّ المقامات . وكان له إستغراق عجيب . زار مقام سيدنا جان جانان الشهيد قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ مرة ، فبقي جالساً من أول الليل الى آخره بحيث هطلت الأمطار فوق رأسه ولم يتحرّك . ثم تفضّل عليه بالخلافة وأذن له بالإرشاد فنزل كشمير وحصل ببركته لأهلها نفع كبير . (ومن أزكاهم) روح العلوم والإسرار وروح أئمة الهداية الأبرار الملا الشيخ محمد الغزنوي قدّس سرُّه . أقبل على شريف رحاب حضرة الشيخ وأخلص في خدمته والإشتغال بسلوك طريقته حتى بلغ المراد ، فأذن له بالإرشاد . فعاد الى غزنين وأرشد كثيراً من المريدين وخلف زمرة منهم . ثم ذهب الى البيت الحرام وإنتقل بالوفاة الى دار السلام . (ومن أعزّهم) خلاصة أهل القلوب والمرشد الى علاّم الغيوب الشيخ المولوي محمد جان الهروي قدّس سرُّه . صرف العزم في سلوكه تحت أنظار حضرة الشيخ حتى ملك منزلة الخلافة العليا . وعاد الى وطنه فهدى الله به في هَرَاة وقَندهار الجمُّ الغفيرا ، ونالوا بأنفاسه المباركة من إرشاده خيراً كثيراً . (ومن أوحدهم) الإمام الرفيع الشأن نخبة علماء الخلفاء الأعيان الشيخ محمد عظيم قدّس سرُّه . تشرّف بالوفود الى رحاب الشيخ وبذل الهمة بنوال النسبة المجددية حتى عطف عليه بالخلافة السنية . ثم بعد إنتقال حضرة الشيخ توجه الى الحج فتوفي ثَمَّ . (ومن أولاهم) العلامة الصالح والولي الفالح الشيخ المولي نور محمد قدّس سرُّه . إنتظم في سلك خدام أبواب حضرة الشيخ ووجه أقصى الإهتمام بالرياضات والخلوات حتى مَنَّ الله تعالى عليه بالفتح وألهَمَ حضرة المرشد أن يتعطّف عليه بالإذن والإرشاد وينظر اليه بعين الإسعاف والإسعاد . ذُكر إنه قال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ في شأنه أربع هم فخر المريدين : المولوي محمد ، والمولوي محمد جان ، والمولوي محمد عظيم ، والمولوي نور محمد . وكل واحد منهم كان بحراً زاخراً في العلوم كلها . (ومن أرجحهم) زينة جبين العابدين وتوريد وجنة المرشدين الزاهدين الشيخ مرزا مراد بيك قدّس سرُّه . خصّه الله بمنقبة خدمة حضرة الشيخ وقبوله والميل اليه بالتربية والترقية الى مقامات الولاية . ففاز من علو همّة الأستاذ بالمُنى وأذنَ له بالإرشاد وخلفه . وكان لفرط زهده يسميه جُنيد الوقت . وكان ذا نسبة قوية إنتفع به عالم كبير . توفي زمن حضرة الشيخ ودُفن عند قدم حضرة الشهيد قدّس سرُّهما . (ومن أسعدهم) تحفة المرشدين ونخبة الصلحاء المهتدين الشيخ محمد منور قدّس سرُّه . حاز شرف الخدمة ونال المقامات السنية بعلو الهمّة . فأذن له حضرة الشيخ بالإرشاد وأسعده بالفيوضات والإمداد حتى صار له نسبة تامة نفع الله بها الخاصة والعامة . (ومن أنجبهم) عمدة الصالحين وبركة المرشدين الشيخ ميان قمرالدين قدّس سرُّه . كان من كبار الطريقة القادرية وكثير الإنكار على الطريقة المجددية . فما نشب أن قدم من پيشاوَر الى خدمة حضرة الشيخ منقاداً وأخلص في خدمة أعتابه والإشتغال بالسلوك والرياضات تحت قبابه . فأنعم عليه بالإجازة والخلافة العظمى . وعاد الى أوطانه شاكراً محض إحسانه . (ومن أصدقهم) الإمام الهمام فذلكة المرشدين العظام الشيخ خليل الرحمن قدّس سرُّه . وهو خادم حضرته الخاص بعتبته . وكان قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ له إلتفات كبير لجهته وإعتناء تام بتكميله وتربيته . وهو على قدم الإستقامة بالتمثّل بين يديه والقيام بأعباء خدمته حتى نال شرف النسبة المجدية المجددية . وتوفي زمن حضرته شهيداً ودُفن تحت قدم حضرة الشهيد قدّس سرُّهما .

وله قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ عدة خلفاء غيرهم ممن عجز اللسان عن حصرهم والقلم عن سبرهم وأشرقت بهم الدنيا وفازوا من الهداية بالمقامات العليا . ولو لم يظهر من آثاره ويصدر عن بحار أسراره إلاّ شيخ هذه السلسلة المصونة وأعظم مَن سرى اليه سرّ هذه النسبة المكنونة قطب العارفين وشيخ مشايخنا حضرة مولانا خالد العثماني السليماني لكفى شرفاً .

حضرة سيدنا ومولانا أبو البهاء ضياءالدين الشيخ خالد بن حسين الشهرزوري العثماني الشافعي النقشبندي القادري الكبروي الچشتي المجددي

قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ العزيز

العالِم كل العالِم الذي فاق علماء الآفاق وشهد بفضله العالَم على الإطلاق . والعارف كل العارف مطلع أنوار بدر الطريقة الذي لايعتريه سرار والمطّلع على أسرار الحقيقة وحقيقة الأسرار . والمرشد كل المرشد مَن سرى سرّه في الأنام سريان الأرواح في الأجسام . أحيا بهمّته القوية من النفوس الغويّة ما أحيا ، وبكلماته الولوية ما لو لم تُختم الدعوى النبوية لكان وحياً ، ونشر من العلوم الشرعية ما طوى ذكر السلف ، وأظهر من المعارف الإلهية ماخفي على كثير من الأولياء . عرف ذلك مَن عرف كما قلت :

الغوث صح وجوده إن شاءه	والغيث أبدع جوده إنشاءه
البحر علماً والسما مكانة	والشمس نوراً فانظروا نظراءه
مَن شاء أن يلقى الفضائل كلها	ورأى مآثره يجد ما شاءه
فازت بما فازت عزائمه الكباركيف السلوك	وعظمت أفعاله أسماءه
الى ملوك صفاته	والله قدّس في الكتاب علاءه
لم يبقَ فخر في البرية باهر	ودعاه إلاّ وإستجاب دعاءه
نفسي الفداء له وعين سعادتي	إن كان يقبل أن أكون فداءه

فهو عالم الأولياء الكاملين ووليّ العلماء العاملين ، إنتهى اليه في المعقول والمنقول علم الفروع والأصول . أما بعد صيت أرشاده وإمتداد بركة إمداده فهو ظاهر في الربع الغامر ظهور البدور . فتبارك مَن جعله قطب دائرة الهداية وغوث أدراج النهاية في البداية ، وجدّد به القرن الثالث عشر ومنحه الإقبال والقبول بين البشر . فلاغرو أن إفتخرت الأرض بوجود سعوده وسعود وجوده وإدّخرت السماء جبالاً من ثواب نفعه وتقواه وجوده .

(ولد قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) على ماحققه سيدي الوالد الماجد في حواشيه على "البهجة السنية" لسيدنا الجد قُدّس سرّه ، سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف في قصبة (قَرَداغ) ، وهي من أكبر أعمال بابان على خمسة أميال من السليمانية ذات مدارس كثيرة وحدائق بهيجة وأمواه غزيرة . وبابان صقع بني كرد بن عمرو بن عامر المنسوب الى قحطان ، وظهرت منذ بدا إشارات على أنه قطب زمان الأولياء .

بدوُّ صلاحه ونموّ إصلاحه

(نشأ) قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ في هذه القصبة في حجر والده الجليل سليل الولي الكامل پير ميكائيل شش أنگشت –أي ذي الأصابع الست العثماني– نسبة الى أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه . ووالدته السيدة الطاهرة يتصل نسبها بالولي الكبير پير خضر الفاطمي الشهير نسباً وحالاً في بلاد الأكراد :

وأناس كـان النبيّ أباهــــم هم أناس من المعـالي عـيـونُ
علويـون مـحـتـداً وفـخـاراً كل فـخـر لـديهم فـهـو دونُ

وقـرأ في بعض مـدارسـهـا القرآن و"المحرر" للإمـام الرافـعي في مـذهب الشـافـعي و"متن الزنجـاني" في الصرف وقليلاً من النحـو وبرع بـالنثـر والنظم قـبل بلوغ الحُلم مـتخذاً الزهد شـعـاره والتجـرّد ثاره والجـوع مطيّتـه وعدم الهجـوع وسيلته ، والإنقطاع سـميراً والهـمّة سراجـاً منيراً . ثم رحل الرحَلَ العـديدة الى البلاد البعيدة وحصّل في العلوم فنون الفهوم . ثم عاد الى نواحي وطنه فقرأ على العـالميْن الكبيرين والفاضلين النحريرين الـسيد الشـيخ عبدالكريم وأخيه عبـدالرحيم البـرزنجي وعلى المحقق الصالـح الملا محمـد صالح ، والعلامة ملا إبراهيم البيـاري والفهّامة الشيخ عبدالله الخرپاني . ثم ذهب الى أنحاء كـوي وحرير فقرأ "الجلال على تهـذيب المنطق" بحـواشيـه على الإمام اللوذعـي والنحرير الألمعي الملا عـبـدالرحيم الزيـاري المعـروف بملا زاده وغـيـره عن غيـره . ثم إنقلب الى السـليـمـانيـة فـقرأ فـيـهـا وفي نواحيـهـا "الشـمـسـيـة" و"المطوّل" و"الحكمة" و"الكلام" وغير ذلك على علمائها الأعلام . وقدِمَ بغداد فقرأ "مختصر المنتهى" في الأصول . ورجع الى محله المأهول .

حدّثني الوالـد الماجد عن الجد الأمـجد عنه قَدَّسَ اللّـهُ سرَّهُ أنه لما قدم بغـداد أول مرة وزاره عظمـاء العلماء ورأوا من علمه الـزاخر ما يحسد عليه الأوائل الأواخر -وكان يومـئذ يشرب الدخـان- حتى إذا خـرجوا من عنده بالغوا بمدحـه وحمده غيـر أنهم إنتقدوا ذلك عليـه . فلما بلغه صنع طعـاماً ثم دعاهم اليه . فـقبل أن توضع المائدة قال لهم هلمَّ نتذاكر في فائدة وأخذ يبـحث في أن الأصل في الأشياء الحظر أو الإباحة حتى توصّل الى الدخـان . فمـابرح يـناظرهم فيـه حتى ألزمـهم القـول بحلِّه بالبرهان . فلـما سلّمـوا بذلك أتـى بمعدات التـبغ وكسرها هنالك . (وقال قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ) حيث تبيّن لكم في الشرع أمره فاشهدوا أنّي أبطلته . وإنما فعلت مـا فعلتـه لئلا يمرّ في إعـتقـادكم أنّي مـاتركتـه إلاّ لإنتقـادكم . ثم لم يمسسه قط ومَن فـهم غيـر ذلك فهـو غلط .

وكـان حيث حلَّ من المدارس هو الأتقـى الأورع السـابق في مـيـادين التـحـقـيق كلّ فـارس . لايُسـئل عن مـسـألة من علوم الرسـوم إلاّ ويجيب بأحسن جواب ، ولايُخـتبـر بعـويصـة من "تحـفـة" إبن حجر أو "تـفـسـيـر البيضاوي" إلاّ ويكشف عن خرائد الفوائد النقاب ، وهو يستفيد ويفيد ويقرر ويحرر فيجيد :

يقول لسان الحال من كل سائل لـي البشـر إذا وفّيت خيـر وســــائل
إذا رُمتَ للإشكـال حلاً وجـدتُـه يقـول إقـتـرم مـا شـئت منّا وسـائل

الى إنصاف وذكاء خارق وقوة حافظة بذهن حاذق . وإذا دفق في درسه علـى ما أراد يُعجز أساتذته عن إرضاء ذهنه الحاد . وطالما اُلقيَ السؤال وإستشكل الاشكال ، فلم يكن لـلمجيب عنه إلاّ هو فـي الحال ، هذا مع تصـاغـره لدى أشـياخـه وأقـرانه وتجاهله عن كـثـيـر من المسـائل مع إتقـانه ، حـتى أنّه كـان يقـرأ من الكتب الصـعبـة مـا لم يصل إذ ذاك الى قـراءتـه بتحـقـيق يتحيّـر فيـه أهل مـادته . فإشـتـهر خـارق علمـه وطار في الأقطار صيت تقواه وذكائه وفهمه . فرغب الأمـير المحسان إبراهيم باشا والي بابان كذا في "أصفى الموارد" وفي "المجد التـالد" أنه عبدالرحمن باشا -ولعل الراغب أكثـر من واحد- في نصبـه مدرّساً قـبل التكميل في بعض المدارس ، وأن يوظّف له الوظائف ويخصّه بـالنفائس . فلم يجبه زاهداً فيمـا لديه من الحطام وإعتذر له بأنّي لست أهلاً لذلك المقام .

ثم رحل بعدها الى سنندج ونواحيها وقرأ العلوم الحسـابية والهندسية والأصطرلابية والفلكية على العالم

المدقّق قوشچي عصره وجغميني مصره الشيخ محمد قسيم السنندجي . وكمّل عليه المادة على جري العادة ورجع الى الأوطان قاضي الأوطار وصيته أقصى الأقطار طار . فوُلّيَ بعد الطاعون الواقع في السليمانية سنة ثلاثة عشر ومائتين وألف تدريس مدرسة أجلّ مشايخه السيد الشيخ عبدالكريم البرزنجي - وكان قد توفي في الطاعون المذكور . فشرع يدرّس في العلوم ويحقق المسائل والفهوم غير راكن الى الدنيا ولا الى أهلها مقبلاً على الله تعالى تبتلاً اليه بأصناف العبادات فرضها ونفلها . لايتردد الى الحكام ولايحابي أحداً بتبليغ الأحكام ، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر لاتأخذه في الله لومة لائم . نافذ الكلمة محمود السيرة آخذاً بالعزائم حتى صار محسود صنفه عزيزاً في وصفه . مع الصبر على الفقر والقناعة في إستغراق الأوقات بالإفادة والطاعة . الى أن جذبه سنة عشرين ومائتين وألف شوق الى الحج الى بيت الله الحرام وتوق زيارة روضة خير الأنام :

جذبتهُ من التُقى جذبات لتري عينه ربى الحرمين
ودعاه الهوى قلبّي سريعاً لمثولي في تينك الحضرتين

فتجرّد عن العلائق وخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله الصادق . فرحل هذه الرحلة الحجازية من طريق الموصل ودياربكر والرها وحلب والشام وإجتمع بعلمائها الأعلام وصحب في الشام ذهاباً وإياباً العالم الهمام شيخ القديم والحديث ومدرس الحديث الشيخ محمد الكزبري رحمه الله تعالى وسمع منه وأخذ عنه . فقرّبه وقرَّ به عيناً وفاز بما لديه من علوم الإسناد واجازات المسلسلة الجليلة المفاد . وصحب كذلك تلميذه الأخص الأصفى الشيخ مصطفى الكردي رحمه الله تعالى . فأجازه كشيخه بأشياء منها الطريقة العلية القادرية . ثم خرج منها على جادة العزائم ممتعاً بأرغد عيش وأنعم حال دائم . فوصل المدينة المنوّرة ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم بقصائد فارسية بليغة محررة . ومكث فيها قدر ما يمكث الحاج وصار حمامة ذلك المسجد الوهّاج .

(يقول قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) :

وكنت أفتّش على أحد من الصالحين لأتبرّك ببعض نصائحه لعلّي أعمل بها كل حين . فلقيت شيخاً يمنياً متريضاً عالماً عاملاً صاحب إستقامة وإرتضا . فإستنصحته إستنصاح الجاهل المقصّر من العالم المتبصّرْ . فنصحني بأمور منها : ألاّ تبادر في مكة بالإنكار على ما ترى ظاهره يخالف الشريعة . فلما وصلت الى الحرم وأنا مصرّ على العمل بتلك النصيحة البديعة بكّرت يوم الجمعة الى الحرم لأكون كمن قدّمَ بدنة من النعم . فجلست الى الكعبة الشريفة أقرأ الدلائل إذ رأيت رجلاً ذا لحية سوداء عليه زيّ العوام قد أسند ظهره الى الشاذروان ووجهه اليّ من غير حائل . فحدّثتني نفسي أن هذا الرجل لايتأدّب مع الكعبة ولم أظهر عيبه . فقال لي : ياهذا أما عرفت أن حرمة المؤمن عند الله تعالى أعظم من حرمة الكعبة ، فلماذا تعترض على إستدباري الكعبة وتوجُّهي إليك ، أما سمعت نصيحة مَنْ في المدينة وتأكيده عليك . فلم أشكّ أنه من أكابر الأولياء وقد تستّر بأمثال هذه الأطوار عن الخلق . فإنكببتُ على يديه وسألته العفو وأن يرشدني بدلالته الى الحق . فقال لي : فتوحك لايكون في هذه الديار . (وأشار بيده) الى الديار الهندية وقال : تأتيك إشارة من هناك فيكون فتوحك في تلك الأقطار . فأيستُ من تحصيل شيخ حرمين يرشدني الى المرام . ورجعت بعد قضاء النسك الى الشام ، أه .

فإجتمع ثانية بعلمائها وحلّ في قلوبهم محل سويدائها . ثم أتى الى وطنه بعد قضاء وطره بالبركات . وباشر تدريسه بزيادة على زهده الأول وعدّهِ الحسنات الأُوَلْ سيئات مستقيماً على أحسن الأحوال متشوّقاً

الى مرشد يسلك عنده طريق فحول الرجال الى أن أتى السليمانية نجم الهداية العرفانية مولانا مرزا رحيم الله بگ المعروف بمحمد درويش العظيم آبادي . أحد أجلاّء شيخه الأعظم القطب الدهلوي قُدِّس سرّه . فإجتمع به وأظهر إحتراماته وإشتياقه لمرشد كامل يوصله الى إرَبه . فقال له إن شيخاً كاملاً مرشداً عالماً عارفاً بسائر منازل السائرين الى ملك الملوك خبيراً بدقائق الإرشاد والسلوك ، نقشبنديَّ الطريقة محمديَّ الأخلاق عَلَماً في علم الحقيقة . فسرْ معي حتى نرحل الى خدمته في جهان آباد ، وقد سمعت منه إشارة بوصول ملك ثَمَّ الى المراد . فانتقش القول في قلبه وأخذ بمجامع لبّه وعزم على المسير بالتجريد تاركاً منصب التدريس بلا ترديد لمن يريد :

حب السلامة يثني عزم صاحبه عن المعالي ويغري المرء بالكسل
لو كان في شرف المأوى بلوغ المنى لم تبرح الشمس يوماً دارة الحَمَلْ

فرحل سنة أربع وعشرين ومائتين وألف الرحلة الأخرى الهندية من طريق الري يطوي بأيدي العيس بساط البيد أسرع طي . فوصل طهران وبعض بلاد إيران والتقى مع مجتهدهم إسماعيل الكاشي المتضلّع بضبط المتون والشروح والحواشي . فجرى بينهما البحث الطويل بمحضر من جمهور طلبة إسماعيل . فأفحمه إفحاماً أسكته وأنطق طلبته بأن ليس لنا من دليل . وقد أشار الى هذه القضية في قصيدته الآتية العربية التي مدح بها شيخه عند وصوله الى رحابه العليّة . ولما أفحمه غالطه بأشياء كليّة (منها) أنه قُدِّس سرّه وقد كان وقف على تفاسير الشيعة من أن قوله تعالى (عفا الله عنك لِمَ أذنتَ لهم) نزلت عتاباً مع أبي بكر رضي الله عنه . فقال الشيخ للكاشي : ماتقول في عصمة الأنبياء عليهم السلام . فقال الكاشي : كلهم معصومون . قال الشيخ : فما تقول في قوله تعالى (عفا الله عنك لم أذنتَ لهم) والعفو يستلزم الذنب . فقال الكاشي : هذا عتاب مع أبي بكر لا مع النبي صلى الله عليه وسلم . قال الشيخ : فإذا أخبر الله تعالى بأنه قد عفا عن أبي بكر فأنتم معاشر الشيعة لمَ لاتعفون عنه . فانبهت الكاشي وخجل خجلاً عظيماً .

ثم دخل (بسطام وخرقان وسمنان ونيسابور) وزار إمام الطرائق البحر الطامي الشيخ أبا يزيد البسطامي قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ العزيز ومدحه بمنظومة فارسية . وزار مَن في تلك البلاد من الأولياء الأمجاد حتى وصل الى طوس وزار بها مشهد السيد الجليل المأنوس نور حدقة البتول والمرتضى الإمام علي الرضا . ومدحه بقصيدة غرّاء فارسية أذعن لها الشعراء الطوسية . ولظهور البِدَعْ فيها عجّل الإرتحال والقيام الى تربة شيخ مشايخ الجام شيخ الإسلام الشيخ أحمد النامقي . فزاره ومدحه بمقطوعة فارسية بديعة . ثم دخل بلدة هراة من بلاد الأفغان وإجتمع مع علمائها بالجامع . فجاروه في ميدان الإمتحان فوجدوه بحراً لا ساحل له وأقرّ كلّ منهم بالفضل له . ولما رحل عنهم ودّعوه بمسير أميال لما شاهدوه فيه من بديع الحال :

ومودع أمست هراة لدن نأي تبكي عليه بدمعها الهتّان
تمشي على أقدامها أشرافها وتودّ أن تمشي على الأجفان

فسار في مفاوز يضلّ فيها القطا ويخفق قلب الأسد مخافة خوارج الأفغان المقتحمين مهالك السطا :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

حتى وصل قندهار وكابُل ودار العلم پيشاور ، فاجتمع بجمٍّ غفير من علمائها الأكابر وإمتحنوه من علم الكلام وغيره بمسائل رأوه فيها كالسيل الهائل والغيث الهاطل . ثم الى بلاد لاهور فسار منها الى قصبة فيها العالم النحرير والوليّ الوقور أخو شيخه في الطريق والإنابة الى مولاه الشيخ المعمّر الولي ثناءالله

النقشبندي . فطلب منه الإمداد ببركة دعاه . (قال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) :

فبِتُّ في تلك القصبة ليلة فرأيت في المنام أنه قد جذبني من خدي بأسنانه المباركة يجرّني اليه وأنا لاأنجرّ فلما أصبحت قال لي من غير أن أقصّ عليه الرؤيا : سِرْ على بركة الله تعالى الى خدمة أخينا وسيدنا الشيخ عبدالله مشيراً الى أن فتوحي سيكون عند الشيخ المقصود . وهنالك تؤخذ المواثيق والعهود وتنجز الوعود . فعرفت أنه قد أعمل همّته الباطنية العلية ليجذبني اليه . فلم يتيسّر لقوة جاذبة شيخي المحوّل فتوحي عليه . فرحلت من تلك القصبة أقطع الأنجاد والوهاد الى أن وصلت دار السلطنة الهندية دهلي المعروفة بجهان آباد بعد مسير سنة . ولقد أدركتني نفحاته وإشاراته قبل وصولي بنحو أربعين مرحلة وهو قد أخبر قبل ذلك بعض خواص أصحابه بوفودي الى أعتاب قبابه ، آه :

لاتنكر النفحات إن هي أسرعت … من مرشدها لقلب مريده
سرّ الشيوخ إذا سَرَتْ أنفاسه … شملت فؤاد قريبه وبعيده
لايبلغ المجذوب غاية قصده … إن هام في تيه السلوك ببِيده
إلا إذا جذبت مولّه قلبه … نفحات أرباب الهدى من جيدهِ

وليلة دخوله بلدة جهان آباد أنشأ قصيدته العربية الرنّانة من بحر الكامل يذكر فيها السفر وسائلاً لمدح شيخه قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ الأنور وسائلاً من الله القبول والشكر على نعمة الوصول ، فقال :

كمّلت مسافة كعبة الآمال … حمداً لمن قد مَنَّ بالإكمالِ
وأراح مركبي الطليح من السرى … ومن إعتوار الحطِّ والترحالِ
وأزاح عني قيد حبّ مواطني … وعلاقة الأحباب والأموالِ
وهموم أمهاتي وحسرة إخوتي … وغموم عمٍّ أو خبال خالِ
وتشاحُن الأقران في رُتَبِ العُلا … وملامة الحُسّاد والعذّالِ
وأعاذني من فرقة أفّاكة … وأجارَني من أمّة جُهّالِ
وهم روافض أذربيجان الأولى … هم أشنع المخلوق في الأفعالِ
ومضلها الكاشي إسماعيل إذ … قد حار لمّا شبَّ نار جدالِ
سُحقاً له من مدّعٍ متزخرف … بُعداً له من منكِر مِضلالِ
وغُلاة فُرس في حديث مسند … قد بُشِّروا بإطاعة الدجّالِ
وشرُّ أهل الطوس من سموّ الرضا … ونفوسهم سمّوا أحبة آلِ
ومن الهَزارة والبلوج ذوي الشقا … وتمرّد الأمراء والأقيالِ
ومن الأفاغنة الأولي جُبِلوا على … خوض المفاسد وإقتحام قتالِ
وفساد قُطّاع الطريق بخيبَرْ … ومن المجوس وما لهم من والِ
منعوا الأذان دعاية الإسلام إذ … ضّلوا وخاضوا أبحر الضلالِ
وهجوم أمواج البحار زواخراً … وأذية المُكّاسِ والعمالِ
ومن المثلثة العلوج وطغاها … مامثلهم في الأرض عال غالِ
وأنالني أعلى المآرب والأماني … من لقاء المرشد المِفضالِ
مَنْ نوّر الآفاق بعد ظلامها … وهدى الخلائق بعد طول ضلالِ

الشاه غلام عليٌّ القرم الذي
من لحظة يحي الرميم البالي

تمثيله ماساغ إلاّ أنه
ماناقش الأدباء في التمثالِ

هويم فضل طود طول شامخ
ينبوع كل فضيلة وخصالِ

نجم الهدى بدر الدجى شمس التقى
كنز الفيوض خزانة الأحوالِ

كالأرض حلماً والجبال تمكناً
والشمس ضوءً والأسماء معالي

عين الشريعة معدن العرفان
والإحسان والإيقان والأفضالِ

قطب الطرائق قدوة الأوتاد بل
غوث الخلائق رحلة الأبدالِ

شيخ الأنام وقبلة الإسلام صدر
للعظام ومرجع الأشكالِ

هادٍ الى الأولي بهدى مختف
داعٍ الى المولى بصوت عالِ

محبوب ربّ العالمين من إقتدى
بهداه أصبح قدوة الأمثالِ

كم من جهول كان مكبول الهوى
نجاه من لحظ كحل عقالِ

كم من وليّ كامل من صدّه
قد صدّ عنه عجائب الأحوالِ

كم منكر جلاله عنه لوى
فأذاقه المولى أشدّ نَكالِ

معطي كمال جميع أهل نقيصة
ومزيل نقص جميع أهل كمالِ

أخفاه رب العرش جل جلاله
في قبة الإعزاز والإجلالِ

يا مَن بمكة حوله در طائفاً
واهجر حجازاً إن سمعت مقالي

ومبيت خيف دع وركض محسر
ومنى مني والرمي للأميالِ

واسكن بذا الوادي المقدّس خالعَاً
نعلي هوى الكونين بإستعجالِ

حجر مقامك بالمقام بلا صفا
من طوف حضرة كعبة الآمالِ

مالسعي ملتزم لغير رضائه
ماالطوف إلاّ حوله بحلالِ

من شام لمعاً من بروق دياره
بمشام روض الشام كيف يبالي

آنست من تلقاء مَديَن مِصره
ناراً تهيّج البال بالبلبالِ

فهجرت أهلي قائلاً لهَم امكثوا
أرجع اليكم غبَّ الإشتعالِ

ونويت هجران الأحبّة كلهم
وركبت متن الأجرد الصهّالِ

فطوى منازل في مسيرة منزل
وآهاً لجار سائح شملالِ

فنسيت أصحابي على ميثاقهم و
مواعدي من فرط شوق جمالِ

مَن لي بتبليغ السلام لإخوتي
ويبسط غدر العذر والإهمالِ

سلب الهوى لبّي فما في خاطري
غير الحبيب وشوق وطيف وصالِ

قد حان حين تشرّفي بوصاله
مَن لي بشكر عطية الإيصالِ

ياربِّ لاأحصي ثناءك أنه
سفه على مَن شمّ ريح زوالِ

والله لو أعطيت عمراً خالداً
وتركت غير الحمد كلّ فعّالِ

وأتيح لي في كل منبت شعرة
ألفا لسان في ألوف مقالِ

وأميط عني النفس والشيطان كي
لايلهيان بخطرة في البالِ

فصرفت عمري كله في حمده
بشرا شرى أبداً بلا إمهالِ

ماأقدرنَّ على كفاء عطيّة
فضلاً عن التفضيل بالإجمالِ

أين العطايا وهي غير عديدة
كيف التشكّر وهو بعض نوالِ

أَمْ كـيف أحـمـدُ ناظمـاً أو ناثراً ... ذاتاً ترقّت عن حضيض خيال
سلب التجوّز وهو أبلغ في الثنا ... مني تقدّسه عن الأمثال
إله الخلائق في نعوت كماله ... سبحانه من خالق متعال
فالعجز نطقي والتحيّر فكرتي ... ماينبغي إلاّ السكوت بحال
فكما قضيت الهنا في أشهر ... طياً لبعد مسافة الأحوال
ووُهبت إقداماً على طي الفلا ... ونزول غور وإرتقاء جبال
ورحمتنا بالحفظ من آفاقها ... ومنحتنا أمناً من الأهوال
فارزق إله العالمين بحقه ... أدباً يليق بذا الجناب العالي
وأمدّنا بلقائه وبقائه ... وعطائه ونواله المتوالي
زِدْ من حياتي في إطالة عمره ... أدم الورى بحماه تحت ظلال
وأجعلن مسعوداً بحسن قبوله ... وامنحن ما يرضيه من أعمال
زِدْ كل يوم في فؤاد وقعه ... مادمتُ حيّاً في جميع الحال
وأمتن مرضياً لديه وراضياً ... عنه يجدي مفازَ مآل
والحَمد للربِّ الرحيم المرتجى ... القادر المتقدّس الفعّال
ثم الصلاة على الرسول المجتبى ... خير الورى والصحب بعد الآل

وما أثبته هنا في روايتها هو الصحيح المعوَّلُ عليه . وما وقع في ديوانه وغيره لايخلو من غائلة التحريف في أكثر أبياتها فلايُنظر اليه . ثم مدحه بقصيدة فارسية أطنبَ فيها غاية الإطناب وأتى من المعاني المخترعة باللباب . ولو أن لها محلاً من الإعراب لأوردتها في هذا الباب . وبعد وصوله تجرّد ثانياً عن حوائج السفر وأنفقها كلها على المستحقين ممن حضر . ثم أخذ الطريقة العلية النقشبندية من حضرة الشيخ قدّس الله أسراره الزكيّة وإشتغل بخدمة الزاوية والذكر المُلقَّنْ بفرط المُجاهَدَة . فلم يمض عليه خمسة أشهر إلاّ وصار من أهل الحضور والمشاهدة وبشّرهُ شيخه ببشارات كشفية قد تحققت بالعَيان ، وحلّ منه محل إنسان العين من الإنسان مع كثرة تصاغره بالخدم وكسره لدواعي النفس بالرياضات الشاقة وتكليفها خطط العدم . وماتمّت له سنة حتى صار الفرد الكامل المصفى الواصل الى المقام الأعلى والمشهد الأنور الأجلى مع الرسوخ في الدراية والفناء والبقاء الأتمَّين ، والوصول الى مقام الولاية الكبرى بلا مَيْن . كما شهد له بذلك الشيخ قُدِّس سرّه عند أصحابه وفي مكاتباته المرسلة إليه بخطه المبارك بعد رجوعه الى العراق . فعند ذلك خلفهُ الخلافة التامة وأذنَ له بالإرشاد في الطرائق الخمسة العلية :

الأولى النقشبندية : بتلقيه لها عن رجال هذه السلسلة المسطّرة الزكية .

والثانية القادرية : بتلقّيه لها أيضاً عن سيدنا الشيخ جان جانان المظهر عن سيدنا الشيخ محمد عابد السنامي عن سيدنا الشيخ عبدالأحد عن والده الشيخ محمد سعيد خازن الرحمة عن والده سيدنا الشيخ أحمد الفاروقي السهرندي المعروف بالإمام الربّاني مجدِّد الألف الثاني عن سيدنا الشاه سكندر عن سيدنا الشاه كمال الكيتهلي عن سيدنا الشاه فضيل عن سيدنا السيد كدا رحمان الثاني عن سيدنا شمس الدين عارف عن سيدنا كد ارحمان الأول عن سيدنا شمس الدين الصحرائي عن سيدنا السيد عقيل عن سيدنا السيد بهاءالدين عن سيدنا السيد عبدالوهاب عن سيدنا السيد شرف القتال عن سيدنا السيد عبدالرزاق عن سيدنا السيد الشيخ عبدالقادر الكيلاني عن سيدنا أبي سعيد المخزومي

عن سيدنا الشيخ أبي الحسن الهنكاري عن سيدنا الشيخ أبي الفرج يوسف الطرسوسي عن سيدنا الشيخ عبدالواحد بن عبدالعزيز اليمني عن سيدنا أبي بكر الشبلي عن سيدنا وسيد الطائفة الجُنيد البغدادي عن سيدنا السري السقطي عن سيدنا معروف الكرخي عن سيدنا الإمام علي الرضا عن سيدنا الإمام موسى الكاظم عن سيدنا الإمام جعفر الصادق عن سيدنا الإمام محمد الباقر عن سيدنا الإمام زين العابدين عن سيدنا الإمام حسين عن سيدنا الإمام حسن عن سيدنا الإمام علي المرتضى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والثالثة السهروردية : بتلقّيه لها عن سيدنا جان جانان مظهر الشهيد عن سيدنا الشيخ محمد عابد عن سيدنا الشيخ عبدالأحد عن سيدنا الشيخ محمد سعيد عن سيدنا الإمام الرباني مجدِّد الألف الثاني الشيخ أحمد الفاروقي السهرندي عن سيدنا الشيخ عبدالأحد عن سيدنا الشيخ ركن الدين الكنكوهي عن سيدنا الدرويش محمد بن قاسم الأودهي عن سيدنا الشيخ بدهن البهرائجي عن سيدنا الشيخ أجمل عن سيدنا الشيخ جلال الدين عن سيدنا الشيخ ركن الدين عن سيدنا الشيخ صدرالدين عن سيدنا الشيخ بهاءالدين زكريا الملتاني عن سيدنا الشيخ شهاب الدين السهروردي عن سيدنا الشيخ ضياءالدين أبي النجيب السهروردي عن سيدنا الشيخ وجيه الدين عبدالقادر السهروردي عن سيدنا الشيخ عبدالله عمويه عن سيدنا الشيخ يارمحمد عن سيدنا الشيخ أحمد الأسود الدينوري عن سيدنا الشيخ ممشاد الدينوري عن سيد الطائفة الجُنيد البغدادي عن سيدنا السري السقطي عن سيدنا معروف الكرخي عن سيدنا داود الطائي عن سيدنا حبيب العجمي عن سيدنا الحسن البصري عن سيدنا علي المرتضى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والرابعة الكبروية : بتلقّيه لها عن سيدنا جان جانان عن سيدنا نورمحمد البداوني عن سيدنا سيف الدين عن والده سيدنا الإمام المعصوم عن والده سيدنا الإمام الرباني عن والده سيدنا الشيخ عبدالأحد عن سيدنا الشيخ ركن الدين عن سيدنا الشيخ عبدالقدوس الكنكوهي عن سيدنا الشيخ الدرويش محمد عن سيدنا الشيخ بدهن أحمد الجوينوري عن سيدنا الشيخ حميدالدين السمرقندي عن سيدنا الشيخ شمس بن محمود عن سيدنا الشيخ أبي عطار عن سيدنا الشيخ أحمد سيد عن سيدنا باباكمال عن سيدنا الشيخ نجم الدين الكبري عن سيدنا الشيخ عمار الياسر عن سيدنا الشيخ أبي النجيب السهروردي عن سيدنا الشيخ أبي بكر الخير النسّاج عن سيدنا الشيخ أبي القاسم الكركاني عن سيدنا الشيخ أبي عثمان المغربي عن سيدنا الشيخ أبي علي الكاتب عن سيدنا الشيخ أبي علي الروذباري عن سيدنا الجُنيد البغدادي عن سيدنا السري السطقي عن سيدنا معروف الكرخي عن سيدنا الإمام علي الرضا عن سيدنا الإمام موسى الكاظم عن سيدنا الإمام جعفر الصادق عن سيدنا القاسم بن محمد عن سيدنا سلمان الفارسي عن سيدنا أبي بكر الصديق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والخامسة الچشتية : بتلقّيه لها عن عن سيدنا جان جانان المظهر عن سيدنا الشيخ محمد عابد عن سيدنا الشيخ عبدالأحد عن سيدنا الشيخ محمد سعيد عن سيدنا الإمام الرباني عن والده سيدنا الشيخ عبدالأحد عن سيدنا الشيخ ركن الدين عن سيدنا الشيخ عبدالقدوس عن سيدنا الشيخ محمد عارف عن سيدنا الشيخ أحمد عارف عن سيدنا الشيخ عبدالحق الردولوي عن سيدنا الشيخ جلال الدين الپاني پتي عن سيدنا الشيخ شمس الدين الترك الپاني پتي عن سيدنا الشيخ علاءالدين بن علي صابر عن

سيدنا شيخ الإسلام الشيخ فريدالدين كنج شكر عن سيدنا الشيخ قطب الدين بختيار الكاكي عن سيدنا الشيخ معين الدين حسن السبجزي الچشتي عن سيدنا الشيخ عثمان الهاروني عن سيدنا الشيخ شريف الزندني عن سيدنا الشيخ مودود الچشتي عن سيدنا الشيخ ناصرالدين يوسف الچشتي عن سيدنا الشيخ أبي محمد الچشتي عن سيدنا الشيخ أبي أحمد أبدال الچشتي عن سيدنا الشيخ أبي إسحق الشامي عن سيدنا الشيخ ممشاد علو الدينوري عن سيدنا الشيخ هبيرة البصري عن سيدنا الشيخ الشيخ حذيفة المرعشي عن سيدنا الشيخ إبراهيم بن أدهم عن سيدنا فضيل بن عياض عن سيدنا عبدالواحد بن زيد عن سيدنا الحسن البصري عن سيدنا علي المرتضى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأجاز له رواية جميع ما يجوز له روايته من حديث وتفسير وتصوّف وأحزاب وأوراد .

(وإجتمع) باشارة من الشيخ بالعالم المحدِّث الواعظ الصوفي صاحب التأليف النفيسة في التفسير ومترجم "التحفة الإثنى عشرية" التي ليس لها في الرد على الروافض نظير ، الشيخ المعمّر المولى عبدالعزيز الحنفي النقشبندي ، نجل العالم العامل المسند المحدِّث الفاضل صاحب كتاب "القول الجميل في سواء السبيل" الشيخ وليّ الله إبن العارف الشهير الشيخ عبدالرحيم النقشبندي الحنفي- أحد أصحاب المرشد الكامل السيد عبدالله خليفة الشيخ الكامل آدم البنوري خليفة الإمام الرباني قدّس الله تعالى سرّه . فأجاز له رواية الكتب الستّة وبعض الأحزاب وكتب له إجازة لطيفة وصفه فيها بقوله : "صاحب الهمّة العلية في طلب الحق" . ثم أرسله الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ بأمر مؤكد لم يمكنه التخلف عنه الى بلاده ليرشد المسترشدين ويربّي السالكين بأتقن إرشاده وشيّعه بنفسه نحو أربعة أميال عن جهان آباد . فسار في طريق البر والبحر خمسين يوماً لايغتذي بغير الحضور والذكر ، حتى خرج من بندر مسقط الى نواحي شيراز وأصفهان يعلن الحق أينما كان . وكثيراً ما تجمّع بعض الروافض لضربه وقتله بعد عجزهم عن أجوبة أدلّة عقله ونقله . فهجم عليهم بسيفه البتّار فنكصوا على أعقابهم وولّوا الأدبار . ثم أتى همدان وسنندج فوصل السليمانية سنة ست وعشرين ومائتين وألف . فإستقبله أعيان وطنه بكمال الإحتفال والإحتفاء . وقدم في تلك السنة باشارة من شيخه بلدة الزوراء ليزور الأولياء أيام وزارة المرحوم سعيد باشا إبن سليمان باشا . فنزل في زاوية الغوث الأعظم سيدنا الشيخ عبدالقادر الچيلي رضي الله عنه وإبتدأ هناك بارشاد الناس على أحكم أساس . فمكث نحو خمسة أشهر ثم رجع الى وطنه بشعار الصوفية الأكابر مرشداً في علمي الباطن والظاهر .

فساد الحساد

ولما إطردت سُنّة الله في الذين خلوا من قبل أن يجعل حُسّاد الكل مَن تفرّد بالفضل ، وكلما كان الكمال والمحبوبية الإلهية أشدّ ، كان الإنكار والحسد أشدّ . هاج عليه بعض معاصريه ومواطنيه بالحسد والعدوان والبهتان ووشوا عليه عند حاكم كُردستان بأشياء تنبو عن سماعها الآذان ، وهو بريء منها كلها بشهادة البداهة والعَيان :

قل لقوم حسدوه سؤدداً ... كم رأينا من شريف حُسدا
فتسامى للمعالي وهوَوا ... تحت رايات علاه سُجّدا

فلم يقابل صنيعهم إلا بالدعاء لهم وحسن الصنيع ، فلم تخبُ نارهم ومازاد إلاّ شرّهم وشرارهم :

كل العداوات قد ترجى إزالتها ... إلاّ عداوة من عاداك عن حسدِ

فخلاّهم وشأنهم في السليمانية ورحل الى بغداد سنة ألف ومائتين وثمانية وعشرين مرة ثانية . ونزل في المدرسة الإحسائية الأصفهانية وعمّرها بعد الخراب بالعلوم والأذكار آناء الليل وأطراف النهار . فألّف أحد المعروفين من المُنكرين (هو معروف البرزنجي الآتي ذِكرهُ) الذي تولى البُهتان كبراً وغروراً رسالة مُلئت منكَراً من القول وزوراً وأرسلها مع سُعاة الفساد الى سعيد باشا والي بغداد . متخذين الجرأة فيها على تكفيره لتنفيره منه سبباً (كبُرَتُ كلمةً تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذباً) فلما قرأ الوزير الرسالة المذكورة ألقاها من يده وقال : "إن لم يكن حضرة الشيخ خالد مسلماً فمن المسلم ؟ سبحان الله ماصاحب هذه الرسالة إلاّ مجنون أو أعمى الله تعالى بصيرته من شدة حسده نعوذ بالله نعوذ بالله" . وأمر بعض العلماء برد ذلكم الإفتراء . فانتُدب له عمدة علماء الملة الشيخ محمد أمين أفندي مفتي الحلة بتأليف رسالة طعن بأسنة أدلتها إعجازهم . فولّتهم الأدبار لايُنصرون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، وخُتمت بأختام علماء بغداد وأُرسلت الى المُنكِرين . فسَلَقَتهم بألسنةٍ حِداد فانطفأت نارهم وإنطمست آثارهم :

مَن كان فوق محل الشمس موضعه   فليس يرفعه شيء ولايضع

ورجع بعد هذه الأمور الى السليمانية محفوفاً بالكمالات الإحسانية . ذكر أكثر ذلك العلامة الشيخ محمد بن سلمان البغدادي النقشبندي في "الحديقة الندية" . وإنما إخترتها مع أسبابها تيمناً بتعلّق نظر حضرة مولانا بها كما أثبته سيدي الجد الأمجد في خطبة البهجة السنية .

(قلت) ثم إعترف معروف بإفترائه وتشفّع اليه قُدّس سرّه مع جملة أحبائه فقبل به شفاعتهم وكتب له ما أوجب مسرتهم . ونصّه :

"من العبد المسكين والفقير المستكين الى جناب سيدي الجامع لشرفي العلم والأدب ، الحائز لكرامتيْ الحَسَب والنَسَب سيدنا ومولانا معروف سامحه بفضله الكريم الرؤوف (وبعد) ؛ فقد بلغني ما وصّيتم به أخي ملا حسين القاضي وأمرتموه بتبليغه إلينا من حسن العبارات ولطائف الإشارات ، ثم ما ألقيتموه مع قرة عيني العالم العامل السيد إسماعيل من مكارم الأخلاق والإشتياق الى التلاق وإظهار الأسف على ما صَدَر منكم في حق الفقير على سبيل الإتفاق بسعاية أرباب الأغراض وأهل الشقاق ، والإعتذار عن جميع ما جرى به اليراع في رسالتكم المعهودة الناشئة عن تقليد الوشاة وعن عدم الإطلاع . المهيّجة عند بعض عوام المريدين لفرط الوحشة وشدّة النزاع الحاكمة على هذا المسكين بأمور تنبو عن إستماعها الأسماع من إستحلال المحرّمات والكلمات الدالّة على الكفر وداعية الإستيلاء على القباع ، وغير ذلك مما لايليق بشأن الأوغاد والرعاع وتفصيله لايخفى على ذهنكم الوقّاد وطبعكم النقّاد . وإني لَبَريء عما نسبتم إليّ من فنون المثالب والفساد والإفساد وأمرتم السيد المذكور أن يستكتب مني الوكة تنطق ببراءة الذمة من جميع ما صدر وغبر وجرى به القلم بمقتضى القضاء والقدر لتصير مفتاحاً لأبواب الإئتلاف ومصباحاً لدياجير المراء والخلاف . وبلغني من السفيريْن تصميمكم على الإمساك فيما بعد عن أمثال ما مضى من النزاع والمناحرة ، وملافاة ما فات بطيّب التحابّ وحسن المعاشرة ، وتبديل المعارضة والمنافرة بالمفاكهة والمسامَرة . فسرّتني هذه الحكاية غاية المسرّة وحمدتُ الله تعالى على هذه النعمة مرّة بعد مرّة ، شكراً لمن بدّل الشقاق بالإتفاق وهيّأ أسباب الوصول بعد طول فراق أدامنا الله على هذه النيّة وأتمّ لنا بمِنّة هاتيك الأمنية . ثم الأمر بإرسال

المكتوب إمتثلناه وهو أحسن المطلوب ونريد جوابه على أبلغ أسلوب . وأما الإبراء فهو يصدر منّي ليلاً ونهاراً وأفصحت به في المحافل جَهاراً كما قرع سمعكم مراراً . وأما حب الإلتئام وترك الإختلاف فأمر يشتاق اليه أهل الإنصاف . فيمكن بمن يدّعي له قدم في طريق التصوّف ولو بالجذاف ، ولايخفى عليكم أن السبب الأصلي لهذه الوحشة إنما هو ترك التردد وتقليد أقوال الناس . فإن صحَّ م ابلغني عنكم فعليكم بالإعراض عن الكلمات المؤدية الى الشك والوسواس ، فإن أحوال أهل الفقر وراء العقل والعلم يدرك بالقياس . وبعد اللتيا والتي يضمن لك هذا المسكين أن ثبت قدمك وما طغى قلمك بعد اليوم أن ترى نتائج لايحمل أكثرها السفير وتزيد على حوصلة التقرير والتحرير :

ومن بعد هذا ما تدق صفاته   وما كتمه أحظى لديّ وأجمل

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"

وأخبرني الوالد الماجد انه وقع لحضرة مولانا خالد وهو في دمشق الشام نظير ما وقع له في بغداد من بعض الفئام . وذلك انه كان أرسل من أتباعه رجلاً إسمه عبدالوهاب السوسي لبثّ الطريقة العلية في دار السلطنة السنية ، فمالبث أن إعتقد فيه شيخ الإسلام وجمهور علمائها ووزرائها العظام ، فزاغ بصره ومال الى حب الشهرة . فبلغ أمره الشيخ ، فإستحضره وإستخلف غيره وإستتابه . فأضمر المكر وأظهر الإنابة . فأطلعه الله على جليّة أمره بأن وصل اليه مراسلات بخطه الى القسطنطينية تُنبيء عن مكره . فطرده طرداً عاماً من طريقته وكتب بقلمه المبارك ثلاثة كتب الى إخوانه في دار الخلافة بحقيقته ، ونص الأول :

"بعد السلام من العام الأول الفقير تبرأت من عبدالوهاب لما ظهر منه من الأمور المُخالفة للطريقة والشريعة ، وإنه صار سبباً للدسائس التي إختلقها المتشيّخون حتى توهم كثير من الناس في حقنا أموراً لاتليق بأرذال العوام . وأردت أن أكتب هذا الى الأستانه العلية صينت عن البلية ليعلم الناس انه مطرود عن الطريقة ، فلايلتفت اليه أحد لئلا يصير مظهر الجلال سادات الطريقة البهية البهائية . فتوسل بي وجعل روحانية مشايخ السلسلة شفيعاً أن لاأكتب هذا وحلف الأيمان المؤكدة أنه يكتب هذا المضمون بخطه . ثم ظهر أنه بلغ تقريراً مع بعض المرسلين من طرفه وتحريراً الى بعض المخلصين أنه كان بعض إخوانه في الطريقة إفتروا عليه عندي . ثم ظهر إفتراؤهم لديّ وانه صار هو مثل الأول وأكثر حتى أنّ بعضكم ترك طلب الدعا والمكاتبة الى بعض أهل الطريقة رعاية لجانبه والمرء يعذر لجهله . فالآن أخبركم بأني وجميع رجال السلسلة تبرأنا من عبدالوهاب ، فهو مطرود عن الطريقة . فكل مَن تصادق معه لأجل الطريقة فليترك مصادقته ومكاتبته وإلاّ فهو بريء من إمداد هذا الفقير وإمداد السادات الكرام . ولاأرضى أن يكاتبني ولا أن يستمد همّتي بعد وصول هذا المكتوب اليه وأنت مأمور بإيصاله الى كل مخلص . فمَن كان يريد الطريقة فليُظهِر البراءة منه ومَن كان مريد نفسه فلايلومنَّ إلاّ نفسه إذا هلك مع الهالكين ."

ونص الثاني :

"بسم الله الرحمن الرحيم . من العبد الفقير خالد النقشبندي الى منظوره فلان سلام يرجى وصوله ودعاء يؤمّل قبوله ، أما بعد . فليكن معلوماً لكم أنّ عبدالوهاب رجل أخلَّ بكثير من أصلي الطريقة والشريعة ، وجعل نور الولاية الى جلب جيفة الدنيا والإعتبار عند أهلها ذريعة ، وصار سبباً في الأستانه العلية صينت عن البلية وفي العراق وغيرها لإنكار الناس . وتولّد من حركاته الأوهام والوساوس وأكثر

ما صدر منه سبب تعظيم جنابك له مع المبالغة التي أوردَتْه مورد الغرور . وترك من حقوق تربيتي عليه وظهرت منه المخالفة الكثيرة غاية الظهور . فصدرت الإرادة الإلهية بطرده عن الطريقة لأسرار لاتخفى على أهل البصائر . والغرض أنّي ماأرضى بعد وصول هذا المكتوب اليك أن تخاطبه بنقير ولا قطمير ، وإلاّ فلايبقى لك علاقة مع سادة السلسلة ولا مع هذا الفقير . فأخبرتك رعاية لحق محبتك لئلا يصيبك مكروه . ولاينبئك مثلُ خبير وسائر المخلصين والأحباب مخاطَبون بعين هذا الخطاب والسلام" .

ونص الثالث :

"بسم الله الرحمن الرحيم . من العبد المسكين خالد النقشبندي الى جماعة الإخوان . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد . فاعلموا انه ظهرت الإرادة الإلهية بطرد عبدالوهاب عن هذه الطريقة العلية . فلاتذكروا إسمه في الختم والسلسلة فإنه خلاف رضاء السادة الكبار . ومَن توقف من المأذونين بختم الخواجگان في هذا فليترك الختم . وليس من عادتي أن أكتب بنفسي طرد أحد ، لكن بسبب كثرة دسائس عبدالوهاب خفت إذا أمرت أحداً بالتحرير اليكم من أن يبلغكم أنّ الكاتب لم يكتب برضا فلان ، وإنما كَتب ما كَتب عن حسده وهواه . فأخبرتكم بخطي لئلا يبقى عندكم ريب . وكل مَن بقي له أدنى علاقة معه حساً ومعنى فقد بريء من إمداد الفقير ومشايخه ، ومَن أُنذر فقد أُعذِرْ ولاينبئك مثل خبير وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا البشير النذير ماهبّت القبول وصار مريداً لأهل الطريق ومورد الرد والقبول . إنتهى" .

فطارت عنه تلك الأنوار وذهبت وضاقت عليه الأرض بما رحُبت . فنزم الى المدينة المنوَرة وإجتمع على بعض الفجرة :

وإذا أراد الله نشرَ فضيلةٍ طُويت أتاحَ لها لسانَ حسودِ

ولفقوا من قول الزور والبهتان رسالة بتكفيره لما زعموا بأنه يدّعي رؤية الجان وأرسلوها الى دمشق مع أحد هوام الأكراد العوام يقال له إسماعيل الزلزلومي . فلما وصل اليه توسل بعض خدّام الشيخ بكل وسيلة جميلة وإستحضرها لحضرته الجليلة ليظهر عليها . فطار خبرها الى والي الشام فأمر بتشهيره في البلدة وتعزيره . فمروا به وهو كذلك من تحت قصر الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ . فحانت منه الى الطريق نظرة فأمر بتحويله الى رحابه وتطهيره وتخويله حلة من ثيابه وأدناه منه . فقبّل الرجل رِجلهُ ، فعفا عنه . (وانتهض) علامة المحققين أمين فتوى الشام السيد الشيخ محمد أمين عابدين – وكان من أخص أحبابه المعتقدين رحمه الله تعالى– لتأليف رسالة في الرد على أولئك المعتدين سمّاها "سلُّ الحسام الهندي لنصرة مولانا الشيخ خالد النقشبندي" . فحسم ذلك الحسام دعواهم وقصم ظهورهم وقواهم وخذل مَن نصرهم وأواهم (إن الله لايصلح عمل المفسدين) .

(ونظير ذلك) ما كتب بعض مشايخ حلب الى ساكن الجنان السلطان الغازي محمود خان يحذره على مملكته من قوة شوكته بما حشد من العَدد والعُدَدْ . فكاد أن يسبق السيف العذل ويبلغ الكتاب الأجل لولا أن ألهمهُ الله عزّ وجلّ . فإستشار في ذلك الإمام الهمام مكي زاده مصطفى عاصم أفندي شيخ الإسلام . فقال له ياأمير المؤمنين قال الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) . فأرى أن ترسل لإستكشاف حاله معتمداً وليتلطّف ولايشعرنَّ به أحداً .

فأنفذ إليه رجلين قد تحلّيا بحلية درويشين جليلين . فلما وصلا إليه وقد أخفيا الأمر وأظهره الله عليه أحسنَ لهما الوفادة وأكرمهما فوق العادة ودعاهما الى طعامه قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ ، وأطلعهما بوسيلة تأخر الطعام وتسليتهما برؤية كيفية بيوت الشام على مساكن داره حجرة حجرة . فلما لم يجدا فيهنَّ سوى أثاث الإقامة ، علما أنّ ذلك منه أكبر كرامة . فقبّلا قدميه وأوضحا الأمر اليه وأخذا عنه الطريقة العلية وأبيا أن يرجعا الى القسطنطينية . فقال بل الأولى أن تعودا فتفيدا حضرة السلطان ما أُرسلتما اليه ، ومَن شاء فليرجع بعد فلا جُناح عليه . فلما رفع الرجلان صحة الأمر الى السلطان حمد الله عزّ وجلّ وشكر شيخ الإسلام على ما فعل . ثم عاد أحدهما الى خدمته وتوفي ودُفن بدمشق في تربته .

عوداً على بدء

ثم لما رجع كما تقدم الى السليمانية ومعه الخلفاء من فحول علماء بغداد وغيرهم وعليهم أبهة الأنوار الفهوانية ، ورأى أميرها محمود باشا ابن عبدالرحمن باشا طاب ثراهما ما جُبل الشيخ قدّس سرّه عليه من إقبال العباد من كل البلاد إليه وإلتجائهم الى مقامه وإغتذائهم بإنعامه الروحاني والجثماني ، بنى له زاوية ومسجداً ليكونا للعلوم والمعارف مصدراً وموداً وتحرّى أوجه الحلّ للنفقة في ذلك ورتّب الرواتب الكافية لكل طالب مواظب بها وناسك سالك . فأبى الشيخ ماأجراه فألحّ عليه حتى أرضاه . فشرع بالإرشاد كما أرشد في بغداد فأقبلت إليه أهل الهمم كالعالم الرباني الشيخ إسماعيل الشيرواني ، والفاضل الكامل الشيخ أحمد الاغربوزي وغيرهم من أقصى البلاد أمداً ومن أقربها مَن لايُحصون عدداً . فطفق يربّي سالكهم ويرشد ناسكهم ويدرّس كافة العلوم ويحيي رسوم الأولياء وأولياء الرسوم ، لايشغله الخلق عن الحق ولا الجمع عن الفَرق ، حتى أصبح بابه محط رحال الأفاضل ومخيم أهل الحاجات والمسائل . وقد مدحه أدباء عصره وقتئذ بقصائد فرائد عربية وفارسية ومؤلفات بديعة الأسلوب تأخذ بمجامع القلوب . فمن النوع الأول قصيدة صاحب "الحديقة الندية" القافية القافيّة التي أوردها سيدي الجد في "البهجة السنية" :

تبدّت لنا أعلام الهدى حقاً　　　فصار لشمس الدين مغربنا شرقاً

وهي طويلة جميلة تدل على براعته النبيلة وغيرها من المدائح الجليلة . ومن النوع الثاني كتاب "أصفى الموارد من سلسال مولانا خالد" للعالم والأديب والمنشيء الغريب الشيخ عثمان بن سند النجدي البغدادي . فإنه شحنه بالقصائد الباهرة والفقر الزاهرة ، غير أنه مازاد على ما ذكره الشيخ محمد بن سليمان في الحديقة الندية في ترجمة أحوال حضرة مولانا قُدِّس سرّه . وقد تصفحته كله ونقلت من نظمه هنا بعض أبيات لطيفة في الجملة ورأيت من أحسن ما فيه قوله :

أيها اللائم دع عنك الملاما　　　وأدِرْ لي من سُلاف القوم جاما
وارو لي من نشر أخبارهم　　　خبراً تفصح رياه الخزاما
واسألِ الأرواح أن يهببنَ هل　　　ضمنوهن مع الصبح السلاما
إنني شبٌّ بهم إذا أثخنوا　　　وسط القلب وهم فيه كلاما
عفر الخدّ على ما وطئوا　　　لثمك الترب لهم يُشفي السقاما
إن عزّ الصبُّ في شرع الهوى　　　أن يمسّ الثغر للحب الرغاما
مُتْ بمن أحببت لم يَدرك فتى　　　لم يمُتْ في حب مَن يهوي المراما
إن تَمُتْ في حبّ مَن أحببت　　　تحيى عرفاناً وإن ذقت الحِماما

فُزْ بإقبال عليهم تلقَهُمْ   سادة يلقون بالبشر كراماً
فاز بالإقبال منهم شيق   لم يسِم في روضة الجفن مناما
ياخليلي بسلم أسعدا   مقلة تسبق بالودق الغماما
إن أجفاناً أساموا بالحشا   فتقت من حبة القلب الكماما
يارعى الله أويقاتاً مضت   وعقود الوصل قد رُقنَ إنتظاما
إذ ليالينا قصار بهم   وأمانينا يولين الزماما
فقضى الدهر بإبعادهم   وسقانا للضنا جاماً فجاما
ياأويقاتاً قداما لي ارجعي   وأديري من صفاهم لي المداما
أرجعي لي زمناً بالمنحنى   إذ وجوه العيش يغربن إبتساما
زمناً قضيته في قربهم   يغبقوني الأنس كهلاً وغلاما
لأتحاشى في التصابي نفرا   نقل السلوان أو ذام ولاما
أنا ظمآن لوصل منهم   مرجع للحب أياماً قداما
لذلّي خُلع عذاري فيهم   فبخلعي لعذاري أتسامى
شام طرفي بارقاً من صوبهم   فحكى المزن إنهَماراً وإنسجاما
نفد الصبر وما لي جَلَدٌ   مذ نضّوا عن وجنة الهجر اللثاما
قسَمَاً ماسامَ أذواد الكرى   في ربى طرفي لدن للنوض شاما
قلبي المضنّى أما هم أرتعوا   في روابيك من الوجد سواما
وهم الساقوك كأساً لو سقوا   جبلي نعمان مَن فيها لَهاما
لاتحِدْ عن مهيم قد أوضحوا   ونفوا عنه رعاعاً ولئاما
أوسعوه لكرام هجروا   زهرة الدنيا وأولوها إنفطاما
جرد والله من نيّاتهم   أوجها تهدي الى الله الأناما
أعمل العيس المراقيل الى   رَبعهم تلقَهم حياً كراما
كم قروا الله من ضيف سرى   لاطماً بالعيس بالليل الأكاما
لمعت في طرفه نارٌ لهم   مذ رآها شقّ بالعزم الظلاما
ونحاها يقتفي آثارها   مبرداً بالقرب للقلب الضراما
لاعجب إن ناراً أوقدوا   قربها يطفيء للصبِّ الأواما
فهي نارٌ وهي بردٌ للحَشا   فتنورها متى إشتقت الى ما
لاتَلم مِن أسكَرت أحوالهم   قلبه المضنّى فأمسى مستهاما
إن أحوالهم إن أسكَرتَ   قرقف القرب الى مولى تساما
فاسقنيها سحراً والليل قد   نظمت يمناه للزهر النظاما
أو إذا ماالفجر أبدى غرّة   أشبهت من خالد الفضل إبتساما
وأدرها في أناس خلعوا   مذ حَسَوا منها عن الشراب إحتشاما
واستداروا وأولهم قطب إذا   صُرع القوم من السُكر إستقاما
جبلاً تحسبه في حلقه   وهو كالسحب إذا مرّت تراما
رُتبةً قد أكسبت أبهة   واحداً فاق بما فيه لَهاما
قال للدنيا أبعِدي إني امرؤ   منع الألحاظ أن ترنو الحطاما

بذل الروح لإحياء الهدى
عفتُ ما يفنى لما يبقى فلي
مازجَ التوحيد مني خلداً
لم يرُم قلبي مذ صحّ الهوى
رامَ مني مهجةً أهرقها
مذ سقاني قهوةً أسكَرني
هو أفناني وأبقاني فما
مَن يذقْ مما سقاني نغبة
دونكم ياأهل عصري مشرباً
فردّوه وإحتسوا من خمرة
قدمته يد سري فارشفوا
فأجابوا صوت داعية الى
زمراً تتلو إليه زمراً
فتخلّفت لحظ قاعد
غير أني أتمنى أن أرى
إذ سَرَت لي من صَبا أنفاسه
أيها الداعي الى الله أزم
صبّك المضنّى فلو أسعدته
إن تسليمك يحيي رمقاً
لاتؤاخذه لحرب صدّه
ولك الفضل عليه ماسرى

وقوله :

ليالينا بالرقمتين وحاجر
مضى فيك أنس رق صهباؤه لدن
سقانا زجاج الحب قرقف مشرب
فنينا عن الأشباح حتى كأننا
هوىً دقّ معناه دعانا برمزه
فلبّاه منّا كل مَن رقّ شوقه
لقد ضمنتنا مقلة الحب مأقها
صفونا فلا أقذاء فيما أداره
فلذاتنا في الحب أمست أفالها
وكَم لامنا قدم الطباع ولو درى
عذيري ممن لامني في سلافة هي
مشعشعة أبدت حبابا هو التقى
بها نفس مقتول الهوى تعشق
هم رشَفوها والظلام رواقه

وثني عن مورد الغيّ اللجاما
همةٌ تطلبُ مايسمو مقاما
شعّ نبراساً لما فيه أقاما
غير ما ودّ الذي أصبى وراما
ماأرى الوجد به إلاّ حساما
وأراني كل ماارُمتُ إماما
ألف الإفناء والإبقاء إلتأما
ينظر الحق ولا خلق تسامى
ندب السُلاّك أن يسعوا الى ما
قدم ماملك القدم الفداما
فعلام البعد عن خمري علاما
رشف ما يذهب للقلب الأواما
كلهم خاض له البحر وعاما
عن رنوى ذلك البدر التماما
ذلك النور وإن كان مناما
نفحةٌ رقّت فهاجت لي الغراما
برنو عن حشا الصبّ السهاما
كنتَ أرسلت مع الريح سلاما
منه فابعثه ليبقى مستهاما
وخطوب أوهنت منه العظاما
منك رشد يبهرك المسك ختاما

سقاكن ثجّاج الرضا بالمواطر
نزلت للذات الهوى بالنواظر
سكرنا بها عن كل باد وحاضر
من الراح أرواح وأوهام خاطر
الى رشف صهباء له بالخواطر
وعاناه منا كل صافي السرائر
فها كلنا للحب إنسان ناظر
علينا من الصهباء ألطف دائر
رواتع في روض من الأنس زاهر
بمحبوبنا ألقى لنا بالمعاذر
الروح بل واللب من جسم ذاكر
ورقت كأنفاس الشمول لسائر
الفنا فكم فَنيَتْ منها نفوس أكابر
سُرادقُهُم عن كل خبٍّ وماكر

فغابوا عن الأجسام والكلّ حاضر   يلاحظه ساقيه منه بناظر
فكم واصلوا ليلاً بصبحٍ وشوقهم   اليه ثنى منهم زمام الضمائر
فلم يبق للأكوان رسم لديهم   لأن شاهدوا محبوبهم بالبصائر
فهاتِ إسقِنيها قهوةً قادرية   فلستُ على تركِ إحتسائها بقادر
وهاتِ إسَقنيَها والندامى أكارم   لدى روضة أضَحوا لها كالأزاهر
وهاتِ إسقنيها لم يدنس مزاجُها   بفدم ولم تفدم بغير سرائر
وهاتِ إسقنيها من يدي عاصرها   براووق أذكار بأفيح سامر
لقطبٍ له الأذكار صهباء وارد   سوى الله لم يرمق بإنسان خاطر
من النفَر القوم الذين وجوههم   الى الحق تهدي كل سارٍ وسائر
وأبيض نظار بعين إلهه   ضمائر غيب نيرانَ المظاهر
وموقد نار يهتدي بشعاعها   سراة سراة للهدى بالشراشر
وكَمْ قائل هذا إبن عثمان (خالد)   أراه فضيلاً أو أويس بن عامر
رموز له أضحت رموز الواصل   الى الله سباق لعزّ المآثر
تخلَفَ فيه الواصفون فقائلٌ   هو القطب لولا أنه ذو مواطر
وآخر هذا البدر لولاه نير   مع الشمس نساخ خضاب الدياجر
سقى مَن سقى من طالبيه صلافة   من الذكِر لم تُدنَّسْ براحة عاصر
دعت للهدى منه علومٌ زواخر   إذا زخرت لم تُبقِ درَّ الداخر
زواخر يرويها عن الخضر سرّ   جَرَينَ فحلَّينَ النُهَى بالجواهر
فيا حاسديه إنه الشمس فانظروا   لأشباه فضل لسن ذات نظائر
نسبن الى القوم الذين تسنّموا   بعثمان أكوار العُلى والمفاخر
فكانوا بذي النورين أفضل معشر   إذا ما دعوا كانوا أنوف العشائر
لعبد منافَ أحرزوا كلّ سؤددٍ   صميم ومجد لم يكن بمُفاخر
فيا قَرَداغُ إفخَرْ فإنكَ مطلعٌ   لبدرٍ تسامى عن وجود مُناظر
ومعدن عرفان سما بمعارف   أوابدٍ لم تُدرَكْ بأعمال خاطر
معارف أضحت للجُنيدِ مطالبُ   وإن كُنَّ للجيليّ سرّ السرائر
فدَعْ عنك ماقال الحواسَد إنما   هو الغوث كَمْ غاث النهى بالمواطِر
إذا أخذته نشأة الذِكر خالد   لدى السكرِ رضوى كل سامٍ وسامر
أبان لنا نهج السلوك فأصبحت   مناهجه تهدي لأسنى الذخائر
فلم يبق في بيدائه غير مهتد   ولم يبقَ في ظلمائه غير سائر
فديناه بالأرواح إذ كان للتقى   هو الروح فانشقهُ بأنف خواطر
رياض التُقّى لولاه روض زهرها   لما كُنَّ في العصر ذات أزاهر
تخبرنا منه العلوم بأنه   هو البحر لولا أنه غير زاخر

ومن هذا النوع "الأساور العسجدية في المآثر الخالدية" للعالم الفاضل المرشد الكامل خليفة حضرة مولانا في بلاد الحسا الشيخ حسين الدوسري قُدِّس سرّه ، فإنه رتّبه على أربع مقالات أسندها الحامد الأمين مع نبهان شبه المقامات . غير أنه وضع لكل مقالة خطبة توصّل فيها بالأسود والأحمر الى ما أحبّه . ثم ختمَ

المقالة بقصيدة فريدة فيها هذه الحالة . وسأورد لك طرفاً من كلامه تستدلّ به على لطيف مرامه . قال في المقالة الرابعة :

"بسم الله الرحمن الرحيم (الحمد لله الذي أنقذنا بخالـ)ص نوره المديـ(د الإمداد) من ظلمات الإلحاد و(سا)ئر مكا(ئد الأ)عداء والحسّاد ، ومَنَّ علينا با(فرا)غ الوسع في أخذ الزا(د) ليوم المعاد بواسطة (قائد الأوتاد) الأكابر (بحر البحور) الزاخر (بدر الوجود) الظاهر و(شمس السعود) لأولي البصائر . فأكرم (بخالـ)ع ثوب المعرّة الكائن من صدفة الزمان عين الدرّة الراقي من مقام الإحسان ذروة الطور متقمصاً بقميص النور المزيل حنا(د) ، المظاهر بظهور بدر (النجابة) في سماء الصبابة لـ(كاملـ)ي (الإنابة) ، المشرفين على الخواطر حين تدريس (أريس العصابة معدن الإصابة) في هاتيك القدسية الحضائر بحبوحة الجليل المانِّ بها على عبده الجميل الفاضل ذي الباع الطويل في معالم التنزيل سيدنا المحقق وشيخنا المدقق الشيخ إسماعيل (أتمَّ الله عليه نعمهُ) السنية (وبنعيم قربهُ نعّمه) في الحضرة العندية (وأعلى رتبتهُ مع الاسبقين) أولي لخصوصية (وقدّمهُ) على اللاحقين في إخلاص العبودية آمين . (قال فلما سمع مقاله) صعّر خده عنه وأماله وتنكّر عليه وأظهر لقوله الملالة ، فأدركته شفقة الأبوة عليه ، فإلتفت ناظراً اليه فقال : أي بني أما قلت لكم لاتذكر لي إسماً ولاتجعل في ذلك الدفتر رسماً وإجعلني نسياً منسياً عسى أن لاأكون بدعاء محبوبي شقياً ؟ فقال لم جُعلتُ فداك دائماً إنما جعلتك خادماً ولأقدام المحبوب لاثماً ليجري عليك ألطافاً ومراحماً فلاتكن لي لائماً . فقال إذا كان هذا قصدك لأستعطفنَّ قلب المحبوب أن يُنجِمَ سعدك فتلحق مَن قبلَك ولِتُقدَّم على مَن بعدك . فأروعني بعض ما أمليته في المحبوب من الإنشاء والإنشاد مما يعرفك أني ذَبتُ في محبتهِ الفؤاد ، وهجرت الأهل والأولاد ودأبت الليل والنهار وأجرَيتُ الدموع الغِزار . واشهد عليّ أني فارقته بعض حين فأبديت الحنين والأنين ونُحت ولا نياحة فاقدة الجنين . فناديته وهو مني قريب وأنا منه بعيد ياحبيبي إن البعاد شديد ياحبيبي أنت فائدتي وما غيرك لي بمفيد ، ياحبيبي أنت البادي بالفضل وأنت بالفضل تعيد ، ياحبيبي أنت والله مرادي وحق ذاتك وأنا لك مريد ، ياحبيبي لأنوحنَّ عليك مدة حياتي ولا أترك النوح والتعديد . ثم أنشد يقول :

حبيبي إني من نَواك أنوح ... فلا ريب أني بالغرام أبوح
وأعرب عن معناك جهدي وإن يكن ... نصيبي إني من هواك طريح
وماحاجتي بالحجّ لولاك محرما ... تلبي وفي ردّ الجواب تصحيح
ولولا منائي في منى ماأتيتها ... ورسمك فيها ذابح وذبيح
وذاك يمين للذي أنت سمعه ... إذا طاف مسك النسك منه يفوح
وهذا حجاب رسمه الوهم أنت في ... مغالطتي تغدو به وتروح
أتحجبني بي لست أنت ولا أنا ... وتوهم تعريضاً وأنت صريح
وتنعت لي لا وهي إلا وأنت لي ... تعنّ وإن شطَّ المزار تلوح
وتزعم أني من هواك بمعزل ... وجفني من وجدي عليك قريح
لئن كانت الأجفان مني سخية ... فقلبي على سرِّ الغرام شحيح
أبوح به لكنني لاأبيحه ... ومالي وحالي دونه لأبيح
حبيبي أما القلب فهو مروع ... دواماً ومن فرط الزفير جريح

وأما صباباتي سلمتَ فإنها ... لها كل متن لي عليه شروح
وأما كآباتي وُقيتَ فكم لها ... بقلبي محل والمحل فسيح
فلا يبعدنَّ الله ما منك جاءني ... على أي نوع كان فهو مليح

ليت شعري هذه المظاهر من بدها وما حدها ومن يمدّها وعن جمالك ما يصدّها . أرؤيتها إياك سواك أم دهاها هواها فما عقلت هداها . لَعَمري إن هذه الممالك المعمورة بك عين السراب وما عمارتها بها إلاّ الخراب ، ولولاك لظهر عوضها المَحاق والذهاب أنت فيها بائن ومالأنت عنها بائنْ ، والغبي يعرض عنك ولها يعائن ، ما على هذا الظهور من مزيد . فكيف به قصور ولعل هذا النور ما يفيد لمن عيونه عور ، ما أدري ما حال بينك وبينه وما الذي أعمى عينهُ وأي شيء جعلك غينه . والله لو أحببته لأريتك انه فاتخذك فنه وأردف عليك حسرة بأنه . فيا مَنْ ظهر جماله المكتوم في جميع الأشباح ، مَن كان في طلبك يقعد ويقوم كيف لاتعتريه الهموم في المساء والصباح . ومَن غدا في محبتك ورام كيف لاتتوالى عليه الأفراح ؟ بحر محبتك عميق وكَم نجا مَن غرق فيه من سبّاح . ما حبّك شيء هيّن يحصل بغير بذل الأرواح :

ماالصبُّ مستكن في الضمير ... منه حب غير حزن وسرور
ذا له وقت وذا وقت وقد ... يدخل الأول في طي الأخير
ولعل العكس يجري فيهما ... ذاقه الذائق فأسأل عن خبير
فإذا ما إجتمعا هذا وذا ... وإستوى الأمر أن يابدر البدور
فأجِرني ياحبيبي من لظى ... أو فزِدْ قلبي من حرّ السعير
(فـ)الحظ (المقصود مني) أبداً ... إنما (أنت) الذي أهواه نوري
فأنا الولهان ملآن الحشا ... من شهيق وإحتراق وزفير
وأنا المفتون في ظبي النقا ... صائد الآساد معشوق الصدور
وأنا الطائش في حب الرشا ... وهو الفاتن ربّات الخدور
ذي صفات أنت موصوف بها ... كامل الإحسان والحسن الخطير
فاتني كم فتني فيك الهوى ... فتنى نجيت من كلّ الشرور
فالرضا في مرضي (إذ غرضي ... خالـ)ص الحب وافرا(د) النظير
أنا أهوى كلّما تهوى فإن ... تهوى تهوى بي لظى أنت مجيري
أترى أضرب عنك الذكر صفحا ... وقد أفصح نطقي عن ضميري
قائلاً إني جميلَ في جميل ... الى المحبوب ذود مع درير
أنا إن يبلغ كلامي مسمعاً ... فهو الناطق عني بحضوري
كيف لاتهمل عيني أدمعا ... كسحاب هلَّ بالمُزنِ الغزير
وضياء الوجه من كلّ جها ... تي محيط مشرق خير منير
ذا مقال العكس من نفس الوعا ... كيف لا والبذل من كيس الأمير
كيف لاتأخذ قلبي جذبات ... الهوى وهو محل للبدور
أي شمس بزغت من مشرقي ... سجدت للجمع في جمع كبير
أين أمسى مرأ ويأتي غداً ذا ... غدا الحاضر أو ذا نفخُ صوري

أو ما تنظرني مجتهداً ... إذ أنا المشرف في كل أموري
إن عيناً تنظر الآن غداً ... طبق ما تنظر من قول البشير
ويحها كيف يوافيها الكرى ... كيف لاتصنع كالعبد الشكور
كل شهد من شهود موجب ... لجمود تحت طيّات الخدور
ماأراه مذهباً لي في الهوى ... وهو عندي في سلوكي نهج زور
أين حبي لك إن كنت أرى ... باختياري هادئاً فوق السرير
كل وقت أنا والله أرا ... ك به فرداً أعلى سروري
مَنْ لعَيني أن ترى وجهك با ... د لها ياقمري يانور نوري
كلّ شيء يتعدّى حدّه ... قلّ أن يسلم من ستر الظهور
فلهذا حسنُ حبي في البطو ... ن بدا كالشمس من خلف الستور
فهو مقصودي الذي وجّهت وج ... هي له في غيبتي مثل حضوري
فادعني إن شئت عبداً للجما ... ل وإن شئت فللوجه المنير

ألا وأنّ من قصر نظره منك على الجمال ياحبيب بغية الآمال ، وتخلّى بك عن القواطع الأيام والليال وتحلّى من إحسانك بسواطع الخصال ، وتشرّف من إمتنانك بخِلَع الإقبال وصف في طلبك موانع الوصال ، وحلّ بإنزالك إياه من إقليمك في مدينة النوال ، ودخل معك في خدر الشوق وقال ، وغرّدت في حديقة عشقه لك بلابل البلبال ، وصادف كؤوس محبتك على هذه الحال فشرب أرطالاً بعد أرطال ، وتحكّمت منه النشوة فمال كيف لاينقدم منه زناد الإشتعال ، ويخلع في مقدّس وادي مديحك النعال ، ويشرم في تحقيق وصف معانيك على رغم شانيك لأولي الغرام بأدق مثال ، وأرقّ وأرق قريض يفوق الزلال ويقول على الإرتجال ، في أن هيجان الحالِ :

رَوِّ قلبي صرف الهوى السلسال ... وارو عني مديد مدم الجمال
فالهوى والغرام والعشق والشو ... ق شعاري وحرفتي وإحتيالي
فتنوّر بدري الذي أسفر الكو ... نُ بإشراق نوره المتلالي
حين يبدو على الوجود تراه ... جامعاً فرق طالبين المعالي
رافلاً في البهاء على أمة العـ ... شق الميامين زمرة الإنتحال
مدمنيَ السُكر من كؤوس مناجا ... ة الحبيب جم النوال
مالك الحُسن والمحاسن والإحسـ ... ان والجود والندا والكمال
فبعذريَ إذ تفنّنت في مد ... حي له في غريب كل مثال
هو في حسنه غريب عجيب ... بائن عن نظائر الأمثال
كم على حسنه النفوس تفانت ... وفناء النفوس خير الخصال
ماعلى من به إضمحلَّ ملام ... وهل الحب غير الإضمحلال
وهل الحب غير ما سلب العقـ ... ل بتكرار لب المتوال
وهل الحب غير ما زلزل الأعضـ ... اء بالوجد أعظم الزلزال
وهل الحب غير ما أمطر الأجفـ ... ان من سحب دمعها السيّال
ماإعتذار المحب في عدم النو ... م وسكب الدموع والإنحلال

أترى يسكن الحبيب فؤاداً ... لم تلج فيه حرقة الإشتعال
وبورد النوام يجهر ليلاً ... ونهاراً مكرراً وموالي
طالب الوصل طيب الأصل يجري ... في مجاري الهوى بثوب الموالي
ولَعَمري إن الوصال مُحال ... مع أني طمعت في ذا المُحال
ليس للوصل غاية منتهاه ... عدم الفصل وهو غير وصال
إذ هو الآن مثل ما كان لكن ... كان خاف فبان بعد إنصقال
فإذا نحتُ فاعرفوا لي نواحي ... وإذا صِحتُ فاتركوا لي حالي
فعجيب وليس عندي عجيب ... فيضُ دمعي كفيض مزن العزالي
ماأرى غير واكف الدمع يروي ... صادياً من زلال صرف الجمال
أو ماأنت أيها البدر في الخِد ... ر ولا خِدر أنت بدر الكمال
أو ماهذه البلاد أضاءت ... بضياء الحبيب ذي الأفضال
هذه غاديات سكر حميا ... ه الذي ميزت ببذل النوال
هذه غاديات نور محيّا ... ه الذي حيّرت عقول الرجال
تسكر الدنَّ تمطر المنَّ تجري ... سحب الحزن من قلوب خوال
وهل الحزن فيك ياباهر الحُسـ ... ـن سوى الفدن والهنا المتوالي
تمْ وألَب جموع حسنك إني ... جامع الشوق ساحب الأذيال
ولقد قلت فيك أسفار مدح ... تليت في الإبكار والأصال
وبودي يمر فيك زماني ... وبذكراك كل قيلي وقالي
إنما أنت مالك القلب والرو ... ح ومعنى معنى الشروم الطوال
أنا رويت علم ظلم ثنايا ... ك عن الوجد قرب أن الزوال
وتضلّعت من علوم مزايا ... ك كما لايخفاك صدق مقالي
كم رأيت الحبور تغرف من بحـ ... ـرك ذي النور مثمَنات اللالي
ورأيت الصدور تصدر من نو ... رك بالوفر من عصور خوالي
ملك الحُسن أنت ياحسن ... الملك فلا ريب أن ذكرك عالي
فالى باب فضلك الرحب أمَّتْ ... تتجارى بعامل الآمال
أمَّلَ الآملون منك فخا ... بوا وأبوا على نجائب مال
أي مال إلاَّ ومفتاحه في ... كفّك البسط كفَّ قابض حالي
وبه كم فككت قيد أسير ... أسر الوهم قلبه في المحال
فنجا إذ لجأ إليك وهل غيـ ... ـرك حصن يحمي من الأوحال
أنت ربُّ البها كريم السجايا ... فاصل الوصل واصل الإنفصال
أنت جمُّ الندا الجميل الموالي ... سحب المنِّ ياضياء الموالي
أنت ذو الطَول حيث لاحول إلاَّ ... أن ينادى بالقول ياذا الجلال
شرع شعري عريشه من يواقيـ ... ـتك يبني فهو الغريب المثال
فلهذا ينمُّ جمُّ المعاني ... من مثاني كشف الحرام الحلال
كلُّ شيءٍ إليك ينمى حلال ... وجلالي أرعى كرعي جمالي
وبحقٍّ أقول أنت الذي من ... حرف معناك كوكبي وهلالي

مذهبي الحق أنت تعرفه فيـ ... ـك فدم مجادل الجهّال
وإذا ماأزال خصبك محلي ... كيف أرضى بعيش أهل الهزال
وإذا ماأزال نورك حَلَكي ... كيف أمشي في أهل الضلال
وإذا عنَّ في سمائك بدري ... بإنعكاسي فمن سواك ومالي
لاتكلني وزنْ نضاري وكلني ... تلفني أنت صاحب المكيال
أنت بدري وأنت شرّفت قدري ... ونصيري إذا ينادي نزال
أنت ذخري وأنت صاحب خدري ... أنت تدري سلافتي من زلالي
أنت إنيحبني الممادم أحمدك ... بجهدي حمداً على كل حال
أو تجد لي بالشكر أشكرك مادمـ ... ـت فذّاً لي وأنت مبدي مقالي
ياحبيباه والحبيب مجيب ... أنت قصدي في حِلّي وترحالي

(قال حامد) فقلتُ أي نبهان والله لقد أزلتَ عنّي الأحزان وهيّجت عليّ الأشواق ، وأودعت قلبي الإحتراق زيادة على ما كان بما أتيت من هذه النقول التي تحيّر العقول . ماأرى هذه الأسجاع والقصائد إلاّ للعقول مصائد . وكأني بها من مدارج مكرك ومن نتائج فكرك . لكني لاأكلّفك الإخبار عنها لأن المقصود حصل منها فهل بقي عندك في الخريدة شيء من المقالات المفيدة ؟ (قال) فتبسّم ثم تنسَّم وقال : أي حامد مكر يعرّفك بعيبك ويبصّرك بترقيم جيبك نِعم المكر ، وفكر يعمل في جذب قلبك الى مشاهدة حبك ما أجلّهُ من فكر . ثم قال نعم بقيت مدحتي الجديدة لمحاسن محبوبي العديدة ، وهي هذه أنشأتها لما سرى في أحشائي الحب ودبّ ونهض قلبي لداعي الغرام وإنتدب ، وتعرض لوارد الهيام وإرتقب ونوديت في محافل العرب بالهائم الصقب ، فكان لي أشرف لقب فناديت حينئذ بلسان من على الدنان أكبَّ ولاتقهقر ولاتنكّبَ فقلت :

صدى المتيَّم والتهب ... ولديك راقود العنب
فنحا جمالك راجياً ... من خمر حبك ماطلب
فغدا وقد رفض الهدى ... من غير حسنك وإنقلب
وإذا الهوى سلب القوى ... لاتعتبوه إذا أكبَّ
أوَليسَ حسنكم عقول ... أولي النباهة قد سلَبْ
وبدوا وقد غمر الوجود ... فإن يحنّ فلا عجب
لاغَروَ إن لعبت به ... صهبا المحبة فإنتحب
طوراً يقول أنا المُحب ... وتارةً أنا المُحَبَّ
ولربما خرس اللسان ... مع الجنان فما إضطرب
ولربما غنّى وصام ... ونام من فرط الكرب
ولربما ولّى من الحسرات ... كي يطفي اللهب
وبهاء وجهك من رآه ... فما عليه إذا إنسلب
ولكون لو يبدو له ... من نور وجهك ماإحتجب
لرأيته يهتزّ من ... ذوق اللذاذة والطرب
يكفي المحبّ الى جنابك ... ياجميل إذا إتنسب

فعليه عند أولي الغرام ... الصرف حبك قد وجب
ولعشق حسنك عند أرباب ... الهيام هو الأحب
فلأولينّك مدحةً ... غَرّاً تُخطُ بماء الذهب
أنت الذي مَلَكَ الجمال ... جميعه أنّى ذهب
أنت الذي سكر الزلال ... بفيك حين هو إنسكبْ
والخمر فيك أراه قد ... سكر الزمان ومأهبَ
والبدر جاء اليك يرجو ... منك نوراً أن تهب
والشمس تأمل أن تزيد ... ضياءها خوف العطب
والنار ترعد خشية ... أن يبد نوركم تصب
وأنا الذي أرجو أراك ... مع الجمال فلا عجب
والماء يخشى أن يصير ... هوى يطير من الرهب
والريح مضطرب الحشا ... من أن يحلّ به الغضب
فيكون ماء أو تراباً ... أو حديداً أو خشب
ولأنتَ أجمل ما رأيت ... ومَن رأيت من العرب
وأجَلُّ مَن لبسَ الرداء ... مع الإزار وما إعتصب
وأعزُّ مَن فوق السرير ... على أعلى الرُتب
فأعقل كلامني إنما ... أنت الذي خطب الخطب
وتلا كتاب العاديات ... وللمقانب قد كتب
وأفاد شرح المرسلات ... على الخميس بما طلب
وأجاد فائدة الحواشي ... والفروع بما أحب
ولقد صرفت اليك حاجاتي ... وأنت هو الطلب
والأعجميّ القلب ينكر ... مدحتي وأخو الريب
وشبيهه الأشقى فقل ... تبَّت يداه أبو لهب
لو كان يبصر ما نفى ... صدق الحديث وماكذب
الله أصدق قائل ... وحبيبه زاكي الحسب
صلى عليه الله ما ... غيث توالى وانسكب

ثم إنه قَدَّسَ اللَهُ سِرَّهُ عاد الى بغداد ثالث مرة ونزل في المدرسة الإحسائية التي جُددت لحضرته الضيائية . فأخذ ينشر ما طوى من العلوم الدينية ويطوي ما نُشر من الرسوم الدينية ويحيي ما فني من السنة السنية ، ويُظهر ما خفي من المعارف اللدنية الى إفاضة أنوار وإفادة أسرار . فإنقاد اليه علماؤها وعظماؤها ووزراؤها وأمراؤها وأصبحت به بغداد ملتقى البحرين ومطلع القمرين وشاع فضله شرقاً وغرباً ففرّت اليه الناس عجماً وعرباً فطفق يربّيهم بنَفَسه الأنفَس ، ويمدّهم بإمداد نظره الأقدس ، حتى إذا تكمّل أحدهم بعث به الى أهل الأقطار ليحيي موات قلوبهم بفيضه المدرار . ولقد أقدمَ أقدمُ خلفائه الأعلام جدّي لوالدتي الشيخ أحمد الخطيب الأربيلي قدّس سرّه الى دمشق الشام . وكان عالماً عاملاً متفنناً ومنشئاً شاعراً محسناً ومرشداً كاملاً متقناً ، ذا كرامات مشهودة ومقامات محمودة . وله عندي رسالة في الطريق تشهد برسوخ قدمه وعلوّ قدره وهممه . فلما وصلها ولقيَ أهلها ونشر بينهم أعلام الإرشاد ألقوا

إليه بحذافيرهم مقاليد الإنقياد ، بحيث لم يبق حاضر ولا باد إلاّ وأخذ الطريق عنه ، أو طلب الإمداد والبركة منه . أولهم مفتيها الهُمام خاتمة الأكابر الأعلام حسين أفندي المرادي رحمه الله تعالى . فامتلأت به دمشق نوراً وأصبح عَلَمُ علمه وعمله منصوراً . فكتب الى الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ شرح فتح الباري عليه وحبّب الشام وأهلها اليه . فانشرح صدره الكريم لهذا الشرح في الحال وتوجه الى الله تعالى في ذلك . فورد الإذن الإلهي بالإرتحال فتفضّل الحق تعالى على أهل الشام وأنعم أذهبت عليهم قبول إقبال هذا القطب المعظّم ، وإختارها مطلع أنواره ومهبط أسراره . فأبقى أهله في مدينة السلام وحضر مع السيّارة من طريق (الدير) الى الشام . فدخلها سنة ثمان وثلاثين بخدمه وحشمه وجملة من العلماء الخلفاء والمريدين . ونزل في خلوة السادة الغزيين التي في جامع بني أمية . فلم يألوا جهداً بالقيام بخدمته حتى زوّجه السيد إسماعيل أفندي بشقيقته السيدة عائشة التقيّة . ثم أمر باحضار أهله من الزوراء ، وأرسل الشيخ إسماعيل الأناراني يستقبلهم الى حلب الشهباء . فذهب ينشر خلال الطريق أسراراً وينثر على كل فريق في البلاد أنواراً ، حتى وصل الى حلب وقد خَلبَ من القلوب بإرشاده ما خَلَبْ وجذب من الأرواح الى الطريق ما جذب . الى أن قدم إليها الحرم المحترم وقد توفى معهم في (أُرفه) سيدي شهاب الدين نجل الحضرة .

فرجع إسماعيل الى الشام ، فتهلل وجهه بوصولهم من مدينة السلام بسلام . ثم إشترى داراً رفيعة في محلة القنوات وتحوّل إليها ووقف بعضها مسجداً وأقام فيه الصلوات الخمس بالجماعات . فغصّت أبوابه بالزحام وهُرِع الى خدمته الخاص والعام وصارت رحابه مهبط جباه السالكين ، وأعتابه معترك شفاه الناسكين ، والوزراء عند قبابه وقوفاً ، والفضلاء على محبته عكوفاً ، يدخلون في طريقه أفواجاً فيفيض عليهم من بحار أنواره أموجاً . تتوارد عليه المراسلات من أعيان الدولة المنصورة وأمراء عامة الأقطار المعمورة ، والقصائد الغرّاء من كبار الشعراء . فمنها ما مدحه به عمدة العلماء الأجِلّة الشيخ محمد الجملة الخلوتي الدمشقي مؤرخاً عام وصوله الى دمشق الشام فقال :

أضحت دمشق ببهجة ومسرّة	والنور والإشراق منها صاعدُ
والطير غنّى والغصون رواقص	تهتزّ من طرب وهُنَّ موائدُ
والوقت طاب وهيمنت أهل الصفا	والزهر يحدّق والعنا متباعدُ
مذ حلَّ بالشام الشريفة سيّد	وعليه من حُليِّ الكمال فرائدُ
فسألت عنه بين أرباب الهدى	قالوا ضياءالدين هذا خالدُ
وهو المجدِّد بل هو الداعي الى	سبل الإرشاد فنعم ذاك الماجدُ
فلقيتهُ فوجدتهُ كالليث في	سطواته وهو الإمام الواحدُ
فدُهشتُ منه محبةً ولطافة	وأتت اليَّ منافع وفوائدُ
وأُزيلَ عن قلبي الصدا بلقائه	وإنحلّ ماهو قبل ذلك عاقدُ
عالي الجناب فيالهُ من عارف	بالله وهو مجاهد ومكابدُ
بحرٌ غداً تمتدُّ منه أبحر	يدري بذا الشهم الذكي الواجدُ
يلقي العلوم بَداهةً من صدره	وبه عليه فيه منه شاهدُ
في كل علمٍ ماهر متمكن	متحقق متضلّع ومجاهَدُ
في عصرنا ماان رأينا مثله	والفضل لايخفيه إلاّ الحاسَدُ
مَنْ أمَّ ساحته ينَلْ مايبتغي	من فيضه ماخاب فيه القاصَدُ

وإذا أتاه حائرٌ بطريقه ... يهديه منه نوره المتزايدُ

فتراه من نفحاته في نشوةٍ ... بغُدوِّه ورَواحهِ متواجدُ

ويمدّه في القلب من عرفانه ... ويذوب منه كماَ يذوب الجامدُ

مصباح رشد لائح من وجهه ... وجليسه منه يطيّب الواردُ

والهدى والإرشاد فاض على الورى ... لاينكرنَّ هذا التقيُّ العابدُ

هذا جليّ ظاهر لم يُخفِهِ ... إلاّ غبيّ جاهل ومعاندُ

ولنقشبند قطبنا هو ينتَمي ... أعني بهاءالدين ذاك ا لواحدُ

من صدقه وتقاه فانظر يافتى ... كم من زوايا عُمِّرَتْ ومساجدُ

ومدارس درست فأحياها بذِكر ... الله مذ وافى وقام القاعدُ

وبه طريقته العلية قد نمت ... من كل ناحية أتاها الوافدُ

فلأنها طبق الكتاب وسنّة ... المختار مافي ذاك ينقد ناقدُ

لما أتانا فيه قَرَّت أعين ... فازت بنور هداه لما شاهدوا

وله تلامذة بدوا ككواكبٍ ... من نورهم حقاً يردُ الشاردُ

جمعتهم أسرار حضرة شيخهم ... وعلى العبادة والعفاف توادَدوا

وهم أولوا وجدٍ بطاعة ربّهم ... مامنهم إلاّ تقيّ زاهدُ

قد حلّ فيهم منه إكسير الصفا ... فصفوا وصافوا إذ عليه عاهدوا

فعليهم منّي جزيل تحية ... ماخرَّ للرحمن عبدٌ ساجدُ

والسالكين طريقه أهل الهدى ... طول المدى ماإن تنبّه راقدُ

إن قيل مَن قطب الورى أرّخ بقي ... قطب الورى ياسائلي هو خالدُ

(سنة ١٢٣٨هـ)

وهو مع ذلك لم يشتغل عن نشر العلوم الشرعية وإشادة أركان الطريقة النقشبندية وإرشاد العباد في كل البلاد وإحياء كثير من مساجد دمشق الشام قد آلت الى الإندراس والإنهدام بإقامة الصلوات والأوراد والأذكار وهداية الخلق الى طريق السادة الأبرار . فأنقذ جامع العداس من مخالب الإندراس وإتخذه لقربه من حضرته دسكرة لخلفائه وجماعة مريديه وصلاة جمعته . وفوّض أمر تربيتهم للإمام الجليل الربّاني سيدنا الشيخ إسماعيل الأناراني . وقرر سيدي وعمدتي وجدي لوالدتي الشيخ أحمد الخطيب السالف البيان على إقامة ذكر الخواجكان والتوجه كما كان في جامعي المعلّق والياغوشية . وأذن لسيدي الجد الثاني العلاّمة الفاضل والولي الكامل الشيخ محمد الخاني بالختم والتوجه في جامع المرادية المعروف الآن بجامع السويقة في جهة الميدان . وأذنَ لمثل ذلك للمرشد الشيخ عبدالقادر الديملاني في جامع الصاحبة في الصالحية . قرأ غدوة في مدرسة داره "شرح المنهاج" للشمس الرملي ، فأظهر خفيّ أسراره وحقق أبحاثه وأخذ يجمع بين أقوال المشايخ الثلاثة عمدة علماء البشر الخطيب والرملي وابن حجر بتقرير أوضح منهاج الفوائد وشرح الصدور بمصابيح الأمثال والشواهد ، وأطلع في أرجاء الإفهام شموس الفرائد كما قال صاحب "أصفى الموارد" :

إن كنت تكذّب ماأقول بقدره — فاسأل مآثره التي لم تُحصَر
ومباحثاً فقهية كشف النقاب — لها فأبدت عن صحاح الجوهر
شكر النواوي التقيّ ذكاءه — في مبحث لولاه لم يتنوّر
غرراً أراها في وجوه مباحث — كالشمس لولا فكره لم تُسفر
علماً الى عملٍ أضاف فقل به — ماشئت من مدح ولاتستكثر

وعاد شقيق أهله سليل العلماء السيد عمر أفندي الغزي سعيداً ، إذ جعله من فضله لدرسه معيداً حتى حضر الجدّ الأمجد ، وكان قد دعاه بتحرير منير من (حَماه) الى حِماه . فجعله محله وخلع عليه من سعادة الإعادة أفخر حُلّة . وقد خَدَمَهُ أديب الألبّاء ولبيب الأدباء الشيخ موسى السباعي بكلمة محكمة عام تسع وثلاثين وقدّمها اليه ، فقال رحمة الله عليه :

كُنْ بالصبابة والم الأشواق — وادلج بليلك وأنم ركب عراق
واحضر بقلبك ثم غبْ عن خاطر — وإرادة وإرتم ببيد سباق
ودع السِّوى يُكشف عن القلب الغطا — وتلوم شمس الفتح بالإشراق
وبنار شوقك لنْ فؤاداً قاسياً — واركب مطايا السهد للإلحاق
وإلزم حمى التجريد للتوحيد إن — رُمتَ إرتشافاً من مُدامِ الباقي
واخرج بكلّك عنك في سبل الهدى — تسقى من الآداب والأذواق
واحرق بنار الجهد نفسك وادرع — ثوب إفتقارك وابك بالآماق
وإرتع بروض الذكر تجنِ ثماره — والحق بركب السادة العُشّاق
وارقب مع الأوراد وراد الصفا — بموارد الإمداد والأرزاق
وأحي الفؤاد بوارد الغيب الذي — يدني المريد الى الطريق الواقي
واحللْ بوادي الأنس تشهد مشهد — الأسرار فيك بسرّك المصداق
فإذا إنجلت عين البصيرة أشهدتك — الجمّ فرداً في سما الإشراق
وأدخل بروحك حضرة قدسية — حلّت عن الإفصام بالأوراق
فهناك تمنحك الحقائق كشفها — وتزول حُجُبُ الرّقّ بالإعتاق
وترى إستتار القلب بعد فناك في — شمس البقايا واحد الآفاق
وإخلع نعالك إن حللتَ بحيّ مَنْ — هو في طريق الله أكملُ راق
هو خالد التمكين عارف وقته — ملجأ الرجال بحضرة الإطلاق
النقشبندي الكامل البحر الذي — لذوي الهوى والحبّ أضحى الساقي
هو ذو الحقائق والمعارف والهدى — عين الزمان حديقة الأحداق
بدر المطالع جامع العرفان إذ — يعلوه نور الفضل بالأذواق
شمس بدت للعارفين وأشرقت — بدمشق فهو الطيّب الأعراق
عَقد السلوك المرشد الفرد الذي — فاق الأنام بأطيب الأخلاق
فإستل سيف العزم واقصد حيّه — تنجو به من قاطع معواق
وإصرف له دينار فكرك طالباً — منه الطريق ذخيرة الإنفاق
إيّاك عنه تحيد وأنشِد معلناً — كمن بالصبابة والمُ الأشواق

وقد عارض بها قصيدة أديب هذه الأقطار الشيخ شاهين العطّار ، التي مدح بها حضرة مولانا عامئذ ومطلعها :

روّح فؤادك من رضاب الساقي ... واغرس مرادك في رياض الباقي
واغنم صفا الأيام قبل غروبها ... واحي نياط القلب بالأشواقَ
واسلك طريق العارفين بلا مرا ... وأبري سموم الجهل بالترياقَ
فإذا إستنار حَشاك من شمس البقا ... وبدت لك الأنوار بالإشراقَ
فاشهد جمال مصوّر طول المدى ... واجني ثمار الوصل بالأذواقَ
وأقبلْ على كنز العلوم وحصنها ... الظاهر المعروف بالمصداقَ
إنّ الغرام مقرّه في خالد ... وشعاعه ضاو على العُشاقَ
كالشمس تغرب عند عينٍ حمأةٍ ... وإذا بدت عمّت على الآفاقَ
صور المحامد جُمعت بكماله ... فأنارها بمحاسن الأخلاقَ
مالت له الأرواح منذ ألستها ... وبحبّه سعدت على الإطلاقَ
مافي العوالم حكمة الإله ... شرم كنظم الدرّ بالأعناقَ
طوبى لمن علقت يداه بذيله ... وسعى لحضرته على الأحداقَ
قطر المكارم غيثُهُ من بحره ... وأجازه الصدّيق بالإنفاقَ
يامُظهر القرآن حبّك شاغلي ... عن كل ممدوح وعن إرفاقَ
ولذا أتيتك راجياً بالمصطفى ... وبآله الوافين بالميثاقَ
فامنن عليَّ بنظرة أُغنى بها ... فقراً أذاب الجسم بالإحراقَ
وإسلم ودُمْ تحيي الأنام ببث ما ... ترويه من علم العليم الباقي

وقد ذكرها الجد الأمجد في "البهجة السنية" . ثم سرى هذا البحر براً الى المسجد الأقصى وسار في ركابه سراةُ فضلاء لاتُحصى . فما أقبل على منزلةٍ إلاّ وأنزله أهلها من التجلّة منزلة وهو يفيض عليهم من إكرامه أنهاراً ومن كراماته ما يجعل الليل نهاراً ، حتى إذا دنا من القدس الشريف خرج خليفته الإمام الفاضل الشيخ عبدالله الفردي بموكب منيف لم يتخلّف عنه أحد من أهل البلد . وتلقوا حضرته بالتعظيم وما يُلقّاها إلاّ ذو حظ عظيم . فنزل بمن معه منازل الوحي ومواطنه وأسبغ الله عليهم نعمة ظاهرة وباطنة وقابل أهلها ببركات توجهاته وتوجهات بركاته . وأخبرني الوالد الماجد عن الجد الأمجد عن حضرة مولانا خالد أنه تقدم وقتئذ اليه بعض الواقفين بين يديه بأن يدخل كنيسة القمامة فأبى ذلك عليه ، فقال له الشيخ : إن الشيخ عبدالرحمن الكزبري قد دخل . فقال : عجباً مما فعل إذ هو من المحدّثين وقد سمع قول النبي المختار"مَن دخل كنيسة فكأنما دخل بيتاً من نار" .

ثم أمر بالرحيل الى مدينة الخليل والد الأنبياء العظام عليهم الصلاة والسلام . فإستقبله الكبير والصغير وأجلّهُ المأمور والأمير وتمثّلوا بين يديه وسلموا نفوسهم إليه . فأفرغ عليهم من إحسانه ما أفرغ وسوّغهم من عرفانه ما سوّغ . وبه إليه أنه لما دخل مسجد خليل الرحمن جعل يلتجيء الى الجدران ، فقيل له في ذلك فقال : كلُّ ما تحت المسجد غارٍ إلاّ ماكان محاذياً للجدار .

وإن الجدّ فعل كذلك لما ذهب الى هنالك ولاغرو ، فإن آداب الأولياء أولياء الآداب . ثم إنقلب قَدَّسَ اللّهُ

سرَّهُ الى أهله مسروراً كالشمس ضياءً والقمر نوراً . وبه اليه رضوان الله عليهم أنه نام ليلة عن القيام فرأى السموأل اليهودي في المنام . فلما أفاق ذكر ذلك لبعض عشيره فسأله عنه . فقال في تعبيره إنه إشارة الى أن السموأل كان يُضرب به المثل في حفظ الأمانة وهو يهودي الديانة ، فكيف ينبغي لمن تشرّف بالإسلام النوم عن محافظة أمانة الحق تعالى وهو القيام .

ثم أنّه خرج مع ركب الشام حاجاً الى بيت الله الحرام عام أحد وأربعين وفي خدمته الجمّ الغفير من فضلاء الخلفاء والمريدين مؤيداً من الله عزّ وجلّ بالإقبال والقبول أينما حلّ . فأقبل عليه العلماء والأولياء من أهل الحرمين المحترمين وعرفه أهل عَرَفَه وأجمعوا على محبته وإجتمعوا على قبول طريقته . فكم جَبرَ بنظره الإكسير كسيراً وأجرى في سبيل الله خيراً كثيراً يبشّره بأن له من الله فضلاً كبيراً ، وإستدار جمهور العارفين بقطبه وطاف بالبيت ، بل طاف البيت به .

ورجع هذا البَرُّ من طريق البر وكان مع الركب مَن كتب بحقه من أهل حلب الى ساكن الجنان السلطان الغازي (محمود خان) . فتوسّل أمير الحاج الى الحضرة قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ أن يعفو عنه فقبل توسله ولكن بشرط أن يكتب بخطه أن ماذكره في حقه لاأصل له . فإستسهل الأمير هذا الأمر الخطير وكلّف الحلبي فأبي وأخفق سعي الأمير . ثم لم يزل محمولاً على أجنحة الإحترام حتى وصل الى دمشق فقوبل بغاية الإجلال ونهاية الإحتفاء والإحتفال ، ودخلها بموكب مكوكب منير عديم النظير محفوفاً بالعلماء والوزراء والأغنياء والفقراء للتبرّك به وإلتماس مُجاب دعائه . فكان يوماً مشهوداً وموسماً معدوداً وإستدرّ الشعراء بالقصائد الغراء درّة ، فإبتدرهم بالعطاء بالبِدَر مرة بعد المرة . فمنها ما مدحه به بعض الفضلاء الأعلام مؤرخاً عام وصوله من الحجّ الشريف الى الشام فقال :

كأس الزمان بخمر الأنس قد طفحا ... والعندليب بروض الحبّ قد صدحا
وجاوبته زهور الروض باسمةً ... والدهر أصبح في نيل المنى فرحا
وشمس حسن الهنايا لبشر مشرقة ... وطالع الفتح أهدى للورى منحا
والطير غرّد والأغصان راقصة ... والسعد والى فطبْ بالبسطِ وإنشرحا
أما ترى ساجعات الوِرق صادحة ... فوق الغصون وعُرف الورد قَد نفحا
إن سالمتك الليالي إستلِ عزمك من ... غمد الخمول وكن بالصدق ملتفحا
وأكرع بكأس مُدامٍ طاب منهِلهُ ... وألثُم ثغوراً حُلّت وإستجلب المُلَحا
وأنظر فواصل أرواح النسيم ترَى ... عند المرور لمتن الروض قد شرحا
في دوحة أشبهت راحاً ونحن بها ... والنرجس الغض إذ طَرْفي له لمحا
صدغٌ تنَمنَمْ أو ثغر تنَظَّم أو ... خدٌّ تكلّم أو طرف الرشا جرَحا
وغادة بابي أفدى إذا برزت ... تختال عجباً بأذيال البها مرَحا
إذا بدت أخجلت الضحى وغدت ... تأسو علي مُغرَمٍ من وجدهِ شَطَحا
سألتها الوصل قالت وإنثنت عجباً ... لا كان هذا ولاتغدو به فرحا
إلاّ بمدح الإمام النقشبند ومَن ... به سبيل الهدى للسالك إتضحّا
قد جاء والشام في هرجٍ وفي مَرَجٍ ... فكان خير إمامٍ بالهدى نصحا
الوافي عهد القمع النفس قام وفي ... كفيه سيف الهدى المسلول لابرِحا
فكم أماط حجاباً بالسلوك وكم ... أنار قلباً بميدان التقى صرحا

وكم مـــريـد حـــمــــاه من هواه وكم ... تراه بالحق باب الرشــد قــد فــتــحــا
رعــيــاً لـه من همـام مـسـعف كـرمـا ... بصــدق عـهـد تراه منجـداً ســمــحـا
زُيِّنت به الشـام لمّا حلّ سـاحـتـهـا ... ورَبعـهـا بلقـاه لم يزل فــرحـا
طوبى لكم ســالكي طريق عــهــدته ... كم فـاز بالقــرب صبٌّ أمَّـهُ ونَحـا
إذ لاح يـتـلـو بـإرشـــادٍ دروس هدى ... ومتن منهج قـرب الحق قـد شـرَحـا
هذا ووجـدان وجـدي في مـحـبـتـه ... وكـأس شـوقي الى لقـيـاه قـد طفـحا
لم أنسَ إذ حجَّ بيت الله مـعـتـمـراً ... وزارَ طه وفـيـه كـان منشـرحـا
طوبى لـه هجـرُ الأوطان ممتـثـلاً ... أداء فـرضٍ له الرحـمن قـد سـمـحـا
أهلاً به طاف بيت الله مـعـتـمـراً ... نـال المُنى في منى ثم العُـلا ربحـا
طوبى له بذلُ الأمـوال مـحـتـسـبـاً ... باللّـه لا لثـوابٍ يبـتـغي جُنحـا
بل خـالصـاً مـخلصـاً والحق بغـيَتـهُ ... يرقى العـلا بزناد الشـوق قـد قـدحـا
ونـال من روضـة المخـتـار أملـه ... ولاح في صـدق عـهـد الله مـتـشـحـا
أهلاً به حـينمـا قـال السـلام على ... طه الشـفـيع مـلاذي أنت شـمس ضحى
يـهنيك ذلك يابحـر الهُـداة ويا ... بدر الكمـال كُـفِّـيت الهمَّ والتَّـرَحـا
فـاسلم بأطيب عـيش سـيـدي كـرمـاً ... في الهدى تسمو ومـاطير الهنا صـدحا
مـاقـال صبٌّ لك البـشـرى بحـجـتكم ... تاريخـهـا جلّ فـضل الله قـد صلحـا

وعـاد الى مـا إعـتـاد من الإقـبـال على نفع المسلمين وإحـيـاء شـعـائر الدين وبث علوم الظاهر والباطن وتعميم نفحاته الى جميع المواطن حتى دخل العشر الأخير من شهر رمضان . فطفق يتذاكر مع الإخوان بالذهاب الى القدس وأظهر تمام الإهتمام والأنس ، ووعدهم الى خروج ركب الحاج من الشام ففرحوا ولم يدركوا ما أضمر في النفس :

أراد للقـدس ترحـالاً فكان الى ... حظيـرة القـدس حـقـاً ذلك السـفـر

فظهر الطاعون في شوّال فسألوه إنجاز الوعد ، فقال : مانحن فيه من مصابرة الطاعون خير ثواباً مما ترغبون ، وذكر أحاديث وأخبار في فضل شهيده وجزاء الفارّ منه ووعيده وكثيراً ماكان ينشد :

لـه ملك يـنـادي كل يـوم ... لـدوا للمــوت وابـنـوا الخــراب

وقال له رجل : أدعو الله أن ينجيني منه . فدعا له ، فقال : ياسيدي ولكم أيضاً . فقال : إني لأستحي من ربي أن لاأحبّ لقاءه .

وقـال : ومـاجئنا الشـام إلاّ لأن نموت في هذه الأرض المقـدسـة ، وهذه الشـهـادة إن تمت فـهي السـعـادة الأبدية . فما نشب إن طعن قـرّة عين المريدين نجله سيدي بهاءالدين وتوفي ليلة الجمعة في اليوم الثامن والعشرين من شوّال . فما زاد على أن قال : الحمدلله رب العالمين هذا مغناطيسنا وسنتبعه كلنا . ودُفن في سفح قاسيون المشهور في مكان موات بعيد عن القبور ، وكان سنّه خمس سنين وأيام . وقد أتقن اللغة الفارسية والعربية والكردية وأكثر القرآن . ثم تبعه يوم الإثنين تاسع شهر ذي القعدة الحرام أخوه سيدي عبدالرحمن ، وكان أكبر منه بأكثر من عام . فشيّعه هو والإخوان الى ذلك المكان وأمر وقتئذ أن يُحفر قبره الأنوَرْ وعيّن محله ومحل قبور حرمه الأطهر والخلفاء ، وأن يحوّط عليها بجدار ويُبنى ثمَّ صهريج في مسيل الماء وقال ، أظن أنه سيبنى هنا تكية الفقراء .

ثم نزل فأرسل الى خلفائه وأحبائه وأشهَدهم أنه ؛ كان منذ سنتين من تاريخه وقف كل كتاب يخصّه ثم حرّر على ظهر قاموسه ما نصّه :

"وقفت هذا الكتاب وبقية كتبي لله تعالى على أن الولاية والنظر بيدي أولادي الأرشد فالأرشد ثم أولادهم ماتناسلو ثم بيد صاحبي الأناراني ثم محد الناصح ثم عبدالفتاح ثم إسماعيل أفندي الغزي . ومتى صار واحد من أولادي قابلاً للتولية بعد فَقدْ قابليته يرجع الأمر اليه ويخرج من أيدي الذين سمّيتهم . فإذا إنقرضوا تنتقل التولية والنظر الى أقاربي الأقرب فالأقرب بشرط العلم والصلاح ثم الى أصلح وأرشد وأعلم مَن يوجد من الطائفة النقشبندية الخالدية . ثم الى سائر المسلمين من المخلصين لهذه الطريقة وسائر طرق الأولياء . وقفت تلك الكتب نفيسها وغير نفيسها على مذهب الإمام الـهُمام قبلة أساطين الإسلام إمامنا محد بن إدريس الشافعي المطلبي رضي الله تعالى عنه . فمن بدّله بعدما سمعه ولو في رسالة صغيرة منها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم" .

وكان ذلك سنة أربعين بعد المائتين والألف قاله بلسانه ورقّمه ببنانه العبد المسكين خالد النقشبندي المجددي سومح بالفضل الخفي والجليّ من المولى المهيمن العليّ . ثم أتى لزيارته مساء يوم الثلاثاء نخبة المحققين السيد الشيخ محمد أمين عابدين ، فقال له : إني رأيت في المنام منذ ليلتين أن سيدنا عثمان ذي النورين رضي الله عنه ميت وأنا واقف أصلي عليه . فقال له أنا من أولاده يشير الى أن هذه الرؤية تومىء اليه .

(ثم) لما صلى المغرب أقبل على خلفائه وعترته وأشهَدَهم أنه أوصى بثلث ماله وجعل نظّار كتبه السابقين على التعاقب أوصياء عليه وعلى أنجاله وأنه أقام الشيخ العلامة إسماعيل الأناراني في دست الإرشاد مقامه أمراً ناهياً على جميع خلفائه الأمجاد مَن خالفَهُ فهو مطرود من طريقته .

(قال) أنا مامُتُّ حيث تركت لكم الشيخ إسماعيل . (وقال) أنا أضمَن لكم مَن لازم خدمته وإمتثال أمره أن ينال مالا يحيط به عقل العقلاء ويقصر عنه علم العلماء . وأمر أن لايُبكى عليه ولايُعد شمائله وأن يذبح من أحبه له أضحية وأن يهدى لروحه الزكية القرآن والأدعية ، وأن تُقضى عنه جميع صلواته من بلوغه الى حين وفاته وأن لايُبنى على ضريحه ولايُكتب عليه إلاّ هذا قبر الغريب خالد لتوضيحه .

(ثم) بعد العشاء من ليلة الأربعاء دخل الى الحرم فجمع أهله وأوصاهنَّ وإستبرأ الذمّة من كل حق عليه لهنَّ وأخبرهن أنه يُقبض ليلة الجمعة . ولازلنَ في حديث معه الى أن مضي من الليل خمس ساعات ، قام فتوضأ وصلى ركيعات ثم قال قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ" : إني طعنت الان فلا يدخل عليّ أحد إلاّ مرّة" . ثم إضطجع على هيئة السنة لايُسمع منه تأوّه ولاتوجّع ولا أنّة الى صبيحة يوم الخميس . فدخل الخلفاء عليه وسألهخ الشيخ إسماعيل عن مزاجه فأومأ بيده الشريفة اليه أن يقصر الكلام ولايطيل المقام . ثم قُدِّم له الماء فلم يقبل وأشار اليه أن "أعرضتُ عن الدنيا وأقبلت على الله عزّ وجلّ" . وبقي يذكر الله تعالى حتى سمع مؤذنه الملا عمر أذان المغرب ألله أكبر . ففتح عينيه وقال : "الله حق الله حق . ياأيتها النفس المطمئنة إرجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وأدخلي جنتي" . ثم لحق بالرفيق الأعلى في دار السلام ليلة الجمعة رابع عشرة ذي القعدة الحرام سنة إثنين وأربعين ومائتين وألف وسنّه خمسون سنة سوى شهر ونصف . فحُمل ليلتئذ الى مدرسته فغُسل بالأنوار وكُفِّن بالأذكار بمباشرة كل من الشيخ إسماعيل

والشيخ محمد الناصح والشيخ عبدالفتاح والشيخ محمد الصالح طبق وصيته . ثم أحيوا تلك الليلة بقراءة القرآن حوله . فلما أسفر النهار حُمل الى جامع يلبغا على أنامل الأخيار :

خـرجـوا بـه ولكل باكٍ حـولـه صـعـقـات مـوسى حين دُكَّ الطور

فأشار الشيخ إسماعيل للعلامة الجليل الشيخ السيد محمد أمين عابدين بالصلاة عليه . ولما لم يستوعب الجامع أهل الشام وعدهم الشيخ إسماعيل بإعادة الصلاة عليه عند المقام . ثم رُفع على أجنحة الملائكة الى حظيرة قدسه . ولم يرغب أحد عن تشييعه الى الجبل بنفسه . فأعيدت عليه الصلاة ونزل الى لحده مَن غسله من الخلفاء فواراه :

عـجـبتُ لأيدٍ هالت التربَ فـوقـه ضُحى كيف لم ترجم بغير بنان

ولقّنه بلبل منبره وهَزار محرابه العلامة الملا أبو بكر البغدادي أحد أجلاّء أصحابه .

(وكان) قدّس الله ذا هيبة عظيمة وهيئة فخيمة طويل القامة عظيم الهامة أبيض اللون أحمر الخدين أسود الشعور والعينين أقنى الأنف مديد الحاجبين ذريع الذراعين عريض مابين المنكبين ، كثير شعر الجسد أشد وقاراً من الأسد ، فاخر اللباس لايدع الطيلسان والعصا بين الناس جليلاً مهاباً رحيماً وهّاباً قد وفّى الإرشاد رسومه على قواعده المرسومة لايظهر لأحد إلا لدرس أو ذكر أو عبادة أو عيادة أو زائر من أهل العلم ، لاسيما ذوي السيادة فإنه كان يبالغ في تعظيم آل البيت فوق العادة حتى أخبرنا سيدي الجدّ الأمجد عنه قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ أنه مرّ معه في الدرس ذكر الأشراف مرّة ، فأطنب في مدحهم إطناباً غريباً وأثنى عليهم ثناءً عجيباً ، ثم قال : "لولا ولولا لألّفت رسالة بديعة بفضلهم لم أُسبق إليها أصلاً" . قال سيدي الجد أي لولا مخافة نسبته الى التشيّع اه .

وإنما وضعت لحليته الشريفة هذه الضابطة تسهيلاً للمريدين ، إذ لايجوز إتخاذ غير صورته الشريفة رابطة خلافاً لما يقع من المشايخ القاصرين كما ذكره سيدي الجدّ في "البهجة السنية" واستدلَّ عليه بأدلة قوية ، فارجع اليها إن شئت . وقد إنتدب لندبه أدباء علماء العصر بما ذاع في كل مصر وأحصَرَ عنه نطاق الحصر . فمن أجلّه وأجمله في التأبين ما قاله علاّمة المتأخرين السيد الشيخ محمد أمين عابدين بوّأه الله أعلى علّيين :

أي ركن من الشريعة مالا فرأيناه قد أمال الجبالا
مذ رزئنا بأوحد العصر علماً وبهاءً وبهجةً وكمالا
وإجتهاداً وطاعة وصفاء وسخاء وعفةً ونوالا
هو بحر العلوم شرقاً وغرباً ويميناً وقبلة وشمالا
فإذا عنَّ مشكلٌ كلَّ عنهُ كلُّ شهم يحلُّ عنه الشكالا
مذ تجلّى سناه فينا أرانا كل بدر وقت الكمال هلالا
وسقى أهل عصره كأس قربٍ وحساهم منه الرحيق الزلالا
هو قطب عليه دارت رحى العرفانٍ وهو الفريد قالاً وحالا
هو شيخ السلوك مَن نالَ هَدياً من سناه فقد تزكّى فعالا
ولعثمان ذو الحياء وذي النورين صحّ إنتسابه إجلالا
وبه إزدان ديننا وطريق النقشبندي زاد منه جمالا
مارأينا كعلمه وتقاه ولجدواه مارأينا مثالاً

دمثُ الخلق لم يكدّر صفاه … جاهل رام منه شيئاً محالا

كثرت حاسدوه فازداد هدياً … مذ أشاعوا الردى وزادوا إضلالا

ورموه بالإفك ظلماً وراموا … ذلّه مذ رأوه فاق خصالا

فتغاضى عن القبيح وأبدى … مَا به زاد رفعةً وجلالا

أيظن الحسود يطفيء نوراً … قد أراد الإله أن يتلالا

دأبه نشر حكمة وعلوم … كم به مُبْعَدٌ تقرب حالاً

كعداد النجوم أتباعه في … كل قطر به صفوا أعمالا

كم له من خليفة زاد قرباً … وامتطى في التقى مقاماً تعالا

كم مسجداً عيد سناه … واكتسى من جماله سربالا

ولَكَم عالَ عاجزاً وفقيراً … فقضى من نواله آمالا

ولكم حاز خصلة قد تسامت … دونهم النجم في علاه منالا

ومزايا إذا أردت عداداً … لقلّ منها فلست تحصي الرمالا

قد أجاب الإله لما دعاه … ولدار النعيم دام إنتقالا

فبكته العيون دمعاً غزيراً … فكأن العيون أضحت ثكالى

خالد القطب إن يزل فهداه … خالد في الأنام ليس مزالا

فعليه من المهيمن رحمى … كل حين على ثراه توالى

ماسرى في الضمير ذِكر خفيّ … وإرتضاه سبحانه وتعالى

وقد شطرها العالم الفاضل الشيخ داود البغدادي النقشبندي تشطيراً لطيفاً مطبوعاً في ذيل رسالة "سلّ الحسام الهندي". ومن ذلك القصيدة البهية التي أوردها سيدي الجدّ في بهجته السنية ومطلعها:

ماللجبال الراسيات تميل … ماللبدور يرى بهن أفول

ماللظلام يجر ذيل ردائه … فوق الضياء فلم يقله مقيل

ومُخدرات الحي تنثر لؤلؤاً … من دمعها فوق الخدود يسيل

والورق أكثرت النواح مخضباً … كف البطائح دمعها المهمول

والدهر ألبس أهله حلل العنا … وعلا رياض الشام منه ذبول

والحزن قام على منابر حينا … أبداً خطيباً لايكاد يزول

والأرض ترجف والنوائب أدهمت … والبين يهجم والخطوب تجول

هذا مصاب ليس يحدث مثله … تالله كم دهشت لديه عقول

ماذا بدا في الكون ياأهل النهى … هل مخبر عني الشكوك يزيلُ

هل كان يوم الصعقة الأولى وهل … دَهَمَ الورى بالصور إسرافيل

أم زلزلت تلك القيامة وانطوت … حُجُب الحياة وعاجل التهويل

أفصح لنا عما بدا ياذا الحجا … فغدا لسان الحال عنه يقول

قف وإنتبه ماقد بدا فيما إستوت … فيه الخلائق عالم وجهول

قَد مات كهف العلم سلطان التقى … حَبرٌ له المعقول والمنقول

سند السيادة والرياسة للورى … قاصٍ ودانٍ فضله مأمول

صـــــدر المجـــــالس إن بـدا فـكـأنـه
النـعــمـــان يروي عن عـطا ويـقـــول

بـحـــر أفـــاض علـى الورى مـــدراره
فـــروى العطاش زلالـه المعـــســـول

وتـفـــجّـــرت منـه يـنـابيـع حـــلا
مـنـهـــا لـوُرَّاد الهـــدى التـــعـليـل

بكت الـعـيـون على فـــراقك سـيــدي
وبـكـاؤهـا لـك بـالـدمــــــاء قـلـيـل

وافـى الضـــيـــاءالـدين بـدر زمـــانـه
قـطـب الـوجــــود ولـلـعـــــلا إكـلـيـل

عـند المليك الحيِّ قـــد أضـــحـى لـه
في مـقـعـد الصـدق الأجلِّ مَـقـيـلُ

هيـــهـــات أن يـأتي الـزمـــان بمثـلـه
إن الـزمـــــان بمـثـلـه لـبـــــخــــيـل

ياخـــالداً فـي حـضــرة الـقـدس الـتي
كم طاح دون فنائهـــا مــقـــتـــول

أدنـــاك ربـك مـــنـــزلاً تـــرقـــى بـــه
فـلـك الشــــهـــود وكم بذاك نـزول

وأبـاح روحـك حـضـــرة قـــدســـيـــة
عـنـد المهـــيـــمـن مـــالهـــا تـبـديل

وأنـام ســحـب الفـــضـل تـهطل دائـمـاً
بـفـنـاء رمـــــــسـك لاتـكـاد تـزول

مـــاقـــال إسـمـاعـيـل يرثي سـيـداً
مـــاللجـــبـــال الـراســيـــات تميل

ومن ذلك القصيدة الجميلة التي شرحها العلامة المفسِّر محمود أفندي الآلوسي مفتي بغداد للسيد محمد جواد السياه پوشي رحمه الله تعالى :

خـدين الـهـوى خف الخليط المعـاضـد
وأطلال أحـــبـــاب هويت هـوامــدُ

مُـعـــاهدهُم عــاف القـطبين قــراره
لديهـا وحـاكـتـهـا الحمام الفـواقـدُ

وأقــوت عــراص الأنس منهـا كــأنما
ألمّت بـهـــا بـعــــد الأنيس الأوابـدُ

وإن أصــبـحـــا با ألفت إصطحـابـهم
خلت منهم بالأبـرقـين المعـــاهـدُ

تــطـــارحـــك الأرزاء فـــي كـــل آنـــة
بفن ولاســفن الرحـــيل رواكـــدُ

نـذير الـفـنـا وافي نـفــــسك لـم تكن
لتــفنى وأحكام الـقـــضــا نوافـــدُ

لئن هتـفـت ورقـاء سـعـدك بالمنى
فلم تنف عن حـدٍّ الـحـتـوف الحـدائدُ

هو الـزمن العـادي وصـــارمـــه الردى
وأجـــالـنا لـلحـــدِّ منه مـــغـــامـــدُ

ترثُّ ثيـاب العـيش فـيـه كـمـا ترى
وأثـواب أعـــمـــار الخطوب جــدائدُ

زمـــــــان بـه زهـر الـلـطـائـف ذابـل
ودهر بـه ســوق المعـــارف كـــاســدُ

عـقـدت الحـبـا في حـبك اللهـو غـافـلاً
عن المقـصـد الأسنى وسـعـيك قـاعـدُ

تروم الـغنى فـي غــفـلـة بعـد غـفـلة
وصـرف الـردى في حطِّ قـدرك جـاهدُ

يـخـــاتـلـك الدهـر الغـــشـــوم بمكره
وجـــهـلك يـقـظـان وطرفـك راقـــدُ

نـظرت بـآل الـلـه ســــوء صنيـــعـــه
وعـــايـنت مـن أهوالـه مـــانكـابـدُ

أثـار جــــوى الأعــــلام أعــــلام دينـه
بوقـع له الســبـع الطبـــاق رواعـــدُ

مـصـاب رئيـس الـعـارفـين عـصـامـهـا
ومـرشـدهـا إذا أعـوزتهـا المراشـدُ

تهــدّم بـيـت الدين بعــد عـــمـــاده
ومـــادت بـنـا أركـــانـه والـقـــواعـــدُ

أمَّن بـعـــده يحلو الـوصـــال لعـــاشق
بحـضــرة قـدس وهو للشـيـخ فـاقـدُ

ألا مَنْ مـــغـــيـثُ الســالكينَ إذا كَـــبَتْ
وزلّت بـهم أقـــدامـــهم تـتـــمـــايـدُ

ألا مَنْ لـتـــدريس التـــصـــوّف بعـــدهُ
يـفـيـد ومـتـى تخـفـى هنـاك الفـوائدُ

ألا مَن لتلقين الأوامر بعده	يلقن أن يسهو لذكر حافدُ
ومَن قدوة التعريف والكشف بعده	ومَن لأباليس المخائل طاردُ
ومَن لإمارات الشهود ورمزها	وغامضها إن جاء ينشد ناشدُ
ومَن يرعَ في عين العناية وهو في	مراقبة والذكر من ذاك خامدُ
يسوس بأشخاص المريدين حيثما	بدت قبسات تنجلي ومشاهدُ
رأينا عظيم الهول في خطبه كما	رأت بشرها في الخلد منه الخرائدُ
بذا قضت الأيام مابين أهلها	مصائب قوم عند قوم فوائدُ
دعاه لصقع القدس مولاه عنده	فلبّاه سراً وهو إيّاه قاصدُ
نحّاه ولا ينحو سواه لأنه	اليه به منه عليه لوافدُ
وما أمَّ غير الله مدة عمره	وحاشى وما للغير في السير عائدُ
مراحل لم يستقصها قطّ ناسكٌ	سواه ولا يرقى لها قطّ زاهدُ
نفى ظلمة الشرك العميم وقد محا	غياهبه كيما تصحُّ العقائدُ
بصيرته القلبية إستنهضت به	الى سبل للسير فيها مراصدُ
تقرّب من قوس الصعود حمى فلا	يقاس به إلاّهُ والله صاعدُ
وشاهد من شمس الحقيقة مشرقاً	يذوب بسيماه الحصى والجلامدُ
ومابدليك الأن ترعاه نسبة	أجلّ بطريق اللمّ للعلم حاشدُ
ومانافع دين العجائز لإمرىءٍ	بمرئى نهاه للجمال يشاهدُ
أمير رياضيات النفوس وإن منٌ	أساطينها تلقى اليه المقالدُ
عليه رحى العرفان دارت لأنه	هو القطب والأبدال فيها فراقدُ
فتى قصده عرفان باريه هل ترى	تقوم به أبياتنا والقصائدُ
فيا كهف أبناء الطريقة والذي	تكفّل في إرشادها وهو والدُ
سريت من الناسوت حزماً وهمة	الى ملكوت عنده الملك خالدُ
مقامك جمع الجمع فيه لأنه	مقام به للأكرمين مقاعدُ
بعيداً يراه الجاحدون وإننا	نراه قريباً لا يرى الحق جاحدُ
وجانبت أهل التيه والغي والعمى	بنور يقين صحّ إنك ناقدُ
لعلمك أهل الحال عقبى ومآلهم	وصال وأهل القال طراً أباعدُ
نحوت بلاد الهند تكتسب العلا	بتكميل نفس للتروّ حن رائدُ
أخذت طريق النقشبندية التي	بدقتها تعيا الفحول الأساودُ
فعادت تباهي للطرائق إذ غدت	لها صلة من ذا الجناب وعائدُ
بنفسي سيّام الأقاليم طالباً	لمرضاة مولاه بحق يجاهدُ
وما عامَ في بحر السلوك موحّدٌ	كما عُمتَ فيه وإعترتك الشدائدُ
وخضت بأصناف العلوم مكملاً	نُهاك ولم يردعك عن ذا حائدُ
ولم ترض في علم التقشف راغباً	بجوهر علم تبدو منه والفراقدُ
وماظاهره يختاره ذو فطانة	على باطن إلاّ جهول معاندُ
وما القشر مثل اللب يدرك كنهه	أخو اللب لامن حظه متقاعدُ
لحى الله خبا خامر الوهم عقله	بليد جنان في الطبيعة جامدُ

تعــرض للإنكار فــينا بجــهله	ولـم يُجِـــدِهِ الإنكـار والحق شـــاهدُ
ألا أصلح الله العــبــاد وشـــأنهم	وأنهـجــهم في الصــدق مــازاد زائدُ
قـد إبتـهـرت آراؤنا فـيك مـثل مـا	بك إنتـشـرت بين الأنـام المحـامـدُ
دعــوتَ الى الذكـر الخــفي وأنه	لأفـضلُ ذكـر الـله فـيـه المقـاصـدُ
لسـيـدنا عـثـمـان أصلُكَ ينـتـمي	فــأكـرِم به أصـلاً نمتــه الأمــاجـدُ
هو الحسب الوضّام والشرف الذي	فـضـائل ذي النورين فـيـه شـواهدُ
لبــاذخ هـذا الفــضل لقّــبكَ الورى	بحق ضــيــاءالدين والإسم خــالدُ
ومن أجل ذا كُنيت ثُمَّ أبو البــهــا	بهــذا صــفت للســالكين المواردُ
أجـــادَ يراعي في الرثـاء وإنـني	الجَـــواد ولايرقى لما أنا واجــدُ
بكاك بعين الرفق كل مـــوحــد	لأنك فـــرد في الكرامــة واحــدُ
ولما هويت الحق قلت مـــؤرخـــاً	هوى لـلقــاء الحق في القـدس خـالدُ

(سنة ١٢٤٢هـ)

وفي رسالة حصول الأنس بإنتقال حضرة مولانا الى حظيرة القدس لإسماعيل أفندي الغزي :

رزء ألمَّ بذي النُهى ومصـيبـة	عـــمّت بموت الحبر محيي السُنَة
روم الروى نادت لفقـد دوائـها	أرّخ طيبي خـالد في الجنـة (سنة١٢٤٢هـ)

وعند كتابي في هذا المجال ورد عليّ هذه الأبيات فأثبتّها في الحال تبركاً بخدمته نفعنا الله ببركته :

آه لكـن كـــــيـف يكـفي	ألـــف آه أو ألـــفُ ألـــف
مــارثى حـضــرة مــولانا	ولا بـــالمـــدم وفّـــي
مــاالذي يُدعى به غــوث	الــورى ممــا يـــوفّـــي
أي نـظـم أنــثــــــــر	أي مــــــــدم أي وصـف
مــــــبلغ العلم به إن	شــئت عنه بعض كــشف
مــايقـــول العــبـــد أرِّخ	خـــــالد قطب توفي (١٢٤٢هـ)

ولم أقف له قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ مع تنقيري في آثاره غير مرة على كلام في الحقائق أو الرقائق . ولعله كان جُنيدي المشرب أو صدفه عنه كثرة ما صادفه من العوائق . وأما مكتوباتـه القدسيـة فهي إما في آداب الطريقة العلية- وقد ذكر بعضها الجدّ الأمجد في "البهجة السنية" وطبع جزء منها في دمشق الشام مع عقيدته الإسلامية- وأما في المسائل العلمية النادرة وهي أيضاً غزيرة وافرة . فمن ذلك باللغة العربية ماك تبه الى بعض خلفائه في بغداد ، فقال :

"بسم الله الرحمن الرحيم . الحمدلله وكفى ، وسلام على عباده الذين إصطفى . من العبد الساعي في هلاك نفسه ، الملتهي بشغل يومه عن جزا غده وذنوب أمسه خالد الى مخاديمه السيد السيد عبدالغفور والملا محمد الجديد وموسي الجبوري . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد . فأوصيكم وآمركم بالتأكيد الأكيد بشدّة التمسك بالنسّة السنية ، والإعراض عن الرسوم الجاهلية والبدع الردية ، وعدم الإغترار بالشطحات الصوفية وترك تصحب العوام المسمّين أوباشاً بالترجّي لهم عند وزير أو أمير أو باشا ، لأنه ينجر الى إتهامكم بما يشين . وإذا تَعارضت المفسدتان فارتكاب أهونهما لازم والسعد مَن

إتعظ بغيره . فلا يوهمنّكم أن قضاء حاجة الإخوان من أعظم العبادات ، لأنه مخصوص بما إذا لم يتولد منه ماهو أكبر منه . ولا تتداخلوا مع الملوك والأمراء والأغوات وأعوانهم . فإنكم لستم ممن له قوّة إصلاح هؤلاء ، ولاتغتابوهم ولاتسبّوهم بَطَراً وغروراً إنهم ظلمة أنتم صلحاء . فإنه عجب وجهل . إذ ما منا أحد ليس بظالم ، بل عليكم بالدعاء لوليّ الأمر وأعوانه بالتوفيق والإصلاح . فقد روى الطبراني في معجميه الكبير والأوسط بإسناده أنه صلى الله عليه وسلم قال : "لاتسبّوا الأئمة وادعوا لهم بالصلاح فإن صلاحهم لكم صلاح" أه .

"ولاتُدخلوا الطريقة بعد هذا اليوم أحداً منهم ومن أعوانهم ولا من التجار المتفكّهين بالدنيا المنهمكين في الشهوات ، ولا من العلماء وطلبة العلم الذين جعلوا العلم وسيلة الجاه عند الخلق وجمع الحطام ، ولا من البطالين الذين يستندون الى الطريق بسبب البطالة فيحملوا أثقالهم الى رقاب الناس بإسم الصلاح والإرادة ، ولا من الذين إذا تيسّر لهم رتبة من مناصب الدنيا وثبوا اليها وثبة النمر ، وقد كانوا يغضبون إذا تساوى بهم أحد من الخلفاء فضلاً عن غيرهم من المريدين ، ولا من الذين يريدون الخلافة ليشتهروا لما رأوا أن بعض الناس صارت لهم الشهرة وجمع الفلوس بسبب الخلافة .

(واعلموا) إن أحبّكم اليّ أقلّكم إتباعاً وعلاقة بأهل الدنيا وأخفّكم مؤنة وأشغلَكم بالفقه والحديث . وقد ورد في بعض الأحاديث –ماإزداد رجل من السلطان قرباً إلاّ زاد من الله بعداً ولاكثرت أتباعه إلاّ كثرت شياطينه ولا كثر ماله إلاّ إشتدّ حسابه– وحينئذ لم يبقَ وجه للميل الى تكثير السواد بهؤلاء إلاّ الطمع وحبّ الشهوة والجاه وأخذ الدنيا بالدين . وجميع هذه النيات فسادها غنيٌّ عن البيان . ولايخدعكم الشيطان بأن فائدة الخلافة وقدرة إلقاء الجذبات إيصال النفع الى الخلق وبأنكم إذا كثرت أتباعكم تيسّرت لكم الختوم القرآنية كل يوم . لأني تركت لكم الطلاب الصادقين الذين لايتصفون بشيء من الذمائم المارة ، وهم وإن كانوا نادرين لكن واحداً منهم أحسن من ألوف من الطباليين . وختم القرآن يكفيه نحو ثلاثين مريداً مع إنه يمكن بالمخلصين من الجيران وإن لم يتيسّر فلا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها . وليُترك تردد النساء الى بيت عبيدالله أفندي للتوجّه . فإنه لخروجه عن الطريقة ودخوله فيما دخل بطوعه صار له هبوط عظيم . وسادة هذه الطريقة لايُتلاعب بهم وأمر عبيدالله بسبب وقوع الخلافة عليه وزعم كونه أقدم من غالب الخلفاء لايشبه أمر الذي دخل في الطريقة وهو من أهل الدنيا . ولا الذي لم يدخل وهو من أهل الدنيا من المحبين ، كأخيه المرحوم طاب ثراه أئمة هذه الطريقة والمريدين بأدنى إنصراف بعد هذه الإرادة فضلاً عن الخلافة . فراجعوا الرشحات عند رد إمام الطريقة بهاءالدين النقشبند وعبيدالله أحرار لبعض مَن إستأذن للحج أو قبل التدريس في بعض المدارس من المريدين . فإن خالفتم فلستم على عهدي وأنتم تعلمون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

أضعف العباد خالد النقشبندي" .

ومن ذلك ما كتبه في بيان مقر أرواح الأنبياء عليهم السلام في البرزخ ، فقال :

"بسم الله الرحمن الرحيم . الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد . فقد ورد مرسومكم الناطق بأنه وقع الخلاف بين السادة الموجودين عندكم بأن أرواح الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام أين تكون في هذا البرزخ ، هل هي حالّة في أجسادها المكرمة كما كانت في الدينا أم في أعلى عليين أم غير ذلك ؟ فما تحرر الأمر فطلبتم التحقيق من

العبد المسكين . فيقول وبالله التوفيق ؛ الأدب أن لايُعيّن مقر معين لأرواح الأنبياء صلوات الله تعالى وتسليماته عليهم وعلى آلهم وصحبهم أجمعين . فلا يُعتقد أن في عالم الإمكان من السموات والأرضين بقعة تخلو عن مدد روحانيتهم عموماً وخصوصاً روحانية سيدهم وخاتمهم خصوصاً . بل يجب إعتقاد أنهم أحياء وأجسادهم في قبورهم وحياتهم فوق حياة الشهداء يصلون ويحجون ويلبّون ويقرؤن القرآن ويسبحّون تلذذاً بطاعة الله تعالى ويزيدهم الله تعالى بذلك من فضله . فلا يرد أن الآخرة ليست دار تكليف لإحتمال حياة الجسم بدون الروح- كما هو المقرر عند أهل السنة . ولاينبغي التصريح بأن حياتهم فيها كحياتهم في الدينا ، ولا بأنها بمقارنة الروح للجسد - وإن جاز ذلك لإحتمال حياة الجسم بدون الروح كما هو المقرر عند أهل السنّة- لأن الروح عندهم من الأسباب العادية كالشراب والطعام للري والشبع . فالله تعالى خلق تلكم المسببات بلا هذه الأسباب . فيجوز كون أرواحهم في أجسادهم وأجسادهم في قبورهم . ويجوز كونها فيها وهي متنعمة بَسَيرانها في الملك والملكوت على طريق خرق العادة ، ثم تعود الى قبورهم متى شاء الله . ويجوز كون أجسادهم أحياء في قبورهم بلا أرواح كما تقدم ، والأرواح حيث شاء الله وكون أرواحهم في أعلى علّيين أو في الرفيق الأعلى أو في الفردوس أو غير ذلك مما تدل عليه الأخبار الصحيحة . لايقتضي كون هذه المذكورات مقر لها مخصوصاً أما لجواز إنتقالها من حال الى حال ومن متنزّه الى متنزّه . وأما لأن للروح شأناً غير شأن البدن ، فتكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة بالبدن . وإذا سلم على البدن ترد الروح السلام وهي في مكانها هناك ، كما قال إبن القيم الجوزيّة في كتاب "الروح" ، واقره في كتاب "المنجلي في تطور الوليّ" . وأما لأن الكمّل -حتى بعض الأولياء- يمكّنهم الله تعالى من التصور بصور عديدة بحصر أو بغير حصر ، وقد يكون لهم صورة واحدة تملأ الكون .

ويظهر بالكشف أحياناً أن السموات والأرضين والعرش والكرسي مملوءة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرّم ، ومنه يظهر إنحلال كون سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم رأى ليلة المعراج سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام عند الكثيب الأحمر يصلي في قبره ، ثم رآه في الأقصى إقتدى به مع الأنبياء ثم في السماء السابعة أو غيرها مع جماعة من الأنبياء في السموات ، فكلّمه في أمر الصلوات ومراجعة ربه- وهنا أحاديث ضعيفة باطلة تدلُّ على خلو قبره صلى الله عليه وسلم عنه ظاهراً مطلقاً أو بعد ثلاثة أيام أو بعد أربعين يوماً- إغترّ بها بعض الناس لايجوز التعويل عليها . لأنها مع ضعفها أو تأويلها لاتعارض الأحاديث الصحيحة الدالة على بقاء الأنبياء في قبورهم ، كحديث "أنا أول مَن تنشقُّ عنه الأرض" ، وحديث "نُقل يوسف من قبره بمصر الى مقبرة آبائه الكرام بأرض الشام" عليهم الصلاة والسلام في البدء والختام" .

(ومن ذلك) ما كتبه رضي الله عنه الى عبدالله باشا والي عكة إذ طلب الدعاء بالذرية منه :

"بسم الله الرحمن الرحيم . من العبد المسكين الى خادم الفقراء وخيرة الوزراء لازال بعين الرعاية محروساً وبنيل المآرب مأنوساً ، آمين . أما بعد . فقد بلغني مرسومكم الحاوي لشدة الإعتقاد والمبالغة في الإستمداد لطلب الذرية لكم . أما الدعاء فقد صدر مني مراراً وأما الهمّة فلست من أهلها ولَئن سلم فلا تُستعمل الهمة إلاّ بعد ظهور أن المطلوب قضاء معلّق . والى الآن ماتبيّن أن مطلوبنا كذلك لعمى بصائرنا بسبب البِدَعْ والشُبُهات . ولايجوز إعتقاد أن القضاء المبرم يُردُّ بهمم الأنبياء فضلاً عن

الأولياء . وكل مايُردّ فهو معلّق وإن لم يظهر تعليقه في الوحي والكشف . بل لا ردّ مطلقاً إذا المقضي في صورة وقوع شيء وقوعه وفي عدمه عدمه ، لأن معنى إبرام وقوع شيء مثلاً إحكامه والقطع بوقوعه بحيث لايردّه أحد ولايصرفه صارف . فإذا فُرض أنه يردُّه لزم مُحالات : أحدها ؛ عجز الباري تعالى حيث أبرم شيئاً ونقضه غيره . وثانيها ؛ الكذب في كلامه النفسي لأنه قال تعالى في نفسه في الأزل هذا الأمر سيقع حتماً وإلاّ لما كان مبرماً مع إن الغرض عدم وقوعه . وثالثها ؛ الجهل لأنه تعالى تعلّق علمه بأنه لايردّه ووقع خلاف ماعلمه تعالى وتقدّس عما لايليق بجنابه الأقدس . لايجوز تعلّق إرادة الباري تعالى بنقض ماأبرمه إذ الإرادة لاتتعلق بالمحال الذاتي ، كما تقرر في علم الكلام . وكل مايستلزم نقصاً عليه تعالى فهو مُحال ذاتي .

(ومايُحكى) عن بعض أصحاب الغوث الأعظم الكيلاني إن الله تعالى ردّ له مبرم القضاء فغير ثابت بهذا اللفظ . وثبوته وهو الشائع فالولي يُعذر في نطقه بغير المشروع لسكره ومحوه ولايجوز تقليد غيره له بشعوره وصحوه ، ولايسقط التكليف إلاّ عمن سقط عنه شرعاً . وأيضاً الخطأ الكشفي كالخطأ الإجتهادي يُعذر صاحبه ولايُقلَّد فيه . ومَن لم يُجوّز الخطأ على الأولياء لم يفرّق بين النبي والوليّ تماماً . وأيضاً قد يُكتب في اللوح المحفوظ أمر من غير تعليق ، فيظنه بعض أهل الكشف مبرم لعدم رؤية تعليقه له في اللوح . وماوقع للغوث الأعظم قدّس سرّه الأقوم من القسم الثاني ، وقد وقع لغيره من الأولياء أيضاً . وكما يجب التحرّز عن إنكار الأولياء يجب التحرّز عن الغلوّ في الإعتقاد بهم بحيث يؤدي الى خلل في فرض العقيدة . وهذا كثير من المفرطين في حسن الظن بالأولياء والشيطان ذو مكر ومكيدة . وإذا أراد الله بأحدٍ أن يأخذ حظاً من فيض شيخ يظهر عليه كما قال ذلك الشيخ فوق ماهيته . فلا ينبغي الإصغاء الى قول إسماعيل فين .ا فوالله أنا دون مايعتقد هو فيّ بكثير ولاينبئك مثل خبير إنتهى" .

(ومن ذلك) ما كتبه الى العلامة الشهير والوزير الكبير والي بغداد يومئذ داود باشا رحمه الله تعالى :

"بسم الله الرحمن الرحيم . سلام يفوح منه فوائح تُستطاب ودعاء يُنال به الفوز والفلاح في المبدأ والمآب . وغالب الظن إن شاء الله بظهر الغيب مستجاب . من العبد المسكين والفقير المستكين الى حضرة الوالي الراقي مراقي المجد والمعالي ، المشهود له بالهمم العوالي والإنعام المتوالي ، النحرير العَلَم صاحب السيف والقلم أيده لله لحماية الأنام ومنّ عليه بحسن البداية والختام . أما بعد . فقد وصل مكتوبكم الصادر عن مصدر الجلالة والصدارة ، الوارد من مورد الأيالة والوزارة الى فقير إن حضر لايُلتفت اليه بالفحص والسؤال ، وإذا غاب لايُخطر من قلة خَطره على البال مصحوب قرّة العين منظور سادة الطريق النقشبندي ، أعني ولدنا الأصغر صبغة الله أفندي . فإستحسنّا هذا الصنيع الناشيء من القدر الرفيع والمقام المنيع مع هذا العبد الوضيع . وكيف لاتُستحسن المبادأة بالتواضع من الملوك ، ولاسيما بالنسبة الى الفقير الصعلوك . ولعمري إن التفقد عن أحوال مثلي من أمثالكم لحريّ بالإستغراب . وحضور هذا المسكين الخامل ببالكم مع الإرتداء برداء الوزارة لشيء عجاب ، رفعكم الله بهذا التواضع وصانكم عن التكبّر ورقاكم بفضله يوماً فيوماً في مراقي التمكن والتصدّر . فالتواضع من أرباب المُلك شرف وزين ، والتكبّر حُفظتم عنه سَرَفٌ وشين . ثم لايخفى على الجناب العالي أن صلاح الملوك حلاّكم الله بالصلاح صلاح البرايا ، وفسادهم خلاّكم الله عنه فساد جميع الرعايا . وقد ورد الأمر بتعميم الدعاء . فلا جَرَمَ أن شيمة الفقراء الإعتناء التام بالدعاء للوزراء الكرام وسائر الإسلام ولو بلا

تبليغ وإعلام . فعلى مقدار صدق نيّتكم وتعلّق همّتكم برعاية الأنام وحماية الأرامل والأيتام لكم الإنتظام في سلك الدعاء العام ونخصكم إنشاء الله المهيمن المنعام بعد هذه الأيام إمتثالاً لأمركم ، وأداء لجزاء مالَكُمْ من الأنعام . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته في البدء والختام" .

(وأما باللغة الفارسية) فهي كثيرة جداً جداً لايسعني أن أحصيها عداً .

(وله) قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ من المؤلفات حاشية نفيسة لم ينسج على منوالها الخيال في علم الكلام وحاشية على "النهاية" للعلامة الرملي في فقه الإمام الشافعي الى باب الجمعة ؛ أبرزَ فيها من عرائس تحقيقه ونفائس تدقيقه مايُبهر عقول الفحول ، وحاشية على "جمع الفوائد" من كتب الجديث تكتب بماء الذهب قد جرّدتها بخطّي ، فجاءت مجلدا لطيفاً ورسالة عجيبة سمّاها "العقد الجوهري في الفرق بين كسب الماتريدي والأشعري" وهي مطبوعة في دار السلطنة العلية . ورسالة في الرابطة في إصطلاح السادة النقشبندية تشهد بفخامة قدره . وشرح قبل ذهابه الى الهند مقامات الحريري شرحاً لطيفاً لكنه لم يكمّل . وله شرح على حديث جبريل جمع فيه عقائد الإسلام إلاّ أنه باللغة الفارسية ، وحاشية على "تتمة السيالكوتي" لحاشية عبدالغفور اللاري على شرح العارف الجامي على كافية إبن الحاجب في علم النحو قبل سفره الى الهند . وشرح على "العقائد العضدية" و"جلاء الأكدار و"السيف البتّار بالصلاة على النبي المختار" ذكر فيه أسماء أهل بدر على حروف المعجم وتوسّل بهم على طراز لم يدركه مَن تقدّم . وله تعاليق كثيرة على كتب العلوم وديوان فارسي بديع ونثر يفوق أزهار الربيع ومكتوبات كثيرة إجتمع عندنا منها نحو مائتين ، غير أن أكثرها فارسي وغير ذلك من الرسائل المفيدة والأثار الحميدة .

كراماته وإكراماته

هي باهرة كثيرة كالشمس في الظهيرة ، منها :

ما ذكره في "المجد التالد" أنه قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ نظر الى بعض النصارى وهو يمشي في الطريق مرة . فصاح النصراني صيحةً عالية وتبع حضرة الشيخ الى الزاوية وأسلم وسلك في طريقته وصار من أهل الحضور ببركته .

(ومنها) أن رجلاً من المُنكرين في بغداد إجتمع عليه بعض الأوغاد وعملوا حلقة كحلقة ذكر الحضرة إستهزاءً به قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ . فلما تقدم ذلك الرجل توجه الى جماعته السفهاء على وجه الإستهزاء جُنَّ من ساعته ورمى ثيابه وخرج هائماً كما ولدته أمّه الى الصحراء . وكان الشيخ قدّس سرّه إذ ذاك في صحاري بغداد يتنزّه مدة أيام مع خلفائه الأمجاد . فجاء أقارب المجنون يتضرّعون اليه ويبكون . فأمر بإحضاره ثم قال رضوان الله عليه لأحد خلفائه : إذهب وتوجّه اليه ولاتشك أنه يفيق . (وكان قد خطر ذلك على قلبه فعلم أنه كوشف قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ به فجعل يقبل قدميه) . ثم أتى المجنون فتوجه اليه فأفاق من ساعته وإستغفر الله تعالى من جنايته وتبرأ من جماعته .

(ومنها) أن الطائفة البرزنجية الذين هم أكابر بلدة السليمانية قد أجمعوا على قتل هذا المرشد وإنحطّ رأيهم أن يكون ذلك يوم الجمعة على باب المسجد . فلما كان يوم الجمعة حضر الى الصلاة وخلفاؤه معه . فلما قُضيت الصلاة خرج الخلفاء فرأوا زهاء مائتين من الأعداد وقوفاً بالأسلحة صفوفاً فما زالوا منتظرينه حتى خرج أخر الناس بالسكينة . فالتفت إليهم بعين الجلال ، فمنهم مَن سقط في الحال ومنهم مَن هرب ومنهم مَن صاح وإنجذب . ثم مشى مع جماعته حتى وصل الى زاويته ولم يتعرّض لهم أحد لابلسان ولا بيد .

(ومنها) مانقله فيه عن الأديب الفاضل عبدالباقي العمري الموصلي رحمه الله تعالى : "أنه قدم بغداد في بعض المواد فتأخر إنقضاء مادته مدة حتى نفد جميع ماعنده . فبات ذات ليلة في غمٍّ وهمٍّ من قلة الدينار والدرهم حتى نام فأفاق وقد إحتلم . فتألم كل الألم وقال للخادم : إني أصبحت لا صلاة ولا دراهم . فقال الخادم : إني أراك تتردد على حضرة الشيخ خالد قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ ، فإن كان شيخاً حقيقة كوشف بذلك وكشف بعطائه ضيق حالك .

قال فما مضت برهة يسيرة إلا وجاءني أحد خدّام الشيخ بمنديل أبيض فيه دنانير كبيرة . فأسرعت بالقيام الى الحمام ، ثم أقبلت اليه فقبّلت قدميه . فأمرني أن أجلس فجلست بين يديه ثم أنشأت وأنا في المجلس بيتاً ظاهره غزل وباطنه لغز في لفظ أفسنتين (نبات يوجد في الجبل) فقلت :

بان لام العذار من ألف القد فتمّ الوصال في عامين

فقبل أن أتمّ قراءته قال لي عبدالباقي الأفسنتين في جبال العمادية كثير . فقمت وقبّلت قدميه ثانياً وعلمت أن سرعة هذا الإدراك ماهي إلاّ من العلم اللدنيّ المنير في الضمير أه" .

(ومنها) أنه أخبر قبل أيام آله وعياله أنه يتوفى ليلة الجمعة فكان كما قاله . (ومنها) مانقله سيد الخلفاء العلماء الشيخ إسماعيل الأناراني قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ النوراني عنه أنه قال عظّم الله أجره : "رأى الشيخ الأكبر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الواقعة مرّة فجعلها في إكليل الفتوحات المكيّة درّة وإني رأيته صلى الله عليه وسلم نحو مائة واقعة ولم أتكلّم" .

(ومنها) أن العارف الربّاني سيدي وجدّي الشيخ محمد الخاني لما وفد على أعتابه أظهر الإعتناء به والإبتهاج وإصطفاه لنفسه معيد درسه "شرح الرملي على المنهاج" . فلما جلس تلقاءه لم يجد معه كراساً للقراءة ، فقال : أين الكتاب ؟ فقال : لم أجد . (وأطرق رأسه من فرط الإحتشام) . فقال له : كيف لاتجد كتاباً وأنت تكون شيخ الشام ؟ ثم أمر مَن قدّم الكتاب اليه حتى حتى أملى به عليه . فلله درّ تلك الإعادة إذ أنتجت حصول السعادة بالإشارة الى هذه البشارة :

وإذا سخّر الإله أناساً لسعيد فإنهم سعداء

ومالبث أن صار كما أشار . فإنتهت اليه مشيخة هذا العلم في هذه الديار كما إنتهت اليه مشيخة الإرشاد في جميع الأقطار وستعلمه حينما أترجمه .

(ومنها) أنه لما بلغ في الهند من الولاية مبلغ أرباب النهاية وأمره الشيخ أن يعود الى الوطن ليحيي من العلوم ماظهر منها وما بطَنْ ، حملته همّته الكبرى أن يسير خمسين يوماً براً وبحراً ولم يتغذى فيهن بغير الذكر والفكر -كما ذكرنا عند سفره في هذا السفر- وذلك لغلبة اللذة والسرور بالمشاهدة الإلهية والحضور . وبعد بلك عولج بالماء قليلاً قليلاً ثم عولج بتدريج الغذاء زمناً طويلاً حتى عادت له القوى وطوي عنه وهنَ ماطوى .

(ومنها) أنه لما شيّع جنازة نجله سيدنا عبدالرحمن الى الجبل وأمر أن يُهيء له ضريح في ذلك المحل أخبر أنه سيبني أحد أحبابه تكية لفقرائه عند ضريحه الأنور . فكان كما أخبر ، إذ أمر ساكن الجنان السلطان الغازي عبدالمجيد خان سنة ثمان وخمسين ببناء قبة عظيمة على روضته وتكية محتوية على مسجد وحجرات نفسية لخدمته وأدرَّ عليها من سحائب الرواتب الغامرة ماتكفّل أن تكون الى هذا العام عامرة .

(ومنها) وهي أعظمها إجتماع السلاطين والأمراء على محبته وإتباع أساطين العلماء لطريقته : كشيخ الإسلام ومفتي الأنام مكي زاده مصطفى عاصم أفندي وغيره من علماء القسطنطينية والوزراء والحكام ،

وكعبة الأحبار وسلطان العلماء الكبار يحيى المزوري العمادي ، وعلامة الفضلاء الشيخ عبدالرحمن الروزبهاني ، والعلامة الولي الشيخ عبدالله الجُلي ، والسادة الحيدرية والبرزنجية في بغداد والسليمانية وغيرهم من علماء العراق على الإطلاق . وقد ذُكر أكثرهم في "المجد التالد" وإن كان فيه مافيه من الزوائد وكعلامة المتأخرين السيد محمد أمين عابدين في الشام ، والعالم الإمام بركة الأنام السيد محي الدين ، ونجله أمير العارفين السيد عبدالقادر الجزايري في المغرب وغيرهم من الأكابر الفحول أولي التآليف في المعقول والمنقول الذين حُسبوا من فريقه وإنتسبوا الى طريقه الغرّا .

وأما خبر علماء خلفائه فسأتلو عليك منه ذكراً . فإنقياد هؤلاء الأئمة الأعلام بحيث كان كل واحد منهم مع جلالة علمه وقدره يعد نفسه كالجاهل والخادم بين يدي الشيخ قدّسنا الله بسرّه ، حتى إن نخبة العلماء الأمجاد السيد أسعد الحيدري مفتي بغداد قال : "لو أمرني الشيخ أن أضع قصعة فيها لبن على رأسي وأمشي بها في أسواق بغداد كما يفعله أداني الناس لفعلته إمتثالاً لأمره" . لايخفى أنه من أعظم الكرامات قدراً وسراً من أسرار الولاية الكبرى وإلاّ فمعارضة علماء الرسوم لمشايخ الطريق قديماً وحديثاً أمر معلوم عند العموم . وبالجملة فلم تبق بلدة من بلاد الإسلام إلاّ ووصل اليها نفع هذا الإمام ، إما بذاته أو بخلفائه الكرام . وما زال ولايزال هذا النفع العام باقياً على هذا الحال الى يوم القيام .

إن الذي قلت بعض من مناقبه　　مازدت إلاّ لعلي زدتُ نقصاناً

(ومنها) إنه لما رُفع الى حضرته الضيائية إن (حالت أفندي) المشهور المنتسب الى الطريقة المولوية الجلالية قد وشى عليه عند ساكن الجنان السلطان الغازي محمود خان ، قال قد حوّلت أمره الى إمامه قطب العارفين مولانا جلال الدين الرومي قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ المبين بجلبه الى جنابه الأنيق ومجاراته بما يليق . فبعد عدة أيام ظهر سرّ هذا الكلام وهو إن حضرة السلطان غضب على (حالت أفندي) الأفّاك ونفاه الى قونية التي فيها مقام حضرة مولانا جلال الدين ثم أمر به فخُنق هناك .

(ومنها) إن مَن جالسهُ وتابعه ولزم الأدب ظاهراً وباطناً معه إنتفع من لحظة وفاز بالجوهر المكنون في لفظه ومُلِيء من الأنوار والأسرار ، ووجد تأثير ذلك في الحال وزهدَ قلبه عن حب الدنيا والجاه والمال وإستيقظ من غفلته متفكراً في المآل ورغب عن الأهل والعيال . وهذه الخاصية لاتوجد إلاّ عند الكُمَّلْ من الرجال . فالحمدلله الذي شرّفنا بأسوته وأدخلنا في أسرته .

وأما كراماته فهو كما قلت :

فينعم بالآلاف من غير منّة　　نعَمٌ يرتجي منك القبول ويكتمُ
يقسّمها بين الأنام كأنه　　وكيل على إيصالها وهي مغنمُ
فسبحان مَن أعطاه ماليس ينبغي　　الى أحد من بعدٍ والله أعلمُ

إذ كان يوجد في مسجده عدد وافر يلبسون من بُرده ويطعمون من عند . وله صدقات كلية مابين خفيّة وجليّة وبيوت مفتوحة وعطايا ممنوحة . وربما يتصدّق على السائل بكتبه وبجميع مايحضر من نشبه . ولم يُسمع أنه منع سائلاً أو قطع وسائلاً نفّعنا الله به . وهذه زهرة من رياض آثاره وقطرة من حياض أسراره :

ومَن بعد هذا ماتجلّ صفاته　　وما كتمه أولى لديّ وأجملُ

وإنما صغتها سجعاً إتباعاً للحديقة لا إبتداعاً .

(وكان له قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) خمسة أنجال أنجاب وهم : الشيخ بهاءالدين ، والشيخ عبدالرحمن ، والشيخ

شهاب الدين ، والشيخ نجم الدين ، والكريمة فاطمة قُدّس سرّهم . فأما النجلان الأولان فقد سبقا والدهما وأخوهما شهاب الدين المتوفي في (أورفة) كما سلف الى الجنان . وأما الشيخ نجم الدين فقد توفي حضرة مولانا وهو جنين وعاش حتى تنبّل وتنبّه وتكمّل ، ثم إنتقل الى عليّيين ودفن حذاءه وذلك سنة ألف ومائتين وسبعين . وأما السيدة فاطمة فهي لهم نِعمَ الخاتمة . ولدَت سنة إحدى وأربعين ولم تلد أم المريدين السيدة عائشة الغزية الحسينية غيرها من البنين . وكانت آية باهرة في الذكاء حفظت القرآن وتعلمت الكتابة والشعر والإنشاء وتكلّمت باللغة العربية والفارسية والكردية والتركية ، وتفقّهت وإشتغلت بالطريقة العلية الخالدية فإنتفع بها كثير من النساء . ومما منَّ الله به على سيدي الوالد الماجد إتصال نسبه بنسب حضرة سيدنا ومولانا خالد ، حيث تزوج بها عام ثمانين ، فولدت له أختي المصونة بهية بعد ثلاث سنين . ولم يزل يقدرها حق قدرها ويبالغ في تعظيم أمرها وخدمة خدرها ويشكر الله تعالى على ذلك الإنعام حتى توجهت سنة ست وثمانين الى حج البيت الحرام . فـفاجأتها المنيّة في مِنى بالوفاة . فحُملت الى مكة المكرمة ودُفنت في المعلاه .

(وله قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) خلفاء حُنفاء أصفياء علماء عظماء سايحون عابدون لايُدرك كثرتهم العادّون ، ولكن أذكر فئة منهم مقتصراً على مَن توفي وهو راضٍ عنهم ، غير جانح الى عدِّ خلفائهم وخلفاء خلفائهم فإنهم يبلغون مائة ألف أو يزيدون . وفي الأمل أن طال بي الأمل أن أفرد لهم كتاباً مخصوصاً بعونه عزّ وجلّ :

لله تحت قباب العزّ طائفة	أخفاهم في رداء الفقر إجلالا
هم السلاطين في أطمار مسكنة	إستَعبدوا من ملوك الأرض أقيالا
هذي المكارم لاثوبان من عدنٍ	خيطا قميصاً فعادا بعد أسمالا
هذي المناقب لاقعبان من لبن	شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

فمن أقواهم إرشاداً وأقوَمهُم إمداداً وأكبرهم جمعاً وأكثرهم نفعاً :

صفوة العلماء الورعين الأعلام الشيخ محمد البغدادي الإمام قدّس سرّه . أمَّ بحضرة مولانا قُدّس سرّه الى أن توفي سنة ثلاثين في بغداد ودُفن في تربة سيدنا الجُنيد رضي الله عنه . (وممن ذُكر) زهرة علماء المعقول والمنقول السيد شيخ الله القادري نسباً الشمزيني موطناً الهكاري . قدم سنة تسع وعشرين الى بغداد قاصداً حضرة مولانا للسلوك لديه . فلم يزل في مجاهدة حتى ألقى الفتوح مفاتيحه اليه . (وممن ذُكر) رفيع الهمة الصادق الخدمة رفيق حضرة مولانا في الرحلة الى القطر الحجازي والهندي الشيخ عبدالرحمن العقري الكردي . وهذا الهمام أول خليفة جاء الى دمشق الشام . (وممن ذُكر) أخوه الصالح الفالح المرشد الكامل الناصح الشيخ عبدالفتاح العقري ، رابع أوصياء حضرة مولانا وبريده الناجح قُدِّس سرّه . (وممن ذُكر) قدوة العلماء وقبلة الأولياء المرشد الكامل السُرى الشيخ ملا مصطفى إبن العلامة الشيخ جلال الدين الكلعبنري قدّس سرّه . (وممن ذُكر) العلامة الولي إبن الولي المرشد الكامل سيدنا الشيخ عبدالله إبن الشيخ عبدالرحمن الجُلي قُدِّس سرّه . (وممن ذُكر) أعلم الصلحاء وأصلح العلماء المرشد الكامل الشيخ ملا عباس الكوكي قُدّس سرّه . (وممن ذُكر) أشرف الفضلاء وأفضل الشرفاء المرشد الكامل السيد عبدالقادر البرزنجي قُدّس سرّه . (وممن ذُكر) خلاصة العلماء المحققين وبقية السلف الصالحين المرشد الكامل الشيخ الملا هداية الله الأربيلي قُدِّس سرّه . (وممن ذُكر) شريف العلماء وعالم الشرفاء المرشد الكامل العزيز صفي حضرة مولانا من سن التمييز

السيد الشيخ إسماعيل البرزنجي قُدِّس سرّه . (وممن ذُكر) إمام العلماء الأكابر وأبلغ خطباء المنابر المرشد الكامل ملا أبو بكر البغدادي قُدِّس سرّه . أمَّ بحضرة مولانا منذ توفي الشيخ محمد الإمام الى أن إنتقل سيدنا الشيخ الى دار السلام . فتجشّم تلقينه وتصبّر وطعن منصرفه من دفنه يوم الجمعة وهو على المنبر . ثم توفي في يوم الأحد تاسع عشر شهر ذي القعدة الحرام ودُفن في تربة حضرة مولانا خلف المقام ولم يتخلّف أحد من أهل الشام عن تشييع جنازته بالحزن التام :

شــــقت عليـــــه يد الأسى   ثوب الدمــــوع الى الذيول

(وممن ذُكر) العالم التقي والمرشد النقي الشيخ طاهر العقري قُدّس سرّه . (وممن ذُكر) الفقيه العابد والمرشد الزاهد الشيخ معروف التكريتي العراقي . (وممن ذُكر) أصلح العلماء وأعلم الصلحاء المرشد الكامل الشيخ أحمد القسطموني قُدّس سرّه . (وممن ذُكر) علامة الزمان ومظهر العرفان المرشد الكامل الشيخ محمد بن سليمان صاحب "الحديقة الندية" شكرَ الله مساعيه المرضيّة . (وممن ذُكر) المربي الفالح والمرشد الصالح الشيخ محمد عاشق قُدِّس سرُّهُ . (وممن ذُكر) زينة الأتقياء ونخبة الأولياء المرشد الكامل الشيخ موسى الجبوري البغدادي قُدّس سرّه . (وممن ذُكر) عمدة الفقهاء الأفاضل ، الدرّاكة الفهّامة المرشد الكامل السيد عبدالغفور الكردي الكركوكي قُدّس سرّه . (وممن ذُكر) طبيب كلوم الفؤاد وخطيب العلوم والإرشاد ، عالم الأولياء ووليّ العلماء المرشد الكامل العجيب سيدي وعمدتي وجدّي لوالدتي الشيخ أحمد الأربلي الخطيب خليفة الشام الثاني قُدِّس سرّه النوراني . وقد مرّ في ترجمة حضرة مولانا ذكره . عاد هذا الولي الجليل صحبة حرم حضرة مولانا العراقي . وتوفي سنة خمسين تقريباً في أربيل . (وممن ذُكر) أقدم الخلفاء وأقوم الصلحاء صاحب الكرامات والمآثر الجليلة المرشد الكامل الشيخ عثمان الكردي المشهور بطويله قُدِّس سرّه . (وممن ذُكر) عالم الخلفاء وخليفة العلماء المرشد الكامل الشيخ عبدالله الأرزنجاني المكّي خليفة مكة المكرّمة قُدِّس سرّه . (وممن ذُكر) نادرة المربّين ومظهر العلم المبين المرشد الكامل الشيخ خالد الكردي المدني خليفة المدينة المنوّرة قُدِّس سرّه . (وممن ذُكر) العالم العامل والمرشد الكامل الشيخ إسماعيل الشيرواني قُدِّس سرّه . غير أنه سهى آخر مدته فأذن لمريديه أن يرابطوا بصورته . فكتب اليه حضرة مولانا كتاباً فيه دغدغة قوية وقد ساقه سيدي الجدّ في مبحث الرابطة من "البهجة السنية" . (وممن ذُكر) نتيجة الأفاضل ولوح العلوم والفضائل المرشد الكامل الشيخ أحمد الأغربوزي قُدِّس سرّه . كان خليفة الأستانة العلية بعدما طُرد عبدالوهاب السوي . ولقد دعي إثر وفاة حضرة مولانا قُدِّس سرّه الى الشام لخدمة حرم حضرة مولانا في بعض المهام . ثم عاد بعد فأقام في أزمير لأمور لاتقبل التنقير . (وممن ذُكر) بهجة الأولياء وحلية الأصفياء المرشد الكامل النبوي السيد الشيخ أحمد البرزنجي السركلوي .

(ومنهم) العلامة النحرير والأديب الكبير المرشد الكامل الشيخ عبيدالله الحيدري البغدادي قُدِّس سرّه . لكن تولى منصب إفتاء بغداد فكتب حضرة مولانا كتاباً الى خلفاء تلك البلاد يُشعر به بعض إنتقاد وأظن أنه لقبول هذه المأمورية . وقد ذكر ذلك الكتاب سيدي الجد في "البهجة السنية" وقد أثبتّه بذاته هاهنا أول مكتوباته . (وممن ذُكر) علاّمة أقرانه وصالح شرفاء زمانه المرشد الكامل السيد الشيخ عبدالغفور المشاهدي البغدادي الخالدي قُدِّس سرّه . (وممن ذُكر) عالم الفقهاء وفقيه العلماء الشيخ محمد الجديد البغدادي قُدِّس سرّه . (وممن ذُكر) الفقيه الفاضل والمرشد الكامل الشيخ عبدالقادر

الديملاني قُدِّس سرّه . وقد مرّ في خلال هذه الترجمة أمره . (وممن ذُكر) أنصح العلماء وأعلم النصحاء الصالح الفالح الشيخ محمد الناصح ، ثالث أوصياء حضرة مولانا إلاّ أنه طُعن بعده بقليل وتوفي في حياة الوصي الأول سيدنا الشيخ إسماعيل قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُما . (وممن ذكر) أكبر العلماء وأعلم الكبراء المرشد الكامل الشيخ حسن القوزاني الخطاط قُدِّس سرّه . (وممن ذُكر) العلاّمة الفهّامة المرشد الكامل الشيخ محمد المجذوب العَمادي المشهور بسيد قُدِّس سرّه . (وممن ذُكر) تاج هام العلماء العاملين وأنفع المرشدين الكاملين الشيخ خالد الجزيري قُدِّس سرّه . (وممن ذُكر) العالم الرباني والمرشد الكامل السبحاني الشيخ السيد طه الكيلاني الهكاري قُدِّس سرّه . (وممن ذُكر) أوحد العلماء الكرام المرشد الكامل الهمام الشيخ إسماعيل البصري قُدِّس سرّه . (وممن ذُكر) الإمام الهمام المرشد الكامل الشيخ محمد الفراقي الكردي قُدِّس سرّه ناظر تربة حضرة مولانا المعظم الذي بذل في تعغمير تكيته أقصى الهمم . (وممن ذُكر) التقي النقي العالم الولي والمرشد الكامل الماجد الشيخ ملا خالد الكردي خليفة جامع السويقة قبل سيدي الجد الأمجد قُدِّس سرّهما . (وممن ذُكر) حسنة أولي العلم والإرشاد المرشد الكامل الشيخ عبدالله الفردي خليفة بيت المقدس .

(ومن) أجمعهم نفعاً وأنفعهم جمعاً . صفوة العلماء العاملين وقدوة الأولياء الكاملين العارف الرباني سيدنا الشيخ إسماعيل الأناراني . وهذا الإمام هو أول القائمين مقام حضرة مولانا خالد في الإرشاد ، وأول الأوصياء على ثلث المال والأنجال والأمجاد . خدمَ حضرة الشيخ ولازمه ملازمة حسنة ولم يعص له أمراً سفراً أو حضراً خمسة عشر سنة . وخلفَهُ خلافةً مطلقة وأذنَ له بالإرشاد فسلك سبيل الرشاد . ولما وفد على الشام فوّض اليه في جامع (العداس) تربية الناس . فكان يبحث كل يوم عن أحوال السالكين فرداً فرداً ثم يحصيها ويعدّها لحضرة مولانا قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ عداً ولايذَر قدر الذرّة . فمهما رأى قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ فيهم رأياً يبلغهم إياه أمراً ونهياً ، ولايذكر من عنده أمراً حتى يُحدث له منه ذكراً .

وأخبرني سيدي الوالد عن الجدِّ الماجد قُدِّس سرّه أنه قال : كثيراً ماكان يقول لنا الشيخ إسماعيل إعلموا إنني لوم صقيل كل ما نقشه فيه حضرة مولانا أوصلته إليكم من كثير أو قليل . ومن آدابه الشريفه أنه لم ينسب لنفسه خليفة . ولما توفي حضرة الشيخ قُدِّس سرّه غاض دمعه وفاض صبره وكان أثبت إخوانه قلباً وأصحى أحبابه لباً ، فجمع كلمتهم وجدّد همّتهم وقبض بسطهم وبسط قبضهم وخفف أحزانهم وأقام أوزانهم وأجرى لهم إحسانهم وإعتنى في أمر عبادتهم وإعادتهم لعادتهم وقبض على زمام الإرشاد من بعده وأبقى الأمر على ماكان عليه في عهده وجعل يقول لهم "ألستُم تعلمون إن حضرة مولانا من أهل الله وهم لايموتون" . ولم يتم هذا الشروع إلاّ وطعن بعد نحو أسبوع ودُفن بعد حضرة مولانا خالد بسبعة عشرة يوماً خلافاً لما في "المجد التالد" . ودُفن خلف مقام الحضرة قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ . وقد تزوج في حياة حضرة الشيخ وأعقب ولداً أسماه عبدالله وسُرّ به تمام المسرّة ، ولم يذق اللحم في هذه المدة وكان يقول إنه يورث ظلمة وقد ذهب حضرة مولانا فمن يزيلها عنا بعده . وقبل وفاته بأربعة أيام أوصى بثلث ماله لفقراء الإسلام وأقام وصياً عليه العارف الصمداني سيدي وجدي محمد الخاني . وأقام مقامه في الإرشاد العام سيدنا الشيخ عبدالله الهروي .

(وكان) للشيخ إسماعيل مقام في الطريق جليل وكرامات عظيمات وكلمات كريمات وحسبهُ شهادةً بفضله الجزيل ماقاله عنه حضرة مولانا قدّس الله سرّ في مرضه "إني لم أمت حيث تركت فيكم الشيخ إسماعيل" .

(ومنهم) العالم العامل والمرشد الكامل فذلكة الأفاضل المهتدين وقلب المربّين المرشدين الوصي الثاني والولي السبحاني ، صاحب الأنفاس القدسية والأخلاق النبوية والمقام العيسوي سيدنا الشيخ عبدالله الهَروي . المومى إليه قدم على حضرة مولانا رضوان الله عليه في السليمانية وأخلص بخدمته النيّة وأدى السلوك حقه ، فخلفه قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ خلافة مطلقة . وكان حضرة الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ يحبه ويبرّه حتى جعله أمين أملاكه التي في العراق . فكان يجمع ريعها على الإطلاق ويهيء منه أكسية وأغذية ويفد بها الى الشام . فيهتم لقدومه غاية الإهتمام . وكان إذ توفي الشيخ قُدِّس سرّه في السليمانية . فلما طعن الشيخ إسماعيل أشهد له من بعده بالخلافة الروحانية ، ثم خاف أن يستشهد بالطاعون الأشهاد ، فأمر مَن يكتب له صكاً بذلك الإشهاد ونصه :

"بسم الله الرحمن الرحيم . الحمدلله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد . فقد أقمتُ مقامي على سجادة المشيخة والإرشاد المولى الصالح والمجاهد الفالح درويش هذا الزمان ، القائم في مقام الإحسان السائر في طريق القوم أولي المسالك ، السوي سيدنا الشيخ عبدالله الهروي . وجعلته محلي كما جعلني شيخي وأستاذي وعمدتي وملاذي قطب هذا الوجود أبو البهاء ضياءالدين مولانا خالد النقشبندي المجدّدي أمراً ناهياً على سائر الخلفاء والمريدين . كل مَن خالفه فهو مطرود عن طريقتنا . وقد أقررت كل أحد يتوجه في المكان الذي هو فيهن في أيام حضرة مولانا الى أن يأتي جناب الشيخ المذكور قاله بفهمه ورقم بأذنه إسماعيل الأناراني الخالدي آه" .

فلما بلغه الى السليمانية الخبر قبل وأقبل يتعثر بأذيال الكدر حتى إذا وصل الشام جلس في دست الإرشاد العام وتولى خدمة حرم حضرة الشيخ بذاته وقام بأعباء مايلزم من مهماته . وحينما سافروا الى بغداد وأربيل لم يألُ جهداً بأداء حقهم الجزيل من التعظيم والتبجيل . فلما عادوا الى الشام قدم معهم سائراً في خدمتهم على أصدق إقدام . ثم نزل من الجامع الأموي في مشهد رأس الحسين عليه السلام ، فمالبث أن مرض مرضه الأخير . فأقبل اليه من الخلفاء الجم الغفير وقالوا له مَن ذا الذي تأمرنا أن نختلف بعدك إليه ونعوّل في خلافة الإرشاد عليه ؟ فقال إني لا أرى لهذا الأمر أليق من العارف الصمداني الشيخ محمد الخاني ، فإني لم أرَ إلاّ كمال الإستقامة منه حتى توفي حضرة مولانا وهو راضٍ عنه . فارجعوا اليه بعدي في الإرشاد وألقوا إليه مقاليد التسليم والإنقياد . ثم إستشهد في ذلك المشهد فحُمل الى الجبل محل حضرة مولانا والرعيل الأول مشيعاً من كافة الإخوان بالأحزان والتهليل ودُفن حذاء ضريح سيدنا الشيخ إسماعيل قُدِّس سرّه . وكان قُدِّس سرّه متجرداً لخدمة حضرة مولانا حضراً وسفراً ولخدمة حرمه وأنجاله وخدمة من بعده سفراً وحضراً . لم يصدر منه أدنى قصور حتى توفي هو حَصور . وله قُدِّس سرّه من الأخلاق الحميدة والكرامات العديدة والقدم الراسخ في الإرشاد والتوجه المبارك بالإمداد مالايسع هذا السفر حصره .

(ومنهم) وهو أعظم مَن سرى اليه سرّ هذه النسبة النقشبندية وشيخ هذه السلسلة المبجّلة الخالدية سيدي وجدي الشيخ محمد الخاني قُدِّس سرّه القائم مقام الثالث سيدنا الجدّ الأمجد الشيخ محمد بن عبدالله بن مصطفى الخاني الخالدي النقشبندي قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ العزيز . فاتحة الأتقياء المهتدين وخاتمة الخلفاء المرشدين وقبلة أولياء العلماء ورحلة علماء الأولياء ، روض المعارف الوارف يأوي الى ظل فضله وفضل ظله كل عارف . جامع فرق الإرشاد وفارق جمع الإمداد ، منهل أنواء الأنوار الشعشعانية ومظهر إسراء الأسرار الربانية الى رقيق أخلاق يعرفها كل مَن له في الطريق خلاق ،

وأنفاس تشفُّ عن علو كشف وأذواق ربّى بها من السالكين نفوساً شموساً ، فأشرقوا في فلك الهداية أقماراً وشموساً . وكرم وكرامات تثبت ما له من جلالة الهمم والمقامات . فهو الكوكب الذي قابل بقابليته المحمدية ضياء شمس الذات الخالدية ، فإنطبعت في لوح مرآته الصقيلة كافة صفاته الجلية الجليلة ، فأشرق في سماء الولاية بدراً وفي دولة الهداية صدراً ، وأصبح منه فصلاً في وصل والنسخة الثانية المقابلة على الأصل ، وورثه رشداً فرضاً ورداً .

(ولد) قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ وأناله بقربه تمام المسرّة سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف في (خان شيخون) محل مشهور في طريق حلب على مرحلة من حماه منه سيدنا العارف الكبير الشيخ الأكبر محي الدين قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ ورزقنا نظره وبرّه أمين . وكان أبوه عبدالله معزّزاً في قومه موقّراً في أهله دمث الأخلاق حسن الأوصاف . توفي هذا العزيز والجد الأمجد في سن التمييز وإشتغل بقراءة القرآن والكتابة وهو في حجر والدته الصالحة الأوّابة التوّابة الصوّامة القوّامة الذاكرة الشاكرة السيدة حليمة بنت السيد الشيخ محمد ابن السيد الشيخ يوسف الكيالي ، وسند نسبه الشريف في تلك الديار من العوالي .

(وكانت) قُدِّس سرّها من صلحاء النساء ، أخبرني سيدي الجد الأمجد قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ غير مرة أنها رأت ليلة القدرفسألت الله تعالى فقالت "ربّ أسترني وأستر ذريتي" . فاستُجيبت دعوتها ولله الحمد . ولما تشرّف سيدي الجد بالطريقة العالية الخالدية تلقتها عنه وإشتغلت بجدّ وإجتهاد حتى حصل لها مقام عظيم وذوق عال وقدم راسخ . وكثيراً ماسمعته قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ يقول "كنت مع فرط مجاهدتي في الطريق الرياضة والذكر والعبادة أجدني بالنسبة إليها مقصّراً جداً" .

(توفيت) قَدَّسَ اللّهُ سرَّها في دمشق الشام سنة إحدى وخمسين ودُفنت في تربة حضرة مولانا خلف المقام . وكان والدها مشتغلاً بالطريقة العلية الكيالية وله مريدون كثيرون وزاوية بالبركة والأنوار زاهية مشتملة على أدوات الذكر الوافية ، مقصوداً من كل الجهات لما له من صالح الدعوات .

(ثم إرتحل) الجد الأمجد قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ مع والدته الى حماة المحمية وإشتغل بتحصيل العلوم الشرعية والآداب المرضية ، فتفقّه في مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه على العالم الفاضل الشيخ عبدالرحيم البستاني وقرأ النحو وطرفاً من الآلات على العالم الفاضل الأديب الشيخ حمود زهير . ولازم العبد الصالح الشيخ فارس ، الذي كان في حلبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أول فارس مدة ست سنين ثم أخذ الطريقة العلية القادرية من السيد الشيخ محمد الكيلاني الأزهري قُدِّس سرّه وإشتغل بها وبتعليم الناس الأحكام الشرعية وصرف قصارى الهمة لإحياء السنّة السنية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بنفسه . فكم أزال من بدعه ومحا من ضلالة حتى كان يُحضر الناس قهراً الى المسجد ويعلّمهم فرائض الدين والتوبة من المعاصي وتجديد الإسلام والعقود . فحصل على يده نفع عظيم وأشتُهر في أرجاء حماة كالشمس في رابعة النهار وصار يعبّر عنه بمهدي الزمان .

وكان جلوسه في جامع الجامع للعلوم والعرفان الولي الكامل بلا دفاع الشيخ علوان الحموي قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ . وإقامته كانت في زاويته وحصل له بذلك مدد عظيم من روحانيته . ولم يزل كذلك الى أن شرّف الديار الشامية قطب دائرة الإرشاد وبحر الهداية والإمداد ذو الجناحين وعلامة الثقلين أبو البهاء ضياءالدين حضرة سيدنا ومولانا الشيخ خالد قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ العزيز . فتشرّف بأخذ الطريقة العلية النقشبندية عنه كما ذُكر ذلك في "البهجة السنية" . ودخل الرياضة حالاً في جامع (العداس) فأدركته جُذبة من جذبات الحق

التي توازي عمل الثقلين . فحصل له بعد ثلاثة أيام النسبة المعبّر عنها بالوصول والفناء وهو دوام مقام الإحسان . ولم يزل في ذكر وفكر يترقى الى أعلى المقامات حتى أتمّ الأربعينية . فإستأذن بالذهاب الى أهله في حماة فأذن له ثم لم يبرح أن عاد فأدخله الرياضة ثانياً . فلما تمت عاد الى أهله أيضاً ثم رجع فدخل الرياضة ثالثاً ونفسه متشوّقة الى ختم المقامات والترقي الى مراتب الأولياء . فبعد أن أكمل الرياضة إنقلب الى أهله فمكث غير بعيد إذا بأمر من حضرة مولانا قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ بحضوره وعائلته الى دمشق الشام . فلم يتأخر عن الإجابة لحظة وذلك سنة إحدى وأربعين ، فأقبل عليه قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ لما رأى من علو همته وصفاء فطنته وفطرته ووفور علمه وتوقد ذكاء ذكائه وفهمه . وكان قد إبتدأ يقرأ النهاية شرح المنهاج في فقه الإمام الشافعي رضي الله عنه لعلاّمة الدنيا شمس الدين الشيخ محمد الرملي الأزهري نوّر الله مرقده صباحاً في مدرسة داره ويعيد له الدرس سليل العلماء عمر أفندي الغزي رحمه الله . فلما حضر الجد الأمجد جعله محله وسُرّ به سروراً عظيماً وبشّره بأنه سيصير شيخ الشام . وقد حقق الله بشارته كما الإلماع بذلك في ترجمة حضرة مولانا قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ العزيز . ولما توفي خليفة جامع المرادية المشهور بالسويقة العالم الفاضل والمرشد الكامل ملا خالد الكردي قُدِّس سرّه عينه لمكانته عنده مكانه وخلفه خلافة مطلقة وأذن له بالإرشاد وتلاوة الذكر الخواجكاني والتوجه للإخوان في الجامع المذكور . وكتب له صك الخلافة وختمه بخاتمه الشريف ونصّه :

"الحمدلله الكريم الوهّاب والصلاة والسلام على سيدنا وسندنا وملاذنا محمد الذي أتي الحكمة وفصل الخطاب وعلى آله وصحبه وأتباعه الى يوم المآب . وبعد ، فقد أجزت الأخ في الله الشيخ محمد بن عبدالله الخاني بالتوجه والإرشاد وتلقين الذكر في الطريقة العلية النقشبندية قدّس الله تعالى أسرار أهاليها السنية . وما أجزته إلاّ بعد الإستخارة الشرعية من أرواح سادات السلسلة الزكية وأوصيه بتقوى الله في السرّ والإعلان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حينما كان بقدر الإمكان . وأن لايري النجاة إلاّ بالصدق والسلامة إلاّ بإتباع سيدنا محمد سيد الخلق صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان في كل وقت وأن أمين . حُرر سنة إحدى وأربعين ومائتين وألف والحمدلله رب العالمين . أضعف العباد خالد النقشبندي المجددي القادري السهروردي الكبروي الچشتي" .

وحضر قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ العزيز بنفسه الى ذلك رالجامع ودعا له بعموم النفع ونفع العموم . فنهض بأعباء الخلافة وإجتمع اليه الجماء الغفير من الإخوان والمريدين وأقبلت عليه القلوب . وجعل حضرة مولانا قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ العزيز يحيل اليه تربية بعض السالكين كالعلامة النبوي السيد الشيخ محي الدين ونجله أمير العارفين السيد الأمير عبدالقادر الجزايري . فإنهما حضرا سنة إحدى وأربعين صحبة حضرة مولانا قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ العزيز من الديار الحجازية الى دمشق الشام فنزلا عند سيدي الجدّ الأمجد قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ في جامع المرادية وأخذا الطريقة العلية بواسطته من حضرة مولانا . وجلس السيد محي الدين في الخلوة أربعة أشهر . وكان سيدي الجد يتعاهده في كل الأوقات ويعرض أحواله على حضرة الشيخ على عادة خلفائه العظام .

(وسمعت) من أحد أنجال السيد محي الدين الكرام أنه قال : "مارأيت في جميع سياحتي في بلاد المشرق والمغرب أعلَمَ من حضرة مولانا خالد قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ العزيز" . (ولم) يزل سيدي الجد ملازماً عتبة حضرة الشيخ مثابراً على صدق الخدمة مشتغلاً بالطريق إشتغالاً مفرطاً بهمّة قوية وصدق نية وخلوص طوية ،

لايقرأ درساً إلاّ كان أول مبادر لتلقيه ولا يأمر أو ينهي نهياً إلاّ كان أسرع الناس لإمتثاله وحضرة مولانا يزداد إقبالاً عليه ويواصل إدرار فيوضاته الظاهرة والباطنة اليه ، حتى بلغ عنده تمام الحظوة وغاية المنزلة من القرب والإلتفات والإعتناء بشأنه . وكثيراً ماكان يأمره أن يكتب الى خلفاء الأطراف ، فيسود الكتاب ويعرضه عليه فيمضي التسويد ويختمه بدون تبييض أو تصحيح لما يجده من جزالة اللفظ وبلاغة المعنى وفصاحة التركيب وإصابة المرمى .

(وكان) يقرأ للإخوان على عهد الشيخ رسالة "الحديقة الندية" في جامع المرادية ، قال فسألني قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ مرة : ماذا تقرأ للمريدين ؟ فقلت : كتاب "الحديقة الندية" . فقال : هل هي فصيحة العبارة ؟ فقلت : لايكون في الدنيا أفصح منها . فقال قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ : كلها من عبارتي . ذكر ذلك في خطبة "البهجة السنية" .

(ولما) ذهب حضرة الشيخ الى الحجاز سنة إحدى وأربعين جعل كلما أرسل كتاباً الى الشام يقول فيه وسلموا لنا على شيخ الياغوشية والسويقة– ومراده سيدي الجد الشيخ أحمد الخطيب الأربيلي وسيدي الجد المترجم قدّس سرّهما– وهي منقبة من حضرة مولانا لم يدركها غيرهما أصلاً نظراً لما كان عليه حضرة الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ العزيز من عظمة المقام وجلالة القدر وهيبة الإرشاد وعلوّ المنزلة ، لاسيما في قلوب نبلاء خلفائه فإنه لايعرف الفضل إلاّ ذووه .

أخبرنا سيدي الجد الأمجد قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ أنه دخل مرة وقت الضحى الى دار حضرة الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ العزيز فلم يجد الحاجب حتى يستأذن عليه فرأى نعله في الباب وقد أصابته الشمس فإتخذه وسيله ودخل عليه وقال له : ياسيدي الشمس تغيّره . فقال له : أدخل وضعه في الظل .

ففعل ووقف بين يديه . قال فتوجه اليّ بتلك الهمة القدسية الخالدية توجهاً أوصلني الى مقام الفناء الأتمّ . فلما أفقت أقبلت عليه أقبّل قدميه ، فقال : بل قبّل النعل الذي كان سبباً لفوزك بذلك الخير العظيم . ففعلت ثم خرجت وقد نلت بهذه اللحظة مالم أنله برياضة أربعينية . أه .

(ولما) جلس يعيد له الدرس تلقاءه لم يقو على تحمّل فيوضاته الربانية ، فصعب عليه أداء وضيفة الإعادة . فذكر ذلك لسيدنا الشيخ إسماعيل فأخبر حضرة مولانا به فقال له : "ليتأخر عن قبالة وجهي برهة أيام" . فإنه لم يطق ذلك ففعل نحو ثلاثة أيام ثم عاد الى تلقائه وقد بلغ أشدّه وقدر على تحمّل أنواره الذاتية وتجلّياته الأحدية بهمّة حضرة مولانا رضي الله عنه .

(وقرر) يوماً قول الخطيب الشربيني قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ في مسألة فقهية ، فقال له الجد الأمجد نوّر الله ضريحه : أظن أن ماذهب اليه الخطيب غير ماذكرتم . فقال له : عليك بالنص .

قال فأتيت الى منزلي فوجدت إن قول الخطيب عين ماذكره حضرة الشيخ والذي في حفظي هو لأحد محشي الخطيب العلامة المدابغي . فلما كان وقت الضحى أخذت الحاشية وذهبت اليه لأناوله الكراسة فقبض على وجه الملاطفة بيده الشريفة على لحيتي . فإغتنمت قرب يده من فمي فجعلت أقبّلها إذ كان لايُمكّن أحداً من تقبيلها . فورد عليّ حال عجيب من ذلك . فأطلقني وقد بقيت غائباً سحابة النهار .

(وكان) قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ العزيز يأمره أن لايخرج من جامع المرادية فلم يعص له لأمراً ، فصار بما ذكر محسود أقرانه مغبوط إخوانه منظوراً بعين التوقير بين كافة الخلفاء محبوباً لهم ، لاسيما عند قدوة المرشدين سيدنا الشيخ إسماعيل الأناراني قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ . (ومافتيء) كذلك حتى إستشهد حضرة مولانا

قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ العزيز في الطاعون وهو راضٍ عنه . ثم جلس سيدنا الشيخ إسماعيل المشار اليه في منصب الإرشاد فلازم رحابه ملازمة تامة وخَدَمَهُ خدمةً كاملة وإغتنم بركة أنظاره وفيوضات أسراره الى أن أستشهد بعد حضرة مولانا بسبعة عشر يوماً وقد أوصى له بثلث ماله بالغاً مابلغ ، وقال ماأليقهُ بأن يكون شيخ السجادة من بعدي . ثم لما عهد سيدنا الشيخ إسماعيل الى مولانا الشيخ عبدالله الهروي بالخلافة العامة ، قام سيدي الجد الأمجد بواجب صحبته وإخلاص طاعته وإستجلاب رضاه ومحبته مع قيامه بإقامة الأذكار الخواجكانية في جامعه المذكور .

ترتيب عادته في أمور عبادته

وقد رتَّب قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ العبادات في جميع الأوقات أحسن ترتيب . فكان يقوم الليل على وجه السنة المطهّرة . فإذا كان وقت السَحَر تلا الذكر الخواجكاني مع أصحابه الى أذان الفجر فيصلي بالناس ثم يجلس معهم فيقرأ القرآن الى الإشراق ، فيركع سبحة الإشراق ثم يعيد ذكر الخواجكان . فإذا إنقضى يدخل حجرته فيقرأ للطلبة درساً أو درسين من فقه الإمام الشافعي أو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره من فنون العلوم الشرعية الى الضحى . ثم يأتي الى منزله فيقيل ثم يصلي سبحة الضحى في الجامع . حتى إذا أذن الظهر صلّى بالناس ودخل حجرته أما لقراءة درس أو لذكر وفكر الى العصر . فيصلي الفريضة بالناس ثم يتلو الذكر الشريف ، فإذا قضى رجع الى منزله فتناول ماتيسّر من الطعام ثم رجع الى حجرته وإشتغل بذكره أو مراقبته أو مطالعة دروسه الى المغرب . فإذا صلى بالناس وأتمّ سننه تلا الذكر المبارك ثم جلس يقرأ درس تفسير كلام الله المجيد الى العشاء . فبعد صلاتها يرجع الى داره . وكثيراً ماكان يهجر فراشه ويبقى في المسجد تنشيطاً للإخوان على قيام الليل ، فيقوم الى السحر وهكذا . ثم ليلة الثلاثاء وصبيحتها وليلة الجمعة وصبيحتها وعقب صلاة الجمعة يتوجه للإخوان .

ولم يزل ولله الحمد على هذا الترتيب في هذا الجامع ببركته منذ وضعه عام إثنين وأربعين ومائتين الى يومنا هذا عام خمسة وثلثمائة ولايزال إن شاء الله تعالى على هذا الوجه بحوله تعالى وطوله وبتوجهات أنفاسه قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ . فكثرت جمعيته وعظمت كلمته وإبتهج به المريدين مع مثابرته على مراجعة حضرة القائمقام الثاني الشيخ عبدالله الهروي قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ في أموره كلها . وكان يذهب الى دار خاتمة المحدّثين الشيخ عبدالرحمن الكزبري نوّر الله مرقده حتى تلقّى الكتب الستة عنه والشفاء وغير ذلك . فكان بركة ذلك المجلس وتاج إفتخاره وزينة أهله . ثم إن الشيخ عبدالله المشار اليه سافر صحبة حرم حضرة مولانا أم المريدين ونجل مولانا الشيخ محمد نجم الدين الى سليمانية الأكراد وبقي سيدي الجد في دمشق الشام على أتم نظام مثابراً على أوراده وحافظاً مسنداً إرشاده في المركز الذي أقامه فيه حضرة مولانا قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ لم يَنَلهُ من أحد إلاّ مايسرّهُ . وبعد حضورهم من بغداد ، وكانت مدة إقامتهم هنالك أربع سنوات ، مرض الشيخ عبدالله قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ وكان وقتئذ مقيماً في مشهد رأس سيد الشهداء سيدنا الحسين من الجامع الأموي . فإجتمع اليه خلفاء حضرة مولانا يسألونه أن يعيّن من يخلفه ويقوم مقامه في منصب المشيخة العامة في الطريقة العلية الخالدية كما عيّنه الخليفة الأول سيدنا الشيخ إسماعيل قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ . فقال لهم إني لم أرَ أحسن حالاً ولا أكمل إستقامة ولا أليقَ لهذا الأمر من الشيخ محمد الخاني فإنه ممن حافظ على أصول الإرشاد وقد توفي حضرة مولانا وهو عنه راضٍ فارجعوا بعدي اليه .

فلما إنتقل قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ نهض سيدي الجد بأعباء الخلافة من بعده وعكف على نشر أعلام الطريقة

العلية بتربية المريدين وإرشاد السالكين وإرسال الخلفاء الى الأطراف ومراجعة الخلفاء له من كافة الأقطار في جميع أمورها . وهُرعت اليه الناس من كل جانب يستمدون بركاته وتوجّهات فيوضاته ، فبقي الأمر على ماكان عليه . (ثم) خرج سنة خمس وأربعين مع والدته العزيزة حاجاً بيت الله الحرام وزيارة مقام فخر الأنام عليه أفضل الصلاة وأتمّ السلام . فأتمّا نسُكهما وعادا الى دمشق بسعي مشكور وعمل في سفر القبول مذكور . وفي هذا العام ألّفَ رسالة "كشف اللثام عن قول مَن حرّم الحج الى بيت الله الحرام" وهي رسالة نفيسة لم يُنسج على منوالها تثبت قوة إطلاعه على العلوم وطول باعه في أغمض الفهوم وأنفذ أراء العلماء جزاه الله خير الجزاء ردّ الإعتراض بعض الإخوان المتمسّكين بقول الشيخ علوان إن الحج حرام في هذا الزمان . ولذلك أسقط كتاب الحج من تأليفه "مصباح الهداية" في فقه إمامنا الشافعي رضي الله عنه .

(ثم) سنة إحدى وخمسين إرتحلت والدته المصونة الى علّيين فحزن لفراقها حزناً عظيماً حيث كانت كما تقدم من التقوى والعبادة بمكان كريم . (ولما) بلغ نجل حضرة مولانا قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ العزيز الشيخ نجم الدين سن التمييز صرف الهمّة التامّة لتربيته وتعليمه القراءة . فكان يحضر كل يوم الى مدرسة حضرة مولانا لذلك ويتلو الورد الخواجكاني ثم مع الإخوان وفاءً بوصية حضرة الشيخ حيث قال "وأحب أن لاينقطع ختم الخواجكان من مدرسة داري" . وفي عام ثلاثة وخمسين ألّف الرسالة الجليلة ذات الفوائد العميمة والفضائل الفريدة التي سمّاها "البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية" . وهو تأليف شريف لم يُسبق اليه في بابه . فإني إطلعت على تأليف أكثر علماء الخلفاء في هذا الشأن فلم أجد له نظيراً .

(وقد) ألهَمَ الله كريم الوزراء ووزير الكرماء الحاج أحمد طلعت باشا أحد أركان الدولة المصرية ومخلصي هذه الطريقة العلية فطبعه سنة ثلاث وثلاثمائة في القاهرة . فعمّ نفعه وكثر وجوده وسهّل حصوله حتى إنتشر في كافة البلاد الإسلامية جزاه الله خير الجزاء . وقد قرّضت ذلك السفر وقتئذ فقلت :

فريق الطريق الخالدي لك البشرى ... فقد كملت بالطبع بهجته نشرا
كتاب على شمس العلوم محمد ... لقد أُنزلت بالحق آياته الكبرى
فصل ماقد أجمل القوم أمره ... فما أجمل التفصيل إذا وضح الأمرا
جزى الله هذا الحَبرَ خير جزائه ... وأجرى له من بحر إحسانه أجرا
فقد كان في جيد المعارف عقده ... وفي دولة الإرشاد بين الورى صدرا
رقى مارقى بالصدق من رتب العُلا ... الى أن غدا شمس الهدى وبدا بدرا
فكم صرف الآنات في كل طاعة ... فأونةً ذكراً وأونة فكرا
وكم فاز من إرشاده كل سالك ... بما جعل السِّرَّ الخفي جهرا
وأسرى بأسرار الغيوب لقلبه ... ولم يبق أمراً في سريرته إمرا
له النظر الإكسير في كل طالب ... به يقلب الشر المحيط به خيرا
ويقدر أطوار المريدين قدرها ... فيفنى به طوراً ويبقى به طورا
الى هيبة في هيئة نبوية ... إذا ماتراه تذكر الله مضطرا
وتُقبِل مُجبَراً لتقبيل كفه ... ولم تستطع عن حسن توقيره صبرا
إذا ما نهى الطلاب أو أرشد النُهى ... فما أكثر القتلى وما أرخص الأسرا
كراماته في كل قطر كأنها ... شموس وإكراماتهُ تخجِل القَطرا

وأوصافه كالزهر نوراً وكثرة ... وذلك بالإنصاف لايقبل الحصرا
خؤوف من المولى رؤوف على الورى ... عزوف عن الدنيا عكوف على الأخرى
قوِّي على التقوى غنيٌّ عن السِّوى ... خليٌّ من الدعوى وليٌّ ولا نُكرا
ويصبر للبلوى ويغفر للأذى ... ويشكر إن أقوى ويؤثر إن أثرى
تبارك مَن قد خصّه بخصائص ... من الفضل جلّت أن أحيط بها خُبرا
فيا كعبة الأحبار بيت قصيدها ... وياقطب أفلاك الولاية والذكرى
لك الله من بَرٍّ ببحر علومه ... وإمداده قد أخجل البرّ والبحرا
خلفت ضياءالدين حضرة خالد ... وعزّزت مَن أحيا طريقته الغرّا
وأصبحت في أوج الهداية حائزاً ... مقامات عرفان لقد عظمت قدرا
جمالك في جمع الجلال محجب ... وصحوك بالفرقان لايعرف السكرا
ورُبَّ قلوب بانكسار توجّهت ... إليك فنالت منك مايُجبرُ الكَسرا
تُظهر يامهديُّ الزمان إعتقادها ... فتملؤها عدلاً وقد مُلئت جورا
وتجذب سرّاً كل نفس أبيّة ... بأنفاسك العليا التي قُدِّست سرّا
سأنظم مايعنو له كل شاعر ... بمدحه مَن لولاه لأنظم الشعرا
وأُثني على إحسانه كل لحظة ... بأثنية تستغرق النظم والنثرا
فشكر أياديه الحميدة واجبٌ ... وهل هو لايستوجب الحمد والشكرا
وقد عَمَّنا رشداً وعَمَّرنا هدى ... وأعلى لنا قدراً وأعلى لنا ذكرا
وخصَّ الطريق الخالدي ببهجة ... تعليم آداب الطريقة والمسرى
فاعظم به خيراً تضاعف أجره ... وُقيِّد في سفر القبول له ذخرا
وأحمد مسعى طلعة الوزراء مَن ... هو البحر مدّاً بالمكارم لاجَزرا
فقد جادَ طبعاً حيث جادَ بطبعه ... وبدّل بعد العسر في نشره يسرا
رعى الله في مصر وجود سعوده ... وعمّر بالذكر الحميد له العمرا
على روضة من جنة المنتهى ثوى ... مؤلفها في ظلها رحمة تترى
فطوبى له من مرشد طالما به ... غلبنا العدا حتى بلغنا المدا نصرا
بمثل هداه قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ ... فريق الطريق الخالدي لك البشرى

ثم إنه قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ ذهب الى الديار الحجازية سنة تسع وخمسين في معية أم المريدين حرم حضرة مولانا قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ . فأدى حق الخدمة وصدق الهمة وقام بوظائف قدرها وترفيع شأنها ، ثم قضى نسكه ووفّى أعمال حجّه وعاد الى دمشق الشام مقبول الأعمال موصول الآمال . فعكف على القيام بسالف عباداته وترتيب عاداته من نشر العلوم وإحياء الطريق وبثّ الإرشاد غرباً وشرقاً . فزاد ظهور فضله وتلألأ كواكب هدايته وبعد صيته ، وتوجّهَت الى كعبة إمداده الوجوه وخضعَت له الوزراء والأمراء وأذعنت بكماله الفضلاء والعلماء ، وهو يغيث الطالبين ويرشد المسترشدين . حتى إذا كان عام إثنين وستين خرج قاصداً حج البيت العتيق وتلك المشاعر الحرمية ومعه سيدي الوالد الماجد وجمع عظيم من أصحابه . وكان أمير الركب الشامي عامئذٍ أعظم وزراء الدولة العثمانية والي دمشق الشام الصالح الهمام الحاج موسى صفوتي باشا رحمه الله تعالى . وكان من الإخلاص لسادات هذه الطريقة العلية بمكان مكين فقام بفريضة خدمته

وواجب شأنه ورعاية مقامه بنفسه وماله ورجاله بحيث لايتصور ماأجراه من فرط إكرامه ومن ومحض إخلاصه في تعظيمه وإجلاله والوقوف عند إشارته وإمتثال أوامره ونواهيه . فأدّوا جميع مناسكهم وعادوا الى مساكنهم على راحة الراحة وكرامة السلامة غانمي الأجور والعمل المبرور . فأنظر في هذه الحادثة بعين الإعتبار فإن الجد الأمجد قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ لما صدق في خدمة حرم حضرة مولانا قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ العزيز في ذهابهم الى البيت الحرام حرمةً لمقام مرشده المكرّم أعاد الله علينا من بركاته سخّر الله له هذا الوزير فخدمه جزاء إخلاصه في أعماله أعظم خدمة "مَن خَدَمَ خُدِم" . ولله درّ العارف الكبير سيدنا الشيخ مصطفى البكري المصري حيث قال :

عبيد ولكن الملوك عبيدهم　　　وعبدهم أضحى له الكون خادما

ثم ذهب عام ستة وستين الى المسجد الأقصى براً ومشي في رِكابه جمع عظيم من أتباعه ومريديه . فلما وصل الى مدينة صفد إستقبله خليفته بها العالم الفاضل والمرشد الكامل الشيخ محمد حديد الصفدي في جمهور أهلها ، بحيث لم يتخلّف أحد عن إستقباله . فخيّم فيها أياماً ثم قصد نابلس فيافا فالقدس الشريف . فلما أدرك مرامه من الزيارة والتبرّك بتلك الأماكن المقدّسة توجّه الى مدينة جدّ الأنبياء إبراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام . فزار وإستقصى ثم عاد الى الأوطان نائلاً أقصى الأوطار . فإستقبله وجوه (جُلَقْ) وأعيانها ورؤساؤها وصدورها وأقبل كافة أهلها للسلام عليه وإلتماس بركة دعائه . فقابل كلاً بما يليق من الإلتفات والإحتفاء والإحتفال . ثم طفق عوداً على بدء يقيم وظائف أذكاره ورواتب إرشاده والناس تفدُ إليه والأرواح تحج بيته المقدس من كل وجه ، فتنال من تزكية وتقديس ووصول الى الله تعالى بأقرب أن توارد تجليات إحسانية وترادف أنوار إلهية مالايحيط به فكر ولا يدركه خاطر .

ثم لما كان سنة سبعين عزم على الذهاب الى القسطنطينية العلية تنشيطاً للإخوان وترغيباً للمريدين وترويحاً لشرف الطريقة العلية وإجابةً لدعوة الوزير المشار اليه آنفاً الحاج موسيس صفوتي باشا . فلما خرج من داره وجد أكثر أصحابه ينتظرونه للوداع . فمشوا في خدمته الى ظاهر البلدة فبدا يعيدهم ، فمنهم مَن رجع ومنهم مَن لم يرجع ، فما زال بهم حتى رجّعهم عن آخرهم . وسار فلما وصل الى بيروت إستقبله أمراؤها وعلماؤها وتجارها وعظماؤها ونزل ضيفاً كريماً عند أحد ساداتها السيد عبدالفتاح حماده الإسكندراني . فما بقي أحد من أهلها المعوَّل عليهم إلاّ وتشرّف بزيارته وتحصيل بركته ومجاب دعوته ريثما حضرت السفينة . فركب فيها ومعه سيدي الوالد الماجد وجملة من أتباعه . فنزل معه الى السفينة دفتردارها وقتئذ وعامة كبرائها فودعوه بها وإستودعوه الله تعالى .

فلما وصلت السفينة الى ساحل القسطنطينية إستقبله الوزير المومى إليه وأنزله أعلى منزلة وبالغ بتعظيمه وترقية أحواله وترفيع قدره وشأنه . وجعلت المريدون والمخلصون يقصدون التشرّف بلثم أنامله أفواجاً أفواجاً ، لاسيما وكلاؤها ووزراؤها الفخام . وأما علماؤها الأعلام فقد بلغوا بالسرور بتوجهاته والحضور كل يوم الى إستمداد أنوار فيوضاته الغاية التي لاتوصف بلسان ولا يفي ببيانها بَنان . فنظر في أحوال الخلفاء والمريدين ونصح الواعظين ووعظ الناصحين وأرشد المرشدين وأفاد الوافدين . كل ذلك وهو لم يخرج من دار الوزير المنوّه به إلاّ الى زيارة الصحابي الجليل سيدنا ومولانا أبي أيوب بن زيد الأنصاري رضي الله عنه ولصلاة الجمعة في مسجد قرب الدار .

(ورأى) ساكن الجنان السلطان الغازي عبدالمجيد خان أحلم ملوك بني عثمان مرة وهو ذاهب لسماع قصة المولد النبوي في المسجد ، فحصل له حال عظيم وبكى بكاءً شديداً . فعجب الحاضرون من ذلك لما

يعهدونه من كمال أحواله وأحوال كماله ورسوخ قدمه في مقام التمكين ولم يقدم أحد على سؤاله . فقال لهم من باب الكشف عن الخواطر إني لما وقع بصري على عظم مظهريته حصل لي ماحصل- يريد بذلك الكلام الإشارة الى قاعدة عظيمة عند السادة الصوفية وهي أن العالم كله مظاهر للحق تعالى وهو الظاهر في كل على حسب إستعداده- ولايخفى أن ظهور الحق تعالى في السلطان أقوى من ظهوره في غيره . فرأى الشيخ نوّر الله مرقده ظهور الحق تعالى في السلطان على قدر إستعداده . وهذا منه نفّعنا الله به غاية في قوة الباطن وعلوّ الهمة ونفوذ البصر كما يعلمه أرباب هذا الشأن . (ذُكِرَ) إن أحد أولياء الله تعالى كان يدخل بالخصوص عند الحكام ويلمس بيده عليهم ويمسح بها وجهه ، فقيل له في ذلك ، فقال تجلّيات الحق تعالى عليهم أقوى التجلّيات . ثم أنقلب قدّس الله روحه بعد أربعة أشهر الى أهله مسروراً وقد ملأ الأستانة بهجة ونور .ا وقد كان عامئذ بين الدولة العلية العثمانية والدولة الروسية حرب عظيمة كان ببركة أدعيته المجابة النصر فيها للخلافة الإسلامية والعلم المحمدي المطهّر .

فلما دخل دمشق الشام قوبل بأنواع الإجلال ووجوه الإقبال ، ثم عمد الى ماعهد من فضائل أعماله وعام إرشاده ونشر فنون العلوم الى سنة أربع وسبعين . فعزم على الحج الشريف ومعه سيدي الوالد الماجد والعم المحترم الشيخ أحمد أفندي ونفر من أتباعه . وكان أمير صرة الركب الشامي عامئذ أخو الوزير المشار اليه سابقاً الشهم الوقور الحاج مصطفى أفندي رحمه الله . فخدمه أعظم خدمة وبذل في القيام بواجب قدره غاية الهمة وأنفق عليه وعلى أتباعه أموالاً جمّة . ولم يزل يزداد في تعظيمه وإعلاء شأنه وأداء فريضة خدمته بنفسه وأمواله ورجاله حتى أدى حجه على أسنى الأحوال وعاد على هذا المنوال . فخرج لإستقباله من أهل دمشق مَن لايُحصون عدداً وربما لم يتخلّف أحد أبداً . وأقبلوا للسلام عليه وتقديم المباركة بالسلامة إليه . فقابلهم بما يستحقونه من الإعتناء والإستغفار والدعاء .

ثم إلتفت لما ثبت عليه من إفادة العلم وإشادة الطريق وحفظ مركز خلافته العامة الى سنة ست وسبعين فوقعت في الشام حادثة المسلمين مع النصارى ، إذ قتل المسلمون منهم عدداً وافراً وخربوا مساكنهم وأحرقوا محلتهم ونهبوا أمتعتهم وهتكوا حرمتهم . فأقدم ساكن الجنان السلطان الغازي عبدالمجيد خان أحد وزرائه محمد فؤاد باشا الى الديار الشامية ، فأدّب أهلها بأنواع التأديب قتل واليها مشير المعسكر الخامس أحمد باشا بالرصاص ونفى لفيف أعيانها وعلمائها وخنق أكثر معتبريها وأدخل شبانها في سلك الخدمة العسكرية وضرب على الناس ضرائب من الأموال شاقة عامة وخاصة . كل ذلك ولم ينل حضرة الجد الأمجد ومَن يلوذ به أدنى مساءة ، بل إستثناه نصاً من كافة ذلك . وهذا كله كما سمعته منه غير مرة ببركة أنفاس أهل هذه الطريقة العلية وبصدق قدمه وقدم صدقه في خدمة الله عزّ وجلّ قال تعالى (أذكروني أذكركم) وقال عليه الصلاة والسلام : "إحفظ الله يحفظك" .

ولم يزل يزداد سمّواً ومجداً ويضيء إرشاداً ونفعاً كالشمس في الضحى والبدر في الدجى ، حتى خرج يوم الخميس قبل وفاته بأحد عشر يوماً مع بعض إخوانه الى بستانه على عادته الكريمة من تركه قراءة الدروس يومئذ ، وسبب خروجه أنه كان يقرأ في كتاب الجنائز من "شرح المنهج" للقاضي زكريا الأنصاري قُدِّس سرّه في فقه إمامنا الشافعي رضي الله عنه وكان يغلب عليه البكاء وقت القراءة الى أن أتمّ . فأحبَّ قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ ترويحاً لإخوانه أن يتنزهوا في مكانه . فما زالوا في سرور وإنشراح صدور الى فوت العصر . فأحسَّ قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ بإنحراف في صحته بحيث أعرضت نفسه الزكيّة عن تناول العشاء ثم نزل

الى منزله مساء فلبث يتوعك نحو ثلاثة أيام ثم إنقلب مرضه الى حمى معوية قوية . فهنالك أوصى وأمر ونهى وإستقصى . ولم يزل المرض يشتد ويقوى حتى أتمَّ أنفاسه الطاهرة سَحَر يوم الإثنين تاسع عشرى صفر الخير سنة تسع وسبعين ومائتين وألف . فلما أن أبهار النهار غُسل بالأنوار وكُفِّنَ في الأسرار وحضر غسله علامة العصر وبركة المصر شيخنا الشيخ محمد الطندتائي الأزهري أطال الله بقاه . ورُفع على أنامل الأفاضل ضحىً الى جامع (يلبغا) ، وقد إجتمع لتشييع جنازته والصلاة عليه الخاص والعام من أهل الشام . فأذن سيدي الوالد الماجد لشيخنا المشار اليه فصلّى عليه ، ثم ساروا به وقد قال لسان الحال "قوموا أنظروا كيف تسير الجبال" حتى إذا وصلوا الى تربة حضرة مولانا خالد قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ العزيز دفنوه حذاء ضريح القائمقام الثاني سيدنا الشيخ عبدالله الهروي قُدِّس سرّه . فتجد ترتيب محلاتهم ومقاماتهم في حياتهم . وقد لقّنه شيخنا المنوّه به ، فشكّر له القوم ثبات جأشه في ذلك اليوم .

ثم رجعوا وقد فاضت بالبكاء عليه من العيون عيون وشقّت لمشقّة فَقده من القلوب جيوب ولبس الإرشاد ثوب الحداد ولطم العلم وجهه في كل وجهة وضرب الزمان صدره لفقده عقده النظيم ، وحلّ بالمسلمين بلاء عظيم وإضطربوا إضطراباً عديداً وزُلزلوا زلزالاً شديداً إذ علموا إن موت العالم ثلمة في الدين ، فما بالك بموت إمام المرشدين وعلامة المسلمين . كما قلت في هذا المقام مؤرخاً وفاته ذلك العام :

هلمّ خليلي نندب الجدّ سيدي	محمد الخاني علاّمة المـــلا
لعَمرك مافقد الملوك وملكها	بلاء وال الأموال والأهل والعُـــلا
ولكن إذا أنصفت قلت مؤرخاً	وفاة إمام المرشدين وهو البلا (سنة ١٢٧٩هـ)

فانه من المشهور عند الخاص والعام أنه قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ كان من أولياء الله الكرام والعيان برهان جليل :

وكـيف يقـرّ في الأذهان شيء	إذا إحـتـاج الـنهـار الى دليل

وقد جمع الله له ثلاث شهادات : الحمى والغربة وطلب العلم . وإليه أشرت بقولي في المرثية الآتية أعد له الله الخ . وقد رثاه غير واحد من فضلاء الشعراء وشعراء الفضلاء . فأحببت أن أتشبّه بهم في خدمة مقامه العزيز ، فقلت :

متى يسعف الصبر الجميل ويسعد	وحـزن على حـزنٍ يقـيم ويقـعـدُ
أثار بقلبي مـاأثار من الجَـوى	فنيـرانه بين الجـوانح توقـدُ
ورزء يذوّب الصـخـر من صـدمـاته	ويرجفُ قـافُ منه والبـحـر يجـمـدُ
فكم أورث الألبـاب بحـران دهشـتـه	الى أن غـدت في صـدقـة تتـرددُ
وشقّ قلوباً لاجـيـوباً مـشـقّـةً	ومـزّق أكـبـاداً لم تتكبّـدُ
وأرسل من أهواله سـحب عـبـرة	بلا فـتـرة بل حين تصـدر توردُ
على فـقـد جـدٍّ طالما جـدَّ في العُـلا	وأصـبح للدين الحنيف يُجـدّدُ
على العلم والإرشـاد والزهد والتـقى	على الجود والإمداد والخير يفـقـدُ
على الأمـر بالمعـروف والنهي زاجـراً	عن المنكر المطلوب فيـه التـقـيّـدُ
على بحـر عـرفـان مـوارده صـفت	لكل مـريد فـيـه لله مـوردُ
على شـمس أسـرار تضيء هداية	وتحـيي الطريق ألمجـتـبى وتؤيّدُ
على صـائم الأيام وهي هواجـر	يجـاهد في الله ولله يجـهـدُ
على قـائم الليـلات وهي دياجـر	يقـسّـمـهـا ذكـراً وفكراً ويسـجـدُ

على مرشد يهدي الى الحق نوره ... فمن جاءه يسعى فبالله يسعدُ
على وارث القطب المعظّم خالد ... بصدق له الذكر الجميل يُخلّدُ
فمَن لدروس العلم يحي دروسها ... بتحرير تقرير يحل ويعقدُ
ومَن لعلوم القوم يظهر سرّها ... بذوق له العلم اللدني مُسنَدُ
ومَن للطريقة الخالدية بعده ... يشيد من أركانها مايشيّدُ
فيا طالما أحيا مآثر قطبه ... وآثاره الكبرى بذلك تشهدُ
وعزّز مَن قاموا بحقّ مقامه ... فكانت بهم تُحمى الطريق وتُحمدُ
كواكب إرشاد أضاءت على الورى ... إذ غاب منهم مرشدٌ لاح مرشدُ
هم الشيخ إسماعيل قدّس سرّه ... وحضرة عبدالله والجد الأمجدُ
محمد الخانيُّ والمُظهر الذي ... له في مقامات الولاية مشهدُ
له العلم في هلك الطريق وملكه ... ومـا يصلح الأحوال فيه ويفسد
تفرّد عن أقرانه بمناقب ... كبار وهمّ الأولياء التفردُ
فقد كان في علم الحقيقة مفرداً ... كما هو في علم الشريعة مفردُ
فطوبى له من عارف جدّ عارف ... الى الله يهدي السالكين ويرشد
له مسجد بالذكر والفكر عامرٌ ... وقومٌ كرامٌ رُكّعٌ فيه وسُجّدُ
له الجود والإيثار والزهد والتُّقى ... له الورع الأولى به والتجرُّدُ
صبور على التقوى غفور لمن أسا ... شكور إذا أقوى وقور ممجّدُ
تقلّد في الإرشاد أكبر منصب ... بهمّته الكبرى التي لاتُقلّدُ
كراماته في كل ملك شهيرة ... وخيراته في كل وقت تجدّدُ
بديع بيان في حديث تصوّف ... بتفسير فقه نحوه الحق يُقصدُ
وبهجته أسنى كتاب مؤدب ... فآياته تُتلى لنا وتُجوَّدُ
ولا عيب فيه غير أن وجوده ... عزيز فمن أمثاله ليس يوجد
أعدّ له الله مقام شهوده ... جزاء وشهادات له تتعدّدُ
وأحيا الليالي ساهد الطرف ساجداً ... فأضحى له دار النعيم تُمهّدُ
بنفسي أفدي مرقداً حلّ مرقداً ... وأعظم به من مرقد فيه فرقدُ
عجبت لقوم وسدوه بلحده ... ومااُفتتتُ منهم قلوبٌ وأكبُدُ
وأعجب منه أن بحراً يقلّهُ ... سرير ويحويه من الأرض مرقدُ
علوم وعرفان وزهد ورحمة ... وجود وإرشاد وتقوى وسؤددُ
فياليتني ماذقتُ صاب مصابه ... ولا كان لي في عالم الكون مولدُ
عليه من الله تحيةُ رحمة ... وهتان رضوان وعفو مُسرمدُ
ومني له حسن الثناء لأنه ... هو السيد المنشي الفخّار المشيّدُ
فلا أثمرت في روض طرسي يراعة ... براعة لفظ كاللآلي ينضدُ
إذا كنت لأبكي دماً لفراقه ... وأندبه مازلت أنشي وأنشدُ
وأشكره مادمت حياً لعلني ... أكافي أياديه الكبار وأحمدُ
وأنى لذهني أن يكافيء فضله ... وإن عليه كل أن له يدُ
عهدتُ اليه أن يجيد رثاءه ... وعهدي به عند المهمات ينجدُ

فحال الجريض اليوم دون قريضة	لعَمرك إن الحزن للذهن يُخمدُ
فصادمت أحزاني وقلت مؤرخاً	توفي حصن الأتقياء محمدُ (١٢٧٩هـ)
وإلاّ فما دام المصاب مصاحبي	متى يُسعف الصبر الجميل ويسعدُ

ومن غريب الإتفاق أني حسبت ألفاظ (توفي محمد الخاني) ، فوجدت عدد كلماته تاريخاً لوفاته ، لكن بإسقاط ألف الوصل التي في لفظة الخاني جرياً على إحدى قاعدتي حساب التاريخ في الجمل- وهي أن يُحسب مايُلفظ به ويحفظ عادة لا ما يُكتب . والثانية أن يُحسب ما يُكتب كما أشار اليه الشيخ عبدالغني النابلسي قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ في شرح بديعيته . وبالجملة فقد كان الجد الأمجد ومزّق أكباداً لم تتكبّدُ آية في كل فضل ورعاً وزاهداً وذاكراً مجاهداً كثير العبادات والرياضات الشاقات . وأغلب رياضاته في مقام حضرة مولانا قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ العزيز . وكان يغتذي فيهنَّ كل يوم بماء إحدى وعشرين زبيبة ، وربما وضع معهن نحو ثلاث حبات من مشمش ولم يترك الرياضة في كل رمضان وعشر ذي الحجة حتى توفي قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ .

وكان مشغوفاً بمطالعة كتب السادة الصوفية خصوصاً "الفتوحات المكية" وتائية العارف الكبير الشيخ عمر بن الفارض قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ العزيز وشروحها . فما خرج الى منتزه إلاّ وكان معه من كتب القوم مايصرفُ بقراءته بياض نهاره ، لاسيما كلام العارف الشعراني قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ العزيز . وكان كثيراً مايُحب لبس العباءة والإكتساب من الزراعة ، ويقول هي الى الحلّ أقرب وبالتوكل أنسب . وقد رزقه الله القبول في الأرض والجاه العريض والكلمة النافذة عند الحكام مع كثرة إجتنابه لهم . وكثيراً ما كانوا يأتون لزيارته والتبرّك به وأخذ الطريق عنه .

(وكان) شجاعاً فارساً يحب ركوب الخيل النفيسة نزيه النفس زكي الأنفاس مُجاب الدعوة يقصد بركته كافة أرباب الأسقام المُعضلة ، فيعافيهم ببركة دعائه المطهر . (وكان) قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ ذا هيبة ووقار وهيئة محمدية الذات والصفات والأنوار حُلاه تغني عن إثبات عُلاه . فإنه كان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف الأولياء من الذين إذا رأوا ذُكر الله . (وكان) قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ يحب الفقراء والمساكين ولاسيما المجاذيب ، فإنه كان يألفهم جداً وهم كانوا يحبونه أيضاً ويترددون اليه ويتحمل منهم مشاق عظيمة .

(وكان) قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ له قوة عظيمة في إلقاء الجذبة والتصرّف في أحوال المريد وله شفقة تامة على أصحابه وربما هجر فراشه وبات في المسجد تنشيطاً لإخوانه على قيام الليل . (وكان) قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ حسن الأخلاق يعفو عمّن ظلمه لا عن عجز ، صبوراً على اللأواء كريم الطبع غزير الدمع كثير الأحزان متمسكاً بالسنّة السنية في أحوالها كلها ، آخذاً في أموره كلها بالعزائم مُعرضاً عن الرُخَص وكل مالايلائم . يعمّر مجلسة بالمذاكرة في المسائل العلمية أو مناقب الصالحين أو أحوال الطريقة العلية لايستطيع أحد أن يمكّن بصره منه من فرط جلالته ولا أن يذكر عنده شيئاً من أمور الدنيا ، نصوحاً للمسلمين آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر بالوجه اللائق . ومن نصائحه "لاتغترّ بولاية الأعاجم ولابصحبة أهل الشام" .

(وله) قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ فضائل شهيرة وآثار كثيرة ، ولولا إستغراقه بمحبة الذكر وصرف وقته الى المراقبة والفكر لكان على ما له من علوّ الهمّة والإطلاع على العلوم المهمة ألّف تأليف جمّة ينتفع بها عامة الأمة .

(وله) قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ كرامات كبار وكشف كالشمس في رابعة النهار . فمن ذلك ماذكره بعض جيرانه أنه أتى بمومسة ليلة الى داره -وكانت خالية فأوقد المصباح لها ثم خرج الى السوق لحاجة . فلما رجع دخل الدار وكان للمكان الذي فيه المومسة شبابيك من بلور فنظر من البلور فرأى حضرة الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ جالساً في المخدع . ففزع أشدّ الفزع ثم خرج يعدو حتى أتى المسجد فرأى الشيخ جالساً في محلة على عادته . فعاد الى الدار فوجد الشيخ في ذلك المحل بعينه ، وهكذا ثلاث مرات . فرجع عند ذلك الى المسجد وقبّل يد الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ وقد عقد في نفسه التوبة النصوح ولم يعرج على الدار . فلما إستبطأته المومسة ذهبت . فرجع بعد العشاء فوجد منزله خالياً فبات يشكر الله تعالى ويستغفره حتى أصبح ولم يعد لمثلها أبداً ببركة إلتفات حضرة الشيخ نفعنا الله به .

(ومنها) أنه جاء محمد رشيد باشا والي بغداد المشهور بكزلك باشا رحمه الله تعالى الى الشام رئيس المعسكر الخامس- وكان ممن تربّى في بلاد الإفرنج وأشرب في قلبه حبهم وكراهية الإسلام . فإتفق أنه نزل يوم عرفة الى سوق الغنم ليشتري الأضاحي للعسكر وهو قريب من مسجده قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ . فلما أن فرغ دخل المسجد ليغسل يده من أثر مسّ صوف الأغنام . فلما دنا من الحوض رأى الشيخ واقفاً يتوضأ فجعلت نفسه تأمره أن يقبّل يد الشيخ ، فقال لها كيف أقبّل يد مسلم وهم أبغض الناس اليّ ؟ فمازالت به نفسه حتى أقبل وقبَّلَ يده . فما زاد الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ على أن وضع يده على صدره تحية له ثم إشتغل عنه في وضوئه . فإنصرف هذا الرجل وقلبه معلّق به . فذكر ذلك لمشير المعسكر المذكور محمد نامق باشا وفقه الله تعالى على وجه التعجّب من نفسه . فقال له : ويحك هذا الشيخ محمد الخاني وهو من أولياء الله تعالى وهو الذي كنت تلومني في زيارته . فقال له : بمثل هذا العزيز يفتخر الإسلام ، فإني الآن ببركته قد صدّقت بصحة دين الإسلام وأحببت أهله وأنقذني الله على يديه من النار .

ثم جعل يتردد لزيارته ويشكره على نعمة إنقاذه ومنة إرشاده . ولم يزل يذكرها في المحافل العالية في دار السلطنة وغيرها حتى توفي عُفي عنه .

(ومنها) وهي مما شاهدته إن أكبر أعمامي الشيخ أحمد أفندي حفظه الله تعالى كان يشكو وجود حصاة في المثانى ويتألم عند قضاء الحاجة أشد الألم وربما مرض منها أياماً فأعيا الأطباء ولم يفرج عنه شيء . فكتب له حضرة الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ تميمة وأمر أن تُجعل في إناء ويُصب فوقها ماء ويُسقى منه . فمالبث أن خرجت الحصاة مع إفراز الحاجة بقوة ، بحيث لما أصابت الطست إنكسرت نصفين وبرىء من ذلك الى يومنا هذا ولله الحمد .

(وأما كشفَهُ) فقد أخبرني السيد الوالد الماجد أدام الله إمداده أنه قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ كان يخبره بالأمر قبل وقوعه فيقع كما أخبر عيناً . وإن هذا كان دأبه في الأمور كلها وإنه قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ كان في الإطلاع على خواطر المريدين مرآة صقيلة يلوح فيها أدنى الخطرات كأعلاها . وإنه كان لايسأل مريداً عن أحواله قطّ ، بل هو الذي يخبر المريد بأطواره ويرقيه في معارج سلوكه ويأمره مرة وينهاه تارة .

(وأخبرني) بعض أتباعه أنه أتى لزيارة أعتابه قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ وشكاية مظلمة وقعت عليه فرأى عند وزير الشام وقتئذ فلم يمكنه الوصول اليه . فلم يلبث الوزير أن ذهب فقام حضرة الشيخ لوداعه فخطر في بال الرجل أن الشيخ يعظّم الحكام ، فالتفت اليه قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ في الحال وقال : "هذا لأجلكم" . فخجل الرجل أشد الخجل وحصل له تمام الهيبة والوجل . (وغير خفي) إن الصبح عنوان على النهار والطليعة تدلّ على

الجيش ، فلنكتف بهذا القدر من حذر الملل .

(وكان) قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ لفرط تعظيمه لشأن الطريقة العلية ومعرفته لعزّة قدرها ومكانة شرفها يتمنّع عن الإذن بالخلافة لأحد ، إلاّ بعد كماله ورسوخ قدمه في معرفة السلوك . ومع ذلك فقد تربّى على يديه سادة صلحاء وقادة علماء وجادة أتقياء أولوا رشادة وزهادة وفضائل خوارق للعادة . من أجلّهم عالم وقته وبركة عصره وصالح قطره ذو الأنفاس القدسية الشيخ يوسف أفندي رئيس الوعّاظ في مسجد أياصوفيا في دار السلطنة القسطنطينية العلية قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ . فإنه حضر عام أربعة وخمسين الى دمشق الشام ودخل الرياضة وجلس بين يدي الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ وخدمهُ وأخلص بتسليم قلبه إليه . فلما أكمل تربيته أذن له بالإرشاد وخلفه خلافة عامة . فعاد الى الأستانة العلية ينشر أعلام الطريق العلية ويربّي السالكين ويرشد الطالبين . فحصل على يديه نفع عظيم . وتوفي عام نيف وستين ومائتين وألف في القسطنطينية ودفن بها نوّر الله ضريحه .

(ومنهم) نجله العالم الفاضل المربّي الحاج محمد عارف أفندي قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ وفد بعد إنتقال والده على رحاب حضرة الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ في دمشق الشام . وألقى إليه مقاليد التسليم التام فأدخله الرياضة وبالغ بتربيته وتكميله . فلما إنقضت واجبات سلوكه أذن له بالإرشاد العام وخلفهُ خلافة مطلقة وأعاده مكان والده في الأستانة العلية شيخاً لتكية صالح الوزراء العظام الحاج موسى صفوتي باشا رحمه الله تعالى ، التي بناها من ماله وشرط أن يكون شيخها نقشبندياً خالدياً وأن لايكون كردياً ، وهي تكية عظيمة منظمة أحسن نظام . فطفق يقيم الختومات المقدّسة بها ويرشد السالكين ويهدي المسترشدين حتى إذا عمّ نفعه وكثر سواده وجمعه توفي ودُفن . وكانت وفاته في بضع وسبعين قُدّس سرّه .

(ومنهم) العالم الهمام والمرشد الإمام الشيخ حسن فيض الله أفندي قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ . أتى الى أعتاب الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ عام خمسة وخمسين وسلّمه زمام نفسه بكمال الإذعان والخضوع . فربّاه أحسن تربية الى أن بلغ أشدّه ، فأذن له بالإرشاد وخلفه خلافة عامة . فقطن الأستانة وإشتغل بالطريقة وحصل له قبول عظيم وجمعية كلية وخلفاء كثيرون الى أن توفيّ هنالك في حدود سنة تسعين نوّر الله مرقده .

(ومنهم) العالم الصالح والمرشد الناصح الشيخ محمد مهدي الداغستاني قُدّس سرّه . جاء الى رحابه نفعنا الله به عام نيف وخمسين وأظهر فرط الإخلاص ومحض الصدق في العبودية . فأقبل بوجهه الكريم عليه وصرف همته لتربيته أحسن تربية وأدخله الخلوة ومازال يرقّيه في مدارج الكمال حتى أتمّ سيده . فأذن له بالإرشاد العام وخلفه الخلافة المطلقة . فذهب الى أوطانه ثم بعد تغلب الروسية عليها هاجر الى القسطنطينية وطفق يبث بها أنوار الأسرار وإمداد الإرشاد حتى حصل به النفع العام للخاص والعام . ثم ذهب الى المدينة المنورة فلم يزل مجاوراً بها حتى لقي وجه الله تعالى . وكان عالي الهمة شديد الورع والزهد عرضت عليه والدة السلطان الغازي عبدالمجيد خان أن تبني له تكية وترتب له رواتب وافرة ليدعو للسلطان ، فأبى وقال أنا أدعو له على كل حال .

(ومنهم) العالم العلامة والمرشد الكامل الإستقامة الشيخ إسماعيل أفندي البروسوي إمام جامع السلطان في بروسه . قدم الى دمشق وتشرّف بدخول الخلوة عنده وفاز بخدمته وصدق ملازمته

والتـشـرّف بطريقـتـه . فلم يبـرح يمدّه بإكسـيـر أنظاره ويسلكه في مـقـامات الوصـول حـتى أدرك أوج الكمـال وبلـغ درجات الرجـال . فـأذن لـه بالإرشاد العـام وخلفـه خلافـة مطلقـة . فعـاد الى بروسه بعـد أداء الحج الشـريف رافـع ألويـة الطريقة العليـة يربّي المريدين ويرشد الـطالبين ، وقد إنتـفـع بـه خلق كثـيـر وتكمّل على يديه الجم الغفير وفيه توفي نوّرالله مضجعه .

(ومنهم) العالم العامل والمرشد الربّاني الشيخ إبراهيم أفندي الأرزنجاني قُدِّس سرّه . قصد أبوابه بعد أداء الحج سنة بضع وخـمسين بهمّـة صـادقة وعـزم مـصمم وتسـليم تام . فإلتـفـت اليـه حضرة الشـيخ بنفسه وأدخله الرياضة وربّاه ورقّاه وأدّبه وهذّبهُ حتى كمل سلوكه وتمّ إرشاده . فأذن له بالإرشاد العام وخلفـه خـلافـة مطلقـة فرجـع الى أوطانه وقـد بلـغ جـميـع أوطـاره يرشد الـناس ويغـيـث القلوب وينوّر السرائر بإظهار أسرار الطريقة العلية . فإنتفع به من العالم كثير حتى توفي هنالك قُدِّس سرّه .

(ومنهم) الفاضل الكامل والمرشد الواصل والعالم العامل الشيخ مـحمود البغدادي قُدِّس سرّه . أتى الى قـبابه بعـد قـضاء فـريضة الحـج عام ثمان وخمسين بقلب سليم وعـزم قـوي ومحض تسـليم . فقـبله وأدخله الخلوة وإعتنى بإرشاده وتربيته بنفسه ، فنال درجات الكمال في أقرب زمان . فأذن له بالإرشاد للعباد وخلفهُ خلافة مطلقة وأعاده الى بغداد . فإنتفع به من الطالبين مـا لايحصون عدداً الى أن توفي ثَمَّ قُدِّس سرّه .

(ومنهم) العالم اللوذعي والمرشد الألمعي الشيخ إبراهيم إبن الشيخ حامد المارديني قُدِّس سرّه . قدم والده لأداء الحج وأتى الى حضرة الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ عـام نيف وستين- وكان والده من خلفاء الشيخ ملا خـالد الجـزيـري خليفـة حضـرة مولانا خـالد خالد قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ العـزيـز- وشرح له كمـال أحـوال والده وإستحقاقه للخلافة . فأذن له بالإرشاد وخلفـه خلافة تامة مطلقة وهو الآن والحمدلله في ماردين يرشد الطالبين ويربّي السالكين حفظه الله تعالى .

(ومنهم) صـالـح المرشـدين ومـرشـد الصـالحـين الشـيخ أحـمـد الكارازي (نسـبـة الى كـاراز من أعـمـال آمد/دياربكر) . قدم على أعتـابه سنة بضع وستين وجلس مجلس الإستسلام حـتى أدرك من فيوضات تربيتـه وتوجهات بركـته غاية المرام . فأذن له بالإرشـاد وخلفه خلافـة مطلقة وأعاده الى أوطانه بعـدما خرج منهـا كارهاً لما وقع له هنالك . وهو أنه لما توفي الشـيخ ملا خالد الجـزيـري المومى اليه ودُفن في قرية الـباصرة من أحـواز الجزيرة قـام مقـامه صهـره الشيخ صـالـح فكتب لكافـة خـلفـاء ملا خـالد أنه يجب على كل واحد منهم أن يأتي الى الباصرة لزيارة ضريـح الشيخ في كل عام وإن مَن تخلّف فهو مطرود . فأنكر ذلك عليه أكـثرهم من جملتهم الشيخ أحمـد المنوّه به وكتبوا الى حضرة الجد الأمجد بذلك . فكتب الى الشيخ صـالـح يـنهاه أشد النهي ويأمره بـالكف عن ذلك ويبيّن له مافيـه من المحضور شرعـاً . فلما وصل اليـه الكتـاب أذعن وأناب . ثم لما بـلـغ الشـيخ أحـمـد أوطانه طفق يبث أسـرار الطريق فـيـه حـتى حصل على يده نفع عظيم للمسلمين . وكان عالماً فاضلاً ورعاً زاهداً له كرامات مأثورة في تلك الجهات نفعَنا الله به .

(ومنهم) أكمل الخلفاء صالح عصره وبركة وقته العلامة الفهّامة الشيخ إسماعيل أفندي القرلي (نسبة الى قولة بلدة من بلاد الأناضول) إمام جامع (السنجاغدار) في دمـشق الشام قُدِّس سرّه . صحب حضرة الشيخ وصـدق في صحبـته وكمال خدمتـه ، فأدخله الخلوة وبالغ في حسن تربيتـه مؤدياً حق قابليـته

حتى بلغ درجة الكمّل من الرجال وأدرك في الطريقة العلية أعلى الأحوال . فأذن له بالإرشاد وخلفه خلافة مطلقة فلم يزل ملازماً عتبة حضرة الشيخ حتى إنه قُدِّس سرّه جعله وصياً على أولاده وقائماً مقامه من بعده . غير أنه إخترمته المنية في حياته شهيداً في وباء رمضان سنة أربع وستين . ودُفن في تربة حضرة مولانا قُدِّس سرّه . وقد جمع الله له ثلاث شهادات : طلب الحق والوباء والغربة أهلَّ الله عليه سحائب رحمته وعفرانه .

(ومنهم) العالم الصالح والمربي الفالح الشيخ محمد حديد الصفدي قُدّس سرّه . أخذ الطريقة العلية عن قطب الإرشاد عن حضرة مولانا خالد قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ العزيز . ثم لازم خدمة حضرة الشيخ ودخل عنده الخلوة ، فنظر اليه بعين عنايته وخصّه بمزيد رعايته ولم يزل يرقّيه مراقي الفلاح حتى أصبح مرشداً كاملاً . فخلفه خلافة مطلقة وأذن له بالإرشاد العام فذهب الى مدينة صفد يربي المريدين ويرشد الطالبين متمسكاً بأذيال الزهد والعفة والإستقامة على السنة السنية ونشر راية الطريقة العلية في تلك البلاد ، حتى إنتفع به خلق كثير من تلك الأقطار وقُصد بالرحلة من كل جانب . وشوهد له كرامات كريمات وأحوال وأطوار عظيمات ، وصار له خلفاء أفاضل صلحاء . ولم يزل حتى إنتقل بعد عام ثمانين الى لقاء الله عزّ وجلّ في صفد وقبره يُزار ويُتبرَّك به .

(ومنهم) العالم الفاضل الشيخ أحمد جعفر حفظه الله تشرّف . بأخذ الطريقة العلية عن حضرة الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ وعكف على خدمته وصدق محبته . فقابله بالقبول وأدخله الرياضة وسلكه في درجات الوصول حتى أشرف على الكمال ونال ببركته مانال . فأذن له بالإرشاد وخلفه خلافة مطلقة وعقد له على أكبر بناته البرّة التقيّة الصالحة خديجة رحمها الله تعالى . فأقام في دمشق الشام مدة ، ثم رحل بها الى البيت الحرام بقصد المجاورة في تلك الأماكن المقدّسة . فلم تزل حتى توفيت عام إحدى وثمانين ودُفنت في المعلاه . ثم عاد الى المدينة المنورة وإتخذها موطناً الى يومنا هذا ، غير أنه يغلب عليه الإنزواء وحب الوحدة فلم يرد لذلك منه مريد .

(ومنهم) العابد الذاكر الصالح المربي الشيخ على الحزوري الحمصي قُدّس سرّه . تلقى الطريقة العلية عن غوث الزمان حضرة مولانا خالد قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ ثم بعد إنتقاله لازم عتبة حضرة الشيخ وفاز بتربيته وتسليكه حتى حصّل رتبة الكاملين . فأذن له بالإرشاد وخلفه خلافة مطلقة . فلم يبارح رحابه حتى توفي عام ٨٩ يوم عيد الفطر ودُفن في تربة حضرة مولانا قُدّس سرّه . (وكان) من الإستقامة بمكان بقي أكثر من أربعين سنة وهو يخرج من بيته الى المسجد في ليل ويدخل في ليل . وكان يتكسّب من كتابة الكلام القديم ولا يرى إلاّ في ذكر أو عبادة وهو الذي أقرأنا القرآن المجيد جزاه الله عنا خيراً جزيلاً .

(ومنهم) العالم الصالح والمرشد الفالح الشيخ محمد شامو الكُردي قُدّس سرّه . تشرّف بأخذ الطريقة السنية عن حضرة الشيخ وإشتغل بالسلوك والخلوة حتى حظي بالمرام . فأذن له بالإرشاد وخلفه الخلافة المطلقة . فلم يزل مثابراً على خدمة أبوابه وإستجلاب أنواره وحضور دروسه . وكان يقيم الأذكار الخواجكانية في مدرسة الصاحبة في الصالحية حتى توفي سنة بضع وسبعين ودُفن في تربة مولانا قُدّس سرّه .

(ومنهم) نخبة الصالحين الشيخ عمر الأصبحي القادري قُدّس سرّه وفقه الله تعالى لتلقي الطريقة

العليـة عنه قَدَّسَ اللّهُ سـرَّهُ . فـألقى عـليـه أنظاره المحمديـة ماألـقى وأدخله الخلوة وإعـتنى بتـربيـتـه وترقيـتـه وبإرشاده وإمـداده . فحصـل له في سلوكه أحوال غـريبة وأطوار نادرة عجيبـة بحيث كان فـانياً في الشيخ رضي الله عنه الذي هو مـقدمة الفناء في الله تعالى فناءاً أتمّ ، حتى إن الشيخ توعك يوماً ، فـفصـده الحجّام فخـرج الدم من يد الشيخ عـمر وهو في مكانه فعُجب من ذلك . ثم أتى لزيارة حضـرة الشيخ فـذكر له ذلك فـفرح قَدَّسَ اللّهُ سـرَّهُ وأخبـره أنه كان فُصِّدَ ساعـتئذ . فلمـا تمّ سيد سـلوكه على مـدارج ملوكه أذن له بالإرشـاد وخلفه خـلافة مطلقـة . فلم ينفك في عـتبـة بابه مسـتقـيمـاً على خدمـة رحابه حتى توفي عام خمس وسبعين ودُفن في تربة حضرة مولانا خالد قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ العزيز .

(ومنهم) زينة الزاهدين العالم المربي الشـيخ أحمد الكُردي خطيب قرية (زملكا) قُـدِّس سرّه . تشرّف بأخذ الطريقـة العليـة عن سيـدي وجـدي الشيـخ أحمـد الأربيلي السـالف البـيان . وإشـتـغل بهـمة قـوية وصدق طوية حتى أستُعمل في بعض أعمال حضرة مولانا وهو في الشـام . فلما توفي قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ العزيز لازم خـدمة حضـرة الشيخ ، فـأفاض عليـه أنظار إرشاده وأمـدّه ببركة إمـداده وأدخله الرياضة غـير مـرة وصرف العنـاية لترقـيـتـه وتكمـيله . فـفاز بـأحسن الأحـوال وبلغ مـبلغ الرجـال . فأذن له بالإرشـاد وخلفه خـلافة مطلقة ، فأقـام في القـرية المذكورة ينشر أعـلام الطريقة العلية ويهدي الطالبـين ويفيد الراغـبين . وكـثـيـراً مـاسـام في أرجـاء دمـشق لبثّ أسـرار الطريـقة الـعليـة حتى حصل عـلى يديـه نفع عظيم . ولم يزل مـثابراً على خـدمة حضرة الشـيخ قَدَّسَ اللّهُ سـرَّهُ حتى لحق بالرفـيق الأعلى . فبـقي على ماكان عليه يتـردد الى حضرة سيدي الوالد الماجد أيّده الله تعـالى حتي توفي سنة تسع وتسعين ومائتين وألف ، ودُفن في تربة حضرة مولانا قُدّس سرّهما .

(ومنهم) العبد الصالح الهمام والمرشد الإمـام الشيخ سعيد الصـمصام الحموي قُـدّس سرّه . قدم على أعـتـاب حضـرة الشـيخ قَـدَّسَ اللّهُ سـرَّهُ من حـماة الى الـشام وتشـرّف بدخـوله للخلوة . فـأدركـتـه عناية أنفاسـه المقدسة فـأتمّ حركة سيره في الطريق العليـة . فأذن له بالإرشاد وخلفـه خلافة مطلقـة وأعاده الى حـمـاته يربـى المريدين ويرشـد السـالكـين . فلم يزل كـذلك حتى أتم أنـفـاس حـيـاته عـام بضع وخمسين .

(ومنهم) سلالة الأوليـاء الشـيخ أحمـد علوان الحـموي قُـدّس سـرّه . وفـد على رحاب الشـيخ أمدنا الله بمدده ، وبذل جهده في الرياضة والخدمة . فلم يزل يلحظه بنظره الإكسير ويربيه تربية خاصة ويرقّيه الى منازل السائرين ، حتى أذن له بالإرشـاد . فعاد الى حماة مالكاً عروس المراد حـاملاً لواء الهداية بالجد والإهتـمام مظهـر أسـرار الطريقة الـعلية بين الخـاص والعـام . ومازال على هذا المـنوال حتى توفي عـام بضع وثمانين قُدّس سرّه .

(ومنهم) نخب الصالحاء أحد خواص القرّاء وإمام (أربه چيلر) جامع في القسطنطينية الشيخ الحاج أحمد حافظ أفندي قُدّس سرّه . إجتمع به وهو في الآستانه ولازمه مدة بقائه ثم قـدم على أعتابه عام ثلاثة وسبعين وتلقى الطريقة العلية عنه بصدق قويم وقلب سليم وخضوع وتسليم . فأدخله الرياضة في مقام حضرة مولانا خالد قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ العزيز وطفق يدرّ عليه من فيض أسراره وينفق عليه من كنز أنواره ويعرج به الى معارج الـرجال ، حتى نال منازل الكمال . فأذن له بالإرشاد وخلفـه خلافة مطلقة ثم أعاده الى دار السلطنة القسطنطينية . فـأقبل عليه أكثر أهلها وإنتفع به جمّ غفـير ، غير أنه كان يغلب

عليه الإنزواء . ثم جاء مرة ثانية الى دمشق الشام صحبة أمين صرة ركب الحاج الشامي الحاج مصطفى أفندي السالف بيانه رحمه الله . فخرج حضرة الشيخ الى الحج عامئذ وخرج وهو في خدمته ثم ذهب من البحر الى الأستانة العليه ، ثم تحول الى المدينة المنوّرة وعيّن له رواتب سنية . فأقام في جوار فخر الأنام حتى توفي عام خمسة وثلاثمائة برّد الله مضجعه .

(ومنهم) صالح العلماء وعالم الصلحاء وسبيل الأولياء ذو الأنفاس الانسية والهمم القدسية العم المحترم الشيخ أحمد الخاني حفظه الله تعالى . (ولد) سنة إثنين وخمسين ونشأ في حجر سيدي والده وتربى على موائد فوائده وأخذ عنه وعن شيخنا العلاّمة الطندتائي أكثر العلوم العقلية والنقلية . ثم تلقى عنه الطريقة العلية وألقى اليه مقاليد الإذعان بالكلية وصرف قصاري الهمم في الإشتغال بالذكر والفكر مع صدق إخلاص وثبات قدم . فأدخله الرياضة هو والحاج أحمد حافظ أفندي المشار اليه صحبته في شهر رمضان بمقام حضرة مولانا خالد قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ العزيز سنة ثلاث وسبعين كما تقدّم . وأخذ يربيه بنفيس أنفاسه ويرقّيه بهمّة توجهاته . فحصل له في السلوك أحوال عالية وأطوار وجذبات وافية بلغ بها درجة الكمال ونال من أسرار الطريقة العلية ببركته مانال . فأذن له بالإرشاد وخلفه خلافة مطلقة ، فهو ولله الحمد في حضرة سيدي الوالد الماجد يغيث الوافدين ويربي السالكين حفظه الله تعالى آمين .

(ومن أعظمهم إرشاداً وأعمهم إمداداً) شيخ هذا السلسلة السنية وأفضل مَن سرى اليه سرّ هذه النسبة العلية سيدي الوالد الماجد الشيخ محمد بن محمد الخاني أدام الله سعود وجوده .

القائم مقام الرابع سيدي الوالد الماجد الشيخ محمد بن محمد بن عبدالله الخاني نسباً الشافعي مذهباً الصوفي معتقداً الخالدي النقشبندي طريقة ومشرباً الدمشقي مولداً أدام الله سعود وجوده ووجود سعوده آمين

الإنسان الكامل بالكمالات الإلهية في مواقف فتوحات الأسرار القدسية ، مفتاح غيب عروش الكلِمْ المكنونة في نقوش فصوص الحِكَمْ ، بيت قصيد نظم السلوك الى ملك الملوك ، قوت قلوب الطالبين وقوة مسامع الراغبين ، الكبريت الأحمر الموزون بالموازين الذرية لفضله ، المتكفّل بكشف السرّ الغامض في قرب النوافل ومكتوبات الفرائض ، المضنون به على غير أهله . قاموس لغة الخواص فيه من متن اليواقيت والجواهر بلغة الغوّاص مَن آل اليه عهود إحياء العلوم بتنزّلات الوجود لتدبيرات مواقع النجوم ، وإنتهت بمعرفة منطق الطير وترجمان أشواق الحضرة الإشارة اليه . وإمتاز بتمييز إصطلاحات واردات طريق الخلوة في الجلوة عما لايعوّل عليه كشّاف أسرار التنزيل ، الجامع المؤيد من فتح الباري بالآيات البيّنات ، المطالع القائممقام الرابع سيدي الوالد الماجد لازال مقامه مظهر جميع الفوائد ومشكاة مصابيح سُنن المقاصد ، ومَغناه مَغنى اللبيب القاصد بإرشاده الى الطريقة المحمدية ومنهج روضة السيرة الخالدية المحامد .

(ولد) أدامه الله تعالى في دمشق الشام خلال شهر رجب عام سبعة وأربعين ومائتين وألف . وقرأ أوائل القرآن المجيد صحبة نجل حضرة مولانا الشيخ نجم الدين على والده وأتمّه عند العبد الصالح المرشد الفالح الشيخ علي الحزوري –أحد خلفاء والده قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ . وكان سنّه وقتئذ خمس سنين وأجاز له بركة عصره وعالم مصره المحدّث الحجة الثبت الشيخ عبدالرحمن الكزبري نوّر الله جميع ماتجوّز له . وعند روايته بعدما أسمعه طرفاً من "دلائل الخيرات" وهو في ذلك السن ودعا له بالفتوح والبركة وحضر دروس والده كلها من نحو وفقه وحديث وتفسير وكلام وتصوّف وحساب وفرائض . وتخرّج على يد الشيخ الكل في الكل الشيخ محد الطندتائي .

(إستطراد بيان وجيز لأحوال هذا العزيز) ولد زهاء عام أربعين ومائتين وألف في بلدة (طندتا) مقر ضريح الغوث النبوي سيدنا أحمد السيد البدوي رضي الله عنه من أحواز مصر القاهرة وحفظ القرآن المجيد ، وحصّل أكثر العلوم العقلية والنقلية في تلك الديار . وقدم سنة خمس وخمسين الى دمشق الشام ، فأقام بها خمس سنين ولقي سيدنا الجد الأمجد قُدّس سرّه وتلقى الطريقة العلية عنه وإشتغل بها بجد تام وبقي نزيله هذه المدة ، وخاتمة المحدّثين الشيخ عبدالرحمن الكزبري وعلاّمة الشام الشيخ سعيد الحلبي والشيخ عبدالرحمن الطيبي رحمهم الله . وحضر كثيراً من دروسهم بعد أن مرّ على حلب ، فقرأ على العلاّمة الشيخ إبراهيم الباجوري ، والعلاّمة الشهير الشيخ إبراهيم السقا ، والعلاّمة الفهّامة الشيخ محمد الخضري وغيرهم خمس سنين . ثم رجع الى دمشق الشام وقد أتقن كافة العلوم من صرف ونحو ومنطق وبيان ومعانٍ وكلام وحديث وتفسير وفقه وهيئة وحساب وميقات وحكمة وغيرها ، حتى صار آية في المعقول والمنقول باهرة . وكثيراً ماكان يقول لم يحصل لي سرعة هذا الفتح إلاّ ببركة الإشتغال بهذه

الطريقة العلية . فطفق ينشر لواء العلوم ويبث في الأذهان البالية أرواح الفهوم وإنتفع به من الطلبة جمّ غفير ، لاسيما عائلتنا فإنه ليس لأحد منه المشيخة على أحد منها غيره زيد خيره . وله في كل فن تدقيقات عالية المنزع وآثار جليلة الفوائد . ومن آثاره التي يفتخر فيها عصره ويزهر بها مصره ؛ أنه لما طرأ على حجرة البسيط- التي وضعها علاّمة زمانه الشيخ علاءالدين بن علي ابراهيم الفلكي المتوفي سنة ٧٧٧هـ والشهير بإبن الشاطر لمعرفة الأوقات في منارة العروس التي في الجامع الأموي- تليل خلل التقادم عهده صنع بسيطاً أحسن منه وحسبه على الأفق الحقيقي وزاد فيه قوس الباقي للفجر وأنزل القديم وجعل هذا مكانه في يوم مشهور مشهود غبطه عليه أجلاّء الفضلاء . فجاء في غاية الضبط والإتقان جزاه الله خير الجزاء . وقد أرّخت ذلك مادحاً له وشاكراً فضله ، فقلت :

رسم البسيط بغاية التأسيس ... بحر العلوم رئيس كل رئيس
علاّمة الشام الذي بعلومه ... أحيا دروس العلم بعد دروس
هو حضرة الحَبر الجليل محمد ... الطندتائي الأزهري المحروس
لبيك ياشمس العلوم إجابة ... خصتك بالتنزيه والتقديس
تحمي شريف حماك وهو مشيد ... بحماية الضرغام دون الهيس
خلّدت في رسم البسيط مآثراً ... حجت لها الفضلاء فوق العيس
نعم البسيط وليس يجهل قدره ... إلاّ البسيط مكابر المحسوس
صلّت عليه العالمون وسلّمت ... أحكامه في الصبح والتغليس
شخصت له الأبصار حين بَدا لها ... بشواخص ترنو الى البرجيس
يلقي الشِباك الى السما متصيداً ... أنوار أقمار العُلا وشموس
تَبدّى عجائب صنعه في مجمع ... حشر الرئيس اليه بالمرؤوس
والجامع الأموي غصّ فضاؤه ... بالناس من حَبر ومن هندوس
قرّتْ عيون وجوه جُلّق إذ غدا ... مجلى قلوب ذوي النُهى ونفوس
وتفاخروا في رفعه شرفاً له ... فوق الرؤوس على منار عروس
تلك المنارة لم تزل معمورة ... قد أشعرت بمحاسن التقييس
لما رأت أن الذي حملته من ... طول الزمان عراه بعض طموس
طرحته أرضاً وإغتذت تحنو على ... درّ صحيح الإنتظام نفيس
لازلت ياعَلَم الشريعة باسماً ... بأعز والإقبال دون عبوس
وظهرت بالحقّ المبين معززاً ... أبداً ورأس عداك بالتنكيس
تختار سرد الهمة العليا قد ... زرت على العرفان خير لبوس
ماقال أهل الشام في تاريخه ... تم البسيط بنفحة القدّوس (سنة ١٢٩٣هـ)

ثم رسم عام خمسة وثلثمائة بسيطاً ثانياً وجعل حسابه على الأفق المرئي ووضعه في جامع كريم الدين المشهور بـ(الدقّاق) في قسم الميدان في دمشق الشام . فكان كذلك وهو موضوع شريف لانظير له أصلاً وقد تفرّد به بعد إبن الشاطر . وله في حساب البسيط ورسمه رسائل تُكتب بالذهب وكذلك في حاسب الربع ورسمه . وله "كشف القناع عن معرفة الوقت من الإرتفاع" وله تقريرات على كافة الكتب التي يقرؤها مشتملة على حل إشكالات وتوضيح معضلات أكثرها بخطه تشهد بعلوّ أذواقه في كل العلوم

زاد الله في عموم نفعه ونفّعهُ العموم .

ثم بعد كتابتي هذه الكلمات بأيام توفي يوم الأربعاء ضحى سلخ ربيع الثاني سنة ست وثلثمائة . فحضر الوالد الماجد غسله مكافأة له على حضوره غسل الجد الأمجد ، ودُفن بعدما صُلّيَ عليه في حضور سيدنا يحيى الحَصور عليه السلام بمشهد عظيم جداً في جوار سيدنا بلال الحبشي رضي الله عنه . وكُتب على ضريحه مانظمته مؤرخاً بقولي :

روض بـه فــــاز الإمــــام مــــحـــــمــــد	بـشــــهـــــود نـور اللـه نعـم المشــــهـــــدُ
عــلاّمــــة العــــصـــر الحـــسـيـنـي الطنـدتا	ئـي الأزهـري بـحــــــر الـفـنـون الأوحــــــدُ
لـلـه مـن جـنـات عــــــــــدن أرخــــــــو	روضٌ فـــــاز بـه الإمــــام مـــــحــــمـــــدُ

أغدق الله على روضته صيب عطره طيب عفوه ورحمته .

عوداً على بدء

فقرأ الوالد الماجد عند شيخنا المنوّه به حاشية الخضري على إبن عقيل وحاشية الصبان على الأشموني في النحو ، و"التحفة" في فقه الإمام الشافعي رضي الله عنه بحواشي إبن قاسم البغدادي ، و"جمع الجوامع" بحواشي البناني ، و"الآيات البيّنات" لإبن قاسم المشار اليه مع مراجعة "الأطول في الأصول" وأشكال التأسيس في الهندسة ، و"تشريح الأفلاك" للبهاء العاملي في الهيئة ، والشنشوري في الفرائض ، والدسوقي في المعاني ، والبيان وطرفاً من "المنهج" بحواشي البجيرمي ، وشرح الملوي على السلم بحواشي الصبّان في المنطق ، وبعض إبن قاسم الغزّي بحواشي الكمال بن أبي شريف ، و"شرح المسايرة" للمشار اليه في الكلام ، و"شرح الملوي" على السمرقندية بحواشي الخضري والأمير ، و"رسالة الوضع" بحاشية العصام ، و"آداب البحث" ، و"الكافي في العَروض" بحواشي الدمنهوري ، و"الرقائق في الدرج والدقائق" ، ورسالة الربع المجيب ، و"شرح اللمعة في الكواكب السبعة" في الميقات .

(وجلس) تحت قبة النسر بين يدي محدّث الديار الشامية الشيخ عبدالرحمن الكزبري المنوّه به نوّر الله مرقده ، فسمع منه دروساً من صحيح البخاري . وأجاز له يوم ختم الدرس ليلة السابع والعشرين من رمضان عام إثنين وستين روايته عنه وجمع ماتجوّز له روايته مما هو مذكور بثبته المشهور المشتمل على كافة العلوم الظاهرة والباطنة . وحضر عند ختم الصحيحين ومسند إبن ماجه في داره وقرأ عليه "شرح العقائد" للسعد وغيره . وسمع حديث الأولية من العلاّمة المرشد الكامل الإستقامة أحد خلفاء حضرة مولانا خالد قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ العزيز إسماعيل البرزنجي قُدّس سرّه ، بروايته عن قطب العارفين المشار اليه بروايته له عن العلاّمة المحدِّث الكبير الشيخ محمد الكزبري بسنده المشهور ، وأجاز له رواية جمع مروياته عنه . وسمعه أيضاً من علاّمة العصر وبركة كلّ مصر الشيخ محمد التميمي أحد فحول علماء الأزهر .

(وتلقى) الطريقة العلية عن والده الجد الأمجد قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ عام أربع وخمسين ، وكان يومئذ حفظه الله سنّهُ سبع سنين ، فألقى اليه مقاليد التسليم والخضوع وجعل يشتغل بالذكر وتحصيل العلوم ، وأنوار النجابة وآثار التقدم واللوعة في كسب المعالي ظاهرة عليه . حتى إذا كان عام إثنين وستين زوّجه قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ بسيدتي الوالدة المغفور لها خديجة بنت العلاّمة الهمام والمرشد الإمام أكبر خلفاء حضرة مولانا خالد الشيخ أحمد الأربيلي الخطيب قُدِّس سرّهم . وكانت من الصلاح والتقوى والذكر الخالدي بمنزلة رفيعة ونسبها من جهة جدها لأمها السيد مصطفى الرفاعي متصل بسيدنا قطب العارفين الشيخ أحمد الرفاعي

رضي الله عنه . توفيت خامس عشرى جمادي الأولى عام أربع وثلثمائة وألف ودُفنت في تربة حضرة مولانا قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ العزيز . وذهب عامئذ في خدمة حضرة الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ الى الديار الحجازية صحبة الركب الشامي . فلقي في مكة المكرّمة العلاّمة الكبير والمحدّث الشهير شيخ الحرمين الثاني الشيخ عثمان الدمياطي قدّس الله روحه . وقد أسنَّ فأجاز له جميع ماتجوّز له وعنه روايته إجازه عامة بسنده المشهور في تلك الأقطار . وكنت وقتئذ حملاً ، فقبل مقدمة الحجاز مَقدَمَهُ من الحجاز بأيام قليلة ولدت تاسع شهر صفر الخير عام ثلاثة وستين ومائتين وألف . فلما قدم في خدمة الجد الأمجد حنّكني الجد وسمّاني ودعا لي بالبركة ، ثم عاد لما كان عليه من الإلتفات الى العلم والطريقة العلية وبذل قصارى الهمة في نيلهما .

فلما كان عام سبعين خرج في خدمة والده العزيز الى دار السلطنة السنية ومكثا أربعة أشهر . فلما رجعا الى الأوطان عرج على ماعليه كان وزاد في بذل الجهد في تلقّي العلوم ، ولاسيما الطريقة العلية . فإنه إغتنم وجود المرشد الكامل والده قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ وإشتغل بها إشتغالاً عظيماً . وأدخله الجد الأمجد الى الخلوة والرياضة مرات عديدة منها في مسجده المشهور بجامع السويقة ، ومنها في مقام حضرة مولانا . قرأت من خطه وسمعت من لفظه يقول : "كان والدي قدّس الله سره يشدد في رياضته ومجاهداته جداً وكنت أسأله عن كل حال يعرض لي وعن أحوال أهل الرياضة . وكان يفيدني من هذه العلوم أشياء كثيرة ويقرر لي أحواله في رياضة زمن حضرة مولانا قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ العزيز . وكثيراً ماذكر لي أحوال حضرة مولانا وأحوال خلفائه . فلذلك كنت بحمده تعالى أكثر الناس معرفة بأحواله وأحوال مولانا قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُما ، اه" . ثم سنة أربع وسبعين خرج في خدمته حاجّاً مع الركب الشامي ، فلما أتمّا نسكهما عادا مأجورين غير مأجورين . وعكف سيدي الوالد على الإشتغال بالعلم والطريقة العلية بإجتهاد عظيم في الذكر والفكر والرياضيات الشاقات .

ولم يزل حضرة الجد يعرج به في معارج السلوك ويربيه تربية الملوك في مهد الهداية والإرشاد والترقية الى مقامات الكمالات وكمالات المقامات ، ويخلّقه بأخلاقه المحمدية ويغذيه بلبان النسبة الخالدية ، ويحمله على مصابرة المجاهدة في الله والسير الآفاقي والأنفسي نظراً لما رأى منه من قوة القابلية وسموّ الإستعداد ، حتى بلغ مبلغ الفحول من كل الرجال ، وفاز بما فاز من فضيلة الوصول الى أكمل الأحوال . فأذن له وقتئذ بالإرشاد العام عام خمسة وسبعين وخلفهُ خلافة عامة مطلقة وقدّمه على سائر خلفائه الكرام . وكان له قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ به إغتباط عظيم وإزدهاء وافر ، وله اليه مَيل تام ومحبة راجحة وتكريم زائد .

حدّثتني جدّتي رحمها الله تعالى أنه قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ كان يقول لها : "إني كلما دخل عليَّ ولدي محمد تحدّثني نفسي أن أقوم إجلالاً له وأضعه في مكاني لمكان فضله وفرط مودتي له" . وكان يقول له : "أنت أخي وابني" وكل ذلك مع إشتغاله بقراءة العلوم وإقرائها والقيام بفريضة خدمة الجد الأمجد قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ بالصدق والثبات في أعماله كلها ، والمحافظة على خواطره معه حق المحافظة سراً وجهراً ، وملازمته ليلاً ونهاراً ، والإستفادة من معارف أسراره وأسرار معارفه ، ومطالعة أكثر كتب التصوّف عليه .

رأيت بخطه أيّده الله تعالى مانصّه وقرأت عليه كثيراً من كتب الطريق مثل "الإحياء" للإمام الغزالي ، و"عوارف المعارف" للعارف السهروردي وبعضاً من الفتوحات المكيّة ، وبعضاً من شرح تائية قطب

العارفين الشيخ عمر بن الفارض للشيخ علوان الحموي ، وشرحه على تائية إبن حبيب الصفدي وكثيراً من مؤلفات العارف الشعراني مثل "الميزان" ، و"العهود الصغرى" والكبرى ، و"شرح المقامات" لإبن عفيف التلمساني ، و"تنبيه المغتربين" ، و"الزواجر" لإبن حجر الهيثمي ، و"الأذكار النووية" بشرحه لإبن علان ، و"منهاج العابدين" بشرحه له ، أه . وغيره مما تقدم الإلماع به .

وفي سنة خمسين وسبعين سافر الى دار السلطنة السنية وحده فنزل ضيفاً كريماً عند المغفور له الحاج موسى صفوتي باشا ، وتقدم في ترجمة الجد التنويه بشأنه . فبقي نحو شهر ثم إنقلب الى أهله مسروراً ، والتفت لما ثبت عليه أولاً من الإستغراق بالإفادة والإهتمام بالطريقة العلية حسب العادة . ومازال على هذا المنوال حتى سافر سنة ثمان وسبعين الى الديار المصرية صحبة سيدنا الشيخ محمد الطندتائي حفظه الله تعالى إرادة إغتنام زيارة الأولياء والعلماء الكرام . فأدرك العلاّمة الشهير الشيخ محمد الخضري من أكبر العلماء الأزهريين صاحب حواشي إبن عقيل وغيره من التآليف النادرة . وإستجازه فأجاز له رواية جميع مروياته التي في ثبت الأمير الكبير ، ونمّق له إجازة بخطه المبارك ودعا له وأثنى على همته خير .اً ولقي الشيخ الصالح والعلاّمة الفالح الشيخ مصطفى المبلط أعظم علماء الأزهر . وأجاز له أيضاً ثبت الأمير الكبير وكتب له ذلك بخطّه الشريف وبارك عليه وسرَ به وزراء أعلم الكبراء وأكبر العلماء شيخ الجامع الأزهر يومئذ الشيخ إبراهيم السقّا . فأجاز له بما في ذلك الثبت المذكور وحرر لـه ذلك بقلمه الأنور . وإبتهج به ودعا له بالبركة والفتوح وغيرهم من علمائها وصلحائها .

وزار حضرة الإمام الشافعي والإمام السيد أحمد البدوي وباقي الأولياء العظام . ثم رجع الى الأوطان دائباً على ألفه من الدروس والطريقة العلية حتى مرض سيدي الجد قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ . فجعله وصياً على إبنته- وكانت يومئذ حَملاً- وقائماً مقامه على سجادة الإرشاد العام وعلى خلفائه الكرام . وقال في وصيته : "مَن أطاعه فقد أطاعني ومَن عصاه فقد عصاني" . وكتب له صكّ الوصية بخطه الشريف وأوصاه بوصايا عظيمة وأخبره بأمور كثيرة أنها ستقع فوقعت على طبق ماأخبر .

فلما إنتقل الى عليين تاسع عشرى صفر الخير سنة تسع وسبعين كما سلف بيانه في ترجمته ، نهض سيدي الوالد أدام الله إرشاده بأعباء الخلافة من بعده وجمع كلمة المريدين وحافظ على ترتيب المسجد بالأوراد الخواجكانية والعبادات القوية والدروس العلمية ، حتى إن الجد قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ كان يقرأ "شرح المنهج" للقاضي زكريا بحواشي البجيرمي ، فلما أتمَّ كتاب الجنائز توفي قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ . فإجتمع على سيدي الوالد كافة الطلبة وطلبوا منه إكماله . فأجابهم لسؤالهم فجعل يقرؤه ويقرره بأحسن تقرير الى أن ختَمَهُ . وكذلك فعل في دروس مابين العشاءين فظهر فضله وتلألأ نوره وشاع خبر إمداده وإرشاده وإنتظم أمر الطريقة العلية به ودخلت الناس فيه أفواجاً مستجدين أسراره ومستمدين أنواره .

ثم إنه أدامه الله خرج عامئذ حاجاً صحبة والدته الصالحة التقية العابدة الناسكة الذاكرة الطاهرة السيدة (عادلة) كريمة الولي الصالح الشيخ السيد ياسين إبن الشيخ السيد محمد إبن الشيخ البركة الصالح السيد يوسف الكيالي رحمه الله تعالى بحر .اً فمرّا على مصر لزيارة أوليائها وصلحائها ثم ذهبا الى البيت الحرام . فبعد أداء حجّهما وزيارة روضة نبيهما عليه الصلاة والسلام رجعا بحراً أيضاً متشحين بوشاح القبول غانمين غاية المأمول . ولقي في سفره عامئذ أمير العارفين السيد عبدالقادر الجزايري قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ مجاوراً في مكة المكرمة يشتغل في الخلوات وأشقّ العبادات والمجاهدات . وقد مَنَّ عليه الله بالفتح

المبين . فأشار اليه بالبقاء معه فلم يمكنه لوجود والدته معه .

وفي عام ثمانين مَنَّ الله تعالى عليه بإتصال نسبه بنسب حضرة مولانا قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ العزيز . فتزوج بكريمته أصلح نساء زمانها المغفور لها (فاطمة) قُدِّس سرّها . فنال بذلك سروراً فوق سرور وزاد نوراً على نور . وأيّد الله تعالى إتصال هذا الفخر بأن ولدت له بنتاً سمّاها (بهية) وذلك عام ثلاثة وثمانين . ولما قدم الأمير الجليل المشار اليه الى دمشق الشام محل إقامته إتصل به سيدي الوالد ولازمه ملازمة صدق وإخلاص . فأقبل عليه الأمير المشار اليه لمكان حضرة والده وجعل يجلّه ويبجّله ويعظّمه ويكرمه ويقول له : "إنما أنت أخي وكلنا أولاد الشيخ محمد الخاني قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ" . وحيث كان هذا العارف الجليل منتظماً في سلك هذا الرعيل أحببت أن أستطرد تعطير هذه الحدائق بنشر شمّة من حديثه الجميل ، مستنداً في أكثر أمره الى ماوجدته بخطه في كنّاشه وغيره ، فقلت شذرة بل شذرة من أمر هذا الأمير قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ :

هذا الأمير السيد الكريم الذي ... أضحى عباب نداه عذب الكواكب
هذا سليل المصطفى فمقامه ... فلك النبوة وهو أنور كوكب
هذا الكريمَ إبنُ الكريمِ إبن الكريم ... إبنُ الكريمِ إبن الكريم الكوكب
هذا الذي إتخذ المعارف حلّة ... والمُلك حلياً وهو ألطف كوكب
هذا الذي إن قال ياخيل إركبي ... ملأ الفضاء بفارس أو كوكب
هذا الذي إهتزت ملوك الأرض من ... سطواته إذ كان ماضي الكوكب
هذا الذي سَلَبَ الفحول رقادها ... بالبيضِ والسُمرِ والبوادي الكوكب
هذا الذي جعل الفضاء على القيا ... صر هيبة من بطشه كالكوكب
هذا الذي طلب الولاية فاغتذى ... في حلبة الأفراد أولَ كوكب
هذا إمام المتّقين المرتقي ... من مشهد الإحسان أعلى كوكب
هذا طبيب الواصلين المجتني ... من روضة العرفان أعطر كوكب

هو ترجمان الحضرة القرآنية ووارث العلوم الأكبرية العرفانية السيد عبدالقادر بن محي الدين بن مصطفى بن المختار بن عبدالقادر بن أحمد المختار بن عبدالقادر بن خدّه بن أحمد بن محد بن عبدالقوي علي بن أحمد بن عبدالقوي بن خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن أحمد بن محمد بن مسعود بن طاوس بن يعقوب إبن عبدالقوي بن أحمد بن محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر إبن عبدالله الكامل إبن حسن المثنى إبن الحسن السبط إبن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم .

(ولد) في أم عسكر من أحواز جزاير الغرب في رجب سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف . وتربى في ربى الشرف والولاية وتقوّى في مهد التقوى والهداية وإرتضع لبان الفتوة من ثدي سلالة النبوة ، ثم حفظ القرآن المجيد وعكف على تحصيل العلم وعلى أسارير وجهه علائم السعادة وكرائم أخلاق السيادة ، الى أن سام مع والده العزيز في بلاد الشرق سنة إحدى وأربعين . فوصلا الى مكة المكرّمة ثم جاءا الى دمشق الشام صحبة ركب الحجّ الشاميّ . وكان عامئذ في الركب حضرة مولانا خالد قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ العزيز . فاجتمعا عليه في ببلدة (معان) راجعين من مكة .

ولما قدما الى الشام أخذا منه الإذن في الطريقة العلية النقشبندية ودخل والده في الرياضة عند جدي في جامع السويقة باشارة من الشيخ المشار اليه مدة . ثم توجها الى بغداد لزيارة الغوث الكيلاني ، ثم الى

الحج مرّة ثانية ثم الى بلادهما . ثم لما إستولت فرنسا على الجزائر وبعض سواحلها بايعه أهل الجزائر بالسلطنة عليهم والجهاد في سبيل الله تعالى وخُطب له على المنابر . فجاهد في الله حقّ جهاده وبسط بساط العدل ونشر لواء التوحيد وإستأصل شأفة الظلم والشرك وطهّر أكثر البلاد من أدناس الفساد ، وسار سيرة عمرية في الرعية وأحيا ماإندرسَ من أحكام الشريعة المحمدية . ووقع بينه وبين الفرنساويين وقائع عظيمة وحروب جسيمة تجعل الولدان شيباً ، وإمتدت نحو خمسة عشر سنة تقريباً حتى إذا يئست فرنسا من الإستيلاء عليه ألجأت السلطان عبدالرحمن ملك مراكش أن يقاتله أو تقاتله . فأرسل اليه جيشين كثيفين أمّرَ عليهما ولديه السلطان محمد والأمير أحمد . وساق الفرنساويون جيشاً هائلاً وأحاطوا به في واقعة أشهر من أن تُذكر ، إضطرته الى التسليم الى الفرنساويين على شروط تقررت بيهم ، بعدما أفنى منهم أمماً لاتُحصى عدداً وذلك عام أربع وستين .

ورحل الى بلاد فرنسا فدخل قصر قرية أمبواز يوم الجمعة ثاني عشر ذي الحجة من السنة المذكورة ، وبقي هو وعائلته الى أن أتاه سلطان فرنسا لويز نابليون الثالث بنفسه مبشّراً له بتسريحه الى بلاد الإسلام يوم السبت ثاني شهر محرّم تسع وستين . وخرج من القصر يوم السبت تاسع عشرى صفر هذه السنة متوجهاً الى القسطنطينية في زمن السلطان الغازي عبدالمجيد خان بوّأهُ الله الجنان . فدخلها نهار الجمعة سابع عشرى ربيع الأول من العام المذكور . فإجتمع وأكرمه وعظّمه ، ثم ذهب الى بروسه مستوطناً لها قرير العين ناعم البال . فوصل اليها نهار الإثنين سابع ربيع الثاني من هذا العام . وأقام بها الى خامس ربيع الأول سنة إثنين وسبعين فحصل بها زلازل شديدة إقتضت أن يتوجه الى دمشق الشام لسعادتها وحسن حظها . فدخلها في العشرين منه وإتخذها دار إقامته بأهله وخدمه وحشمه .

وفي سنة تسع وسبعين توجه الى الحجاز متجرد الطلب المرشد الى الله . فأخذ الإذن بالطريقة الشاذلية من المرشد الناصح الشيخ محمد الفاسي قُدِّس سرّه وفتح عليه بها . ومدح شيخه بقصيدة عظيمة رنانة يشير فيها الى الفتوح الإلهي الذي حصل له وتلك السعادة الأبدية ، ومطلعها :

أمسعود جاء السعد والخير واليُسر   وولّت ليالي النحس ليس لها ذكر

وجاور في مكة المكرمة مدة وفي المدينة المنوّرة وحجّ حجتين كان الوالد الماجد معه في أولهما ورجع الى الشام فرحاً مسروراً . ثم في سنة إحدى وثمانين توجه الى القسطنطينية مرة ثانية لمبايعة ساكن الجنان السلطان عبدالعزيز خان . فإجتمع به وأكرمه وعظّمه وأعطاه أكبر وسام عنده . ثم منها الى باريز مركز دولة فرنسا لأجل سلطانها لويز سالف البيان . فإجتمع به وأنزله أعلى نزل . ثم منها الى لوندره مركز دولة الإنكليز ، فأكرموه و فخّموه . ومنها الى الشام محل إقامته . ثم في سنة ست وثمانين توجه الى مصر القاهرة بدعوة من واليها إسماعيل باشا لأجل رؤية البرزخ الذي فتحوه بين بحري الأبيض والأحمر . ثم عاد الى محل إقامته مبجّلاً معظّماً .

وفي تلك السنة قرأ في مدرسة دار الحديث في رمضان صحيح البخاري رواية كالدراية وحضرتُ أكثره عليه وأجازني به . ولم يزل قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ مشتغلاً بعباداته ومجاهداته ومساعداته للمظلوم والضعيف بماله ونفسه وبقلمه محبوباً لكل الطوائف لاتأخذه في الله لومة لائم ، الى أن إعتراه داء حصار البول . فما برح يعاوده حتى أتمّ أنفاس حياته تاسع عشر رجب سنة ثلثمائة وألف . فغُسل بأمواه الأنوار وكُفِّن في نفائس الأسرار وحُمل على أنامل الأخيار الى جامع بني أمية وصلى عليه الوالد الماجد إماماً . ورُفع الى

حضيرة القدس في قبة سيدنا الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي رضي الله عنه في مشهد عظيم لم يُسمع له بنظير .

(وكان قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ) له الجاه العريض في كل دولة من دول كل ملة والباع الطويل في تحصيل المآثر والمحامد والمناقب ، التي قلَّ أن تجتمع في واحد أو يفي ببيانها بنان أو لسان أو إنسان كما قُلت :

وَلِمَ بأخلاق النبوة كلها لا حلم أحنَف أو ذكاء إياس

فكان إذا نظرت الى شجاعته تهزأ بالليوث الضارية ، أو الى سماحته بالغيوث الجارية ، أو الى سيادته تستدني البدور العالية ، أو الى عبادته تستجد الأمم الخالية ، أو الى علومه تجد الفنون الوافية ، أو الى شعره ونثره تشهد الأذهان الصافية ، أو الى حقائقه وكشفه لايخفى عنك خافية .

(فمن أعظم آثاره) الدالة على جلالة مقداره كتاب "المواقف العرفانية" الجدير بأن يُكتب بالنور على نحور الحور . وهو كتاب جليل من توفيقات توفيقاته الإلهية وواردات مشاهداته الربانية وتفسير الآيات الكريمة والأحاديث النبوية وأجوبة الأسئلة الإخوانية ، التي كانت ترد اليه من كل ذائق في علم الحقائق مثل الوالد الماجد . فإنه كثيراً ماكان يراجعه في بعض المسائل الخفية ويسأله حل محال من الفصوص والفتوحات المكية وغيرهما . فلكثرة حبّه للخير وبذله مع وفرة موانعه وشغله كان يقيد ماظهر له بالكشف ويوضحه ويرسل به اليه . فكان من فرط حرصه عليه يلحقه في المواقف بإذنه كما يشير الى ذلك قوله في بعضها : سألني بعض الإخوان والتصريح بإسمه في مواقف شرح فص شعيب وفص إسماعيل وفص آدم عليهم السلام وخطبة الفتوحات المكية وغيرها . فما زال يضم كل مسألة الى أخدانها ويقرنها بأقرانها حتى إجتمع من ذلك ثلاث مجلدات ضخمة .

وقد ذيّل الوالد الماجد بعد وفاته الجزء الثالث بما وجده في كنّاشه بخطّه من مبشرات وإلقاءات روحية عالية المنزع غالية المطلع . وها أنا أثبت ههنا من كلامه قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ ماتطيق ولاتطيق عنه حوصله الذره مما يثبت علوّ مقاماته . قال نفعنا الله ببركاته في بيان الروح :

الموقف الخامس والستون وثلثمائة

قال تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) وقال ذلك أمر الله أنزله إليكم . إعلم إن الروح أمره غريب وشأنه عجيب لاتكشف عن محياه عبارة ولاينفتح بابه بإشاره . العلم بكنهه محال إلا للكبير المتعال :

وإن قميصاً خيط من نسج تسعة * وعشرين حرفاً عن معاليه قاصر

ولهذا لما تعدّت العقول أطوارها ووجهت الى العلم بحقيقته أفكارها إنقلبت خاسئة حاسرة باترة خاسرة . ولعجز العقول عن الوصول الى العلم بالروح ، لم يرد في الكتب الإلهية والإخبارات النبوية وصف الروح إلا بضرب أمثال وإشارات وتلويحات وإستعارات رحمة بالعباد ورفقاً بالعقول . فإن مَن أطلعه الله تعالى على شيء من صفات الروح من غير المتشرّعين ظن أنه الإله المعبود . وإنما يدرك بعض صفات الروح بالوهب الآلي بال بالنظر العقلي . فإن للعقول حداً تقف عنده فإذا تعدّته ضلت . ولكن لها القبول لما يهبها الوهّاب تعالى . وليس في قوله (الروح من أمر ربي) إشارة الى الكفّ عن السؤال والجواب عن الروح ، كما قيل بل هو جواب إجمالي أي الروح أمر ربي . فمن بيانية كما قال تعالى ذلك أمر الله أنزله إليكم إخباراً لجميع المخلوقات بقوله (من أمر ربي) ، أي هو أمر ربي الصادر

عنه بالأمر بلا واسطة مادة فأقول لك مقالاً وإضرب لك أمثالاً تخييلاً وتقريباً ، وإلاّ فأين الثريا من يد المتناول .

(فاعلم) إن الله تعالى لما توجه لخلق العالم خلق روحاً كلياً سمّاه حضرة الجمع لكونه جامعاً لحقائق الوجود وسمّاه بالحقيقة المحمدية . لكون محمد صلى الله عليه وسلم أكمل مظاهرها ، على أنه ليس مافي الجنس الإنساني أحد إلاّ وهو مظهر هذه الحقيقة كل إنسان يكون فيه ظهورها وبطونها على كماله ونقصانه ولابد من ظهورها في كل إنسان كامل . ومازال الحق تعالى يخلق الموجودات من الحقيقة المحمدية علوية وسفلية لطيفة وكثيفة وبسيطة ومركبة . وكلما خلق صورة قبضها الى صورتها الأولى حتى إنتهى الأمر الى الإنسان . فخلقه منها ولم يقبضها . فكان الإنسان صورة حضرة الجمع والوجود لأنها بُسطت فيه ولم تنقبض عنه . ثم خلق الله العَماء الذي كان فيه الربّ قبل خَلْق الخَلْق . وكان أول ماخلق الله في العماء الأرواح المهيمة والعقل والنفس والكلية ، فهم مخلوقون من حضرة الجمع والوجود وهم مظاهر لها . كان دون مظهرية الإنسان الكامل ومحمد صلى الله عليه وسلم الإنسان الأكمل ، فإنه لاإنسان يماثل محمداً صلى الله عليه وسلم وكل ماعداه فهو مخلوق منه . فهو عين الوجود الصادر من الله تعالى بلا واسطة سوى الأمر . فهو صورة الأمر الإلهي الذي لاصورة له في نفس الأمر . وكلما فعلت الطبيعة الكلية صورة نفخ فيها روحاً على قدر قابليتها وإستعدادها . فالطبيعة ظاهرة وهو باطنها ، بل ليست الطبيعة غير الروح إلاّ بإعتبار كثافة بعض الصور ولطافة بعضها ، فقيل الطبيعة مغايرة للروح .

فإذا أراد الله إيجاد شيء توجه اليه الروح ، وتوجهه عينه وعين ماتوجه اليه ؛ بمعنى أن شعوره بمراد الله عينه وعين ماشعر به ، وهو الشيء الذي أراد الله إيجاده . كالتوجه على المرآة هو عين وجود صورة المتوجه عين التوجه عين الصورة وعين وجود الصورة في المرآة ولاترتيب إلاّ في العقل لافي زمان كالبرق عين لمعانه عين الإضاءة عين إنكشاف الأشياء به عين تعلّق البصر . لاترتيب بين هذه الأشياء إلاّ في العقل لافي الزمان ، وهذا الوجه هوالمعني بالنفخ في قولي (ونفخت فيه من روحي) ، أي نفخت فيه روحي . فمن للبيان والمراد من النفخ لازمه وهو إيصال نفس النافخ في المنفوخ فيه ، والنَفَس المنفوخ هو نَفَس الرحمن وهو الروح . ولهذا عُبِّر بالنفخ ، فإنه لاينفخ إلاّ النَفَس وهو لايحلُّ فيه شيء ولا ممتزج بشيء ولايخرج عنه شيء ولاهو في جهة لشيء ، بل هو منزّه عن جميع صفات الحوادث وله جميع الكمالات لاالوجوب بالذات وتدبيره للعالم الطبيعي لاعن إرادة وبعض تدابيره بإرادة . يدبر كل صورة حسب مزاجها وإستعداها ومرتبتها وقابليتها . فلا تدبر صورة بأزيد من قابليتها ومرتبتها ولا أنقَص . فليس المنع من جهة الروح ، وإنما المَنع من الصور فهي التي لاتقبل غير إستعدادها ؛ كالشمس تشرق على العالم . والصور تقبل تدبيرها حسب قابلياتها فتذيب أشياء وتجمد أشياء وتسيل أشياء وتربى أشياء وتيبس أشياء وتضر أشياء وتنفع أشياء والشمس حقيقة واحدة . كذلك هو الروح في تدبير كل صورة بما قلنا لايتبعّض ولايتغيّر . فلا يُقال روح الفرس أكبر أو أزيد من روح البعوض من حيث الحقيقة . كما لايقال في الحقائق الكلية أنها تجزأت أو زادت أو نقصت ، كالإنسانية فإنها حقيقة واحدة وهي موجودة بكمالها في كل فرد من أفراد الإنسان لاتزيد ولاتنقص متعددة بتعدد أشخاصها التي لاتنحصر كثرة . فلا يقدم في وحدتها الحقيقية كثرة ظهورها في

الأشخاص وكالبياضية فإنها حقيقة واحدة غير متعددة . فيقال انها زادت في هذا الأبيض ونقصت في هذا ولاتعددت . وهي على وحدتها الحقيقية ولاتزيد بظهوراتها في كل أبيض ، ولاتنقص فكل شيء فيه كل شيء . وهذه الحصص التي تختص بكل صورة حسب إستعدادها ومرتبتها من تدبير الروح وإمداده هي المسمّاة عند الحكماء بالنفوس الجزئية ، وعند أهل الله بالأرواح الجزئية .

ولما كان المدبِّرْ إسم فاعل على صورة المدبَّر إسم مفعول ، كان الروح يعلم في صورة زيد مثلاً لإستعداده للعلم وقابليته مايجهله في تدبير صورة عمر ولاإستعداده للجهل وقابليته . والروح هو ماتبدّل ولاتغيّر ولهذا يقول المحققون من أهل الله : "المدبِّر لكل صور العالم كله روح واحد" يريدون وحدة التدبير والإمداد ولأنه يلزم أن مايعلمه زيد لايجهله عمر وإذا العالم منهما واحد . فتعددت الأرواح بتعدد الصور مع وحدة حقيقة الروح .

ولم يعقل الروح نفسه إلاّ في صورة . وأول الصور النور المحمدي لما رويَ "أول ماخلقَ الله نور نبيّك ياجابر" . فكانت الصور جمادية لاتقبل ظهور شيء من آثار الروح وإمداده إلاّ تماسك أجزاء صورها أمدّها الروح بذلك لاغير فإنها لاتقبل . وسمى ذلك الإمداد نفساً جمادية من الجمود على حالة واحدة وعدم التحرك والإنتقال . وهي من حيث وجهها الذي لخالقها عالمة مسبِّحة حيّة الى سائر الإدراكات ، خلاف الوجه الذي لنا . فإذا أراد الله فناء تلك الصورة الجمادية قطع الروح إمداده عنها فتداعت للفناء والإنحلال ، فتحللت وذهب عنها إسم صورة وذلك موتها . فإن موت كل صورة بحسب مرتبتها . وحينئذ رجعت العناصر التي كانت الصورة مركّبة منها الى أصولها ، فرجع التراب الى عنصره الأعظم وكذلك الهواء والماء والنار وإن بقي شيء من الصورة لم يتحلل يدبّره الروح على مراد الله الى أن يتحلل ويلتحق بالكل . ويُلبس روح هذه الصورة التي تحللت وفنيت صورة برزخية وتذهب تسبِّح الله وتمجِّده أبد الآبدين ودهر الداهرين .

وإن كانت الصورة نباتية تقبل التغذّي والنموّ بإستعدادها وقابليتها ، فإن النبات أمده الروح بقوتين قوّة تمسك أجزاء الصورة وقوة تقبل الغذاء والنموّ . وسُميّت نفساً نباتية . فإذا أراد الله موت شجرة مثلاً قُطعت ذهبت عنها القوة المغذيّة المنمّية وبقيت عليها النفس الجمادية وذلك موتها . فإذا أراد الله فناءها بالكليّة ، فإحترقت وصارت رماداً أو طال عليها الأمر فتحللت أجزاؤها رجع كل عنصر الى أصله الأعظم كما قدمنا ، ولبس ذلك الروح صورة برزخية وذهب يسبّح الله كما قدمنا .

وإذا كانت الصورة حيوانية أمدّها الروح زيادة على القوّتين الجمادية والنباتية بجميع القوى ماعدا القوّة المختصة بالإنسان ؛ وهي الفكر وإكتساب العلوم بالنظر . فإذا أراد الله موتها وفناؤها كان الأمر على ماتقدم .

وإذا كانت الصورة إنسانية أمدّها بجميع صفاته وكمالاته إذا كانت الصورة كاملة فاضلة قابلة كصور الأنبياء وورثتهم صلى الله عليهم ، وإلاّ فبحسب مزاجها وقابليتها مابين كامل وأكمل وناقص وأنقص . فإذا أماتَ الله إنساناً إنتقلت روحه الى جسد برزخي مناسب لأحوال صاحب الجسم التي كانت عليها في الدنيا بجميع صفاته نقصاً وكمالاً وأخلاقه الباطنة . فإن الله وعد الأرواح الإنسانية أن يُنشأها نشأةً أخرى كما قال مخاطباً للأرواح (وننشئكم فيما لاتعلمون) .

وقد علمتَ النشأة الأولى فهذه غيرها بلا شك والأرواح الإنسانية لها إنتقالات في الصور كانت يوم أخذ

الميثاق في صورة وفي الدينا في صورة وبعد الموت تصير الى صورة . فإذا وُضعت في القبر رجعت الى صورتها للسؤال والجواب ، ثم تصير الى صورة برزخية ، ثم بعد البعث تصير الى صورة لانعلمها الآن . وهي في كل صورة تنسى ماكان لها من العلوم والأحوال في الصورة التي قبلها . والجسم الإنساني إذا فارق روحه يبقى كسائر الأجسام الجمادية الى أن يتحلل ويفنى . ولهذا قد يُسمع من بعض القبور بعد مضي أيام وشهور أو سنين صراخ أو كلام ؛ فهذا من كلام النفس الجمادية إنذاراً وتحذيراً للسامع أو إظهار إهانة صاحب القبر خرقاً للعادة كما يخرق الله لبعض الناس العادة فيسمعون كلام الجمادات والأحجار والأشجار ، كما سمع الصحابة حنين الجذع وتسبيح الحصا . ومن هذا كلام الجنازة كما ورد في الصحيح أنها إن كانت صالحة تقول قدّموني وإلآقالت عند ذلك ياويلها أين تذهبون بها . وقوله تلك يهود تُعذَّب في قبورها . وإلاّ فالعذاب بعد السؤال إنما هو في البرزخ . وأضيف الى العبد لأنه المعروف للعموم . فإذا تحلل الجسم الإنساني رجع كل عنصر الى أعظمه كسائر الصور العنصرية الى أن يبعث الله الأرواح الإنسانية ويُنشؤها نشأةً أخرى في صور هو تعالى يعلمها . فالصور كلها فانية والأرواح كلها باقية كانت ماكانت الأرواح وإنما للأرواح صعق عند النفخة الأولى شبه الغشي لاغير . وكان الروح قبل إيجاد العالم موجوداً معلوماً ، فلما وُجد العالم خارجا أعطاه العالم وجوداً خارجياً كما يقال في الحقيقة الإنسانية مثلاً ، هي معقولة ولها وجود خارجي ضمن أفرادها وأشخاصها الموجودة خارجاً . فلولا العالم ماعُرف هو ولولا هو مع وساطة الحق تعالى ماوُجد العالم ، وليس هو بمتقدم على العالم ولا العالم متأخر عنه . وهو العنصر الأعظم المُمدّ لجميع العالم جواهره وأعراضه ونسبه المنحصرة في المقولات العشر . فإن قلت هو العالم صدَقت ، وإن قلت هو غير العالم صدقت .

وأُختلف هل تعيين الروح للصورة مقدم عليها أو معها أو بعدها ؟ ولكل دليل والأدلة كلها ظواهر . والذي أذهب اليه هو إن الروح مع الصورة كانت ماكانت الصورة . فإن وجودها عين حياتها وحياتها عين روحها . وأما قوله بعد ذكر أطوار الخلقة (ثم أنشأناه) وقوله عليه السلام : "ثم ينفخ فيه" فالمراد ظهور آثار الروح للعيان وذلك بالتغذي والحركة بعد كمال التعديل والتسوية . فالمولود حالة كونه نطفة وعلقة ومضغة جماد لايقبل من آثار الروح إلاّ مايقبله الجماد . ثم بعد يقبل من تدبير الروح مايقبل الحيوان ، فإذا ولد صارت آلاته وقواه يظهر إستعدادها لقبول آثار الروح فيها شيئاً فشيئاً . فكلّما كمل إستعداد آلة ظهر أثر للروح فيها بحسب ذلك الإستعداد كمالاً ونقصاً . قال إمام أهل الكشف والوجود وقدوتهم محي الدين : "إذا إنفصلت النطفة من الأبوين إنفصلت معها روحها وبقيت تدبّر نفسها الى أن تنفصل عنها بالموت" . فهاقد سمعت من بعض مايتعلق بالروح ومايكون به صدرك أثلج وصبحك أبلج . فإنه كلام أهل الكشف والوجود . فارم بكل مايخالفه من أقوال الحكماء والمتكلّمين الذين تفكّروا حيث لايصحّ فكر وقاسوا حيث لايستقيم قياس وخبطوا في الروح والإعادة خُبَط عشواء واللله الموفق والهادي لاربّ غيره . إنتهى"

وهو مما لم يُسبق اليه رضوان الله عليه . (وكان) للشعراء في ثنائه موسم عظيم وفي رثائه مأتم جسيم . وكنت ممن تطفّل على أهل هذا الفن فنظمت بمدحه قصائد عديدة وإصطنعت سبع مقامات أعدت للمباركة له بكل سنة جديدة أسندت روايتها لسعد بن بشير مع إبن حفص المصري وفي ذلك من المقاطيم . فمن القصائد قولي :

خليليَّ ماللناس عندي ومالِيا   إذا في الهوى أنفقتُ عمري ومالِيا
وقالوا الهوى صعبُ المِراس وأرجَفوا   بأني على السلوان ألقي المراسيا
فياليت قومي يعلمون بخِلَّتي   وإن قدروا فليصحبوا القلب خاليا
سلا جيرة الوادي المقدّس هل سَلا   فؤادي أو أمسى من الشوق ساليا
معاذ الهوى أن يخطرن بخاطري   سلوا والأرجاف يرجف باليا
ألم يأن لي أن أقدّر الحب قدره   وأعلمَ فيه ماعليَّ وما لِيا
وكيف لي وفي دولة الحب منصب   هو الصدر والعشّاق طرّاً حواليا
ولو أن قيساً في زمان صبابتي   على عشقه لم يرض إلاّ إتباعيا
وقد جُبلت من نشوة الحب نشأتي   فأنى ترى ياصاح نشوان صاحيا
إذا كان سكري عين صحوي بحبهم   ودنى لهم عزمي ومحوي بقائيا
أأسلو ونفسي للمعالي طموحةٌ   ومَن ذا الذي يُعطى فيأبى المعاليا
وآية حبي للعُلا أن يرى الورى   بمدح أمير العارفين إفتخاريا
أميرٌ وأنّى للملوك سلوك ما   تقدّس من أخلاقه وهي ما هيا
جَلالٌ ولا كبِرٌ وعلمٌ ولا خفا   وسيف ولا حيف وتقوى ولا رِيا
فكم جاهد الأعداء حقّ جهاده   وكم صام أياماً وأحيا لياليا
وهاب الملوك الصِيدُ سطوةَ بأسه   كما هابت الآرام في الصيد راميا
رقيَ مارَقيَ مَن سؤدد وإمارة   وفضل وأفضال ومازال راقِياً
الى دولة أسمى وفتح مقدس   أصاب من العلم اللدنيّ التراقيا
وكشف لأسرار الحقائق شاهد   على الذوق إلهاماً من الله هاميا
مواقفه يتلو الفتوحاتِ فضلُها   وتجلو من العِرفان ماكان خافيا
بفصل خطاب بارعات فَصولهُ   لقد طوّقت قس الأيادي أياديا
نلوذ بأطراف القوافي وحسبنا   من الفخر أن نهدي إليه القوافيا
ولم نتكلّف نظمهنَّ لأننا   وجدنا المعالي فإخترعنا المعانيا
ومهما تغالوا في بدائع وصفه   يرَوا غاية التفريط ذاك التغاليا
تفرّد في الدنيا بأكبر همّة   وأثبتَ جأشٍ يستخفُّ الرواسيا
ونال من العلياء فوق منائه   وماكلُّ إنسان ينال الأمانيا
ولا عيبٌ فيه غير أن حياته   حياة لكلِّ الناس لازال باقيا

وقولي :

روى النسيم عن الأرواح إذ وصفا   شمائل الورد في أرواحه وصفا
عن الجداول مابين الخمائل في   وقت الأصائل تروى السهل والشفعا
عن السحائب تبكي في الرُبا سحراً   فيضحك الزهر في الأكمام منحرفا
عن الرياض زَهَت أنوارها وحلّت   أثمارها فزكَت طيباً ومقتطفا
عن الضُحى حين عاطتهُ البلابل في   كأس من الورد صهباء الندا أنَفا
عن الهزارِ رخيم الصوت يرفعه   إن الأمير هو الغوث الذي وصفا
هو الذي طوّق الدنيا بنعمته   حتى جَلا نورهُ عن بدرها الكَلَفا
هو الذي وقف العَليا لقاصده   طوبى لمن أمَّ مغناه وما وقفا

هو الذي خفقت في الخافقين عُلا   أعلامه إنما فرط الظهور خفا
هو الأمير الذي أضحت شمائله   حلا الملوك وفي آذانهم شَنَفا
هو النسيب إذا أطرى النسيب به   ترى سحاب الندا من كفه وكفى
هو الإمام الذي آياته نَسَخَتْ   بالعدل ذكر بني العباس والخلفا
وطبق الأرض علماً والسما تُقى   والناس جوداً وتاج الأوليا تحفا
كم أصبح التراب تَبراً حين يلحظه   والدرُّ إن لم يصادف لحظة صدفا
والشمس إن لم تسارع في إطاعته   والبدر إن لم يقابل نوره كُسفا
يخفى ويظهر جدواه وعزّته   لطفاً فيفني ويحيي المال والشَرَفا
لايكتفي بعطاء اليوم عن غده   أو ينكفي باعث الآمال منصرفا
لايبلغ البلغاء المدحَ فيه وإن   تطاولوا قصّروا عمّا به إتصفا
ياخير مَن طار في الأقطار سؤددهُ   شرقاً وغرباً وأعلى دولة الشُرَفا
رحماك كيف أولوا الألباب تدرك ما   أصبحت فيه من الأخلاق متصفا
ألست بحر علوم ساغ مورده   ماخاب مَن جاءه في الدهر مرتشفا
ألستَ مفردَ عرفان ينافس في   وجودك الخَلَف الجم الذي سَلَفا
ألستَ أشرفَ مَن جاد الوجود به   ورصّع الناس في أوصافه الصحفا
ألستَ نجل الأولي بين الورى عُرفوا   بالقطب والغوث والأفراد والحنفا
ألستَ فرع الذي جبريل خادمه   وحسبك الدهر فخر المصطفى شرفا
ياماضي العزم والهندي توردّه   نحو أعادئك الكفار منتصفا
وصاحب النظر الإكسير كم جبرت   أيدي نداك كسير القلب متلهفا
لولاك لم يدرك العرفان طالبه   والفضل لولاك بين الناس ماعُرفا
وربما دخلت تلك المكارم في   أخبار كان ولم نبصر لها خَلَفا
أنت الذي إتفق العصر الأخير على   تقديمه لم نجد فيهم مَن إختلفا
مَن أمَّ أبواب عبدالقادر الحسنيّ   قيل الجزائر يلقَ الفضل والترَفا
عفواً فما لي أياد في مديحك بل   منك اللآلي ومني النظم فائتلفا
والعفو يحلو من القوم الكرام ولا   يدري لذاذته إلاّ مَن إقترفا
قصّرت معترفاً مدحي عليك وهل   يُردُّ مَن جاء بالتقصير معترفا
فاستجل شمس المعاني وهي مقبلة   تهفو دلالاً ولكن تنثني هيفا
غريبة الحسن تهوى مَن يلاطفها   واللطف بالغربا من عادة اللطفا
لقد ترامت على الأعتاب تلثمها   واستعطفت قلبك الزاكي وكم عطفا
أطفا الظهور بها نار القصور وقد   أغضت حياءً وغضّت طرفها وطفا
لم تلقَ كُفؤاً لها إلاّ علاك فإن   تنظر محاسنها تزدد بها شغفاً
ياحسنها إن رأت وجه القبول ويا   بشرى لها أن تقابلها بما سلفا
وغاية القصد شكران الصنيع بها   فألق من طرفك العالي لها طرفا
لازلت مظهر هذا المجد مطلعاً   في كل عام على هذا الثنا وكفى

ومن المقاطع قولي مذيّلاً :

ياسيداً أوجبتْ أخلاقه الحسنة   تبديل سيئة الأيام بالحسنه

والـلـه والـلـه والـلـه الـعـظـيـم ومَـن آلـى عـلـى نـفـســـه أن لايذوق سِـنـه
لـو مـــــرّ يـوم عـلـيـنـا لانـراك بـه لكـان مـقـداره خـمـسـين ألف سَـنـه
لازلتَ فـي دولة العـرفـان يعـجـز عن إدراك وصـفـك أهـل الألـسـن اللَسِـنـه

ورثيـتـه بأبيـات كُتـبت على لوح من رخام ضـريحه بـالـذهب مشـتملة على تاريخ وفـاتـه وإشارة لاتخـفـى على أهل الأدب فقلت :

لـلـه أفـق صـار مـشـرق دارتـي قـمـرين هلاّ من ديـار المغـرب
الشـيـخ مـحي الدين خـتم الأولـيـا قـمـر الفـتـوحـات الفـريد المشـرب
والأمـيـر عـبـدالقـادر الحسني السنى قـمـر المواقف ذا الـولي إبـن النـبي
مَن نـال مـع أعـلى رفـيـقٍ أرِّخـوا أزكى مقـامات الشـهود الأقرب (١٣٠٠هـ)

وقد جاء تاريخ وفاته (غاب بدر كامل) وبالجملة فهو آية من آيات الله تعالى في ورده وصدره . ولو كان في الأمم الغابرة لقصّ علينا الـلـه أحسن القَصَص من خبره ، ولولا قلّة مجال هذه الشذرة لإقتطفنا من هذه الروضة ألف زهرة حبّاً به قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ .

عوداً على بدء

قـرأ سيدي الوالد أدامه الله تعالى عليه "الموازين الذرية" للعارف الشعراني ، و"شرح فصوص الحكم" للعارف الشيخ عبدالغني النابلسي ، وباب النفس من "الفتوحات المكية" وهو يشتمل على خمسين فصلاً قراءة ذوق وتحقيق كل ذلك مع مواظبته على دروسه وأوراده ومثابرته على نشر أعلام الطريق وعلومه .

(وفي عام أربعة وثمانين) ذهب الى مكة المكرّمة أواخر شهر رجب الفرد ومعه كريمة حضرة مولانا رضي الله عنهما . فصام رمضان هناك وأقبلت عليه وجوه البيت الحرام وأعيانها وشرفاؤها وعلماؤها ، لاسيما المغفور له أمير العظماء الشريف حسين باشا أمير مكة من بعده وكعبة علماء الصلحاء ذو المجد الأثيل والمقام الجليل الشيخ عبدالله الشيبي رحمه الله تعالى ، فإنهم بالغوا في ترفيه شأنه وبلغوا الغاية بإجلاله وإكرامه . وصحبوه عامة إقامته ثمّ صحبةً صادقة ، وإبتهجوا بمحبته إبتهاجاً تاماً حتى إن الشيخ عبدالله رحمه الله تعالى كان يفتح له الكعبة المطهّرة ومقام سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام خاصة ، وبسرّ سروراً عظيماً لسروره بذلك وفيه إسمه الشريف في دفتر علماء الحرمين ، وهي عند أهل الحجاز منقبة عظيمة جداً لما يجدون من نفوسهم من عظمة خدمة أهل البيت وجواره وإستئثارهم بالعلم والفضل وهم لذلك أهل . وعرض عليه أن يبني له رباطاً يكون للنقشبندية ويبقى ثمَّ لإقامة شعائر الطريقة العلية في تلك المشاعر الحرمية . فلم يجبه الى ذلك حفظاً لمركز الطريقة العلية في مقام حضرة مولانا نوّر الله مرقده .

ولقيَ هناك من أهل الله غير واحد وإستمدّ من بركاتهم . وممن بالغ بالإقبال عليه وإكرامه الإمام الصالح والمرشد الناصح الشيخ محمد الفاسي الشاذلي ، وهو أحد مشايخ أمير العارفين السيد عبدالقادر الجزائري قُدِّس سرّهما . فإنه كان له مَيل عظيم الى سيدي الوالد الماجد ومحبة تامة ، بحيث كان إذا مرّ ولم يرهُ في الحرم المطهّر يسعى الى منزله فيسأل عنه ويبحث عن أحواله . ومنهم المربي الفاضل والمرشد

الكامل الشيخ الحاج إبراهيم الرشيدي قُدِّس سرّه . ومنهم العالم الصوفيّ الشيخ محمد الطرابزوني شيخ والي مصر سابقاً عباس باشا برّد الله مضجعه ، وغيرهم ممن لايُحصون .

(ثم) لما قضى مناسكه وتملّى بزيارة حجرة فخر العالم صلى الله عليه وسلم والروضة المباركة رجع الى الأوطان يرفل في أثواب الثواب والسرور بالعمل المبرور . فأقبل للسلام عليه معتبروا دمشق الشام وكافة فضلائها وعلمائها الأعلام . ثم إلتفت لما كان فيه من إقامة شعائر الدين والطريق الخالدي بدروس العلم والأذكار الخواجگانية . وإستأنف ملازمة أمير العارفين المارّ آنفاً كلما إجتمع به يسمعه من مشكلات الفتوحات فيحلّها بأقوى حلّ وأيوم بيان .

(وفي عام ستة وثمانين) سَمعَ منه صحيح البخاري كله في دار الحديث في ملأ عظيم مدة سبعة وعشرين يوماً من شهر رمضان وأجاز له روايته عنه ، وجميع مروياته بروايته له عن والده العلاّمة الكبير الولي الصالح السيد محي الدين بروايته له عن العلامة البركة والده السيد مصطفى عن علاّمة زمانه الشهير السيد مرتضى الزبيدي شارح القاموس بسنده المشهور في ثبته . وإستجاز الأمير المشار اليه من سيدي الوالد الماجد قراءة "الفتوحات المكية" . فأجاز له ذلك وكتب له إجازة بخطه المبارك . كما أجاز ذلك له المحدّث الكبير الشيخ عبدالرحمن الكزبري طيّب الله ثراه ، وسمع منه بحضور الأمير المنوّه به شيخنا الشيخ محمد الطندتائي رحمه الله تعالى "الفتوحات المكية" بالنسخة التي صححها شيخنا على خط المؤلف رضي الله عنه الموجود في مدينة (قونيه) . وكان أرسله الأمير قُدِّس سرّه لتصحيحها الى هنالك على نفقته . ففعل جزاهما الله خير جزائه .

وفي هذا العام ذهبت كريمة حضرة مولانا خالد قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ العزيز الى الحج الشريف فأدركتها الوفاة في منى . فجيءَ بها الى مكة المكرّمة ودُفنت في المعلاه عند ضريح سيدتنا خديجة الكبرى رضي الله عنها . وكان لمشهدها يوم عظيم لم يتخلّف عنه أحد من خلفاء الطريقة العلية ومريديها قُدِّس سرّها . فغمَّ ذلك سيدي الوالد غماً عظيماً ولم يزل أيّده الله تعالى مشغوفاً بصحبة الأمير ومزاولة كتب القوم وإعتنائه بجمع كلام الأمير فيه من أجوبة مسائل وحل مشكلات وتفسير آيات على لسان أهل الله ، حتى حصل لسيدي الوالد الماجد مَلَكة في فن التصوّف عظيمة جداً ببركة هذا العزيز . فابتدأ عام خمسة وتسعين باقراء إصطلاحات العارف الكبير الشيخ عبدالرزاق القاشاني لخواصه في داره ليلاً ، منهم هذا الحقير ويقررها أحسن تقرير بحيث يوصل الى الأفهام المتوغلة في الإبهام . مراد القوم من ذلك الكلام نظراً لقوة وقوفه على معاني كلماتهم ورسوخ قدمه في فهم مصطلحاتهم . فنوّر الله سرائرهم به ورزقهم الإيمان به وحبّبه إليهم . ثم لما أتمَّه وقد صار عندهم أدنى مسكة في الفنّ قرأ لهم مواقف الأمير قُدِّس سرّه وطفق يحل غامضها ويبسط معانيها العرفانية ومداركها الإشارية ، إذ أكثرها تفسير ايات قرآنية .

(وفي هذا العام) بدأ يقرأ صبيحة الثلاثاء والجمعة في المسجد علاوة على دروسه الراتبة كتب الحديث النبوي . فاجتمع اليه خلق كثير لتلقيه عنه ، فقرأ صحيح البخاري بالقسطلاني مرتين وفي داره بعد العشاء مرة ، وصحيح مسلم بشرح الإمام النووي مرة ، وموطأ مالك وسنن أبي داود . وهو الآن سنة ست وثلثمائة يقرأ سنن الترمذي قراءة إتقان وتحقيق في المسجد وفي داره بعد العشاء "إحياء العلوم" للعارف الغزالي .

(ثم) بعد أن أتمَّ قراءة "المواقف العرفانية" قرأ شرح العارف الكبير عبدالرحمن الجامي على فصوص

الحكم لخاتم الأولياء المحمديين الشيخ الأكبر محي الدين قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُما العزيز مع مراجعته شرح العارف النابلسي والعارف الجندي والعارف القيصري .

(وفي عام سبع وتسعين) توفيت والدته العزيزة وكانت وفاتها خلال ربيع الثاني منه . فلم يتخلّف أحد عن تشييع جنازتها وصُلّيَ عليها في جامع (درويش باشا) أمير العارفين المشار اليه . وحُملت الى مقام حضرة مولانا قُدِّس سرّهما ، فدُفنت في مدفن الجد الأمجد قرب الباب . فحزن لفقدها حزناً عظيماً وجعل يعتزل الناس أياماً طويلة مع كثرة تراكمهم عليه وترددهم إليه تخفيفاً لأحزانه وتسليةً له عن مُصابه ، فإنها كانت في التقوى والذكر وتلاوة القرآن وقيام الليل وصيام النهار وصفاء القلب وحبّ الخير ومكارم الأخلاق آية عظيمة ، تغمّدها الله برحمته ورضوانه .

(ولم يزل) محافظاً على صحبة الأمير دائباً على إستفادة فضله الوفير حتى توفي . وكان الأمير قُدِّس سرّه قد أقامه وصياً على أشباله القاصرين وأوصى له بعشرة آلاف غرش . فقبل الوصية على أولاده بعد وفاته وردّ العشرة آلاف المذكورة على أنجاله القاصرين ، وقال : "أنا ماصحبته للدينا وهو حيّ فلا أدنّس صحبتي بها بعد وفاته" . فشكر الناس له هذه الصنيعة شكراً كبيراً .

(وفي عام إثنين وثلثمائة) خرج حاجّاً الى البيت الحرام خلال شعبان ، فأدرك صيام رمضان في مكة المكرّمة ومازال يعتمر ويعمّر قلبه بالعبادات وتلقّي التجلّيات الحرمية والمواهب المكية ، حتى أتمّ مناسك حجّه على وجه السنّة المطهّرة . ثم قصد زيارة الحضرة النبوية ، فأقام في المدينة عشرين يوماً يغترف من أنهار أنوار الذات المحمدية ، ويقتطف من أزهار أسرار التجلّيات المصطفوية غير ملتفت لإقبال أهلها عليه مع تواردهم ليلاً ونهاراً اليه . ثم عاد على راحة الراحة وكرامة السلامة الى الأوطان . فإستقبله بها كل أهلها . وكان يوم قدومه موسم سرور ومشهد حبور . فقابل كلاً منهم بالإجلال والإعظام والإستبشار والدعاء والإكرام . وقد أنشدت وقتئذ هذه الأبيات وأنا بعيد عهد بصنعة القريض مبشّراً له ومؤرخاً قدومه أدام الله فضله فقلت :

سلام على مَن في مساعيه مأجور	وفي برّه عند البَرية مشهور
وإجلاله فرضٌ على كل مسلم	وأفضاله بين الأفاضل مأثور
وبشرى له بالحجّ والعمرة التي	بها قد غدا بيت الهدى وهو معمور
وفي عرفات حيث يزدلف المنى	مشاعر عرفان بها العقل مبهور
يطوف ببيت الله وهو فؤاده	وثمة حجر بالطاهر محجور
نعمَ كعبة الأسرار طافت حقيقة	بها كعبة الأستار والأمر مستور
وأهلاً به من قاصد البلد الذي	به عَلَمُ الإسلام كالشمس منشور
بحَبرٍ له علمُ الشريعة مظه	وبحر به علم الحقيقة محصور
هو المرشد الصوفي الملامي الذي به	لواء الطريق النقشبندي منصور
به يجبر المكسور بالجهل قلبه	ويُطلَق من أسر الغواية مأسور
الى الخير منذور عن الشرِّ منذرٌ	من اللطف معمور على الجود مفطور
فيا زائر المختار في الحجرة التي	لخدمتها والله جبريل مجبور
منازل فخر الكائنات ودوره	فما مكة ماالقدس ماالغار ماالطور
عليه من الله صلات صلاته	وتكريم تسليماته الدهر مقصور

لك الله بدراً قادماً خير مقدم ... وحظك موفور وذنبك موفور
وقدرك مرفوع وعزمك جازم ... وبابك مفتوح وضدّك مكسور
قصَّرتَ اليد الطولى بكل فضيلة ... عليك ومنظوم البراهين منظور
وسرت لحج البيت تسعى ملبّياً ... وسعيك في سِفر السعادة مذكور
فتقديمي التبشير أرّخه واجب ... فحجّك مبرور وسعيك مشكور (سنة ١٣٠٢هـ)
وإني في قُصرى فريضة مِدحَتي ... لضعفي في فن القريض لمعذور
وإلا فلا أنفكُّ أشكر نعمةً ... عليَّ بها أنعمتَ أو يُنفخ الصور
فلا زلت في العرفان أكمل مرشدٍ ... وقلبك في سرّ المناجاة مسرور
وجيبك مزرور على الزهد والتُقّى ... وذِكرك في رِقِّ السيادة مسطور
تَكلَّلَ تاج المرشدين بجوهر ... منَ العلم مكنون به عمه النور
ويستقبل الإقبال مغناك كلما ... تغنّى هَزار أو ترنّم شحرور
وقال لك البشرى ملائكة السما ... سلام على مَن في مساعيه مأجور

ثم عمد الى دروسه العلمية وأذكاره الخالدية العلية وأعاد شرح الفصوص للعارف الجامي قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ لبعض خواصه وهذا العبيد منهم . فقرأه بتحقيق وفهم ثاقب وتدقيق ، وكشفَ غوامض صعبة المسالك كَم زلَّ فيها قدم السالك ، مع مراجعة الشروح السالفة الذكر عليه لاسيما ماكتبه أمير العارفين السيد عبدالقادر الجزايري قُدِّس سرّه على فصّ آدم وشعيب وإسماعيل عليه السلام بسؤاله في ذلك كما تقدم ، فإنه أتى بما لم يخطر على قلب بشر غيره وقد أتمّه ولله الحمد على هذا الحال .

(ومن خصائصه) إنه لم يترك الدخول للخلوة في رمضان كله وعشر ذي الحجة وربما إختلى في عشر ربيع الأول إلاّ في مرض أو سفر . (ومنها) إنه لايخبر عن شيء أنه سيقع إلاّ وقع فقد شاهدت منه ذلك كثيراً . (ومنها) أني كنت إذا شاورته في أمر فقال لي إفعل ماشئت فإنه لايتم ذلك الأمر ، وإذا قال لي إفعل كذا ففعلت يتم بأكمل وجه . (ومنها) إنه يحب الخير ويسعى به ويتحمّل الأذى لأجله وينفق من ماله لقضاء حوائج الناس ويرغب بالإحسان لكل أحد ، لاسيما لأرحامه وأقاربه ويحتمل تحاملهم ولايستقبل الناس بما يكرهونه . (ومنها) أنه يحب طريق الملامية جداً من ستر الستر وموافقة الناس في حديثهم وحركاتهم وسكناتهم ومساواة أهل العلم في لباسهم وتهيئه ، ولم يلبس الطيلسان قط ولا إتخذ حجاباً أبداً ، ولم يغيّر من نظام الطريقة العليّة شيئاً بقدر الذرة عما كان عليه في زمن حضرة مولانا قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ العزيز ، ولا أذنَ ولا يأذن لأحد من مريد الطريق أن يرابط بغير صورة حضرة مولانا ، ويرد على مَن يجوّزه أقوى ردّ ، مستنداً على ماذكر الجد الأمجد قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ في بهجته في بحث الرابطة وتقدّمت الإشارة اليه في ترجمة حضرة مولانا . (ومنها) أنه يتكسّب من الزراعة جرياً على قاعدة الجد الأمجد قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ ، إذ هي الى جهة الحلّ أقرب .

(ومن فرط) محافظته على أصول الطريقة العلية المرعية في زمن الشيخ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ العزيز لم تكثر خلفاؤه . فما أذنَ بالإرشاد إلاّ لجماعة قليلين : منهم العالم الفاضل المربّي الشيخ يونس أفندي مفتي (قره حصار) من بلاد الأناضول حفظه الله . ومنهم الرجل الصالح والعالم الفالح مربّي المريدين الشيخ إسحق أفندي الجركسي حفظه الله تعالى .

(وهو الآن) يوم تحريري لهذا المكان غاية ربيع الأول عام ستة وثلاثمائة مقيم على ماتقدم من إحياء العلوم والآلية والصوفية منهلاً للقاصدين ومرشداً للمسترشدين وبابه محط الرجال الصادقين أدام الله سعود وجوده ووجود سعوده آمين :

يعجب السامع من وصفي له ووراء العجز مالم أصفِ

ختام الكلام بكلام الختام

إعلم للطريقة العلية الخالدية النقشبندية أركاناً محكمة من أهمها الذكر الخفي والرابطة وإغلاق الباب . فالأول : أعني الذكر الخفي هو ذكر القلب بلا حركة لسان ولا إعانة نفس الإسم الأعظم (الله الله) فقط بدون ملاحظة أن الإسم مبتدأ محذوف الخبر أو مُنادى بحرف نداء مُقدَّر أو غير ذلك . وهو ذكر جليل له شأن عظيم في تنوير قلب السالك وطي منازل السلوك ، وهو أفضل من الجهري بمراحل . (أما الدليل على كونه ذكراً) وإن المشتغل به يسمى ذاكراً لله تعالى ، فهو مانُقل عن سيد الطائفتين الجُنيد رضي الله عنه أنه قال : "من الأعمال مالا يطّلع عليه الحَفَظَة وهو ذكر الله بالقلب وماطُويت عليه الضمائر من الهيبة والتعظيم وإعتقاد الخوف وإجلال أوامره ونواهيه" . وقال : "رأيت في النوم كأني أتكلّم على الناس فجاءني مَلَك فقال ماأقرب ما يتقرّب به المتقرّبون ؟ قلت عملٌ خفي بميزانٍ وفي" . وقال : "إن الله يعطي القلوب من برّه بحسب ما أخلصت له في ذكره" . وقال : "التصوف جامع لعشر خصال - وعدّها الى أن قال- ودوام الذكر بالقلب" . وماقاله ختم الأولياء المحمديين سيدنا الشيخ الأكبر محي الدين رضي الله عنه في "الفتوحات المكية" في باب الذكر ونقله العارف الجيلي في "كتاب الأسفار شرح رسالة الأنوار" للشيخ الأكبر عند قوله "وإشتغلْ بذكر الله بأي نوع شئت من الأذكار أعلاها" . قال الشارح قدر أو رتبة ونتيجة الرسم الأعظم وهو قولك (الله الله الله) لاتزيد عليها شيئاً وإن شئت (هو . هو) لاتتعدى هذا الذكر وتحفظ أن يفوه به لسانك . وليكن قلبك هو القائل ولتكن الأذن مصغية لهذا الذكر حتى ينبعث الناطق من سرّك . فإذا أحسست لظهور الناطق فيك بالذكر فلا تترك حالك التي كنت عليها فإنها قوة عرضية إن أخللت بجمعيتك لم تلبث أن تزول سريعا . (وقال رضي الله عنه) :

"الذكر نعت إلهي وهو نفسي ملأي في الحق وفي الخلق . ومع كونه نعتاً إلهياً فهو جزاء ذكر الخلق . قال تعالى (فأذكروني أذكركم) فجُعل وجود ذكره عن ذكره وكذلك حاله . فقال إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم فأنتج الذكر الذكر . وحال الذكر حال الذكر وليس الذكر هنا بأن تذكر إسمه بل لتذكّر إسمه من حيث ماهو مدحٌ له وحَمدٌ . إذ الفائدة ترتفع بذكر الإسم من حيث دلالته على الغير لافي حقك ولا في حقه . فإن قلت قد رجّح أهل الله ذكر لفظة (الله) وذكر لفظة (هو) على الأذكار التي تعطي النعت ووجدوا لها فوائد . قلتُ صدقوا وبه أقول ، ولكن ماقصدوا بذكرهم (الله الله) نفس دلالة على العين وإنما قصدوا هذا الإسم أو الـ(هو) من حيث إنهم علموا إن المُسمّى بهذا الإسم أو هذا الضمير هو مَن لاتقيّده الأكوان ومَن له الوجود التام . فإحضار هذا في نفس الذاكر عند ذكر الإسم بذلك وقعت الفائدة فإنه ذكر غير مقيَّدْ . فإذا قيّدهُ بـ(لا إله إلاّ الله) لم ينتج له إلاّ ماتعطيه هذه الدلالة . وإذا قيّده بـ(سبحان الله) لم يتمكن له أن يحضر إلاّ مع حقيقة مايعطيه التسبيح وكذلك (الله أكبر) و(الحمدلله) و(لاحول ولاقوة إلاّ بالله) .

وكل ذكر مقيّد بقيد لاينتج إلاّ ماتقيّد به ، لايمكن أن تُجتنى منه ثمرة عامة ، فإن حالة الذكر تقيّده . وقد عرفنا الله أنه مايعطيه إلاّ بحسب حاله في قوله (إن ذكرني في نفسه ذكرتُهُ في نفسي- الحديث القدسي) . فلهذا رجّحت الطائفة ذكر لفظة (الله) وحدها أو ضميرها من غير تقييد فما قصدوا لفظةً دون إستحضار مايستحقه المسمّى .

وبهذا المعنى يكون ذكر الحق لعبده بإسم عام لجميع الفضائل اللائقة به التي تكون في مقابلة ذكر العبد ربه بالإسم (الله) . فالذكر من العبد بإستحضار ، والذكر من الحق بحضور لأننا مشهودون له معلومون وهو لنا معلوم لامشهود ، فلذا كان لنا الإستحضار وله الحضور . فالعلماء يستحضرونه في القوة الذاكرة ، والعامة تستحضره في القوة المتخيَّلة ، ومن عباد الله العلماء مَن يستحضره في القوتين فيستحضره في القوة الذاكرة عقلاً وشرعاً وفي القوة المُتَخَيَّلة شرعاً وكشفاً ، وهذا أتمّ الذكر لأنه ذكره بكلّه . ومن ذلك الباب يكون ذكر الله له . ثم إن الله ماوصف شيئاً بالكثرة إلاّ الذكر ، وما أمر الكثرة من شيء إلا من الذكر . فقال (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) وقال (فأذكروا الله ذكراً كثيراً) . وماأتى الذكر قط إلاّ بالإسم (الله) خاصة معرّى من التقييد ، فقال (أذكروا الله) وماقال بكذا وقال (ولذكر الله أكبر) ولم يقل بكذا وقال (فكُلوا مما ذُكِرَ إسم الله عليه) ولم يقل بكذا . وقال عليه السلام : "لاتقوم الساعة حتى لايبقى على وجه الأرض مَن يقول الله الله" . فما قيّده بأمر زائد على هذا اللفظ لأنه ذكر الخاصة من عباده الذين يحفظ الله بهم عالم الدين وكل دار يكونون فيها . فإذا لم يبقَ في الدينا منهم أحد لم يبقَ للدنيا سبب حافظ يحفظها الله من أجله فتزول وتخرب . وكم من قائل (الله الله) باق في ذلك الوقت ولكن ماهوذا ذاكر بالإستحضار الذي ذكرناه . فلهذا لم يعتبر اللفظ دون الإستحضار . فإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً لأنهم لم يسمعوا ذكر شركائهم وإشمأزّت قلوبهم ، هذا مع علمهم بأنهم هم الذين وضعوها آلهة . ولهذا قال (قُل سموهم) فإنهم إن سمّوهم قامت الحجة عليهم ، فلا يسمي الله إلاّ الله ."

إنتهى ما نقله الجيلي رضي الله عنه .

(وماقاله) العارف بالله تعالى الشيخ حسن بن موسى الكُردي نزيل دمشق المتوفي بها سنة إثنين وأربعين ومائة وألف في شرح مواقع النجوم لسيدنا الشيخ الأكبر رضي الله عنه وعبارته عند الكلام على مقام الذكر القلبي :

"ومنهم مَن يدخله -أي هذا المقام- (بإسم الذات خاصة) لأنه سلطان الأسماء كلها . فإنه الجامع لمعانيها وإليه ترجع الأسماء ، وهو كالعلم لها . وهو المسمّى بالجلالة لعلوّ شأنه وجلالة أمره ، لاتناله أيدي الأفهام والعقول أثمار أسراره . كيف يتأتّى للبشر الوصول الى الحقائق الألوهية والإطلاع على خفايا مملكة الفَردانية ومالأهل الذات غير الدهشة والحَيرة ، فكيف بأهل الصفات ؟ وله شرف زائد على الأسماء . فلو أُزيل حرف الألف يبقى (لله) ، ولو أُزيلت اللام الأولى يبقى (له) ، وعند حذف الثانية يبقي (هو) بالإشباع بخلاف غيره من الأسماء فإنه ليس كذلك .

وذكر إسم الذات أي الله (وهو مذهب الإمام أبي حامد) الغزالي وقال في كتابه "كيمياء السعادة" :

ولاتظن أن هذه الطاقة تفتح من عين القلب بالنوم والموت فقط ، بل تنفتح باليقظة أيضاً لمن أخلص الجهاد والرياضة وخرج عن أسر الشهوة . فإذا جلس في مكان خال مع تعطيل الحواس وفتح

العين والسمع والباطنين وقال دائماً (الله الله) بالقلب دون اللسان الى أن يصير لاخبر له من نفسه ولامن العالم وبقي لايرى إلاّ الله ، إنفتحت طاقة في القلب يرى فيها يقظةً مايرى في النوم من أرواح الملائكة والأنبياء والأولياء والصور الحسنا وما لايمكن شرحه . وهو أيضاً مذهب جماعة ولقيتهم على ذلك الذكر الله الله . (وأمروني به) وعلى ذلك أيضاً جميع شيوخ الرسالة كالجُنيد البغدادي وشيخه سري السقطي ومعروف الكرخي ودادو الطائي وإبراهيم بن أدهم وعبدالله بن حنيف وفضيل بن عياض والمحاسبي والحافي وغيرهم قُدّس أسرارهم .

فمن قال الذكر كلمة لاتكون إلاّ بجملة إسمية أو فعلية ، فقول الذاكر (الله الله) مقتصراً عليه من البدَع وأفعال الجهلة غير ذاكر الله ليس بصحيح . ومن القائلين بهذا العز بن عبدالسلام والبلقيني وغيرهما ، وهو خلاف النص وجمهور مشايخ الطريق ودعوى بلا دليل . قال الله تعالى (قل الله ثم ذرْهُم في خوضهم يلعبون) وقال (ياأيها الذين امنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً) وقال صلى الله عليه وسلم : "لاتقوم الساعة على أحد يقول الله الله" . وفي رواية أخرى "حتى لايُقال في الأرض الله الله" .

وقال بعضهم هذه المقالة على القائل مقالة أو رجع عنها . ومن هنا قال النبي صلى الله عليه وسلم : "إتّقوا زلّة العالِم وإنتظروا فَيئَتَهُ" أي رجوعه الى الحق ، لأنه وإن زلَّ لم يرد الباطل .

(فلا يزال) الذاكر بالجلالة على الوجه الذي ذكره الإمام أبو حامد رحمه الله (على هذه الحالة في بدء مقامات الذكر) السبعة التي يجب على كل كامل قطعها حتى يبلغ درجة التحقيق في ذكر (الله الله) بالقلب دون اللسان حتى يتعمّر الباطن كله بإحتراق الخبائث كلها . فإن الذكر نار لاتُبقي ولاتَذَرْ (ولايبقى فيه) أي في الباطن (جوهر فرد) من قواه الباطنية (إلاّ ينطق بذلك الذكر بعينه حتى يغلب عليه) أي الذاكر (حال الذكر فلا يبصر في الوجود) شيئاً يقع نظره عليه إلاّيراه معلناً (بما هو) أي الذاكر (عليه من الذكر) . فهو على أي ذكر يرى الأشياء ذاكرة به أو مكتوباً عليها الذكر . (ولو كان في ذلك الوقت) الذي يغلب عليه حال الذكر فيه (ألف شخص) ذاكرين (بألف ذكر مختلف) كل شخص يذكر بغير مايذكر به الآخر (وغلب عليهم الحال) أي حال الذكر مثله (لأبصرَ كل واحد من العالم) منهم ومن غيرهم (ناطقاً بذلك الذكر الذي هو عليه) . وهذا هو التوحيد الصرف ، وهو قطع مسافة الفرق والدخول في مقام الجمع . (فلا يزال الذاكر من أول مقامات ذلك السفر حتى ينتهي الى المقام السابع) ، فيسافر من مقام الجمع الى مقام جمع الجمع فيفنى مَن كان باقياً ويبقى مَن كان فانياً . لايدخل في هذا المقام ولايسافر من المقام الأول ثم يسافر الى مقام السداجة المحضة فيكون هيوليّ قابلة لكلّ تجلٍّ من الصور والمعاني . ثم يسافر الى مقام مفتاح الغيب -أي الأسماء التي أظهرت صور الكائنات من الغيب الى الشهادة- فيسبح في فلك الأسماء والصفات فيعلم مقتضياتها على ماهي عليه في محالها . ثم يسافر الى مقام مفتاح غيب الغيب أي الأمهات . فيعرفها بالذات ويتحقق بها صورةً ومعنى في كل الأوقات . ثم يسافر الى مقام إستكمال التحقق بالأسماء الذاتية والنعوت الصفاتية والأوصاف الأفعالية . فيظهر بها جملة وتفصيلاً . فيتدرّع بالهيبة ويُتوّج بالعظمة . ثم يسافر الى مقام نزول الربّ في الثلث الأخير من كل ليل الى سماء الدنيا .

(فإذا إنتهى المقام السابع وهو نهاية الذاكر) ليس له أي للذاكر(وراء ذلك) المقام السابع (مرمى) - أي مكاناً يرمى فيه الذكر (أصلاً) - فيطلع الفجر وتظهر شمس الكمال على سائر أعضائه كما كان

لروحه وقلبه . فحينئذ يكون الحق سمعهُ الذي يسمع به ، وبصرَهُ الذي يُبصِر به ، ولسانه الذي ينطقُ به ، ويده التي يبطش بها ، ورجلَهُ التي يمشي بها وما بعد هذا إلاّ العجز والحَيرة ، أه .

(وقال) الشيخ الأكبر أيضاً في الفتوحات المكية في الباب الواحد والستين وثلثمائة مانصه :

"وأما الأثر الرابع فكقوله صلى الله عليه وسلم : "لاتقوم الساعة وعلى وجه الأرض مَن يقول الله الله" . فأتى به مرتين ولم يكتفِ بواحدة وأثبت بذلك أنه ذكر على الإنفراد ولم ينعته بشيء . وسكون الهاء من الإسم هو تفسير لقوله تعالى (أذكروا الله ذكراً كثيراً) وهو تكرار هذا الإسم (وَلَذكرُ الله أكبر) . ولم يذكر إلاّ الإسم (الله) خاصة وهو مأمور من الله أن يبيّن للناس مانزل اليهم . فلولا أن قول الإنسان الله الله له حفظ العالم الذي يكون فيه هذا الذاكر لم تُعرف بزواله زوال الكون الذي زال منه وهو الدنيا . وهذا الإسم كان ذكرنا وذكر شيخنا الذي دخلنا عليه . ومافي فوائد الأذكار أعظم من فائدته ، فلما قال الحق (ولَذكرُ الله أكبر) ولم يذكر صورة ذكر آخر مع كثرة الأذكار بالأسماء الإلهية . فاتخذه أهل الله ذكراً وحده فأنتج لهم في قلوبهم أمراً عظيماً لم ينتجه غيره من الأذكار . فإن بعض العلماء بالرسم لم يرَ هذا الذكر لإرتفاع الفائدة عنه فيه ، إذ كل مبتدأ لابد له من خبر . يقال له لايلزم ذلك في اللفظ بل لابد له من فائدة . وقد ظهرت في الذاكر به عند ذكره بهذه الكلمة خاصة ، فنتج له في باطنه من نور الكشف مالا ينتجه غيره ، بل له خبر ظاهر في اللفظ أو إضافة الى تنزيه أو ثناء بفعل . ومعلوم إذا ذُكر أمرما ثم ذُكر أمر ما وكُرّر على طريق التأكيد له أنه يعطي من الفائدة مالايعطيه مَن ليس له هذا الحكم ولاقُصد به ، فهو أسرع وأنجع في طلب الأمور فلا عيب في العلم جملة واحدة" .

(وقال) في الباب الثاني والستين وأربعمائة في الأقطاب المحمّديين :

"ثم إن الله جعل العالم الجسمي والجسماني في منزلين : منزل يسمى الدنيا ، ومنزل يسمى الآخرة ، وجعل سكانهما الإنس والجان والمعتبر فيهما الإنس ، والمعتبر من الإنس الكُمَّلْ لاغير ، وهم الذين ذكرهم الله لايزيدون عليه في نفوسهم هذا ذِكرهم في نفوسهم أه ."

(وأما الدليل) على أنه أفضل من الذكر الجهري فهو مانقله الجد الأمجد قُدِّس سرّه في كتاب الأذكار من بهجته السنية فقال :

"إعلم إن الذكر يكون بالقلب وباللسان ، كما قاله الإمام النووي رحمه الله في كتاب الأذكار "الذكر يكون بالقلب وباللسان والأفضل ماكان بالقلب واللسان جميعاً . فإن إقتصر على أحدهما فالقلب أفضل ، أه" .

ولكل منهما شواهد من الكتاب والسنّة والذي إختاره ساداتنا النقشبندية من الأذكار الذكر الخفي القلبي ، ولهم على ذلك دلائل من الكتاب والسنّة . ونقول العلماء الأئمة . فمن الكتاب قوله تعالى (وأذكر ربّك في نفسه... الآية) ، وقوله تعالى (وأدعوا ربّكم تضرّعاً وخفية... الآية) . ومن السنّة ماورد في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني . فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرَني في ملأ ذكرتُهُ في ملأ خير منه" رواه البخاري وغيره . وعن عائشة رضي الله تعالى عنها عن أبويها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يُفضَل الذكر على الذكر سبعين ضعفاً . إذا كان يوم القيامة رجَّعَ الله الخلائق الى حسابه وجاءت الحفظة بما حفظوا وكتبوا ، قال الله تعالى أنظروا هل بقي لعبدي من شيء . فيقولون ماتركنا شيئاً مما علمناه وحفظناه إلاّ وقد أحصيناه وكتبناه . فيقول الله تعالى إن لك عندي حسناً وأنا أجزيك به وهو الذكر الخفي" . ومعنى قوله الذكر الخفي

أي الخفي الذي لاتسمعه الحَفَظَة . وقوله (على الذكر) أي الذي تسمعه الحفَظَة وماورد في الجامع الصغير خير الذكر الذكر الخفي وخير الرزق مايكفي . والأحاديث في فضل الذكر الخفي كثيرة .

(قال القاضي عياض رحمه الله تعالى) :

"ذكرُ الله تعالى ضربان : ذكر بالقلب واللسان . وذكر القلب نوعان : أحدهما وهو أرفع الأذكار وأجلُّها التفكّر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وآياته وملكوته في أرضه وسمواته . وفي كتاب "بُغية أولي النُهى رشح غاية المنتهى" من فقه الحنابلة تأليف الشيخ الإمام والحبر الهُمام عبدالحي الصالحي الشهير بإبن العماد الحنبلي رحمه الله عند قول المتن "صلاة التطوع أفضل تطوع بدون لاقلب" وقوله "لاقلب" إشارة الى أن عمل القلب أفضل . قال الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى : "الذكر بالقلب أفضل من القرادة بلا قلب" وهو معنى كلام إبن الجوزي فإنه قال : "أصوب الأمور أن تنظر الى مايطهِّر القلب ويصفّيه للذكر والأنس فتلازمه" . ونقُلْ ههنا الفكر أفضل من الصلاة والصوم ، إنتهى .

وكان الشبلي رحمه الله تعالى ينشد في مجلسه :

ذكرتُكَ لا إني نسيتك لمحـــة ... وأيسرُ مافي الذكر ذكرُ لساني
فلمـا زراني الوجدُ إنك حاضري ... شـــهدتُك موجوداً بكلِّ مكانِ
فخاطبتُ موجوداً بغير تكلّـــمِ ... ولاحظتُ معلوماً بغير عيانِ

وكان الأستاذ أبو علي الدقّاق ينشد لبعضهم :

ماإن ذَكَرتُكَ إلاّ همَّ يغلبنــــــــي ... قلبي وسري رووحي عند ذكراكا
حتى كأنّ رقيباً منك يهتفُ بي ... إيّـــــاك ويحك والتذكار إيّاكا

إنتهى" .

وفي "الفتاوى الحديثية" للعلاّمة الإمام أحمد بن حجر الهيثمي المكّي في جواب السؤال عن الملائكة هل خُلقوا دفعةً واحدة أو تارات ؟ مانصّه :

"وذكر لا إله إلاّ الله أفضل من ذكر الجلالة مطلقاً هذا بلسان أئمة الظاهر . وأما عند أهل الباطن فالحال يختلف باختلاف أحوال السالك ، فمَن هو في إبتداء أمره ومقاساته لشهود الأغيار وعدم إنفكاكه عن التعلّق بها وعن إرادته وشهواته وإبقائه مع نفسه يحتاج الى إدمان الإثبات بعد النفي حتى يستولي عليه سلطان الذكر وجواذب الحقّ المترتّبة على ذلك . فإذا إستولت عليك تلك الجواذب حتى أخرجته عن شهواته ، فحينئذ يكون مستغرقاً في حقائق الجمع الأحدي والشهود السرمدي الفردي . فالأنسب بحاله الإعراض عما يذكره الأغيار وإستغراقه فيما يناسب حاله من ذكر الجلالة فقط ، لأن ذلك فيه تمام لذّته ودوام مسرّته ونعمته ومنتهى إربه ومحبته . قيل إذا وصل السالك الى هذا المقام وأراد قهر نفسه الى الرجوع الى شهود غيره حتى ينفيه أو يتعلّق به خاطره لم تطاوعهُ نفسهُ المطمئنة لما شاهدت من الحقائق الوهبية والمعارف الذوقية والعوارف اللدنيّة . وقد فتحنا لك باباً تستدلُّ بما ذكرناه في فتحه على ماوراءه . فافهم مقاصد القوم السالمين عن كل محذور ولوم وسلم لهم تسلم ، ولاتنتقد حقيقة من حقائقهم تندم ، بل فيما لم يظهر لك الله أعلم . وكذا يقال في الذكر باللسان والقلب أو بالقلب فقط . فبلسان أهل الظاهر ذكر اللسان والقلب أفضل مطلقاً . وعند أهل الطريق في ذلك تفصيل نفهمه مما قبله إن وعَيتَهُ وتأمّلته . فإن المستغرقْ قد يعرض له من الأحوال مايلتجم به لسانه ويصير في غاية من مقام الحَيرة والدهش ، فلا يستطيع نطقاً أو يتفرّق بسبب ماهو متحلٍّ به من

معالي تلك الأحوال وماهو مستغرق فيه من بحار العرفان والكمال الحاصل . إن الأولى بالسالك الوصول الى هذه المعارف أن يكون مديماً لما يأمره به أستاذه الجامع لطرفي الشريعة والحقيقة ،فإنه هو الطبيب الأعظم . فبمقتضى معارفه الذوقية وحكمه الربانية يعطى كلّ بدن ونفس مايراه هو اللائق بشفائها والمصلح لفنائها .

الى أن قال :

"والذِكر الخفي قد يطلق ويُراد به ماهو بالقلب فقط وماهو بالقلب واللسان ، بحيث يسمع نفسه ولايسمعه غيره . ومنه خير الذِكر الخفي أنه لايتطرّق اليه الرياء ، وأما حيث لم يسمع نفسه ، فلا يُعتدّ بحركة لسانه وإنما العبرة بما في قلبه . على أن جماعة من أئمتنا وغيرهم يقولون لاثواب في ذِكر القلب وحده ولامع اللسان حيث لم يسمع نفسه وينبغي حملهُ على أنه لاثواب عليه من حيث الذِكر المخصوص . أما إشتغال القلب بذلك وتأمّل معانيه وإشتغراقه في شهودها ، فلاشك أنه بمقتضى الأدلة يُثاب عليه من هذه الحيثية سبعين إنتهى .

وبما تقرر عُلم أن قول بعضهم "الذِكر لابد أن يكون باللسان أو بجملةٍ إسمية أو فعلية حتى يُثاب عليه وإلاّ فممنوع" .

(الركن الثاني الرابطة) وهي أن يستحضر المريد صورة شيخه الكامل المشهود له بالوصول الى مقام الفناء والبقاء الأتمَّين ، مستمِّداً من روحانيته وأنواره -وهي أشدُّ تأثيراً من الذِكر- في حصول الجُذبة الإلهية وترقّي السالك الى معارج الكمال . وحسبنا برهاناً على إثبات أصلها شرعاً ماأورده وليّ العلماء وعالِم الأولياء حضرة سيدنا ومولانا خالد قُدِّس سرّه العزيز في رسالة خاصة أرسل بها الى القسطنطينية دار الخلافة الإسلامية في هذا الشأن ونصّها :

"بعد الخطبة ، بلغنا أن بعض الغافلين عن أسرار الحقّ اليقين يعدّون الرابطة بدعة في الطريقة ويزعمون أنها شيء ليس له أصل ولاحقيقة . كلا إنها أصل عظيم من أصول طريقتنا العلية النقشبندية ، بل هي أعظم أسباب الوصول بعد التمسّك التام بالكتاب العزيز وسنّة الرسول . ومن جملة ساداتنا مَن كان يقتصر في السلوك والتسليك عليهما ، ومنهم مَن كان يأمر بغيرها أيضاً مع تنصيصه أنها أقرب الطرق الى الفناء في الشيخ الذي هو مقدمة الفناء في الله تعالى . ومنهم مَن أثبتها بنصّ قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا إتقوا الله وكونوا مع الصادقين) . فقال من السادة الكبار الشيخ عبيدالله المشهور بخواجه أحرار قُدِّس سرّه ماحاصله أن الكينونة مع الصادقين المأمور بها في كلام ربّ العالمين الكون معهم صورة ومعنى . ثم فسّر الكينونة المعنوية بالرابطة وهو عند أهله مشهور وفي كتاب "الرشحات" بالتفصيل مسطور . فكأنهم لم يتصوروا معنى الرابطة إصطلاحاً وإلاّ لما وسعهم إنكارها إذ هي في الطريقة عبارة عن إستمداد المريد من روحانية شيخه الكامل الفاني في الله وكثرة رعاية صورته ليتأدّب ويستفيض منه في الغيبة كالحضور ، ويتم له بإستحضاره الحضور والنور فينزجر بسببها عن سفاسف الأمور . وهو أمر لايتصوّر جحوده إلاّ من كتبَ الله في جبهته الخُسران وإتسم والعياذ بالله تعالى بالمَقت والحرمان . لأنه إن كان ممن يعتقد بالأولياء فقد صرحوا بحسنها وعظم نفعها ، بل وإتفقوا عليها كما لايخفى على مَن تتبّع كلماتهم القدسية وإستنشق نفحاتهم الأنسية .

فلابد أن يعتقد بكلام أئمة الشرع وأساطين الأصل والفرع . فقد قال بها من كل مذهب من المذاهب الأربعة أئمة تصريحاً وها أنا أعدّ بعض ماذكروه مع تعيين الأماكن ليراجعها مَن ليس في قلبه مرض ولاينكر على الأولياء بمجرد إتباع الهوى والغرض . فأقول وبالله التوفيق وهو الهادي الى سواء الطريق ، قد صرّح بالتصرّف والإمداد الروحانيين جماهير المفسرين في تفسير قوله تعالى (لولا أن رأى برهان ربه) . ومنهم صاحب الكشاف مع إنحرافه عن الإعتدال واتصافه بالإنكار والإعتزال ولفظه . وفسّر البرهان بأنه – أي يوسف عليه السلام– سمع صوتاً "إيّاك وإيّاها" ، فلم يكترث له ، فسمعه ثانياً فلم يعمل ، فسمعه ثالثاً "أعرض عنها" ، فلم ينجع فيه حتى مَثَلَ له يعقوب عاضاً على أنملته وقيل ضرب بيده في صدره الى آخر ماقال . وقال من الأئمة الحنفية الشيخ الإمام أكمل الدين في "شرح المشارق" في حديث "مَن رآني... الى آخره" الإجتماع بالشخص يقظة مناما لحصول مابه الإتحاد وله خمسة أصول كلية : الإشتراك في الذات أو في صفة فصاعداً أوفى الأفعال أو في حال المراتب . وكل مايتعلق من المناسبة بين شيئين أو أشياء لايخرج عن هذه الخمسة . وبحسب قوته على مابه من إختلاف وضعفه يكثر الإجتماع ويقلّ وقد يقوى على ضده فتقوى المحبة بحيث يكاد الشخصان لايفترقان وقد يكون بالعكس . ومَن حصَّل الأصول الخمسة وثبتت المناسبة بينه وبين أرواح الكُمَّلْ الماضين إجتمع بهم متى شاء ، إنتهى . وقال منهم أيضاً في (شرح الأشباه) أحمد بن محمد الشريف الحموي في كتابه "نفحات القرب" : والإتصال بإثبات التصرف لأولياء الله تعالى ، والكرامة بعد الإنتقال ماخلاصته : إن الأولياء يظهرون في صور متعددة بسبب غلبة روحانيتهم على جسمانيتهم وحُمل عليه بعض روايات الحديث الصحيح حيث قال صلى الله عليه وسلم : "يُنادى من كل باب من أبواب الجنة بعض أهل الجنة– فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهل يدخل أحد من تلك الأبواب كلها– قال نعم وأرجو أن تكون منهم" إنتهى . بالمعنى . وقالوا إن الروح الكلية تظهر في سبعين ألف صورة في دار الدنيا . ففي البرزخ من باب أولى لأن الروح فيه أقوى وأكثر إنتقالاً بسبب المفارقة عن البدن ، إنتهى . قال ومن الأئمة الشافعية الإمام الغزالي في "الإحياء" في باب تفضيل ماينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن من أركان الصلاة مانصّه "وأحضِر في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقُل السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وليصدُق أملك في أنه يبلغه ويردُّ عليك ماهو أوفى ، إنتهى" . وقال منهم العلاّمة الشهاب إبن حجر المكي شيخ الشهاب الخفاجي في "شرح العباب" في بيان معاني كلمات التشهُّد مانصّهُ : "وخوطب صلى الله عليه وسلم كأنه إشارة الى أنه تعالى يكشف له عن المصلّين من أمته حتي يكون كالحاضر بينهم ليشهد لهم بأفضل أعمالهم وليكون تذكُّر حضوره سبباً لمزيد من الخشوع" ثم أيّده بما مرّ عن الإحياء . ولشيخ الشيوخ الإمام العارف السهروردي الشافعي في العوارف في باب صلاة أهل القُربْ مثله وعن عباداته : "ويُسلِّم على النبي صلى الله عليه وسلم ويمثِّل له بين عينيّ قلبه . إنتهت" .

وصرّح العلامة الشهاب إبن حجر في أواخر شرح الشمائل وفقاً للحافظ الجلال السيوطي في كتابه "تنوير الحَلَك في رؤية النبيّ والمَلَك" أنه حُكي عن إبن عباس رضي الله عنهما أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى صورته صلى الله عليه وسلم ولم يرَ صورة نفسه . إنتهى . وهذا هو الفناء في الرابطة في إصطلاح القوم . لايُقال ليس الكلام في صورة النبي صلى الله عليه وسلم لأننا نقول هذا

ليس من خصائص الأنبياء ، وكل ماهو كذلك فهو مشترك بينهم وبين الأولياء ولاشك في هذا عند أهله . نعم مخاطبة غيره صلى الله عليه وسلم في الصلاة مبطلة لها وإحضار الصورة فيها والتسليم على صاحبها من خصائص حضرة روح الوجود وصاحب المقام المحمود عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والتسليم من الكريم الودود . وهو غير مراد فيما نحن فيه . هذا وقال منهم الحافظ الجلال السيوطي في رسالة حافلة ألَفها في مثل هذه المادة سمّاها"كتاب المُنجَلي في تطور الوليّ" نقلاً عن الإمام السبكي الشافعي في "الطبقات الكبرى" الكرامات أنواع الى أن قال الثاني والعشرون التطوّر بأنواع مختلفة وهو الذي يسميه الصوفية بعالم المثال وبنوا عليه تجسّد الأرواح وظهورها في صورة مختلفة من عالم المثال وإستأنسوا له بقوله تعالى (فتمثَّلَ لها بشراً سويّا) . ومنه قضية قضيب البان ثم ذكرها وذكر غيرها ، إنتهى . وقال منهم الإمام العارف الشعراني قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ في كتاب "النفحات القدسية" عند آداب الذكر مانصّه : "السابع أن يُخيّلَ شخص شيخه بين عينيه" وهذا عندهم آكد الآداب إنتهى بحروفه .

(قلتُ) وليس الرابطة عندنا معاشر النقشبندية إلاّ هذا كما يشهد له مافي جميع كتبهم المعتمدة . وذكر العلاّمة السفيري الحلبي من الشافعية في شرح البخاري عند قوله "ثم حبّب اليه الخلاء أن الشيطان كما لايقدر أن يتمثّل بصورة النبي صلى الله عليه وسلم لايقدر أن يتمثّل بصورة الوليّ الكامل أيضاً ، بشرط ذكره" . ثم قال من أكابر الحنفية أيضاً العلاّمة الشريف الجرجاني قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ في أواخر شرح المواقف قبيل ذكر الفرق الإسلامية بصحة ظهور صور الأولياء للمريدين وأخذهم الفيوض منها حتى بعد الموت . وكذا في أوائل حواشيه على "شرح المطالع" . وقال منهم أيضاً الإمام العارف بالله تعالى الشيخ تاج الدين النقشبندي العثماني قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ عند بيان طرق الوصول الى الله تعالى في رسالته المعروفة بـ"التاجيّة" مانصّهُ : "الطريق الثالثة الرابطة بالشيخ الذي وصل الى مقام المُشاهَدة وتحقق بالصفات الذاتية فإن رؤيته بمقتضى هم الذين إذا رأوا ذكر الله تفيد فائدة الذكر وصحبته بموجب هم جلساء الله تعالى تنتج صحبة المذكور" . الى أن قال : "فينبغي أن تُحفظ صورة الشيخ في الخيال وتتوجه للقلب الصنوبري حتى تصل الغَيبة والفناء عن النفس ، وإن وقفتَ عن الترقّي فينبغي أن تجعل صورة الشيخ على كتفك الأيمن وتفرض من كتفك الى قلبك أمراً ممتداً وتأتي بالشيخ على ذلك الأمر الممتد وتجعله في قلبك . فإنه يُرجى لك بذلك حضور الغَيبة والفناء" إنتهى بحروفه . وجرى عليه قدوة المحققين وزبدة المتأخرين الشيخ العارف عبدالغني النابلسي الحنفي قدّس الله سره . وأقرّه في شرحه على التاجية من أئمة الحنابلة الغوث الأعظم والإمام الأفخم سيدي الشيخ عبدالقادر الجيلي قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ مامعناه أن للفقير -أي السالك- طريق القوم رابطة قلبية مع الأولياء ويستفيد منهم بسبب تلك الرابطة باطناً فلا بأس بعدم إكرامه ظاهراً ، بخلاف الأجنبي الذي ليس له رابطة معهم ، إنتهى .

عن الإمام السهروردي في باب آداب المريد مع شيخه من عوارفه . وقال منهم أيضاً العلامة شمس الدين إبن القيم في كتاب "الروح" إن للروح شأناً مع البدن فتكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة ببدن الميت ، بحيث إذا سُلّم على صاحبها ردّ السلام وهي في مكانها هناك ، إنتهى . نقلاً عن الحافظ في كتابه "المنجلي" . والنصوص بهذا المعنى أكثر من أن تُحصى وفيه دلالة ظاهرة على نوع تصرّف

للأولياء بعد الموت .

(قلتُ) وقد ألّف كثير من المحققين في ذلك رسائل واضحة المسالك ، فليحذر الموفق عن إنكاره فإنه من المهالك . وقال من أئمة المالكية الإمام الجليل صاحب المختصر المشهور الشيخ خليل رحمه الله تعالى مانصّه : "الوليّ إذا تحقق ولايته تمكن من التصوّر في روحانيته ويُعطى من القدرة على التصوّر في صور عديدة وليس ذلك بمحال ، لأن المتعدد هو الصورة الروحانية . وقد أشتُهر ذلك عند العارفين بالله . نقله السيوطي عنه في الكتاب المذكور . ونقل فيه أيضاً عن الإمامين الهُمامين من المالكية الشيخ أبي العباس المرسي وتلميذه إبن عطاء قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُما مايقاربه .

فكيف يُسوَّغ للعوام إنكار مثل هذه الأحكام بعد تصريح الأولياء الكرام والعلماء الأعلام ، الذين هم أهل الحلّ والإبرام ومنهم مَن يتلقّى العلوم اللدنيّة بلا واسطة من الحيّ الذي لاينام . وإقتصرتُ على هذا القدر من الكلام خوفاً من الإملال والإسئام . وإلاّ لألّفتُ فيه مجلداً حافلاً بعون المنعام . ولولا رعاية الشفقة على الإخوان في الدين من وقوعهم في إنكار طور الأولياء الكاملين لما أقدمتُ على إظهار بعض هذه الأسرار . لكن ألجأني اليه أمران : الأمر الأول ؛ الذَبُّ عن الطريقة التي هي عروة الوصول وسلم رضوان الله تعالى وإتباع الرسول ، التي أصولها التمسك بعقائد أهل السنّة الذين هم الفرقة الناجية ، وترك إلتقاط الرُّخَصْ والأخذ بالعزائم ودوام المراقبة والإقبال على المولى والإعراض عن زخارف الدنيا ، بل وعن كل ماسوى الله تعالى . ومَلَكة الحضور المُعبَّر عنه في الحديث الشريف بالإحسان وهو "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" . والخلوة في الجَلوة مع التحلّي بالإستفادة والإفادة في علوم الدين والتزيّي بزيّ عَوام المؤمنين . وإخفاء الذكر وحفظ الأنفاس لايخرج ولايدخل النَفَسْ مع الغفلة عن الله الكريم . والتخلّق بأخلاق رسول الله صاحب الخُلُق العظيم عليه الصلاة والتسليم وهي عبارة عن عزائم الكتاب والسنّة . ولهذا قال إمام الطريقة وغوث الخليقة الشيخ بهاء الحق والدين محمد النجاري المعروف بنقشبند قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ مامعناه مَن أعرضَ عن طريقتنا فهو في خطر من دينه .

والأمر الثاني ؛ التحذير عن تمويه الغافلين وتزويرهم لئلا يؤدي الى إنكار هذه الطريقة وتكديرهم ، ويسري من شؤمه والعياذ بالله تعالى الى باب لايزال الفقراء الصادقون متضرعين الى الله تعالى لتأييده وبقائه ولحفظه من فتن حساده ومكائد أعدائه . وهذا الفقير يوصيكم بجميع ماتقدّم من الاداب ويخبركم بأنه يبرأ الى الله تعالى من كل مَن يخالف السنّة والكتاب ولايتبع هدى النبي والأصحاب . ويأمركم بصالح الدعاء في الصباح والمساء لدوام تأييد الدولة العلية العثمانية التي عليها مدار الإسلام ونصرتها على أعداء الدين من النصارى الملاعين والأعجام المرتدّين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . في البدء والختام ، إنتهى .

فإذا نظرت الى ماذكرناه بعين الفَهم تبيّن لك أن توقف بعض المنسوبين الى العلم من أهل العصر ومَن تبعه في جواز الرابطة لايعوّل عليه .

(الركن الثالث إغلاق الباب وقت الذكر) وهو وسيلة عظيمة لحفظ الخاطر من التفرقة وجمع الحواس كلها . وهو من أهم الأركان عند السادة الخالدية النقشبندية . وسنَدُهم في ماذكره العارف الشعراني قُدِّس سرّه في "النفحات" . روى الطبراني والإمام أحمد والبزار وغيرهم بإسناد حسن أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم كان يوماً يجمع مع أصحابه ، فقال : "هل فيكم غريب -يعني أهل الكتاب- قالوا لا يارسول الله . فأمر بغلق الباب وقال صلى الله عليه وسلم : إرفعوا أيديكم وقولوا لاإله إلاّ الله" . قال شدّاد بن أوس فرفعنا أيدينا ساعة وقلنا لاإله إلاّ الله ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة وإنك لاتخلف الميعاد" . ثم قال عليه الصلاة والسلام : "ألا فأبشروا فإن الله قد غفر لكم" ، ثم قال وإنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بغلق الباب في تلقينه جماعة أصحابه كما تقدّم وقال "هل فيكم غريب" لينبّه على أن طريق القوم مبنية على السر وصفاء الوقت من حضور مَن ليس منهم ولا يؤمن بطريقهم ، فربما إستهزأ به فمَقَتَهُ الله عزّ وجلّ . ذَكَرَهُ سيدي الجد في "البهجة السنية"

وفي "الرشحات" . قال سيدنا عبيدالله أحرار قُدِّس سرّه العزيز في معنى قولهم "صحبة الأضداد موجبة للتفرقة" : وجد أبو يزيد رضي الله عنه يوماً تفرقة ، فقال لأصحابه أنظروا هل في مجلسي أجنبي . فنظروا فما وجدوا أحداً . فقال أمعنوا النظر فإنه لو لم يكن لما حصلت لي التفرقة . فلما بالغوا في التفتيش وجدوا عصاً لرجل أجنبي فرموها فعادت له جمعيته . ودخل رجل من أصحاب سيدنا عبيدالله أحرار عليه ، فقال إني أجد رائحة أجنبي ، ثم قال للرجل إني تحققت الآن إنها منك فلعلك لابس ثوب أجنبي . فقال له نعم . فخرج ونَزَعَ ذلك الثوب ثم عاد فجلس عنده نفعّنا الله ببركاته . وماقيل إن الغوث الدهلوي مرشد حضرة مولانا خالد قَدَّسَ اللّهُ سرَّهُ لم يكن يأمر بغلق الباب مردود بأنه إنما كان يقيم الأذكار النقشبندية في زاويته الخاصة به وبأصحابه ، لافي المسجد الجامع فيأمن من دخول أجنبي لحضرته . كما روي ذلك عن مولانا خالد . وعليه فما يفعله ذرية الإمام الربّاني رضي الله عنهم وغيرهم في الحرم المكّي وغيره من إقامة الأذكار والتوجّه على رؤوس الأشهاد مغاير لأدابهم ، إذ لاتخلو النظّارة من جاهل .

(أخبرني) الوالد الماجد أنه رأى من بعض الواقفين ما لايليق بشأن الطريقة العلية من السخرية . فيكون في غلق الباب سد للذريعة ودرءُ للمَفسَدة مقدّم على جلب المصلحة في أصول الشريعة . وبالكلام على مافي غلق الباب من الدقائق قد أغلقنا بحمده تعالى باب هذه الحدائق بعد تحسين تحصين كل الجهات بشوكة بركة توجهات مَن إشتملت عليه من السادات . راجين منه تبارك وتعالى أن يمنحها لدى أهلها قبولاً وإقبالاً ويحميها منن كل مَن ساء حالاً وقالا :

وإني لأرجو الله حتى كأنني ... أرى بجميل الظنِّ ماالله صانعُ

ومما يرى العجب في رجب من العجب لما صحّت بياضاً قال تاريخها سنة ١٣٠٦هـ (صُححت٥٠٦في٩٠ شهر٥٠٥ رجب٢٠٥) . اللهم إنا نتوسّل اليك بحرمة هؤلاء الكرام لديك أن لاتجعل همّنا إلاّ أنت ولاتدلّنا إلاّ عليك :

ياحليماً عند فرط الغضب ... وعليماً كيف كشفَ الكُرَبِ
وحكيماً نفذت أحكامُهُ ... ورحيماً بالمسيء المذنبِ
وكريماً ما لإكراماته ... غير وافي فضله من سببِ
قد توسلت بجاه المصطفى ... سيّد الخلق النبيِّ العربي
رحمة الأمة والغوث الذي ... كل مَن يَمَّمَهُ لم يَخِبِ
وبجاه الأنبيا والرسل والأوليا ... والشرفا والكتبِ
وبجاه كلّ ذي جاه له ... عندك اللهم أسنى الرتبِ

لاتعـاملنـي بأعـمـالي الـتي ... فـرطـت مني بسـوء الأدبِ
فـذنوبـي من ذنوبي ويـلهـا ... ملـئت جـهـلاً لعـقـد الـكُرَبِ
وحـمـتنـي ذلّة الـزّلة عـن ... لـذة الخـوف من المُـنقَلَـبِ
وأعـنّي وأعـفُ عـنّـي واهدني ... واغـفـر اللهم لي وإسـتـجبِ
حاش بحـر العفـو أن يمنعني ... قطرةً مـن غـيـثـه المنسكبِ
وإرحمِ اللهم ضعفي ليس لي ... قـوةٌ فـي حـمـل تلك الـنُوَبِ
وأبدل الـضـرّاء بـالسـرّاء لي ... كـرمـاً ولطفـاً بأمـي وأبي
وتفـضّل وإكـفنـي مـاأشـتكي ... ياحليـماً عـند فـرط الغـضبِ

متخذين ذلك وسيلة جليلة لأداء فريضة إهداء صلات الصلاة وتسنيم التسليم الى مقام صفيّ الأنبياء ونبي الأصفياء ، مَن نال بختم رسالة النبوّة أشرف الآمال من أسنى معارج المعالي وأسمى مراتب الكمال وآله وصحبه خير صحبٍ وآل ، والحمدلله على الهداية في البداية والنهاية ، ثم الحمدلله على العناية في النهاية .

¿¿¿

حمداً لمن نوّر البصائر وأحيا معالم الطريق بعد درسها ببقية الصالحين والصلاة والسلام على مَن سطعت شموس معارفه على القلوب ، فعكفت في مساجد المُشاهَدَة حتى وصلت لعلاّم الغيوب وعلى آله خلاصة أهل العرفان وأصحابه السابقين الى مقام الإحسان .

أما بعد ، فقد تم طبع كتاب "الحدائق الوردية في حقائق أجلاّء السادة النقشبندية" تأليف الكامل الذي لايُجارى في مضمار ، والعالم الذي مابرح صدره محلّاً للأسرار ، المتحقق بالحقائق العرفانية والمتخلّق بالرقائق الرحمانية ، منتهي الآمال والأماني الفاضل الشيخ عبدالمجيد بن محد بن محمد بن عبدالله الخاني ، عَمَّرَ الله الوقت بحياته وأفاض عليه وابل كرمه وهِباته . لعَمري إنه لكتابٌ يفوق عند سماعه رنّات المثاني والمثالث وينبّه الفكرة من نومها في ليالي الحوادث ، تفجّرت عن ينابيع الحكمة أنهاره وفاضت بعوارف المعارف بحاره . فياحبذا نوره الباهر وجماله الزاهي الظاهر ، كيف لا وهو في تراجم سادات رجال الطريقة النقشبندية ذوي المقامات العالية والأسرار الملكوتية . مَن لهم اليد البيضاء في علوم الواردات والباع الطويل في التصرّفات النافذات رضي الله تعالى عن سلفهم وبارك لنا في خَلَفهم . وكان لطف هذا الطبع وشرف ذاك الوضع بسعي ذي الهمّة السنية والمراتب الجليلة العلية أمير الأمراء الكرام وعظيم الكبراء الفخماء ، الرافل في أثواب السعادة المتسربل بثياب الفضل والسيادة ، مَن عَلَت منزلة مجده في سماء الإرتقاء وإرتفعت ، الشهم الهمام سعادة أحمد باشا طلعت لازالت خيراته ومساعيه في مصالح العباد مشكورة ومبراتهُ وصلاته واصلة مأثورة . وأسفر بدر التمام وفاح مسك الختام بدار الطباعة العامرة التي هي للقطب الدردير مجاورة . المملوكة لذي الصفا والوفا حضرة محمد أفندي مصطفى في أواسط شهر الله المحرّم سنة ١٣٠٨هـ من هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

¿¿¿

ترجمة المؤلف

هو حبور أحبار الإجتهاد الأمجاد وسرور أسرار فؤاد أولي الإرشاد ، وطور أطوار ذوي الإنشاء حتى تطاولت اليه من كافة الأمصار الأبصار ، وقرّت به من العلماء العيون وأقرّت له بالتفنن في أحسن الفنون ، الى مكارم أخلاق عالية وطيب أعراق غالية ، إذ تفرع عن جدّين أمجدين وليّين كاملين مرشدين ، وولده القطب الرفاعي (رضي الله تعالى عنه) مرتين . فهو عالم الأدباء وأديب العلماء الصوفيّ العفيف والشاب الظريف الثاني الشيخ عبدالمجيد بن محمد بن محمد بن عبدالله الخاني الخالدي النقشبندي ، أكرِم به من قمرٍ أشرق في سماء الفضائل وأنجزَ للأواخر ماأعجزَ الأوائل .

(تولّد) هذا القمر شهر الخير صفر عام ثلاث وستين ومائتين وألف . وقد تقنّم بالنجابة وتبرقم باللطف ونشأ في مهد جده مَهديّ زمانه المُجمعْ على ولايته ورفعة شأنه . وإرتضع من ثدي بركاته ملء إمكانه حتى إذا تكلّم سلمه جدّه المكرّم الى العبد الصالح والمرشد الفالح أحد كرام خلفائه الشيخ علي الحذوري الحمصي لإقرائه . فلما أتمَّ الكتاب المجيد جدَّ جده في تذويقه علم التجويد مع صرفه لتعلّم الإنشاء والكتابة ، ففي أيسر من أدرك منهما أرابه . ثم شمّر عن ساعد جدِّه وإبتدر لتحصيل العلم عند جَدِّه قُدّس سرّه . فأخذ عنه طرفاً من النحو والفقه والتفسير ومصطلح الحديث والفتوحات والجامع الصغير . ولقّنه الذكر قبل بلوغه السن بسنين وكان له به إختصاص وعليه منه نظر خاص مكين .

ولازم في المعقول والمنقول علاّمة عصره ومحقّق مصرِه الشيخ محمد الطندتائي الأزهري وسمع منه في حضور العارف بالله تعالى الأمير عبدالقادر الحسني الجزايري أكثر الفتوحات المكية اتلمصححة على نسخة المؤلف الكائنة في مدينة (قونيه) . كما سمع من الأمير المشار اليه أكثر صحيح البخاري في دار حديث دمشق الشام بروايته له عن أبيه عن جده السيد مرتضى الزبيدي شارح القاموس وحضر عند صوفي زمانه وعلاّمة أقرانه والده الماجد داماد حضرة مولانا خالد أكبر الدروس ، لاسيما أكثر كتب الحديث الستة بسنده الهندي الخالدي والدمشقي الكزبري . وأهم كتب حقائق الصوفية كإصطلاحات العارف القاشاني ومواقف الأمير وشرح فصوص الحكم حتى تضلّعَ من التصوّف الأكبري .

(وله) في فن الأدب اليد الطولى والرتبة السامية الأولى . ولقد رأيت بديع ديوانه وإطلعت على بِكره وعَوانه ، فوجدته بما يبهر العقول معموراً قد ملأ درّه دراً منظوماً لؤلؤاً منثوراً . وهو من تواضعه وعلوّ مطالعه يكاد ينفيه أو يخفيه عن مطالعه .

(أما النَظم) فقد إستسهل أصعب مَراقيه وإستقرب أبعد مراميه حتى ظفَرَ بتراقيه بذكاء ذكّاءٍ عانَقَ به عنقاء المرقص والمَطرب ، وماأغرب مَن عانَقَ وهو بالمشرق عنقاء مغرب ، لاسيما نوعي التطريز والتاريخ . فإنه ينظم القصيدة الطويلة وكل شطرٍ منها تاريخ وكثيراً مايؤرخ بالحروف المعجّمة وبالأبيات المطرّزة في كل كلمة . فما أحفظُهُ من قصائده التاريخية قصيدته الدالية التي أرّخ فيها بالحروف الجوهرية مباركاً العام الجديد لساكن الجنان السلطان عبدالعزيز خان ومطلعها :

بالتهاني أشرق العام الجديد　　　منبئاً عن موسم البِشر السعيد (سنة ١٢٨٩هـ)

ومن ذلك قصيدته الرائية المؤرخة في كل شطر بارك بها لسمو خديوي مصر بمسند الخديوية ومطلعها :

اللطف في أرجاء مصر يشير(١٢٩٦هـ) إني بتوفيق العزيز بشيرُ(١٢٩٦هـ)

ومأأرق ماقال منها :

دانت اليه الأصفية منصباً(١٢٩٦هـ) ودنا سروراً منبر وسرور(١٢٩٦هـ)

ومن القصائد الحماسية قصيدته البهية البائية ومطلعها :

تجلّى من العلم الإلهي كواكبه لنا وبنا سارت الينا مواكبه
وما الكون إلاّ شاعر وصفاتنا مشارقه تشدو بها مغاربه

وما أعلى ماقال منها :

توهم أهل الجهل إدراك شأونا ومَن نال هذا الفضل تسمو مراتبه
وهَبْ أنهم قد أمطروا منه قطرة فمن بعدما إنهلّت علينا سجائبه

ومن ذلك قصيدته الغرّاء الرائية ومطلعها :

نحن الملوك على الأسرّة في دولة الفقر المسرّة
مَن سام في ساحاتنا نحمي من الأغيار سرّه
أو غاب عن غاباتنا حرم الحماة من المعرّة

ومن غزلياته وحسن إقتباساته :

أما وليل من ذوائبها عشر ومانسخت بالفرق من صورة الفجر
وما كتبت بالمسك في وجناتها فخالاتها تختال بالشفعِ والوترِ
وسين جبين فوق نون حواجب على قمر والليل فيه إذا يسرِ
ومانفَثت بالسَحَر من لحظاتها وذا قَسَمٌ لاريب فيه لذي حجرِ
إذا كان مَن أهواه عني راضياً فلا رضيت عن الأنام الى الحشرِ

ومن موشحاته وطيب رشحاته :

سلّم الله غزالاً سلّما بعيون كحّلت بالنعسِ
وفم أتقنه الله فما فيه عيب غير طيب اللعسِ
رَبرَبٌ ربى في وادي زرود ما لوى الجيد الى ماء اللوا
لو رآه البدر يهوي للسجود وهو لا يعلم ما معنى الهوى
ذو محيًا خاله فوق الخدود ملك الزنج على العرش إستوى
كل مَن علمه منع اللما جاهل قدّر حياة الأنفُسِ
ماله من مشبه نفسي وما لي فدا ذاك الرضاب الأنفَسِ

ومن مقطَعاته ماكتب الى أحد الفضلاء الكرام وقد ذهب الى بيت المقدس ووعده بالعودة الى دمشق الشام :

أسرت بآية الإسراء عبداً تلهّى بالعهود إذا تلاها
وما قالوا له إيه إذا ما تحدّث عنك إلاّ قال آها

ومن ذلك وقد عارض صاحب "العقد الفريد" في قوله :

إن يوم الفراق أفظع يوم ليتني متُّ قبل يوم الفراق

فقال :

مَن تمنّى الممات قبل الفراق ماله في شرع الهوى من خَلاق

كيـفـمـا كـان قـد تصـبّـر حـتــى ذاق يوم الفـراق بين الرفـــــاق
لو يكن صـادق المحـبـة مـثلــي مـات خـوفـاً من ذكـر يوم الفـراق

ومن تطريزه في كل كلمة ماكتبه الى رئيس كتّاب ولاية سورية الجليلة :

سلام على أقـمار دهر ترى لهـــم وضاءة حسن ساطع يوم نلمم
حرقت لهم مسـتـعطفاً يوم أقـبلوا فـؤادي نداً دائماً يتـفـــوّح

ومن ذلك ماأنشده عند دخوله الى بيروت مقرظاً جرائدها السبع عام ثلاثمائة وألف فقال :

ثمرات مـقـتطف الجنان بشيـرها بلسان مصـبـاح التـقـدم قـائل
ظل المعـــارف وارفٌ فــي روض بيروت وحزب الفضل فيه قائل

وأما قصائده الكبـار فقد كفل الإسفار عنهـا كبار الأسفار . ومن أدبه الذي لايُحدّ أني لم أجد في كلامه هجاء لأحد . وأما النثر فلا يقدر قدره فكري . فما أنشأه سبع مقامات قد أسند روايتها الى سعد بن بشبر مع أبي حفص المصري . وأتى فيهنَّ بمعانٍ حللن في ألحاظ حور الألفاظ محل الحور . فسحر بها من العقول الصحيحة ماسحَر إذا ربت برقّتها على نسمات السَحَر ، وربتها البلاغة بين النحر والسِّحر .

ومن لطائف نثره أنه سُئل منه تقريض قصيدة لبعض الفضلاء في مدح الأمير المنوه بذكره . فلما نظر إليها كتب بديهة عليها (قصيدة فـريدة- أي سنة ١٢٩٨هـ) فكان ما كتبه تاريخاً لإنشائها وتقـريضاً على حسن إنتشائها . وله تآليف مفـيدة ورسائل بديعة عديدة منها هذه الحدايق الوردية في حقـايق أجلاء النقشبندية ، إهتمَّ لأجلها بتعلم اللغة الفارسية حتى أتمّ له إستكمال ترجمة أحوال أكثر السادة النقشبندية . وقد وفّقت لمطالعتها ووقفت على براعة ترتيبها وصناعتها . فوجدتها حلة لم ينسج على منوالها ولم تمتد يد أحد غيره الى نوالها . فلا عجب إذا وقفت معه موقف الأدب وأنشدت في حق هذه الحدايق شذرة مما قاله حفظه اللهم قرظاً تأليف أحد أحبابه من الشعر الفائق :

راجعـتـهـا وأنـا لهـا مـتـشـوّق ورجعـتـهـــا وأنا لـهـا مـتـشـوِّف
لايثنين على مــؤلفـهـــا بهـا لكن به يُثـني عليــهـا المنصف
حَبر إذا أجرى يـــراع براعــــةٍ سجدت لها خلف المعاني الأحرفُ
طارت الى العَليا بلابل فكــــرهٍ فغدت على عرش المرام ترفرف
وأتـــت مطوّقة بطوق بلاغـــةٍ يسمو على العقد الفريد ويشرُف
لازال طرف سعوده يجري بما يــرجـو وطرف كـمالـــه لايطرف

وبالجملة فـهو في دمشق الشام شامـة وجنة علمائها الأعلام وإبتسام فم أدبائها البسّام ، أدام الله تعالى تعاليه الى معارج المعارف الإلهية رافلاً بسوابغ النعم الضافية مجملاً بجاه أهل الله بالهمم الكافية .

بقلم الحقير الفاني محي الدين أحمد الخاني

الفهرست